

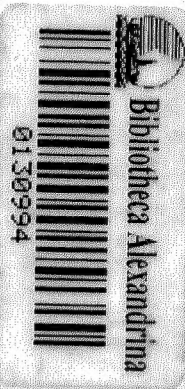
إِيرَان

في عهد الساسانيين

ألفه بالفرنسية

أرشكرستينسن

أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة كوبنهاجن



راجعته

عبدالوهاب عزام

أستاذ الدراسات الشرقية
وعيد كلية الآداب جامعة القاهرة
وسفير مصر سابقا

ترجمه

بجبي الخشاب

أستاذ الدراسات الشرقية
بكلية الآداب - جامعة القاهرة
عيد كلية الآداب سابقا

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر
بيروت ص.ب ٧٤٩

إِيرَان

في عهد الساسانيين

ألفه بالفرنسية

أرثر كريستينسن

أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة كوبنهاجن

راجعه

عبد الوهاب عزام

أستاذ الدراسات الشرقية
ومعهد كلية الآداب جامعة القاهرة
وسفير مصر سابقاً

ترجمه

بهي الخشاب

أستاذ الدراسات الشرقية
بكلية الآداب - جامعة القاهرة
عميد كلية الآداب سابقاً

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر
بيروت ص.ب. ٧٤٩

الترجمة العربية لكتاب

L'IRAN
SOUS LES SASSANIDES

Par
ARTHUR CHRISTENSEN

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

صاحب الكتاب الذى تقدم إليه ، بعد أن نقلناه إلى اللغة العربية ، هو آرثر كريستنسن ، أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة كوبنهاجن ، الذى يعد من خير من كتبوا عن إيران قبل الإسلام وبعده .

وقد عنى كريستنسن بدراسة تاريخ إيران قبل الإسلام ، واستغرق هذا الموضوع أكثر كتاباته . ولاشك أن ما أتيح له من الدراسة الجدية فى صباه وما استطاع أن يحصله من معرفة باللغات واللهجات القديمة ثم إتقانه للغتين العربية والفارسية واللغات الأوربية المختلفة ، لا شك أن هذا كله قد أتاح له أن يستخدم فى أبحاثه من الأدوات ما يجعل لهذه الأبحاث أصالة وجدة . لقد استطاع كريستنسن أن يرجع إلى النقوش والآثار والنقود القديمة وأوراق البردى ، واطلع على المصادر المسطورة من يونانية ولاينية وأرمينية وسريانية ، وقرأ كل ما ظفر به من إنتاج العلماء سواء كانوا من العرب أو من الفرس أو ممن يكتبون باللغات الأوربية . والذى يتابع إنتاج كريستنسن يعجب لما فى هذا الإنتاج من الحصب والقوة ويعجب لهذا العالم كيف أتيح له أن يقرأ هذا كله الذى يشير إليه فى أبحاثه وكيف استطاع أن يدرس ويدقق ويستخلص النتائج من قراءته هذه الطويلة .

وقد درس كريستنسن اللغات الشرقية وآدابها على المستشرق أندريس Andreas فى ألمانيا ، وواصل دراساته بعد ذلك فى المعاهد الشرقية فى كوبنهاجن وباريس ولندن ، وأتم دراسته بالرحلات العلمية إلى إيران التى تخصص فى تاريخها وآدابها ، فارتحل إليها فى السنوات ١٩١٤ و ١٩٢٩ و ١٩٣٤ ، هذه الرحلات التى مكنته

(د)

من أن يعرف بنفسه على الأماكن التي يتحدث عن ماضيها كما توثقت صلابة بعلماء
الفرس المحدثين الذين نقلوا بعض آثاره إلى لغتهم .

وقد كتب كريستنسن عن إيران القديمة أبحاثاً كثيرة نذكر منها^(١) :

(١) L'Empire des Sassanides, le peuple, l'Etat, la cour.

كتبه أول ما كتب سنة ١٩٠٧ ثم عاد إليه كما سنقول .

(٢) Le règne du Roi Kawadh I et le communisme mazda-
kite.^(٢) ١٩٢٥

(٣) Etudes sur le zoroastrisme de la Perse Antique. ١٩٢٨

(٤) Les Kayanides. ١٩٣١

(٥) Les Gestes des Rois dans les Traditions de l'Iran
Antique. ١٩٣٦

(٦) Essai sur la démonologie iranienne. ١٩٤١

(٧) Quelques notices sur les plus anciennes périodes du
zoroastrisme.^(٣) A O. (٤).

(٨) La légende du sage Buzurjmihir. AO. (٨)

(٩) Abrasam et Tansar. AO. (١٠)

(١٠) Les Types du Premier Homme et du Premier Roi dans
l'histoire légendaire des Iraniens.

(١١) L'Iran sous les Sassanides.^(٤) ١٩٣٦

(١) رجعتنا في هذه القائمة إلى كتب كريستنسن التي نعرفها ؛ وإلى كتاب
A Guide to Iranian Area Study : Elvel - Sutton ، منشجان ١٩٥٢ ؛ وإلى كتاب
مكتبة Adrean Maisonneuve بباريس .

(٢) نقله للفارسية أحمد بيرشك ، وكان نصر الله ناسفي قد بدأ هذه الترجمة .
طهران ١٣٢٠ .

(٣) نقله للفارسية ذبيح الله صفا ؛ مجلة دانشكده آدبيات ، عدد ٣ من السنة ٢ .
سهران ١٣٣٤ .

(٤) نقله للفارسية رشيد ياسمي سنة ١٣١٧ وأعاد لشمس الترجمة مع زيادات الطبعة
الأخيرة منوچهر أمير مكرى سنة ١٣٣٣ .

(هـ)

وهو توسيع للبحث الذى أشرنا إليه رقم (١) وسنتحدث عنه .
وكتب عن اللهجات الإيرانية :

(١٢) Contes Persanes en langue populaire. ١٩١٨

(١٣) La dialecte de Samnan. ١٩١٥

(١٤) Contributions à la dialectologie iranienne.

وهو جزءان نما فى سنق ١٩٣٠ و ١٩٣٦

(١٥) Textes Ossètes (قوقازية) recueillis avec un vocabulaire

وكتب فى الدراسات الإيرانية فى العصر الإسلامى :

(١٦) Critical Studies in the Ruba'iyat of Khayyam. ١٩٢٧

(١٧) Xawass i Ayat : خواص آيات

مقتطفات من هذا المخطوط الفارسى الذى يتحدث عن السحر فى آيات القرآن
مع التعليق عليها .

واشترك فى بعض أبحاث ومنها :

(١٨) Description de quelques manuscrits orientaux. ١٩١٥

اشترك فيه مع Ostrup

(١٩) Les dialectes d'Awroman et de Pawa. ١٩٢١

اشترك فيه مع Benedictsens .

وأشهر مؤلفات كريستنسن هو هذا الكتاب الذى نقلناه إلى العربية ، «إيران
فى عهد الساسانيين» L'Iran sous les Sassanides وقد ظل موضوع هذا
الكتاب يشغل الأستاذ طول حياته ، وأبحاثه المتعلقة بتاريخ إيران القديم كلها متفرعة
منه . وفى أول حياته العلمية ، سنة ١٩٠٧ ، أخرج للناس بحثا فى عشرين ومائة
صفحة عن الإمبراطورية الساسانية ، الشعب والدولة والباطل ، وهو رقم (١) فى
القائمة السابقة . وظل يتفكر فى هذا البحث ويعيد النظر فيه ، وتتسع نقطة من
الدراسة بحيث تكون بحثا على حدة فيكون كتاب جديد ؛ ويستمر النظر فى
البحث القديم ، وتنتج الدراسة العميقة والعكر الدائب والنطق المستقيم سنة ١٩٣٦ ،

(و)

بعد تسع وعشرين سنة ، كتابا جديدا في تسع وخمسين وخمسة صفحة ، وبغير كريستنس عنوان بحثه فيصبح « إيران في عهد الساسانيين » وهو رقم (١١) من القائمة . وحين نشر الكتاب أصبح المرجع الأول للمعنيين بالدراسات الإيرانية فيما يتعلق بالعصر الساساني ، واعتبره المتخصصون أحد الكتب الباقية التي قلما تفقد قيمتها مع سیر الزمان . وانتظر الأستاذ أن يستمع إلى نقد العلماء لكتابه ، كما ظال يترقب الأبحاث الجديدة التي قد تجعله يعيد النظر في بعض النتائج التي انتهى إليها ، سواء كانت أبحاثا نظرية أو مكتشفات أثرية . وانتهى كريستنس إلى وجوب تنقيح طبعة ١٩٣٦ ليضيف إليها القليل الذي رأى إدخاله عليها ، فكانت الطبعة الثانية التي يقول في الأسطر القليلة التي قدمها بها : « . . . وعنت بالمكنشفات الجديدة وأهمها نقش كعبة زردشت وخرائب مدينة شاهپور التي وجدت في نقش سابور الأول ، كما عنت بالأبحاث التي ظهرت بعد سنة ١٩٣٦ والمتعلقة بالأوجه المختلفة للحضارة الساسانية . كذلك أفدت من النقد الذي أناره كتابي وخاصة مقالات Bailey في BSOS و Minorsky في JRAS. و Stein في الجزء ٥٣ من Muséon (١٩٤٠) . وبعد قليل من ظهور كتابي نشر Nyberg كتابه عن « أديان إيران القديمة » ، ظهر باللغة السويدية ثم نقله Scheader إلى الألمانية . . . وقد عدلت الفصل المختصر عن أصول الزردشتية في القسم الثالث من المقدمة بعد اطلاعي على آراء نيرج » .

وكذلك أضاف المؤلف بعض الحواشي على كتابه ، فخرج في ستين وخمسة صفحة . وكان ذلك في عام ١٩٤٤ أي قبل أن تدركه المنون بعام واحد . وقد نقلنا إلى العربية طبعة ١٩٣٦ ، فلما اطلعنا على الطبعة الأخيرة جعلنا للزيادات التي أدخلت ملحقا خاصا من صفحة ٥٦٧ إلى صفحة ٥٨٩ حتى يكون عملنا كاملا . وكنا نرجو أن تتمكن من إلحاق هذه الزيادات بالترجمة في أماكنها أولا بأول ولكن الظروف لم تتح لنا هذا .

(ز)

ولم يكن لنا ونحن نترجم نصاً أن نغير فيه حين نختلف مع صاحبه في الرأي . ولقد كانت النتائج المأثرة المقنعة التي وصل إليها أنؤاف تنال من إعجابنا الشيء الكثير ، ولكننا مع هذا نخالفه في تحديد الزمن الذي وضع فيه كتاب تفسر الذي اعتمد عليه كثيراً . فالأستاذ يرى أنه وضع أيام كسري أنوشروان ، وقد تبعه في هذا جمهرة المستشرقين ، ونحن نرى أن الكتاب كتب أيام أردشير مؤسس الأسرة الساسانية . ويترب على القول بأحد الرأيين نتائج خطيرة في البحث التاريخي . فإن النظم القضائية والإدارية والتشريع ، التي جاء بها كتاب تفسر ، إذا نسبت إلى أنوشروان تؤدي إلى القول بأنها كانت تعديلاً وتطوراً بالنسبة لما سبقها من النظم وذلك في القرن السادس الميلادي ، وإذا نسبت إلى أردشير فإنها تبين أن الدولة الساسانية قد بدأت على هذا النحو المرسوم بالكتاب في القرن الثالث . وقد ذكرنا الأدلة التي تجعلنا نميل إلى نسبة الكتاب لعهد أردشير في مقدمتنا للترجمة العربية لكتاب تفسر سنة ١٩٥٤ ، ولذلك اكتفينا بالإشارة إلى هذا الرأي في الحواشي ونحن ننقل كتاب كريستنسن . وكذلك رجعنا إلى ترجمتنا العربية لكتاب تفسر ، مع إثبات الإشارة إلى النص الفارسي نفسه سواء أخذه كريستنسن عن دار مستر أو عن مينوى .

والكتاب أهمية خاصة بالنسبة للدراسات المتعلقة بالحضارة الإسلامية . فهو يتحدث عن النظم الإدارية أيام الساسانيين ويبين ما نقل من هذه النظم إلى الدولة الإسلامية فيما بعد ، كنظام الوزارة واختصاصات كبير الوزراء وكنظام الدواوين والجباية . وحين تحدث عن المذاهب الدينية أوضح ما غمض على الكتاب المسلمين من آراء الزنادقة في العصر الإسلامي . فما ذكره عن زردشت وماى ومزدك يفسر الكثير من نزعات الزنادقة . كما أن شرحه للمصطلحات الدينية يوضح ما جاء في الكتب العربية عنها كهذا الذي جاء في كتابي الفهرست والمثل والنحل . وبمناسبة البحث عن المذاهب الدينية شرح كريستنسن ما كان يجري في أعياد الساسانيين مما يفيد في توضيح ما احتفظ به الفرس المسلمون من هذه الأعياد .

(ح)

وفي الفصل الذي تحدث فيه عن النصارى بين ما كان من اضطهاد الدولة لهم أو تسامحها معهم حسب السياسة التي كان يتبعها كسرى ، كما بين ما كان بين فرق النصارى من الخلاف وما كان يقع على لقيف منهم نتيجة هذه الخلافات ، وقد تحدث بإسهاب عما كان بين اليعاقبة والنساطرة بوجه خاص . وهذا يكشف عما كان فيه النصارى في إيران وما يتبعها من بلاد من القلق والضيق قبيل ظهور الدعوة الإسلامية .

وبوضح الكتاب ما كانت عليه إيران من ازدهار الثقافة ، أيام كسرى أنوشروان ، أى قبل الإسلام بعراة ستين سنة ، فقد عمل كسرى على نقل الآثار الفلسفية والعلمية من اليونانية والهندية إلى الهلوية . وأحسن لقاء الفلاسفة الإغريق الذين طردوا من أتينيا ، وأمر بفتح المدارس في بلاده ليعلموا فيها ، ورأس المناظرات التي جرت بينهم وبين علماء الفرس ، ودارت المناقشات حول الدين والفلسفة وأيهما أولى بالاتباع ، وحول الجبر والاختيار وغيرها من مواضيع الفكر ، ونقلت كتب عن الطب وازدهرت مدرسة جنديسابور ، وتحدث الأدباء عن كتب الحكمة والنصائح ، واستخدم القضاء كتب الفقه والفتاوى ، وشاع بين الناس قصص كليمه ودمنة الذي جرى به إليهم من الهند . وهذه النهضة الثقافية في إيران الساسانية تبين مدى تأثير الفرس في الحضارة الإسلامية فيما بعد .

وقد رأت وزارة التربية والتعليم ، إدارة الثقافة ، عام ١٩٤٦ ، أن تعهد إلينا بترجمة هذا الكتاب إلى العربية . وقد حرصنا على أن نرجع للمصادر الأصلية ، وخاصة العربية ، التي رجع إليها المؤلف وجعلنا للمصطلحات الإدارية والدينية والسياسية كشافاً خاصاً ، نجد فيه القارى تفسيراً لما جاء في كتب التاريخ الإسلامى واللعل والنحل من هذه المصطلحات التي أدى غموضها إلى عدم ضبط كتابتها .

وحرصنا على أن نحتفظ ، بقدر الإمكان ، بالألفاظ الفارسية كما عربها الكتاب المسلمون ، كالمسعودى والطبرى والبىرونى ، فاحتفظنا مثلاً بكلمتى الإصبهيد وسابور (سپاهبد وشاهپور) ، ولكننا استخدمنا السكاف الفارسية لضبط الكلمات التي

(ط)

يجب فيها نطق هذا الحرف ، حتى لا يتغير نطق اللفظ إذا ما كتب بالجمع العربية ، من ذلك اسم يزدگرد . وقد آن الوقت لاستخدام الكاف الفارسية وغيرها من الحروف التي تنطق على وجه لا مثيل له في الحروف العربية الحالية كالباء والجميم المثلثتين ، ما دمنا نرجع إلى المصادر الثقافية الأصيلة التي تستخدم هذه الحروف وما دمنا نحرص على أن ننقل إلى لغتنا العربية هذه المصادر ، لنسير مع غيرنا من الأمم في ركب الحضارة .

حين عرف الفرس كتاب « إيران في عهد الساسانيين » رأوا فيه ما يكمل كتاب « تاريخ إيران القديم »^(١) الذي كان قد انتهى بالعهد الأشكاني فبادر رشيد ياصمى إلى نقله إلى اللغة الفارسية وبه اكتمل تاريخ إيران قبل الإسلام . ولسنا نشك في أن نقله إلى اللغة العربية قد أضاف إليها كتاباً قماً يناول فترة من التاريخ وثيقة الصلة بتاريخ العرب وتاريخ المسلمين . والله الموفق .

بجى الخشاب

(١) ألفه حسين پيرنيا مشير الدولة في ثلاثة أجزاء من ٢٧٢٢ صفحة .

تقديم

مضى زهاء ثلاثين عاماً منذ طبع كتابي «الإمبراطورية الساسانية» وقد أمدتنا هذه الحقبة من الزمان بكثير من المواد ليست متعلقة بأسس تاريخ المدينة الساسانية التي تناولها الكتاب المذكور (الشعب والدولة والبلاط) فحسب، ولكن منها، على سبيل المثال، ما عيس الفنون والدين في ذلك العهد. ولذلك رأيت أن أدرس تاريخ المدينة الساسانية، من جميع نواحيها، واصفاً تطوراتها وفقاً للترتيب الزمني بقدر المستطاع، بدلاً من إخراج طبعة جديدة منقحة ومزينة من الكتاب القديم، وانتهت هذه الخطوة إلى وضع تاريخ عام لإيران الساسانية وقد تضمن التاريخ السياسي منه عرضاً للحياة المادية والروحية، وللأوضاع الاجتماعية، والأفكار الدينية والفلسفية، والفنون وغيرها.

وقد جاء التنظيم الإداري للإمبراطورية، بالطبيعة مرتبطاً بتاريخ نشأة الدولة، كما أن التقلبات التي حدثت أثناء العصر وضعت حسب تاريخها. ولكي يكون كتابي أكثر حيوية، جعلت المعلومات عن ناحية معينة من نواحي المدينة إلى فصل معين، حيث يمكن استخدامها للتعليق على الحوادث السياسية أو الحالة العامة التي تناولها الفصل. وهكذا نجد الملاحظات الخاصة بالإدارة الحربية في العهد الأول للدولة الساسانية تسبق وصف الحروب الفارسية—الرومانية في الفصل الخامس، وسيجد القارئ أبحاثاً عن الحاكم والقانون الجنائي في الفصل السادس، بمناسبة اضطهاد النصراني والإجراءات القضائية التي كانوا يخضعون لها، وجعلت بحث المسائل الخاصة بالأسرة والملكية مقدمة للفصل السابع الذي جعلت موضوعه الأساسي آراء مزدك الشيعية. وفي الفصل الثامن، وموضوعه كسرى الأول (أنوشروان)، وصفت العاصمة وصفاً موجزاً، فالواقع أنها بلغت حدها الأقصى في عصر هذا الملك الذي بنى أنطاكية الجديدة في ضواحي المدائن، وذكرت في هذا الفصل نفسه ملاحظات عن تقاليد البلاط، ذلك لأن أكثر المؤرخين من العرب والفرس يتحدثون في هذا

الشأن ، عن العهد الأخير للدولة الساسانية ، ذلك العهد الذى بدأه أنوشروان بعد القضاء على المزدكية . ومن ناحية أخرى ذكرت كل ماله صلة بترف السلاط فى الفصل الخاص بكسرى الثانى (كسرى پرويز) الذى لم يفقه ملك ساسانى فى هذا الشأن . وقد أوجزت القول عن السياسة الخارجية لإيران ، ولم أذكر من حوادث الحرب إلا ما اقتضته الضرورة القصوى . وقد استثنيت من هذا حروب سابور الثانى مع الروم . وما ذلك إلا لأن لدينا فى كتاب آمين مارسيلين رواية المؤرخ الوحيد الذى أحيى أمام أعيننا الملك العظيم وجيوشه والوقائع المتلاحفة التى كان لها شاهد عيان . ويجد القارئ فى مواقع شتى من هذا الكتاب نصوصاً من كتابى « الإمبراطورية الساسانية » بعضها نقل كما هو وبعضها نقل مزيداً عليه أو مصححاً عند الحاجة . وحينما أغير فى آرائى تغييراً بيناً ، فإنى أسجل هذا فى النص أو فى الحاشية ؛ وأذكر هنا بنوع خاص ما طرأ على نظريتى فى العلاقات بين المرازبة والبادكسبانان والاصبههذين من تغيير وخاصة بعد نشر مقالة شتين التى سأتناولها فى الملحق الثانى ، ولكنى أعترف أن هذه المشكلات لا تزال غامضة . وعرضى لتاريخ قباد الأول والمزدكية ما هو إلا إعادة لتأليف الجزء الثانى من رسالتى فى هذا الموضوع « حكم الملك قباد الأول والشيوعية المزدكية » مع ملاحظات مأخوذة من الجزء الأول من هذا الكتاب . وأريد أن أقرر أن مخطوط هذا الكتاب كان معداً للطبع من ثلاث سنوات ، ولكن طبعه تأخر لأسباب لا ترجع إلى . وقد اضطررتى هذا التأخير إلى إعادة النظر المرة تلو المرة ، فى الفصل الرابع ، الذى يتناول المانوية فقد ظهرت عن هذا الموضوع عدة كتب مهمة جداً فى هذه الفترة . ثم إن كشف نصوص مانوية باللغة القبطية ، حديثاً ، وحل جزء منها ، قد أتاح لنا معلومات أوسع عن هذه الحركة الدينية . ولكنى لا يكون كتابى ثقيلاً على المؤرخين من غير المستشرقين ، تجنبت استعمال الحروف الصوتية التى يصعب نطقها واستبدلتها بأخرى سهلة التداول مثل tch ج ، djh ج ، sh ش ، Zh ض ، Kh خ ، th ث ، gh غ ، dh ذ ، bh ب . ومن الحروف الصوتية ما لا يوجد فى غير السكلمات والأسماء التى وردت فى الأوستا ، فهذه احتفظت برسمها القديم . وقد ذلت قليلاً كتابة الاسماء والسكلمات

الپهلوية . فجعلتها بقدر الإمكان وفقاً لنطقها الأخير في العصر الذي أكتب عنه . أما الاسم الپهلوی للإله الأعلى للزردشتيين ، فقد كتبت كما يكتب عادة بالصيغة الشبه علمية أوهرمزد ولعل لفظ العامة كان هُرمزد ، وهي الصيغة التي استعمل بها هذا الاسم المقدس علم شخص .

وقد تطور نطق اللغة الإيرانية الوسطى في القرون الأربعة للدولة الساسانية ولذا بدأ التناقض ، ولو في الظاهر ، ولم يكن ممكناً تفاديه في الكتابة . والأسماء العربية والفارسية ، التي تكتب في العربية مع علامات الشكل ، يمكن أن تقرأ كأنها لم تشكل . وكتبت الأسماء الجغرافية المشهورة بصيغتها الفرنسية العادية .

وعند ما استشهد بنصوص للكتاب الشرقيين مترجمة للغة الفرنسية أتبع غالباً هذه الترجمة ، اللهم إلا في الحالات التي أحاول أن أجِد نصاً أدق لبعض التعابير . وأما عن نصوص « كتاب تنسر » والتي أخذتها من الترجمة الفرنسية لدارمستر فقد أجريت أحياناً التعديل نتيجة لمراجعة النص الفارسي الذي نشره دارمستر مع الطبعة الجديدة لينوى .

أما كتب الفن فلم أشر إلى كل ما يرجع إليه فيها ، فإن القارئ يجد الإشارات اللازمة كلها في كتاب سار الرخيص الثمن وذو الحجم المناسب والذي به كل الصور الجميلة الهامة لتحف إيران القديمة .

وإنني أشكر لكل من أوسّرت المساعدة القيمة التي قدمها لي في دراسة بعض النصوص العربية ، واكنيان مُصلي دير الآباء الخيترانيين في فينا ، وأمين المكتبة الخيترانية ، فإنه تفضل فأمدني بمعلومات عن حياة المؤرخين الأرمن ، وسار الذي سمح لي باستعارة عدة لوحات منه ، وأخيراً فإني سعيد حين أشكر مؤسسة رسك ارستد ، مؤسسة الحكومة الدانمركية التي عاونت على طبع هذا الكتاب بمنحة مالية

أرثر كريستفسن

مقدمة

١ - ملخص عن المدنية الإيرانية قبل الدولة الساسانية

١ - النظام الاجتماعي والسياسي للدولة الاشكانية

كون الإيرانيون منذ القدم جميعية من الأسر الكبيرة يستند نظام إقليمها إلى أربع وحدات : البيت (نمانه) والقرية (ويس) والقبيلة (زنتو) والإقليم (دهيو)^(١) وسمى الشعب آريا ، وهي الكلمة التي اشتقت منها الكلمة الجنسية والجغرافية إيران ، وهي إيران الحديثة .

وقد توارى نظام الأسر جزئيا في مجتمع إيران الغريبة تحت أثر سطحي المدنية البابلية . وقد كانت الدولة الأكينية (هخامانشية) استمراراً للدول الأشورية والبابلية والعلامية ، والأساليب السياسية الأكينية هي أساليب الملوك البابليين والميديين مع ما أدخل عليها من الإصلاح بفضل العقبرية المنظمة ، عقبرية كوروش ودارا الأول . ولكن التنظيم على أساس الأسرة لم يمح ، وجد في بلاد الميديين كما عاش في فارس بالمعنى الأخص ، وظهر في نقوش المقابر من نقش رستم حيث يسمى داريوس نفسه ابن ويشناسپا (الأسرة) ، الأكيني (القبيلة) ، الفارسي (الإقليم) ، الآري (الأمة)^(٢) وكان في فارس الأكينية سبع قبائل ممتازة ، يجري في إحداها الدم الماسكي . وقد

(١) في الجانا تذكر الوحدات الأربعة كالآتي دمانا ، ويس ، شـوئثرا ، دهيو
A. Meillet, "Trois conférences sur les Gâthâ de l'Avesta," (باريس سنة ١٩٢٥ ص ٢٣) ويشار إلى أعضاء هذه الوحدات بالأسماء الآتية :

خواتو ، ورزنا ، ايرمين ، دهيو ، وذلك لأن المجموعتين ، فيما يظهر تتعلقان بنفس التقسيم الاجتماعي والإقليمي . بنقشت في بحثه عن الطبقات الاجتماعية في الأوستا : في المحلة الآسيوية ، عام ١٩٣٢ ، ص ١٢٤ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٩٦ من بحث اندرياس الذي قدمه في مؤتمر المستشرقين الدولي الثالث عشر .

ظن هيرودوت خطأ أن سبب امتياز هذه الأسر هو اشتراكها في قتل جوماتا الذى ادعى أنه سمرد^(١) .

وكان فى إيران الأكينية ، عدا هذه الأسرات الكبيرة بحكم مولدها ، سلسلة من التابعين ، فى آسيا الصغرى مثلاً إمارات قديمة حكم أمراؤها تحت سيادة الملك الأعظم ؛ وكانوا خاضعين فى الوقت نفسه للرقابة الفعلية للستارية . ولكن من ناحية أخرى ، قد جعل الملك الأعظم لنفسه أتباعاً بمنحهم إقطاعات يتوارثونها مع امتيازات خاصة ولم تعد صلة الأسرات وثيقة بالقرى الفارسية التى نشأوا فيها خصب ، بل تعدتها إلى أملاك كبيرة أخرى فى شتى أنحاء الدولة ، وقد أتيح لأناس من غير الأسرات الكبيرة من الفرس والليديين ومن الأجانب أيضاً ، كالإغريق المنفيين ، أن يملكوا إمارات يمنحها لهم الملك الأعظم ، وموقف هؤلاء السادة من الستارية ليس جلياً ، ومهما يكن ، فإنهم تمتعوا بامتيازات تتفاوت خطورة ، منها الإعفاء من الضريبة أحياناً بحيث كان فى مقدورهم أن يستحوذوا على الأموال التى يحبونها من رعاياهم^(٢) .

وهذا هو مبدأ نظام الإقطاع فى فارس . إلا أن هذا النظام لم يتكون تماماً أيام الأكينيين . وقد ترك الإسكندر والسلوكون ، ورثة الأكينيين السياسيين كل ما هو أساسى من نظم دارا الأكبر .

وكذلك لم تترك التقاليد السياسية الأكينية حينما تمكن الأشكانيون فى إقليم پارتا بمساعدة أشراف داهيا ، وهم كالأشكانيين أنفسهم من إيراني الشمال ، لتربيتهم العسكرية من الاستيلاء على پارتا ، ثم خلقوا بالغزو ، دولة إيرانية جديدة ، ولكن كان لهذه الدولة البرتية لونها الخاص . وقد انتقلت السيادة ، بقيام الأشكانيين ، من الغرب إلى الأقاليم الشمالية التى كانت أكثر الجهات احتفاظاً بالطابع الإيراني .

(١) سمرد Smerdes هو برديوا Bardiva ، الابن الثانى لكوروش ؛ وقد قتله أخوه قبيز وأخفى خبر قتله ، فادعى شخصيته كثير من المحتالين وسما أنفسهم باسمه ، ومن هؤلاء جوماتا المجوسى فى القرن السادس ق . م .

(٢) Geschichte des Altertums : Mayer ٣ ص ٦١ — ٦٢ ؛ Christensen :

Die Iranier ص ٢٦٨ وما بعدها .

وهكذا كانت دولة الأشكانيين ، رغم ظاهرها الإغريق أكثر إيرانية من الدولة الأكينية . وقد اتخذ ملوك الأشكانيين عاصمتهم الدامغان (هيكاتومييلوس) في بارتيا مدة قرنين من الزمان ، وذلك قبل أن يلجئهم تطور الزمن إلى نقلها إلى المدائن على ضفاف دجلة .

وقد عاد نظام الأسر سيرته الأولى بانتقال السيادة إلى إيراني الشمال ، وقد ظلت أصالة النسب مرعية في الجماعة الإيرانية عدة قرون ، بل بعد سقوط الدولة الساسانية بين جماعة الزردشتيين . ويذكر في الكتب الهلوية الرياسات الأربعة : رئيس البيت ورئيس القرية ورئيس القبيلة ورئيس الإقليم ، كما نجد هذا التقسيم في الكتب المانوية التي كشفت نصوص منها في تورفان . ولو أنه يرجع إلى عالم السماء ^(١) . والواقع أن الرياستين الأخيرتين ، وهما أعظم خطراً ، قد زالتا منذ زمن طويل ، وأن الدولة أصبحت تقوم مقامهما ، ومنذ الأزمنة البالغة في القدم كان رئيسا الطائفة والإقليم عنصرين لازمين للنظام . ولكن سلطتهما لم تكن معروفة بوضوح كما كانت غاية في التفاوت . ثم إنهما لم يوصلا ، إلا استثناء ، إلى نفوذ يطمح على السلطة المحلية التي كانت مركزة في أيدي رؤساء القرى . وعند ما تكونت الإمبراطورية أصبح نفوذ رئيس الإقليم في يد الملك الأعظم نفسه . وقد سمي ملوك الأكينيين أنفسهم في نقوشهم خشايشيه دهيونام أي ملوك الأقاليم .

وحل الستار به العينون من قبل الملك محل رؤساء الطوائف . وقد اتبع هذا الوضع عينه أيام الأشكانيين ، فإن النظام الأكيني كان من القوة ، في هذه الناحية ، بحيث صمد لكل الأعاصير .

أما رياستا البيت والقرية ، وقد كانتا أقل شأنًا ولكن أكثر ثباتًا ، وهما الأسرة ورئيسها (مانبد) والقرية ورئيسها (ويسبند) فقد بقيتا .

وقد كان الأشكانيون ومن ناصرهم من الرجال منذ بداية الأمر ، والذين كانوا نواة للدولة البرتية فيما بعد ، كانوا من رؤساء القرى ، شأنهم في ذلك شأن دارا

(١) النصوص الخطية : ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

ومن معه من قبل ، وإنى أكرر هنا أن رؤساء القرى كانوا الطبقة العليا لهذه
الأرستقراطية التي استمدت سيطرتها من الأراضي التي كانت تملكها وتتوارثها .
وعلى هذا الأساس فقد بلغت نواة نظام الإقطاع أشدها بمجرد تكوين دولة البرت .
وأما البيوت التي كانت لها المكانة الأولى في ذلك العهد — ولعل ذلك كان بتأثير
التقاليد التي استمرت منذ أيام الأكيمينين — فقد كان عددها سبعة^(١) ، منها اثنان ،
عدا البيت المالك ، كانا قوين وهما سورن الذي كان يتوارث حق تتويج الملك
وقارن^(٢) . وكان لرؤساء القرى ، في هذه الطبقة ، المكانة العظمى في الدولة
فانهم كانوا كبار أمراء الملك وهو الرئيس الأعلى ، وكانوا ينشئون رعاياهم على الحرب
معه أو عليه ، وقد ساق سورن لحرب كرسوس جيشاً من عشرة آلاف فارس
« كانوا جميعاً من عبيده »^(٣) . وهذا معناه ، بغير شك ، أن الحرائين ، وعليهم
يقع عبء الخدمة العسكرية كانوا خاضعين لضرب من الرق تحت سيطرة ساداتهم
الأقوياء . وكانت هناك طبقة بين الأمراء والحرائين ، ممن يملكون قدراً من
الأرض ، وهم من أعيان الدرجة الثانية ومن الفرسان^(٤) . ويحتمل أن يكون
رؤساء البيوت (مانبد) من هذه الطبقة . وبين هذا النظام نظام الإقطاع في أوروبا
إبان العصور الوسطى شبه يستلفت نظر المؤرخ .

وكانت الرابطة بين الأمراء والحرائين أيام البرت وعند الأوريين أقوى

(١) يقول أونابوس (طبعة دندروف ص ٢٢٢) إن سبعة رجال رفعوا أرشك
على العرش .

(٢) سورن الذي قهر كرسوس معروف ؛ وقد أشار Tacite إلى عظيم آخر بهذا
الاسم سنة ٣٢ م (Annale) (٦) ص ٤٢ ؛ قارن Arch. mitt Herzfeld ، ٤ ص ٧٠
وما بعدها . وقد اشتهر رجل اسمه قارن ، سنة ٥٠ م ، في الحرب بين جودرز ومهردان
(Annale (١٢) ص ١٢ وما بعدها ؛ وهرتزفيلد ١ ، ص ٦٤ وما بعدها) .

(٣) بلوتارك كرسوس ٢١ . قارن Justin ٤١ ، ٢ : ليس من الجيش ولكن من
طبقة أخرى ، فبعضهم أحرار من العامة وليبوا عبيدا محررين ، بل هم من الأحرار ذوي
الثروة أو أصحاب الأعمال المهمة أو من هم أغنى منهم ممن يقدمون على تقديم الخيل في الحرب .
(٤) جميع البرت لمحاربة انتوان جيشاً عدده خمسة عشر ألف رجل ، منهم أربعمئة من
الأحرار (جيسن ٤١ ، ٢) .

منها بين الأمراء . والملك صاحب السيادة العليا وهي في هذا كاصلة في نظام الإقطاع القديم . ولم يكن العرش نفسه ، أيام الأشكانيين ، مائلا لنظام الإقطاع من حيث الوراثة . فقد كان الملك مقصوراً على أسرته ، ولكن الوراثة لم تكن من الوالد لولده لزماً ، فإن العظماء يختارون من يلي العرش ، فإذا اختلفوا ، تحاربت الأحزاب وانتخب كل حزب ملكاً أشكانياً .

ونحن لا نعرف الصلة بين الحكومات الملكية في الأقاليم وبين المقاطعات . ومن الممكن افتراض أن كبار الأمراء كانوا حكاماً على الأقاليم التي بها إقطاعاتهم الأساسية^(١) ومهما يكن فإن الولايات كانت بين أمراء البيت المالك وأعضاء الأسر الست الممتازة الأخرى . وكانت معظم الولايات أقل اتساعاً من ولايات ستاربه الأكمينيين ، ولو أن حكام الأشكانيين كانوا أكثر استقلالاً . ويظهر أن لقب ملك لم يكن قاصراً على الحكام من البيت المالك — وهي العادة التي كانت متبعة دائماً في إيران — بل إن الثماني عشرة ولاية كانت تسمى بمالك^(٢) .

ولذا فإن تسمية المؤرخين العرب للعهد الذي بين الإسكندر وقيام الدولة الساسانية بعهد ملوك الطوائف لم تكن مجانبية للصواب ، فهذا التعبير هو الترجمة العربية للاصطلاح الهلوي كذلك خدای^(٣) « رب البيت » أو الأمير الحاكم (Landesfürst بالألمانية) .

(١) ولعله ليس من المصادفة أن يكون الإقليم الذي هو أول مراكز لقوة الأسرة الأشكانية ، إقليم فرطيا (پارتيا) ، (الإقليم الذي يماثل السترب الأكميني الذي يعمل هذا الاسم) مقسماً في ذلك العهد أكثر من أي إقليم آخر في الدولة . ويقول Isidore de Characène إنه كان مقسماً إلى ست حكومات ، وكانت جرحان قسماً منها ، وهي إمارة وراثية لجيو الذي ولى أحد أبنائه المسمى جودرز العرش . ولا شك أن جيو هذا من أكبر أسر الدولة . قارن Arch. mitt. Herzfeld ، ٤ ، ص ٥٨ وما بعدها .

انظر الشاهنامه قصص جيو وجودرز ص ١٠٨ وما بعدها . (ترجمة عزام) .

(٢) Hist. nat. Plin. الكتاب السادس ، ص ٢٦ .

(٣) ذكر هذا الاصطلاح في البندهشن الإيراني (نشر انكاسرياس ٢١٤ ، ١ —

١٣) ، ومن كارتامك ؛ أنظر ص ٣ ، ٣٥ من :

Bartholomae : "Zur Kunde der mittelliranischen Mundarten"

وقد ظهرت السلطة السياسية للأمرء العظام في مجلس الشورى الأرستقراطي الذي كان يحدد سلطة الملك . ويسمى جستن^(١) Justin هذا المجلس بمجلس الشيوخ Sénat ونحن نعرف أن قواد الجيش والحكام كانوا من بين أعضائه^(٢) ، وهذا يبين أن وظيفة الحاكم لم تكن وراثية ، وكان أعضاء المجلس ينسبون أنفسهم للملك الأعظم وربما كان المجلس مكونا من أمراء الأسرة المالكة وكبار السادة في الأسر الست الممتازة الأخرى ، ذلك أننا كثيرا ما نجد اسمي سورن وقارن بين أسماء قادة الأشكانيين ونحن نعرف أن هاتين الأسرتين تعتبران فرعين للأسرة المالكة . ونجد من ناحية أخرى^(٣) ما يبين وجود طائفة أخرى شاركت في تصريف شئون الحكم وهي « جمعية أهل الحكمة ورجال الدين » التي ربما كان الأشكانيون يستشيرونها والتي أشارت في بعض الأحوال المهمة ببعض الجزاءات الدينية^(٤) ، ولم يكن لهذه الجمعية تأثير كبير في سياسة الدولة . وعلى كل حال لم نسمع مطلقا أنه كان « لأهل الحكمة ورجال الدين » شأن يذكر في مصير الدولة البرتية : فهذه الجمعية لم تعد المشورة ، بينما كان مجلس الشيوخ قوة حقيقية في الدولة .

وقد خص العدد القليل من العظام ، الذين يكونون مجلس الشيوخ ، أنفسهم بأهم مناصب الدولة ، كمناصب البلاط وغيرها من الوظائف العامة وعلى هذا النحو كانت الأرستقراطية الإقطاعية ماثلة في البلاط أيضا . وما يذكره مؤرخو الأرمن عن تنظيم دولتهم يكمل القليل الذي ذكرته المصادر اليونانية الرومانية عن نظم الدولة البرتية . فقد سارت إدارة أرمينيا وفقا لنظم الأشكانيين فإن فرعا منهم قد حكمها منذ سنة ٦٦ م .

(١) (٤٢) ، ١٤ .

(٢) Strabon ١١ ، الفصل التاسع ؛ Justin (٤١) ، ٢ ، ٢ حيث قرأ جوتشميد

Probolorum ordo أوامر كثيرة بدلا من *Poplorum ordo* (٤٢ ، ٤ ، ١) ، *trans* ،

Geschichte ص ٥٧ .

(٣) سترابو ١ ، c

(٤) يقول سترابو إن انتخاب الملك الأعظم كان يجري دائما في هاتين الجمعيتين .

وعندى أن هذا معناه أن الانتخاب كان يتم في مجلس الأتارب (sénat) ثم يؤيد تأييدا رسميا في مجلس أهل الحكمة والدين .

وقد أورد موسى الخورينى نصا يلفت النظر عن التغييرات التى أجراها وكرشك أول ملوك أرمينية الأشكانيين^(١) . فقد بدأ هذا الملك بتنظيم البيت الملك فأولى رئيس عائلة بجزوتوى الذى قيل إنه من أصل يهودى رئاسة العائلة مع إعطائه حق تدوين الملك^(٢) كما منحه الحق فى رئاسة الفرسان ، وهذان الحقان وراثيان له ، وحق لبس التاج ذى الطبقات اللؤلؤية الثلاث خالياً من الذهب والجواهر الأخرى عندما يكون فى البلاط أو فى غرفة الملك . ومنح وكرشك رئيس أسرة أخرى حق إلباس الملك المجوهرات الملكية . وجعل الحرس الملكى من أعضاء أسرة أخرى أو بالأحرى قبيلة ممتازة . وقسمت الأعباء الأخرى على عائلات مختلفة ، كالقائم على الصيد الملكى ، ورئيس مخازن القمح ، ورئيس التشريفات ، وكبير الأمناء ، وقيم الشراب ، والمشرف على القرايين والبازيار ، وملاحظ المصطاف ، وحامل النسر أمام الملك أثناء الحرب ومن المحتمل أن هذه العائلات لم تكن كلها من الدرجة الأولى من قبل ، ذلك أن موسى ينص صراحة على أن القائم على الشراب رفع إلى مرتبة الحكام (نخور)^(٣) وأن ملاحظ المصطاف رفع إلى مرتبة النبلاء « كأفراد البيت الملك » .

وبعد أن نظم وكرشك بلاطه ، منح كبار رجاله الإقطاعات والولايات . وقد

(١) وكرشك هو الصيغة الأرمينية لولاجاس Volagase ، مع إضافة ك والواقع أن مؤسس الأسرة الأشكانية فى أرمينيا هو تيريدات ، أخو الملك الأشكاني وللاجاس الأول الذى اعترف به الإمبراطور نيرون ملكاً سنة ٦٦ م (أنظر مقالة ماركوارت فى ZDMG الجزء ٤٩ ، ص ٦٣٩) . وقد ترجم تاريخ موسى الخورينى الى الفرنسية فى مجموعة لنجلوا لمؤرخي أرمينيا (Collection des Historiens de l'Arménie de Langlois) الجزء ٢ ، ص ٨٢ وما بعدها .

(٢) وهو امتياز أسرة سورون فى دولة الأشكانيين .

(٣) صيغة أرمينية للقب إيرانى نجده فى إيران الساسانية فى كله نخوذار Nakhvadhar (أمين مارسيليان ١٤ ، ٣ : « نخوذار باسمه هذا بين أنه ينتمى الى الطبقة الرفيعة » ، وقد فهم أمين اللقب على أنه اسم علم) . ولقب آخر مشتق من نفس الأصل هو نخوارك nakhvaragh (صيغة شمالية غربية) أو نخوير nakhver ، أو نخويرك nakhveragh (صيغة جنوبية غربية) : Naχóεγγαν عند ميناندر Menandre ، Naχoεγγάν عند أجاثياس Agathias ، Σαυαχογγάνης عند تيوفيلكت Théophylacte ، Σανναχογγάνης عند ميناندر Menandre . انظر Benveniste فى مجلة الدراسات الأرمينية Revue des Etudes Arméniennes ، ج ٩ ، ص ٦ — ٧ .

حدث لبس واضح عند موسى الخوريني ومؤرخي الأرمن في استعمال كلتي « إقطاع » و « حكومة » . فيقول موسى مثلاً إن ولرشك أعطى جبل (رئيس مخازن القمح) وآبل رئيس التشريفات ، قرى سميت باسمهما . ثم يقول وهناك الحكومتان الجبلية والآبلية^(١) ولا شك أن كلمة حكومة (نخررُوتون) قد استعملت هنا بمعنى الإقطاع . وبتقصي الإقطاعات التي وهبها ولرشك ، يشير موسى إلى أن عائلة جوتشر أصبحتوا ولاية الشمال (بدشخ) ولكنه يسمي هذه الولاية « إمارة » (نهاپوتئيون)^(٢) . ومن السهل أن نعدد الأمثلة لهذا اللبس الذي لا يفسر إلا إذا فرضنا أن الحكومات ، أو على الأقل بعضها ، كانت وراثية في أرمينيا ، فأصبحت على هذا النحو إمارات حقيقية ، وهكذا يكون التطور في أرمينيا أسبق منه في إيران .

والظاهر أن كلمة « بدشخ » كانت لقب الولاية (المرازبة) الأربعة الذين يحكمون الثغور في الجهات الأصلية^(٣) . وقد ألحق بهذه الوظيفة إقطاعات كبيرة في كل ولاية تمنح لوالها ، وعلى هذا أقطع شاراشان ، من عائلة سانا سار ، والى الجهة الجنوبية الغربية ، كورة أرزن وما حولها من الأراضي . ثم جبل طوروس وسهل البقاع كله وقد كان نظام البدشخ معروفا في إيران أيام الدولة الساسانية تحت اسم بدشخ^(٤) وهذا يبين أنها أخذت من البرتيين . ونجد في فارس نظام المرازبة الأربعة^(٥) .

وينسب إلى ولرشك سلسلة من النظم الأخرى الخاصة بالبلاط وبالدولة فقد قسم الحرس الوطني إلى عدة طبقات ويحتمل أن يكون استخدام هذا الحرس مخصصا لحماية الحدود ، بينما كانت الحروب الكبيرة يعمل بها جنود الإقطاعات . ثم حدد ساعات الاستقبال في البلاط ، والمجالس ، وأوقات اللهو وعين مذكّرين «عليهما أن يذكر

(١) لانجوا ٢ ، س ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٤ ، نهپت Nahapet ، نخرر Nakharar يدلان على منصبين

مختلفين ، بنشئت ١ ، ص ٧ .

(٣) انظر ماركارت في ايرانشهر ١ ، س ١٦٥ وما بعدها عن كلمة بدشخ bdeaslikh الأرمينية ، من رأيه أن نظام البدشخات الأربعة قد أدخله تيجران الكبير ملك أرمينيا (٨٩ — ٣٦ ق . م) وهو زوج بنت تيديدات .

(٤) سيجل بيكولي ، انظر هرتسفلد .

(٥) انظر الفصل التالي .

الملك كتابة ، « أحدها بالخير الذى يقدم ، والثانى بالتأثر الذى يطلب » . وكان على الموظف الأول أن يعنى بأن لا يصدر عن الملك ، فى غضبه ، أوامر جائرة وأن يذكره بالعدالة وخير الناس^(١) . ثم نصب ولرشك فى المدن والريف قضاة ، وجعل سكان المدن طبقة فوق طبقة الحرائين ، وأمر هؤلاء أن يرعوا أولئك لأنهم أعلى مقاماً ، كما أمر سكان المدن « بأن لا يظلموا الحرائين » وهكذا ، وكل هذا يكشف بجلاء عن نظم إيرانية اقتبسها الأرمن .

يروى فوستوس^(٢) كيف أخذ الملك أرشك (فى منتصف القرن الرابع بعد المسيح) فى إعادة تنظيم مملكته بعد فترة من الاضطراب البالغ . فعين قادة على الثغور فأُسند إلى عائلة گنوفى (التى رفعت إلى مرتبة الحكام حين أُسند إليها ولرشك أمر الشراب) كل ما يتصل بالإدارة العليا لشئون الدولة . كما أُسند رياسة الجيش وكل ما يتعلق به إلى أسرة تيمكون . « وقد حظى أعضاء هاتين الأسرتين ، والنبلاء الذين يأتون من بعدهم ، والذين يحملون لقب حاكم بحق الجلوس فى حضرة الملك على الثمارق حاملين على رؤوسهم شارات الشرف . وهذا عدا رؤساء العائلات الكبيرة الذين أذن لهم ، بوصفهم حكاما ، بدخول القصر وقت الطعام جالسين على تسعمائة وسادة بين الندماء » .

وإذا قارنا هذه النظم بما يشابهها^(٣) نجد أن الوظيفة والطبقة لم يكونا لازمين لعائلة معينة لزوم الأرض لها ، بل كان لدى الملك القوى من الوسائل ما يمكنه من السيطرة على النبلاء . ومن ناحية أخرى نجد أمثلة لموظف كبير قد قارب الموت فقلد ولده من تلقاء نفسه ، كل حقوقه وولاء مكانه^(٤) . وكثيراً ما وقعت الثورات من

(١) قارن « نهاية الأوب » (J R A S سنة ١٩٠٠ من ٢٣٢ ، Browne) حيث قيل عن الملك الساسانى كسرى الأول إنه أمر وزراءه بمراجعته إن أصدر أمراً جائراً .

(٢) Langlois ١ ، ص ٢٣٦ .

(٣) منها القوائم الخاصة بنظام الأماكن على مائدة الملك ، وهى ترجع إلى تاريخ لاحق ، وقد جاءت فى « حياة القديس نرسه » ، لانجلوا ٢ ، ص ٢٥ ، ومنها وثيقة « وسكو » ، (المصدر السابق ص ٢٦ — ٢٧ ، الملحوظة) .

(٤) القائد مانويل Manuel (فوستوس البيزنطى ، لانجلوا ١ ، ص ٣٠٥) .

الأمراء والحكام ولكن يشترط لعصب العرش أن يكون الغاصب من البيت المالك^(١) وقد حدث في بعض العهود أن استأصل الملك القوى عائلات النبلاء التي راها خطرة عليه^(٢) ، وكان ينتهز هذه الفرصة فيزغ أراضهم ويضمها إلى إقطاعات التاج^(٣) ، ولم تكن المنازعات بين النبلاء أنفسهم قليلة . وفي بعض الأحيان يبلغ رئيس الأغوات من القوة ما يهيء له ظلم عائلات الستاربه (الحكام)^(٤) .

ويوضح لنا نص من كتاب فوستوس البيزنطى^(٥) هذا الوضع ، وهو موقف العظماء الذين هم نصف موظفين تابعين للملك ونصف أمراء شبه مستقلين عنه . وتعتمد قوتهم العسكرية على التنظيم الإقطاعى للمجتمع . وقد أراد الملك الأرمنى خسرو الثانى أن يستوثق من عدم خيانة العظماء له ، وكان قد بدر ما يحذرهم منهم ، وهو مشتبك مع الإيرانيين فى حرب ضروس فى منتصف القرن الرابع^(٦) فأصدر القانون التالى : « على العظماء والحكام ، سادة وملاكا للأقاليم ، الذين يرأسون فرقا من الألف إلى عشرة آلاف ، أن يبقوا منذ الآن عند الملك ويكونوا حاشية له ، ولا يجوز أن يبقى أحدهم فى الجيش الملكى » .

وعلى هذا النحو ضم خسرو الثانى كل الفرق التابعة للأسر القديمة إلى جيشه فلما تم له تكوين الجيش ولى عليه قائدين كان يعتمد عليهما ، وهما الوحيدان اللذان يثق بهما بين العظماء . وهكذا حاول هذا الملك أن يقضى بضرية واحدة على نظام الإقطاع فى أرمينيا . ولكن يبدو أن هذا القانون بقى بلا أثر . وقد جمع وتَش وهو أحد القائدين اللذين وثق بهما خسرو ، قبل موت هذا ، الحكام مع قواتهم جميعها ليقودهم لمحاربة الإيرانيين^(٧) .

(١) وقد نال سَنَتْرُوك لقب ملك ، وهو أشكائى . أما بَكُور البَدْشَخ العظيم فإنه عند ما ثار لم يستطع أن ينال هذا اللقب لأنه لا ينتمى إلى البيت المالك (موسى الخورينى ، لَانْجِلُوا ٢ ، ص ١٥٣) .

(٢) موسى ، لَانْجِلُوا ٢ ، ص ١٤٨ .

(٣) فاوستوس ، لَانْجِلُوا ١ ص ٢١٧ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٥٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢١٧ .

(٦) قبل أن ينظم أرشك الدولة .

(٧) لَانْجِلُوا ١ ص ٢٢٠ .

ونعود الآن لدولة البرت فنقول إن الصورة التي يعطيها المؤرخون القدماء لها لا تختلف كثيراً عن صورة المملكة الأرمينية ، فطابعها المميز هو الخلاف ما بين الأرستقراطية الإقطاعية ، التي هي في الوقت نفسه أرستقراطية البلاط ، وبين سلطة الملك الأعظم والمثل الكامل لسيد برتي عظيم ، كما يصفه بلوتارك ، هو الصورة التي يضعها لسورن عدو كرسوس^(١) : « لقد كان الأول عند الملك في غناء ونبالة ومجده ، وكان في قيمته وقدرته الأول بين البرتيين ، ولم يكن له نظير في اعتدال قامته وجمال جسمه ، وكان إذا سار إلى الريف تبعه ألف رجل تحمل أمتعته ، ومائتا عربية تحمل سراريه ، وألف فارس عليهم الدروع ، وعدد عظيم من الجند بسلاحهم ، فإن لديه عشرة آلاف فارس ، منهم من هو من أتباعه ومنهم من هو من عبيده ، وإنه ليمدو على رأس فرقته يوم المعركة حسن الوجه مديد القامة » « وقد اشتهر بعظمة تنانقي مع جمال الذي يشبه جمال النساء ، فإنه كان على طريقة الميديين يحمل وجهه ويضفر شعره بينما كان غيره من البرتيين^(٢) يرسلونه طويلاً أشعث على طريقة السيت لكي يلقوا الرعب في النفوس » . وكان يأخذ معه سراريه ، أثناء المعركة ، فيبقى ليلاليه مستهتراً ، بين الحمر والغناء والموسيقى والنساء^(٣) .

ومهما يكن من قوة سورن فقد ذهب ضحية غيرة الملك منه . فإن الملك تتحقق له الغلبة إذا نازع عظيماً واحداً ، أو كان العظماء شق . وأما إذا أجمع العظماء أمرهم فإنهم في الغالب يقيمون أو يعزلون ملكاً بعد آخر ، وإذا كانت الدولة الأشكانية لم تبلغ يوماً ما كان للدولة الأكينية من القوة والثبات إلا أنها كانت من حيث الشكل ،

(١) كراسوس (Marcus Licinius) هو ثالث بيمبي وسيزار ، قتل في حربه مع البرت سنة ٥٣ ق . م .

(٢) بلوتارك Plutarque ، كرسوس (٢١) (٢٢) . وينبغي أن نفهم من كلمة « البرتيين الآخرين » أغلبية جيش سورن ؛ لأن الترف الميدي كان شائعاً من غير شك بين الأرستقراطية . وقد ظهر ملوك البرت ، من أيام ميتردات الأول وشعورهم ولحائم مجمدة . ويقول Justin بالنسبة « منذ زمان كانت الملابس تتبع القدر فكانت كلما زادت ثروة الرجل زادت شغافية ملابسه » ولمعرفة نوع حياة البرت انظر Pline (١٠) ٥٠ ؛ (١١) ٢٦ ، ٢٩ ، ٥٣ ؛ (١٢) ٣ ، ١٧ ؛ (١٤) ٣ ، ٢٢ ؛ Justin (٤١) ، ٣ .

(٣) بلوتارك ، كرسوس (٣٢) .

دولة استبدادية ، فإن سلطة الملك لم تكن محدودة بالقوانين ، فكان إذا أتاحت له الظروف القوة ، يحكم البلاد بكل ما لدى السلطان الشرقى من الاستبداد . وكان الملك يخشى أفراد أسرته خاصة . ولما يكنه الإيرانيون من إجلال لحقوه إجلالا يكاد أن يكون ديناً ، لم يكن العظماء ليتجرءوا على المخاطرة بمناوأته من غير أن يعتمدوا على أحد أفراد الأسرة الأشكانية ممن يعارضونه . وهكذا قسا ملوك الپرت قسوة بالغة على أقاربهم ، ولكن كانت هذه القسوة تذهب عبثاً في غالب الأحيان . فقد كان المستاءون يجدون عادة أميراً أشكانياً نجماً من المذبحة يسعده أن ينتقم لما قاسى .

والملك بعيد المنال عادة^(١) . ومن المزايا التي احتفظ بها حق لبس التاج العالي^(٢) ، وحق النوم في سرير من الذهب ، وهذان الامتيازان منحهما الملك أرتبان الثالث استثناءً لتابعه الملك إيزات الأدييني جزاء له على مساعدته إياه في اعتلاء العرش . وكان العرش الذهبي في المدائن ؛ وقد وقع في يد الإمبراطور تراجان سنة ١١٥ م . وكان للملك ، في الصيد ، كما كان للأكينييين ، غابات تربي فيها الآساد والديبة والنمور^(٣) . وكانت نتيجة الدور الكبير الذي يلعبه « الحریم » في بلاط شرقى ، أن كان الحصيان يظفرون بسلطة كبيرة ويؤثرون تأثيراً كبيراً في أمور الدولة^(٤) . وكان الملك إذا ذهب للصيد أحاط به جماعة كبيرة من حملة الحراب ومن الحرس^(٥) . وكان على من يقابل الملك أن يقدم إليه الهدايا^(٦) ،

(١) « العظيمة المعروفة بغير الترف سهولة عند الفرس » ، (تاسيت ، تاريخ ٢ ، ٢) وهناك ملحوظة ليست جديرة بالثقة في Flavius Philostratus ١ : ٢٧ : يقدم للجميع الأجانب الذين يدخلون إحدى المدن الكبرى عمال ذهبي للملك يبنى عليهم عبادته . والمدينة هنا بابل .

(٢) وكذلك كان يلبس الملوك الأكينيون . وكان ملوك الپرت ، في المناسبات الكبرى ، يستبدلون التاج الأكيني ذا الشرفات بتاج مرصع بالجواهر يسميه Herodian بالتاج المضاعف .

(٣) فلافيوس فيلوستراتس ١ ، ص ٣٨ .

(٤) أنظر مثلاً Annales Tacite (٦) ، ص ٣١ .

(٥) فلافيوس (١) ، ص ٣٣ .

(٦) المرجع نفسه ص ٢٨ ؛ Sénèque ، حديث ١٧ .

كما كانت العادة عند الأكيمنين . وكانت خزينة الملك و خزينة الدولة شيئاً واحداً ، كما كان الحال دائماً في إيران إلى أن أدخل الدستور في العهد الحاضر ، وكانت الجزية التي تدفعها الدول التابعة تنصب في خزينة الملك ، حيث تجمعت ثروات ضخمة (١) .

٢ — سكان الشمال والشرق

لبثت المستعمرات التي شيدها الإسكندر الأكبر وخلفاؤه في إيران معقلاً للمدنية الإغريقية في الأطراف النائية عدة قرون . وقد أنشأ ديودوتس في منتصف القرن الثالث ق . م مملكة مستقلة تضم بلخ والصغد ومرو وفي النصف الأول من القرن الثاني غزا ديمتريوس ابن المغتصب ايثيديموس البنجاب واستقر في بلاد الأفغان والهند ، بينما وقعت بلخ والأقاليم المجاورة في يد رجل اسمه أوكراتيدس وسعى كل من هذين المملكتين اللذين اشتبكا في حرب عوان ، سعيًا حثيثاً لاتخاذ مستعمرات يونانية جديدة ، على حين كانت المدنات الأهلية تظهر من جديد . وقد ظهرت النقود الإغريقية - البلخية التي سكها ديمتريوس وعلى ظهرها نقوش هندية بالحروف المسماة الأريانية وهي من أصل آراخي ؛ وسك أوكراتيدس عياراً إيرانياً شرقياً ، وقد أنشأ باسمه ممالك إغريقية صغيرة في وادي كابل ، إقليم پشاور . وبعد ذلك بقليل اتحدت شتى الممالك الإغريقية في وادي كابل والهند وأصبحت إمبراطورية كبيرة حكمها في آخر القرن الثاني وأوائل القرن الأول قبل المسيح ميناندر المشهور « ميلندا » الهنود ، الذي قام بغزوات جديدة في الهند واعتنق آخر الأمر البوذية وأصبح ذا شهرة واسعة بين أهل هذا الدين .

وفي هذا الوقت بدأت الهجرات الكبيرة لشعوب آسيا الوسطى (٢) . فإن غارات الهون ، وهم قوم من الترك تجرى فيهم دماء المغول والصينيين ، في مقاطعة قانصو الصينية ، التي وقعت في النصف الأول من القرن الثاني ق . م ، دفعت إلى الهجرة

(١) فلافيوس (١) ، ٣٩ .

(٢) انظر الأبحاث الجديدة لهرتسفلد في Arch . Mitt ، (٤) س ١٣ وما بعدها .

الشعبيين اللذين يسميهما الصينيون يوتشى ، وسون ، ثم شملت الهجرة شعباً أخرى . وبعد عشرات من السنين استقرت الجماعة الكبيرة من يوتشى «يوتشى الكبار» في شمال جيحون . وقد وجد في هذا الوقت نفسه اسم قبيلة التخار ولا يعلم هل كان هذا الاسم يدل على هذه الجماعة نفسها أو أن اليوتشى حينما أخضعوا التخار ، أطلق اسم هؤلاء عليهم ، أو أن اسم اليوتشى قد أطلق على الهيئة الحاكمة بين التخار . واجتاحت قبائل من السجزيين ، مطرودة من فرغانة ، بلخ وآراخوزى (كيپين عند مؤرخى الصين) وزرنك . وقد سميت زرنك منذ ذلك الوقت سجستان ، وسيستان جزء منها الآن . وقد أسس الساجيون أو الهنود السيت هناك مملكة اعترفت بسيادة الدولة البرتية منذ أيام ميتردات الثانى (١٢٣ — ٨٨ ق م) . وقد مد الملك موئس الذى حكم في القرن الأول قبل المسيح وابنه أزيىس نفوذهما على البنجاب .

وفي القرن الأول قبل المسيح حلت أسرة برتية مكان أسرة سجستان الساجية^(١) . وقد كان گند فارس أو گندفر الذى حكم إلى حوالى سنة ٢٠ م ملكاً غاية في القوة . ويبدو أنه تحرر من التبعية للإشكانيين ، وقد وجدت نقوده باسم هذا الملك في سيستان وهرات وقندهار بل في البنجاب . وتدل مذكرات القديس توماس على أن هذا المبشر قد ارتحل إلى الهند أثناء حكم گند فارس .

وبالرغم من الاضطراب الذى نجم عن هجرات الشعوب ، كانت الدول الإيرانية في الشرق وماجاورها من الأقاليم تتمتع بتقدم عظيم . ولم يترتب على تسرب المحاربين الرحل إلى هذه البلاد تغيير كبير في حياة السكان . فإن جماعة صغيرة نسبياً من الحكام الأجانب تغتصب السلطان ، ولكن هؤلاء الحكام الجدد كانوا يندمجون في مدنية الشعوب التي يسودونها بقدر الإمكان . وهكذا بقيت أنقاض المدنية الإغريقية قروناً متعاقبة ، مختلطة بعناصر مستمدة من مدنيات إيرانية وهندية . ويستمر

(١) من عائلة سورن كما يقول هرتسفلد (١) س ص ٧٠ وما بعدها .

السكان المسلمون في تجارتهم الخارجية المثمرة في ظل الحكومات المتعاقبة . فقد ندر أن عطلت العلاقات التجارية . ولتسهيل التجارة مع الأقاليم الغربية ، كثيراً ما كان إمبراطور الصين ، يرسل مبعوثين رسميين إلى بلاد آسيا الوسطى .

وفي خوازرم ، نجد منذ القرن الثاني ق.م شعوب أورس الذين أصبح اسمهم عند الصينيين ين تسي . وفي إبان القرن التالي أتم الأورس زحفهم إلى الغرب ممالكين الطريق الذي سلكه السيت والسرمت^(١) من قبل . وقد اختفى اسم الأورس بعد منتصف القرن الأول ق.م : ومنذ ذلك الوقت سُمى الشعب هناك اللان وهي الصيغة الإيرانية الشمالية للكلمة آرى . وقد واصل فريق من اللان الهجرة نحو الغرب بعد غزو البرابرة لأوروبا ، واليوم تكون قبيلة أوست Ossète القوقازية البقية الباقية من اللان الذين بقوا في روسيا الجنوبية .

وبعد موت گند فارس بقليل وقعت قندهار والبنجاب في يد أسرة من اليوتشى أو من أصل سجزى تسمى الكوشان . وقد ضم الملكان الكوشانيان كوجوله كادفنز وخليفته واما كادفنز لسيادتهما بلاد يوتشى—تخار وجزءاً كبيراً من أملاك السجزيين . وأخيراً ، بعد سنة ١٢٥ ولى هذه الإمبراطورية الملك كنييسكا الذى اشتهر في الآداب البوذية راعياً متحمساً لدين بوذا^(٢) .

(١) شعب قديم كان ممتدين البلطيق والبحر الأسود (بحر بنطش) ، وقد عاون السرمت مبررات ضد الرومان . وقد كسر القوط شوكتهم في القرن الثالث ، ومنذ ذلك الوقت اندمجوا في السلاف .

(٢) ذكر المؤلف هنا المراجع الخاصة بهذا الموضوع . بالألمانية :

A. von Gutschmid : Gesch. Iran... ; Von Sallet : Die nachfolger Alexanders... ; Fränke : Beiträge aus chineschen... ; A. Hermann : Die alten Seidentrassen... ; Sten konow : Indoskythische... ; müller : To Xri und kulsan... ; Hertzfeld : Arch. mitt...

وبالإنجليزية :

Percy Gardner : The Coins... ; Warwick Wroth : Cat. of the coins of Parthia... ; F. Hirth : China and... ; E. J. Rapson : The Cambridge History of India ; Sten and Wijk : The Eras of the Indian... ; Sten konow : Notes on Indo-Scythian...

٣ - العقائد والأفكار الدينية

فى دين الآريين القديم على عبادة قوى الطبيعة والعناصر والأجرام السماوية . وأضيف إلى آلهة الطبيعة ، منذ زمان قديم ، آلهة تمثل قوى أخلاقية أو آراء معنوية مجسمة . ويظهر أنه كانت هناك ، قبل انفصال الهنود الإيرانيين بعضهم من بعض ، تفرقة بين ديوتا الذى يعتبر أخص ممثلها رب الحرب إندرا وبين آسورا (آهورا الإيرانية) ، آلهة العهد والقانون الذى كان على رأسها وارونا وميترا . ويتفق معظم العلماء على أن مزدا (الحكيم) عند الإيرانيين ، الأهورا الأكبر هو وارونا القديم ، ولم يحفظ الإيرانيون اسمه الأصلى . والأهورات ، وعلى رأسهم مزدا كان لهم طابع يتميز بالدعوة إلى الأخلاق وال عمران ، بعكس الشياطين التى تعبدها القبائل الرحل والحاربون واللصوص ، وفى الوقت الذى دخل فيه الإيرانيون العصر التاريخى كان مزدا ، مزدا أهورا أو أهورا مزدا الإله الأعلى للقبائل المستقرة والمتعدنة ، فى الشرق والغرب . والمزدية أقدم عهداً من الزردشتية ، وليس مزدا إلها لقبيلة أو لشعب بل هو إله العالم والناس جميعا . وعلى هذا كانت الصلات بين الناس والقوى السماوية أكثر صفاء فى الديانة المزدية منها فى ديانات آسيا الوسطى الأخرى . ويبدو باعث الأخلاق بصفائه التام فى هذا الدين . وبهذين الوصفين ، العموم والصفاء ، بدأ المذهب الإيرانى تأثيره على الأفكار الدينية فى الشرق الأدنى .

والظاهر أن زردشت ادعى النبوة نبياً لمذهب مزدى معدل فى الشرق ، ربما كان فى الإقليم الذى به أفغانستان الحديثة وذلك فى القرن السابع ق . م وفى هذا الإقليم الذى سكنته قبائل زراعية مستقرة أو شبه رحل ، لها مدنية على جانب من

== وبالفرنسية :

Drouin : Monnaies des Grands... ; Pelliot : Tekharian et...

ثم ختم المؤلف ملاحظته قائلا :

يبدو أن تاريخ ملوك السكوتستان الذى طال عنه الجدل ، قد اتضح فى خطوطه الرئيسية

بعد أبحاث كل من M. van Wijk, Sten Konow .

الآلهية ، والتي كانت مهددة دائماً بهجمات المغيرين من القبائل الرحل ، في هذا الإقليم انتقلت العداوة من الميدان السياسى إلى ميدان الدين . فعند زردشت تعتبر الديوات شياطين مؤذية ؛ ولما بين الفريقين من الآلهة من تفاوت نمت عنده فكرة الصراع بين الروحين اللذين وجدا منذ خلق العالم ، ألا وهما الروح الخير^(١) وهى نوع من تجلى مزدا ، وروح الشر أو أنرامينو فى الإشارات العادية من أجزاء الأوستا الأكثر حداثة . وهناك ستة آلهة من بين مساعدى مزدا ، وهم الذين سموا فى عهد متأخر التسمية العامة أمشا سبنتا « القوى الخالدة » وهم : وهو منه (الفكر الطيب) ، أشاوهيشتا (خير الحقائق) خشترا وريا (التسليط المطلوب) ، آرماتى (الخضوع) ، هورونات (السكال أو الصحة) ، أميرتات (الخلود) ، ويضاف إليهم سابعهم سبنتا مينو نفسه .

وقد يكون مستترا وراء هذه الأسماء المعنوية أسماء آلهة قديمة للطبيعة والعناصر ، فمثلا آرميتى هى من غير شك آلهة الأرض فى الأصل . ومن آلهة دين زردشت « الطاعة » سروشا . أما الآلهة الشعبية فلما لم تكن مستعملة فى الطريقة الجديدة تحت أسماء معنوية ، فإن زردشت يعدها بين الشياطين أو يهملها . وأخبت الشياطين الهدامة التى تساعد روح الشر أئمتها ، وهو تمثيل لقسوة الرحل المغيرين .

ودين زردشت توحيد ناقص ، فهناك جماعة من الكائنات المقدسة ، ولكنها كلها تجليات لذات مزدا ، وهى فى الوقت نفسه منفذة لإرادته التى هى الإرادة الإلهية الوحيدة . فالثنائية ليست إلا فى الظاهر ، لأن المعركة بين الأصليين العالميين ستنتهى بالنصر النهائى لروح الخير ، وفى هذه المعركة الكبرى ، يجد الإنسان رسالة عليه أداؤها فإنه بالإيمان الخالص ، وبالجهاد فى سبيل الحقيقة الدينية والأخلاق ، وأخيراً بالجد فى الأعمال التى تؤدى إلى غلبة قوى الحياة على قوى الموت ، وبالمساعى المؤدية

(١) كثر الجدل حول معنى كلمة سبنتا Spenta وقد عرفها Bailey فى بحث مؤيد بالوثائق نشره فى مجلة مدرسة اللغات الشرقية بلندن BSOS سنة ١٩٣٤ ، ص ٢٧٦ وما بعدها ، بأنها « صاحب القوة الحارقة للطبيعة » .

إلى الحضارة وخاصة زرع الأرض ، يقف في صف روح الخير . الفكر الطيب ، القول الطيب ، والعمل الطيب ، هي الأسس الثلاثة التي تنطوى عليها مبادئ الأخلاق عند زردشت . والجزاء هو الجنة والعافية والخلود في مساكن « العليين » ، بينما العذاب الطويل في « مأوى الكذب » سيكون عقاب الأشرار . ولكن بجانب المحاكاة التي يقضيها الفرد بعد موته مباشرة ، نجد في كتابات الأوستا ، وهي العظات المنظومة ، التي تحوى أو تعبر عن وعظ زردشت ، إشارات إلى حساب عالمي عاله يجريه الروح والنار ، أي روح مزدا وبلاء النار ، بلاء المعدن المذاب في آخر الزمان ، حين تنتهى المعركة الأخيرة بين قوى الروحين . الخير والشر بانتصار مزدا .

وبين الأوستا التي تسمى « القديمة » والتي تكون الكتابات لها « والأوستا الحديثة » اختلاف بين في تعدد الآلهة وفي الأفكار الدينية . ولم يكن ممكناً أن تلغى الآلهة الشعبية على مر الزمان . واضطر اللسان من الزردشتيين إلى الاعتراف بهذه الآلهة بجانب الآلهة المذكورين في الكتابات . وقد وجد في الدين المزدى في إيران الشرقية قبل إصلاح زردشت ، يشنتات (جمع يشت) أو أدعية موجهة للآلهة الشعبيين ، لميترا ، رب الميثاق ، وفي الوقت نفسه رب النور^(١) ، والآلهة اردوى سورا الملقبة بأناهيता إلهة الماء والخصب ، وللنجم تشترى الذى تبين أنه سيربوس ولوثرغنا إله الحرب (الهجومية) والنصر ، ولخوارنة الذى به مجد وإقبال الملوك الآريين ، وللملائكة فروشات (جمع فروش) ، حماة المؤمنين . وقد أدخلت هذه اليشنتات في المذهب الزردشتى كما ألف موازنة المذهب المعدل يشنتات زردشية بحثة أضافوها إليها . واليشنتات القديمة ، التي تحتوى على إشارات قيمة للتاريخ الخرافى للإيرانيين ولتاريخ إيران الشرقية قبل زردشت ، تكون أقدم أجزاء الأوستا الحديثة . والحقيقة

(١) اتخذت هذه التسمية حسب الرسم القديم . ووفقا لليشت ١٠ — ١٣ ، يلدو ميترا على الجبال قبل الشمس . ويقول Hertel إن ميترا الأوستا هو سماء الليل . انظر مصادر ومراجع تاريخ إيران والهند Indo-iranische Quellen und Forschungen ، (٩) .

أن هذا النوع الأدبي منها أقدم من الكتابات^(١).

وقد ظلت الزردشتية مدة قرون كأنها غريبة في وسط المزدية الإيرانية القديمة . المزدية التي كانت تطوّر مع تفاوت ضئيل في أقاليم إيران المختلفة . فمثلاً كان هناك بعض التفاوت بين المزدية التي يدين بها الفرس الأكمنيون وبين عقيدة المجوس في ميديا ، ولكن في الوقت الذي وصف فيه هيرودوت عقائد الفرس والميديين ونحلهم لم يكن اصطلاح زردشت قد تغلغل في الغرب بعد^(٢) فإننا لا نجد المزدية الزردشتية عند مجوس ميديا إلا منذ القرن الرابع ق . م وهي تختلف في بعض المسائل عما جاء في مزدية الكتابات وفي الأوستا الحديثة . ويتبين من إحدى العقائد الإيرانية القديمة للغاية التي تركت آثاراً غامضة في الكتابات ، أن إلهي الخير والشر كانا أخوين توأمين وهما ولدا زُرّوان الزمان اللامتناهي^(٣) . وقد خرجت عبادة ميترا مختلفة عن المزدية ، ومتأثرة كثيراً بعلم النجوم الكلداني الذي ترعرع عند مجوس آسيا الصغرى^(٤) .

(١) أما عن تفصيل هذا المختصر عن دين إيران القديم وإصلاح زردشت فإنني أحيل على أبحاثي :

Quelques notices sur les plus anciennes... ; Etudes sur Le Zoroas... ; Les Kayanides . وأحدث بحث مفصل عن إصلاح زردشت هو ما كتبه : Lommel . Die Religion . وقارن Geiger : Die Amesha Spentas. ، و Meillet : Trois Conferences.. أما عن البشطات فاقراً : Lommel : Die Yashts... و Hertel في بحثين نشرهما في : مصادر ومراجع تاريخ إيران والهند الجزء السابع (Indo-iranische) ؛ ومجلة أكاديمية ساكس الجزء ٦١ رقم ٦ ، وقد طبق المؤلف على البشطات آراءه في نظرية النار التي استخرجها من جميع الاصطلاحات الزردشتية . وانظر : Benvenist et Renou . Vritra et Arthragna باريس ١٩٣٤ .

(٢) انظر "The Persian Religion according to the Chief Greek Texts" Benvenist (باريس ١٩٢٩) ، الفصل الثاني .

(٣) انظر فيما بعد الفصل الثالث .

(٤) انظر RHR ، سنة ١٩٣١ ، ص ٢٩ وما بعدها في مقالة F. Cumont "La Fin du monde selon les mages occidentaux" ص ٢٩ وما بعدها

وهى العبادة التي تعتبر ميترا إله الشمس ، وقد انتشرت في الإمبراطورية الرومانية^(١) . وقد اعتنق زوران عبادة ميترا ، وكذلك أتباع سائر الفرق المذهبية الذين كان بعضهم يمارس عبادة الشياطين ويعبد أنرامينو .

وترينا صور الآلهة المنقوشة على النقود الهندية السيشية شعبة أخرى من المزدية التي تأثرت بعقائد الهند وقد نمت وتطورت في إيران الشرقية واندجت . بعد ذلك في الوسط الروحي للدين البوذي^(٢) .

وقد استتبع المهلينيم في إيران الغربية وآسيا الوسطى عامة مزجاً يوفق بين المذاهب المختلفة ، فالهة البابليين والإغريق قد اعتبرت هي نفسها آلهة الإيرانيين . وهكذا اختلط أهورامزدا مع بيل ، وميترا مع شمس ، وأناهينا مع إيشتار . وقد شيد أنتيوش الأول ملك كوماجين (٦٩ — ٣٤ ق . م) تماثيل للآلهة زيوس — أو هرمزد وأبوللون — ميترا — هيليوس — هرمس — أرتان (ورترغنا) — هركلس — آريس و « وطفى البالغ الحصب كوماجين » ؛ كما عين إدارات دائمة لخدمة هذه الآلهة الإغريقية الإيرانية ، وقد اختار الملوك الأشكانيون لقب الفليسيين — أصدقاء اليونان — كما مالوا للثقافة اليونانية^(٣) . ولكن هذا الطابع الإغريقي كان سطحياً ، فإن معظم هؤلاء الملوك كانوا في الحقيقة ، تحت ستار خفيف من الآراء الأجنبية ، زردشتيين .

وقد أُلّف في أول عهد البرت الكتاب الأوستي المسمى ونديداد — وى ديوداد — (التريعة المضادة للشياطين) وهو يتضمن القانون الديني للزردشتية . وكانت اللغة الأوستية حينذاك لغة ميتة يحد رجال الدين عنها في المحافظة عليها . وهذا الكتاب

(١) "Textes et monuments figurés relatifs aux mystères de Mithra" (١)

Cumont ١ ، ٢ (بروكسل ١٨٩٦ — ٩٩) Les Mystères de Mithra الطبعة الثالثة (بروكسل ١٩١٣) .

(٢) Christensen : ؟ West : Indo... ؟ M. A. Stein : Zoroastrian Deities (٢)

Etudes sur le Zor...

(٣) انظر m. Unvala : Observations on... : عباى ١٩٢٥ .

(ونديداد) يحوى مجموعة من القواعد والمراسيم تختلف قليلا فيما بينها ، باختلاف الأقاليم لأننا نجد هنا وهناك متناقضات واضحة . وهو يتناول الأنواع المختلفة من النجاسات والآثام ووسائل الطهر والتوبة . ثم يبحث فى العدوان وقتل الكائنات الأهورية (الرجال والكلاب وكلاب الماء) ، وما يفعل بالجلث التى ينبغى وضعها فوق الداخات المشيدة من الآجر (وهى أبراج الصمت كما تسمى أحيانا فى أيامنا) وذلك كى تنهشها جوارح الطير^(١) ، فقد حرم تحريماً باتاً تلويث العناصر بالدفن وحرق الجلث . وكذلك يبين النجاسة التى تلحق من لمس جثة آدمى أو حيوان ميت أو من يمس امرأة حائضاً وما أشبه ذلك . ويذكر الوندديداد أسماء فردية لجماعة من الديدان أو الشياطين ، والدروغات أو الشيطانات والبيرى كسات أو الساحرات . وهؤلاء أعوان إله الشر أمثال الشياطين إندرا وسوروا ونانون هاى ثيا وهى آلهة قديمة هندية إيرانية ، ومنها آبا أوشا العدو الخاص للإله تيشترىا ، وبوشياشتا الشيطانة الموكلة بالنوم ، وناسو شيطان الجلث والمواد الميتة وأمثالها .

وفى التاريخ البارسى أن نصاً من الكتب المقدسة الزردشتية قد دون بأمر ملك أشكاني اسمه بلاش ، يحتمل أن يكون بلاش الأول (٥١ — ٧٧/٧٨ م) .

ومنذ طرد اليهود أيام مختصر ازداد عسدهم فى بابل والجزيرة حيث اشتغلوا بالتجارة والزراعة وبشقى الحرف . وفى عهد الأشكانيين كثر عددهم بنوع خاص فى نهر ديا شمال بابل ، وفى سورا وفى بيماديا وفى محوزا « سلوفية » وكذلك كان لليهود جماعات فى ميديا وفارس .

وقد نظمت جماعات اليهود منذ القرن الأول الميلادى تحت رئاسة رأس الجالوت واعترف الملك بهم كجماعة لها شئ من الاستقلال . وقد عهد إلى رأس الجالوت

(١) وأما أن هذه هى عادة الإيرانيين أيام الدولة الساسانية فقد قرره أجاتياس (٢ من ٢٣ وما بعدها) صراحة . ويقول السائح الصينى البوذى هيون تسياج باختصار إن الجلث كانت غالباً تترك (عند الإيرانيين) — Beal (٢) ص ٢٧٨ — .

وكتب Inostrantzev بالروسية بحثاً عن معاملة الجلث عند قدماء الإيرانيين ، وقد ترجمه إلى الإنجليزية Bogdanov . عدد س ١ — ٢٨ من J. Cama, Or. Inst .

بتسلم الضرائب وتعين القضاة وما أشبه ذلك . وكانوا يهتمون دائماً بدراسة الشريعة « شريعة موسى » والتاريخ . وقد أنشئت مدرسة سورا المشهورة في أوائل القرن الثالث . ومنذ ذلك الحين اشتغل الأمورايم Amoraïm — جماعة من علماء اليهود — بدراسة هذه العلوم وبدأوا في جمع الأحاديث والتعاليم من كل نوع تحت اسم التلمود^(١) .

وما نعرفه عن بدء المسيحية في دولة الپرت ضئيل للغاية^(٢) . ففي القرن الأول الميلادي انتشرت المسيحية عن طريق الشام وآسيا الصغرى ، وحوالى سنة ١٠٠ ميلادية كانت هناك جماعات مسيحية فيما وراء دجلة في أربل^(٣) ، ولكن ليس لدينا معلومات صريحة فيما يختص بالتبشير بهذا الدين في بلاد الشرق . والخرافة تجعل سانت توماس مبشراً في پارتيا . وفي أعمال توماس المنتحلة نجد أنه سار برسائله حتى بلاد الهند ، ولكن هذه الأعمال ليست صحيحة من الناحية التاريخية .

ويظهر أن كرخايت سلوخ ، كركوك الحديثة ، كانت بعد أربل ، من أولى القلاع القوية للمسيحية الشرقية . وقد قيل في أعمال شهداء النصارى في إيران : « منذ عهد الملك بلاش Balāsh إلى السنة العشرين من حكم سابور بن اردشير ، تسعين سنة في المجموع ، كانت كرخا روضة مقدسة لم يكن فيها عود خبيث^(٤) » والملك الساساني سابور الأول ابن اردشير الأول قد ولى العرش سنة ٢٤١ م فلا يمكن أن يكون بلاش هذا غير الملك الأشكاني ولاجاس الثالث (بلاش) الذى حكم بين سنتي ١٤٨ — ١٩١ ، وطى كل حال ، فإنه لم يكن للنصارى أى دور سياسى أيام الأشكانيين .

(١) "Geschichte der Juden" Grätz ، الطبعة الرابعة ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ وما بعدها ، ج (٤) ، ص ٢٥١ وما بعدها ، ٣٢٩ وما بعدها ؛ Neubauer La géographie : du Talmoud ، ص ٣٤٦ ، ٣٥٦ — ٣٦٠ ؛ "Le Christianisme dans l'empire Perse" ، ص ٧ وما بعدها .
 (٢) Labourt ، ص ٩ — ١٧ ؛ Sachaw "Die Chronik von Arbela" (Abh. pr. Ak.) ، سنة ١٩١٥ .
 (٣) Sachaw ، (١) ص ، ص ١٢ وما بعدها .
 (٤) Hoffmann ، ص ٤٥ — ٤٦ .

وبعد ذلك وضع « كتاب الآباء الغربيين » الذى أُرُخ في أوائل القرن الثانى ، وقد حاء فيه أن چائلىق سلوقيا قد منح استقلالاً تاماً ، فهو يتلقى القداسة الپٲيرىكية دون أن يسعى إليها فى إنطاكية . والحقيقة أن رتبة چائلىق لم توجد فى عهد الأشكانين .

وقد أتاح اختلاط الشعوب والأجناس فى آسيا الوسطى أرضاً صالحة لمزج المدينيات والديانات . وقد رأينا أن الفلسفة الإغريقية قد توحدت مع الأديان الشرقية ، ونتج عن ذلك تشابك كثير ومتنوع^(١) . وكانت الآراء الإيرانية والسامية قد امتزجت فى البيئة الأرمنية فى الجزيرة منذ زمن قديم . فالديانات الغامضة — ديانات شعوب آسيا الصغرى — قد أدخلت هناك عنصراً جديداً . والآراء الفلسفية اليونانية قد سرت إلى هذا المزيج ، الذى أضيف إليه نظريات كهاوية ومسحورية . والأمور المعنوية والقوى الطبيعية — التى كانت تعد آلهة — قد ظهرت فى أسماء إغريقية . والأساطير الإغريقية والبابلية والإيرانية قد امتزجت أيضاً ، واختفت الصور الأسطورية الشرقية تحت أسماء آلهة يونانية . والتفرقة الدقيقة بين عالمين أحدهما خير الطبيعة والثانى خبيثها ، دنيا النور ودنيا الظلمات ، وما على الإنسان من واجب خاص فى حياته ، والجنة والنار ، ويوم الحساب ، وبعث الدنيا ، والروح الكلية ، وما بين الإنسان والقوى المكونة من ارتباط تام ، وكل هذه العلامات المميزة للمزجة الإيرانية قد دخلت فى مجموعة الأفكار العامة فى آسيا الوسطى . ونجد هذه العلامات فى الرموز المختلفة التى يتقرب بها المريدون من الآلهة بواسطة أدعية مقدسة ومعارف سرية ، مرتلين بعض الترتيلات المحفوظة فى الكتب الغامضة والغير مفهومة للعامة والتى اختلطت فيها آراء مصرية وإيرانية وكلدانية ويهودية . وراجت كتب منتحلة لزردشت المجوسى^(٢) ، وقد أخذ زردشت ، فى بعض الأوساط

(١) انظر "H. Gressmann" Die Umwandlung der orientalischen ...

سنة ١٩٢٦ .

(٢) Les écritures manichéennes. P. Alfarc ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ وما بعدها .

الزردشتية المعترجة بغيرها ، طابع مخلص للإنسانية . ورموز هذا العهد لا تعرف حدوداً محلية أو أهلية ؛ وقد جاء بها أنها صاحبة الدين الأصلي الذي تظهر حقايقه بشكل ناقص في العقائد الشعبية المختلفة^(١) .

وفي القرن الثاني الميلادي تطورت فكرة الغنوصية في الإمبراطورية الرومانية^(٢) . والعقائد المتعلقة بمعرفة الله كانت معروفة بلاشك من قبل ، ونستطيع أن نتبينها من قبل عند اليهود في الإسكندرية ، ولكن أصولها قد طواها الزمان . ومنذ القرن الثاني ، أخذ أهل هذا المذهب يبحثون عن أسانيد لنظرياتهم في الكتابات المسيحية المقدسة . وطرق قائلتين وباسيليد ومريون وتيوف الأوفيزم والناسينزيين والاشترايين هذه هي الجنوستيكية تحت أوضاعها المختلفة ، مع ما بين العقائد والآداب من تفاوت^(٣) . ولكن اتجاهات عامة للآراء قد تميز عن هذه الطرق المختلفة .

إنه المذهب الثنائي باديء الأمر . ولكن هناك فرق عظيم بين الثنائية عند المزدنيين والثنائية عند الجنوستيكيين . ففي المزدية كل من العالمين روحي ومادي في الوقت نفسه ، أما الجنوستيكي فعلى عكس ذلك تفرق دنيا النور بالروح ودنيا الظلمات بالمادة . وتنتج هذه النظرية في الحياة كانت تشاؤماً أساسياً وميلاً وانحياً نحو الزهد .

(١) "Die hellenistischen Mysterienreligion" Reitzenstein ، الطبعة الثانية

ص ١٥ .

(٢) W. Bousset : Hauptprobleme... ؛ Friedländer : Der vorchristliche...

A. Drews : Die ؛ F. Legge : Forenners... ؛ W. Schultz : Documente...

O. G. von Wessendonk ؛ H. Leisegang : Die Entstehung... ؛ Entstehung...

H. H. Scheader ؛ E. de Faye : Gnostiques... ؛ وما بعدها ؛ Urmensch...

في Die Antike ، ج ٤ ص ٢٢٦ — ٢٦٥ ؛ وكتب Harnack سلسلة من البحوث عن ماريون .

(٣) انظر عن ابن ديسان الذي له شهرة عظيمة وخاصة في الشرق : Wessendonk

Bardanes... في AO ، ج ١٠ ص ٣٣٦ ؛ و Bardanes... ؛ Scheader ، ١٩٣٢ ،

ص ٢١ .

ووراء العالم المرنى وخلف العالم المعقول أيضاً يوجد الله ، الذى هو الأب المجهول الذى لا اسم له ، والذى لا يصل إليه الفكر البشرى . وقد خرج العالم من ذات الله هذا بواسطة إشراقات دائمة أو تجليات ، كل منها أقل درجة من سابقتها ، حتى نصل إلى العالم المادى الذى ، هو آخر الإشراقات وأقلها نقاء ولكن فيه الرغبة للرجوع إلى الأصل الإلهى . والمادة ، دنيا الجسد ، هى مستقر البشر ، ولكن بارقة إلهية ، كامنة فى طبيعة الإنسان تزيه الطريق إلى النجاة وتهديه إلى الصعود فى أفلاك الأراكين إلى أن يبلغ دنيا النور . هذا هو أساس تكوين الخلوقات عند الجنوستيكيين المحدثين « فالإنسان » أو « الإنسان الأول » هو صورة نصف إلهية يبدو أنها مستتارة من الحرافات الدينية الإيرانية^(١) . ويجعله بعض الجنوستيك آدم ، وهو عند غيرهم المسيح الأزل ، أو هو قد حل أولاً فى آدم ثم فى المسيح . هو المولود الأول لله الأعظم ، نزل فى المادة ، وهو روح الدنيا ، هو نصف إله ، هو العقل هو الكلمة ، وبه بدأ الهبوط نحو المادة وفى الوقت نفسه الصراع من أجل الخلاص . ولكن الخلاص لا يتيسر بغير عون الله . وهكذا نجد فى جميع الكتابات الجنوستيكية الاعتقاد فى مخلص سماوى . وهذه هى الفكرة التى قادت الجنوستيكيين إلى اعتناق المسيحية ، فقد وجدوا مخلصهم فى المسيح . وفى بعض المذاهب الجنوستيكية يقال إن المسيح هو الذى خلص صوفيا ، « الحكمة السماوية » ، التى وقعت فى المادة . ويقول الثالنتينيون بزواج مقدس بين الإله المخلص ، سوتر وصوفيا . وهو الحادث الذى يقام لذكراه الاحتفال المقدس ، عيد مجد العروسين . والواقع أن الأساطير الدينية والقصص المتعلقة بخلق العالم قد ألفت كتفسير وتأويل لما غمض من مراسم العبادة . ويرى الفرد خلال هذه الأسرار المقدسة الحوادث العظيمة للصراع الذى يبذله الخلق جميعاً من أجل الخلاص ، وهو يصل بنفسه بالمعرفة وبالجنوس إلى الخلاص ، إلى التحرر من قيود المادة . والجنوس هو المعرفة العليا ، وهو ليس العلم الذهنى ، ولكنه المعرفة بالقلب وبالعامل الروحى ، الذى ،

(١) عن كيومرد ، الإنسان الأول ، انظر فيها بعد الفصل الثالث .

بإيحائه للإنسان علماً علوياً ، يجعله يحيا حياة جديدة . والجنوس ، حسب تعريف شيدر^(١) هو العلم الحق الذي ، بالحقيقة نفسها ، يؤدي إلى النجاة .

ومعظم الجنوستيكيين الذين عرفنا طرقهم بعض المعرفة من سكان الولايات الشرقية من الإمبراطورية الرومانية . ومن بين فرق الجنوستيكيين فيما بين النهرين وبابل فرقة المانديين^(٢) والفرقة التي يشار إليها في الآداب العربية بكلمة المغتسلة التي كانت أصلاً من أصول المانوية .^(٣) وقد اعتنق العرب مذهب الجنوستيكيين في الشرق الذين انتشرت آراؤهم إلى العهد الإسلامي^(٤) تحت اسم الخنفاء أو الصابئة^(٥) .

* * *

وقد تغلغت البوذية في إيران إبّان العهد الإغريق . فإن الملك الهندي أشوكا الذي اعتنق البوذية أرسل مبشرين بها إلى قندهار (إقليم في وادي كابل) وإلى بلخ في سنة ٢٦٠ قبل الميلاد . وقد سك ملك اسمه أجاتوكل ، حكم رخج وزرنك حوالي سنة ١٨٠ — ١٦٥ ، تموداً نقش عليها صورة بوذية . وفي منتصف القرن

(١) Urform und Fortbildungen des manichäischen Systems ص ١٢١

(٢) Die mandäische Religion W. Brandt لبرج ١٨٨٩ ؛ S.A. Pallis

"Mandaïske Studier" كوبنهاجن ١٩١٩ ، والترجمة الإنجليزية ١٩٢٦ ؛ E. Peterson

Urchristentem und Mandäismus (Zeitschrift für die neutestamentliche Wissenschaft. ج ٢٧ ، ١٩٣٨ ، ص ٥٥ وما بعدها وقد نشر بعض نصوص مانديانية

مع دراسة لها كل من Brandt و Pognon و Lidzbarski و Reitzenstein وانظر باليس Essay on : Pallis 1560 — 1980 mandaeen Bibliography لندن ، كوبنهاجن ١٩٣٣ .

(٣) الفهرست ، طبعة فلوجل ص ٣٤ ، وقارن فلوجل ، Mani ص ١٣٣ وما بعدها .

وشيدر Urform ، ص ٦٩ .

(٤) Die islamische Lehre vom Volkommenen شيدر انظر

في Z D M G ، ج ٧٩ (١٩٢٥) ، ص ١٩٢ وما بعدها .

(٥) "The Sābiāns" Jolis. Pederson ، كتاب عن الدراسات الشرقية مهدي إلى

الأستاذ برون ؛ كبردج ؛ ١٩٢٢ ؛ ص ٣٨٣ وما بعدها .

الثاني ق. م أدت الخلافات الدينية بين بوذي الشمال وإخوانهم في الجنوب إلى انقسام ديني . فبينما تمسك بوذيو الجنوب ، هينيانه — السفينة الصغيرة — بمذهب مؤسس الدين ، اعتنق بوذيو الشمال مهايانه — السفينة الكبيرة — آراء من ديانات هندية أخرى ، وكانت ، عموماً ، أكثر قبولاً للتأثر بالديانات الشعبية . وقد شاع الدين البوذي ، على مذهب المهايانه في أقاليم آسيا الوسطى . وقد دعا كنيسكا جمعاً مقدساً ليثبت المبادئ الأساسية لهذا المذهب ويجدد قانونه الذي اختصر بالسنسكريتية . وقد أقام البوذيون في قندهار كثيراً من الأديرة في القرون الأولى الميلادية ، وقد وجدت في خرائب هذه الأديرة نقوش إغريقية هندية تمثل مناظر من حياة بوذا ، وصوراً لبوذاستوا ، ومن سيعث من البوذات وغير ذلك . وقد بلغ الفن القندهاري ذروته في القرن الرابع^(١) . ويبدأ تاريخ النقوش البوذية ، فيما يظهر ، ابتداءً من القرن الثالث ، منذ ظهرت أقدم النقوش البوذية ذات الطابع الإغريقي الهندي ، التي اكتشفت في الحفائر الحديثة في تركستان الصينية^(٢) .

وفي باميان ، غربي كابل تماثيل عظيمة تمثل بوذا ، نحتت في صخور على شاطئ البحر ، وفي فجوات هذه التماثيل رسوم يذكر طابعها بطابع صور آسيا الوسطى كما أن بعض تفاصيلها يذكر بطابع الساسانيين أيام سابور الأول^(٣) .

وقد تأكد وجود أديرة بوذية في إيران الساسانية حتى القرن السابع بما ذكره

(١) L'art gréco-bouddhique du Gandhâra : A Foucher (١) — (٢) ؟

باريس ١٩٠٥ — ١٩١٨ .

(٢) Sand-buried ruins of Khotan Istein لندن ١٩٠٤ ؟ Ancient Khotan

١ — ٢ ؟ أكسفورد ١٩٠٧ ؟ Ruins of Desert Gathay ؟ لندن ١٩١٢ ؟

Alt-buddhistische : A, Gründwedel Kultstätten in Chinesisch-Turkistan برلين ١٩١٢ Chotscho. Le Coq

١٩١٣ .

(٣) Hackin de Bamiyan Les autiquités boubdhiques : A, Y Godard

باريس وبروكسل ١٩٢٨ . أبحاث أثرية جديدة قام بها في باميان هاكين « ساعده فيها

Carl ؟ باريس ١٩٣٣ . Hacken L'oeuvre de la ... في (١٩٢٢ — ٣٢) ، ١ ،

طوكيو ١٩٣٣ .

هيون تسيانج فقد كان هناك حسب روايته ، أتباع ديانات أخرى هندية ، من غير شك ، في المقاطعات الشرقية من المملكة (١) .

٤ — اللغات الشعبية والآداب

اتسعت معرفتنا باللغات الإيرانية المتوسطة اتساعاً بيناً بالاكتشافات التي تمت في تركستان الصينية في الخمس والعشرين سنة الأخيرة . فقد أوضحت أفواج من البعثات العلمية عدداً كبيراً من النصوص الأدبية الدينية . ووثائق من أنواع أخرى مكتوبة بلغات مختلفة كان بعضها ، حتى ذلك الوقت ، معروفاً معرفة قليلة وبعضها الآخر مجهولاً جهلاً تاماً (٢) .

والنصوص التي جمعها هذه البعثات مأخوذة من الآداب البوذية والمناوية والسيخية باللغات السنسكريتية والصينية والتبتية والأفعورية والبهلوية والصغدية والطخارية ، وقد كانت موضع أبحاث علمية للمختصين ولكن جزءاً كبيراً من هذه النصوص لم ينشر بعد .

وقد عرفت لهجتان إيرانيتان من جنس اللغة الإيرانية المتوسطة ، قبل حفائر تركستان الصينية ، وهما البهلوية الساسانية التي هي لغة الكلام في الجنوب الغربي لإيران (فارس) والتي كانت اللغة الرسمية في عهد الساسانيين ، ولغة أخرى تظهر بجانب البهلوية الساسانية في بعض النقوش المأثورة عن أوائل الملوك الساسانيين والتي سميت أولاً بالاسم الذي لا يلائمها « الكلدانية البهلوية » . وفي هذه اللغة الأخيرة استطاع اندرياس أن يعرف اللغة البهلوية الأشكانية وهي اللغة الرسمية للملوك الأشكانيين . واللغتان (البهلوية الساسانية والبهلوية الأشكانية) مكتوبتان بحروف

(١) Beal ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٢) بعثات إنجليزية برياسة شتين في السنوات ١٩٠٠ — ١٩٠١ ، ١٩٠٦ — ١٩٠٨ ؛ وألمانية برياسة جرونويدل وهوث في ١٩٠٢ — ١٩٠٣ ، وفون لوكوك سنة ١٩٠٤ وجرونويدل ولوكوك سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٦ ، لوكوك وبروس في ١٩١٣ — ١٩١٤ ؛ وبعثة فرنسية برياسة بليو في ١٩٠٦ — ١٩٠٩ ؛ وبعثات روسية كثيرة اثنتان منها برياسة أولد نبرج (الأخيرة في ١٩١٤ —) ٥١ ؛ وبعثات يابانية ابتداء من سنة ١٩١٠ .

مأخوذة عن الهجاء الآرامي ولكن شكل الحروف مختلف . والآداب الدينية للزردشتيين أيام الساسانيين قد كتبت باللغة الهلوية الساسانية ، ولكن ما بقي منها وصل إلينا في نصوص سطرت بعد الساسانيين وفي صورة غير سليمة . فكثير من علامات الهجاء الهلوية يمكن أن تقرأ بأشكال مختلفة ، مما أدى إلى أخطاء وريب في القراءة . ومن ناحية أخرى فإن بعض الكلمات ، ولا سيما الكلمات الأكثر استعمالاً ، قد اختفت تحت نقاب من العلامات الآرامية ، منتهية أحياناً (وهذا في الأفعال بنوع خاص) بنهايات صرفية إيرانية .

ونجد في تركستان الصينية ، في إقليم تورفان نصوصاً كثيرة في الآداب المانوية كتبت بالحروف السريانية المسماة إسترنغيلو ، ومن غير علامات ، فقد كتبت الكلمات كلها بالصيغة الإيرانية . وقد لاحظ اندرياس فوراً أن اللهجتين الهلويتين ظهرتنا في النصوص ولكن ، مولر ، وكان أول من أثبت الطابع الإيراني للنصوص وأعطى أول ملخص لها^(١) ، وسلمان C. Salemann الذي أخرج نشرة جديدة لنصوص موالد مكتوبة بالحروف العبرية ومعها كشف للكلمات^(٢) ، ميزا بوضوح اللهجتين السابقتين . وقد حدد اندرياس^(٣) بالضبط ما بين اللهجتين من الفوارق الأساسية . ثم شرح تديسكو هذه الفوارق بالتفصيل^(٤) . واللهجة الأشكانية تتبع مجموعة من لهجات إيران الوسطى يمثلها اليوم اللهجات العامية لولايات بحر الخزر ، والسحنانية واللهجات العامية لأقاليم كاشان وإصفهان وجرجان وغيرها .

(١) Sitz. Pr. Ak. ١٩٠٤ (١) Abh. Pr. Ak. ١٩٠٤ (٢) ؛ ١٩٠٤ ؛ Abh. Pr. Ak.

. ١٩١٣

(٢) دراسات مانوية ١ بحث لمجمع سان پيترسبورج ، ١٩٠٨ ، وانظر المؤلف نفسه Manichaica ؛ (١-٥) وفي نفس المجموعة سنة ١٩٠٧ — ١٩١٣ .

(٣) عند Mann : 1 : Kurdisch-persische Forschungen Abteilung المقدمة

ص ١٤ وما بعدها .

(٤) Dialectologie der westiranischen Turfantexte في MO ، ١٥ ، ص ١٨٤

وما بعدها .

والمعرفة الدقيقة بقواعد النحو والصرف في هاتين اللهجتين الأدبيتين اللتين
تذكران غالباً باسمى لهجة الشمال أو الشمال الغربي ولهجة الجنوب الغربي ، قد أناحت
لنا معرفة ما كان للهجة الأشكانية من أثر في اللهجة الهلوية الساسانية (الجنوبية
الغربية) وهو الأثر الذى يدل على ما للمدنية الأشكانية من أثر في مدنية العصر
الذى تلا هذه الدولة . والواقع أن قدرأ من الكلمات المتعلقة بالحياة الدينية
والسياسية والاجتماعية ، أو بما بين الأسلحة ووسائل المواصلات ، واصطلاحات
الطب ، والجل التى تستعمل كل يوم ، بل الأفعال العادية التى تستعمل استعمالاً عاماً
في الهلوية الساسانية وفي اللغة الفارسية الحالية كل هذا قد احتفظ بشكله الهلوى
الأشكاني^(١) . وكذلك كان بعض الشواذ التى فى النطق الفارسى نتيجة تسرب لهجة
الشمال إلى لهجة الجنوب الغربى التى كانت لساناً رسمياً منذ قيام الدولة الساسانية^(٢) .
وهناك لغات إيرانية أخرى كان الناس يتكلمون بها فى الأقاليم الشرقية . وبجانب
النصوص المانوية المكتوبة باللهجتين الهلويتين (الساسانية والأشكانية) وجد فى
تورفان وثائق مكتوبة بلغة عرف فيها اندرياس اللغة الصغدية . وقد سرت دراسة هذه
اللغة حيناً وجدت نصوص فى العهد الجديد مترجمة إليها . وأخيراً نشرت نصوص
بوزية مكتوبة بلغة صغدية أقدم . وبدأ يتكشف الدور الكبير الذى لعبته اللغة
الصغدية التى تعتبر العامية التى يتكلم بها اليوم أهل وادى يغنوب فى پامير آخر بنائها .
ويقول جوتيو إنه فى أول العصر المسيحى كانت اللغة الصغدية مستعملة فى بلاد تمتد
من حائط الصين حتى سمرقند والغرب . وكانت اللغة الصغدية ، عدة قرون ، لغة

(١) ZII : Lentz (٤) ص ٢٥١ وما بعدها Die Nordiranischen Elemente .

(٢) يرى Onomon. Schaefer ، (٩) ، ص ٣٥٨ فى لهجة الشمال بنصوص
تورفان لغة الجماعات المانوية فى خراسان (الإقليم الشمال الشرقى من الإمبراطورية الساسانية) ،
حيث لجأ المانويون من الاضطهادات التى اشتدت وطأتها بعد موت مانى (أنظر الفصل الرابع) ،
وحيث لبثت اللهجة الأشكانية زمناً أطول مما بقيت فى أقاليم الغرب .

دولية لآسيا الوسطى وقد تغلفات كتب مانوية وبوذية حتى بلغت الشعوب التركية بوساطة اللغة الصفدية^(١).

وقد تبين من حفائر تركستان وجود نصوص بوذية بلغتين آخرين لم تعرفا بعد ، يشار إليهما الآن باسمي الساجية والتخارية .

أما الساجية^(٢) ، لغة الهندوسيث فتتبع مجموعة اللغات الإيرانية الشرقية التي يمثلها اليوم اللغة الأفغانية وبعض اللهجات الباميرية مثل الساريكولية ، والشغونية والواخية وغيرها .

وأما التخارية فعند مولر وسيج وسيجلنج أولا ثم أيدهم ميي أنها كانت في الحقيقة لغة هندية أوربية ، ولكنها ليست آرية . والواقع أنها تتبع ، وهي حقيقة

(١) Handschriften-Reste : Müller (٢) ص ٩٦ — ١٠٣ (منتخبات مانوية) ؛ Soghdiche Texte ، (١) في Abh. Pr. Ak ، ١٩١٣ (منتخبات من العهد الجديد) ؛ Une version sogdienne... : Gauthiot في A ، ١٩١٢ ؛ Le Sutra du MSL ، Essai de Gram. Sogd... : Benveniste ؛ (١٧) religieux Ongles-longs ؛ (٢ ، ١) Le Sutra : Benveniste, Pelliot, Gauthiot ؛ ٢٣ — ١٩١٤ بريس ؛ des Causes et des Effets ، ١ — ٢ بريس ١٩٢٠ — ٢٨ ؛ في Zapiski Mémoires : Rozenberg ج ٢٦ وفي مجلة المجسم العلمى الروسى ١٩١٨ ، ٢٠ ، ٣١ ؛ Die Soghtischen Hand.. : Reichelt ، ١ — ٢ ، هيدلبرج ١٩٢٨ — ٣١ . Sitz Pr. Ak في Solghisch Texte.. Müller . ١٩٣٠ Zur Soghdizchen.. : Hansen Zil : Tedesco ، ١٩٣٤ ، ١٩٢٥ ، ص ٩٤ .

(٢) Zur nordischen Sprache... : Leumann ، ١٩١٢ ، maitreye-samite ، ١٩١٩ ؛ Abh. K.M. في Budhistische.. ، ١٩٢٠ ، Abh. K.M. في Das nordarische.. ، ١٩١٣ ص ٢٠ جزء ٢٠ (١ — ٢) . Reichlet في Indogermanisches Jahrbuch ، ١٩١٣ ص ٢٠ وما بعدها . Frag. of a Budhist.. : Sten Konow ، ١٩١٤ ، As. Soc. Beng. ، Khotanese manuscripts (١) ، اكسفورد ١٩١٦ . Saka Versions... ، ١٩٢٩ . Saka Studies ، اوسلو ١٩٣٢ . والطبعة الجديدة التي أعدها Leuman Sitz. Pr. Ak في Saka Dialekt : Zwolf Blätter "New Saka Text" ، ١٩٣٥ . Die Säkischen Mura : H. Lüders ، ١٩١٩ ، Sitz. Pr. Ak في P. Tedesco ، ١٩٣٥ ، Zil وتطلق السكاتان Nordische, Khotanese على اللغة الساجية .

مدهشة حقاً ، هذه الفصيلة من اللغات الهندية الأوربية المسماة فصيلة السنثوم وأكثر اللغات قرباً منها هي اللغة الإيطالية السكتانية^(١) .

وقد كانت اللغة الآرامية ، من بين اللغات السامية ، عامة الاستعمال منذ زمن بعيد في كل أجزاء آسيا الصغرى ، فقد استعملت في دواوين الأكينيين . ولما كانت الكتابة للمسامرية غير عملية فيما عدا الاستعمال الكتابي ، فقد استعملت الكتابة الآرامية ، حتى في الوثائق المكتوبة باللغة الفارسية . وكان هذا أصل الكتابة الهلوية ، وعادة استعمال الألفاظ الآرامية في النصوص الهلوية^(٢) .

وفي العهد الساساني كانت اللغة الأدبية للمسيحيين الذين هم من أصل سامي ، والذين يقيمون في إيران ، هي اللغة السريانية التي أصلها مدينة أديسا .

والمستعمرات الإغريقية التي أنشأها الإسكندر وأتباعه في كل مكان من أرض إيران كانت زمنناً طويلاً قلاعاً قوية للغة الإغريقية . وكان الملوك الأشكانيون يعتقدون في اللغة والآداب الإغريقية اعتقاداً فيه نصيب كبير من التكلف . ولقب متربذات الأول نفسه بلقب فيل — هيلين أي الحب لليونان ، واحتفظ بهذا اللقب كل أتباعه الذين لقبوا أنفسهم في مسكوكاتهم بألقاب أخرى إغريقية مثل أركنيس (الخير) ، ودنجايوس (العادل) . وكان أنموذج النقود ، أثناء الفترة الأولى للدولة الأشكانية إغريقياً خالصاً . وقد أمر أورود الأول Orde بعد انتصاره على كر مسوس بشييل رواية باكشيدس لأوريبيد باللغة اليونانية . ولا تزال قائمة حتى اليوم نقوش يونانية

(١) مولر Sieg, Sieglin, Sitz, Pr., Ak., Tocharische, F. W. K. Müller :
Le Tokharien, dans le Indogermanisches : A. Meillet ، ١٩٠٨ ، مبي
Tocharisch Kuchean في Sylvaïn Lèvi : ١٢ ص وما بعدها .
Fragments, Manuscript Remains R. Hoernle, ٣٥٧ ص وما بعدها (الكوشية هي
الطخارية) Sieglin (Tocharische Spachreste) برلين ١٩٢١ ،
Holger Pedersen D. Vid. Selsk. fil. medd des dialectes indo-européens.
(١١) ، ٣ ، ١٩٢٥ .

(٢) انظر شيدر H. H. Schaefer : Iranische Beiträge (١) هال ١٩٣٠ ؛
Messina, في L'Aramaico antico ، روما ، ١٩٣٤ ،

عملها ملوك الأشكانيين . وقد أخذت البدعة الإغريقية في الزوال قليلا قليلا وخاصة في القرن الأول بعد المسيح الذي يمتاز بنهضة تنزع إلى المدنية الإيرانية . وأخذ شكل النقود يبدو خشناً وبدأت الهلوية تظهر عليها بجوار النقوش الإغريقية التي أصبحت أكثر استهجاناً . ولكن الإغريقية استمرت لغة الكلام في بعض جهات الإمبراطورية ، واستعملها الملوك الساسانيون الأول مع اللهجتين الهلويتين (الساسانية والأشكانية) في بعض نقوشهم .

٢ - مصادر التاريخ السياسي وتاريخ الحضارة أيام الساسانيين

١ - مصادر إيرانية معاصرة . الآداب الهلوية

إن لدينا باديء بدء عددا من النقوش ، كثير منها لا يمكن حله بدقة كاملة في كل تفاصيله . وأطول النقوش الساسانية نقش بايكولي بكردستان ، شمالي قصر شيرين ، وهو مكتوب باللغتين الرسميتين لذلك العهد ، اللغة الهلوية الأشكانية واللغة الهلوية الساسانية ، على جوانب برج مربع الشكل . وكانت صورة الملك نرسى منقوشة على الجوانب الأربعة . ولكن هذا البرج قد تخرب ولم يبق منه غير القاعدة ، واندثر كثير من حجراته التي كان عليها كتابة وما بقي منها وجد مبعثرا هنا وهناك . وقد نشر توماس بعض أجزاء من هذا النقش بصورة ناقصة جداً سنة ١٨٦٨ في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية وذلك نقلا عن صورة له أخذها رولنسن . وقد كتب أندرياس عن هذا النقش لافتا نظر العلماء إليه . فزاره هرتسفلد في سنة ١٩١١ ثم عاد لزيارته سنة ١٩١٣ ظافراً من رحلتيه بصور فوتوغرافية ورسوم يدوية للنقوش التي رآها على كل ما بقي من حجارة البرج . وفي سنة ١٩١٤ قدم لهذه الصور بمقدمة نشرها في Memoires de l'Academie de Berlin . وفي سنة ١٩٢٤ نشر الصور التي جمعها من نقش بايكولي والنقوش الأخرى المعروفة في مجلدين كبيرين^(١) مع مقدمة وترجمة إنجليزية وتعليقات وفهرست كامل للموضوعات والمفردات . وقد خصص الجزء الثاني لصور النقوش كلها . وقد حاول بذلك جمع كل النقوش التي وجدت في بايكولي وترتيبها حتى يستقيم النص ما أمكن ذلك . ويشمل كتابه كثيراً من المعلومات المفيدة . وقد

أفاد نشر هذه النقوش ، مهما يكن جزئياً ، في مساعدتنا على معرفة اللغتين اللتين كتبت بهما النقوش .

وهذا بيان بالكتابات السامانية :

كتابة بثلاث لغات (الهلوية السامانية والأشكانية واليونانية) وهي لأردشير الأول في نقش رسم يبين أن الصورتين تمثلان الملك أردشير وأوهرمزد . (هرتسفيلد بيكولى (١) ص ٨٤ . وأما عن النقش فانظر الفصل الأول فيما بعد) .

كتابة بثلاث لغات على صورة سابور الأول في نقش رجب ، تدل على أن الصورة تمثل سابور بن أردشير . (هرتسفيلد ، بيكولى (١) ص ٨٦) . وأما عن النقش البارز فانظر الفصل الرابع .

كتابة باللغتين الهلوية السامانية والهلوية الأشكانية عن سابور الأول في حاجي آباد ، تشير إلى رمية سهم من الملك . نشرت في آخر طبعة وسترجارد للبنديشن (ص ٨٣ — ٨٤) ؛ النص وآخر محاولة للترجمة . (هرتسفيلد بيكولى ، (١) صفحات ٨٧ — ٨٩) .

كتابة هلوية سامانية ، للموبذ كردير هر مزد في نقش رجب ، يشير فيها الكاتب إلى حياته الورعة وسعيه المجدى لصالح الدولة ، في رعاية الملوك سابور الأول ، وهرمزد الأول ، ووهرام الأول ووهرام الثانى . (هرتسفيلد ، بيكولى ، (١) ، صفحات ٨٩ — ٩٢) .

كتابة دارسة للموبذ السابق على نقش رسم الخاص بانتصار الملك سابور الأول . (هرتسفيلد ، بيكولى (١) ، صفحات ٩٢ — ٩٣) .

كتابة باللغتين عن الملك نرسى في بيكولى . خاصة بحرب الملك نرسى مع وهرام الثالث وبفروض الطاعة التى قدمها العظماء للملك . (هرتسفيلد ، بيكولى) ، (١) صفحات ٩٤ — ١١٩) .

كتابة هلوية سامانية منقوشة على صورة الملك وهرام الأول في مدينة سابور بإقليم فارس ، وفيها ذكر أسماء وألقاب الملك نرسى وأسماء أبيه وجده وألقابهما .

هرتسفيلد ، بيكولى (١) ، ص ١٢٠ (وقارن المصدر نفسه ص ١٧٣) وأما عن النقش البارز فانظر الفصل الخامس .

كتابة پهلوية ساسانية لسابور الثانى ، على يمين نقش سابور الأول والثانى فى الطاق الصغير ، طاق البستان ، وفيها ذكر اسم سابور الثانى وألقابه ، وكذلك أسماء والده وجده وألقابهما (هرتسفيلد ، بيكولى ، (١) ص ١٢٣) . وأما عن النقش البارز فانظر الفصل الخامس .

كتابة پهلوية ساسانية لسابور الثالث ، على يسار النقش السابق ، فيها اسم سابور الثالث وألقابه ، وكذلك أسماء والده وجده وألقابهما . (هرتسفيلد ، بيكولى (١) ، ص ١٢٤ . وأما عن النقش البارز فانظر الفصل الخامس .

كتابة پهلوية ساسانية فى اصطخر (پرسوپوليس) أُرخت فى السنة الثانية من ولاية سابور الثانى . (هرتسفيلد ، بيكولى (١) ص ١٢٢) .

كتابة پهلوية ساسانية فى پرسوپوليس كتبها اثنان من العطاء تحية للملك سابور الثانى (هرتسفيلد ، بيكولى ، (١) ، ص ١٢٢) .

مجموعة من الكتابات القصيرة فى دربند ، كتبت خلال القرون الأخيرة للعهد الساسانى ، كتبها بعض العطاء . Nyberg فى مجلة الجمعية العلمية بأذربيجان ، باكو ، سنة ١٩٢٩ بالروسية^(١) .

وكذلك تشتمل خطوط التوقيعات الساسانية على عدد كبير من أسماء الأشخاص والألقاب . وبعض عبارات منقوشة على النحاس^(٢) .

وأما النمود التى عليها كتابة يهودية ساسانية فلها قيمة كبيرة فى التاريخ الزمنى ،

(١) والمواد الجديدة التى جمعها Herzfeld (أنظر ZDMG ، ١٩٢٦ ، ص ٢٢٥ وما بعدها) ليست فى متناولنا بعد .

(٢) P. Hron فى ZDMG ، مجلد ٤٤ ، ص ٦٥٠ وما بعدها ؛ Sassanidische Seigelsteine نشره هورن وشتيندروف ، برلين ١٨٩١ . Paikuli : Herzfeld ، ص ٧٤ وما بعدها .

إذ هي تصور التاج الخاص بكل ملك ، وكانت التيجان تختلف من ملك إلى آخر . وكذلك تساعد النقود على تعيين أسماء الملوك في النقوش التي تخلو من الكتابة .

ويبدو من النقود الساسانية أنها كانت على عيارى الذهب والفضة من غير أن يكون بين قيمتهما أى ارتباط . كان لديهم نقود ذهبية (الدينار ، ولكنه كان نادراً) . وقد سك الملوك الساسانيون الأول نقداً من الذهب على غرار الأورى (Aurei) الرومانية التي كان يصدرها معاصروهم من أباطرة الرومان ، ومن آثار الساسانيين قطع ذهبية مختلفة الأحجام ، وأما الدراهم الفضية فقد ظلت أيام الساسانيين مقاربة لوزن الدرهم الفينيقي الذي استعمله الأشكانيون في العصر الأخير . وكان وزنه يتراوح بين ٣.٦٥ و ٣.٩٤ جراما . وكان الدرهم الساساني يساوى ٧٥.٠ من الفرنك الذهب عامة ، وعلى خلاف الدرهم الأشكاني كان الدرهم الساساني أكبر حجماً وأرق سمكا . وكانت أربعة الدراهم تكون ما يسمونه « ستير » Stér . وكان لديهم نقود فضية تكون أجزاء من الدرهم ، منها نصف الدرهم ، والدانق (وهو سدس الدرهم) وجزء من اثني عشر جزءاً منه .

وهناك قطع من النقود من النحاس المخلوط من عهد أردشير الأول وسابور الثانى وقطع من النقد النحاسى عملت غالباً على عيار الفضة وهي ذات قيم مختلفة ، وأصغر أنواع العملة التي حفظت أسبأوها هو البشيز . وكان أمراء الولايات الشرقية (الكوشانشاه) ، يفسرون النقد على نمط نقد الشاهنشاه ، ويضعون عليه صورهم وألقابهم (١) .

(١) أحدث الكتب عن النقود الساسانية هي : D. I. Paruch, Sasanian Coins : Furdonjée بمباى ١٩٢٤ ، ص ٣١ وما بعدها ؛ R. Vasmer في S.C. in the Ermitage : (Numismatic Chronicle) ، ١٩٢٨ ، ص ٢٤٩ وما بعدها ؛ Wundzettel (أعمال الكلية الشرقية بجامعة وسط آسيا) ، طشكند ١٩٢٧ ؛ Herzfeld في Kushano-Sassanian Coins : Paikuli ، واران ١٩٣٠ ، ص ٣٥ وما بعدها . أما عن الاصطلاحات البهلوية فانظر The Frahangī Pahlavik ، نشر H. F. J. Junker ، هيدلبرج ، ١٩١٢ ، الفصل ٣٠ ؛ شايست فاشايست ١ ، ٢ (انظر طبعة ، Tavardia ، همبورج ١٩٣٠ ، مقدمة ، ص ١٤ — ١٦) .

وكانت الدراهم الساسانية تحمل على وجهها صورة نصفية للملك وكتابة فيها اسمه ولقبه وعلى ظهرها معبد النار .

فعلى الوجه كتابة بهلوية يذكر فيها اسم الملك وألقابه ، ويعاد ذكر الاسم عادة على الظهر . ثم كان يرسم كذلك على النقود شعار أورمز الملك وأحياناً سنة تنويجه .

* * *

ومصادر الديانة الرسمية أيام الساسانيين هي الكتب المقدسة المكتوبة بلغة الأوستا ، وهي تتكون من الأوستا الساسانية مقسمة إلى واحد وعشرين سفراً (نسكا) ومن الزند وهي الترجمة البهلوية للنصوص الأوستية مع شروح لها باللغة البهلوية (الساسانية^(١)) . والأوستا التي بأيدينا الآن ليست إلا جزءاً صغيراً ، من الأوستا الساسانية^(٢) ، ولكن الملخص لواحد وعشرين نسكا الذي ورد في الكتابين الثامن والتاسع من الدينكرد البهلوي قد حفظ لنا تفصيلاً جيداً عن تاريخ المدينة الساسانية . وسنذكر الدينكرد كثيراً في صفحات هذا الكتاب^(٣) . وها هي أسماء بعض الشراح الذين يكثر ذكرهم فيما بقي من أقسام الزند والكتب الدينية البهلوية .

أبهرك ، مَكُوشَنَسَب ، گُوكُشَنَسَب كي آذربوزيد ، سُوشِنَس ، رُوشن ، آذره رمزد ؛ آذر فرَينِزسي ، ميد وگماه ، فرخ ، آفروغ ، آزاد مرد . ويظن أن أغلبهم من أواخر العصر الساساني .

والكتب الزردشتية التي تناولت الدين وحده والمكتوبة باللغة البهلوية ألفت

(١) عن الزند أنظر ، *Iranische Beiträge : Schaefer* (١) ، ص ٧٦ وما بعدها .

ص ٣٧ وما بعدها .

(٢) أنظر الفصل الثالث فيما بعد .

(٣) نذكر الكتابين الثامن والتاسع من الدينكرد وفقاً للترجمة الإنجليزية ل West

عادة « Pt » ، (٤) . ولا نحيل إلى النص البهلوي الذي نقره Peshotan Senjana إلا حين تكون ترجمة وست غير مؤدية للغرض ، وقد شمل الكتابين (٨ ، ٩) الأجزاء

كلها تقريباً أو أعيدت كتابتها في زمن لاحق للساسانيين^(١) . ففي القرن التاسع الميلادي بنوع خاص أظهر جماعة علماء الدين المسيحيين نشاطاً أدبياً بيناً . ويبدو أن داذستان مينوگ خرد (روح مذهب الحكمة أو مذهب الحكمة الإلهية) كتب أصلاً في القرن الأخير للدولة الساسانية ولو أنه نقل إلينا في زمن لاحق للساسانيين . أما عن كتاب أرداگك و يراز نامگك^(٢) فإن موضوعه ساساني على كل حال . وتتضمن كثير من التأليف ، التي كانت الأوستا والزند مصدرراً أساسياً عاملاً لها ، كثيراً من المواد الخاصة بالمدنية الساسانية . وهذا هو الحال في الدينكرد^(٣) خاصة ، وهو الذي أشرنا إليه ، وفي البندهششن الذي يحوى مختصراً لبعض أجزاء الأوستا الساسانية والزند تتناول خلق الإنسان ، والتاريخ الخرافي ، وخلق العالم ، والتاريخ الطبيعي^(٤) .

(١) نشر Andreas النص الهلوي بخطه الأصلي : The Book of the Mainyo-i Khard كيل ، ١٨٨٢ ، ثم نشر في المجلد الخامس من Codices Avestici et Pahlavici Universitatis Hafniensis Bibliotheca كوبنهاجن ١٩٣٥ . وهناك طبعات عدة في بمباي . الترجمة الإنجليزية لوست PT ، wes ، (٣) .

(٢) كان هذا الاسم يقرأ ويراف . The book of Arda-Viraf : Hoshang, Haug لندن وبمباي ١٨٧٢ (النص والترجمة) والترجمة الفرنسية لبارتلمى Barthélemy — Artâ Virâf Nâmak ou Livre d'Ardâ Virâf ، باريس ١٨٨٧ ، ويوجد النص في مخطوطين بمكتبة جامعة كوبنهاجن ، وقد طبعا تصويراً : Codices Avestici et Pahlavici Bibl. Univ. Hafn. الجزء (١ ، ٢) ، كوبنهاجن (١٩٣١ — ١٩٣٢) .

(٣) The Dinkard : Peshotan Sangana ، (١ — ١٩) ، بمباي ١٨٧٤ — ١٩٢٨ (النص والترجمة الإنجليزية) ، نشر Madan ، (١ — ٢) ؛ بمباي ١٩١١ (النص وحده) . ومنه بعض نبذ في المخطوط K ٤٣ ، وقد صورت في الأجزاء (٥) و (٦) من : Codices Avest. et Pahl. Bibl. Univ. Hafn. .

(٤) هذا الكتاب مائل في نصين ، سمي كل منهما حسب مكان المخطوط ، ال بندهشن الإيراني وال بندهشن الهندي . والهندي ، وهو مختصر ، طبع مصوراً ، نشره Westergaard سنة ١٨٥١ ، ونشر حديثاً في مجموعة Codices Avest. et Pahl. Bibl. المجلد الأول ؛ ونشره مع ترجمة ألمانية Justi (ليزج ١٨٦٨) ؛ وترجمه للإنجليزية في مجموعة SBE أما ال — بندهشن الإيراني فقد طبع مصوراً ، نشره Anklesaria في بمباي ١٩٠٨ . ومؤلف ال — بندهشن الأول استخدم مصادر عربية ، هنا وهناك ؛ أنظر كريستنسن Les Kayanides ص ٤٤ وما بعدها .

وكانت الأوستا والزند مصدرى القانون الساساني ، وهناك كتاب في التشريع الهلوي وجدت منه أجزاء هو كتاب « مازيگان هزار داذستان » — ألف فتوى قضائية — الذي ألفه فرخورد ، وهو مخطوط وحيد في ٧٤ ورقة في مكتبة مانكجي ليمجي هوشنك هاتريا وقد نشر الأستاذ مودي^(١) ٥٥ ورقة منه بالتصوير الزنكوغرافي مع مقدمة لها ، بينما بقيت التسع عشرة ورقة الباقية من غير نشر حتى الآن . وقد نشر الأستاذ Bartholomae^(٢) بعض أجزاء من هذا المخطوط مع شروح لغوية وأخرى فقهية بالألمانية وهي الأجزاء التي تعترضها مصاعب حجة بسبب إعواز مواد تصلح للمقابلة أو تتناول الموضوع نفسه . وقد ذكر كتاب المازيگان أسماء بعض القضاة في العهد الساساني مع آرائهم في الأحكام :

وهرام ، داذ فرخ ، سياوش ، پوسان وه آزاد مردان ، پوسان وه برز آذر فَرَبْغَان ، وَهْ پَنَسَاه (الذي شغل الوظيفة الكبيرة مكوگان اندرزبد^(٣)) .
خُودَايْ بُود دِير ، وَايَه يَآوَار ، راذ — هرمز ، وَهْرَامشاه ، يُوَوَانِيوم
زُرْ وانداز (ابن) يُوَوَانِيوم ، فرخ زُرْوان ، وَهْ هرمزد ، زَامَسَابْ ،
مَآهَانْدَاذْ ، وغيرهم .

ويظهر أن كتابا في التشريع اسمه دَسْتُورَان ذكر في الكتاب السابق مرة واحدة على الأقل .

وتوجد كذلك مجموعة قضائية ساسانية كانت مكتوبة باللغة الهلوية وهي تستند في جزء منها إلى مصادر كتاب « مازيگان هزار داذستان » نفسها وقد بقيت لنا هذه المجموعة باللغة السريانية ، نسخها أو ترجمها إليها رئيس الأساقفة في فارس

(١) طبعة عن الصور الفوتوغرافية ، بمباي ١٩٠١ .

(٢) Über ein sassanisches Rechtsbuch... der Heidelberger Akademie

١٩١٠ ، Zum Sasanidischen Recht ، (١ — ٥) المرجع نفسه ، ١٩١٨ ، ١٩٢٠ ،

١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ؛ Die Frau im sasanidischen Recht للمؤلف نفسه ؛ Kultur und

Sprache ٥ ، هيدلبرج ١٩٢٤ . وانظر فيما بعد الفصلين (٦) ، (٧) .

(٣) موكگان أندرزبد (مغان أندرزبد) ، أنظر الفصل الثاني .

عِيشو نخت في القرن الثامن ، ولكن المترجم المسيحي عدل القواعد القانونية الإيرانية بأخرى مسيحية لتتلاءم مع شريعة طائفته^(١) .

وظهرت في القرن الأخير من الحكم الساساني عدة رسائل شعبية في الأخلاق نظرية وعملية ، كانوا يسمونها أندرز أو پندنامه (كتب النصائح) وكانت تتضمن قواعد الأخلاق والحكم المنسوبة غالباً إلى العظماء التاريخيين أو الخرافيين . ولدينا بعض رسائل من هذا النوع وهي پهلوية كتبت في عصر الساسانيين ، منها : أندرز أو شندر الحكيم ، وهو شخص خرافي قديم ، وأخرى لكسرى الأول ابن قباد ، وأندرز آذربد مهر سپندان ، كبير الموابد المَشهور أيام سابور الثاني ، وأندرز زردشت بن آذرباد (پندنامك زردشت) .

ومن كتب النصائح هذه كتاب بزرجهر المَشهور عند كتاب العرب والفرس ، وزير كسرى الأول الذي حيك حوله القصص ، والذي يتضمن تاريخه القصصى ذكريات كثيرة من قصة أحيقر القديمة . وكان كتاب بزرجهر هذا شائعاً في العصور الوسطى الإسلامية . ويحتمل جداً أن تكون هذه الشخصية المعروفة التي اقترن اسمها بإدخال لعبة الشطرنج في فارس^(٢) لبست إلا شخصية الطبيب برزويه^(٣) الذي سنتناول الحديث عنه فيما بعد في الفصل الثامن . والراجح أن حكم بزرجهر أُلُفت في القرن التاسع ولكن البادىء التي وضعها المؤلف على لسان بزرجهر تعكس ، في جزء منها ، مقدمة كليلة ودمنة التي ترجمها برزويه عن كتاب پنج تنترا السنسكريتي ، كما أنها تكشف ، في الجزء الآخر بغير شك ، عن كتب في النصائح أبعداً^(٤) .

(١) النص والترجمة الألمانية لساخو E. Sachau ، Syrische Rechtsbücher ، ٣ ، برلين ١٩١٤ .
(٢) فانن Die Frau im Sasnidschen Recht : Bartholomae ، ص ٥ .
(٣) ماذيكان — شطرنج ، أنظر بعده . وقد روى هذه القصة الفردوسي والثعالبي وغيرهما .

(٤) أنظر Le Sage Buzurjmihir : Christensen ، (٨) ، ص ٨١ وما بعدها .
(٤) نشر Jamasp-Asana النصوص پهلوية لكتب النصائح Pahlavi Texts (٢) عباي ١٩١٣ ؛ ونشر Peshotan Sanjana پندنامك بزرجهر ، أندرز آذربد مهر سپندان =

وأما ملذات الطبقة العليا الإيرانية في الجماعة الساسانية فقد حوت تفصيلات شائعة عنها رسالة بهلوية تسمى خسرو كواذان وريدگي (خسرو بن قباد والحادم^(١)) ، أنظر الفصل التاسع فيما بعد .

وكانت القصص التاريخية القصيرة شائعة بين الشعب في ذلك الوقت ، والنص بهلوي لبعض هذه القصص التي تتناول تاريخ الدولة الساسانية والتي يرجع تاريخها إلى القرن الأخير من حكم هذه الدولة ، قد حفظ في كتب ألقت بعد العهد الساساني فمنها « كارنامك أردشير بابكان » (كتاب أعمال أردشير بن بابك) « وماذيكبان شطرنج » (قصة لعبة الشطرنج^(٢)) .

وأما إنشاء المدن أيام الساسانيين فقد ذكر ، في الكتاب المسمى « شهرستانهاى إيران شهر^(٣) » (مدن إيران) . راجع الفصل الرابع عن النصوص الخاصة بالأدب المانوى .

== أندرز خسروى كواذان وذلك في « گنج شايكان » بمبای ١٨٨٥ ؛ ونشر Freiman پندنامك زردشت (الجزء ٢٠ من : Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes) ؛ ونشر Dhabhar أندرز أوشنر (أندرز أوشندانك) في بمبای ١٩٣٠ .
وأما عن الصلات بين النصوص التي ذكرها كل من سنجانا وجاماسب — آسانا ؛ فانظر Freiman المقدمة ؛ وأنظر Christensen في AO (٨) ، ص ٨١ الملحوظة ٣ .

(١) نشره وترجمه J. M. Unvala بعنوان : "The Pahlavi Text, king Husrav and his boy" باريس ١٩٢١ .

(٢) نشره عدة مصرات في بمبای ؛ وترجمه للألمانية Th. Noeldeke في الجزء الرابع من Beiträge zur Kunde der indogermanischen Sprachen وال — « ماذيكبان شطرنج » موجود ضمن Pahlavi Texts التي نشرها جاماسب — آسانا ، كما أنه نشر مع هذه الترجمة الإنجليزية في « گنج شايكان » لبشوتان سانجانا .

(٣) A Catalogue of the Provincial Capitals of Eranshahr : J. Markwart
نشر مسينا ، G. Messina (Analecta Orientalia, 3) روما ١٩٣١ . وقارن J.C. Tardieu في : Orientalistische Literaturzeitung ١٩٢٦ ، ٨٨٣ وما بعدها .

٢ — الروايات الساسانية التي بقيت في آداب العرب والفرس

اتخذ البلاط الساساني ، كما اتخذ الأكمنيون من قبل ، تقويمات رسمية^(١) .
ويظن أن مؤلف خدای نامه أو مؤلفيه ، قد استفادوا من هذه التقاويم في كتابهم
الذي أُلّف في أواخر عهد الدولة الساسانية وربما كان في عهد يزيد جرد الثالث^(٢) .

ويظن نولدكه^(٣) أن هذا الكتاب الهلوي كان مصدراً أصيلاً لأقدم الكتب
العربية والفارسية التي تناولت تاريخ إيران قبل الإسلام . وقد عرب اسم الكتاب
فأصبح : كتاب سير ملوك العجم أو سير الملوك ، وسمي بالفارسية شاهنامه . وأشهر
التراجم العربية لخدای نامه ترجمة ابن المقفع (المتوفى حوالي ١٤٣/٧٦٠) ، وهو
مجوسى أسلم ، وكان مؤلفاً مجداً عاملاً ، وقد ترجم للعربية ، عدا خدای نامه ، كثيراً
من الكتب الهلوية . وقد اندثرت ترجمة ابن المقفع لخدای نامه . لسوء الحظ ،
كما اندثر الكتاب نفسه ، وكذلك اندثرت تراجم أو تصانيف عربية أخرى كانت
تتصل بتاريخ الساسانيين ، ولكننا نعرف أنها كانت موجودة بما ورد في كتب
التأخرين وخاصة في كتاب حمزة الإصفهاني الذي أُلّف سنة ٣٥٠/٩٦١ ، ويرى
نولدكه أن سير الملوك لابن المقفع هو ترجمة الأصل وأنه هو الأساس لجميع سير الملوك
التي ذكر أسماءها حمزة الإصفهاني . أما المصدر الأساسي الذي نقل عنه الفردوسي
أعمال ملوك الفرس وأحوالهم في كتابه الشاهنامه فهو ترجمة فارسية للنص الهلوي
لخدای نامه ، وهي ترجمة لاصلة لها بترجمة ابن المقفع . ولكن نظرية نولدكه هذه
قد عدلت بعد أن درس العالم الروسى البارون فون روزن هذه القضية من جديد

(١) Agathias (٢) ، ٢٧ ، (٤) ، ٢٧ — ٣٠ Théophylacte ؛ (٣) ، ١٨ .

(٢) وقد ذكرت الملاحظات التالية مع بعض الإضافات عن كتابي Le règne dn roi kawadh : ص ٢٢ وما بعدها .

(٣) Noeldeke ، الطبرى ، مقدمة ص (١٤) وما بعدها ؛ Giph (٢) ص ١٤١ وما بعدها .

في بحث له باللغة الروسية « عن موضوع التراجم العربية لخداى نامه » سنة ١٨٩٥ .
وتلخص النتائج القيمة لهذا البحث فيما يلي : إن المصادر التي أشار إليها حمزة
الإصفهاني وغيره من مؤرخي العرب بجانب ابن المقفع قد تكون كلها متأخرة
عن ابن المقفع ولكنها لم تنقل جميعاً عنه وحده أو عنه بوجه خاص ، ولو أنه من
الجزائز أن يكون بعضها قد استفاد من ترجمته . ومن بين هذه المصادر المشار إليها
ترجمات مستقلة عن الأصل الهلوي . وبالرغم من أن شهرة ابن المقفع قد طغت
على أسماء غيره ممن ترجموا خداى نامه عن الهلوية ، فلا دليل على أن ابن المقفع في
زمن حمزة الإصفهاني ، كان أفضل من غيره . ويمكن تقسيم المصادر التي أوردها
حمزة إلى ثلاثة أقسام وفقاً للخواص التي ذكرها :

١ — المترجمون وهم ابن المقفع ومحمد بن الجهم البرمكي وزادويه بن شاهويه
الإصفهاني ، وهؤلاء نقلوا نص خداى نامه الهلوي إلى العربية ، في ترجمة لا بأس
بها بالرغم مما حذفوا أو اختصروا أو تصرفوا فيه من عند أنفسهم .

٢ — المترجمون بقصد التأليف مثل محمد بن مطيار الإصفهاني وهشام بن قاسم
الإصفهاني وقد أدخلوا في ترجمتهما قصصاً تاريخية خرافية مأخوذة عن كتب
هلوية أخرى .

٣ — المصنفون مثل موسى بن عيسى الكسروي والموبد بهرام بن مردانشاه .
وقد قارنا بين التراجم المختلفة لخداى نامه وأدخلنا عليها زيادات ، وذلك بإضافة
روايات منقولة عن كتب أدبية أخرى أو باختراع روايات جديدة لشرح ما بين
المصادر من تضاد ، وهكذا حاولنا أن يعيد النص الأصلي للكتاب ، وهي محاولة
يمكن معرفة نتيجتها .

ويقول حمزة الإصفهاني إن أحدهما وهو الموبد بهرام راجع نيفا وعشرين نسخة
من خداى نامه (الترجمة العربية) . وأما الثاني الكسروي فإنه لم يجد — وقد

ذكر وزن أمثلة من انتقاده العجيب — نصين متفقين من هذه التراجم^(١) .
ونجد في كتابي البيروني والبلعمي وغيرهما أسماء مترجمين آخرين أو مصنفين
للخدای نامه القديم . وأخيراً ينقد وزن المقدمة المجهولة المؤلف لشاهنامه
الفردوسی ، والحديث نسبياً ، والتي بنى عليها الرأي بأن المصدر الأساسي للفردوسی
هو ترجمة نثرية للخدای نامه عن الپهلوی ، ترجمة مستقلة عن التراجم العربية ؛ فيقول
بشيء من الاحتياط ، إن المصدر الرئيسي الذي استقى منه الفردوسی كتابه
مأخوذ عن المصادر العربية نفسها التي نقل عنها المؤرخون العرب الذين بقيت كتبهم
في أيدينا^(٢) .

ويستفاد من الخدای نامه ميل شديد للحكم على الملوك من ناحية النبلاء ورجال
الدين ، وقد بين ذلك نولدكه ، عدة مرات ، في تعليقاته على ترجمة تاريخ الساسانيين
من كتاب الطبري .

والكتاب العرب والفرس بمن بقيت كتبهم لا يشيرون لسوء الحظ ، إلى
المصادر التي أخذوا عنها نصوصهم إلا نادراً ، وكذلك ليس في استطاعتنا أن نرجع
ما كتبوا إلى الترجمات أو التصانيف التي ضاعت .

ومن المفروض أن العلماء المجوس قد أضافوا إلى نص الخدای نامه الپهلوی ،
بعد قتل زردجرد الثالث ، زيادات تتصل بنهاية تاريخ الدولة الساسانية ، وعلى كل
حال فإن الكتب العربية والفارسية تتضمن تاريخ إيران في الفترة ما بين وفاة كسرى
الثاني ، الذي ينتهي عنده كتاب خدای نامه ، حتى عهد زردجرد أيضاً . ولكن

(١) يستفاد من نص في تاريخ حمزة الإصفهاني (نشر Gottwald ، ص ٢١ و ترجمته ص
١٤) أن السكسروي قد أفاد من كتاب كبير في سير الملوك ومن آخر صغير وأن روايتهما
كانت مختلفة .

(٢) أنظر عن خدای نامه مقدمة جوامع الحكايات ولوامع الروايات لسعد الدين محمد
العوفي التي كتبها محمد نظام الدين (لندن ١٩٢٩ ، مجموعة جب GMS) ص ٨٠ وما بعدها .
وانظر بحث Gabrieli في "L'Opera di Ibn al-Muqaffa" المنشور في مجلة : "Rivista degli
Studi Orientali" (١٣) سنة ١٩٣٢ ، ص ٢٠٨ وما بعدها .

التفاوت العظيم بين هذه الروايات يبين لنا أنه لم يكن بينها مصدر مشترك عن تلك الفترة .

ولندكر كتاباً پهلوياً آخر يحوى تفاصيل خاصة من تاريخ الساسانيين ، وكانت له ترجمة بقلم ابن المقفع وهو آيين نامك^(١) (كتاب الرسوم) الذى يقول عنه المسعودى^(٢) « إنه كتاب الرسوم وهو عظيم فى الألوف من الأوراق لا يكاد يوجد كاملاً إلا عند الموابنة وغيرهم من ذوى الرياسات » . وقد اهتم هذا الكتاب بذكر تفاصيل عن نظم الدولة الساسانية والجماعة فيها ، كما تناول أصول الحكم وغيرها . وقد جاء ذكره فى تاريخ الثعالبي^(٣) ، كما ذكر مرات فى عيون الأخبار^(٤) لابن قتيبة ، ونجد آثاراً منه فى كتاب تنسر (انظر بعده) وعند حمزة^(٥) ، ثم فى جوامع الحكايات لمحمد عوفى^(٦) . وقد تضمن كتاب « آيين نامك » أو كتب الآيين (إن كان هناك أكثر من كتاب منها) معلومات عن أنواع الرياضة المختلفة التى كان يمارسها النبلاء كرمى السهم ولعب الكرة كما يتضمن الطرق المختلفة لزجر الطير وغير ذلك^(٧) .

-
- (١) ayenagh ، والنطق الأقدم adhvenagh انظر Nyberg : "Hilfsbuch des Pehlevi" ج ٢ ص ٣ ؛ وراجع Andreas — Barr : "Bruchstücke einer Pehlevi-übersetzung der Psalmen" فى Sitz. Pr. Ak. سنة ١٩٣٣ ص ١١٧ .
- (٢) التنبية (ج ٨ من BGA) ص ١٠٤ .
- (٣) نشر Zotenberg ص ١٤ .
- (٤) "Iranian Influences on Moslem Literature" : Nariman ج ١ ص ١٩١٨ ، ص ١٦٤ و ١٦٧ ؛ S. E ، Inostrantzev ص ٤١ وما بعدها (رسالة عن الحرب) .
- (٥) Eranshahr : Marquart ص ٤٨ ملحوظة ١ ؛ Herzfeld فى Paikuli ص ٤٦ .
- (٦) مقدمة جوامع الحكايات .. التى كتبها محمد نظام الدين ص ٥٥ وما بعدها .
- (٧) راجع Rozen فى Mélanges asiatiques المأخوذة من Bull. de l'Acad. Imp. des Sciences فى Pétersbourg (١٣) ص ٧٥٥ — ٧٧ ؛ والفهرست ص ٣١٥ ؛ c. Inostrantzev (١) ص ١٢ ، والترجمة الإنجليزية فى Nariman "Iranian Influences" ص ٢٩ ؛ Gabrielli فى مجلة Riv. degli Studi Orientali (١٣) ص ٢١٣ وما بعدها .
- (٤ — الساسانية)

أما الكاهنمايك (فهرست الرجال) الساساني فقد جاء فيه ذكر « مراتب عظماء مملكة فارس وأنها ستأمة على حسب ترتيبهم لها »^(١) وهو يؤلف جزء آمن الآيين ناميك . وقد ترجع إليه (أو إليها إن كان منه أكثر من كتاب) الأمور التي ذكرها اليعقوبي^(٢) والمسعودي^(٣) والجاحظ في كتاب التاج^(٤) عن نظام الطبقات .

وهناك عدا هذا تاج نامه أي كتاب التاج . ويظهر من عنوانه أنه خاص بذكر أحاديث ملوك إيران وتعاليمهم ومراسمهم وما يشبه هذه المسائل . ومن الصعب إيراد عدد الوثائق التاريخية التي تحويها هذه المجموعة . وقد أشار ابن النديم إلى هذا الكتاب في فهرسته^(٥) . وكذلك ينقل عنه ابن قتيبة في عيون الأخبار . وقد نسبت بعض عبارات من هذا الكتاب إلى بلوك لم تذكر أسماؤهم . وبعضها مستخرج من الوصايا السياسية التي وجهها كسرى الثاني (پرويز) إلى أبنائه وكتابه وخازنيه وحجابه^(٦) . ولعل الطبري قد استقى من كتاب التاج الخطابات الملكية في إشارته إلى كتب تعاليم سابور الثالث للحكام ، وكتاب بهرام الرابع للقادة ، وكتاب كسرى الأول لبازكوسبان آذريجان وغيرها .

ويبدو أن هناك أكثر من كتاب بهذا الاسم بالمعنى الأخص ، لأن ابن النديم يشير في الفهرست (١١٨ — ١ — ٢٨) إلى كتاب التاج في سيرة أنوشروان الذي ترجمه ابن المقفع . بينما يرى جبريلي أن ليس هناك إلا كتاب واحد بهذا الاسم ، وأما ما ذكر ابن النديم من « سيرة أنوشروان » فغير صحيح .

(١) المسعودي في التنبيه ص ١٠٤ .

(٢) Houtsma (١) ص ٢٠٢ .

(٣) صروج الذهب ، (٢) ، ص ١٥٣ ؛ والتنبيه ص ١٠٣ .

(٤) طبعة القاهرة ص ٢٢ وما بعدها . وراجع عن هذا الكتاب للجاحظ بحث Gabrieli في المجلة السالفة الذكر (١١) ص ٢٩٢ وما بعدها .

(٥) طبعة Flügel ، ص ٣٠٥ ، (١) ، (٢) .

(٦) اينوسترانتزف Inostrantzev (١) ص ٣٠ ، ٣١ ؛ ٢٨ — ٢٩ ،

٣٠ — ٣١ ؛ Nariman ص ٦٧ — ٦٨ و ٧١ — ٧٢ ؛ فارن الملاحظات الإضافية

Nariman في الصفحات ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ؛ Gabrieli ، في Rev. degli Studi Orientali

(٨) ص ٢١٥ وما بعدها .

وأما أحاديث ارتقاء العرش التي تذكرها الروايات العربية والفارسية فمن الجائز ان يكون مرجعها إلى خدای نامه الأصلی .

ومن أهم مصادر النظم الساسانية كتاب تنسر إلى ملك طبرستان . وتنسر رجل تاريخی ، فهو الذي جدد ديانة رردشت أيام أردشير الأول^(١) (راجع الفصل الثالث هنا) ، وقد نشر نص الكتاب دار مستتر في المجلة الآسيوية سنة ١٨٩٤ ص ٢٠٠ . وترجمه إلى الفرنسية في المجلد نفسه (ص ٥٠٢) . ثم أعاد نشر الكتاب حديثاً مجتبی مینوی ، طهران سنة ١٩٣٢ ، وقد استند هذا إلى مصدر أقدم بنصف قرن من تاريخ أول المخطوطین اللذين استند إليهما دار مستتر في نشره ، وأكثر من هذين دقة في بعض المواضع . وهذا الكتاب الذي أدرج في كتاب « تاريخ طبرستان » لابن اسفنديار هو نص فارسی مختصر عن الترجمة العربية لابن المقفع عن نص بهلوی ، وقد اختفت الترجمة والنص . وقد ذكر المسعودی نبذة من ترجمة ابن المقفع هذه^(٢) كما ذكر البيروني نبذة أخرى^(٣) وجاءت في فارسنامه نبذة ثالثة تصلح لأن تكون ذیلاً لرواية ابن اسفنديار^(٤) . وكتاب تنسر رسالة تاريخية وسياسية وأخلاقية في صورة مراسلة بين كبير المهرابذة تنسر وملك طبرستان الذي لم يكن ملماً إلاماً صحيحاً بحقيقة قيام الأسرة الجديدة (الساسانية) . وكان متردداً في الخضوع لأردشير ، وكانت هذه الرسالة مثقفة للقارئ المعاصر . والكتاب يتفق وآداب كتب النصائح التي كانت شائعة أيام الأكاسرة . والواقع أن تاريخ الكتاب يرجع إلى أيام كسرى الأول لأردشير الأول . فإن تنسر يقول إن أردشير قد خفف العقوبة الخاصة بالجرائم الدينية « فقد كانوا في الأزمنة القديمة يقتلون فوراً من يخرج على الدين ، فأمر الملك بأن يحبس الأئیم ، وأن يداوم العلماء تلاوة أحكام الشريعة عليه مدة عام ،

(١) انظر الفصل الثالث فيما بعد .

(٢) التنبیه ص ٩٧ .

(٣) الهند ، نشر Sachau ص ٥٣ .

(٤) Christensen في بحثه "Abarsam et Tansar" مجلة AO ، ج (١٠) ص

وينصحوه ويبينوا له الأدلة والبراهين ويزيلوا الشبهة عنه ، فإذا تاب وأناب واستغفر أطلقوه ، وإذا حملة الإصرار والاستكبار على الردة أمروا بقتله » (١) .

والحقيقة أن القوانين الصارمة التي تفرض الموت على جريمة الارتداد عن الدين لم توجد قبل أن تصير الديانة الزردشتية ديناً رسمياً للدولة على يد أردشير الأول . وتخفيف العقوبة ، على عكس ذلك . جاء في وقت أحدث ، حين بدأت الآراء الأكثر إنسانية تسود ، وحين حاولوا تبرير هذه التعديلات فنسبوها إلى مؤسس الدولة المشهور . ومن الممكن أن نقول هذا عن تخفيف العقوبات لجرائم الاعتداء على الملك (الدولة) أو الغير ، المذكورة في الكتاب . ثم إن كسرى الأول قد عرف بالتساهل في أمور الدين والاتصاف بخلال إنسانية .

ولننظر في وراثة العرش (دار مستتر ص ٢٢٧ — ٢٨ ، ٢٣٩ ثم ص ٥٣٣ ، ٥٤٣ وما بعدها من الترجمة) (٢) . يؤخذ من الكتاب أن أردشير لا يريد أن يختار خلفه لأن هذا قد يرغب في موته . ومن أجل ذلك وضع النظام الآتي لوراثة العرش : لا يكتب الملك في وصيته المختومة والموجهة إلى كبير الموازنة واصهبند إيران وكبير الكتاب إلا بعض النصائح والإرشادات ؛ وبعد موته يختار هؤلاء الثلاثة خلفه من بين أسراء البيت المالئ ، فإذا لم يتفقوا فوُضَّ الاختيار إلى كبير الموازنة وحده . ولكن أردشير ينص صراحة على أنه لا يريد أن يجعل طريقته هذه سنة لمن يأتي بعده من الملوك . ولكنه « ترك لهم العمل حسب الأحوال » وقد تكون « في وقت آخر وجهة غير التي ذهبنا إليها وهي أصلح منها » . ونلاحظ أولاً أن مثل هذا النظام مستبعد من رجل قوى كأردشير ، ثم إننا نعلم من الطبرى (الذي يتبع التقويم الرسمي للملوك الساسانيين) أن أردشير وسابور الأول وسابور الثاني قد اختار كل منهم خليفته بنفسه ولكن في الحقيقة بين حكمى أردشير الثاني وقباد الأول ترك اختيار

(١) الترجمة العربية لكتاب تنسر نقلا عن طبعة مينوى ، يحيى الخشاب ص ٣٨ مطبعة مصر ١٩٥٤ . وسننقل عن هذه الترجمة في الحديث عن تنسر .

(٢) الترجمة العربية للخشاب ص ٥١ ، ٦٣ .

الملك ، بوجه عام ، للعطاء ، ومن الممكن أن تنسجم الطريقة التي أشار إليها تنسر مع هذه الحقبة . ثم إن ماجاء على لسان أردشير من أن هذه القاعدة ليست سنة ، وأنه في أزمنة أخرى قد توجد قواعد أصلح منها ، يبين أن كتاب تنسر قد ألف في زمن كانت ذكرى الطريقة المنسوبة لأردشير لا تزال ماثلة فيه ، ولكنها كانت ملغاة ، أى في الوقت الذي كان الملوك الحق ، من جديد ، في تعيين من يخلفهم ؟ أى في المدة بين حكمى قباد وهرمزد الرابع .

وينسب الكتاب لأردشير قوله (دار مستتر ص ٢١٠ ، ٥١٣ — مينو ص ٩ (١)) « ولا يجوز أن يطلق لقب ملك على أحد من غير أهل بيتنا عدا أصحاب الثغور وهى آلان وناحية المغرب وخوارزم وكابل » ولا شك أن المقصود بصاحب ثغر آلان هو أحد الإصهيديين الأربعة الذى عنهم كسرى الأول ؛ ويقال إنه كان من حقه مزية الجلوس على عرش من ذهب ، وأن وظيفته كانت ، على سبيل الاستثناء وراثية في خلفائه الذين كانوا يسمون « ملوك السرير » (نهاية الأرب في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية JRAS سنة ١٩٠٠ ص ٢٢٧) .

وأخيراً فإن الملاحظات الجغرافية (دار مستتر ص ٢٤١ — ٤٢ و ٥٤٦ — ٦٦ الترجمة العربية) تتيح لنا أن نحدد بطريقة أدق تاريخ كتاب تنسر : فقد أشير في الكتاب إلى الترك وذكر فيه أن حدود الإمبراطورية الإيرانية تحسب من « نهر بلخ إلى حدود أذربيجان . وأرمينية فارس ، والفرات وبلاد العرب إلى عمان ومكران ومن هناك حتى كابل وطخارستان » . فالكتاب إذاً أنشئ بعد فتوح كسرى الأول (أنوشروان) في الشرق بالقضاء على الهياطلة ، ولكن قبل الاستيلاء على اليمن . أى بين سنتي ٥٥٧ و ٥٧٠ (٢) .

(١) الترجمة العربية ص ٢٩ .

(٢) يقول الثعالبي (ص ٦٠٦) إن أغلب الأمور على خسرو الأول كان النظر في سير الملوك وتصرف عقولهم والافتباس من محاسنهم واجتناب مقابحهم ، لاسيما سير أردشير فإنه جعلها أزيمة أفعاله وأئمة أحواله . ونجد الملاحظة نفسها في الطبرى (ص ٨٩٨ ، تولدته ص ١٦٥) وفي فارسنامه (ص ٨٨) .

ويرى ماركرارت Marquart هذا الرأي أى أن كتاب تفسر ألف أيام كسرى الأول^(١) ولو أنه أثبتته بطرق أخرى . وعنده أن الكتاب عندما يذكر قابوس ، ملك كرمان بدلا من وكخش الذى يعرف في التاريخ ، يقصد كاؤس أخا كسرى الأول الذى اتخذه وكخش مثالا له^(٢) .

وقد أشار نظام الملك^(٣) في كتابه سياست نامه إلى نص من كتاب پيشينگان (كتاب القدماء) . وقد رأى السعوى^(٤) في سنة ٩١٥/٣ - ١٦ « في اصطخر عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وآيينهم وسياساتهم لم أجدها في شيء من كتب الفرس كخدای نامه وآيين نامه وگاهنامه وغيرها ، ومصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكاً منهم خمسة وعشرون رجلاً وامرأتان قد صور الواحد منهم يوم مات شيخاً كان أو شاباً وحليته وتاجه وغط لحيته وصورة وجهه .. ثم إنهم كانوا إذا مات ملك منهم صوروه على هيئته ورفعوه إلى الخزائن كي لا يخفى على الحى منهم صفة الميت ، وصورة كل ملك كان في حرب قائماً ، وكل من كان في أمر جالساً ، وسيرة كل واحد منهم في خواصه وعوامه وما حدث في ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة . وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب بما وجد في خزائن ملوك الفرس سنة ١١٣ هـ (٧٣١ م) ونقل لهشام بن عبد الملك من الفارسية إلى العربية بأنواع الأصباغ العجيبة التي لا يوجد مثلها في هذا الوقت والذهب والفضة المحلولين ونحاسه محكوك والورق فرفيرى اللون عجيب الصنع فلا أدري أورد هو أم رق لحسن إتقانه » .

وربما كان هذا الكتاب هو نفس الكتاب الذى استخدمه حمزة الإصفهاني في

(١) إيرانشهر ص ٤٨ ملحوظة ١ . وانظر ردنا على هذا الرأي في مقدمة الترجمة العربية لكتاب تفسر ص ٦ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٠ والملاحظة ٢٢ وانظر عن كتاب تفسر Gabrieli في Riv. degli Studi Orientali (١٣) ص ٢١٧ وما بعدها .

(٣) سياست نامه ، نشر شيفر Schefer ص ١٠ والترجمة الفرنسية ص ١٢ .

(٤) التنبيه والإشراف (٨) BGA ص ١٠٦ .

تاريخه ليصف صور جميع ملوك آل ساسان . ولا شك أن هذه الصور ليست أصيلة من أولها إلى آخرها ، ويمكن أن نفرض أن عادة تصوير الملوك يوم وفاتهم وإبداع صورهم في الخزينة بدى فيه في وقت غير محدد أيام الساسانيين ، وأن صور الملوك السابقين أكلت بعد ذلك من الخيال الصرف . ولكن ليس هناك سبب للشك في أوصاف الساسانيين المتأخرين على الأقل ، ذلك أن لباسهم وسلاحهم وهيئتهم مطابقة تماماً لما نراه منقوشاً على الصخور وعلى الأواني الفضية الساسانية فنستبعد فكرة تصويرهم بعد انقضاء الدولة الساسانية .

ويقول الإصطخرى^(١) إنه كان بناحية سابور جبل قد صور فيه صورة كل ملك وكل مرزبان معروف للعجم وكل مذكور من سدنة النيران وعظيم من موبذ وغيره وتتابع صور هؤلاء وأيامهم وقصصهم في أدراج وقد خص بحفظ ذلك قوم بناحية أرتجان . ويقول إنسترنزف^(٢) إن مفهوم هذه العبارة أن الصور التي في الأدراج على غط الصور المنقوشة في الجبل لسابور .

وقد أشار الفهرست إلى أسماء كتب عربية كثيرة نقلت عن الهلوية وخاصة في صفحات ٣٠٥ و ٣١٥ و ٣١٦ . وهذه الكتب ، التي أشار إليها مؤلفون آخرون ، يرجع بعضها إلى فصيلة كتب النصائح^(٣) . وبعضها الآخر يرجع إلى القصص التاريخية . ولكن يستحيل أحياناً أن نعرف بالضبط تحت أى النوعين ندرج هذه الكتب ، لأنه لم يبق من معظمها غير الاسم .

ومن بين القصص الهلوية الشائعة والتي تناولت موضوعات عن تاريخ الساسانيين والتي وجدت منها تراجم عربية^(٤) ، نشير إلى مزدك ناك وبهرام چوبين نامك .

(١) BGA الجزء الأول ص ١٥٠ .

(٢) SE ، ص ٩ ، Nariman في "Iranian Influences" ، ص ٢٠ وما بعدها .

(٣) انظر ص ٤٤ من هذا الكتاب .

(٤) انظر بحثي "Om den historiske Romanlitteratur paa Pehlevi" في

"Studier tilegnede Franz Buhl" كوبنهاجن سنة ١٩٢٥ ، ص ٢٤ — ٣٤ . وانظر

الفصل الخامس من كتابي : "Helteedigtningog Fortællingslitteratur hos Iranerne

i Oldtiden" الذي نشرته جامعة كوبنهاجن سنة ١٩٣٥ .

أمّا مزدك نامك ، فهو كتاب عن مزدك الشيعى وصلاته بالملك قباد الأول .
وقد عربه ابن المقفع ثراً وعربه اللاحق نظماً (فهرست ١١٨ س ٢٧ - ١٣٦ س ١٠) .
وقد أشار إليه حمزة الإصفهاني (ص ٤١) ، والنهاية (برون ص ٢١٦) . وبمزوج
ما جاء من روايات في سياست نامه انظام الملك^(١) مع رواية پرسیة^(٢) يمكن إعادة
مادة القصة كلها ، تلك القصة التي ذكرها الثعالي والفردوسي والبيروني ومؤلفا
فارسنامه وبجمل التواريخ^(٣) .

وأما وهرام چوبين نامك ، فهو قصة الغاصب بهرام چوبين وقد ترجمه جبلة
ابن سالم (الفهرست ٣٠٥ س ١٠) وقد ذكر الكتاب العرب القصة بأ كلها ،
كما ذكرها الفردوسي^(٤) .

وهذه هي المصادر الرئيسية لتاريخ الساسانيين التي نجدها مؤرخين من العرب
والفرس بقيت كتبهم : تاريخ اليعقوبي (النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي ؛
ابن قتيبة (م ٨٩٩/٢٨٦) وله أيضاً ملاحظات هامة عن تاريخ الفرس في عيون
الأخبار ؛ الدينوري في الأخبار الطوال (م ٨٩٥/٢٨٢) ؛ الطبري (م ٩٢٣) ؛ سعيد
ابن البطريق المشهور بإتيكوس وهو بطريق الإسكندرية حوالي سنة ٩٢٩ ؛ ومروج
الذهب للمسعودي (م حوالي ٩٥٦/٣٤٥) ؛ والتنبيه والإشراف للمسعودي أيضاً ؛
وتاريخ حمزة الأصفهاني (ألف ٩٦١/٣٥٠) ؛ وتاريخ البلعمي (فارسي)^(٥)
وقد أخذ عن الطبري ؛ وكتاب البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي (ألف

(١) الفصل ٤٥ من طبعة شيفر ، والفصل ٤٤ من الترجمة .

(٢) رواية داراب هرمزيار (٢) ص ٢١٤ — ٢٣٠ .

(٣) انظر تولدك ، الطبري ص ٤٥٥ وما بعدها . Christensen في : Le règne du
"Two Versions of the History of : roi Kawadh I." ص ٤٤ وما بعدها ، وانظر :
Modi. Mem : Mazdak ، المجلد (١) ص ٣٢١ وما بعدها .

(٤) Nældeke ، طبري ص ٤٧٤ وما بعدها ؛ Christensen Romane om
Bahram Tehobin, Studierfra Sprog og Oldtidsforskniug عدد ٧٥ .

(٥) لم ينشر ، وترجمه زوتنبرج Zotenberg ، انظر خاصة الجزء الثاني (باريس
١٨٦٩) .

٩٦٦/٣٥٦) ^(١)؛ وشاهنامه الفردوسى (م ١٠٢٠/٤١١ تقريباً) ، وهى التاريخ القومى للفرس ، ولموضوع الشاهنامه قيمة كبيرة للتعريف بالمدينة الساسانية ، وأجزاءها المتعلقة بالعهد الخرافى ، قبل حياة زردشت ، تعكس صورة من العهد الساسانى الذى ترجع إليه المصادر الرئيسية التى لجأ إليها الشاعر فى كتابه ؛ غرر أخبار ملوك الفرس للثعالى (م ١٠٣٨/٤٣٠) ؛ نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب ، وهو نص عربى غير معروف المؤلف ، ألف حوالى النصف الثانى من القرن الحادى عشر ^(٢) ؛ فارس نامه وهو فارسى ألفه فى أوائل القرن الثانى عشر مؤلف مجهول يشار إليه بابن البلخى ؛ مجمل التواريخ وهو فارسى غير معروف مؤلفه ، وألف سنة ١١٢٦/٥٢٠ ^(٣) ؛ ما جاء فى البندهشن الهلوى من روايات عن تاريخ الساسانيين ، (انظر ص ٤٢ من هذا الكتاب) وهذه مأخوذة عن تراجم وتصانيف عربية للخداى نامه ^(٤) .

وأما كتب ابن مسكويه وابن الأثير والمؤرخين الأحدث منهما كأبى الفداء وحمد الله مستوفى القزوینى (تاريخ گزیده) ومير خوند وغيرهم فهى أقل خطراً . لأنها فيما يتعلق بتاريخ الساسانيين ، لا تضيف إلى المصادر الأقدم منها إلا معلومات غاية فى القلة .

أما عن الصلة بين المصادر العربية والفارسية الهامة فإننا نحيل على مقدمة تولدكه لكتابه تاريخ الفرس والعرب . وعلى الملاحظات العديدة التى تجعل لهذا الكتاب أهمية خاصة . ثم نحيل إلى مقدمة زوتنبرج لكتاب الثعالى وإلى الأبحاث التى تناولتها

(١) نشره وترجمه للفرنسية ، Cl. Huart ، Livre de la création et de l'histoire :

انظر خاصة الجزء الثالث (باريس ١٩٠٣) .

(٢) ملخص ومنتخبات ، Browne ، فى JRAS ، ١٩٠٠ ، ص ١٩٥ وما بعدها .

(٣) قارن JRAS ، ١٨٩٩ ، ص ٥١ — ٥٣ .

(٤) نشره وترجمه مول Mohl فى JA . الأجزاء ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ من السلسلة

الثالثة ، والأول من السلسلة الرابعة .

(٤) انظر Les Kayanides : Christensen ص ٤٩ — ٥١ و ٦١ وما بعدها .

في كتابي عن عصر الملك قباد الأول والشيوعية المزدكية^(١) ، وإلى الباحثين اللذين نشرتهما في مجلة AO ، المجلد (٨) ، (١٠) عن الحكيم بزرجهر ، وعن أبراسام وتنسر ، ويرى نولدكه (مقدمة ص ٢١) أن سعيد بن البطريق وابن قتيبة قد تبعوا بأمانة ترجمة ابن المقفع لخداي نامه^(٢) ، أما الطبري فيذكر ما وجد من الروايات المختلفة من غير أن يشير إلى المصدر الذي أخذ عنه في معظم الأحيان ، ثم يضيف روايات مفصلة عن مملكة الحيرة العربية . وأما البلعمي فقد مزج الأخبار التي أوردها الطبري وأضاف إليها القليل الذي أخذه عن كتب أخرى . وكذلك فإن صاحب فارس نامه ، الذي أخذ عن الطبري بوجه عام ، يضيف بعض تفصيلات من مصادر أخرى . وأما حمزة الإصفهاني ، وكتابه ليس إلا مختصراً ، فإنه استفاد من كثير من الترجمات والتصنيفات العربية لكتاب خداي نامه . وقد نقل عن حمزة صاحب المجلد ، ويحتمل أن يكون قد عرف ، عدا المختصر الذي بأيدينا ، المؤلفات التاريخية الأخرى التي وضعها حمزة والتي ضاعت . أما الدينوري فقد اتبع في كتابه مصدراً غير خداي نامه ، نجده موسعاً في نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب سواء أكان هذا الأخير قد اتخذ الدينوري مصدراً رئيساً أم كانا قد استفادا من مصدر واحد .

ونجد بعض الروايات المنقولة عن خداي نامه في اليعقوبي والمسعودي وفي التلخيص الصغير للمظهر وأخيراً نجد لها في الفردوسي والثعالبي اللذين تأخذ مصادرها المباشرة عن مصدر مشترك . وقد أدخل هؤلاء المؤلفون على ما أخذوا من خداي نامه كثيراً من روايات إيرانية أخرى مثل آيين نامه وگناه نامه وتاج نامه ، ثم كتب النصائح والقصص العامية . والمصدر المشترك الذي أخذ عنه الفردوسي والثعالبي قد استمد كثيراً من كتب النصائح والكتب الشعبية ، وقد استفاد الفردوسي خاصة من هذين النوعين من المصادر .

(١) D. Vid. Selsk. fil.-hist. Medd (٩) ، ٦ .

(٢) قارن Riv. degli Studi Orientali ، Gabrieli (٨) ، ص ٢٠٩ وما بعدها .

وهناك كثير من الإشارات الهامة التي ترجع إلى روايات ساسانية ، في كثير من الكتب المنسوبة للجاحظ (م ٨٦٩/٢٥٦) وخاصة في كتاب التاج ، الذي شك ريشر^(١) في نسبته للجاحظ ، وهذا خطأ في رأيي . وهو على كل حال ينقل عن مصادر إيرانية قديمة هامة . ونجدها أيضاً في كتاب المحاسن والمساوي^(٢) الذي هو منتحل بلا شك ، ثم في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي (مؤلف حوالي ٩٧٦/٣٦٦) وفي كتاب الآثار الباقية للبيروني (م ١٠٤٨/٤٤٠)^(٣) ، وفي سياست نامه لنظام الملك (ألف ١٠٩٢/٤٨٥ — ٩٣)^(٤) . ويمكننا أن نلتقط بعض التفاصيل القصصية عن العهد الساساني في كتب الأدب التي ارتقت بتأثير كتب الأخلاق — أندرز — ونذكر منها كتاب المحاسن والمساوي الذي مر ذكره . وكتاب الأذكياء (عربي) لابن الجوزي (توفي ٥٩٧/١٢٠٠)^(٥) ومرزبان نامه (فارسي) الذي وضعه سعد الدين الورايي (بين سنق ٦٠٧ — ٦٢٢/١٢١٠ — ١٢٢٥)^(٦) . وهناك آثار متفرقة في الكتب الجغرافية العربية ، في ابن خرداذبة (القرن التاسع) ، وابن الفقيه الحمدي (م في أوائل القرن العاشر) ، والإصطخري ، وابن حوقل (القرن العاشر)^(٧) ، وياقوت (توفي ١٢٢٩/٦٢٧)^(٨) . ويمكن استخراج بعض المعلومات من الكتابين

(١) Excerpte und Übersetzungen aus den Schriften des Gahiz ، شتتجارت ١٩٣١) ، ص ٢٦٣ وما بعدها .

(٢) Van Vloten ، ليدن ١٨٩٨ ؛ وترجه للألمانية Rescher ؛ وقارن الكتاب الذي يحمل نفس الاسم لليبيقي (النصف الأول من القرن العاشر) ، نشره ،

Schwally

(٣) نشره ساخاو Sachau ، ليبزج ١٨٧٨ ، ثم ترجمه إلى الإنجليزية ، لندن ١٨٧٩ .

(٤) نشره وترجه للفرنسية Schefer (بارس ١٨٩١ ، ١٨٩٣) .

(٥) ترجمه ريشر Rescher ، غلطة ١٩٢٥ .

(٦) نشره ميرزا محمد قزويني ، ليدن ١٩٠٩ (GMS ، ٨) .

(٧) BQA ، نشر دي جويي ، De Geoje الأجزاء (٦) ، (٥) ، (١) ، (٢) .

(٨) نشره فيسننفيلد Wüstenfeld (١ — ٦) ، ليبزج ١٨٦٦ ؛ ومختصر الترجمة

الفرنسية Barbier de Maynard ، باريس ١٨٦١ .

الخاصين بتاريخ طبرستان اللذين كتبهما ابن اسفنديار (١٣١٦/٦١٣)^(١) وظهر الدين المرعشي (حوالي ١٤٧٦/٨٨١)^(٢).

ومن المصادر المهمة في بيان المذاهب الدينية ، الأجزاء التي تكلمت عنها من كتاب الملل والنحل للشهرستاني (متوفى ١١٥٣/٥٤٨)^(٣) وقد تناولت الزردشتية والمناوية والمزدكية . ثم الملاحظات المتعلقة بهذه المذاهب والتي نجدها في بيان الأديان (فارسي) لأبي المعالي (ألف ١٠٩٢/٤٨٥)^(٤) . وتوجد بعض تفصيلات عن ديانة إيران القديمة في كتاب تبصرة العوام الذي كتب بالفارسية في النصف الأول من القرن الثالث عشر والذي ينسب إلى سيد مرتضى بن داعي حسني راضي . وأخيراً لدينا في الفتح العربي لبلاد إيران ، مصدر مهم للغاية هو فتوح البلدان للبلاذري (م ٨٩٢/٢٧٩)^(٥) . والنصف الأول من هذا الكتاب ، وقد ترجمه إلى الألمانية ريشر^(٦) ، يحتوي على بعض معلومات طارئة عن تاريخ إيران من القرن الخامس حتى القرن السابع .

٣ — المصادر اليونانية واللاتينية

أشار ديون كاسيوس Dion Cassius (المتوفى حوالي سنة ٢٣٥ م) إلى قيام

(١) الترجمة المختصرة Browne ، لندن ١٩٠٥ (GMS ، ٢) .

(٢) Von Dorn ، سان پيترسبورج ١٨٥٠ . Geschichte von Tabaristan .

(٣) نشر Cureton (١) ، لندن ١٨٦٤ ، وأعيد نشره ١٩٢٣ ؛ ترجمه الألمانية Harrbrucker ، جزء (١) ، هال ١٨٥٠ .

(٤) نشر في الجزء الأول من Schefer ل Chrestomathie Persane (ص ١٣٢ وما بعدها) ؛ وترجمه Pizzi إلى الإيطالية الفصل الثاني ، وترجمه Christensen الكتاب كله إلى الدانمركية في Studier fra Sprog-og Oldtidsforskning ، رقم ١٠١ ، كوبنهاجن ١٩١٦) ، وترجمه للإيطالية Gabrieli ؛ وقارن "Remarques Critiques" ل Christensen في MO ، ١٩١١ ، ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٥) طبعة De Geoe ، لندن ١٨٦٦ .

(٦) Liferung (١) ، ليبزج ١٩١٧ ، (٢) ، شتتجارت ١٩٢٣ .

الدولة الساسانية في تاريخه الروماني الذي كمل حتى سنة ٩٢٩ . ولكن تغير الأسرات المالكة وما يتصل به من الحوادث قد ذكر بتوسع في التاريخ الروماني لهرودين Hérodiën (المتوفى سنة ٢٤٠) .

وأما عهد الملوك الساسانيين الأوائل فإن لدينا ملحوظات عنه في النبذ التي جاءت وفي تاريخ دكسيپوس الأثيني Dexippos d'Athènes (النصف الثاني من القرن الثالث) وفي تاريخ أباطرة الرومان لتريليوس پوليو Trebellius Pollio ، الذي عاش أيام ديوكستين Diocletien وقسطنطين الأكبر . وقد ألف معاصره ، الذي اعتنق المسيحية ، لكتانتينوس فرميانيوس Lactantius Firmianus قصة متعاملة عن الحشونة التي لقيها الإمبراطور ويريان على يد سابور الأول ، حين أسره الفرس . وإشارات متفرقة هنا وهناك ، في تاريخ أوريليان Aurélien الذي ألفه فلافيوس فيسكوس Flavius Vopiscus (حوالي سنة ٣٠٠) وفي التاريخ الديني والمدني لإيزوب القيصرى Eusèbe de Césarée (م سنة ٣٤٠) ، وفي روفنوس Rufinus الذي وصل التاريخ الديني لإيزوب حتى سنة ٣٩٥ ، وفي تاريخ الأباطرة لأورليوس فيكتور Aurelius Victor (القرن الرابع) الذي ينتهي سنة ٣٦٠ ، وعند الأفلاطوني الحديث أونابيوس Eunapios (المتوفى حوالي ٤١٥) وهو الذي تناول تاريخ السنوات من ٢٧٠ إلى ٤٠٤ . وما يهم هؤلاء الكتاب جميعاً من إيران هو علاقاتها بروما .

والمصدر الرئيسي لحروب سابور الثاني ضد الرومان هو التاريخ الروماني لأمين مرسيلين Ammien Marcellin ، ويتناول الجزء الباقي منه (الكتب ١٤ — ٣١) الفترة بين سنتي ٣٥٣ و ٣٧٨ . ويصف أمين حوادث الحرب التي شهدتها بنفسه ، حين اشترك في الوقائع الحربية في آسيا سنة ٣٦٣ ، وهو يضيف عليها كثيراً من المعلومات البالغة الخطر عن إيران والإيرانيين . وهناك مؤرخ آخر شاهد حملة سنة ٣٦٣ هو إيتروبيوس Eutropius صاحب مختصر التاريخ الروماني . وكذلك لكل من أحاديث ورسائل المنشيء الوثني ليبانيوس Libanius (م ٣٩٣) وتاريخ

القس سولبيكيوس سيفيرس Sulpicius Sévérus (م بين ٤٢٠ ، ٤٢٥) بعض القيمة فيما يتعلق بالصلات بين الفرس والروم في ذلك العهد .

ويهمنا المشرع المسيحي تيودور Théodore de Mopsueste (م ٤٢٨) لكلمة له عن النظرية الزروانية للزردشتيين وقد أعطانا فوتيوس Photios (٨١) نبذة منها^(١) وذيل تلميذه تيودور Théodore أسقف كرخا Cyrrhus (م حوالى ٤٦٠) ، والذي شارك في المجادلات الدينية التي ثارت في النصف الأول من القرن الخامس ، تاريخ إيزوب Eusèbe الديني بالسنوات ٣٢٤ — ٤٢٩ . وكذلك نشير إلى سلسلة من مؤلفات المؤرخين اليونان من رجال الدين التي تتصل بتاريخ المنازعات الدينية بين رجال الكنيسة الشرقية وبالخصومات الدينية والسياسية التي ثارت بين الإمبراطوريتين ، فذكر كتب سقراط سكولاستيكوس Socrate Scholastikos (م ٤٤٠) وسوزمين Sozomène (م ٤٤٣) ، وإيوجريوس Euogris (م بعد سنة ٦٠٠) ، ثم تاريخ رد الكفار لأورسيوس Orosius (القرن الخامس) ، وهو مؤلف ديني مسيحي يقص تاريخ الدنيا حتى سنة ٤١٧ ؛ ثم تاريخ أباطرة الرومان حتى سنة ٤١٠ للكاتب الوثني زوسيموس Zosimos (حوالى ٥٠٠) . وندين لبريسكوس Priskos (متوفى ٤٧١) ببعض معلومات عن تاريخ الملك فيروز .

ومن المؤلفين المعنازين بروكوب القيصري Procope de Cesaree الذي صاحب بليزير Bélisaire في حملاته الحربية . وتاريخه في الحروب مع الإيرانيين يعتبر بنوع خاص ، من المصادر الرئيسية لتاريخ إيران أيام قباد الأول وكسرى الأول وكذلك فيما يتعلق بالنظام الداخلى وبنظم الدولة الإيرانية . وقد كتب بطرس باتريكيوس Petrus Patricius ، الذي أرسل في سفارة من بيزنطة إلى كسرى الأول والذي تولى مفاوضات الصلح سنة ٥٦٢ ، رسالة تاريخية حفظت نبد منها في

- Excerpta de legationibus

(١) انظر الفصل الثالث فيها بعد .

وقد تتبع أجاثياس سكولاستيكوس Agathias Scholastikos (م ٥٨٢) كتاب بركوب ، ويعتبر تاريخه عن حياة جستنيان Justinien ذا قيمة خاصة في تاريخ إيران ذلك لأن المؤلف قد اتخذ من بين مصادره التاريخ السنوى الذى كان يحفظ في خزائن المدائن ، وقد اتجه سرجيوس Sergius المترجم ، الذى كان كسرى الأول يعجب به ويحده أعلم المترجمين في الدولتين ، بناء على رجاء أجاثياس ، إلى مديرى الخزائن الملكية طالباً منهم إطلاعه على هذه التقاويم السنوية ، وبعد أن نال الإذن ، قيد أسماء ملوك إيران ومدد حكمهم وأهم أعمالهم . وترجمت هذه النبد إلى اليونانية وقدمت إلى أجاثياس . وعلاوة على هذا استفاد أجاثياس ، في بحثه عن تاريخ الساسانيين ، بمصادر أخرى فإن روايته عن نسب أردشير الأول وشبابه ترجع ، بلا ريب ، إلى مصدر عامى . ووصفه للدين الزردشتى عدنا بتفاصيل قيمة ولو أنه لا يخلو من الأخطاء في الحقيقة .

ويفيد تاريخ مالالاس Malalas (م حوالى ٥٧٨) بمأثورات قيعة عن فرقة مزدك على الأقل .

وقد تحدث ميناندر برنكتر Menandre Protector (النصف الأول للقرن السادس) عن تاريخ السنوات ٥٥٨ — ٥٨٢ . وأما عن الفترة من سنة ٥٨٢ حتى ٦٠٢ فلدينا تاريخ تيوفيلكت سيموكتا Théophylacte Simokatta (القرن السابع) الذى يتضمن معلومات هامة عن النظم الإيرانية أيضاً . وقد سار سينكلوس Synkellos (م بعد ٨١٠) في تأريخه للملوك الساسانيين على أثر أجاثياس Agathias^(١) . ونجد في كتب كل من ثيوفان Théophane (م حوالى ٨١٨) وباسكال Paschale (القرن التاسع) مصادر قيعة عن عهد كسرى الثانى وخلفائه . وهناك مأثورات توجد أحياناً في كتب المؤرخين البيزنطيين المتأخرين ، أمثال نيكيفوروس Niképhoros بطريق القسطنطينية في السنوات ٨٠٦ — ٨١٥ ، وكيدرينوس Kédrenos (القرن الحادى عشر) ، وزراس Zonaras (م بعد ١١١٨) ، وجليكاس Glykas (القرن الثانى عشر) .

(١) انظر نولذكه ، الطبرى ص ٤٠٠ .

وقد جمع وليم جاكسون W.Jackson^(١) وكليمان Clemen^(٢) النصوص التي ذكرها الكتاب اليونان والرومان أيام العهد الساساني عن الدين الإيراني ، وترجمها للإنجليزية Sherwood Fox^(٣) .

٤ — المصادر الأرمينية

يرتبط تاريخ أرمينية ، أيام الساسانيين ، ارتباطاً وثيقاً بتاريخ إيران . لهذا يمدنا المؤرخون الأرمن المعاصرون للساسانيين بمعلومات لها فائدة كبيرة عن تاريخ ملوك إيران ، لا سيما فيما يتصل بعلاقة الإمبراطورية الإيرانية بالأرمن ، بل يمدوننا بروايات تتصل أيضاً بكثير من تفاصيل النظم والدين والحضارة الإيرانية في ذلك العهد^(٤) .

وقد بقي نص يوناني وآخر أرميني من الكتاب الخاص بتاريخ الملك الأرميني تيرداد Tiridate ونبوءة سان جريجوار المشرق Saint Grégoire l'illuminateur والذي ينسب إلى شخص باسم أجاثناج (Agathangelos) . ويتكون هذا المؤلف من أجزاء كثيرة ، منفصل بعضها عن بعض في الأصل ، ولكنها مزجت جميعاً بعد سنة ٥٦٤^(٥) . وهو يحوى قصصاً خرافية عن مبدأ دخول المسيحية في أرمينية ، كما يحوى أخباراً عن العهد الأول للدولة الساسانية^(٦) . ومن المصادر المهمة

(١) "The Prophet of ancient Iran" Zoroastere ، طبعة جديدة في نيويورك ١٩١٩ ، ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٢) Fontes historiae religionis persicae ، ١٩٢٠ ، ص ٦٩ وما بعدها .

(٣) "Passages in G. and L. Lit. relating to Z. and : J. Cama. Or. Inst. Zoroastrianism" رقم ١٤ ص ٨١ وما بعدها . أما عن المصادر اللاتينية واليونانية الخاصة بالمانوية فانظر الفصل الرابع .

(٤) انظر Patkanian في "Essai hist. des Sas. d'après les hist. Arm..." وقد نقله عن الروسية برودم Prud'homme ، باريس ١٨٦٦ (مستخرج من المجلة الآسيوية JA سنة ١٨٦٦) . وقد طبعت جامعة الميخيتاريين (Mékhitaristes) أهم الكتب .

(٥) انظر Gustchmid ، Kleine Schriften (٣) . ص ٢٩٤ وما بعدها . وقد نشر

هذا الكتاب Ter - Mkrtitschian و Kanayang (نفليس ١٩٠٩)

(٦) نشر النص اليوناني Lagarde (جوتنجن ١٨٨٧) ، وظهرت نسخة للنس =

أيضاً حياة القديس نرسيس St-Narsès وهو كتاب قديم مجهول المؤلف^(١). وكذلك تاريخ تارون Taraun (ولاية أرمينية) ألفه الأسقف السرياني زينوب Zénob ، ويشك في صحته وهو يتناول عصر سان جريجوار^(٢). وقد كتب ذيله جان الماميكوني Jean le Mamikonien^(٣).

ويعتبر كتاب تاريخ أرمينية الذي ألفه فاوستوس البيزنطي Faustus de Byzance في النصف الأول من القرن الخامس والذي يتناول الحوادث من سنة ٣٢٠ حتى ٣٨٥^(٤)، ذا مكانة خاصة في تاريخ إيران في القرن الرابع .

وبين سنتي ٤٤٥ و ٤٤٨ وضع إزنيك كولب Eznik Kolb كتابه « الرد على الفرق » وهو يحوى بيانات عن الآراء الدينية عند الزردشتيين في عهده^(٥).

وظهر في القرن الخامس كتابان تاريخيان مهمان . فقد كتب إليزيه وردبت Elisée Vardapet « تاريخ وردن وحرب الأرمن » متناولاً حوادث السنوات من ٤٣٩ إلى ٤٥١ ، وهو كتاب مصطبغ بالتعصب ولا يقلل هذا من قيمته لمعرفة بلاد

= الأرمني في البندقية ١٨٦٢ . وترجمته الفرنسية في مجموعة لانجوا "Collection des historiens de Langlois. (١) ص ١٠٥ وما بعدها . وقارن بيترس Peeters ، Analecta Bollandiana الجزء (١) ص ٢٠

(١) طبعة Venice ١٨٥٣ ، والترجمة الفرنسية في لانجوا (٢) ص ٢١ وما بعدها .

(٢) طبعة البندقية ١٨٣٢ ، والترجمة الفرنسية في لانجوا (١) ص ٣٣٧ وما بعدها .

(٣) طبعة البندقية ١٨٣٢ ، والترجمة الفرنسية في لانجوا (١) ص ٣٦١ وما بعدها .

(٤) طبعة البندقية ١٨٣٢ ، ١٨٨٩ ، وطبعة سان پيترسبورج ١٨٨٣ (نشر باتكانيان) ، والترجمة الفرنسية في لانجوا (١) ص ٢٠٩ وما بعدها .

وبالألمانية ، لوير Des Faustus von Byzanz Geschichte Armeniens : M. Lauer

كولونيا ١٨٧٩ . وقارن Peeters في "Bull. de la classe des L. de l'Acad. R. de Belgique" السلسلة ٥ ، الجزء (١٧) . ١٩٣١ ص ١٦ وما بعدها .

(٥) طبعة البندقية الأخيرة ١٩١٤ (عن طبعة ١٨٢٦) ، والتراجم الفرنسية لـ

Le Vaillant de Florival (باريس ١٨٥٣) ، وترجمة نبذ منها (الفصل الثاني ، الرد على دين الفرس) في لانجوا (٢) ص ٣٧٥ وما بعدها .

إيران ونظمها السياسية والدينية^(١). وكتب لازار الفربي Lazare de Pharp « تاريخ أرمينية » (متنولوا الحوادث من ٣٣٨ حتى ٤٨٥) ، وهو كتاب مؤرخ نابه منصف إلى حد ما^(٢).

ويتناول « تاريخ حملات هركليوس في إيران » الذي ألفه سيميوس Sébéos ، باختصار العهد من أيام الملك فيروز لغاية سنة ٥٩١ ، ثم يتوسع في بحث القرن الأخير للدولة الساسانية ومبدأ السيادة العربية^(٣).

وقد ذكر « تاريخ أرمينية » الذي ينسب إلى موسى الخوريني Moise de Chorène والذي يبدو أنه ألف في القرن التاسع ، كثيراً من التفاصيل الهامة من تاريخ إيران الساسانية^(٤). ويتصل بهذا الكتاب لمحة مهمة جداً عن بلاد الإمبراطورية الساسانية . وآخر طبعة للجزء الجغرافي من كتاب موسى هذا أخرجها ماركارث مع الترجمة الألمانية في كتابه "Eränshahr nach der Geographic des Ps Moses Xorenenac." وتعليقات ماركارث الانتقادية المفصلة الواسعة وملحقاته التاريخية والخاصة بطوبوغرافية البلاد تجعل من كتابه معلمة لا يستغنى عنها من يدرسون تاريخ العهد الساساني .

ومن بين الكتب التي هي دون هذه قيمة في تاريخ العهد الذي نبهته « كتاب هجوم العرب » لليوند Léovond (Ghevond ، القرن الثامن) ؛ ومؤلفات المؤرخين الأحدث منه كتاريخ أرمينيا لتوماس ارتسروني Thomas Artsruni (القرن

(١) طبعة البندقية ١٨٥٩ ، طبعة Michael Porthugal ١٩٠٣ ؛ لأنجلوا (٢) ص ١٧٧ ، أكيانيان : Elisäus Wardapet und seine Geschichte det armenischen Krieges ، (١) قينا ١٩٣٢ .

(٢) طبعة البندقية ١٨٧٣ ، وتقليس ١٩٠٤ (نشر علمي ل Ter-Mkrititschian و S. Malchassian ، لأنجلوا (٢) ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٣) نشر Patkanian ، سان بيترسبورج ١٨٧٩ .

(٤) طبعة البندقية ١٨٦٥ ، ونشره نشرأ علمياً M. Abelian و Haruthiunian تقليس ١٩١٣ ؛ لأنجلوا (٢) ص ٥٣ وما بعدها . وانظر Marqurt عن تاريخ المزعوم موسى : Untersuchungen von Iran (٢) ص ٢٣٥ ؛ و Caucasiaca ، ١٩٣٠ ص ١٠ — ٧٧ ؛ و P. Narses Akinian في AZKM ، ١٩٣٠ وما بعدها ؛ و Armeniace ، Mlaker ، ١٩٢٦ ، ص ١٢٢ و WZKM ، ١٩٣٥ ، ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

العاشر)^(١)؛ وتاريخ الابنين Albans لموسى كالان كتوس Moïse Kalan katwaci (القرن العاشر) ؛ وتاريخ أرمينيا لأسوليك Asolik (القرن الحادى عشر) ؛ والترجمة الأرمينية لتاريخ ميشيل السريانى (القرن الثانى عشر) وغيرهم . وقد ذكرت هذه المصادر كلها فى رسالة Patkanian التى أشرنا إليها .

٥ — المصادر السريانية

وقد حفظ الأدب المسيحى باللغة السريانية مصادر مهمة جداً فى تاريخ العهد الساسانى . فهناك أولاً كتب تاريخ كتب أربعة منها على الأقل كتاب عاشوا فى ذلك العهد . التاريخ المنسوب إلى ستيليت Stylites^(٢) . وقد ألف كتاب التاريخ الذى ينسب خطأ إلى يسوع الاستليتي Goshua le Stylite^(٣) حوالى سنة ٥٠٧ ويتناول حوادث السنوات من ٤٩٤ إلى ٥٠٦ . وهو من المصادر الرئيسية لتاريخ النصف الأول من حكم الملك قباد الأول . وقد لخص فى بعض الفصول ، كقائمة ، تاريخ الحقبة السابقة ابتداء من عهد فيروز .

تاريخ الرها Le Chronique d'Edesse^(١) وقد ألف بعد سنة ٥٤٠ بقليل ويبحث المدة من سنة ١٣٢ ق . م إلى سنة ٥٤٠ ميلادية ، وقد كان من مصادره تاريخ للفرس ضائع اليوم .

(١) ترجمه Brosset فى : Collection d' historiens armeniens ، سان بيترسبورج

١٨٧٤ .

(٢) ريت Wright : The Chronicle of Joshua the Stylite, with a translation : Wright ، كبروح ١٨٨٢ ؛ وفارن كريستنسن Christensen فى 1 Le Règne du roi Kawādh ، ص ٥ وما بعدها .

(٣) انظر مقالة للأب ناو Naw فى ملحق L'Orient chretien ، ١٨٩٧ ، وانظر ديقال Littérature syriaque : Duval ، الطبعة الثانية ، ص ١٨٨ .

(٤) هالير : Untersuchungen über die Edessenische Chronik, mit dem "Texte und unersuch- فى Syrischem Texte und einer Übersetzung ungen" لجهاردت وهرنك Gebhardt, Harnack ، ح (٩) ، الملزمة الأولى ، ليون ١٨٩٢ . ونشره نشرة جديدة جويدي Guidi مع ترجمة لاتينية فى Crops scriptorum christianorum orientalinm, script. Syr. السلسلة (٣) ، ج (٤) . باريس ١٩٠٣ .

تاريخ إربل Chronique d'Arbéle ، ويرجع إلى منتصف القرن السادس وهو يتناول التاريخ الديني لولاية إربل هذه ابتداء من القرن الثاني إلى حوالي سنة ٥٥٠ . ويشك في قيمة هذا المصدر كما يقول الأب بول بيترس P. Paul Peeters^(١) .

التاريخ المختصر المسمى : Anonyme de Guidi^(٢) وقد كتب بعد سنة ٦٧٠ بقليل . وهو يقص ، تبعاً لمصدر موثوق به ، الحوادث التي تلت موت هرمزد الرابع سنة ٥٩٠ ، ثم الحوادث التي شاهدها المؤلف بنفسه حتى نهاية عهد الدولة الساسانية .

وتاريخ الياس النصيبى Elias de Nisibe المؤلف في سنة ١٠٠٨ . ومقدمته على هيئة الجداول التاريخية ، وقد نشر الجزء الخاص بالساسانيين منها لامي Lamy^(٣) . كما نشر النص مع ترجمته اللاتينية بروكس Brooks وشبو Chabot^(٤) .

ومن التواريخ المهمة تاريخ ميشيل السرياني Michel le Syrien بطريق أنطاكية (١١٦٦—١١٩٩)^(٥) .

وقد كتب أبو الفرج Grégoire Barhebraeus المتوفى سنة ١٢٨٦ تاريخين

(١) منجنا Sources Syriaques : Mingana صفحات ٧ — ١١ ، ١ — ١٥٩ .
ساخو Die Chronik von Arbela : Sachau (١٩١٥ عدد ٦) ؛
هرنك Die Mission und Ausbreitung des Christentums Harnack ، الطبعة الرابعة ،
ج (٢) ، ليزج ١٩٢٤ ، ص ٦٨٣ وما بعدها ؛ بيترس ، Le Passionario d'Adiabene ؛
Peeters ، Analecta Bollandiana (٤٣) ص ٢٦٣ ، ٣٠٢ وما بعدها .

(٢) وقد طبع جويدي هذا التاريخ ضمن أعمال المؤتمر الدولي للمستشرقين الذي عقد في
استكهلم ١٨٩٩ ، وترجمه مع تعليقات تاريخية وتقديرية نولدكه في Sitzungaberichte der kais
Akad. in. Wein Phil-hist. Classe (١٢٨) ، ١٨٩٣ .

(٣) بركل ١٨٨٨ : Elie de Nisibie et sa chronologie

(٤) Eliae Metropolitae ، (١ — ٢) ، Corp. script. chrst. orient. Script

Syr. Nisibeni Opus chronologicum. السلسلة ٣ ، ج (٧) و (٨) .

(٥) نشره وترجمه للفرنسية شبو Chabot ، (١ — ٤) ، باريس ١٨٩٩ — ١٩١٠ .

التاريخ السرياني والتاريخ الديني . وكتاب ميشيل السرياني من مصادره الرئيسية^(١) .
والتاريخ العربي لأبي الفرج^(٢) هو مقابلة لتاريخ السريان .

ولمعرفة تاريخ النصرانية في إيران يمكن الرجوع إلى أعمال المجامع Actes des conciles^(٣) ؛ وكتاب الولاة لتموتاس المرجى (نسبة إلى إقليم المرج في خراسان) المكتوب في سنة ٨٤٠^(٤) وهو يتناول العلاقات بين الكنيسة النسطورية وملوك إيران ويفيدنا عن عهدى هركليوس وكسرى الثاني ؛ وكتاب حياة البطارقة النساطرة ، ماربها الأول ، وصبر يشوع ، ودنحا ، ويهلاها الثالث^(٥) ؛ وكتاب حياة الربان هرمزد^(٦) . وأخيراً فإن أعمال شهداء فارس Actes des martyrs de la Perse^(٧) تعتبر مصدراً عظيم القيمة من حيث المدينة بوجه عام ، لافي بيان تاريخ اضطهاد النصارى في إيران فقط .

ومن الكتب الدينية السريانية التي تلقى ضوءاً على أحوال النصارى في إيران

(١) نشر بجان Le Chronicon syriacum : Bedjan (باريس ١٨٩٠) ؛ ونشر
ابيلوس ولاي Le Chronicon ecclesiasticum : Abbeloos, Lamy ، (١ - ٣) ،
لوفان ١٨٧٢ - ٧٧

(٢) تاريخ مختصر الدول نشر الصالحاني ، بيروت ١٨٩٠ .

(٣) لاحارد Reliquiae juris ecclesiastici syriace : P. de Lagarde ، فيينا
١٨٦٥ .

(٤) وليس بدج The book of Governors : Wallis Budge ، النص السرياني
والترجمة الإنجليزية ، (١ - ٢) ، لندن ١٨٩٣ .

(٥) بجان Histoire de Mar Yabalaha, de trois autre Patriarches : Bedjan
باريس ١٨٩٥ .

(٦) وليس بدج The History of Rabban Hormizd the Persian : Wallis Budge
النص والترجمة الإنجليزية ، (١ - ٢) ، لوزاك ، Semetic Texts Series المجلدات ٩ - ١١ .
(٧) Acta Sanctorum Martyrum ، نشر اسماني Assemani مجلد ١ ، روما
١٧٤٨ ؛ بجان Acta Martyrum et Sanctorum : Bedjan الجزءان الثاني والرابع ، باريس
١٨٩١، ١٨٩٤ . هوفان Auszüge aus syrischen Akten persischer Märtyrer : G.
ليبيزج ١٨٨٠ ، مع ملحقات كاشفة . برون Ausgewählte Akten persischer
München ، ١٩١٥ . مارن بيترس Paul Peeters في Analecta Bollaudiana ،
الجزء (٤٣) ، ص ٢٦١ - ٣٠٤ والجزء (٤٩) ، ص ٥ - ٢١ .

كتاب أدمية أفرعت (١) Afraat وهو صورة سريانية لمجموعة القوانين الساسانية (ص ٤٤) .

ومن ناحية أخرى هناك بعض كتب جدلية ، تفيد في معرفة الآراء الدينية في ذلك العصر في إيران وآسيا الغربية . ومن المؤكد أن جدل آذر هرمزد وأنا هيد مع الموبدان موبد (٢) يرجع إلى العصر الساساني . ويشير الجزء الحادي عشر من شروح تيودور بركناي Théodore bar Konai ، المؤلفة حوالي سنة ٨٠٠ ، باختصار إلى النظريات الجنوستيكية ثم يعرض بالتفصيل للنظريات الزردشتية والمناوية (٣) . ونجد علاوة على ذلك تفاصيل عن المناوية في بعض الروايات السريانية للدعاء الثالث والعشرين بعد المائة من أدعية سفير الأنطاكي Sévère d'Antioche (بطريق أنطاكية ٥١٢ - ٥١٨) ، وقد اختفى النص الأصلي لهذه الأدعية (٤) .

٦ — المصدر الصيني

ونجد في رحلة السائح البوذي الصيني هيون تسيانج Hieun Tsiang التي قام بها في السنتين ٦٢٩ حتى ٦٣٠ نبذة قصيرة عن إيران في ذلك الوقت . ولم يزر السائح إيران بنفسه ، ولكنه كتب ما سمع عن أوضاع هذه الدولة وسكانها (٥) .

(١) نشر باريسو Parisot في Patrologia syriaca الجزء (١) (باريس ١٨٩٤) ؛ والترجمة الألمانية لبيرت Bert في "Texte und Untersuchungen" جيهاردت Gebhardt وهرنك Harnack ج (٣) (ليزج ١٨٨٨) .

(٢) تولدك، Syrische Polemik gegen die persische Religion، ص ٣٥ وما بعدها .
(٣) بونيو H. Pognon ، Inscriptions mandaites des coupes de Khouabir ، (باريس ١٨٩٩) ، ص ١٠٥ - ٢٣٢ ، كيمون : Recherches sur le manichéisme ، (باريس ١٩٠٨) ، ص ١ - ٨٠ ، بنقشت في MO ، ١٩٣٢ ، ص ٢١٥ - ١٧٠ .

(٤) كيمون F. Cumont ، Recherches sur le manichéisme ، (بروكسل ١٩٠٨) ، ص ٨٣ - ١٧٢ .

(٥) بيل S. Beal ، Buddhist Records of Western World ، مترجم عن الصينية هيون تسيانج Hieun Tsiang (٢) ، (لندن ١٩٠٦) ، ص ٢٧٧ - ٧٩ ؛ وقارن شيدر H. H. Schedae (Abh. d. Ges. Wiss. Zn. Göttingen, phil.hist. Klasse) ، ١٩٣٤ Iranica ، ص ٥٤ .

وقد نظم نولدكه Noeldeke تواريخ سنى الملوك الساسانيين ، وفقاً للمراجع الشرقية والغربية ، وما ضرب على النقود وذلك فى ملحق لكتابه تاريخ الفرس والعرب "Geschichte der Perser und Araber" (ص ٤٠٠ وما بعدها) .
وقد صور الكاتب بعد هذا الملحق ، شجرة نسب الأسرة الساسانية . وقد استطاع هرتسفيلد أن يدخل عليها بعض التصحيحات ، وذلك وفقاً للمعلومات التى استقاها من نقوش بايكولى (١) .

(١) هرتسفيلد ، بيكولى ، ص ٥١ .

الفصل الأول

قيام الدولة الساسانية

فارس أيام السلوكيين والأشكانيين ، والبزرجيين وأسمرة ساسان .
ثورة بابك وأبنائه . فتوح أردشير وسقوط الدولة الأشكانية . نقش
تنوبج أردشير . مدينة اصطخر . قصر وبيت نار في فيروز آباد . إمارة
الحيرة وإمارة الفساسنة . شخصية أردشير . أردشير في التاريخ الخرافي .

صرف تاريخ فارس (Perse أو Perside) أيام السلوكيين والأشكانيين معرفة
مؤيلة جداً ونحن نعرف من النقود التي اكتشفت في فارس (١) أسماء بعض الملوك ،
ولكننا لانستطيع أن نحدد بدقة تتابع عهودهم . وقد سجل بعض هؤلاء الملوك أسماء الملوك
القدماء الهخامنشيين ، (ارتخشتر Artakhashater ارتا كزرسس Artaxerxe ،
دارياو Daryav = داريوس Darius) وسجل بعضهم الآخر أسماء من الخرافات
الدينية الأكثر قدماً (منوچتر مأخوذ من منوش جيترا ، الملك الخرافي الذي تشير
إليه يشنات الأوستا) . وتشهد الأسماء والصور التي على النقود بالإخلاص الذي
حافظت به هذه الولاية على التقاليد القديمة ، هذه الولاية التي نعت منها ، من قبل ،
الإمبراطورية الهخامنشية العظيمة .

ويبدو أن حلقة أولى من الأمراء تضم أربعة منهم قد حكمت أيام السلوكيين (في

(١) ليفي Levy ، ZDMG (٢١) ، ص ٤٣٠ وما بعدها ، مورتلمان Mordtmann في
Zeitschrift f. Numismatik (٤) ، ص ١٥٢ وما بعدها ؛ والجزء (٧) ، ص ٤٠ وما
بعدها . جوتشميد Gutschmid : Geschichte Irans ، ص ١٥٧ وما بعدها ، جوستي
GIPh في Justil ، (٢) ، ص ٨٦ وما بعدها ؛ ألوت دي لافوي Etude sur la
numismatique de la Perside ، JA ١٩٠٦ ، ص ٥٧٧ وما بعدها ؛ مورجان :
Comptes-rendus des Séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres ،
١٩٢٠ ، ص ١٣٤ وما بعدها ؛ هيل Catalogue of Greek coins of Arabia
Mesopotamia and Persia لندن ١٩٢٢ ، هرتسفيلد Palkuti ، ص ٦٨ وما بعدها .

القرن الثالث ق . م .) وهم يحملون لقب فرتركا Frataraka أو الحاكم^(١) . ويرى على نقودهم ، التي عليها نقوش بالحروف الآرامية صورة الملك منقوشة على وجهه وعلى الوجه الآخر الملك جالساً على العرش ، ناظراً إلى علم يشبه العلم الذي نجده في نقش الإسكندر المشهور^(٢) ، أو واقفاً أمام معبد أو بيت نار وبجواره العلم المذكور . وفي بعض نقود وانفرادات الأول Vat fradat نرى هرمزد يخلق فوق المعبد ، وأحد الفرتركات ، وهو بورز Vahuburz الذي قد يكون هو ابروزس نفسه Obrozoz الذي أمر بقتل الحامية المقدونية في فارس^(٣) (القرن الثالث ق . م .) . ويظهر المعبد والعلم ، وحمالة (نسر ؟) قد جعلت فوق العلم ، وذلك في نقود الأميرين اللذين حكما في القرن الثاني ق . م . واللذين يكونان الحلقة الثانية . ويحملان ، كسلك الأمراء التاليين لهما ، لقب ملك (شاه)^(٤) . وسك ملوك الحلقة الثالثة الثلاث (القرن الأول ق . م .) نقوداً يُرى على ظهرها الملك متعبداً أمام معبد صغير متنقل . وعلى ظهر نقود الحلقة الرابعة (فيما بين القرن الأول ق . م . والقرن الثالث الميلادي) بوجه عام ، صورة الملك وقد مديده اليمنى وأمامه الهلال ونجمة . وتبين القوضى التي سادت إقليم فارس في أول القرن الثالث الميلادي مدى الاضمحلال الذي هوت إليه قوة الأشكانيين في ذلك الوقت^(٥) . ويبدو أن كل بلد ذي أهمية قليلة كان له مليكه الخاص . وكان أهم هذه الإمارات إمارة مدينة اصطخر عاصمة ملوك فارس

(١) هكذا يقرأ اندرياس Andreas الكلمة "Frataraka" ؟ "جى" وبثفتست Grammaire

du Vieux-Perse. Meillet-Beaureniste ص ١٥٩ . ويرأها هرتسفلد "fratadara" .

(٢) انظر الفصل العاشر من هذا الكتاب فيما يتعلق بدرفش گاوین .

(٣) جوتشميد Gutschmid (١) ، ٢ ، ص ٢٨ ؟ هرتسفلد ، Paikuli .

(٤) كان للفرس ملوكهم خاصة ، ولكن هؤلاء كانوا بلا حول ولا قوة فقد كانوا

تابعين للملوك الپرت (سترابون ، (١٥) ، ٣ — ٣ و ٣ — ٢٤) .

(٥) كان على ولباس الرابع أن يخمد ثورة خطيرة في فارس حوالى سنة ١٩٦ . انظر

العبارة التي جاءت في التاريخ الديني لأديابين (Chronique d'Arbèle) والتي ترجمها

سركارت Markwart في Catalogue of the Provincial Capitals of Eransahr

طبعة مسينا Messina ، ص ٩٢ — ٩٣ .

القدماء . وقد كانت في ذلك الوقت في يد جوتچهر Gotchilhr الذى هو من أسرة
البرزنجيين ويحتمل أن يكون من نسل جوتچهر ، الذى عاش في القرن الأول
الميلادى والذى قتل أخاه ارتخشتر Artakhshatr ^(١) . ولكن كانت هناك أسرات
صغيرة في جوبانان Gopanan في ناحية دارابجرد ، وفي كونس Konus ^(٢) ولروير
Lurvir ^(٣) . وضبط أسماء هذه النواحي التي ذكرها الطبرى غير يسير ^(٢) ، ولكنه
في هذه الفقرة قد نقل عن مصادر وثيقة . وقد عُيِّن ساسان ، وهو رجل من عائلة
نبيلة ، متزوج من فتاة من بيت البارزنجيين ^(٣) ، سادنا لبیت نار أنا هيد (أنا هيتا)
في اصطخر . وقد استفاد ابنه بابگ ، الذى خلفه في وظيفته ، من صلته ببيت
البارزنجيين فنصب واحدا من أولاده الصغار ، اردشير (ارتخشتر Artakhshatr)
في الوظيفة العسكرية الكبرى ^(٤) ، أرگبد على مدينة دارابجرد . وابتداء من سنة
٢١٢ أو حوالي هذا التاريخ أصبح أردشير سيداً على كثير من مدن هذا الإقليم
وذلك بغلبة أو قتله لحكامها ، بينما نار بابگ على قريه الملك جوتچهر ، ودعمه في مقره
في « القصر الأبيض » ^(٥) ثم قتله وولى مكانه .

والظاهر أن أردشير قد تطلع إلى ارتقاء عرش فارس ، ومن المحتمل أن يكون
بابگ قد كتب للملك أردوان الخامس يستأذنه في أن يضع تاج جوتچهر على رأس
ولده الأكبر سابور ، لكن يحبط خطط ولده الطموح أردشير . وقد أجابه الملك
الكبير بأنه يعتبر بابگ ثائراً وكذلك ابنه أردشير ، وقد مات بابگ بعد ذلك بقليل ،
فارتقى ولده سابور عرش فارس . واشتعلت الحرب بينه وبين أخيه أردشير ، ولكن
سابور توفي فجأة ، أصابته ، كما جاء في التاريخ ، مدرّة من بناء متهدم ، كان قد اتخذ

(١) انظر جوستي Justi ، Nemenbuch ، مادة Gaocitra .

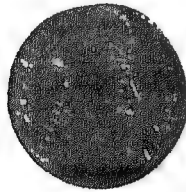
(٢) طبعة دى جويه De Geoje ، ص ٨١٥ ؛ تولدك ، ص ٦ .

(٣) رام ومشت Ramvahisht كما يقول الطبرى ، أما البلعمى فيقول منهشه
Minahshabh.

(٤) أما عن نسب أردشير فإن القصة الخاصة به (كارنامك ، فارن اجاثياس)
Agathias تختلف عن خدائنا مك وعن نقوش أردشير وولده سابور .

(٥) مدينة لسا شمال شيراز .

مركزاً لقيادته وهو يسير ناحية دارابجرد . وأما أخوة أردشير الآخرون فقد منحوه التاج قبله ولكنه قتلهم بعد ذلك ، خشية أن يحونوه . وبعد أن أخذ أردشير ثورة في دارابجرد عمل على تثبيت سلطانه بغزوه إقليم كرمان المجاور ، وقد أسر ملكه ولجش Valgash ، كما غزا سواحل الخليج الفارسي وكان يحكمها ملك يعبد الناس إلها فسقط بسيف الغازي . فلما أصبح سيداً لإقليم فارس كله ولكرمان التي هي حده الجغرافي ، أمر ببناء قصر ومعبد نار في گور (فيروز آباد) ، ونصب ابنه له ، اسمه أردشير أيضاً ، حاكماً على كرمان .



ب



ا

١ . نقود عليها صورة أردشير الأول ، اليمنى من الطراز الأشكاني واليسرى من طراز أحدث . (متحف كوبنهاجن)

وأخيراً شبت الحرب بين المعتصب وكبير ملوك الأشكانيين . وقد أمر أردوان ملك الأهواز (Susiane) أن يذهب لقتال أردشير وأن يحمله مصفداً في الأغلال إلى المدائن . ولكن أردشير نفسه بعد أن هزم الملك « شادشاپور » ملك إصفهان وقتله ، انجه لقتال ملك الأهواز فغلبه في معركة حاسمة واستولى على ولايته . ثم أخضع ولاية ميسان Mésène الصغيرة عند مصب دجلة في الخليج الفارسي ، وكان يحكمها وقتذاك العرب الوافدون من عمان ، سابقين في ذلك القبائل العربية التي وفدت فاستقرت في الحيرة غربي الفرات في نفس الوقت الذي قامت فيه الدولة الساسانية . وأخيراً نشبت معركة بين جيش أردشير وجيش الأشكانيين الذي قاده الملك الملوك نفسه ، في وادي هرمزدجان ، الذي لا يتيسر تحديد موقعه الجغرافي ، وسقط أردوان قتيلاً بيد أردشير ، حسب الرواية الساسانية التي تضيف أن أردشير قد وطىء بقدمه رأس الملك الأعظم ، وهو عمل وحشي يحتمل أن يكون خرافة ، وقد يرجع أصله إلى صورة التتويج في نقش رستم (انظر فيما بعد) . وبعد هذه الواقعة ، التي حدثت

في ٢٨ أبريل ٢٣٤^(١)، دخل أردشير المدائن دخول الظافر معتبراً نفسه وارث الأشكانيين^(٢). وقد أخضع بابل لطاعته وكان ملكها ولجاس الخامس Volgase قد عزله أخوه أردوان عنها قبل بضعة سنوات، فأعيد إلى ملكه بعد موت أخيه. وتقول الروايات إن أردشير (الشكل ١) تزوج سيدة من أسرة الأشكانيين^(٣) هي بنت أردوان أو ابنة عمه^(٤) أو ابنة أخت فروخان Farrukhan ابن أردوان^(٥) وكلام كتاب العرب بشأن هذا الزواج مملوء بالخرافات. ولكن هرتسفيلد يعتقد في أن هذا الزواج حقيقة تاريخية إذ أن أردشير أراد أن يكسب أسرته شرعية الملك فصاهر بيت الأشكانيين^(٦). ولكن أرتاب في هذه الصلة لسبيين: أولهما التباين بين الروايات في قرابة الزوجة بأردوان، والثاني لأن الإشارة إلى هذا الزواج في الكتب العربية والفارسية قد قصد بها إلى إثبات أن أم سابور بن أردشير كانت سيدة من البيت القديم (الأشكاني) فاعتبر لهذا وارثاً شرعياً للأشكانيين ولكن سابور كان بالغاً قبل أن يغزو والده الإمبراطورية، وهذا يمكن استخلاصه من رواية الطبري إن سابور قد شارك في موقعة هر مزدجان (الطبري ص ٨١٩؛ ونولديك ص ١٤). وهذه الرواية ترتقي غالباً إلى الحدائنامة، بينما قصة زواج أردشير بالسيدة الأشكانية وولادة سابور من هذا الزواج التي ذكرها الطبري في تاريخ سابور^(٧) قد أخذت من بعض الخرافات الشعبية^(٨).

(١) حسب رواية نولديك، الطبري، ص ٤١١.

(٢) الطبري، ص ٨١٣ وما بعدها؛ نولديك، ص ١ وما بعدها؛ جوتشميد،

Gutschmid Gesch. Irans ص ١٥٩ — ١٦٣.

(٣) الطبري، ص ٨٢٣، نولديك، ص ٢٦؛ فارسنامه، ص ٥٩.

(٤) نهاية، برون، ص ٢١٨.

(٥) دين كرد، ص ٤٤.

(٦) بيكولي، ص ٤٠.

(٧) انظر AO، (١٠)، ص ٤٤ — ٤٥.

(٨) يعتقد هرتسفيلد أن القصة الملهوية، كارنامك، قد احتفظت بذكرى تاريخية حين تروى أن أردشير قد نشأ في بلاط أردوان؛ وهو يفترض أن الفتى قد تزوج ابنة الملك الكبير وأن سابور ولد من هذا الزواج، بعده بقليل. ولكن كارنامك، تتفق مع جميع المصادر الأخرى، في أن زواج أردشير من الأميرة الأشكانية كان بعد وفاة أردوان.

وفي السنين التالية ، أخضع أردشير ميديا ومعها همدان ، وبعد أن حاصر عبثا ،
المدينة الحصينة الحضر Hatra هاجم آذريجان وأرمينية ، ويبدو أنه لم يفلح في غزو
هذا الإقليم أولا ولكنه تمكن منه أخيراً . وقد مد سلطانه على الأقاليم الشرقية
وذلك بإخضاعه سجستان ، وإقليم أبهر شهر (خراسان الحالية) والمرج Margiane
وخوارزم وبقطريان Bactriane (عاصمة بلخ) . وقد روى الطبري ، ويؤيد
هرتسفيلد صحة هذه الرواية^(١) ، أن ملك الكوشيين Kūshāns الذي احتفظ بوادي
كابل والبنجاب ، وملكي توران ومكران (حالياً مقاطعة قصدار Quzder جنوبي
كتا (قطر ؟) Quetta ومكران على شاطئ خليج عمان والمحيط الهندي) قد
أرسلوا سفراءهم لأردشير معترفين بسيادته . وإذا فقد وسع ملكه إيران الحالية
وأفغانستان وبلوخستان وإقليم واحات مرو وخيوه حتى جيحون شمالا وبابل والعراق
غربا . وقد حمل أفراد الأسرة المالكة الذين توارثوا حكم خراسان (ولاية الشرق)
لقب « ملوك الكوشيين » (كوشان شاه) .

ومن المحتمل أن يكون أردشير قد توج رسميا ملكا للوك إيران (شاهنشاه)
بعد استيلائه على العاصمة زمن قليل . ولا نعرف أين تم الاحتفال بهذا التتويج ،
ولكن من المحتمل كما يقول سار Sarre^(٢) أن يكون مؤسس الأسرة الساسانية
قد توج في الإقليم الذي هو مسقط رأس أسرته وقد يكون الاحتفال بذلك قد تم
في بيت نار أناهيد (Anahita) باصطخر حيث كان جده كبير الموازنة ، وحيث
توج آخر ملوك الساسانيين بعد أربعمئة سنة ، أو أنه تم في كهف نقش رجب الذي
يقع على مسافة قصيرة من اصطخر ، حيث خلد أردشير نفسه ولده سابور ارتقاءها
العرش بنقوش على الصخر .

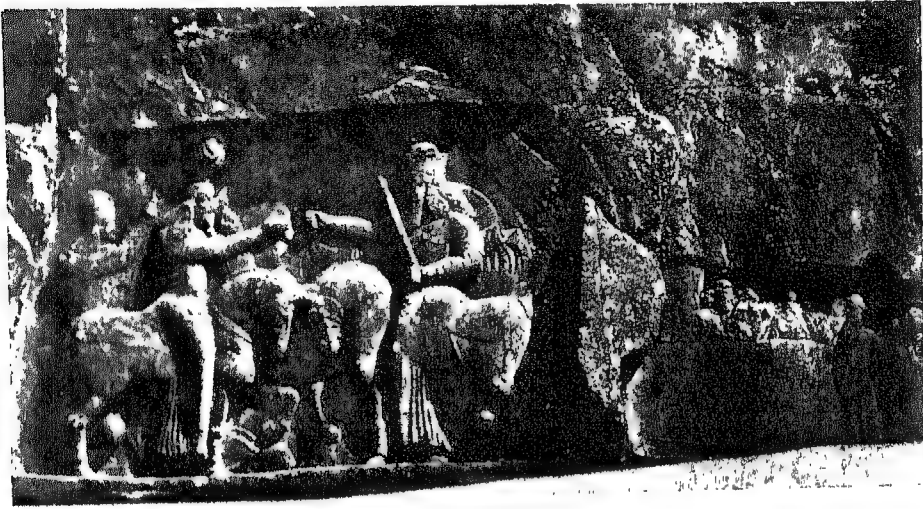
وهناك نقشان يمثلان منظر التتويج المقدس لأردشير ، أحدهما في « نقش رجب »
والثاني على الصخر الوعر من « نقش رستم » بجوار مقابر الهخامنشيين . ويقول

(١) بيكولي ، ص ٦٣ وما بعدها ، وقارن ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٢) سار — هرتسفيلد ، Iran. Felsreliefs ، ص ٩٨ .

سار Sarre إن نقش رجب أقدمهما . وهذا النقش لم يحفظ من التلف ، فكثير من تفاصيله غير معروف ، نتيجة تآكل الصخر . وقد ظهر الإله أو هرمزد ويده اليمنى خاتم الملك وفي يسراه الصولجان ، وهو يقدم الشعارين الملك أثناء تناوله الخاتم يميناه وقد رفع يده اليسرى بشكل ينم عن الخشوع ، وسبابته تشير إلى الأمام . وعلى رأس الإله التاج العالي ، وقد ظهر الملك على الهيئة التي يبدو بها على المسكوكات منذ أول عهده ، بلحيته الطويلة المربعة ، وبشعره القصير . وقد قام أوهرمزد والملك وكذلك بقية الشخصيات الظاهرة في النقش ، وقد ميز سار Sarre وجود طفلين بينهما .

وقد وقف خلف الملك عبد يمسك بالمذبة عالية فوق رأس سيده . ورفع عظيم ذو الحية يده اليمنى في خشوع على النحو المتقدم . وخلف أوهرمزد صورتان يمثلان أنهما لسيدتين ، وقفنا بعيداً تحت مظلة وقد أوليا الإله ظهرهما . ويرى سار Sarre فيها نساء من البيت الملكي يحيان الملك على انفراد في القصر أو في بيت النار (١) .



٢ . نقش إرزنصيب أردشير (١) في نقش رستم
(ديولافوا . فن فارس القديم)

(١) سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، ص ٩٤ وما بعدها ، واللوحة ١٢ ؛
ديولافوا ، (٥) لوحة ١٧ ، العليا .

ونقش رستم أحسن حالا من حيث الحفظ (الشكل الثانى) وفيه نرى الإله والملك وقد امتطيا جوادين . والجوادان صغيران جداً بالنسبة للراكبين : وقد تقدم كل منهما نحو الآخر مع رفع الرجل الأمامية . وكما يرى فى النقش السابق ، يمسك أو هرمزد فى يسراه الصولجان ، ماداً يمناه بخاتم الملك اللزى بشرط مثنى إلى الملك فيتناوله بيده اليمنى ، رافعاً يسراه ، والسبابة تشير إلى الأمام ، علامة النجلة . وقد لبس أردشير على رأسه خوذة مستديرة تعلق بها عذبة ، وقد استطلات الخوذة من أعلى متخذة هيئة كرة ، وقد غطيت بقماش رقيق ، وهذه زينة خاصة تظهر دائماً فى صور ملوك الساسانيين فيما بعد ، فى نقوشهم وتقودهم ما عدا بعض قطع ترجع إلى العهد الأول من عصر أردشير الأول ، حيث لبس الملك التاج العالى الذى كان يلبسه الملوك الپرتيون . وقد صنف شعر أردشير الطويل حلقات منتظمة ، وكان متموجاً فوق كتفيه . وقد شد طرف لحيته المديبة بحلقة ضيقة خرجت من تحتها خصلة من الشعر . وقد زين الملك بعقد من اللؤلؤ ولبس رداء ذا كمين ملتصقاً بجسمه . وقد تدلت فوق ظهره أشرطة عريضة مثناة مثبتة فى الخوذة . ولبس أو هرمزد تاجاً عالياً يظهر منه الشعر المجمد فوق قمة الرأس . وقد أكسبته حلقات شعر لحيته المستديرة وذقنه الطويلة المربعة هيئة بالغة فى القدم ، ومن ناحية أخرى فإن ملابسه تنكاد تكون كملابس الملك ، فهو مثله يلبس أشرطة متدلية تتصل بالتاج ، وعدة الحصانين واحدة ، إلا أن الألواح المثبتة فى سرج حصان الملك مزينة بصور رؤوس السباع ، بينما هى فى حصان الإله مزدانة برسم بالورود ، وبين قدى كل من الحصانين كرة ضخمة خفيفة على هيئة الكهثرى وقد تدلت من جانب كل منهما بسلاسل . وهذه خاصية نجدها فى عدة الخيل فى النقوش الساسانية . وقد وقف خلف الملك خصى على رأسه قلنسوة عالية من اللبد عليها علامة مميزة ، وقد رفع المذبة . وتحت أقدام حصان الملك رجل اقترش الثرى يلبس على رأسه خوذة . ومن المحتمل جداً أن يكون هذا الرجل أردوان الذى هزمه أردشير ثم قتله . وتحت حصان الإله صورة لآدمى عار فيما يظهر وقد تشقت شعر رأسه وشعر لحيته ، وتبدو من ثنايا حلقات شعره رؤوس الثعابين ، لعله أهر من ، إله الشر ، أو شيطان آخر قد صرخته سنابك

حصان أو هرمزد . وعلى حصان الملك نقش باللغات الإغريقية والهلوية الأشكانية والهلوية الساسانية يبين أن الفارس عابد مزده أردشير المقدس شاهنشاه إيران الذي هو من أصل قدسي ، ابن يابك الملك ، وكذلك عُرِفَ الإله على هذه الطريقة بنقش بهذه اللغات ، على أنه الإله أو هرمزد (زيوس Zeus في الإغريقية)^(١) .

وكان للملوك الساسانيين الأول ولع طبيعي بإقليم فارس الذي هو مسقط رأسهم ولذا اتخذ أردشير وخلفاؤه الجهة الصخرية في ضواحي اصطخر لكي ينقشوا آثارهم . ولاشك أنه يضاف إلى حبهم لوطنهم الأصلي سبب آخر هو الذكرى العامة لإمبراطورية ملوك الهخامنشيين الذين حفرت مقابرهم الأثرية في صخور « نقش رستم »^(٢) . ومدينة اصطخر الحصينة المسورة التي خلفت مدينة پرسپوليس Persépolis القديمة ، التي تذكر خرائطها المهيبة بالمجد القابر ، أصبحت المدينة المقدسة في التاريخ الساساني^(٣) . ومن المحتمل أن الملك العظيم مؤسس الأسرة الساسانية كان يقيم أحياناً

(١) ديولافوا Dieulafoy ، (٥) ، لوحة ١٤٤ سار — هرتسفيلد Felsreliefs ، ص ٦٧ وما بعدها واللوحة ٥ ؛ وقد جاءت النقوش في كتاب هرتسفيلد ، بيكولى ص ٨٤ وما بعدها — وهناك نقش بارز على جانب جبل قريب من سالماس Salmas في أذربيجان ، ويعتبر بوجه عام تابجا لمصر أردشير وفيه يرى رجلان على فرسين ، وقد اتشعا بالكساء الملكي الساساني ذى الأشرطة المتموجة ، وعلى غطاء رأسيهما الكرة من النسيج ، وأيديهما على السيفين . والفارس الأسير ملتج ويبدو أنه أكبر سناً من الفارس الأيمن الذي يظهر أنه أجرد . وأمام كل من الفارسين رجل متجه نحوه . ويعتقد ليان هويت Lehmann-Haupt أنه يميز آثاراً بالغة في الأندثار لنقش بهلوى تحت واحد من الراجلين . ويرى سار Sarre ، وقد ذكر رأيه ليان ، أن النقش قد يمثل أردشير الأول وولده سابور وحما يتلقيان النجاة من الأرمن . انظر جاكسون Persia, Past and Present ، Jackson ، ص ٨٠ وما بعدها ؛ ليان — هويت ، (١) ، ص ٣١٦ وما بعدها و ٥٣٥ ؛ هرتسفيلد بيكولى ، ص ٣٧ .

(٢) إن المعلومات القليلة عن العهد الهخامنشي التي حفظتها الأساطير الوطنية تبين أن التفاصيل التاريخية لهذا العهد قد نسيت منذ زمن طويل . انظر كريستنسن ، Chistensen ، Les Kayanides ، ص ١٤٦ وما بعدها .

(٣) أنظر عن اصطخر شورز Iran im Mittelalter : P. Schwarz ، (١) ، ص ١٣ وما بعدها ، طبعة ليزج ١٨٩٦ . وفي رواية الكتاب الهلوى شهر ستانهای ایرانشهر ، ص ٤١ ، أن هذه المدينة بناها ملك أشكاني اسمه أردوان . وينسب المؤرخون العرب والفرس بناءها للملوك مختلفين من التاريخ الخرافي . انظر أيضاً ماركارت Catalogue of the Prov. Capitals of Eranshahr ، ص ٩١ وما بعدها .

في مدينة گور (فيروز آباد) التي تقع ناحية الجنوب ، والتي تحيط بها حدائق الورد والبساتين وقد أطلق عليها أردشير الاسم الجديد ، أردشير خرة ، (مجد أردشير) ، وقد شيد بها قصرًا أيام شبابه ولا تزال آثار هذا القصر باقية حتى اليوم (صورة ٣) وهو من أوائل العمارات ذوات القباب في إيران ، فردهته وأبهاؤه الجانبية مغطاة كلها بالطيقان ، والحوائط الخارجية كانت من غير منافذ ولكن بها نقوش بارزة بشكل عقود وعمد^(١). وقد بنى أردشير في المدينة بيت نار ، بقيت آثار منه أيضًا .



٣ . قصر فيروز آباد
(ديولافوا . فن فارس القديم)

وبعد مضي خمسة قرون على سقوط الدولة الهخامنشية أعاد الفرس سلطانهم على شعوب إيران وقامت في الشرق دولة جديدة سادت على قدم المساواة مع الإمبراطورية الرومانية . وكانت المدينة الساسانية استمرارا لمدينة الأشكانيين وكانت في الوقت

(١) هرتسفيلد في Iran Felsreliefs ، ص ١٢٨ وما بعدها ، و ZDMG ، ١٩٢٦ ،
ص ٢٥٤ . وقدر ديولافوا Dieulafoy في L'Art Antique de la Perse ج ٤ ، ص ٤
وما بعدها أن قصر فيروز آباد قصر أكمني ، وهذا خطأ .

نفسه تجديدًا وتكملة لها . وتظهر محافظة الساسانيين على سُنن الأشكانيين في اللغة ، فإن لهجة إقليم فارس ، وهي الإيرانية السائدة في القسم الجنوبي الغربي ، وقد صارت اللغة الرسمية للدولة الجديدة بدلا من اللهجة الإيرانية في القسم الشمالي الغربي التي كانت لغة الأشكانيين . قد استعارت من هذه اللهجة كثيرا من الكلمات المستعملة في نواح شتى في المدينة^(١) . وعلاوة على هذا استخدم ملوك الساسانيين في القرون الثالث الميلادي في نقوشهم اللغة البهلوية الأشكانية مع اللغة البهلوية الساسانية .

ولكن إقليم فارس وعاصمته اصطخر لم يعودا صالحين لإقامة الشاهنشاه ، فقد صارت بلاد ما بين النهرين المركز الرئيسى للإمبراطورية الشرقية تبعاً لضرورة التطور التاريخي ، وانتقل دور بابل السياسى إلى سلوقية — طيسفون كما كان لزاما أن ينتقل منها إلى بغداد بعد ذلك . ولكن دولة الغرب الكبيرة كانت على أبواب العاصمة . وكانت مدينة طيسفون (المدائن) خارج الأراضى الإيرانية بالمعنى الحقيقي ، الأقاليم الآرامية ، وكانت البلاد العربية تبدأ قرية من أسوار ويه أردشير (سلوقيا الجديدة التي أسسها أردشير مكان سلوقية القديمة التي خربها القائد الرومانى أفديوس كاسيوس Avidius Cassius في سنة ١٦٥ م) . وقد نشأت إمارة عربية جديدة ، الحيرة ، في حوالى هذا الوقت وراء نهر الفرات عند منعطفه نحو دجلة واقتربه منه على مسافة خمسين كيلو مترا تقريبا ، وهي إمارة تابعة للدولة الساسانية ، وكانت حصن الملك حيال العرب الرحل^(٢) . وفي شمال الجزيرة الشامية وجدت مملكة عربية أخرى هي إمارة الغساسنة وكانت تابعة وحليفة للرومان^(٣) .

والصادر التي بأيدينا لا تمكننا من تعرف شخصية أردشير بدقة . فإن المؤرخين الشرقيين ليسوا مهرة في تصوير نواحي الأخلاق . هم يصفون الصور أكثر مما يصفون الخلق . والصور التي ذكروها للملوك الساسانيين الذين كانوا محبيين إلى المؤرخين والذين سنوا التقاليد التي نقلت إلينا عن طريق الكتاب العرب والفرس ، تشمل

(١) انظر ص ٣٣ قبل ذلك .

(٢) رودشتين ، Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira ، براين ١٨٩٩ ؛

أوليندر ، The Kings of Kinda ، لندن ، ١٩٢٧ .

(٣) نولكه ، Die Ghassânischen Fürsten aus dem Hause Gafua's ،

في أعيننا على أنهم ملوك من ذوى الفضيلة الأتقياء ، المملوئين غيرة على التقدم المادى والروحى للدولة ، وتنقل عنهم النصائح والحكم . وعلى هذا الطراز قدمت صورة أردشير مزودة بالحكم والأمثال . وكذلك يشيد عمل هذا الملك بجدارته الحرية وبقوة روحه ، وبآرائه السياسية السديدة . وهى شهادة أيضاً على ما كان يعوزه من الوجدان وما كان يبيده من عدم المبالاة بأرواح الناس . وفى سنوات قليلة ، جمع بيد قوية ، الأجزاء المتفككة لمملكة الپرت وجعلها وحدة قوية متماسكة ، ومدة نفوذه على الأقاليم الشرقية التى لم تكن معترفة بسيادة الأشكانيين ، وخلق أداة سياسية ودينية ظلت أكثر من أربعمئة سنة . ومن المميزات التى تذكرها النصوص الشرقية فى أوصاف الملوك الطيبين إنشاء المدن والمعابد وحفر الترع وغيرها من المنشآت ذات النفع العام . وقد كان أردشير عاملاً فى هذه الناحية . نعرف ذلك من روايات المؤرخين ؛ وتشهد به سلسلة المدن التى يقرن إسمها باسم أردشير : مدينة سلوقية التى أعيد بناؤها وسميت وبه أردشير ، وأردشير خره Khvarreh ، وربو أردشير ، ورام أردشير ، هذه الثلاث فى إقليم فارس ، ومدينة هرمزد — أردشير التى سميت فيما بعد سوق الأهواز فى خوزستان ، ومدينة ميسان القديمة (كرخاميشان) التى أعيد بناؤها باسم استراباد — أردشير ثم باسم وهشتاباد — أردشير ثم أعيدت فى أوائل العهد الإسلامى باسم البصرة ، وغيرها^(١).

وقد وضعت الخرافات ، على مر الزمان ، إكليلاً حول رأس مؤسس الأسرة . وفى القصة الصغيرة السماة كارنامك أردشير بابيگان^(٢) التى تتضمن أقوال وأفعال أردشير نجد سلسلة من القصص تمت إلى قصة كيروس (كورش) الكبير^(٣) ويقوم أردشير مقام مردك ، إله إقليم بابل القديم ، بوصفه قاتلاً للثنين . فقد قتل مردك الاثنين رتيامت بأن أدخل فى حلقة ريثماً صرصراً عاتية ، وكذلك صب أردشير المعدن المذاب فى حلق الاثنين هفتان بوخت ، فهلك فوراً بصورة مفعجة .

(١) الطبرى ، ص ٨٢٠ ، تولدكه ، ص ١٩ وما بعدها ؛ شيدر ، Hasan al Basri ،

(١٤) ، ص ٣١ .

(٢) انقارص ٤٤ .

(٣) جوتشميد ، ZDMG ، جز ٣٤ ، ص ٥٨٦ وما بعدها .

الفصل الثاني

تنظيم الدولة

خصائص الدولة الساسانية . طبقات الشعب الاجتماعية والسياسية . الإدارة المركزية . كبير الوزراء ، رجال الدين . المالية . الصناعة والتجارة والمواصلات الجيش . موظفو الدولة . إدارة الأقاليم

لم يقدر كتاب الرومان التغير الذي أحدثه قيام الدولة الجديدة حق قدره . فيشير كل من ديون Dion وهرودين Herodion في كلمات قليلة إلى ما أحرز أردشير من نصر على أردوان . وقد رأى الرومان أن الدولة الجديدة أكثر قوة من الدولة القديمة وأنها لذلك ، أكثر خطراً على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية ، ولكنهم لم يروا أن الدولة الجديدة كانت تختلف اختلافاً تاماً عن الدولة التي أدل منها ، أو بعبارة أخرى أنها تكون الخطوة الأخيرة لتطور بعيد المدى ، هيء تحت السطح الخليئ للإمبراطورية الأشكانية ضعيفة العرى . فإن النظم الإيرانية قد نبذت بعض عناصر المدنية اليونانية وامتصت البعض الآخر . وفي اللحظة التي أقيمت مقاليد الأمور فيها بيد أردشير وبدأت الدولة الإيرانية تظهر وحدة وطنية ظهر طابعها الخاص بالتدرج في نواحي الحياة العقلية والاجتماعية .

فلم يكن تغير الأسرة الحاكمة حادثاً سياسياً فحسب ولكنه يمتاز بظهور روح جديدة في الدولة الإيرانية . والطابعان المميزان لنظام الدولة الساسانية هما : تركيز قوى السلطان والثاني إتخاذ دين رسمي للدولة . وإن يكن في الميز الأول رجوع إلى التقاليد التي سادت أيام داريوس ، فقد كان الثاني تجديداً ، ولكنه تكملة لتطور بطيء ، كما كان الحال بعد ذلك بثلاثة عشر قرناً حين تكون المذهب الشيعي الرسمي في الإسلام .

وقد لقيت أحوال الحياة العامة والتنظيم الإداري للدولة الساسانية تمييزاً مختلفاً

في القرون الأربعة التي دامت فيها الإمبراطورية التي أسسها أردشير^(١)، ولكن الهيكل الاجتماعي والإداري الذي أنشأه أو أكمله مؤسس الأسرة الساسانية قد بقي حتى نهايتها في الأمور الكبرى .

وتذكر الأوستا الحديثة ثلاث طبقات : طبقة رجال الدين (آثروان Athravan) وطبقة رجال الحرب (راثااستر Rathaestar) وطبقة الزراع (واستريوفشويانت Vastryofsouyant)^(٢) . وهذا تقسيم إداري يسمو إلى الزمن الغابر . وتشير فقرة واحدة (يسنا - ١٩ - ١٧) إلى طبقة رابعة هي طبقة الصناع (هويق Huité) . ثم نجد في أيام الساسانيين تقسيماً جديداً إلى أربع طبقات . فقد أصبح الكتاب (ديهيران = ديران) الطبقة الثالثة . وكون الصناع والزراع الطبقة الرابعة . وهكذا كان التقسيم الاجتماعي متمشياً مع الوضع السياسي .

فكان هناك الطبقات الأربع الآتية أيام الساسانيين ١ — طبقة رجال الدين (آثروان) ، ٢ — طبقة رجال الحرب (إرتشتاران) ، ٣ — طبقة الكتاب ، كتاب الدواوين ، (ديران) ، ٤ — طبقة الشعب (الفلاحين — وستريوشان — والصناع — هو تخشان)^(٣) .

(١) سنصف تفاصيل هذه التغيرات حسب علاقتها مع الحوادث السياسية .

(٢) انظر بنفست : Les Classes Sociales dans la Tradition Avestique

JA ، ١٩٣٢ ، ص ١١٧ وما بعدها .

(٣) Lettre de Tansar ، دارمستتر Darmesteter ، ص ٢١٤ و ١٧٥ — ٥١٨ ،

مينوي ، ص ١٢ . ويتساءل دارمستتر ، ولا حق له ، أليست تسمية الكتاب (ديران) طبقة ثالثة لها من عند المترجم (العربي أو الفارسي) . والسألة مؤكدة أولاً بفقرة أخرى من الكتاب (دارمستتر ص ٢١٥ و ٥٢٠ ؛ مينوي ، ص ١٤) ، حيث قيل إن رجلاً من أهل الطبقة الرابعة يستطيع استثناء أن يرقى إلى طبقة أعلى إذا امتاز بالخلق الطيب والتقوى (طابع رجال الدين) ، أو بالقوة والشجاعة (طابع رجال الحرب) ، أو بالجدارة والذاكرة والذكاء ومي الصفات التي تتطلب في المستخدمين (الكتاب) قبل أهل الفلاحة . وهذا إذا يتفق وما كان جارياً في المدة قبل قياد الأول وكسرى الأول ، من أن اختبار الملك كان في يد كبير الموازنة وكبير رجال الجيش وكبير الكتاب ، أي في يد رؤساء الطبقات الثلاث الأولى . (دارمستتر ص ٢٣٩ وما بعدها و ٥٤٣ وما بعدها ؛ مينوي ، ص ٣٨ وما بعدها . ونقول أخيراً إن السعودي يعده مراتب الفرس العظمى (التنبيه ص ١٠٣) فيذكر بجانب ال =

وقد قسمت كل طبقة إلى عدة أقسام ، فرجال الدين منهم الحكام (دادور) والعباد ، وطبقتهم الأقل درجة والأكثر عدداً هي المغان (جمع مغ) ، والزهاد والسدنة المهربدان (جمع هربد) ثم علماء مختلفون يشغلون وظائف خاصة ، ثم المراقبون (دستوران) ، والمعلمون (مغان — اندرزبد) .

وتتكون طبقة المحاربين من الفرسان والرجالة ، ولكل من القسمين رتبة وموظفوه المختصون به .

وتنقسم طبقة الكتاب إلى كتاب الرسائل وكتاب المحاسبات وكتاب الأقضية والسجلات والشروط وكتاب السير ويدخل فيهم الأطباء والشعراء والمنجمون .

وأخيراً فإن الشعب كان يشمل الزراعة والرعاة والتجار وسائر أهل الحرف (١) . ولكل طبقة رئيس ، فعلى رأس رجال الدين الموبدان موبد ، وعلى رأس رجال الحرب إيران سياهبد ، وعلى رأس الكتاب إيران دبیربد (يسمى كذلك دبیران مهیست) وعلى رأس الطبقة الرابعة وستريوشانسالار (وبعبارة أخرى وستريوشبد أو هتخشبد) . ولكل رئيس عارض تحت إشرافه ، مكلف بإحصاء أهل الطبقة ، ثم مفتش عليه أن يتحقق من معرفة دخل كل فرد (٢) ، وأخيراً معلم (اندرزبد) « لكي يلقن كل فرد حرفة أو عملاً أو علماً منذ الطفولة (٣) » .

وهناك تقسيم اجتماعي آخر ظهر في الأيام الأولى من الدولة الساسانية ويرجع

== بزرگفرمادار ، الموبدان موبد والاصهبند والدبیر بد وهو تخشه بد (حافظ كل من يكديديه كالمهنة والفلاحين ويسمى أيضاً واستريوش بد (رئيس الزراعة) ، وهذا يسير تماماً مع نص كتاب تفسر . ويقول الجاحظ في كتابه التاج ، (طبعة القاهرة ، ص ٢٥) إن اردشير جعل الناس على أقسام أربعة وحصر كل طبقة على قسمتها : فالأول الأساورة من أبناء الملوك ، والقسم الثاني النساك وسدنة بيوت النار ، والقسم الثالث الكتاب والأطباء والمنجمون ، والقسم الرابع الزراعة والمهان وأضرابهم .

(١) كتاب تفسر ، مینوی ص ١٢ ، الترجمة العربية ، الحشاش ص ٣٣ .

(٢) جاء في نص مینوی « دغل » بدل « دَخل » ، ص ١٥ .

(٣) كتاب تفسر ، دارمستتر ، ص ٢١٧ — ٢١٨ و ٢٥٥ و مینوی ، ص ١٥ ، الترجمة العربية ، الحشاش ، ص ٣٧ .

من غير شك إلى ما ورثته هذه الدولة عن دولة الپرت . نجد هذا التقسيم في النقش المسطور بلقنتين في حاجى آاد ، حيث يذكر الملك شابور الأول رمية سهمه المشهورة التى رميت في حضور أمراء الدولة (شهر داران) ، ورؤساء أو أفراد العائلات الكبيرة عامة (واسپوران) والعظماء (بزرگان) ، والأحرار أو النبلاء (آزادان)^(١) وليس من اليسير تحديد الصلة بين هذا التقسيم الذى لا يشمل غير الطبقات الممتازة ، والتقسيم الآخر الذى يتعلق بالشعب عامة ، فإن هذه الصلة لم تكن واحدة دائماً . وبالمجمل فإن نظام الطبقات كان غامضاً جداً .

والاضطراب والتضارب الظاهران في التقسيم الاجتماعى والسياسى للأمة يتصلان مباشرة بما كان بين نظامى الإقطاع والسيادة المركزية المطلقة التى ورثتها الدولة الساسانية عن دولة الپرت ، وهذا الخلاف بين هذين العنصرين ، الإقطاع وسيادة الشاهنشاه ، هو المميز للتطور الاجتماعى والسياسى منذ أيام أردشير بابگان إلى عصر الأكسرة .

شهر داران : كان أفراد الطبقة الأولى في الدولة الساسانية يحملون لقب ملك ، وهذا سوغ أن يكون لقب ملك إيران « ملك الملوك » (شاهنشاه) . وتشمل هذه الطبقة أولاً الأمراء التابعين الذين يحكمون في أطراف الدولة وحكام الإمارات التى كانت خاضعة لحماية إيران ، والذين ضمن لهم ملك إيران ، نظير خضوعهم ، الإمارة لهم ولذويهم من بعدهم ، مع التزام وضع قواتهم الحربية تحت تصرفه ، وقد يؤدون له

(١) شهر داران (ضبطها القديم : شهر داران ؟ وربما كان نطقها حوالى آخر أيام الدولة الساسانية شهر ياران) وواسپوران هما صيغتان من پہلویة الأشكانية . واسپور (صيغتها الآرامية بریتا) انظر بيللى في BSOS ، لندن ، ١٩٣٣ ، ص ٧٥) لكلمة وسپور ، « ابن أسره » فارن Vispati ← Visbadh (ص ١٣ وما بعدها) ، والصيفتان وسپور ، وواسپور وجدتتا كلمتين مستعارتين من اللغة الأرمنية ، إذا كانت الكلمة سپوه Sepuh الأرمنية هى نفسها كلمة وسپور الإيرانية ؟ وقد دخلت كلمة واسپور في اسم ولاية واسپوركان (نولكه ، الطبرى ، ص ٥٠١ ؛ بنقشت في Revue des études armeniennes ، ج ٩ ، ص ٩ ١٠ وانظر هرتسفيلد Paikuli ، رقم ٣٠٠) .

جزية معينة أيضاً . وينسب كتاب تنسر إلى أردشير هذه الكلمة^(١) « كل من يجي إلينا مقدما فروض الطاعة لن نخلع عنه لقب الملك مادام يعضى مستقيما على طريق الخضوع » ومن بين هؤلاء الملوك التابعين الأمراء العرب في الحيرة^(٢) ويذكر أميين مرسيلن (Ammien Marcellin) ضمن حاشية الملك سابور الثاني ملوك كيونيت والبان ، وكان فيما بين النهرين ملك اسمه يولار (؟) تابع لسابور . وقد سمى أبناءه أسماء إيرانية^(٣) . وكلمة سترپ (Satrap) التي توجد في نقش بيكولى يحتفل أن ترمي إلى ستارپه الساج^(٤) . وفي الأيام الأولى للسيادة الساسانية كانت أرمينية . مع ملوكها من الأشكانيين ، إمارة تابعة لملك إيران ، وقد احتفظ حكام أرمينية وجورجيا بلقبهم بدخشش (Bidhakhsh, bdeashkh)^(٥) وفي سنة ٤٣٠ م أصبحت أرمينية ولاية ضمن الدولة الإيرانية ووضع على رأسها مرزبان .

وقد احتفظ الساسانيون بالتقسيم القديم للدولة ، التقسيم الذي يجعلها أربع إيالات . ومنذ القرن الخامس ، سمى حكام الإيالات بالمرازبة . وهؤلاء المرازبة الأربعة الكبار كانوا من طبقة الأسر التي ذكرناها ، وكانوا يحملون لقب شاه^(٦) . ويضاف إليهم أخيراً الحكام المنتسبون إلى الأسرة الساسانية . كان أبناء الملوك يولون حسب التقليد القديم الإمارات ، وخاصة الأمراء الذين يؤمل فيهم أن يولوا

(١) دار مستر ، ص ٢١٠ و ٢١٥ ؛ مينوى ، ص ٩ ؛ الحشاش ص ٢٩ .

(٢) كان يحكم البحرين ، التي كانت جزء من الإمبراطورية الساسانية منذ أيام سابور الثاني ، حاكم عربي من قبل ملك الحيرة ، ولكن كان يجانبه ، في القرون الأخيرة من أيام الساسانيين ، أحد عظماء الفرس (رودستين ، ص ١٣١ وما بعدها) .

(٣) (١٨) ، ٦ ، ٢٢ .

(٤) هوفان ، Auszüge ، ص ١٠ .

(٥) هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ٧٠٦ .

(٦) أنظر هناس ١١ ، وفارن الصبغ الجورجية . patiaashkh, putiaashkhi, pitiaakhehi.

واليونانية Πισυαδης Πισυαδης, Πισυαδης والسريانية aptakhshā للملك (اندرياس) .

هرتسفيلد Paikuli ، رقم ٢١٤ و ٧٨١ .

عرش إيران ، فقد كان عليهم أن يلوا الإمارة في أحد الأقاليم المهمة كي يجدوا فيها مراناً على الحكم^(١) .

وقد ولى کرمان وکوشان أخوان سابور الأول هما أردشير وفيروز . وكان الثاني يحمل لقب « ملك كوشان الكبير »^(٢) وقد كان سابور الأول وهرمزد الأول وبهرام الأول والثاني ، حکاما على خراسان وملوکا لکوشان^(٣) قبل أن يرقوا عرش إيران ، وكان بهرام الثالث حاکما لسیستان (ولقبه صفانشاه) وولى أردشير الثاني إمارة إديابين ، وولى بهرام الرابع کرمان (ولقبه کرمانشاه) وولى هرمزد الثالث سیستان (ولقبه صفانشاه)^(٤) . وقد أراد العطاء أن يحرموا بهرام الخامس من وراثته الملك محتجين في ذلك بأنه لم يل ولاية من قبل حق تعرف جدارته بالملك^(٥) ولكن هؤلاء الحکام الذين ينسبون إلى الأسرة السالکة لم يكونوا يعتبرون ملوکا تابعين يتوارثون العرش ، وذلك لأسباب سياسية^(٦) ، فقد كان حتما أن يستطيع الملك عزلهم كلما رأى في ذلك مصلحة الدولة . ولم يكن لقب ملك الذي يمنحه هؤلاء والمرأبة السکار إلا لقباً يتيح لهم أن يكونوا في طليعة الأرستقراطية . وكان الأمراء الملسکون مازمين بالحضور إلى البلاط كل في نوبته ، ليقدموا حسابا عن أعمالهم^(٧) ولكن لم يكن لهم فيه (في البلاط) وظائف معينة : « لأنهم لو عملوا للحصول

(١) أنظر بعد ذلك الكلام عن المرازبة في الملاحظات على إدارة الأقاليم .

(٢) قيروز ، انظر هرتسفيلد ، Paikuli ، ٨١١ ، وقد ذكر أخ ثالث لسابور ، مهرشاه « ملك ميسين » ، في نص مانوى ، م — ٤٧ .

(٣) هرتسفيلد ، Paikuli (ص ٤١ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨) ، و Kushano-Sasanian Coins في Survey of India Mémoires of the Archeol. ، رقم ٣٨ ،

(٤) وقد عدد هرتسفيلد ألقاباً أخرى تتسكون مع لفظة شاه ، Paikuli ، رقم ٦٣٢ .

(٥) الطبرى ، ص ٨٥٨ ، تولدكه ، ص ٩١ .

(٦) كتاب إيتنسر ، دارمستر ، ص ٢١٠ ، ٥١٣ وملاحظة الناشر ؛ مينوى ، ص ١٠ ؛ الترجمة العربية للخشاب ص ٢٩ .

(٧) كتاب إيتنسر . دارمستر ، ص ٢١٠ ، ٥١٣ ؛ مينوى ، ص ١٠ ، الخشاب ص ٢٩ — ٣٠ . ويلاحظ أن الشهر داران كانوا حاضرين في الاحتفال الرسمى برمية السهم من سابور الأول .

على الرتب لوقعوا في النزاع والجدل والقييل والقال ولذهب هيبتهم ولسقطوا في أعين الناس .

واسپوهران : لقد ورث الساسانيون نظام الأشكانيين الإقطاعي . وهكذا نجد في الدولة الجديدة التي أنشأها أردشير ، في المرتبة الثانية من نظام الطبقات ، الطبقة القوية المكونة من رؤساء الأسر ، وعلى رأسها أفراد العائلات السبع الممتازة^(١) ، ومن بين هؤلاء ، ثلاث على الأقل ، كانوا في هذه المرتبة الرفيعة منذ أيام البرت وهم قارن وسورين واسپاهيد وكلهم من أصل أشكاني ويحملون لقب پهلواى « برى » ؛ وقد كان الإنحدار من أسرة البرت علامة على الامتياز حتى أن بعض أفراد الأسر السبع الممتازة أيام الساسانيين ، وبعبارة أدق أسرنا سسپندباد ومهران ، نسبوا أنفسهم إلى الأشكانيين^(٢) .

(١) أنظر نولده ، الطارى ص ٤٣٧ . وكان لأعضاء هذه الأسرات السبع الحق في ليس التاج لأنهم كانوا ، في الأصل ، مساوين للملك ليران ؛ ولكن تيجانهم كانت أصغر حجما من تاج الملوك الساسانيين . البعلبي ، زوتنبرج ، (٣) ، ص ٤٤٨ .

(٢) يقول موسى الخوري Mōise de Khorène إن الملك البرتي ارشوير Arshavir الذى يقابل فرهاد الرابع Phraate كان له ثلاثة أبناء : اردشس (Artaxerxe) وقارن ، سورين وبنت اسمها كشم (وهذا الاسم هو ، في رأى ماركات Marquart تورية من اسم المقاطعة مسماة كومش أى كوميسين Comisène . أنظر ZDMG ، ٤٩ ، ص ٦٣٩) . وقد أصبح الولد الأول خليفة لأبيه (فهو إذا يقابل فرعت الخامس) ، والولدان الآخران أصبحا أبناء الأسرتين اللتين تحملان اسمهما ، أما البنت فقد تزوجت من « قائد لجميع الإيرانيين » ، ومن بعده سميت أسرته أسپهيت پهلواى ، وكلمة أسپهيت هى الكلمة القديمة سبازپتى ، سپاهيد بالپهلوية ، وتنطق اسپاهيد . وهذا الاسم نفسه قد استعمل في اللغة الأرمنية بصيغة سپرت sparapet . وهذه الكلمة التي أصبحت اسم جنس « للقائد » ، توجد أيضاً في القرن الخامس بصيغة : اسپرت asparapet ، وهكذا ذكرها لازار القرطى [Andreas] Lazar de Pharp وقد ذكر بروكوب Procope اللفظ أسپهيت : اسپهيدس ، وعند فوتيوس Photios : اسپودس ، ويشير تيوفيلاكس Théoplyacte (٤ ، ٣ ، ٥) إلى اسم اسپيدس ، من أقارب كسرى الثانى ووالد وندويه وويستهم ، أنظر نولده Noeldeke ، ص ٢٧٣ ، ملحوظة ١ . هذا هو ما يمدنا به الكتاب البيزنطيون . ثم نجد عند أحد الكتاب من رجال الدين ، كيرل Kyrill كلمة اسپيوس . وواضح أن كلمة أسپير السريانية هى خطأ من النسخ في كلمة اسپيد التي هى اسپهيد نفسها . وكلمة اسير غير موجودة إلا في قصة جوليان =

وأول هذه الأسرات السبع الأسرة المالكة ، أسرة الساسانيين^(١) ، والأسرة الأخرى هي ، الجنس السجاء : قارن پهلو ، سورين پهلو^(٢) ، اسباهد پهلو ، سبندياد ، مهران ؛ وربما كان منها أسرة زيك^(٣) . ويقول الطبري (نولده ص ٤٣٧) إن

Julien = التي نشرها هو فان [Andreas] Hoffman ويذكر الطبري صراحة سباهد بين الأسرات السبع (راجع تصحيح ماركارت Marquart للنس المحرف في ZDMG ، ٤٩ ، ص ٦٣٥) . وملاحظة موسى الخوريني ليست تاريخية : فانا نعلم أن غزوكرسسوس Crassus لإيران كان أثناء حكم والد وسلف فرهاد الرابع الذي كان سورين قائدا له . وعلى أي حال فإن وجود هذه العائلات الثلاث كملاك لإقطاعيين عظام مؤكدا قبل قيام الدولة الساسانية بزمان طويل . وواضح أن انتساب أسرة سبندياد للأشكانيين نشأ فيما بعد ، حين كان التاريخ الحقيقي للأشكانيين قد محى من الخواطر ؛ ونجد في شجرة نسب واحد من هذه الأسرة (مهر نرسی ، أنظر الطبري ، ص ٨٦٨ — ٨٦٩ ، نولده ، ص ١٠٩) دار (داريوس الثالث) وابنه كاي أشك (أي ارساك مع اللقب للملك القديم كاوي < كاي) ومن بعده بعض الأسماء التي لا تتبع أسرة الأشكانيين (ثم لنا قد نرى في كلمة سيسنبروه sisanbrūh تحريفا لكلمة سنتروك Sanatruk تحت تأثير الاسم السابق سيسنذ sispadh) هذا وفي شجرة نسب سوخرا ، الذي هو من أسرة قارين ، التي ذكرها الطبري ، ص ٨٧٧ — ٨٧٨ ، ونولده ، ص ١٢٧ — ١٢٨ ، هذا الطابع بعينه وهو أنها قد عملت في وقت أحدث نسبيا . ومن المحتمل أن يكون النسب الأشكاني لأسرة مهران متعلا كذلك . وبما لا شك فيه أن ماركارت Marquart قد لاحظ بحق (ZDMG ، ٤٩ ، ص ٦٣٣) أن البطل الخرافي ميلاد يرجع نسبه إلى أمير أو ملك يرتى اسمه ميتريدات Mithridate ، ولكن هذا لا يستتبع أن يكون نسب أسرة مهران السكركيني بن ميلاد ذا صلة إلى واحد من أسرة ميتريدات التاريخية .

(١) يسمى الأمير فيروز ، أخو سابور الأول ، واسپور ساسانيان ، انظر هرتسفيلد

Paikuli ص ٤٥ و ٤٩ .

(٢) نجد عند فاوستوس البيزنطي Faustus de Byzance اثنين اسمهما سورين وكلاهما

يحمل لقب Pārsigh (فارس) . ولعلهما يتبعان شعبة صغيرة من سورين پهلو .

(٣) يقول ميناندر Menandre إن « زيك » كان مركزا من أعظم المراكز عند

الفرس (Corp. script. hist. (١) ، ص ٣٧٤) ؛ ولكن قد أصبح خلط أسماء العائلات

بالألقاب أمراً عاديا عند الكتاب البيزنطيين وهكذا يسمى زوسيم Zosime سورين δρονη ،

ويعتبر بروكوب Procope مهران لقباً فيقول إن القائد فيروز قد صار Μιρρανης . وقد

لاحظ هوبشمان Hubshmann (Armen, Gramm. (١) ، ص ٤١) أن زيك وهي

عند فاوستوس البيزنطي Ζηκας وكذلك عند اجاثانج Agathange قد اعتبرت عند هذين

الكتابين اسم عائلة ، وأن اللقب الخامس لزيك قد أضيف إلى الاسم ، وكان زيك وقارين

Ζηκας و Καδινας عند اجاثانج (قائدين عظيمين عند سابور الثاني ، وهما ليسا لا كوس =

أسرة قارن كانت تقيم في ضواحي نهاوند (في ميديا) ، وسورين في سيستان ، وسيندياد في ضواحي الري (رها بقرب طهران الحديثة) ، وسباهيد في دهستان في جورجيا . ومن ناحية أخرى ، نعرف أن سوخرا من أسرة قارن كان مسقط رأسه في ناحية أردشير خوره بشيراز (الطبرى ص ٨٧٣ ، ٨٧٧ ونولده ص ١٢١ — ١٢٦) فهو يعتبر مولوداً في فارس بالمعنى الصحيح ، وأن نهراً قريباً من الري وفريية مجاورة لنيسابور سمي كل منهما باسم سورين (نولده ، طبرى ص ٤٣٩) ، وأن مهرنسى من أسرة سيندياد كان مسقط رأسه في قرية آبروان التابعة لدشت بارين في ناحية أردشير خوره بفارس ، وأنه قد ورث هذه القرية عن آباءه ، كما ورث قرية كيره في المقاطعة المجاورة ، مقاطعة شابور (الطبرى ، ص ٨٧٠ ، ونولده ص ١١١) . ومن أفراد أسرة مهران ، بهرام جوبين (طبرى ، ص ٩٩٢ ، ونولده ص ٢٧٠) ويران جشنسپ جريجوار (هوفمان Ausüge : Hoffmann ص ٧٨) وأصلهم من الري ، وقد سمي نهر مهران في فارس باسم هذه الأسرة . (نولده ، طبرى ص ١٤٠) ^(١) وأختم بأن أقول إن أملاك هذه الطبقة (واسپوران) كانت مبعثرة

= وارتبان اللذين ذكرهما أمين مارسيلين Ammien Marcellin ، ٢٧ ، ١٢ ، ٥ ، (« ٥ » ماركارث Philologus ، Marquart ، ٥٥ ، ص ٢١٣ وما بعدها) . أما عن أعضاء أسرة زيک المشهورين فانظر جوستي Justi في "Namen buch" ، وقارن هرتسفيلد في Arch. Mitt. (٤) ، ص ٥٧ ملحوظة ٢ .

(١) راجع عن أعضاء أسر قارين وسورين ومهران ملاحظات نولده Noeldeke ، طبرى ، صفحات ١٢٧ — ١٢٨ و ٤٣٨ — ٤٣٩ و ١٣٩ — ١٤٠ . وانظر عن سورين ، هرتسفيلد في Paikuli, Glossary ، رقم ٧١٥ . وقد أكل ذكر الأسماء جوستي Justi (المواد : Michrāna Sūrēn ، Karren ، من Namenbuch) . وعن اسياهيد أنظر جوستي ، مادة Spādapti وهرتسفيلد ، Paikuli, gloss ، رقم ٧٢٧ . وعن سيندياد (الصيغة الفارسية اسفنديار ترجع إلى قراءة غير صحيحة) أنظر نولده ، ص ٤٣٩ . وقارن من ناحية أخرى ماركارث Marquart ، ZDMG ، (٤٩) ، ص ٦٣٣ وما بعدها ، و Erānšahr ص ٧١ ، وهرتسفيلد . Arch. Mitt. (٤) ، ص ٦٤ وما بعدها . وكان هرمزدان قائد يزدگرد الثالث المشهور أحد أفراد هذه الأسرات السبع ، ولكننا لا نعرف من أيها كان ، فكانت أمه من ولاية خوزستان وكان حكم هذه الولاية الذي يشمل سبعين مدينة متوارثا في أسرتها (الطبرى ، ص ٢٥٣٨ و ٢٥٤٣ ، البلمى زوتنبرج Zotenberg ، (٣) ، ص ٤٤٧ وما بعدها) .

في أرجاء المملكة ، وقد تكون خاصة في الأقاليم الميديّة البريّة Médo parthes التي كانت مهد الدولة الأشكانية وفي فارس بمعناها الحقيقي التي نشأت بها الدولة الساسانية حيث كانت هذه الأسرات متقاربة جداً ، وحيث كان من المتعذر تكوين ممتلكات واسعة موحدة ، وقد يكون هذا من الأسباب الرئيسية لما نرى من أن كبار الأمراء في ذلك العهد قد انخرطوا في زمرة النجباء والنبلاء في البلاط وبذلك فقدوا مكانة الأرستقراطية الحقّة في النظام الإقطاعي . والصلة القديمة التي كانت بين الواسپوران والقرية (ويس) لم تنقطع ما بقيت الجمعية القديمة فخينا يذكر مكان ميلاد أحد هؤلاء السادة ، فإنه غالباً يكون اسم قرية .

ومن المحتمل ألا تكون الأرستقراطية الإقطاعية مقصورة على أفراد الأسرات السبع العظيمة ، فإن فاوستوس Faustiis البيزنطي يذكر^(١) قائداً اسمه دماوند ينتسب إلى أسرة اسمها كاثوسكان Kāūsagħān . وهناك كثير من الألقاب التي تنتهي بالمقطع آن وهي تدل على أسرات إقطاعية أو فروع من بعض هذه العائلات . ولكن في الجملة ، لم يكن الجزء الذي كان إقطاعاً في أيدي الأرستقراطية العالية يشمل قسماً مهماً من إيران ، إذا قورن بالمساحة التي كانت تتبع الدولة مباشرة والتي كان يديرها حكام من قبل الملك .

وليس لدينا معلومات محددة عن الامتيازات التي كان يتمتع بها أصحاب الإقطاعات ، ولا نعلم أكان لحكومة الملك بعض سلطان على المقاطعات التي تقع في حكمهم . وهل كان لهؤلاء حصانة كاملة أو جزئية وهكذا . . . لكن الذي نعلمه علم اليقين هو أن الرعايا كانوا ملزمين بدفع الضرائب إما إلى سيد الإقطاع أو إلى الدولة أو إليهما جميعاً ، وأنهم كانوا ملزمين بأداء الخدمة العسكرية تحت رئاسة صاحب الإقطاع .

ونجد في أيام الساسانيين ، اتباعاً للتقاليد القديمة ، بعض المناصب العامة تورث بين أفراد الأسر السبع الممتازة . وقد عرفنا تيوفيلكت Théophylacte (٣ - ٨)

(١) لا نخلوا (١) ، ٢٦٢ .

بهذه الوظائف الوراثية : « كان للأسرة السجاء بالأردوانية Ariabite الرتبة الملكية وكان من اختصاصها وظيفة تنويع الملك ، وأسرة أخرى كانت تتوارث إدارة شئون الحرب . وثلاثة تتولى الإدارات المدنية ، ورابعة يعهد إليها فض المنازعات بين المتخاصمين الراغبين في التحكيم ، وخامسة تتولى قيادة الفرسان ، وسادسة وليت جباية الضرائب من أفراد الشعب ورعاية الكنوز الملكية ، وسابعة تتولى العناية بالأسلحة ونظام التعبئة الحربية .

وكلمة أركبذ هي تحريف للكلمة هرگبذ وهي كلمة تعنى في الأصل رئاسة قلعة حصينة^(١) ثم دلت بعد ذلك على وظيفة حربية عظيمة القدر . وقد كان أردشير بابگان حاملا لهذا اللقب ، ولذا صار في الدولة الجديدة ، من حق الأسرة المالكة على أنه أكبر رتبة عسكرية^(٢) .

وأما الوظائف الوراثية الست الباقية التي أشار إليها تيوفيلكت Théophylacte فمنها ثلاث وظائف حربية وثلاث مدنية . فأما الوظائف الحربية فهي رئاسة الشئون العسكرية^(٣) ، ورئاسة الفرسان^(٤) ، والقيام على الأهراء (إيران —

(١) نولدك ، الطبرى ، ص ٥ ، ملحوظة ١ و ٣ ؛ هرزفيلد ، *Pikuli, gloss* ، رقم ٤١٦ . ويشك هرزفيلد في الغرض الذي اقترحه جوسنى *Justi* وأيده فيه بارتولوميه *Bartholomae* *Zur Kenntnis der milliranschen Mundarten* ، (١ ص ١٦) — من أن هذا اللقب مشتق من كلمة أرك « القلعة الحصينة » .

(٢) كان ابهرسام ارجبذا أيام اردشير الأول (الطبرى ، ص ٨٢٣ ، نولدك ، ص ٢٧ ، وقد صحح ماركارث *Marquart* هذا النص ، أنظر هرزفيلد ، *Paikuli, gloss* ، رقم ٤١٦ و كريستنسن *AO. Christensen* ، (١٠ ص ٤٣ وما بعدها) . وقد حمل هذا اللقب نفسه مهر — شاپور أيام يزديگرد الأول (لابورت *Labourt* ، ص ٩٧) .

(٣) كان رئيس الشئون العسكرية هو ال — إيران سپاهبذ ؛ وهكذا اعتبرت في كتابي : *L' Empire des Sassanides* (ص ٢٧) من المستبعد أن يكون تعيين القائد العام لإيران أو وزير الحربية خاضعا لطروف الوراثية . ومن الممكن أن نفترض أن المقصود هنا منصب محدود الاختصاصات ، وهورتية كنارنگ (پروكوب *Bell-pers. Procope* ، (١ ص ٦ : ميشيل السرياني *Michel le Syrien* ترجمة شابو *Chabot* ، (٢ ص ١٥٨) ، وهي مهتبة وراثية في أسرة معينة كما يقول پروكوب . وكنارنگ كان اللقب الخاص بمرزيان (أبهر شهر (وكانت عاصمته نيسابور) ، وهو نثر دائم التعرض لنزوات البرابرة (ماركارث *Marquart* ، =

امباركبد^(١) وهى الوظيفة السابعة من الوظائف التى عددها تيوفيلكت . وأما الوظائف المدنية فهى رئاسة الشئون المدنية وهى تسمية غامضة بالنسبة لقاضى الصلح والقائم على تحصيل الخراج ورئيس تفتيش الخزائن الملكية^(٢) وكلام تيوفيلكت Théophylacte يرجع إلى الشطر الأخير من العهد الساسانى . وإنه لمن الصعب أن نقرر إلى أى عائلة يعود بكل من هذه الوظائف . نعرف أن وظيفة أركبد كانت للبيت الساسانى ، وليس بعيداً أن نظن بأن رئاسة الفرسان كانت تابعة لأسرة اسباهيد . وأخيراً ربما كان من المحتمل أن تنتهى بأن كلا من أسرة سورين ومهران كانت لهما إحدى وظيفتى الحرب الأخيرتين ، لأن اسميهما طالما تردد بين أسماء رؤساء

== Eranšahar ، س ٧٤ — ٧٥ ، هرتسفيلد Arch mitt. (٢) ، س ١١٠ .
وفى أيام يزدگرد الثالث ، وفى أثناء الحرب مع العرب ، عين مرزبان طوس مع لقب كنارنك (الثعالى ، نشر زوتنبرج Zotenberg س ٧٤٣ ، والبلاذرى نشر دى جويه de Geoe ، س ٤٠٥ ، سطر ٧ حيث صفت الكلمة) . ويذكر أصحاب قواميس الفارسية الجديدة كلمة كنارنك مع شرحها بأنها « حاكم ولاية » .

ليس مؤكداً أن شاغل منصب رئاسة الفرسان كان اسبهذ L'Empire des Sassanides (س ٢٧) والأغلب أن لقبه كان شهباه : آسبواربذ ، آسواربذ .

(١) انظر تولدك ، الطبرى ، س ٤٤٤ ؛ هرتسفيلد ، Paikuli, gloss. ، رقم ٦٦ .

(٢) لا أعتقد أن هذه الوظيفة الأخيرة هى وظيفة واستريوشانسالار . المشرف العام على الضرائب . وقد سمي الطبرى الوظائف الكبيرة التى عهد بها الوزير مهرنسى إلى أبنائه الثلاثة ، فقال إن ماه گشنسب ، ابنه الثانى ، شغل منصب واستريوشا نسالار طول حكم بهرام الخامس . ولو كان هذا المنصب وراثياً لزم أن يكون ماه گشنسب الولد الأرشد . وقد نستطيع أن نشك إلى حد ما فى رواية الطبرى (فإنه فى نص آخر ، تولدك س ١١٢ ، يذكر الأبناء الثلاثة بترتيب آخر ، ويجعل ماه گشنسب ، أحياناً ، أصغر الأبناء) ، ولكن لو ذهبنا إلى أن ماه گشنسب هو الولد الأرشد حقيقة وأنه قد ورث منصب واستريوشا نسالار لتبع ذلك أن هذا المنصب كان لمهرنسى ولأبيه ورازك من قبله . ولكن الدينورى (طبعة جويرجس Guirgass ، س ٥٧) يذكر شخصاً اسمه گشنسب آذار على أنه وزير الخراج وهو وال واستريوشا نسالار بغير شك ، وكان ذلك بعد موت يزدگرد الأول ، أى أثناء حياة مهرنسى ومع ذلك فلو أننا طرحنا قول الدينورى جانباً فإن الإشكال يستمر قائماً ، وهو أن ماه گشنسب قد ولى المنصب الوراثى أثناء حياة أبيه ، وهو ما لا يحتمل الفرض فيما أعتقد . ولكن من الممكن أن نفكر فى منصب وانسيوران آماوگر (مستوفى خراج الواسپوران ، وتشير المراجع الأرمينية إلى هذا الموظف العظيم ، وقيل فى بعض المناسبات إن خراج أصفهان كان يجمع فى بيته .

الجيش الإيراني ، ولكن ليس هذا إلا افتراضاً خلوّاً مما يؤيده من البراهين أما عن توزيع الوظائف المدنية فلنستألف عنه شيئاً قط .

ومع ملاحظة أن الوظائف الوراثية كانت مهمة جداً ، حقاً ، إلا أنها لم تكن أعلى وظائف الدولة وأهمها . فليس من المعقول أن تكون الوظائف الأولى في الدولة وظائف رئاسة الوزارة ، وقيادة جيش الملك وغيرهما خاضعة لأن تنتقل بالمرثاث من رجل لآخر ، كذلك ليس معقولاً ألا يكون للملك حق الخيار بين مستشاريه ، بل يكون له إذا أراد أن يتخلص من موظف كبير أن يقتله لكي يخلفه ابنه الأكبر . فإن مثل هذا النظام لا يلائم نظام الحكومة المطلقة التي كانت في الواقع أساس الحكم في الدولة الساسانية ، ولو حدث لجر الحراب على الدولة في زمن قليل^(١) . والوظائف الوراثية في الدولة الساسانية كانت وظائف « شرف » تبين مكانة شاغليها من الأسرات السبع الممتازة^(٢) وكانت قوة هؤلاء تستند كذلك على دخل إقطاعهم ثم على ما بينهم وبين رعاياهم في الإقطاع من صلة قوية وخاصة في العهد السابق على قباد وكسرى الأول ، وأخيراً يستمدون قوتهم من أنهم يستطيعون

(١) كان منصب الوزير (الردف) في إمارة الحيرة وراثياً في يربوع وذلك في مقابل تنازلهم عن المطالبة بعرش الحيرة (رواية الجوهري ، أنظر انجر ZDMG Enger ، (١٣) ، ص ٢٤٠ وفارن رودستين ص ١١٢ و ١٣٣) . هذا هو الأسلوب الإداري الإيراني الذي يعدو الحدود المعقولة ! فإن هذا لم يكن ممكن التطبيق إلا في إمارة صغيرة كالحيرة قد وضعت تحت رقابة وحماية دولة كبيرة .

(٢) من الجائز أن التقليد الذي جرى عليه الأكيميون قد عمل به الساسانيون أيضاً : وهو أن الشاهنشاه كان يتزوج من بنات أسرته أو من بنات الأسر الست الأخرى . وكانت أم كسرى الثاني من أسرة اسپهبد ، وهي أخت ويستهم (بسطام) وبندويه (تولدك) ، ص ٢٧٣) . وعلى كل حال فإن هذه القاعدة لم تحل من الشواذ . فقد تزوج يزدگرد الأول من بنت رأس الجالوت اليهودي ؛ وقد اتخذ كسرى الأول زوجاً له من بنات خاقان الترك ، وتزوج كسرى الثاني من أميرة يزنطية . ثم أميرات آل ساسان يستطعن الزواج من رجال الأسر الست الممتازة ، وهذا ما يثبت أن ابن أخت كسرى الثاني كان يسمى مهران (تولدك) ، ص ١٤٠) ويشير يوحنا الماميكوني ، Jean le Mamiconien ، إلى قائد اسمه وَخْتَشْنَسْج وإلى أخيه سورين على أنهما خلا كسرى الثاني (لانجوا Langlois ، (١) ، ص ٣٧٠ وما بعدها و ٣٧٣)

في يسر مقابلة « الشاهنشاه » فكان هذا يعطيهم بعض المزايا لكي يعينوا في أسمى وظائف الدولة .

وقد لبث « الواسپوران » (أبناء البيوتات) يتساندون زمناً طويلاً بعد سقوط الدولة الساسانية وانقراض الجمعية القديمة . كتب ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) يقول : « وبفارس سنة جميلة وعادة فيما بينهم كالفضيلة من تفضيل أهل البيوتات القديمة وإلزام أهل النعم الأولية ، وفيها بيوت يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين على قديم أيامهم إلى يومنا هذا »^(١) ويذكر المسعودي أيضاً أهل البيوتات في فارس .

العطاء (بزركان) : نجد في تاريخ الساسانيين ، الذي روى بعضه في كتاب الطبري في كل صفحة تقريباً ، ذكراً لاصطلاح « العطاء والأشراف » فكما ذكر ارتقاء ملك جديد للعرش قيل إن العطاء وأهل البيوتات اجتمعوا ليقدموا له فروض الولاء وليستمعوا الحديث الذي يتقدم به إلى الشعب ، وأهل البيوتات والعطاء هم الذين عزلوا أردشير الثاني ، وهم الذين قتلوا سابور الثالث^(٢) . وقد حاول بعض العطاء وأهل البيوتات أن يبعدوا نسل يزدگرد الأول عن العرش^(٣) وفي المفاوضات التي جرت مع ملك العرب المنذر في وراثة العرش كان العطاء وأهل البيوتات هم الذين يتحدثون^(٤) . وأحياناً نجد الاصطلاح المركب « العطاء والأشراف »^(٥) والاصطلاحات العربية « أهل البيوتات » و « العطاء » و « الأشراف »^(٥) وهي نراجم حرفية للاصطلاحات الهلوية واسپوهران vaspuhran ، وبزركان

(١) BGA ، (٢) ، ص ٢٠٧ وما بعدها .

(٢) الطبري ، ص ٨٤٦ ؛ نولدكه ، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٣) الطبري ، ص ٨٥٨ ؛ نولدكه ، ص ٩١ .

(٤) الطبري ، ص ٨٥٠ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ .

(٥) الطبري ، ص ٨٣٥ ، ٧٨١ ، ٨٨٣ ؛ نولدكه ، ص ٥٠ ، ١١٣ ، ١٣٣ .

(٧)

vuzurgan وآزادان Azadhan^(١) وأحياناً يذكر كلمة « العظماء » وحدها^(٢) وتبعاً للدور الذى يلعبه « العظماء » فى خلال تاريخ الدولة الساسانية ، ولأنهم يظهرون بانتظام بجوار الأرستقراطية المالكة للأراضى ، فليس هناك أدنى شك فى معرفة إلى أى فريق من الناس يشار بهذا التعبير : إنهم الضباط السكبار للدولة ، إنهم أعلى ممثلى الإدارة ، فالعظماء يشملون الوزراء ورؤساء الإدارة^(٣) .

الأشراف (آزادان) : لا يزال معنى هذا الاصطلاح غامضاً . والمفروض أن أن آزادان (ومعناه الأحرار) كان فى الأصل اسماً للغزاة الآريين يميزهم عن السكان الأصليين الذين غلبوا على أمرهم ، ولا شك أن الأجnas قد اختلعت إلى حد ما ، وأن هذا الاختلاط قد أدى إلى نزول كثير من العائلات الآرية إلى طبقة الحرائن المستعبدة وإلى طبقة أهل المدن . وقد أدت إلى هذا التطور أحوال أخرى ، منها : نتائج الحروب والديون والمشاركة المستمرة فى الأراضى . ومن الأسرات الآرية التى احتفظت نسبياً بأصالتها من سما إلى الدائرة القوية الصغيرة دائرة أهل البيوتات بينما كون آخرون طبقة النبلاء الأقل شأنًا والتى كثير أفرادها أيام الساسانيين ، والتى كانت مبعثرة فى الدولة ، يعمل عدد كثير منها ، موظفين صغاراً فى إدارة الأقاليم ، وهؤلاء هم الذين احتفظوا لأنفسهم بالكلمة العامة — آزادان — الأشراف .

ومن المحتمل أن نعد الفرسان من هذه الطبقة ، وهم زهرة الجيش الساسانى ، وفى فقرة من تاريخ اليعقوبى^(٤) تتناول نظام الطبقات أيام زدنردي الأول فى أوائل القرن الخامس^(٥) ، يحددنا المؤلف بأن ضباط الجيش كانوا يسمون الأساورة .

(١) نولده ، ص ٧١ ، ملحوظة ١ . أما فيما يتعلق بكلمة أهل البيوتات فقارن الصيغة بر — بيتان المأخوذة من واسپوران . ومن بين التراكيب المائلة التى نجدتها فى الطبرى : الوجوه والعظماء (الطبرى ، ص ٩٩٩ ، نولده ، ص ٢٨٢) .

(٢) الطبرى ، ص ٨٣٤ ، ٨٤٦ ، ١٠٤٥ ، ١٠٦١ ؛ نولده ، ص ٤٨ ، ٦٩ ،

٣٦١ ، ٣٨٦ .

(٣) انظر فيما بعد الإدارة المركزية .

(٤) نشر هوتسما Houtsma ، (١) ، ص ٢٠٢ .

(٥) انظر الفصل السادس ، والملاحق (٢) .

والمفروض أن معظم الأساورة كانوا يعيشون إبان السلم من ريع أراضيهم ، فكانوا يزرعونها ويباشرون فلاحها .

وكان من الطبيعي لشعب قد تذوق الفروسية منذ الأزمنة الموعلة في القدم وآثاره يغمرها الميل إلى البطولة أن يكون لطبقة الفرسان المكانة الأولى وأن تلي في الرتبة الأرستقراطية العالية التي كانت أقل عدداً . وسرى أنه في الزمن الأخير صار لقب فارس (سوار) قيمة اجتماعية أعلى شأنًا^(١) .

وإلى هذا كانت طبقات النبلاء الذين هم في الدرجة الثانية والذين يذكرون باسم كدگك — خوزاين^(٢) « رؤساء العائلة » ودهگانان^(٣) « رؤساء القرية » يستمدون قوتهم من الملكية الوراثية للإدارة المحلية وكان الدهاقين كمجالات لا غنى عنها في آلات الدولة قليلا ما يظهرون في الحوادث التاريخية الخطرة ، ومع ذلك كانت لهم قيمة لا تقدر من حيث إنهم أساس متين للإدارة وبناء الدولة . وقد انقسم الدهاقين إلى خمسة أقسام يتميز بعضها عن بعض بملابس مختلفة^(٤) ويقول صاحب « سجل التواريخ » إن الدهاقين « هم الرؤساء وملوك الأراضي والقرى^(٥) » ولكن في أغلب الأحوال لم تكن الأراضي المزروعة التي تؤول إلى الدهقان بالميراث واسعة

(١) انظر الفصل الثامن .

(٢) انظر هرتسفيلد ، Palkuli, gloss, رقم ٥٦٧ — ٥٧٠ ؛ وقارن بارتلوميه Zur Kenntnis der mittelliranischen Mundarten : Bartholomae (٣) ، ص ٣٤ وما بعدها وهذا الاسم الخاص بطبقة اجتماعية وسياسية يتصل بالاصطلاح القديم مانبد الذي يذكر في الكتب الدينية (انظر قبل ذلك ص ٦ وانظر في كدگك خوزاي ، كلقب لأمرء الأشكانيين ، ص ٨) .

(٣) يبدو أن اصطلاح « دهقان » قد ساد في آخر أيام الدولة الساسانية وأنه بقي في العصور الإسلامية ، ويقال إن طبقة الدهاقين ترجع إلى ويهگرد Vahgard أخى الملك الخرافي هوشنگ (انظر كريستنسن Christensen في Le Premier homme et le Premier roi dans l'histoire légendaire des Iraniens ، ص ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣) .

(٤) المسعودي ، مروج ، (٢) ، ص ٢٤١ .

(٥) أنظر مول Mohl في ترجمته للشاهنامه ، (١) ، مقدمة ، ص ٧ .

جداً ، وأحياناً لم يكن الدهقان نفسه إلا أول فلاحى الناحية^(١) ، فلم يكن إذاً للدهقان ، قبل الفلاحين ، ما للسادة مالكي الأراضى من الأرستقراطية الريفية : إن هؤلاء يمثلوا الحكومة أمام حرائى الدولة وعلى هذا الاعتبار كانت وظيفة الدهقاين الأصلية أن يتسلموا الضرائب وإليهم يعود الفضل خاصة فى أن الدولة القليلة الحصب ، قد استطاعت بوجه عام أن تتحمل النفقات التى اقتضتها المعيشة المترفة فى بلاط الملك وأن تقدر على الحروب التى تتطلب تكاليف باهظة ، من غير أن ينوء بها هذا العبء . إذ كانوا يعرفون البلاد والسكان معرفة جيدة . وبعد الفتح العربى ، لم يستطع الغزاة رغم عنفهم أن يستولوا على ما فى إيران من النقود التى جمعها ملوك الساسانيين ، دون أن يتحالفوا مع الدهقاين^(٢) .

الإدارة المركزية

رئيس الوزراء

كان كبير الوزراء رئيساً للإدارة المركزية ، وكان يلقب أولاً بـ « هزاربدي » . ومن قبل كان هزارباتي Hazarpati أيام الأكينيين (فى الأصل رئيس ألف رجل) أول موظف فى الدولة ، الموظف الذى يدير الملك الدولة بواسطته^(٣) ، وقد استمر

(١) تولدكه ، الطبرى ، ص ٤٠ .

(٢) أنظر فان قولتن Verhand. d. Koninkl. Akad. , Van Wetenschappen

أمستردام ، ١٨٩٢ ، ص ١٣ وما بعدها .

(٣) وقد لقب بهذا اللقب هفائستيون Héphaïstion أيام الإسكندر ، وجملة بعد هذا پردكاس Perdicaas (أحد قواد الإسكندر وقد قتل سنة ٣٢١ فى م بعد أن لنى الهزيمة فى مصر على يد بطليموس) . وقد نصب انتيپتر Antipater كاسندر Cassandre شيلياركا تحت وصاية بوليسبركن Polysperchen ويضيف ديودور Diodore (١٨) ، (٤٨) ملاحظة يقول فيها إن الشيليارك كان يشغل أسمى مرتبة فى الدولة بعد الملك عند الفرس ، (أنظر ماركات Philogus , Marquart ، ج (٥٥) ، ص ٢٢٧ وما بعدها ، ومقالة پولى ويسوا Pauly-Wissowa فى « Realencyklopädie » . وأقب هزاربدي يوجد فى نقوش بيكولى (هرتسفيلد ، gloss ، ٣٨٢) .

هذا اللقب أثناء حكم البرتيين ثم انتقل منها إلى العهد الساساني ، ويذكر الأرمني كبير وزراء إيران باسم « هزاريت دران ارياس »^(١) hazarpet dran Ariats (شيليارك في البلاط الإيراني) وقد وصف مهر نرسی كبير وزراء يزدگرد الثاني في خطاب وجه إليه بأنه « هزاريت إيران وغير إيران » وهذا الوزير عنه يسمى نفسه حين يكتب إلى الأرمني (بزرگ فرمادار^(٢) إيران وغير إيران^(٣)) ونعرف من الطبري (نولدكه ص ١١١) أن هذا هو لقبه الرسمي . وهناك نصوص من المسعودي واليعقوبي تشهد شهادة مقنعة بأن لقب بزرگ فرمادار كان لقب الوزير الكبير إلى آخر العهد الساساني ويبدو أن كلمة (دراندرزبد) Dar-andarz badh — ناصح أو أمين البلاط — كانت لقباً آخر للبزرگ فرمادار^(٤) .

ومن بين الذين شغلوا هذا المنصب أبهر سام أيام أردشير الأول^(٥) ، وخسرو يزدجرد أيام يزدجرد الأول^(٦) ومهر نرسی الملقب هزار بنگدك (صاحب ألف رقيق) أيام يزدجرد الأول ووهرام الخامس^(٧) وسورين پهلو أيام بهرام الخامس^(٨) والعلومات المباشرة التي لدينا عن نفوذ وسلطان بزرگ فرمادار قليلة .

(١) تشبيهاً بلقب الشاهنشاه « شاهنشاه إيران وغير إيران » .

(٢) بالأرمنية Arm. Gramm: Hübschmann (ناظر هو بثمان ozurg-hrama (na) tar

(١) ، ص ١٨٢ — ١٨٣) ومعناها « صاحب الأمر الكبير » (انظر هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ٤٣٥) وتطلق كلمة فرمادار وحدها — الأمر أو الحاكم — على موظف ديني كبير في المذهب الزردشتي ، ولكن مهمة هذا الموظف لم تعرف (وست Pahlavi Texts West ، (١) ، ص ١٤٥ ، (٢) ص ١٥٢ ، ٢٧٦) .

(٣) لانجلوا Elysee Langlois ، ج (٣) ، ص ١٩٠ ، ١٩٢ .

(٤) انظر للمحقق (٢) ، وقارن هرتسفيلد بيكولي ، رقم ١٠٠ ، : دراندرزبد =

اندرزبد طيسفون .

(٥) الطبري ، ص ٨١٦ ؛ نولدكه ، ص ٩ ؛ كريستنسن A.O. ، (١٠) ، ص ٤٣ وما بعدها كان أبهر سام « ارجبذ » في الوقت نفسه ، فهو ينتسب إذاً إلى الأسرة الساسانية ، (٦) لا بورت ، ص ٩٧ .

(٧) الطبري ، ص ٨٤٩ و ٨٦٨ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٧٥ وما بعدها و ١٠٨ وما بعدها .

(٨) لازار القرني ، لانجلوا ، (٢) ، ص ٢٧٠ .

ومن البديهي أنه كان مكلفا بإدارة دفعة الأمور في الدولة تحت رقابة الملك ، وكان في كثير من المسائل يتصرف بما يرى ، وأنه كان كذلك يقوم مقام الملك حين يكون هذا في رحلة أو في الحرب^(١) وكانت المفاوضات الدبلوماسية من اختصاصه بل كان يستطيع أن يحصل على قيادة الجيش أحيانا^(٢) والحلاصة أنه وهو مستشار رئيس للملك ، كان يجمع في يديه كل إدارة الدولة وكان يتدخل في كل شيء^(٣) . وكبير الوزراء (بزرگ فرمادار) الأمثل كان الرجل المثقف ثقافة كاملة ، الممتاز في سلوكه ، المتقدم لأهل زمانه^(٤) النبيل الطبع ، الحذر ، الذي له في الحسنة عملية ونظرية بصر^(٥) ، القادر على التأثير في الملك إذا اتبع الهوى^(٦)

ومنصب رئيس الوزراء على الصورة التي عرف بها في عهد الخلفاء ، وهي الصورة التي احتفظ بها في جميع الدول الإسلامية ، هو صورة صحيحة لما كان عليه أيام الدولة الساسانية^(٧) . وكذلك فما يذكره كتاب العرب في السياسة عن منصب كبير الوزراء ذو قيمة فيما يرجع إلى البزرگ فرمادار أيام الدولة الساسانية بوجه عام

وقد كان للوزير ، كما يرى الماوردي السلطان التام الذي كان للخليفة وإنما يجب عليه أن يعلم الخليفة بجميع تصرفاته وذلك لإظهار ولائه وخضوعه له . كذلك كان لزاما على الخليفة أن يراجع ويراقب جميع أعمال وزيره . ومع ذلك كانت سلطة الوزير محدودة في ثلاث نقاط :

الأولى : أنه لم يكن في سلطته أن يعين بنفسه حافه أو من يقوم مقامه . والثانية :

(١) الطبري ، ص ٨٦٦ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ١٠٦ .

(٢) الطبري ، ص ٨٦٨ ؛ نولدكه ص ١٠٦ .

(٣) في القرن السادس تضاءلت سلطات ال بزرگ فرمادار . أنظر الفصل السابع والملحق الثاني .

(٤) الطبري ، ص ٨٤٩ ؛ نولدكه ، ص ٧٦ .

(٥) المثل على ذلك بزرگمهر ، أنظر كريستنسن A.O. ، (٨) ، ص ٨١ وما بعدها .

(٦) الطبري ، ص ٨٤٩ ؛ نولدكه ، ص ٧٧ .

(٧) Enger في ZDMG ، (١٣) ، ص ٢٤٢ .

لا يجوز له أن يطلب إقالته من الشعب لأنه يتصرف باسم الملك لا باسم الشعب .
الثالثة : لا يستطيع أن يعزل أو ينقل الموظفين الذين عينوا بناء على أمر ملكي من غير استئذان من الملك^(١) . والنقطة الثانية من هذه النقط الثلاث ترجع إلى الخلافة التي وضعت بذورها في بلاد ديمقراطية ، ولكن بقطع النظر عن هذه النقطة كانت العلاقة بين الملك الأعظم ووزيره (بزرگ فرمادار) ، في صميمها هي نفس العلاقة التي وجدت ، بعد زوال الدولة الساسانية ، بين الوزير والخليفة . وقد جاء في الكتاب العربي المسمى (دستور الوزراء) : « كان ملوك الفرس يعجدون وزراءهم أكثر من أي ملك آخر وكانوا يقولون إن الوزير هو منظم أعمالنا وزينة دولتنا ، إنه لساننا الذي نعبّر به وسلاحنا الذي أناح لنا أن نفرب أعداءنا في البلاد البعيدة »^(٢) .

رجال الدين

كان المغان في الأصل قبيلة ميديّة أو بالأحرى كانوا طبقة خاصة بين الميديين وكان لهم امتياز الرياسة الروحية في الديانة المزدية غير الزردشتية^(٣) . وعندما اجتاحت الزردشتية الأقاليم الغربية ، ميديا وفارس بمعناها الخاص ، أصبح المغان السادة الروحانيين للدين الجديد . وتشير الأوستا إلى طبقة الروحانيين بالاسم القديم آثروان ، ولكن التسمية العادية لهذه الجماعة أيام الأشكانيين والساسانيين هي المغان .

وقد استمر المغان يعدون أنفسهم قبيلة ، ويعتبرون أنفسهم طبقة من الناس « نشأوا من قبيلة واحدة وجلبوا على خدمة الآلهة »^(٤)

وقد سار رجال الدين في الدولة الساسانية مع نبلاء الإقطاع جنبا إلى جنب ،

(١) المرجع السابق ص ٢٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٣) انظر كريستنسن في Die Iranier ، ص ٢٨٩ وما بعدها .

(٤) أمين مرسيان ، (٢٣) ، ٦ ، ٣٤ .

وفي أثناء عهود الانحلال كان رجال هاتين الطبقتين ، رجال الدين والنبلاء ، يتحدون ضد الملك ولكنهما ظلّا دائماً منفصلين كطائفتين لكل منهما تطوراتها الخاصة بها . ولست أعرف على قدر ما قرأت ، فرداً من أفراد الأسر النبيلة الكبيرة المعروفة لنا في العهد الساساني شغل وظيفة موبدان موبد^(١) . فقد كان الرؤساء الروحانيون يختارون دائماً من بين قبيلة المغان التي تزايدت على مر العصور^(٢) . وكان رجال الدين ينسبون أنفسهم نسباً يرجع إلى التاريخ الخرافي المجيد لإيران ، لكي يتساووا مع العائلات النبيلة الكبيرة . فبينما الساسانيون يرقون بأنفسهم إلى الأسرة الأكمينية ، إلى كاوى ويشتاسبا (گشتاسب) حامى زردشت ، وبينما معظم الأسر الكبيرة الأخرى ينتسبون إلى أصل مجيد من الأشكانيين ، انتسب الموابذة إلى جدم الملك الخرافي منوچيترا الذي هو من أسرة پرذاتا الخرافية ، وهو أقدم كثيراً من ويشتاسبا جد الأسرة الساسانية^(٣) ، وقد أسبغت السلطة الروحية على السلطان الديني طابعها المقدس وكانت تدخل في الوقت نفسه في حياة كل فرد في كل أمر مهم فعى بهذا المعنى كانت تلازم الرجل من المهد إلى اللحد . « فإنّ الجميع يحلون اليوم المغان وينظرون إليهم بكثير من التعظيم فالأشغال العامة منسقة وفق نصائحهم وإرشادهم ، وهم يتولون بنوع خاص قضايا المتخاصمين فيقومون عليها بعناية تامة ثم يقضون فيها ولا يحل الفرس أى شيء أو يرونه عادلاً ما لم يقل رجال الدين بذلك^(٤) » .

ولا يستند تأثير المغان إلى سلطانهم الروحي وإلى حق القضاء الذي خولتهم الدولة ، وإلى سلطانهم في إثبات شهادات الميلاد وعقود الزواج وغيرها ، وإلى قيامهم بالتطهير ورعاية القرابين فحسب ، ولكن تأثيرهم يستند أيضاً إلى أراضيهم التي

(١) يروى أن زروان داذ بن مهر نرسی (من أسرة سينيدياد) أصبح هربدان هربد .

(٢) قارن الأسرة الكبيرة « السادة » في جماعة الشيعة .

(٣) الفصل ٣٣ من ترجمة وست West ؟ ص ٢٣٧ من البندهشن الإيراني (طبعة

انكلساريا) ووفقاً لشجرة النسب التي يذكرها الطبرى (ص ٨٧٧ — ٨٧٨ ؟ تولدكه ،

ص ١٢٧ — ١٢٨) فإن أسرة قارين كانت تنسب إلى منوچيترا هذا .

(٤) أجانياس ، (٢) ، ٢٦ .

يملكونها وإلى مواردهم الغزيرة التي يجنونها من الغرامات الدينية ، والعشور والهبات ومن ناحية أخرى كانوا يتمتعون باستقلال بعيد المدى ، إنهم كانوا يكونون بالتقريب دولة داخل الدولة . ثم إنه في أيام سابور الثاني ، كانت ميديا ، وخاصة آذربيجان (Atroptene) إقليم المغان . هناك كانت أراضيهم الحصبة ، وكان لهم بيوت قروية لم تكن لها أسوار لحفظها^(١) ، وكانوا يعيشون وفقا لقوانينهم الخاصة^(٢) وبالجملة كان كبار رؤساء هذه الطائفة يملكون عقارات كبيرة .

ورجال الدين الزردشتيون يكونون جماعة مرتبة غاية الترتيب ولها درجات منسقة ليست لدينا عنها معلومات دقيقة . والمغان (وتسكتب مكوان أو مكوگان) كانت الطبقة الكبيرة من رجال الدين الصغار . وكان رؤساء المعابد الكبيرة يلقبون فيما يظهر بلقب مُعَان مَن (وتسكتب مكوان مكو أو مكو مكوان)^(٣) والطبقة العليا من رجال الدين تشمل الموازنة (مكوپت ها)^(٤) . وكانت الدولة كلها مقسمة إلى مرا كز دينية على رأس كل منها موبد . ولدينا كثير من الحجارة الكريمة عليها صور ونقوش الموازنة ، منها : يابك (موبد خسرو شاد هر مزد) وويد شاهپور (موبد أردشير خوره) ، وفرخ شاهپور (موبد إيران خوره شاهپور) ، وبافرك (موبد ميشان)^(٥) .

ورئيس الموازنة جميعاً ، الذي هو عند الزردشتيين بمثابة «البابا» عند النصارى يسمى موبدان موبد . وأول ما نسمع عن هذا الرجل الدينى الكبير ، أن أردشير

(١) وكان كبار رجال الدين يحين بصفتهم الدينية .

(٢) أمين مارسيلين (٢٣) ، ٦ ، ٣٥ .

(٣) خاتم كل من بافرگه وقياد . وكان أولهما مغان مع لمعد نار آذر گشنسپ (أنظر الكلام عن هذا المعبد في الفصل الثالث) . هرتسفيلد ، پيكولى ، ص ٨٢ .

(٤) يقصد الكتاب الإغريق واللاتين بكلمة — مجوس — المغان والموازنة بلامتياز . وعلى العكس من ذلك كتاب العرب والفرس فإنهم يستخدمون كلمة موبد غالباً للدلالة على جميع طبقات رجال الدين הפרسيين .

(٥) هرتسفيلد ، پيكولى ، ص ٧٩ — ٨١ .

الأول قد عين موبدان موبد رجلا قد يكون اسمه ما هباد^(١) ومن المحتمل أن يكون هذا المنصب قد وجد من قبل . ولكنه لم يكن له هذا الخطر العظيم إلا حين أصبح الدين المزدى دينا رسميا للدولة الساسانية .

ومن شغلوا منصب موبدان موبد بهك وخليفته آذرباد مهرمبندان أيام سابور الثانى ، ومهر وراز ، ومهر آكاويد^(٢) ومهر شاهپور أيام وهرام الخامس ، وآزاد سذ أيام كسرى الأول^(٣) .

وكان للموبدان موبد السلطة العليا فى المسائل الدينية ، فإليه رجع الفصل فى المسائل النظرية فى الأصول والفروع ، وهو الذى يفتى فى المسائل العلمية وفى السياسة الروحية . والموبدان موبد بلا شك هو الذى يعين ويعزل الموظفين الدينيين . ومن ناحية أخرى كان الملك يعينه كما تدل كل الظواهر . وهو يشترك فى تكوين هيئات محاكم التفتيش وخاصة فى الأقاليم التى يشتد فيها العداء للدين^(٤) . وقد كان — أو ينبغى أن يكون — مستشاراً للملك فى جميع الأحوال التى تمس الدين^(٥) . وكان من الممكن أن يكون له تأثير قوى فى جميع شئون الدولة بوصفه الرائد الخلقى والرشد والسير الروحى للملك^(٦) .

وكان المهرابذة يديرون المراسيم الدينية فى العابد مما يتطلب معارف خاصة وتجربة

(١) الطبرى ، ص ٨١٦ ؛ نولدكه ، ص ٩ (مهر ؟) وانظر كريستنسن فى A.O. ، (١٠) ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(٢) بندهشن ، وست ، الفصل ٣٣ ، وطبعة انكساريا ، ص ٢٣٦ وما بعدها .

(٣) برون Ansgew. Akten persischer Märtyrer O. Braun ، ص ٢١٣ .

(٤) انظر الفصل السادس .

(٥) قارن الطبرى ، ص ٩٦٥ ، نولدكه ، ص ٢٥٠ ، على سبيل المثال .

(٦) انظر الدور الذى لعبه كبير الموابذة والموابذة عامة فى شاهنامه الفردوسى . وقارن « النهاية » ص ٢٤٠ ، ٢٢٧ حيث يقول إن الموبدان موبد يفتح وصية الملك الميت ويقرأها أمام ولده وخليفته . وانظر الفصل السادس فيما يختص بمركز الموبدان موبد فى اختيار الملك فى بعض المهود . وانظر الطبرى ص ٨٦٢ ، ونولدكه ص ٩٧ فيما يختص بالموبدان موبد كالأب الروحى للملك .

عظيمة ؛ وهم المسحون آتراً بايى Aéthra paitli في الأوستا . ويعرف الخوارزمي^(١) كلمة هربذ بأنه « خادم النار » . ويروى الطبرى أن كسرى الثانى قد أمر فبنيت بيوت النيران وأقام فيها اثني عشر ألف هربذ للزمزمة^(٢) . والدليل على ما كان يتمتع به الهرايزة من الشرف أن أحدهم كان يحكم إقليم فارس أميراً دينياً في القرن السابع حين فتح العرب هذا الإقليم^(٣) .

والرئيس الأعلى للهرايزة هو الهربذان هربذ . وهو يظهر في بعض عصور العهد الساساني ، على الأقل ، بين أعظم الشخصيات ، تالياً للموبدان موبد^(٤) . ومن بين رؤساء الهرايزة يذكر تندر ، الذى عاون أردشير على تنظيم شئون الدين الرسمي^(٥) وزروان داد بن مهر نرسى « الذى قصد به أبوه للدين والفقه فأدرك من ذلك أمراً عظيماً »^(٦) ويستنتج من هذه الفقرة التى أوردها الطبرى أن الوظائف القضائية كانت من اختصاص الهربذان هربذ ، ويقول المسعودى صراحة إن الهرايزة كانوا يصدرون أحكاماً بوصفهم قضاة^(٧) . ومن الموظفين الدينيين الآخرين الذين نستطيع أن نحدد اختصاصاتهم بالتأكيد ال : وردبد (أى أستاذ العمل)^(٨) وال : دستور الذى كان

(١) ممانج العلوم ، نشر ثان فوثن ، ص ٢١٦ ، أونوالا ، J. Cama. Or. Inst. سنة ١٩٢٨ ، ص ٤ و ١٣ .

(٢) الطبرى ، ص ١٠٤١ - ١٠٤٢ ، نولدكه ، ص ٣٥٣ . ولا شك أن هذا العدد مبالغ فيه . ويشرح اليعقوبى كلمة هربذ بقوله إنه « حافظ النار » ، طبعة هوتسما ، (١) ، ص ٢٠٢ . وفي النهاية ، ص ٢٢٨ ، كان الهربذان هربذ هو الذى يعلن الملك بأن النار المقدسة قد خبت .

(٣) انظر فى الفصل الثالث تفصيلات عن معابد النار والعبادات .

(٤) انظر الملحق الثانى .

(٥) ديشكرد ، نشر پيشوين سنجانا ، (٩) ، ص ٤٥٠ و ٤٥٦ ، الترجمة ،

ص ٥٦٩ و ٥٧٨ . وانظر كريستنسن ، A.O. ، (١٠) ، ص ٤٥ — ٤٧ . وقارن الفصل الثالث .

(٦) الطبرى ، ص ٨٦٩ ، نولدكه ، ص ١١٠ .

(٧) مروج الذهب ، (٢) ، ص ١٥٦ .

(٨) بنقشت فى Revue des études arméniennes ، (٩) ، ص ١٠ .

خبيراً بالمسائل الدينية ، فهو رجل دين ومشروع يلجأ الناس إليه لحسم القضايا المشتبّه فيها^(١). وعلاوة على هذه الوظائف كان هناك وظيفة عليا هي «مغان أندرزبد أو مكوگان أندرزبد (أى مؤدب المجوس)^(٢)». وكان لرجال الدين ، فى علاقاتهم مع الجمهور ، وظائف متعددة ومتغاونة : إجراء أحكام الطهارة ، والاعتراف ، والعفو والغفران ، والحكم بالفرامة بعد الإقرار بالذنب ، ثم إقامة المراسيم العادية فى المواليد وفى وضع الحزام المقدس والزواج والجنائزات^(٣) وسائر الأعياد الدينية المختلفة . وإذا عرفنا كيف أن الدين يتدخل فى أقل أمور الحياة اليومية شأننا وإلى أى حد كان الفرد العادى معرضا ، ليلا ونهارا ، لأن يقع فى الإثم أو النجاسة لأقل غفلة تبدو منه ، لفهمنا أن وظيفة رجال الدين لم تكن قط وظيفة تشریف ، وأن رجل الدين الذى لم يرث منقولا أو عقارا يستطيع بسهولة أن يجنى ثروة طائلة بفضل أعماله المختلفة^(٤).

كان على الفرد أن يصلى للشمس أربع مرات أثناء النهار ، وعليه أن يصلى للقمر ، وللنار ، وللماء ، وعليه أن يرتل الأدعية قبيل النوم وحين يسبحو ، وأثناء الاستحمام والنطق بالحزام وأثناء الأكل ، وحين يذهب إلى الضرورة ، وإذا عطس ، وإذا حلق شعر رأسه أو قلم أظافره ، وحين يضىء السراج وهكذا . ونار البيت لا يجوز أن تجبو ولا يجوز أن تقع الشمس على النار ، ولا يجوز أن يقترب الماء والنار ، وآنية المعدن ينبغى أن لا تصدا لأن المعادن كانت مقدسة ، والماراسيم الضرورية

(١) جمع أردشير الأول الدساترة والموايدة كلهم حين أراد أن يحدد نس الأوستا . وتستخدم كلمة دستور أحيانا بمعنى أعم لتدل على جميع أعضاء الديانة الزردشتية .

(٢) اليزيه ، انظر هوبشيان ، Armen. Gramm ، (١) ، ص ٩٩ ، هوفان ، ص ٥٠ — ٥١ . وبهينه ، مكوگان اندرزبد ، المشرع ، انظر المقدمة ص ٤٣ . أما وظيفة مس مغان « رئيس المغان » التى نجدها فى دماوند أيام الفتح العربى والتى ظلت مستخدمة بعد الهجرة بحوالى قرن ونصف فإنها لا ترجع إلا للأزمنة المتأخرة من العصر الساسانى (ماركارت إيرانشهر ، ص ١٢٨) .

(٣) انظر ص ٢٣ فيما يختص بعرض الجثث فى الداخات .

(٤) دينكر ، (٨) ، ٢٠ ، ٤٤ .

للتطهير من لمس ميت أو امرأة حائض أو نفساء وخاصة إذا وضعت طفلا ميتاً ، كل هذه التكاليف كانت متعبة للغاية وصعبة جداً . وقد رأى أردگك ویراز ، الولى الزردشق الكبير ، رأى فى النار ، بين القتلة وأهل اللواط والحائضين فى أيمانهم وغيرهم من كبار المجرمين ، أفراداً أذنبوا بأن اغتسلوا بالماء الساخن أو ألغوا بأشياء نجسة فى النار أو الماء ، أو تكلموا وهم يأكلون أو بكوا الموتى أو مشوا حفاة الأقدام .

وقد ذكرت تفصيلات عن مركز رجال الدين فى هيربدستان (قانون الروحانيين) وال : نيرنخستان (قانون المراسيم الدينية) ، وهما قسمان من نسك هو سپارم أحد الكتب المفقودة من الأوستا الساسانية^(١) . ويتناول الهيربدستان بين ما تناول من موضوعات مسائل إرسال رجل من رجال الدين للتعليم أو تنفيذ المراسيم الدينية فى الجهات المختلفة ، والوسائل التى عليه أن يتخذها ليضمن استمرار العبادة فى هذه الجهات أثناء غيابه ، ثم عن استخدام امرأة و غلام بشروط خاصة ، ليعاونا فى إحياء المراسيم الدينية وما شابهها .

وفى قسم آخر من نسك هو سپارم شيء عن الأجر الذى يدفع للزائتر مقابل تعليمه ، وهو موظف كبير للقيام على أمور بيت النار^(٢) وسائر أمور الدين^(٣) . ويلتزم بنفقات الرئيس الروحى واحتياجاته فلاحو القرية^(٤) .

ولم يكن تنفيذ مراسيم الحفلات الدينية كل ما على رجال الدين من أعباء ، بل كان عليهم توجيه الشعب أخلاقياً ، كانت لهم حكومة الأرواح . وكان التعليم الابتدائى والعالى ، بوجه عام ، فى أيدي رجال الدين وهم يختصون وحدهم بجميع فروع علوم

(١) ملخصة فى دينكرد ، (٨) ، ٢٨ ، ولا يزال قسم من هذين القسمين موجود Nirangestān بالزككوغراف ، لفسر داراب دستور پيشتوان سنجانا ، بمباى ، ١٨٩٤ ؛ الترجمة الانجليزية لبسارا ، بمباى ، ١٩١٥ .

(٢) انظر التفصيل من المراسيم الدينية فى الفصل الثالث .

(٣) دينكرد (٨) ، ٣١ — ٢٠ .

(٤) دينكرد (٩) ، ٤١ ، ١٦ ؛ وفقاً لما جاء فى نسك ورشمانسر وهو كتاب آخر من الأوستا الساسانية .

الزمان . وقد كان هناك آداب دينية وفقهية متسعة للغاية ، عدا الكتب المقدسة وشروطها . ويشير^(١) إليز Elisée إلى موبد — رئيس المجوس — قد اكتسب بفضل تبحره في علوم الدين لقباً فخرياً هو « همكك دين » (الذى يعرف الدين كله) ، فقد قرأ الكتب الخمسة التى تحوى نظرية المجوس وهى : آنبرتكاش^(٢) ، بزبائث^(٣) ، پهلوياك ، پارسيكك دين ، (الدين الفارسى) ويعرف علاوة على هذا مذهب الموابذة الخاص .

أما الوظائف القضائية لرجال الدين فقد تناولت بحثها في الفصل السادس .

المالية

يلى الواستريوشانسالار رئاسة الضريبة العقارية^(٤) وكلة واستريوشانسالار أو واستريوشبد معناها رئيس الزراع . فإن على الزراعة يقع عبء الضريبة العقارية . وبما أن الضريبة تفرض حسب الخصوبة وجودة زراعة القرى ، أو رداءتها ، فقد أصبح على الواستريوشانسالار أن يسهر على زراعة الأرض وريها وغير ذلك . ومن المحتمل أن يكون الواستريوشانسالار على رأس مصلحة الأموال ويظن أن اختصاصه لم يكن يشمل الضريبة العقارية وحدها بل وسع الضريبة الشخصية أيضاً . ذلك لأنه يلقب بلقب آخر هو هو توخش بد (رئيس الصناع) أو رئيس كل من يمتن حرفة يدوية عبيداً أو حراثين أو تجاراً . . . فكان عليه ، في الجملة ، أن يكون وزير المالية . وكانت هذه الوزارة تتضمن وزارت الزراعة والعمل والتجارة .

(١) لانبجوا (٢) ، ص ٢٣٠ .

(٢) ربما اختبأ وراء هذه الصيغة التى أصبحت ارمنية : امبرد كيش پهلوى ، وقد يكون معناها بالتقريب « مجموعة كاملة للعقائد الدينية » .

(٣) الهلوى hszpatit ، الاعتراف بما اقترف من ذنب . أنظر پتازونى فى كلامه عن صلاة الاعتراف التى هى بدعة فى العصر الساسانى ، ترجع فيما يظهر إلى تأثير ديانات أجنبية (المسيحية ؟ المانوية ؟) ، فى Modi Mem. Vol. ، ص ٤٣٧ وما بعدها .

(٤) الطبرى ، ص ٨٦٩ ؛ نولدكه ، ص ١١٠ . وفارن هرزفيلد ، بيكولى ، رقم ٢٧٤ .

ويعرف بمن شغلوا وظيفة واستريوشانسالار كشنسپادار قبل ارتقاء بهرام الخامس^(١) وماه كشنسپ بن مهر نرسی^(٢)، ويزدين، المسيحي أيام كسرى الثاني^(٣). ومن بين كبار موظفي المالية ينبغي أن نشير إلى ولاية الخراج (آماركاران) في إيران آماركار من المحتمل أن يكون نائباً عن كبير الوزراء (بزرگ فرمادار)^(٤). وقد يكون من الصعب أن نعرف اختصاصاته بالنسبة للوستريوشا نسلار. ثم هناك در آماركار (وهو رئيس محاسبي البلاط أو القصر الذي يقيم به الملك)^(٥) وواسپوران آماركار (والى الخراج الذي تتقاضاه الدولة من أراضي الواسپوران)^(٦) وشهرپواماركر (والى خراج (السترپ)؛ ويبدو أن هذا كان ضابطاً من ضباط إدارة الإقليم^(٧)، وكذلك نعرف آذرباذگان آماركار (والى خراج آذربيجان)^(٨).

وربما لقب خازن مال الملك بلقب «گنججور»^(٩). ويرى هرتسفيلد أن حارس المسكوكات كان يحمل لقب گهيد^(١٠).

وكانت المصادر الرئيسية للدخل في الدولة تتكون من الضريبتين العقارية

(١) الدينوري، ص ٥٧.

(٢) الطبري، ص ٨٦٩؛ تولدكه، ص ١١٠.

(٣) الطبري، ١٠٦٠؛ تولدكه، ٣٨٣.

(٤) أنظر الملحق الثاني في جزئه الأخير.

(٥) أنظر هرتسفيلد، بيكولى، ص ٨٠ — ٨١.

(٦) المرجع نفسه، رقم ٥٠ — ٥١.

(٧) المرجع نفسه، رقم ٥٣٨.

(٨) أنظر بشوموف ونيبرج في Bulletins de la Société scientifique d'Azer-

béidjan، ٢٦، ٣٤.

(٩) هو بشمان، Aimen. Gramm، (١)، ص ١٢٦.

(١٠) بيكولى، رقم ١٢٧.

والشخصية^(١)، وكانت الضريبة الشخصية تحدد مرة واحدة بمبلغ سنوى محدد، وعلى السلطات المختصة أن توزعه بقدر استطاعتها بين دافى الضريبة. وكذلك كانت الضريبة العقارية تجبى بنفس الطريقة. فإن التقدير يتم حسب ما تنتجه الأرض من غلات، وعلى كل قرية أن تدفع من السدس إلى الثلث، حسب خصوبة الأرض^(٢). ولكن توزيع وتحصيل الضرائب كثيراً ما كان سبباً في الجور وسوء الحيلة من ناحية الموظفين، ولأنه تبعاً لهذه الطريقة كانت مبالغ الدخل تنفاوت كثيراً من سنة لأخرى، فإنه كان من غير الممكن عمل حساب تقريبي مقدماً للحالة المالية واستخدام ما يجبى منها. ومن ناحية أخرى، كانت الرقابة على ذلك غاية في الصعوبة. وكان ينتج عن ذلك غالباً أن تفاجئ الحرب الدولة فيعوزها المال، وفي هذه الحال كان ينبغي فرض ضرائب استثنائية، وكان عبثها الفادح يقع غالباً على الأقاليم الغربية الغنية وخاصة العراق (بلاد بابل).

وكثيراً ما يشار إلى إعفاء الزراع من الضرائب الباقية عليهم حسب النظام القديم. وقد كان ذلك للملك الجديد وسيلة لتقريبه من الشعب. وقد حظ بهرام الخامس عند ارتقائه العرش الضرائب التي لم تحصل وقد بلغ مقدارها سبعة مئتي مليوناً من الدراهم. كما أمر بترك الثلث من الضريبة العقارية التي تستحق في السنة التي ولى

(١) وعندما خضعت إيران للعرب استخدم الأفغان الخراج والجزية؛ والأولى في الأهلية خراج والثانية هي جزية الآرامية التي أدخلت في الأهلية كلفظ مستعار (انظر تولدكه، طبرى، ص ٢٤١، ملحوظة ١). وقد استعملت الكلمتان في القرن الأول الإسلامى من غير تفرقة بينهما للدلالة على الضريبة العقارية حيناً وعلى الضريبة الشخصية حيناً آخر. ويقول تولدكه أيضاً إنهم كانوا يطلقون كلمة خراج في ذلك الزمان على الجزء من الدخل الذى يلزم العبد بدفعه إلى سيده وفقاً لنظام للعاملات. ونجد في اللغود كلمة Kharagā بمعنى الضريبة الشخصية. وكذلك نرى أن استخدام كل من هاتين الكلمتين بمعناها الصحيح، أيام الساسانيين، مشكوك فيه. فإن هذا المعنى الاصطلاحي لم يحدد إلا في النصف الأول من القرن الثامن الميلادى أيام العرب، ومنذ ذلك الوقت أصبحت كلمة خراج تطلق على الضريبة العقارية، وكلمة الجزية تطلق على الضريبة الشخصية (انظر ولهاوسن، Das arab. Reich، ص ١٧٣ و ٢٩٩؛ بيكر، Beiträge zur Geschichte Agyptens، ص ٨٧ و ١١٠).

(٢) أو كما يقول الدينورى من العشر إلى نصف المحصول (ص ٧٢). وكذلك كان يدخل في التقدير قرب القرى أو بعدها من المدينة.

فيها^(١). وقد أعفى الملك فيروز الشعب ، أثناء القحط ، إعفاء نهائياً من الخراج والجزية ، وكذلك مما كان يدفعه الناس من الأموال للمنافع العامة كما أعفاهم من السخرة وغيرها من الأعباء^(٢).

ويضاف إلى الضرائب المنظمة الهبات العادية ، التي تسمى آيين والتي يحسب منها التخف التي تقدم للملك — جبراً — في عيدي النوروز والمهرجان^(٣). ومن أهم موارد الدخل ، فيما أظن ، ما تغله الأملاك الخاصة (أملاك الملك) وما كان للملك من الحقوق على الموارد الأخرى ، وقد كان من بين هذه الحقوق حقوقه في مناجم الذهب في فرانيجيون ، بإقليم فارس أرمينية^(٤). وكانت غنائم الحرب مورداً غير منتظم من موارد الدخل . يقول كسرى الثاني^(٥) وهو يفخر بانتصاره في الحرب ، إنه غنم منها الذهب والفضة والجواهر من كل صنف والنحاس والفولاذ والحديد والأطلس والسندس والمواشى والأسلحة والنساء والأطفال والأسرى من الرجال .

وكذلك كان دخل التجارك مورداً من موارد الدخل ، نستنتج ذلك من معاهدة الصلح التي عقدت بين كسرى الأول والإمبراطور جستنيان سنة ٥٦٢ ميلادية فقد اشترط في المادة الثالثة من هذه المعاهدة على أن يستمر التجار الفرس والروم في تبادل جميع أنواع البضائع ، كما كانوا يفعلون منذ الأزمنة الغابرة ، ولكن على أن تمر البضائع بالمسكاتب العادية بالجرمك .

وتقول المادة الرابعة من هذه المعاهدة إن البعوثين والمسافرين الرسميين من كل

(١) الطبري ، ص ٨٦٦ ؛ تولدك ، ص ١٠٥ .

(٢) الطبري ، ص ٨٧٤ ؛ تولدك ، ص ١٢٢ .

(٣) انظر فان فولتن ، *Recherches sur la domination Arabe* (استردام ١٨٩٢) ص ٩ . وقد استمر تقليد تقديم الهبات هذا حتى الزمن الحديث . انظر كرزون *Persia* ، في مواضع مختلفة . وانظر جرينفيلد ، *Die Verfassung des persischen staates* (برلين ١٩٠٤) ، ص ٣٤٦ . وانظر الفصل الثالث عن عيدي النوروز والمهرجان .

(٤) بروكوب ، BP ، ٢ ، ١٥ .

(٥) انظر الفصل التاسع .

من الدولتين للتعاقدتين لهم الحق في استخدام خيول البريد من بلاد الطرف الآخر وأنت يدخلوا معهم كل البضائع التي يحملونها من غير اعتراض مع إعفائها من الضرائب الجمرية^(١).

ونفقات الدولة ، خرجها ، كان ينصب غالباً على الحرب ، ومصاريق البلاط ورواتب الموظفين . وبالجملة الأبواب اللازمة لتسيير دولاب العمل العادي في الدولة ثم في الأشغال العامة لتسيير زراعة الأرض ، وإنشاء الجسور والحفاظ على وحفر الترعة وهكذا ، ولو أن المتبع غالباً بل عادة ، أن تفرض على أهل الجهة التي تستفيد من مشروع عام ضرائب استثنائية حتى يتيسر تنفيذه . وكان الملك حين يعفى رعاياه من التأخر عليهم من الضرائب يوزع ، أحياناً ، هبات مباشرة على الفقراء . ومن أمثلة ذلك ما فعله بهرام الخامس وفيروز^(٢) فأول هذين الملكين تبرع بكثير من المال لا على الفقراء والمساكين فقط ولكن على أهل البيوت وذوي الأحساب ، وقد خصهم من هبانه عشرون مليوناً من الدراهم . على أن ما كان ينفق من الخزانة في سبيل الخير العام لم يكن كثيراً ، لأن ملوك إيران من عادتهم أن يجمعوا في خزائهم أقصى ما يستطيعون من الأموال والنفائس .

ويقول الكتاب الأرمني ، إنه عند ارتقاء ملك جديد العرش ، كانوا يذبيون كل النقود المتداولة ثم يعيدون سكها باسم الملك الجديد ورسمه . وكذلك فإن الوثائق المحفوظة كانت تكتب من جديد باسمه مع التغييرات التي لاغى عن إجراءاتها^(٣).

الصناعة والتجارة والمواصلات

يلخص هيونت تسيانج ، السائح الصيني المشهور الذي وصف الحياة في البلاد الغربية التي زارها في أوائل القرن السابع الميلادي ، في كلمات قليلة منتجات الصناعة

(١) انظر لويس جرای ، Modi Mem. Vol. ، ص ١٤٩ . وفارن « استقلال
جركي إيران » لرضا صافي النية ، طهران ، ١٣٠٧ ، ص ٩٩ — ١٠٢ .

(٢) انظر الطبري ، ص ٨٦٦ ، ٨٧٣ ، تولدكه ، ص ١٠٥ ، ١١٠ .

(٣) JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١١٣ مقال پتكانيان .

في إيران فيقول : تنتج البلاد الذهب والفضة والنحاس والياور الصخرى ، والياور النادرة والمواد الثمينة المختلفة . وصناع إيران يجيدون نسيج السندس الحريرى ، والأقمشة الصوفية ، والسجاد وغيرها ^(١).

وقد اعتاد الإيرانيون إنشاء مستعمرات من أسرى الحرب من البلاد المختلفة ، لإدخال فروع جديدة من الصناعة وكذلك لزراعة الأراضى البور . وطى هذا النحو نقل دارا الأول عدداً من سكان ارتريا إلى خوزستان ^(٢) ، كما أقام أورود أسراه من جند الرومان فى ضواحي مرو . وكذلك أقام سابور الأول أسرى الروم فى جند يسابور ، حيث استطاع الفرس أن يفيدوا منهم الأعمال الهندسية لإنشاء السد المشهور « بسد الإمبراطور » ^(٣) . ووزع سابور الثانى الأسرى الذين استسلموا فى آمد بين موس وشوشتر وغيرها من مدن الاهواز ، حيث أدخلوا أنواعاً جديدة من صناعة الديباج وغيره من أنواع الحرير ^(٤) . والغالب أن مثل هذه المستعمرات كان يندثر فى زمن قصير ، ولكنها أحياناً تثمر وتبقى قواماً دائماً ^(٥).

وكانت التجارة البرية تتبع طرق القوافل القديمة . فمن المداين العاصمة على شاطئ دجلة ، كان الطريق الكبير يؤدى إلى همدان ، عن طريق حلوان وكنجاور ، وقد تفرعت منه طرق عديدة ، طريق ناحية الجنوب ، يخترق خوزستان وفارس وينتهى عند الخليج الفارسى ، وطريق يذهب إلى الرى ، قرب طهران الحالية يبلغ به السائر بحر قزوين مخترقاً منحدرات جبال جيلان وسلسلة البرز أو يسير منه إلى خراسان ليستمر فى رحلته حتى الهند عن طريق وادى كابل أو حتى الصين عن طريق تركستان وحوض طارم .

وأما عن المواصلات مع الإمبراطورية الرومانية فقد كانت مدينة نصيبين مركزاً

(١) بيل ، Buddhist Records of the Western World ، (٢) ، ص ٢٧٨ .

(٢) هيروdot ، (٤) ، ١١٩ ؛ Flav. Philostr. ، (١) ، ص ٢٤ .

(٣) تولد له ، طبرى ، ص ٣٣ ، ملحوظة ، ٢ .

(٤) صروج الذهب ، المسعودى ، (٢) ، ص ١٨٦ .

(٥) شيبجل ، Eranische Alterthumskunde ، (٣) ، ص ٦٦٠ .

هاماً لها . ومن بين شروط الصلح التي عرضها الإمبراطور ديوكليتيان سنة ٢٩٨ على الملك نرسى أن تكون نصيبين وحدها نقطة الاتصال بين الدولتين . ولكن نرسى رفض هذه المادة من المعاهدة . وفي زمن أمين مارسلن كان يقام في أول شهر سبتمبر من كل سنة في مدينة باتنة ، التي تقع غير بعيد من الشاطئ الشرقي لنهر الفرات ، سوق كبيرة ترد إليها البضائع من الهند والصين^(١).

وفي سنة ٤١٠ كانت المدن المفتوحة للمعاملات التجارية مع الإيرانيين ، حسب أمر الإمبراطورين هونوريوس وتيودوس الصغير هي نصيبين في الشرق على شاطئ دجلة ، وكالينيك في الغرب ، على شاطئ الفرات ، وارتكزانا في أرمينية ، من ناحية الشمال^(٢). وكانت المدينتان نصيبين وسنجر قد أخليتتا من سكانهما ، وتنازل عنهما ملك إيران للرومان بمقتضى صلح سنة ٣٦٣^(٣).

وكانت التجارة البحرية مهمة . وحينما أصبح أردشير الأول ملكاً على ميسلين وخرسين وسع المرافئ البحرية القديمة وأنشأ مرافئ جديدة . يقول رينو « إن الفرس وقد اتحدوا مع العرب ، واشتركوا معا في الحكومة بمهارة ، كونوا بحرية جديرة بالإعجاب بالتدريج . وقد أخذت السفن الفارسية تمخر عباب البحار الشرقية كلها ، وقد بدأت منافسة للأسطولين الروماني والحبشي أول الأمر ، ثم صارت قوة متفوقة بعد ذلك . وكان النفوذ الذي كسبه الفرس في البحر من الأسباب الرئيسة للتدهور ثم للسقوط السكلي الذي لحق سمعة الرومان في البحار الشرقية^(٤) » . وفي سنة ٥٢٣ ، حين أراد ملك الحبشة محاربة سكان بلاد الحجاز ، أعد بجانب سبعة سفينة التي شيدها لهذا الغرض ، مئة سفينة رومانية وفارسية .

(١) أمين مارسلن ، (١٤) ، ٣ ، ٣ .

(٢) رينو ، *Relations Politiques et Commerciales de l'empire romain*... باريس ١٨٦٣ ، ص ٢٦٧ وما بعدها .

(٣) أمين مارسلن ، (٢٥) ، ٧ ، ١١ .

(٤) رينو (١) ، ٥ ، ٢٤١ ، وقارن ص ٢٩٢ ، والمؤلف نفسه ... *Mémoire* ص ١٥٥ وما بعدها . وانظر أيضاً شيدر *Der Istam* ، Hasan al-Basri ، (١٤) ، ص ١١ وما بعدها .

وكانت منتجات الهند وجزيرة سيلان تنقل حينذاك إلى الرومان على سفن حبشية^(١).

وكان الحرير أهم أصناف التجارة الترنزيت عند الفرس^(٢). ولكن كان يحجز بفارس مقدار كبير جداً من الحرير الخام المستورد من الصين ، لينسج بها ، وكان الفرس يستطيعون دائماً بيع منتجاتهم الحريرية للبلاد الغربية بالأسعار التي يحددونها بأنفسهم . ولكن منذ القرن السادس ، نجح البيزنطيون في غرس أشجار التوت في بلادهم فأصبحوا إلى حد ما في غنى عن استيراد الحرير .

وقد حاول الترك عبثاً ، بإلحاح رعاياهم من الصفد ، أن يحصلوا من كسرى الأول على إذن بمرور حريرهم في إقليم فارس^(٣).

وكان الصينيون يشترون ضمن البضائع الفارسية الكحل الإيراني المشهور لتزجيج الجوابج ، وكانوا يدفعون فيه ثمناً باهظاً ، وكانت ملكتهم توصى بشرائه لاستعمالها الخاص^(٤). وكذلك كانت السجاجيد البابلية من البضائع المطلوبة^(٥). ثم كان الفرس يصدرون للصين الأحجار الثمينة السورية ، طيعية وصناعية ، والمرجان واللؤلؤ من البحر الأحمر . والأقمشة المنسوجة في الشام ومصر ، والمواد المخدرة من آسيا الوسطى^(٦).

وأما نظام البريد فقد استعار الخلفاء النظام الإيراني ، بصورة لا تختلف كثيراً عما كان عليه أيام الدولة الأكمنية . وهو النظام الذي يحدثناه عن الكتاب الإغريق ، ونستطيع أن نؤكد وجود هذا النظام نفسه أيام الساسانيين ، وكان البريد مسخراً

(١) رينو ، Relations politiques... ، ص ٢٦٩ وما بعدها .

(٢) فارن جوستي ، OIPH ، (٢) ، ص ٤٧٧ ، ملحوظة ١ .

(٣) هرتسيفيلد ، Am Tor von Asien ، ص ١٢٢ ؛ شيدر ، Iranica ، ١٩٣٤ ،

٤١ وما بعدها .

(٤) هيرث ، Chinesische Studien ، ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٥) هيرث ، China and the Roman Orient ، ص ٢٥٣ .

(٦) نفس المرجع ، ص ٢٣٤ — ٢٧٩ .

لمصالح الدولة لا لمصلحة الرعية ، فكان غرضه الأول ضمان مواصلات سريعة مريحة بين الحكومة المركزية وإدارة الأقاليم . فكانت الأشخاص والرسائل تسير في طرق معبدة ؛ وكذلك كانت المنازل (المحطات) مزودة حسب أهميتها بالموظفين والخيول^(١). وكان هناك سعاة للبريد يركبون الخيل وآخرون من العدائين . وهؤلاء كانوا يستخدمون بنوع خاص في الأقاليم الإيرانية الخالصة ، حيث المسافات بين المحطات أقصر كثيراً جداً مما في البلاد السورية أو العربية ، التي كان يستخدم في جزء منها بريد الجمل^(٢). وكلمات أوبريد ، دو بريد ، سه بريد ، اصطلاحات مهلوية تدل على سعاة البريد الذين يسرون بسرعة كبيرة ويصحبون معهم حصاناً أو اثنين أو ثلاثة من خيل البريد الملكي ، بالتناوب^(٣) .

الجيش

كان الجيش خاضعاً لقائد واحد ، إيران سياهبد^(٤) ، إلى أيام كسرى الأول . ولكن ولاية هذا القائد كانت أوسع من ولاية قائد الجيش بالمعنى الحديث ، فقد

(١) باغد إسپانیگ « الحصان الخاص بساعي البريد الملكي » ، انظر أونوالا King Husraw and his page § ٩٩ ، وملحوظة الناشر .

(٢) كرامر ، Kulturgesch. d. Orients ، (١) ، ص ١٩٥ — ١٩٦ . ومن غير الممكن أن نحدد إذا كان لمديرى مراكز البريد ، كما كان لهم أيام الخلفاء في العهد الإسلامى ، الرقابة على إدارة الأقاليم وهل كان عليهم كتابة التقارير ورفعها إلى البلاط . على أن رقابة مماثلة كانت مفروضة على قضاة المراكز ، وكانت سرية تقريباً ، وليس من المستبعد قيام رقابة سرية تحت مظهر آخر ؛ فقد عرفت إيران منذ عصور بعيدة الجاسوسية الدقيقة النظام . ويستنتج من كتاب تفسر (الحشاش ص ٤٩) أن العظماء قد شعروا بثقل هذه الرقابة السرية « وأن الناس منهم في رعب وحيرة » . وقد دافعت الحكومة الملكية عن خطتها في التجسس بحجة « أن عيون الملك والتهنن إليه لا يعينون إلا إذا كانوا من الصالحين الأتقياء العلماء الأمناء المتدينين الزاهدين ليصدر ما يعرضون على الملك عن تثبت ويقين » . ويرى كريستنسن أن هذا كان أيام كسرى الأول ، وقد ردّدنا هذا الرأى . مقدمة كتاب تفسر ٦ — ١١

(٣) جييجر WZKM ، ١٩١٥ ، ص ٣٠٩ وما بعدها .

(٤) اللقب الكامل المذكور في كارنامك ، ١٠ — ٧ ؛ نولسك ، BB ، (٤)

كانت وظيفته تشمل أعباء ثلاثة : وزارة الحرب ، وقيادة الجيش العليا ، والقيام بمفاوضات الصلح .

أما أنه كان يسيطر على تنظيم الجيش الإمبراطوري ، وتدير أموره فهذا يبينه مركزه عضواً في الدائرة الصغيرة من مستشاري الملك . وكانت أمور الحرب ترفع إليه بوصفه وزيراً ؛ ولكننا مع ذلك نذكر أن سلطة كبير الوزراء ، بزرگ فرمادار ، لم تكن محددة بالدقة ، فكان يستطيع دائماً أن يتدخل في إدارة الجيش ؛ وأن الملك كان يتدخل في معظم الأوقات في المسائل الهامة المتعلقة بالحرب . وقد كان أكثر ملوك الساسانيين شغوفين بالحرب واشتركوا فعلاً في أعمالها . وهكذا نستطيع أن نظن أن مركز إيران سپاهبد كان مستقلاً إلى حد ما في عهد الملوك غير الحرييين .

وأما القواد في القسم الأول من العهد الساساني فإنه من الصعب أن نعرف من كان منهم يشغل وظيفة الإيران سپاهبد . فإننا نجد كذلك وظيفة سپاهبد في جهات معينة^(١) ، وكذلك نجد كئارنگك ومرزبان وهكذا ، وكلهم يمكن أن يرسلهم الملك لإدارة معركة . والمؤرخون البيزنطيون والأرمن والسريان وغيرهم قلما يمدوننا بمعلومات محددة عن لقب قواد إيران . وهناك موظفون آخرون في الدولة ، لوظيفتهم طابع حربي ، كانوا يرقون أحياناً إلى رئاسة جيش . ومن بين القواد الإيرانيين الكثيرين الذين ذكرهم فاستوس البيزنطي في روايته لحروب سابور الثاني مع أرمينية^(٢) ، نجد مثلاً ديران دبير ، رئيس الحجاب ، والرئيس العام للتموين .

ونجد خاصة عند الكتاب البيزنطيين ، عدداً من الأمثلة على أن القواد (سپاهبد ، إيران — سپاهبد) قد اتخذوا مفاوضات الصلح بتوكيل من الملك . وهكذا كان سورين مبعوثاً لمفاوضة الإمبراطور جوفين^(٣) ، وكذلك ذهب سياوش الارتشتارا —

(١) يذكر الدينوري كثيراً اسم سپاهبد السواد : ويستهم ، بعد موت يزدجرد الأول (س ٥٧) ، وسابور بن وهرام ، أيام الملك قباد الأول (نهاية س ٢٢٦) . وانظر الملحق الثاني .

(٢) لآنجلوا ، (١) ، س ٢٥٨ وما بعدها .

(٣) آمين مرسلان ، (٢٥) ، ٧ — ٤ .

نسلار (رئيس المحاربة)^(١) ، وسياهبد ماهبود ، معا إلى الحدود الرومانية للتعسس للمفاوضات^(٢) ؛ ثم مهر — مهرويه الذى شهد أجائياس بمقدرته فى الرأى والحرب^(٣) ، قد أوفد إلى جستنيان . وفى التاريخ المنسوب لستيليت يظهر السياهبد بنوع خاص على أنه رجل سفارة (دبلوماسى)^(٤) ، على حين يدير فيه المرازبة أعمال الحرب^(٥).

وكان من مزايا القواد أن يدخلوا المعسكرات على صوت الطبل^(٦) .

وتشير السكارنامك إلى أحد الأرثشتارا نسلار (أى رؤساء المحاربين) (٣١٣) وهو اللقب الذى كان يحمله فى القرن الخامس كاردار أحد أبناء مهرنرسى^(٧) ، ثم بعد ذلك سياوش أيام قباد الأول . ويقول الطبرى^(٨) « إن الأرثشتارا نسلار مرتبة فوق مرتبة الإصبهيد تقارب مرتبة الأرجند » . وبعد عهد قباد الأول اختفى هذا اللقب من المصادر التى بأيدينا . وكل ما لدينا من معلومات يعملنا على الظن بأن ارتشتارا نسلار هو اسم آخر لإيران — سياهبد ، الذى ألقى وظيفته كسرى الأول ، خليفة قباد . يقول بروكوب « حق أن سياوش كان الأول والآخر الذى حمل لقب ارتشتارا نسلار ، وأن هذا اللقب قد ألغاه الملك قباد بعد مقتل هذا الموظف الكبير » ولكن بما أن الشطر الأول من هذه الرواية ظاهر البطالان ، لأن ابن مهرنرسى كان يحمل هذا اللقب قبل سياوش ، فإن الشطر الثانى يحتمل أن يكون أيضاً غير صحيح .

(١) انظر ما بعد هذا .

(٢) بروكوب ، B.P. ، ١ — ١١ .

(٣) ٢ — ٢٢ .

(٤) ترجمة ريت ، ص ٧٤ و ٧٥ وما بعدها .

(٥) انظر الفصل الثامن لمعرفة التعديلات التى أدخلها كسرى الأول بإلغاء منصب إيران — سياهبد وتعيين أربعة قواد بدلا عنه .

(٦) باتكانيان فى J.A. ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١٦٦ .

(٧) كارنامك ، ١٠ — ٧ ؛ نولدكه BB . (٤) ، ص ٦١ — ٦٢ .

(٨) الطبرى ، ص ٨٦٩ ؛ ونولدكه ، ص ١١١ .

وكان رئيس الحرس الملكي يسمى بشتيگيا نسالار . وكانت فرق من المشاة (پايجكان) تحت قيادة رئيسهم (پيگيا نسالار) تحت تصرف موظفي الأقاليم شرطاً أو جلادين وغير ذلك^(١) ، ولشغل وظائف مماثلة كانت فرق الرماة تحت رئاسة قائدها تيريد ، تلحق بالقرية ، في بعض أنحاء المملكة^(٢) على الأقل . وفي البلاط كان جنود الحرس غالباً ملازمين بالقيام بعمل الجلادين^(٣) .

وهناك موظف كبير ، هو مؤدب الأساورة كانت وظيفته أن يعمل على تعليم أبناء المحاربين في المدن والرسائيق حمل السلاح وآدابه^(٤) .

وأما عن تفاصيل النظم الحربية فانظر الفصلين الخامس والثامن .

الكتاب وسائر موظفي الإدارة المركزية

إن الجاه الذي كان يتمتع به طبقة الكتاب (ديران)^(٥) في إيران واضح غاية الوضوح . فإن الإيرانيين كانوا دائماً يعنون بالشكل . فالوثائق الرسمية ومراسلات الأفراد ينبغي أن تصاغ صوغاً أنيقاً ، فتختلط بها نبذ من أقوال الحكماء ، والحكم الخلقية والدينية والأشعار والألغاز الرائقة ، لكي تكون الرسالة أو الوثيقة قطعة

(١) نولدكه ، الطبري ، ص ٤٤٨ .

(٢) هوفان ، ص ٦١ .

(٣) انظر الطبري ، ص ١٠٤٣ ؛ نولدكه ، ص ٣٥٦ . كان رئيس حرس الخليفة ، في أوائل العصر العباسي ، يقوم بوظيفة الجلاد أيضاً (كرامر ، Kultur gesch. des Orients ، (١) ، ص ١٩٠) . أما نظام البوليس فإننا لا نعرف عنه كثيراً . وفي نيك سكاظم ، وهو أحد الكتب المفقودة من الأوستا الساسانية ، يظهر أنه كان هناك ضباط من البوليس مكلفون بالمحافظة على النظم الخاصة بالتمراء والبيع في الأسواق وكان أفراد هذا البوليس مسلحين بنوع من الرماح (دينكر ، (٨) ، ص ٣٨ — ٢١ ؛ طبعة بيشوتان ، (٨) ، ص ٣٧ — ٢١) . بهرك (رأى سهم الكمين) ، گزيرايه geziraye (كلمة إيرانية كتبت بالخط السرياني بمعنى « البوليس » ، انظر نولدكه ، Göttingen gel. Anz ، ١٨٨٠ ، ص ٨٧٧ .

(٤) كتاب تلمس ، دار مستر ، ص ٢١٨ ، ٢٢٢ ؛ مينوي ، ص ٢٥ — ١٦ . الترجمة العربية ليجي الحشاش ص ٣٧ .

(٥) هرتسفيلد ، بيكولي ، رقم ٢٦٤ . وانظر شيدر ... Esra der Schreiber ،

توبنجن ، ١٩٣٠ ، ص ٣٩ وما بعدها . وخاصة صفحتي ٤٧ — ٤٨ .

جميلة كما أن الطريقة التي يصاغ بها الكتاب ويوجه ، يُراعى فيها الفوارق بين رتبتي المرسل والمرسل إليه مراعاة دقيقة .

ويبدو الميل إلى بلاغة شكلية غالباً في الآداب الهلوية أو في أحاديث العرش التي يبدأ بها عهده كل ملك جديد^(١) . وكذلك ، يظهر هذا بل أوضح منه بين الهيئات المختلفة أيام الدولة الساسانية ، وبين الدولة وغيرها من الدول . يقول الكاتب الفارسي نظامي عروضي في كتابه « چهار مقاله »^(٢) : « من سنن ملوك العصر وجبارة الزمان الأول كالميشداديين والكيانيين والأكاسرة والخلفاء . . أنهم كلما أرسلوا رسولا زودوه بالحكم والألغاز والرموز . وكان الملك يستعين بأرباب العقل والتمييز ، وأولى الرأي والتدبير ، يعقدون مجلساً بعد مجلس حتى يتفقوا على أجوبة هذه المسائل وتتضح هذه الألغاز والرموز . وحينئذ يأذنون للرسول في العودة » . ثم يقول « فينتج من هذه المقدمات أن الكاتب العاقل ، والأديب الفاضل ، جمال للملك ، وأعظم رفعة للملك »^(٣) .

والكتابة في الدولة الإسلامية ، كالوزارة ، صورة صادقة من النظام الإيراني ، وما يذكره نظامي عروضي عن هذا النظام في أيامه (القرن الثاني عشر الميلادي والخامس والسادس الهجري) يسهل علينا بوجه عام ، فهم وظيفة وأهمية الكتاب في العصر الساساني ومكانتهم : « الكتابة صناعة مشتملة على قياسات خطائية وبلاغية ، ينتفع بها في المحادثات بين الناس على سبيل المحاورة والمشاورة والمخاصمة في المدح والذم ، والاحتيايل والاستعطاف ، والإغراء ، وتكبير الأعمال ، وتصغير الأمور ، والتصرف في وجوه الاعتذار والعتاب ، وفي إحكام العلائق ، والتذكير بالسوابق ، وترتيب الكلام وتنظيمه في كل واقعة على الوجه الأولي والمنهج الأخرى .

(١) الطبري والفرديوسي والشمالي في مواضع مختلفة .

(٢) نشر برون ، ص ٢٣ والترجمة الإنجليزية ، ص ٢٥ ؛ والترجمة العربية لعزام والحشاش ص ٣٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥ ، والترجمة ص ٢٧ والترجمة العربية لعزام والحشاش ص ٣٣ . وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة (١) ، ص ٤٢ وما بعدها ، طبعة القاهرة .

فينبغي أن يكون الكاتب كريم الأمل ، شريف العرض ، دقيق النظر ، عميق الفكر ، نقيب الرأي ، وأن ينال الحظ الأوفر ، والنصيب الأكبر من الأدب وثمراته . وينبغي ألا يكون بعيداً من القياسات المنطقية ، غريباً عنها ، وأن يعرف مراتب أبناء الزمان ومقادير أهل العصر ، وألا يشغل بحطام الدنيا وزخارفها ، ولا يلتفت إلى التحسين والتقييح من الأغراض ، وأولى الإغماض ولا يغتر بهم^(١) » وينبغي بعد هذا أن يكون حسن الخط . وقد كان أذكي الكتاب ، ومن حسنت خطوطهم يستخدمون في البلاط الملكي ، أما الآخرون فكانوا يرسلون إلى الأقاليم^(٢) .

كان الكتاب إذاً دبلوماسيين حقيقيين ، فقد كانوا يملون كل أنواع الوثائق ، ويسيطرون على مراسلات الدولة ، ويصيغون جميع الأوامر الملكية ، وينظمون قوائم الضرائب ومحاسبات الدولة^(٣) ، وكان عليهم في الكتابة للأعداء وخصوم الملك أن يفسطوا في كتاباتهم ويراعوا الظروف التي يكتبون فيها ، فيطبعوا كتاباتهم بالمسألة أو التهديد والوعيد . ولكن إذا كانت للعدو الغلبة ، عرضت حياة الكاتب للتلف . وهكذا قتل سابور بن أردشير الأول بيده داد بنده كاتب آخر ملوك الپرت ، لأنه كتب رسالة مهينة باسم ملكه إلى الملك أردشير^(٤) .

وكان رئيس طبقة كتاب الدولة يلقب بلقب إيران — ديهربند (إيران — ديهربند) أو ديهبران مهديست ، وكان في بعض الأحيان يعين من بين حاشية الملك^(٥) ،

(١) جهاز مقاله ، من الترجمة العربية ، عزام والحشاب ، ص ٢٢ .

(٢) الفردوسي ، والشاهنامه ، نشر مول ، (٥) ، ص ٣٥٨ ، الأبيات ٣٢٤ وما بعده .

(٣) الطبري ، ص ١٠٦٠ ؛ نولدكه ، ص ٢٤٢ . وقد عهد كسرى الأول إلى كاتب قد امتاز بالأسل الرفيع والمقدرة والقوة ليقوم على كشوف الجبش وليستعرضه .

(٤) الطبري ، ص ٨١٩ ؛ نولدكه ، ص ١٤ .

(٥) كارنامك ، ١٠ ، ٧ ؛ نولدكه ، BB ، (٤) ، ص ٦٢ ؛ وفارن نولدكه ، الطبري ،

ص ٤٤٤ .

وكان الملك يعهد إليه ، حسب الظروف ، بمهام دبلوماسية^(١) .

وقد عدد الخوارزمي كتاب الدولة على النحو الآتي^(٢) :

- (١) داد — دبهير (كاتب الأحكام) .
- (٢) شهر — آمار — دبهير (كاتب البلد للخراج)^(٣) .
- (٣) كذگ — آمار — دبهير (كاتب حساب دار الملك) .
- (٤) گنج — آمار — دبهير (كاتب الخزائن) .
- (٥) آخر — آمار — دبهير (كاتب الاصطبلات) .
- (٦) آتش — آمار — دبهير (كاتب حسابات النيران) .
- (٧) رُوَانه گان — دبهير (كاتب الأوقاف)^(٤) .

وقد كان في بلاط ملك إيران كاتب مختص بالشئون العربية ، وكان يتخذ أيضا مترجما ، وكان يؤجر من عرب الحيرة^(٥) . وفي الكارنامك^(٦) يشار إلى أندرز — واسپوران (معلم أبناء الأسر الكبيرة) مع اللوبدان موبد والإيران — سپاهبد ، والدييران — مهست ، والبشتيگبانسالار ، بين كبار المراقبين للملك في رحلة الصين .

ونعرف أيضا معلمين آخرين (أندرزبد) ، فقير من يسمى در — أندرزبد

(١) كارنامك ، (١) ، ٥ ؛ نهاية ، ص ٢٣٢ : يزجرد الكاتب الأول ويشير كتاب النهاية إلى رجل قد جمع صفتي الكتابة ووظيفة حاكم العاصمة . ولا نستطيع الجزم بما إذا كان جواني — صاحب الرسائل أيام يزجرد الأول (الطبري ، ٨٥٩ ؛ نولدكه ، ٩٢) كان لإيران — دبهير بد أو كان رئيسا لمكتب خاص للكتابة لحسب .

(٢) انظر هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ٤٢٩ ؛ أونوالا في الترجمة الإنجليزية لجزء من مفاتيح العلوم للخوارزمي في J. Cama Orient. Inst ، ١٩٢٨ ، ص ٧٢ من طبعة مصر .

(٣) انظر شيدر ، Era der Schreiber ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٤) القائم على أعمال البر ؛ انظر الدينوري ص ٥٧ ؛ وقارن بنفست : Études d' Orientalisme ، (٥) ، ص ١٥٧ ؛ اندرياس — هنتج : Mittelliranische Manichaica ، (٢) ، ص ٣١٧ ، ملحوظة ٢ ؛ شيدر Iranica ، (١) ، ص ٨ ، ١٩ .

(٥) روضتين ، ص ١٣٠ .

(٦) ١٠ — ٧ ، نولدكه ، BB ، (٤) ، ص ٦١ — ٦٢ ، وهو يقرأها لندرزبد — اسپورگان ، ولكن قراءة واسپوران أصح . انظر هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ١٠٩ .

(معلم البلاط) الذى يحتمل أن يكون اسما آخر للبزرگك — فرامادار (كبير الوزراء)^(١) ، نعرف ال مغان — اندرزبد (معلم المجوس) ، وسجستان — اندرزبد (المعلم الخاص بسجستان)^(٢) . وهناك موظفون آخرون كانوا قواما على الاختتام^(٣) ورؤساء لديوان الأخبار^(٤) . وكان لأمناء سجلات الملك مرتبة عالية كذلك . وعند الطبرى كان « الوزراء والكتاب » يعينون غالبا كطائفتين من العظام ينوب بعضهم عن بعض ، فهكذا مثلا يستدل من نص فى الطبرى ص ٨٣٦ (تولدكه ص ٥٣) أن جميع الوزراء والكتاب يتغيرون أحيانا عند ارتقاء الملك العرش . وقد كان أعضاء الوزارة وكبار الموظفين معرضين لتغييرات ، فإن عدد الوزراء وما يقابلهم من الوظائف كان يتغير أحيانا^(٥) . وكان من أهل هذه الطبقة التى لا يزال اسمها الهلوى مجهولا لدينا كل من^(٦) : البزرگك فرامادار ، والسوبدان موبد ، والإيران سپاهبد ، والإيران ديبربد ، والوستريوشبد . وفى بعض العصور كان الهربدان هربد الرئيس الأعلى لسدنة بيوت النار ، يعتبر أحد أعضاء الوزارة ، ومن الممكن أن يكون الأستاذ ، رئيس التشریفات^(٧) ، من طبقة الوزراء أيضا^(٨) .

(١) انظر الملحق الثانى .

(٢) هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ١٠١ ، ١٩٤ ، ٧٢٣ .

(٣) انظر مقدمة ابن خلدون ، Notices et Extraits ، (١٧) ، ص ٥٢ ، (٢٠) ،

ص ١٦ .

(٤) نهاية ، ٢٣٥ .

(٥) انظر الفصل الثامن عن كبار موظفى البلاط الملكى ورجال البلاط عامة .

(٦) ظن تولدكه (الطبرى ، ص ٤٤٤ ، ملحوظة ٣) أن الإشارة إلى الوزراء عامة كانت بلفظ وزير بذ ، وقد أشار الأستاذ المرحوم فى خطاب له إلى مدى عدوله عن هذا الرأى : وكان ال گزیرپت gézirpat الذى ورد ذكره فى التلود ضابطا من رجال البوليس (انظر ص ١٢١ ، ملحوظة ٣) .

(٧) أشير إلى استبد فى سنة ٥٠٢ — ٥٠٣ (ستيليت المزعوم ، ريت ، ص ٥٩ ، ٥٩) ؛

وانظر ماركاركت فى إبرانشهر ، ص ١٢٨ ، ملحوظة ٤ .

(٨) انظر الملحق الثانى .

إدارة الأقاليم

ومن كبار موظفي الدولة حكام الأقاليم ، الستارية أو المرازبة ^(١) ، وبجانب المرازبان — شهر داران الدين يلقبون بلقب شاه ^(٢) وجد مرازبة من درجة أقل يحكمون الأقاليم وهم مقيمون بها .

وقد أثبت أمين مارسلان ^(٣) بياناً بمعظم الولايات التي كان يحكمها في زمنه بيدخشات (جمع بيدخش وهم يحكمون كذلك بوصفهم قوادا لفرسان الولاية) وملوك وستارية . وهذه الولايات هي : آشور ، وخوزستان ، وميديا ، وفارس ، وپرتيا ، وكرمان الكبيرة ، وهيركانيا (جرجان) ، ومرو ، وأقاليم بلخ والصغد ، والساج ، والسيت وراء الأمودون ، وسريكا ، وهرات وأقاليم پاروپانيزاد ودرانجان (سجستان) ، وآراخوزي ، وجندروزي ، وقد رأى أنه لافيمة لذكر أسماء ولايات كثيرة أقل شأنًا . وقول أمين محتمل الصحة فيما عدا بعض المبالغات كما في (سريكا) . والواقع أن الدولة الساسانية في القرنين الثالث والرابع كانت تمتد سيادتها على أقاليم الشمال والشرق امتداداً عظيماً وفقاً لأبحاث هرتسفيلد ^(٤) . فكانت تشمل بعد غزوات

(١) إن كلمة شهربان (شتربان) — سترپ — التي توجد في نقش بال في بيكولي (٣٠ من طبعة هرتسفيلد وفارن رقم ٩٧٨) ، يحتمل أن تكون الاسم القديم للمرازبة . فارن هذا باللقب المشار إليه من قبل « شهرپو » (ويكتب شترپو — بالهلووية الأشكانية خشترپو — آمارگر) . ومن المحتمل أن يكون لقب حكام الأقاليم ، في الأزمنة الأولى من العهد الساساني ، سترپ أو بيدخش (بيتخش هرتسفيلد ، بيكولي رقم ٢١٤) ، وأن كلمة مرزبان لم يعم استعمالها إلا بعد ذلك . وعلى كل حال فإن كلمة مرزبان لا تظهر في النقوش الخاصة بالملوك الساسانيين الأول ، ولا في النقوش التي عثر عليها في بيكولي وكان ينتظر أن تكون بها ونرى هذا اللقب لأول مرة ، فيما أعتقد ، أيام بهرام الخامس (٤٢٠ — ٤٣٨) ؛ حين عين أحد المرازبة واليا على أرمينية ، وكان نرسي ، أخو الملك ، يلقب بمرزبان كوشان ، أي مرزبان الحدود في كوشان (ماركارث في إيران شهر ، ص ٥٢) .

(٢) انظر ص ٨٨ من هذا الكتاب .

(٣) (٢٣) ، ٦ — ١٤ .

(٤) Paikull ، ص ٤٣ .

بهرام الثاني في سنة ٢٤٨ الأقاليم الآتية في الشرق : جرجان وكل خراسان في مساحتها التي كان عليها هذا الإقليم الشرقي^(١)، ويجوز أنها شملت ، خوارزم والصغد وسجستان في أبعد حدودها بما فيها مكوران وتوران ، وأقاليم المجرى الأوسط لنهر السند ومعباته ، كچه ، كاثوار ، مالووا ، والولايات الواقعة خلف هذه البلاد مع استثناء وحيد هو وادي كابل والبنجاب فقد كانا تابعين للكوشانيين^(٢).

ويعد نولند^(٣) ، معتمداً خاصة على النصوص العربية ، الولايات الآتية كولايات يحكمها مرازمة : أرمينية (بعد سنة ٤٣٠) ، وبيت أرمى ، وفارس ، وكرمان ، وإصفهان ، وآذربيجان ، وطبرستان ، وزرنك ، والبحرين ، وهراة ، ومرو ، وسرخس ، ونيسابور (نونيسابور = أبهر شهر) ، وطوس .

وكانت مساحة بعض هذه الولايات صغيرة نسبياً . وبالجملة فإنه يبدو أنه لم يكن للولايات أيام الساسانيين ، كما لم يكن لها أيام الأكمينيين ، حدود ثابتة . كان الملك يرسل مرزباناً إلى إحدى الولايات حيث يحتاج إليه فيها ، وكان الملك يجمع أو يقسم الولايات حسب المصلحة . ويظهر أن معظم المرازمة كان يغلب فيهم الطابع الحربى على الطابع المدنى ، فإن الإدارة المدنية ، في جزء كبير منها ، إبان النظام المركزى الأعظم دقة في العهد الساسانى ، كانت في أيدي موظفين مرءوسين ، وذلك فيما يخص الجهات الصغيرة (شهربك ودهيگك أى المدن والقرى) وفى أثناء الحرب كان المرازمة يعملون قواداً فى الجيش تحت رئاسة الإصبهدين^(٤) .

(١) ذكر هرتسفيلد حدود خراسان أيام الساسانيين (Paikuli ، ص ٣٧) بأنها : أبواب بحر قزوين قرب الرى ، وجبال البرز ، والركن الجنوبي الشرقى لبحر قزوين ، ووادي أتراك Atrek ، وخط يتبع السكة الحديدية وراء الخزر حتى لطف آباد ، وخط يخترق الصحراء التي تضم ناجند ومرو حتى جيحون جنوب كاركى ، وكما يبدو من نقود السيت الساسانيين ، يتبع قبة سلسلة جبل هسار حتى پامير ، متجنبة ناحية الجنوب مع الجزء من جيحون المحيط ببندخشان ، وبالقبة الهند وكوش ؟ وتتجه الحدود ناحية الغرب ، وعلى طول هذه السلسلة وهذه الجبال جنوبى هراة ، متفرقة كوهستان جنوب تور شير وخاف ، فائدة هكذا نحو أبواب بحر قزوين

(٢) قارن هرتسفيلد ، Paikuli ، ص ٤٧ .

(٣) الطبرى ، ص ٤٤٦ .

(٤) Pseudo Stylite ، ريت Wright ، ص ٦١ وما بعدها .

وكان المرازبة يختارون من بين النبلاء^(١) . ويشار في الكتب أحياناً إلى أنه كان لأحد المرازبة قصر في العاصمة^(٢) ومن التشریف الممتاز للمرزبان أن يمنح عرشاً من الفضة^(٣) . بينما كان لمرزبان — شهر دار ثغر ألان — خزر ، على سبيل الاستثناء ، الحق في الجلوس على عرش من الذهب^(٤) . وكان مرزبان أبهر شهر يحمل لقب كذارنگك^(٥) .

وكانت الولايات مقسمة إلى مديريات (أستان) ولعل كلمة پاذاكوسپان كانت في الأصل لقباً للوالي الذي يرأس جزء من الولاية ، وقد كان يزد — كشنسپ پاذاكوسپان أيام بهرام الخامس^(٦) . ومن ناحية أخرى فإن حاكم المديرية ، كان يطلق عليه لقب أستاندار . ونجد أستاندار في كشكر وفي ميسلن^(٧) . وفي نصيبين عين بابهای ، وهو رجل من أصل ملكي أستاندارا تخفياً لتأمين الحدود^(٨) ويظهر أن هؤلاء الحكام

(١) وقد أصبح أحد أفراد أسرة سورين مرزباناً على أرمينية أيام كسرى الأول (باتكنيان ، J.A. ، ١٨٦٦ ، ص ١٨٣) . وشاهپور — وراز ، مرزبان آذربيجان أيام الملك نرسی هو أحد العظماء (فاوستوس البيزنطي ، لانجلوا ، (١) ص ٢٢٩) ، وكان شهرين أحد أفراد أسرة مهران مرزباناً على بيت — داراي وعلى أقاليم كوسيين (هوفان ، ص ٦٩) ، وكان پيران — كشنسپ ، من عائلة مهران أيضاً ، مرزباناً على گرزان وأران وكان يرأس آلافا من الفرسان (هوفان ، ص ٧٨ — ٧٩) ، وقد عهد إلى وهريز وإلمه من الأسرة الساسانية (انظر نولدك ، الطبری ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ الملاحظة) بوظيفة مرزبان على اليمين بعد أن فتح كسرى الأول هذا البلد .

(٢) نهاية ، ص ٢٥٢ .

(٣) الطبری ، ص ٨٦٤ ؛ نولدك ، ص ١٠٢ .

(٤) نهاية ، ص ٢٢٧ .

(٥) انظر ص ٩٤ ، الملاحظة ٣ .

(٦) نولدك ، الطبری ، ص ٩٦ ، الملاحظة ٣ . وقد أدخلت على وظيفة پاذاكوسپان تعديلات جوهرية فيما بعد ، ربما كانت أيام قباد الأول . انظر الفصل السابع والملحق الثاني من هذا الكتاب .

(٧) قارن هنتج ، ZII ١٩٣٣ ، ص ٢٢٤ وما بعدها . أما عن لقب « زد »

فانظر نولدك ، الطبری ص ٤٤٧ .

(٨) هوفان ، ص ٩٣ .

وكان لهم ، كالمرازية ، جماعة من الجنود تحت تصرفهم^(١) ، كانوا في الأصل المديرين للأُملاك الملكية^(٢) ولعلمهم كانوا يستمرون في مباشرة هذه الوظيفة ولو كانوا حكاماً عسكريين في الأقاليم التي توجد بها هذه الأُملاك .
أما التقسيم إلى كور (جمع كورة) فكان تقسيماً إدارياً بحتاً . ويرى نولدكه أن كلا من الكور الصغيرة (شهر ، ولكل منها عاصمة وتسمى شهرستان)^(٣) التي تتكون منها الدولة كان يحكمها شهريك يفتخب من بين الدهاقين^(٤) . وأما القرية (ديه) وسوادها (رستيگ) فكان على رأسها ديهيگ^(٥) .

(١) نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٤٨ .

(٢) تطلق كلمة أستان في اللغة الأرمنية ، في الأصل ، على الأرض أو المدينة التابعة للملك (هو يشمان Armen-Giamin ، (١) ، ص ٢١٥) ، وتطلق كلمة أسسَنِيك على الفرق القيمة في الحاميات .

(٣) نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٤٦ ؛ هوفان ، ص ٢٣٩ . ويلاحظ مع هذا أنه ، في النصوص البهاوية ، كانت كلمة « شهر » تدل دائماً على الدولة . والألقاب التي يكون مقطعها الأول كلمة شهر تشير دائماً إلى كبار الموظفين الذين تهيمن وظائفهم على الدولة كلها .

(٤) ال — شهريگ (شهريغ) هو رئيس الكورة (اليعقوبى ، نشر هوتسا ، (١) ، ص ٢٠٣) . وكان الشهياريگ (جمع شهريگ) ، في العراق ، يؤلفون طبقة من الأحرار أعلى درجة من الدهاقين (السعوى ، مروج ، (٢) ص ٢٤٠ ؛ وقارن نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٤٦) . ويتول صاحب كتاب نهاية الأرب إن كسرى الثانى أجرى تقسيماً جديداً في الدولة فقسمها إلى خمس وثلاثين ولاية (برون ، ص ٢٤٣) .

(٥) هوفان ، ص ٢٣٩ . وقد تكون ديهيگ بمعنى ديهسالار (البلاذرى ، وانظروا نولدكه في الطبرى ، ص ٤٤١) .

الفصل الثالث

الزردشتية دين الدولة

أخذ دين رسمى - النص الساساني للأوستا ، الفرق بين الزردشتية الساسانية وما قبلها ، الآراء الزروانية ، بيوت النار ، التقويم الإبراني ، الأعياد ، التنجيم الشعبي -

اتحد الساسانيون منذ بداية عهدهم مع رجال الدين الزردشتيين وقد استعمرت الصلات الوثيقة بين الدولة والدين طوال العهد الساساني .
أمر أردشير الأول كما تقول الروايات الرسمية^(١) بعد أن ولي عرش إيران الهربدان هربد تنسر بجمع النصوص المبعثرة من الأوستا الأشكانية وبكتابة نص واحد منها . ثم أجز هذا النص واعتبر كتاباً مقدساً^(٢) . ثم جاء شاپور الأول ابن أردشير وخليفته فأدخل في هذه المجموعة من الكتب المقدسة النصوص التي لا تتعلق بالدين والتي تبحث في الطب والنجوم وما وراء الطبيعة والتي كانت موجودة في الهند واليونان وغيرها من البلاد . والذي لا شك فيه أن هذه الرواية على هذه الصورة غير دقيقة فإن هذه الكتب ترجع إلى مختارات من كتب ألفتها علماء إيران وقد ظهر فيها في الواقع تأثير المدنية الإغريقية . أما الأثر الهندي الذي يبدو فيها فيرجع إلى زمن أحدث .

(١) وهناك روايتان مهمتان في الكتابين الثالث والرابع من الدينكرد . أما الملاحظات الخاصة بالأوستا الأكمينية فإنها من المؤكد منتحلة (انظر نيرج ، J.A. ، سنة ١٩٣١ ، ص ٢٢ وما بعدها) ، والإشارة إلى وجود نص أشكاني من الأوستا صحيحة بالتأكيد . أما عن تاريخ الكتب المقدسة أيام الساسانيين فالرواية تعتبر صحيحة فيما يختص بالأساسي منها . قارن الملحق الأول .

(٢) دينكرد ، الكتاب الثالث ، نشر پيشونان سنجانا ، المجلد التاسع ، ص ٤٥٠ ، الترجمة ، ص ٥٦٩ ؛ وست ، Pahlavi Texts ، الجزء (٤) ، ص ٢١ ؛ والمرجع نفسه ، المجلد الرابع من طبعة سنجانا ، ص ٤٥٦ ، الترجمة ، ص ٥٧٨ ؛ ومن وست ، ص ٤١٤ ؛ أردك — ويراز — نامك ، (١) ، ص ١ — ١٨ .

وقد أمر شاپور بوضع نسخة من الأوستا التي حررها تنسر في بيت نار آذر
گشنسپ في شير^(١) ، وأضيفت إليها الزيادات الجديدة . ولكن الخلافات الدينية
ظلت مستمرة . فأمر شاپور الثاني ، لكي يضع لهذه الخلافات حداً ، بعقد مجمع
مقدس يرأسه الموبدان موبد « آذربيد مهر سيندان » الذي حدد نهائياً نص الأوستا
وقسمها إلى واحد وعشرين كتاباً (نساك) على عدد كلمات الصلاة المقدسة
(يتأهرو ويرو) وتقول الرواية أن آذربيد أثبت قداصة هذا النص فيما يحكى بأن
أدى الابتهال بالنار (وهو صب المعدن المذاب على صدر المبتهل) .

والأوستا الساسانية ، التي لم يبق منها اليوم غير أقلها ، والتي لدينا مختصر منها
في الكتابين الثامن والتاسع من الدينكرد ، جمع لنصوص بهلوية ترجع إلى القرن
التاسع^(٢) لم تكن قاصرة على النصوص الخاصة بالعبادات فحسب بل كانت في الوقت
نفسه نوعاً من دائرة معارف تحوى العلوم كلها . فعلوم المبدأ والمعاد وأساطير الأولين
والنجوم وعلم التكوين والعلوم الطبيعية ، والتشريع والحكمة العملية للعهد الساساني ،
كلها مقتبسة من الأحد والعشرين نسكا التي تنقسم إليها الأوستا . وكثير من هذه
النصوص المكتوبة باللغة الأوستية يحتمل أن يكون قد سطر بخط كتاب الأوستا
الساسانية ، بل إنه من الممكن أيضاً أن يكون بعضها قد وجد بالهلوية قبل إدماجه
مترجماً باللغة الأوستية في مجموعة السكتب المقدسة^(٣) .

والمختصر الذي جاء به الدينكرد غير متناسب الأجزاء . ففي بعضه وخاصة فيما
يتناول المسائل الفقهية نجد بيانات مفصلة ، بينما أجزاء أخرى ولا سيما ما يتناول
المبدأ والمعاد منها ، ملخصة في بضع كلمات .

ويتساءل المؤرخ لماذا اختفى أكبر جزء من الأوستا الساسانية أيام الإسلام ،

(١) جنرشيرگان أو جنرشيرگان : أى جنرك في إقاييم شير بازربيجان ، انظر
ماركارت . مسينا ، Catalogue ، ص ١٠٨ وما بعدها . وانظر بعد هذا عن بيت نار آذر
گشنسپ في جنرك .

(٢) انظر ص ٤١ — ٤٢ .

(٣) راجع ليرج ، J.A. ، ص ٢٦ و ٤٦ .

فنعن نعرف أن المسلمين قد اعتبروا المجوس من أهل الكتاب ، فاختفاء كتبهم المقدسة لا يمكن إرجاعه إلى تعصب ديني من المسلمين . وقد رأينا أن معظم الأوستا الساسانية كان موجوداً إلى القرن التاسع الميلادي في الترجمة الهلوية التي كانت مصحوبة بالتفسير (الزند) على الأقل . لا شك أن الظروف المادية القاسية التي كان عليها المجوس في ذلك الوقت جعلت من الصعب عليهم أن يستمروا في استنساخ هذه المجموعة الكبيرة من النصوص المقدسة . ونفهم من ذلك أنهم تركوا الأجزاء المتعلقة بمسائل الفقه يطويها النسيان ذلك لأنها قليلة الخطر لعدم وجود دولة مجوسية تطبق أحكام هذا الفقه .

ولكن لماذا لم يعملوا على المحافظة على أجزاء الأوستا التي تحوى الكلام عن المبدأ والمعاد وغيرها من أركان الدين ؟ هناك دلائل تدعونا إلى افتراض أن المجوسية قد عدلت إلى حد ما في القرون الأولى من الفتح العربي ، وقد أريد بهذا التعديل حذف بعض الأساطير الدينية الشعبية وبعض المعتقدات التي كانت تتضمنها الأوستا الساسانية ، وسنرجع إلى هذا البحث عند نهاية الفصل الثامن .

ومهما يكن من شيء فإننا إذا قارنا النظام الديني في الأوستا الحالية والكتاب الدينية الهلوية بما جاء في روايات الكتاب الأجانب (بيزنطيين أو سريانيين أو أرمن) من إشارات مختلفة إلى دين الإيرانيين أيام الدولة الساسانية فإننا نلاحظ تفاوتاً ظاهراً يرجع بوجه خاص إلى الأساطير الدينية والمبدأ والمعاد .

وإذا تفحصنا المصادر النصرانية ، فإن أمراً خاصاً يلفت نظرنا : وهو الحرمة العظيمة التي كانت للشمس في الديانة المزدية الساسانية . فيزدجرد الثاني يسم « بالشمس » الإله الأعلى ، الذي ينير الدنيا بأشعته ، والذي يدفئ بحرارته الخلوقات جميعاً^(١) . ثم هو يكرر ثلاث أو أوبع مرات القسم الصريح بالشمس^(٢) . ورجال الدين النصارى الذين طولبوا بترك دينهم أجبروا على أن يظهرُوا كفرهم به وذلك بعبادة

(١) Langlois ، Elisée ، (٢) ، س ١٩٧ .

(٢) المرجع نفسه ، س ١٩٨ .

الشمس . وينص على هذا باستمرار في رسائل شهداء النصارى السريان . وقد وعد الملك شاپور الثانى سيمون برصبى بالحياة إذا ارتضى عباده الشمس^(١) . وفى أثناء الاضطهاد الذى لقيه النصارى بأمر يزدجرد ، قال القس النصرانى ليونس لرئيس هيئة التفتيش تن — شاهپور « إنك أولا تفرض علينا عبادة الشمس وتدعى أنه الملك هو الذى أمر بذلك ، وإنك تعظم الشمس معلناً اسمها بصوت مرتفع . . »^(٢) وفى مناسبة أخرى كانوا يهبون الخلع فى عبادة الشمس ، وذلك بتعظيمها بتقديم القرابين وبجميع مراسيم المجوسية^(٣) ، وكان على المغان أن يأمرؤا بعبادة الشمس المشرقة ، كما يقول بروكوب (B.P. ، ١ ، ٣) .

فن هو إله الشمس هذا ؟ إن خور (الشمس) أو خورخشايته (الشمس العليا كما يقول أنديرياس) تظهر بين الآلهة فى السكتب الأوستية ، ولكن لا يبدو مطلقاً أنها قامت بدور هام بين الآلهة .

والحقيقة ، أن الشمس التى كان يعبدها مجوس العهد الساسانى ليست « خور » ولكنها مهر ، ميترا الميشتات (جمع يشت) القديم ، وميترا هذا هو إله العقد ونور الصباح الذى عرفه البابليون بشمس ، إلههم ، إله الشمس ، والذى جعل منه الميثريون « الشمس التى لا تمهر »^(٤) يصرح بهذا اليزه على لسان رئيس خلوة ملك إيران : إنه لا سلطان لك لترفض عبادة الشمس ، التى تضىء بنورها الكون كله والذى تنضج بحرارتها غذاء الناس والحيوان ، والذى سميت بالإله مهر بسبب سخاها الشامل وكرمها العادل ، لأنه ليس فيها مكر أو جهل^(٥) والإله مهر إله قادر ، وهو ابن الإله وهو مساعد يقظ للآلهة السبعة^(٦) .

(١) لا بورت ، ص ٦٥ ؟ وانظر سوزومين ، (٢) ، ٩ — ٥ ، وقد ذكره شيرود ووكس فى J. Cama. Or. Inst. ، رقم ١٤ ، ص ١٠٢ .
(٢) Langlois ، Elisée ، (٢) ، ص ٢٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٩ .

(٤) كيمو ، Les Mystères de Mithra ، F. ، الطبعة الثالثة ، ص ١١ ، ٨٦ .

(٥) لانجوا ، (٢) ، ص ٢٣٧ .

(٦) أى الأمشا سبنتا (أمر سبندان بالهلوية) ، Langlois ، Elisée ، (٢) ،

وفي نقش أردشير الثاني في طاق البستان^(١) وقف ميترا ، وقد عرف بإكليه الذي يشع منه النور ، خلف الملك الذي كان يتسلم ولاية الملك من يد أهريرا مزدا . وفي متحف برلين^(٢) أيضاً خاتم ساساني على وجهه اسم صاحبه بالخط الهلوي ، هو مهر (بالهلوية هو ميترا) ، ونقش عليه هيكل نصفي للإله ميترا ومن حوله التاج النوراني ، وعربة الشمس يجرها جوادن مجنحان . وفي النقوش اليونانية القديمة كان يجز عربة الشمس أربعة جياذ . ولكن الخاتم المذكور وكذلك قطعة من النسيج محفوظة في متحف بروكسل ترى عربة الشمس يجرها جوادان^(٣) . وقطعة النسيج هذه تقليد لنموذج ساساني^(٤) ، ولذا ندرك أن رسم العربة بجوادين بدلاً من أربعة كان شائعاً في ذلك العصر .

وهناك نصبرص من الأوستا لاعد لها تبين أن تقديس عناصر الطبيعة قد استمر على أنه خاصة أصيلة في الدين الزردشتي . وإنا نعرف كيف شمل الزردشتيون على المحافظة على الماء والنار من النجاسة . ويؤكد هذا الكتاب الأجانب . يقول أجاياس (٢ — ٢٤) إن الفرس يقدسون الماء قبل كل شيء إلى حد أنهم لا يغسلون به وجوههم ولا يمسونه ، إلا أن يكون ذلك للشرب أو ري الزرع . وقد عرفنا من الوندياد كيفية استخدام الماء للطهارة . وكان بول الثيران وحده أبعد في هذا أمراً من الماء .

ومع هذا فإن مكانة النار أعظم شأنًا في الدين الزردشتي^(٥) . وتميز الأوستا بين

(١) انظر آخر الفصل الخامس .

(٢) هرتسفيلد ، Jahrb. der preuss ، مجلد ٤١ ، (٢) ، ص ١٠٨ .

(٣) قارن نيرج ، J. A. ، ١٩٣١ ، ص ٩١ وما بعدها .

(٤) هرتسفيلد ، C ، I ، ص ١٠٦ .

(٥) أوضح هرتل في عدة أبحاث (Indo-iranische Quellen und Forschungen) ،

وخاصة في القسم السادس (Die arische Feuerbehe) عبادة النار عند الهند الإيرانيين . وقد حاول أن يثبت أن جل الاصطلاحات الدينية الزردشتية والاصطلاحات الأخلاقية الشائعة في اللغات الإيرانية القديمة كانت مفهومة فهما خطأ وأنها تتصل في الحقيقة بذهب النار التي نسب

خمسة أنواع من النار . ذكرت في يسنا ١٧ — ١١ ، كما جاء شرحها في التعليقات الهلوية على هذه الفقرة ، كذلك جاء مع شيء من عدم الدقة في البندهشن : « بَرَزِي مَرَوَه » وهي نار المعابد (وتسمى نار بهرام) وهي أيضاً النار التي ينتفع بها الناس عادة ، « وهو فريانه » وهي النار التي توجد في جسد الإنسان والحيوان ، « أوروازيسته » وهي النار التي توجد في النباتات ، « وزيسا » وهي النار الكامنة في السحاب ، أي الصاعقة ، « اسپنيشته » وهي النار التي تشتعل أمام أهورامزدا في الجنة . وقد اعتبر المجد (خوارنه ، الهلوى خَر وبالفارسية فَر) الذي يصاحب الملوك الشرعيين الآريين ، تجلياً لهذه النار الأخيرة ، النار السماوية^(١) .

أما النار المحسنة التي تسميها الأوستا آتَر Atar والتي تسمى آذُر في الفارسية المتوسطة فإنها تسمى غالباً بآن أهورامزدا ويسمى المسيحيون أحياناً النار المقدسة للزردشتيين بآنة أهورمزد . كما قال القس هاشو الذي أطفأ النار المقدسة في أحد المعابد محتدداً « إنه ليس بيتاً من بيوت الله ، وليست النار بنتاً لله . ولكنها بنت تستخدمها الملوك والسفلة ، الفقراء والصعاليك »^(٢) .

ولعل هذا يرجع إلى تطور ثانوي عند الأرمن الزردشتيين ، فإن النار قد لبثت كائناً مؤثراً في القصص الشعبي الأرمني^(٣) وقد تحدث أجاتياس عن قداسة النار عند

== هي العنصر الذي يتدخل في وقت واحد في خلق العالمين الصغير والكبير . ولا شك أن في هذا القول بعض الحق . ولكن تأويل هرتل لنصوص الأوستا يبدو لي محدوداً جداً وغير عميق في بعض أجزائه رغم الأدلة التي استشهد بها تأقاديما وهو يحاول تأييد هرتل والتي استمدتها من الكتب الهلوية (Studia Indo-Iranica) ص ٢٣٧ وما بعدها سنة ١٩٣١) وقد أخذ تطور الآراء الدينية التي نشأت قبل زردشت طابعاً جديداً باصطلاحات هذا النبي ، ثم إن هذا التطور قد استمر في احتكاكه بالآراء غير الإيرانية في آسيا الغربية فأضاف ، بالتدريج ، قِماً جديده على الاصطلاحات الدينية القديمة .

(١) دار مستتر ، Le Zend-Avesta ، (١) ، ص ١٥١ وما بعدها ؟ هرتل ، Die arischer Feuerlehre ، (١) ، ص ١٦ Avestischen Herrschafts und . (١٩٣١ ، Abh. d. Sachs. Akad) Siegesfeuer .

(٢) هوفان ، ص ٣٥ .

(٣) ايشيان ، Der armenische Volksglaube ، ليرج ١٨٩٩ ، ص ٦٧ .

الفرس (٢ — ٢٥) . كما أن كثيراً من النصوص في الأجزاء المفقودة من الأوستا قد تناولت النار المقدسة وحسناتها وواجبات الناس نحوها^(١) .

والطبيعات والمبدأ والمعاد التي ذكرت موادها الأصلية اليشتات القديمة قد بسطها العلماء المتأخرون ووجدوا أصولها فشملت دورة الدنيا^(٢) ، وهذه الدورة تستمر إثني عشر ألف سنة ، ففي أثناء ثلاثة الآلاف الأولى يبقى العالمان ، عالم أهورا مزدا وعالم النور — وعالم أهرمين — عالم الظلمات — متجاورين في هدوء . والعالمان لامتناهيان من جوانب ثلاثة ، ولكن كلا منهما يجد الآخر في الجانب الرابع ، فعالم النور في الجانب الأعلى ، وعالم الظلمات في الجانب الأسفل وبينهما فراغ مملوء بالهواء . وفي مدة ثلاثة آلاف سنة يعيش خلق أهورا مزدا بالقوة — مينوغيها — وبعد ذلك يرى أهر من النور ويضمهر إباده . فيمادر أهورا مزدا الذي يعلم الغيب ، بأن يعرض عليه حقبة من الحرب طولها تسعة آلاف سنة فيقبل أهرمن ، وهو لا يعرف غير الماضي . وبعد ذلك ينبت أهورا مزدا بأن المعركة تنتهي بهزيمة عالم الظلمات . ويفزع أهر من هذا فيسقط في الظلمات ويبقى فيها مشلولاً مدة ثلاثة آلاف سنة فيبدأ أهورا مزدا بخلق الدنيا ، فلما أتمها خلق الثور المعروف بالثور الأول ثم خلق الإنسان الأول — گيو مرد — (الأوستا « گيا — سمرتن » أى الحياة الفانية) ، الذى هو أول البشر . وحينئذ ألقى أهر من بقوته ضد خلق أهورا مزدا ، فنجس العناصر وخلق طوائف من الزواحف والحشرات . فأقام أهورا مزدا خندقاً أمام السماء . ولكن أهرمن يكرر هجماته وينجح أخيراً في قتل الثور وگيو مرد . وكانت بذور هذا الأخير غبأة في الأرض فنتج منها عند انقضاء أربعين سنة شجرة خرج منها أول زوجين من بنى آدم هما « مشيگك » و« مشيانگك » . وهكذا بدأت فترة الاختلاط « گو ميزشن » — أى اختلاط الخير بالشر . وأخذ

(١) أنظر مثلاً دينكرد ، (٩) ، ٣٥ ، ١١ ، ٥٧ ، ١٢٤ — ١٥ ، ٥٨ — ٢١ .

(٢) المصادر الرئيسية البندهشن ورسالة زاد — سپرم وزند بهمن يشث وقد ترجمها وست في Pahlavi Texts ، (١) ، أما عن البندهشن فانظر س ٤٢ من هنا ، وانظر للمحظوة ٤ في الصفحة نفسها ، وراجع كتاب Les Kāyanides ص ٤٤ وما بعدها .

البشر يلعبون دوراً في الحرب بين مملكتي النور والظلمة . وذلك بانضمامهم حسب أعمالهم إلى جانب الخير أو إلى جانب الشر . فمن اتبع الصراط المستقيم منهم ، كان يمر سالماً بعد الموت على الصراط المسمى « جينوت » ثم يدخل الجنة . ولكن حينما يمر على هذا الصراط أحد الأشرار يدق ثم يدق حتى يصير كالسيف القاطع فيهوى المجرم إلى جهنم حيث يلتقي من العذاب ما يعادل سيئاته . أما من تعادلت موازينه فكانت حسناته مساوية لدنوبه فإنه يقيم في « الهمشتگان »^(١) ، أى في المكان المتوسط ، حيث لا عقاب ولا ثواب .

وبعد ثلاثة آلاف سنة من خلق العالم يظهر زردشت فيهدى الناس إلى الدين الحق .

وحينئذ لا يبقى للعالم في الوجود غير ثلاثة آلاف سنة . ففي نهاية كل ألف يظهر مخلص « سوشيانس » يولد بطبيعة الحال من بذور زردشت الخبأة في إحدى البحيرات . وفي اللحظة التي يولد فيها آخر المخلصين الثلاثة ، المخلص الحقيقي ، تبدأ المعركة الأخيرة ، فيبعث الأبطال والتنانين الشيطانية التي ذكرها التاريخ الخرافي لسكي يتقاتلوا . وأخيراً يبعث الموتى جميعاً ويقع النجم المذنب جوتتجر على الأرض فتشتعل وتندب جميع المعادن فتنتشر على الأرض كأنها سيل ملتهب . وعلى الناس جميعاً ، الأحياء والأموات المبعوثين ، أن يعبروا هذا السيل ، الذي يكون للأتقياء كاللبن الساخن فيطهرهم المرور به ، ويمضون منه إلى الجنة . وبعد المعركة الأخيرة بين الآلهة والشياطين ، تلك المعركة التي تنتهى بهزيمة هؤلاء وهلاكهم ، يسقط الشر ، إلى الأبد ، في الظلمات وتمد الأرض وتبسط . وتبقى الدنيا المطهرة إلى الأبد ، في سكون لا يعكر صفوه .

هذا هو ما يسمونه فرشكرد (في الأوستا فرشوكرتي) أى التصفية والتجديد^(٢).

(١) أنظر في اشتقاق هذه الكلمة نيريج في Oriental Studies in Honour of

Pavry Dasturji ، أ. كنفورد ، ١٩٣٤ . ص ٣٤٦ .

(٢) يحتمل أن يكون معنى هذا الاصطلاح الديني التجلي ، شيدر ، Urform und

Fortbildung des manichäischen Systems ، ص ١٤١ . وانظر لول ، Zll ، (١) ، و

ص ٢٩ وما بعدها ؛ ويونكر Worter und Sachen ، ١٢ ، ص ١٣٢ وما بعدها ؛

ونيرج ، J. A. ، ١٩٣١ ، ص ٨٦ وما بعدها .

وقد استطاع نيرج في بعض الأبحاث التي نشرت في المجلة الآسيوية (١) :
١٩٢٩ ص ١٩٣ وما بعدها (٢) : ١٩٣١ صفحات ١ وما بعدها ، و ١٩٣٣
وما بعدها) أن يلخص وينظم في دقة نظر فائقة المطالب والإشارات المتفرقة التي
تبحث عن تكوين العالم في الفصول الأولى من البندهشن^(١) ، فهو يثبت أنه قد
أدخل على الفصل الأول من كتاب البندهشن المعروف بالبندهشن الإيراني^(٢) عبارة
مفصلة متعلقة بعقائد زروانية . ولكن في بعض أجزاء هذه العبارة تغييرات ذات
هوى كتبها رجل غير زرواني ، وهذه العبارة كانت في النص الأصلي الذي أخذ عنه
كل من كتابي البندهشن لأننا نجد بعض آثار منها في البندهشن الهندي^(٣) .
أما عن النظرية الزروانية فقد ألمنا بها في المقدمة^(٤) ، وها نحن أولاء نبجسها
بشيء من التفصيل ، ففي إحدى عبارات الجائزات (يسنا ٣٠ — ٣) يظهر كل من
روحي الخير والشر على أنهما « الروحان الأصليان المسميان بالتوأمين العظيمين » .
فالظاهر إذاً أن زردشت قد عرف أصلاً أقدم هو والد هذين الروحين ولم يصل
إلينا الاسم الذي سمي به النبي الإيراني هذا الأب^(٥) . وقد وجدت أيام الأكمينيين
آراء مختلفة عن طبيعة هذا الإله الأول الذي كان موضع تأملات دينية وفلسفية .
فاعتبره البعض المكان (أوأشا باللغة الأوستية) واعتبره الآخرون الزمان (زُرَوان
وبالهلوية زِرَوان أو زُرَوان) ، وذلك حسب ما عرّف أديموس روديوس تلميذ

(١) في أولى هذه المقالات ذكر الكائب العبارة الأصالية مع ترجمة الفصاين الأول
والثالث من البندهشن ، ثم بعض نصوص إضافية من مينوگ خرد ، ثم عبارة سرينية مأخوذة
عن نص يظهر أنه كتب أيام الساسانيين (أنظر نيرج (٢) ، ص ٨٥) .

(٢) عن نسخة البندهشن أنظر ص ٤٢ من هذا الكتاب ، ملحوظة ٤ .

(٣) هناك عبارات في النص الذي نقله نيرج أفهمها على غير الوجه الذي يقول به .
ولكن هذا الاختلاف بيننا لا يمس النقاط الأساسية في تأويله .

(٤) ص ٢٢ . أنظر بنقلست ، The Persian Religion ، الفصل الرابع ؛ J.A. ،
١٩٢٩ ، ص ٢٨٧ وما بعدها ؛ وأبحاث نيرج التي أشرنا إليها قبل ذلك ؛ وبحث شيدر في
Deutsche Literaturzeitung ، سنة ١٩٣٢ ، ص ٣١١٣ وما بعدها .

(٥) نيرج ، (٢) ، ص ١١٣ وما بعدها ، وهو يعتقد أن الأب هنا هو أوهر مزد
الذي يجب أن يعز عن روح الخير (ص ٢٠ هنا) .

أرسطا طاليس^(١) . والرأى القائل إنه هو الزمان هو الرأى الذى ساد . وقد اعتنق النظرية الزروانية أتباع ميترا (الليتراسزم) . وفى نقش للملك انتيوش الأول القومشى — وقد أشرنا إليه فى المقدمة (ص ٢٢) وسنتحدث عنه فيما بعد — يذكر زروان أكرهه بالاسم اليونانى كرونوس آيبروس أى الزمان اللامتناهى . وقد أطلق مانى — النبي الذى دنا إلى دينه الجديد أيام الملوك الساسانيين الأولين وهو يطبق مذهبه على المعتقدات الزردشتية فى زمنه — اسم زروان على الإله الأعلى .

أما أن الزروانية كانت الصيغة العادية للعزدية الساسانية فهذا ما يثبتته كثرة أسماء الأعلام المركبة مع كلمة زروان أيام الدولة الساسانية^(٢) ويثبتته أيضاً سلسلة من كلمات الكتاب الإغريق والأرمن والسريان^(٣) ، وأقدمهم تيودور المصيصى (حوالى ٣٦٠ — ٤٨٨ مسيحية) . والمؤلف المذكور لتيودور قد ضاع ، ولكن فوتيوس حفظ لنا نبذة صغيرة منه^(٤) : وعرض تيودور فى كتابه الأول نظرية الفرس القبيحة التى دنا إليها زرديس (زردشت) ، وهى الخاصة بزروام (زروان) وقد عرف به على أنه إله العالم أجمع ويسميه أيضاً القضاء والقدر ، وحينما قدم هذا القرايين حتى ولد أهورا مزدا ، ولد أهورا مزدا والشیطان فى الوقت نفسه ، والكاتبان المسيحيان الأرمنيان أزيك^(٥) وأليزه^(٦) (القرن الخامس) ، والبطريق مار بها (القرن السادس)^(٧) ، والمؤلفات الجدلية للسريانيين آذر هر مزد

(١) Damascios, de primis principiis ، نشر ريپول ، (١) ، ص ٣٢٢ .

(٢) وزيندونك ، Das Wesen der Lehre Zarthustros ، ليزج ١٩٢٧ ، ص ١٩ .

(٣) أنظر كريستسن فى Etudes sur le Zoroastrisme de la Perse Antique (٣) ، D. Vid. Selsk, fil.-hist. Medn) ، (١٥) ، (٢) ص ٤٨ وما بعدها .

(٤) Bibl ، ٨١ .

(٥) لانجلوا ، Coll ، (٢) ، ص ٣٧٥ .

(٦) المرجع نفسه ، (٢) ، ص ١٩٠ . وانظر الفصل السادس من هذا الكتاب قد ه لرسوم مهرورسى « عند اليزه .

(٧) ساخاو ، فى Syriache Reschtsbücher ، (٣) ، ص ٢٦٥ .

وأناهيده ضد أحد كبار الموابذة الزردشتيين^(١) (القرن الخامس أو بعد ذلك) ، والكاتب السرياني تيودور بركونائي^(٢) (القرن الثامن أو التاسع) ، والكاتب السرياني المجهول الاسم الذي طبع كتابه وترجمه نيرج^(٣) ، كل هؤلاء يعرفوننا بالتفاصيل الخاصة بهذه الحرافة الدينية المتعلقة بخلق الدنيا : فإن زروان ، الإله الأقدم ، ظل يقدم القرايين زهاء ألف سنة لكي يكون له ولد يسميه أهورا مزدا ، ولكنه في آخر الأمر أخذ يشك في فائدة ما قدم من قرايين وحينئذ ظهر ولدان في بطنه^(٤) ، أحدهما أهورا مزدا لأنه قدم القرايين ، والثاني أهر من لأنه شك فيما يفعل . فوعد زروان من يبدأ بالمثل أمامه منهما بملك الدنيا . فشق أهر من بطن أبيه^(٥) ومثل له فسأله زروان : من أنت فأجاب أهر من : أنا ولدك ، فقال زروان إن ولدي ذكي الرائحة نوراني ، وأما أنت فظلماتي عفن وفي تلك اللحظة مثل أهورا مزدا منوراً ذكي الرائحة ، فعرف زروان أنه ولده وقال له « إني كنت أقدم القرايين حتى الآن من أجلك فنذ اليوم تقدمها أنت من أجلي » . ولكن أهر من يذكر أباه بوعدة ، وهو أن ينصب من يمثل أمامه قبل أخيه على ملك الدنيا ، فيجيبه زروان بأنه سيبه حكماً مدته تسعة آلاف سنة^(٦) على أن يحكم أهر مزدا منفرداً بعد ذلك . وأما المدة التي يبقاها العالم ، فمصادرنا مضطربة فيها . فبعضها يتحدث عن تسعة آلاف سنة والبعض الآخر عن اثني عشر ألف سنة . ويرى بنقنست^(٧) في رقم تسعة آلاف سنة النظرية

(١) تولدكه في Syrische Polemik gegen die persische Religion ، ص ٣٤ وما بعدها .

(٢) يونيو في Incriptions Mandaites des conpes de Khouabir ، ص ١٠٥ وما بعدها ؛ بنقنست في M. O. ، ١٩٣٢ ، ص ١٥٠ وما بعدها .

(٣) (١) ، ص ٢٣٨ وما بعدها .

(٤) أو بطن زوجه خوشيزك (حسب الأناهيذ) .

(٥) أو في بطن أمه (حسب الأناهيذ) .

(٦) وكان لأهر مزدا الغلبة عليه أحياناً حسب تأويل نيرج ((٢) ، ص ٧٣) .

(٧) The Persian Religion according to the Chief Greek Texts .

الزروانية ، وأما نيرج^(١) فيرى خلاف هذا ، وعنده أن تسعة آلاف سنة تمثل النظرية المزدية غير الزروانية ، وذلك على الرغم من أن البندهشن يشير ، حتى في أجزائه الزروانية ، إلى مذهب الإثنى عشر ألف سنة . وأما أنا فأرى أن الاختلاف في التواريخ لا يتصل بما بين الزروانية وغير الزروانية من خلاف وأن النظريتين قد يدخلان أو يستبعدان في تعدادهما المرحلة البدائية وقدرها ثلاثة آلاف سنة وذلك حين كان العالم في بدايته ؛ وفي جميع الروايات ، زروانية وغير زروانية ، تستمر مدة الحرب بين روجي الخير والشر تسعة آلاف سنة . ولكن إذا كان في رواية إزنيك وإلزيه أن زروان ظل يقدم القرابين ألف عام قبل أن يولد أوهر مزد وأهر من ، فإن هذا القول يدل على حقبة قد سبقت على تسعة الآلاف سنة التي استمر الحرب بين الروحين فيها .

فالنظرية الزروانية في خلق الدنيا قد سادت الزردشتية الرسمية إذاً في العصر الساساني ، ونجدها في صيغة شعبية مبتدلة في القصص الديني الذي يرويها الكتاب النصاري . وأما فيما يتعلق بالعلوم الدينية الزروانية ، فانه يجب البحث عنها كما فعل نيرج في الآداب الأهلية ، وخاصة في البندهشن الذي حفظ في نسخته الإيرانية ، عبارات زروانية ، وفي « المينوگ خرد » ، الذي هو زرواني ، ولكنه لا يبين إلا لماماً مواضع خلق الدنيا^(٢) . والدنيا كما رأينا ، وجدت باديء ذي بدء في حالة بدائية ، بالقوة — مينوگيها — وفي هذه الفترة كان زروان ، الذي هو الزمان والقضاء والقدر ، موجودا وحده وجودا فعليا . ويقول الشهرستاني^(٣) إن الزروانية قالوا إن النور أبدع أشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص

(١) (٢) ، ص ٢٣٢ وما بعدها .

(٢) وهناك كتاب پهلوی ، لم يبق منه غير ترجمته الفارسية ، ذكرت فيه نظرية الخلق الزروانية . وهو الكتاب الذي يشار إليه باسم « مَعْلَمایِ اسلام » . أنظر وست ، OIPH ، (٢) ، ص ١٢٣ ؛ نشر بلوشيه في R H R. ، جزء ٣٧ ، ص ٤٠ وما بعدها ؛ وقارن بارتلومييه ، Zendhandschriften ، ص ١٥٢ وما بعدها .

(٣) نشر كيرتون . ص ١٨٣ ، الترجمة لهاربروش ، (١) ، ص ٢٧٧ .

الأعظم الذى اسمه زروان شك فى شيء من الأشياء فحدث أهر من الشيطان من ذلك الشك . ونستطيع أن نقارن بهذه العبارة الناقصة التى يذكرها الكاتب العربى الشهرستانى ما ذكرته بعض الروايات السريانية ، عند تيودور بركونائى . وآذر هرمزد ، والكاتب السريانى المجهول الاسم^(١) ، وهى أن الزردشتيين يعتقدون فى أصول أربعة على غرار أربعة العناصر^(٢) : آشوقار فرشوقار زرووقار زروان وآخرم هو والد أهر مزد وأهر من . ويقول الكاتب المجهول الاسم إن فرشوقار هو الذى نسل أهر مزد . ويعتمد نيرج على الأبحاث الهامة التى قام بها شيدر^(٣) فيقول إن زروان قد تخيل على أنه إله ذو أربع صور ، أى أن أشكالا كثيرة بثلاثة أسماء قد أعدت « وفيها يبدو زروان فى مظاهر ثلاثة ، كيفما تكون أعماله وتجلياته ؛ ثم هو نفسه يضاف إلى هذه المظاهر الثلاثة ويكون معها تريبعا^(٤) » .

وفى هذه التريبعات يرى زروان تاره فى علاقات مع الفلك ، وتارة على أنه إله القضاء والقدر ، وفى بعض الصلوات نجد مزيجاً من هاتين الوجهتين . ويرى نيرج أنه يضاف إلى هذه التريبعات التربع الذى أشار إليه الكتاب السريانيون الذين ذكرناهم ، والذى يسميه نيرج التربع الزروانى الأرضى ، وهو التربع الخاص بمراحل الحياة « آشوقار » (لأرشوقار) ومعناه « هذا الذى يهب قوة الرجولة » و « فرشوقار » ، ذلك الذى يهب الأزدهار ، و « زرووقار » هذا الذى يهب الكبر ، والمقصود بتجلي زروان بهذه الصور الثلاث أن ذاته تجمع هذه الحالات وهى الصبا والكهولة والشيخوخة^(٥) .

(١) يونيو ، (١) ، ص ١٦٢ ؛ نولدكه ، Syriache Polemik ، ص ٣٥ —

٣٦ ؛ نيرج ، (١) ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ .

(٢) تيودور بركونائى ، أنظر نيرج ، (٢) ، ص ٨٥ .

(٣) Urform und Fortbildungen des manichäischen Systems ، ص ١٣٥

وما بعدها .

(٤) (٢) ، ص ١٠٨ .

(٥) نيرج ، (٢) ، ص ٨٦ وما بعدها ، ١٠٧ وما بعدها . قارن بفنست فى ،

Vrtra et Vrthragna ، (باريس ١٩٣٤) ، ص ٦٤ وما بعدها ؛ M.O. ، ١٩٣٢ ،

ص ١٧٦ وما بعدها .

ومن ناحية أخرى يمثل زروان في صورة مزدوجة ، فهو زروان اكشارك
أى الزمان السرمدى الأبدى ، وهو زروان دير نكك — خدای أى الزمان
الطويل التسلسل ، أى السيد إبان فترة الإثنى عشر ألف سنة التى يحيها العالم^(١) .
وقد جعلت القصة الدينية الشعبية من زروان — فى الأصل — كائناً بين الذكر
والأنثى . وهناك رواية أحدث تجعل منه أنثى اسمها خوشيزك وقد فسر نيرج هذا
الاسم ، تفسيراً صحيحاً بلا شك ، بأنه تصغير لكلمة خوش بمعنى الجميل أو الطيب^(٢) .
ومن زروان (أو من زواج زروان بخوشيزك) ولد التوأمان أهر من
وأوهر مزد ، روحا الشر والخير ، الظلمات والنور . وكان أهر من ، أول المولودين ،
يملك السلطان على الدنيا منذ البداية ، واضطر أوهر مزد للقتال لى يظفر
بالسيادة^(٣) . وفكرة تقدم عنصر الشر على عنصر الخير ترجع إلى نظرية متشائمة
تناظر قول الجنوستيكيين^(٤) وتحالف الطابع الأساسى للزردشتية التى تظهر
فى الجانات ، ولكن العلماء حاولوا بشق الطرق سد الهوة التى تفصل بين الآراء
والشاعر والنصوص الدينية ، فلجأوا تارة إلى فرض يصور أهر من تابعاً ، فى مدة
سيادته ، بشكل ما لأوهر مزد^(٥) وتارة أخرى يحددون سيادة أهر من بثلاثة
الآلاف سنة الأولى من سنى الحرب . فىكون أهر من قد حكم ثلاثة آلاف سنة وفقاً
للطريقة العادية عند الزروانيين ، ثم إنه فى مدى ثلاثة آلاف سنة أخرى تعادلت
قوى أوهر مزد وأهر من ، ثم فى ثلاثة آلاف سنة الأخيرة تكون الغلبة لأوهر مزد

(١) المرجع نفسه ، (٢) ، ص ١١٠ .

(٢) ويطلق نص مانوى باللغة الصفدية (وولر ، Handschriftenreste ، (٢) ، ص
١٠١ ، ١٠٢) على « أم الحياة » زوج إله النور (زروان) وأم الرجل الأول (أوهر مزد)
اسم رام راتغ (مقسمة السرور) أنظر بنفثست ، M. O. ، ١٩٣٢ ، ص ١٨٣ وما بعدها .
(٣) معركة التوأمان ، نيرج ، (٣) ، ص ١١١ وما بعدها ؛ تارن كرسنتسن ، مقالة
باللغة الدانمركية عن خرافات الأخوة الثلاث والأخوين مطبقة على أصل القبائل والشعوب ،
في Danske Studier ، ١٩١٦ ص ٦٩ وما بعدها .

(٤) نيرج ؛ (٢) ، ص ٧٩ وما بعدها .

(٥) ومع ذلك فإن تأويل نيرج لنص ازنيك فى هذه النقطة يبدو لى غير مقنع .

وهي ثلاثة آلاف سنة التي تبدأ بظهور زردشت وتنتهي بالمعركة النهائية التي تلقى بأهرمن عاجزاً إلى الأبد ، والتي تؤدي إلى التحويل . ونجد رأى الزديين غير الزروانيين في هذه النقطة الرئيسية مذكوراً في العبارة الآتية من الفصل الأول من البندهشن (نيرج (١) ص ٢١٠ ، (٢) ، ص ٢٣٢) : « كان أوهر مزد يعرف بفضل علمه الأزلي ، أنه في تسعة آلاف سنة التي تبقاها الحالة المختلطة ، تحكم قوتا أهر من وأوهر مزد سوياً ، وأنه في المعركة الأخيرة تكون قوى أوهر مزد من الغلبة بحيث يصرع أهر من فيعجز » (١) .

وقد رأينا منذ أيام الأكمينيين ، وجود رأيين مختلفين عن مبدأ أصل الخلق فبعضهم يعتبر المبدأ الزمان (زروان) ، والبعض السكان (ثواشه) . ويؤيد نيرج بأدلة قوية الرأى الذى يقول ثواشه ترادف واو أى الجو (واى بالهلوية) وأن في الأوستا الحالية بعض البقايا من عقائد أتباع « الوايوية » الذين يعتبرون منافسين للزروانية (٢) .

وقد تركت العقيدة الزروانية بعد سقوط الدولة الساسانية لأسباب منشرحها من بعد (٣) ، وقد اضطر المؤلفون اللاحقون للعهد الساسانى أن يسقطوا العقائد الدينية الزروانية وهم يقيدون للذهب الدينى فى كتبهم الهلوية ، ولكن هذه العقائد قد تركت مع ذلك كثيراً من الآثار .

(١) ناقش العلماء مسألة ما إذا كانت رواية من الروايات الخاصة بدين الفرس كرواية تيويومب التي ذكرها بلوتارك (ليزيس وأوزريس Isis et Osiris ، الفصل ٤٦ — ٤٧ ، انظر بنفست ، The Persian Religion ، ص ٦٩ وما بعدها ، J.A. ، ١٩٢٩ ، ص ٢٨٧ وما بعدها ، نيرج ، (٢) ، ص ٢٢٣ وما بعدها) تتعلق بالمزدية أو بالزروانية ، وعندى أن المزدية والزروانية ليسا مذهبين متمايزين . فإن الزروانية مذهب كوني مشيم برأى عن الحياة ، وهذا المذهب قد يتصل بالطريقة المزدية اتصالاً بالميتراية والمائوية وغيرها . فكان هناك مزدية زروانية ومزدية غير زروانية (قارن مقال فى M.O. ، ١٩٣١ ، ص ٣٢ وما بعدها ، وملاحظات بنفست على هذا الموضوع ، M.O. ، ١٩٣٢ ، ص ٢٠٦ وما بعدها) .

(٢) نيرج ، (٢) ، ص ١٠٣ — ١٠٤ و ١٩٩ وما بعدها . أما عن الإله واى فى الحرافة الزردشتية فقارن كريستنسن Les Kayanides ، ص ٩١ — ٩٢ .

(٣) آخر الفصل الثامن ، .

ويشير الكتاب النصارى إلى قصص دينية أخرى ، مما كان شائعاً أيام الدولة الساسانية ، فمولد الأجرام السماوية كان ينسب إلى زواج أوهرمزد من أمه أو أخواته أو بناته^(١) . ويبدو أن ميترا قد ولد من زواج أوهرمزد من أمه نفسها ، زوج زروان^(٢) .

وبعد أن ذكر تيودور بركونائى القصة الزروانية عن مولد أوهرمزد وأهرمن والخلق الطيب والحبيث الذى نشأ كل منهما ، استمر يحكى قائلاً^(٣) : « وعندما أعطى أوهرمزد المتقين نساء هر بن وذهبن إلى الشيطان (أهرمن) . فلما منح أوهرمزد المتقين الهدوء والسعادة ، منح الشيطان النساء السعادة أيضاً ، وقد أذن لمن الشيطان أن يطلين ما يردن . خشى أوهرمزد أن يطلبن الاتصال بالمتقين فيحملهم العذاب ، فبحث عن وسيلة ليعدهن خلق الإله نرسائى ، وهو مخلوق فى الجنسية من عمره^(٤) ، ثم وضعه عارياً خلف الشيطان وذلك لئلا تراه النساء فيشتقن إليه ويطلبنه . فرفع النساء أيديهن إلى الشيطان وقلن له : يا أبانا الشيطان هب لنا الإله نرسائى^(٥) . وهذه القصة تكشف عن نظرية فى المرأة عجبية حقاً فى المذهب الزردشتى ولكنها توضح الميل المتشائم الأصيل فى الزروانية ، ذلك الميل

(١) ماربها ، ساخاو ، Syrische Rechtsbücher ، (٣) ، ص ٢٦٥ ، ولم تذكر تفاصيل . أما عن صحة زواج الأقارب الأدين فانظر الفصل السابع .

(٢) اليزه ، لانجلوا ، (٢) ، ص ١٩٣ . وفى نص آخر (ص ١٩٤) ولد ميترا من « أم بين الرجال » .

(٣) پونيون ، Inscriptions mandaïtes ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٤) المقصود هو نير يُوسَنج ، نيريوسنجا فى الأوستا ، رسول الآلهة ، « الذى دفع العالم إلى الأمام » ؟ وهو إله مشهور جداً ، يذكر كثيراً فى الكتب المهلوية ، أنظر كريستنس ، Les Kayanides ، ص ٥٨ و ٩٨ و ١٠٢ ؛ كيمو ، Recherches sur le Manichéisme ، ص ٦١ وما بعدها .

(٥) وهذا الباعث نفسه موجود فى مذهب الخلق عند المانوية ؛ أنظر الفصل الرابع .

(١٠ — الساسانية)

الذى لاحظته نيرج بدقة^(١). ثم يشير تيودور بعد ذلك إلى خرافات دينية أخرى من قصص إيران ولكن في عبارات غامضة جداً. كانت الأرض عذراء صغيرة وكانت مخطوبة لمن يسمى پرزگ وكانت النار ذات عقل ثم إنها كانت تصاحب شخصاً اسمه گونراب «رطوبة الغابات»، وكان پرزگ^(٢) حمامة حيناً ونملة أو كلباً مسناً حيناً آخر وكان كوم خنزيراً برياً وديكا وكان يرحب بپرزگ، وكان كيكاووز كبشاً جبلياً وكان ينطح السماء بقرنيه، وكانت الأرض وگورگی يهدان السماء يبلعها^(٣).

وقد أشار أحد الوابنة، في روايات أحد الشهداء السريانيين (تاريخ سابها)^(٤) إلى آلهتنا «زيوس، كرونوس، أبولون، ييدوخ، والآلهة الأخرى».

وها هنا تريب زرواني آخر، فإن زيوس وكرونوس وأبولون هم أوهرمزد وزروان وميترا. ولكن ما هي الآلهة المسماة ييدوخ التي يذكرها الكتاب السرياني؟ لعل الصيغة الهلوية لهذا الاسم ييدخت (بنت الإله أو الآلهة) — بي = بغا بالفارسية — وفي نص آخر في كتابات شهداء السريان يذكر اسم هذه الآلهة باسم سرياني معناه «ملكة السماء»^(٥). وفي النقش الذي أسلفنا الحديث عنه وهو نقش أنتيوش الأول القومشي (٦٩ — ٣٤ ق. م) القائم في نمرود داغ يشار إلى

(١) وقد اطلعت بعد كتابة هذه الأسطر على مقال بنفست الذي ذكر كثيراً وهو "Le témoignage de Theodore bar Cōnāi sur le Zoroastrisme" (M.O. ١٩٣٢) حيث درس بنفست في تعمق الآراء الزروانية الخاصة بطبيعة المرأة الشيطانية (س ١٨٥ وما بعدها).

(٢) كذلك بنفست؛ ترجمها يونيو «ابتلم».

(٣) شرح بنفست في المقال الذي أشرت إليه (M.O. ١٩٣٢، ص ١٩٢ وما بعدها) هذا النص الصعب. وقد أشار تيودور، الذي يحتمل رجوع إشارته إلى لسك جهرداد، إلى قصص دينية وخرافات ذكرتها المصادر الإيرانية للتاريخ القصصى. پرزگ هو فراسياك (في الأوستا، آفراسياب عند الفردوسي)، كوم هو الإله هو ما (بهلوى وفارسي هوم)، كيكاووز هو كي كاووس. گونراب صيغة خاطئة لاسم كرشب (كرشيا في الأوستا)؛ ويعتقد بنفست أن كورگی هو اسم شبطانة عرقها المانوية باسم كوني (أوستا كوندى). وللتفصيل أحيل على كاتب المقال، الذي يبدو كأنه عثر على مفتاح اللغز.

(٤) هوفان، ص ٧٢.

(٥) هوفان، ص ١٣٠.

أربعة آلهة : ١ — زيوس — أوهر مزد ، ٢ — پولن ميترا — هيلوس — هرميس ٣ — ورثاغنا — هيركليس — أريس ٤ — وطنى البالغ الخصب قومش (كما جين) . وقد أوضح شيدر^(١) أن هذا التربيع يمثل زروان الذى أشير إليه فى النص نفسه تحت اسم كرونوس أپيروس ، وهو يتعلق بتربيع إیرانى زروانى آخر أجزائه الدين المزدى مجسما (دين مزديسن) . وإذا قارنا هذا التربيع بنظيره فى تاريخ سابها ، على فرض أن زروان قد أخذ مكان ورثاغنا ، فإن ييدوخ بنت الإله تكون مطابقة للدين مزديسن . وفى أعمال الشهداء نفسها نجد الآلهة ننا أو نثائى وهى من أصل غير إیرانى ، ويظهر أنها كانت تعتبر الآلهة أناهيتا^(٢) ، وقد نقش اسمها على النقود الهندسيئية أيضاً^(٣) . ثم هناك عبارة فى أعمال الشهداء هذه^(٤) أشير فيها إلى أن الملك سابور الثانى قد أمر القائد معين بأن يعبد الشمس (ميترا) ، والقمر ، والنار ، والإله الأكبر زيوس (أوهر مزد) ، ونثائى الآلهة الكبرى لجميع الأرض ، والإلهين القويين بيل ونهو وذلك لأنه قد شك بحق فى أن معين قد اعتنق النصرانية . وقد يكون فى ذكر الإلهتين الأخيرتين ، وهما معروفتان لدى البابليين ، خطأ من مؤلف أعمال الشهداء المشار إليها ، بينما يجدر بالملاحظة أن تيوفيلاكس يذكر الإلهين ميترا وبيل معاً على أنهما من آلهة الإیرانيين (٤ — ١٦ — ٥) .

ومن الممكن أن نشير بهذه المناسبة إلى النقش الإیرانى ، نقش عربسون فى كبدوكية ، ذلك النقش الذى يبدو أنه يرجع إلى القرن الثانى ق . م والذى لفت الأنظار إليه شيدر وهو يتحدث عن نقش أنتيوش الأول القومشى^(٥) .

(١) *Urform und Fortbildung d. manich. Systems* ، ص ١٣٨ وما بعدها ؛

وقارن نيرج ، (٢) ، ص ٤٩ و ١٢٦ .

(٢) هوفان ، ص ٤٩ ، قارن ص ١٣٠ وما بعدها ؛ ويزيندونك *Das Weltbild* ،

der Iranier ميونخ ١٩٣٣ ، ص ١٤٥ — ١٤٦ ، والملاحظة ٧١٠ .

(٣) أنظر قبل هذا ص ٢٣ .

(٤) هوفان . ص ٢٩ .

(٥) *Urform* ، ص ١٣٧ ، قارن نيرج ، (٢) ، ص ٤٩ .

فهذا النقش يمثل الدخول الرسمي للدين الإيراني في كبدوكية ، وذلك بزواج الإله المحلي المسمى « بيل » بالإلهة السماء « دين مزديسن » . والواقع أننا لا نعلم إلى أى حد تأثر الدين الزردشتي الزرواني بالمذاهب الآرامية المختلفة ولكن المؤكد أن رجال الدين البرسيين الذين عاشوا بعد زوال الدولة الساسانية لم يكونوا يعرفون اسم يبدخت أو الآلهة ننأى وبيل ونهيو .

وفي خاتمة هذا الشرح المختصر للديانة الرسمية أيام الساسانيين نرى أن نشير إلى ملحوظة هامة جداً وصائبة جاء بها نيريج^(١) يقول إن الأشهر الزردشتية ثلاثون يوماً يحمل كل منها اسم أحد الآلهة ، ووفقاً للبدا المذكور في الفصل الثالث من البندهشن يمكن تقسيم هذه الأيام الثلاثين ، التي ذكرت أسماءها في نهاية الفصل الأول ، إلى أربعة أقسام بالطريقة الآتية (ذكرت أسماء الآلهة بالصيغة الإيرانية الوسطى حسب طريقة في الكتابة) :

| | | | |
|-------------|---------|---------|----------|
| ١ — أوهرمزد | ٢ — آذر | ٣ — مهر | ٤ — دين |
| وهمن | آبهان | سروش | ارد |
| أردوهيشت | خوار | رشن | اشتاد |
| شهرپور | ماه | فروردين | اسمان |
| سپندارمذ | تير | ورهران | زامداز |
| خورداد | گوش | رام | مهرسپند |
| أمرداد | دذو | واذ | انه گران |
| دذو | دذو | | |

وكلمة دذو التي ينتهي بها كل من الأقسام الأول والثاني والثالث هي الخالق (في لغة الأوستاداذوه) . والقسم الأول يشمل أوهرمزد والأمشا — سپندات الستة^(٢) ، فأوهرمزد قد جاء في الأول وفي الآخر . يقول نيريج^(٣) « فلنا أن نعتقد أن جميع

(١) (٢) ، ص ١٢٨ وما بعدها .

(٢) وهو منه أشا وهشتا ، خشترا وريا ، سپنتا آرميتي ، هوروات ، امرتات (انظر قبل هذا ص ٢٠) .

(٣) (٢) ، ص ١٢٩ — ١٣٠ .

الأقسام الأخرى مشكلة بنفس الطريقة التي شكل بها القسم الأول فهي تبدأ بإله رئيس خالق ثم تتلوه قواه الخالقة وأخيراً يجيء داذو الذي هو خلاصة جميع الأسماء والصفات في كل قسم . وأنا مقتنع أن كلمة داذو في القسم الثاني تحمل قدرة آذر كما أنها في القسم الثالث تحمل نشاط مهر وكذلك القسم الرابع يعبر عن القوى الخالقة للدين ، ولكن هذا القسم لا يتلخص في داذو ، وواضح أن ذلك راجع إلى أنه ينتهي بكلمة « أنه گران » وهي الأنوار اللامتناهية وهي غير مخلوقة « . فأوهر مزد والداذوات الثلاث هم إذاً فيما يرى نيرج أوهرمزد — آذر (النار) ، ومهر (ميترا) ودين (دين مزديسن) . « ولكن من المحتمل جداً أن لا يكون « أنه گران » شيئاً غير استبدال مزدى لكلمة زروان. اگرنا^(١) . والشهر المزدى يمثل إذاً الآيون ، في الآلهة الأربعة أوهرمزد وآذرومهر ودين مع قواهم الخالقة^(٢) » ويختم نيرج كلامه قائلاً « إننا بإزاء جدول مستقيم للمجموعة التي وجدت في نقش أنتيوش ، هذه المجموعة التي تتكون كما رأينا من : أوهرمزد ، ومهر ، وورهران ، ومن شخصية مقدسة جعلناها دين مزديسن ، ومن هذه الاصطلاحات اصطلاح واحد يختلف عن الاصطلاحات التي ترجع إلى التقويم الإيراني ، ألا وهو « ورهران » الذي يضع التقويم مكانه آذر . على أن هذا الاختلاف ليس إلا ظاهرياً ، ففي الحقيقة هناك وحدة في هذه النقطة ، ذلك أن لورهران صلة خاصة بالنار « ومن الممكن أن نضيف إلى الحجج التي أوردها نيرج في هذا الصدد أن نار المعابد تسمى نار ورهران (أو وهران في الصيغة السهلوية الأحدث)^(٣) .

والاستنتاجات التي يخرج بها نيرج من التقويم الفارسي تطابق كل المطابقة الإشارات المذكورة في مصادرنا السريانية والآرامية ، فالآلهة الأعلون للشريعة

(١) أي غير زرواني .

(٢) (٢) ، ص ٣١٠ .

(٣) انظر بعد هذا . وفارن بنقنست ، Vrtra et Vrthragna ، ص ٧٢ .

الساسانية كانوا زروان ، وأوهرمزد ، والشمس (مهر ، ميترا) والنار (آذر) ،
وييدخت = دين مزديسن ، الدين المزدى مجما .

* * *

وقد رأينا أن جد أردشير الأول كان قيا على بيت نار أناهيتا في مدينة اصطخر
وأن الأسرة الساسانية حافظت دائماً على صلتها القرية بهذا البيت وكان هناك معابد
يختص كل منها بإله . ومن المحتمل مع ذلك ، أن تكون المعابد بصفة عامة مخصصة
 لعبادة آلهة الشريعة الزردشتية جميعاً وأنها كانت من نوع واحد فكان مركز الخدمة
 للمقدسة هو الهيكل الذي فيه النار المقدسة ، وكان لبيت النار عادة ثمانية أبواب وعدة
 أبواب من ثمانية أركان . ويمثل هذا النوع من المعابد في أيامنا هذه معبد نار مدينة
 يزدا ، وقد حول إلى مسجد كبير منذ الفتح الإسلامي^(١) . ويصف السعودي^(٢)
 خرائب بيت النار القديم في اصطخر ، وكان في أيامه مسجد سليمان فيقول : « وللفرس
 بيت نار باصطخر تعظمه المجوس ، كان في قديم الزمان للأصنام فأخرجتها حماية بنت
 بهمن بن اسفنديار وجعلته بيت نار ، ثم نقلت عنه النار فخرب . والناس في وقتنا
 هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (٩٣٤) يذكرون أنه مسجد سليمان بن داود
 وبه يعرف . وقد دخلته ، وهو على نحو فرسخ من مدينة اصطخر ، فرأيت بنياناً
 عجيباً وهيكلًا عظيمًا وأساطين صخر عجيبية على أعلاها صور من الصخر طريفة من
 الخيل وغيرها من الحيوان عظيمة القدر والأشكال يحيط بذلك حيز وسور منيع من
 الحجر وفيه صور الأشخاص قد شكلت وأتقنت صورها ، يزعم من جاء هذا الموضع
 أنها صور الأنبياء » .

ويوجد على نقوش القبور الملكية الأكينية في نقش رستم صور تمثل الهياكل
 التي توجد فيها النار المقدسة ويظهر أن شكلها قد نقش على الهياكل التي كان يتخذها
 أقوام آسيا الآخرون . فهناك معبدان ضخمان للنار ، قائمان على قاعدة واحدة مصقولة ،
 قد نقشا على حجر من حجارة نقش رستم . والجزء الأعلى ، ذو الطيقان ، يبدو أنه

(١) أونولا في *Revue d'Assyriologie* ، (٢٥) ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٧٨ .

(٢) مروج ، (٤) ، ص ٧٦ — ٧٧ .

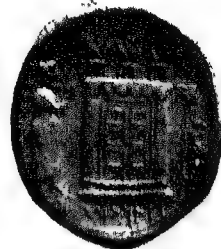
مقام على أربعة أعمدة بارزة في النقش . ولكن النار السرمدية قد استلزمت وجود معابد لتحفظ فيها من عادية الأيام . ويرى بعض الباحثين أن المعبد ذا الفجوات القائم أمام قبور الملوك في نقش رستم ، والذي يرجع تاريخه إلى أيام الأكمنيين والذي يسميه الفرس « كعبة زردشت » مثل لهذه المعابد التي تحفظ النار الأزلية^(١) . وقد استقرت القاعدة في الدين الزردشتي على أنه لا يجوز أن تصل الشمس إلى النار المقدسة ، وعلى هذا الأساس وجد الشكل الجديد من بيوت النار الذي في وسطه غرفة مظلمة كل الإظلام يوضع فيها هيكل النار . ويوجد من هذا بيت نار مصور على نقود حكم فارس من قبل السلوقيين^(٢) (رسم ٤) .

وقد صور هنا ثلاثة معابد للنار في الصورة ومكانها في داخل المعبد فري العابد على اليسار ، والعلم على اليمين . وترينا نقود أردشير الأول تفاصيل بيت نار : الهيكل فيها قائم على حامل ذي ثلاثة أرجل من المعدن بلا شك ، ومن فوقه النار تتوقد . (رسم ٥) .



(رسم ٥)

٥ . بيت نار زردشتي مصور على ظهر قطعة نقود من عصر أردشير .
(متحف كوبنهاجن)



(رسم ٤)

٤ . بيت نار مرسوم على قطعة نقود لولاية فارس (عصر السلوقيين)
(هيل . كتالوج السكوكات الإغريقية في بلاد العرب والعراق وفارس)

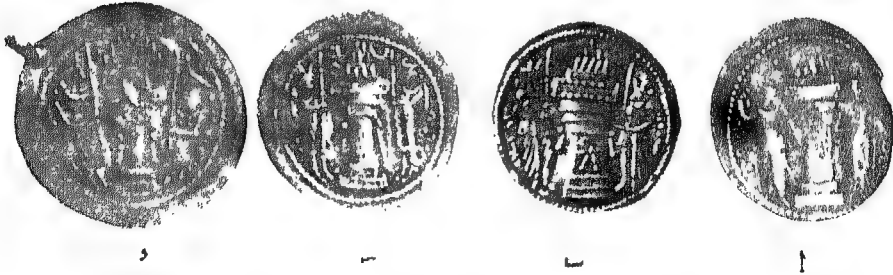
ولكن في أيام خليفة سابور الأول اختفى الحامل ذو الأرجل الثلاثة واتخذ الهيكل الذي يحمل النار المقدسة صورة عمود مربع ضخم ، وعلى جانبه صورة رجل

(١) ويوافق على هذا الرأي سار (Die Kunst des alten Persiens ، ص ١٥) .

ويرى آخرون أنه قبر .

(٢) انظر قبل هذا ص ٧٣

يعمل عصا طويلة أو رمحا . وقد ظل هذا الرسم في نقود جميع الملوك الساسانيين . وأحياناً يظهر رأس في وسط النار ، لعله رأس آذر إله الالهة^(١) (رسم ٦) . وفي نقود الملوك الأوائل ، إلى يزدگرد الثاني ، نجد غالباً ، على الحاشية كلمة « نار » متبوعة باسم الملك الذي أمر بضرب النقود . وباختلاف الدرجات في نظام الأسرة عند الإيرانيين القدامى وجد درجات متفاوتة من النار فكان هناك :



٦ . صور مختلفة لبيوت النار ، ١ منقوشة على ظهر نقود سابور الأول ، ب على نقود سابور الثاني ، ج و د على نقود بهرام الخامس (١ ، ج ، د تنوعة المؤلف . ب متحف كوبنهاجن)

نار البيت ونار القبيلة ونار القرية (آذران) ونار لسكل كورة أو إقليم وهذه الأخيرة تسمى ورهران (وهرام) . فبينما نار البيت كانت منوطة بالمابذ ، رب البيت ، كان اثنان من المرابذة ، على الأقل ، لازمين للقيام بخدمة نار القرية (آذران) ، وكانت نار « ورهران » تتطلب هيئة من المرابذة أكثر عدداً يرأسها موبد^(٢) . وقد جاء في «السودگر» وهو نسك من الأوستا الساسانية ، تفاصيل عن طريقة عبادة النار^(٣) مؤيدة بالقصص الدينية . وفي المعبد ، حيث الهواء مفعم بالبخور ، يقف المربد ، وقد أخفى فيه برباط (بايتدانا بالأوستية) لكي لا تلوث أنفاسه النار ، ليغذي النار بقطع من الخشب طهرت تطهيراً دينياً ، وهي في الغالب

(١) قارن سار — هرتسفلد ، Iran. Felsreliefs ، ص ٨٩ — ٩١

(٢) شبيجل Franische Alttestamentskunde ، (٣) ، ص ٥٧٥ ، بفنست Vrtra

et Vrthragna ، ص ٢٩ و ٧٢

(٣) دينكرد (٩) ، ١٢

من نبات اسمه (هذانة پتا) ، ماداً يده بحزمة الحشب المسوى والمهياً طبقاً لمراسم الدين (برسا) ، مرتلاً الأدعية الدينية ، ويأخذ هراينة المعبد بعد ذلك في نثر الهوما . فالأغصان المطهرة من نبات الهوما تدق في الهون بينا الهراينة يرتلون الأدعية أو يتلون بعض آى الأوستا . وهذه مراسيم طويلة ومعقدة ينبغي أن تنفذ بدقة وفق التعاليم . ثم تنثر الهوما ، ويتلو الزائوتر نصوصاً معينة بنظام محدد مع مراسيم متفاوتة تقدم أثناءها البرسا . ولكل من الرتوات السبعة ، وهم مساعدوه ، دوره الخاص : « فالهاونان » الذى يدق الهوما ، وال « آروخش » عليه أن يعي بالنار وأن يرتل الدعاء مع الزائوتر ، وال « فرابراتر » يحمل الأعواد ثم يضعها فوق النار وال « آرت » يحمل الماء ، وال « آس تتر » ينقى الهوما ، وال « رايت ولشكرا » يخلط الهوما مع اللبن^(١) والسابع ال « سروشا ورز » يراقب العمل ، وله وظائف عليه القيام بها خارج المعبد ، إذ عليه مراقبة المواظبة على النظام الدينى .

وفي معبد النار يرتل رجال الدين الأدعية المقررة للأوقات الخمسة المحددة في النهار ثم يقومون بكل أعمال المذهب وهى تأخذ شكلاً علفياً رافعاً في الأعياد السنوية الستة التى تسمى بال — « گهاانبار » التى تسار فصول السنة على اختلافها . ولكن الطبقات من غير رجال الدين لم يكونوا مبعدين عن المعابد بل على العكس كان من الواجبات الدينية على كل فرد منهم أن يذهب ليرتل دعاء مجد النار « آتش نيايشن »^(٢) . ومن يذهب منهم ثلاث مرات إلى المعبد ويرتل هذا الدعاء يظفر بالمال والسعادة الروحية^(٣) . وقد كان منظر المعبد يبعث المؤمنين على الاستغراق ، وذلك بقاءاته المظلمة حيث تشتعل النار فوق المذبح والآلات المعدنية تلمع من أطراف وأهوان وشبابيث ومساند البراسما التى تشبه الهلال ، وحيث الهراينة يتلون الأوراد

(١) تقدم الهوما مخلوطة باللبن وعصير نبات هذانيتا شرباً للآلهة والقربان يسمى ميزدا ويحتمل أن يتكون من اللحم والدهن أو الزبد .

(٢) النيايشن الخامس من الأوستا التى بأيدينا .

(٣) پندنامك زردشت WZKM (٢٠) ، § ٣٦

التي لا تنقطع بصوت مرتفع ولحن جميل حيناً وبصوت منخفض إلى حد التمتمة حيناً آخر ، وهم يرددون الأدعية والصلوات دائماً في أوقاتها على قدر المرات المحددة لكل حالة . وقد امتاز ثلاثة بيوت من بيوت النار بين المعابد المنبثة في الدولة كلها ، فكانت تتمتع بتقديس خاص ، وهى البيوت الثلاثة التى حفظت فيها النيران الثلاث المسماة : آذر فريغ^(١) وآذر گشاسپ وآذر بورزين — مهر . وفى خرافة قديمة تروى فى البندهشن^(٢) إن جماعة من الناس ، من أيام الملك الخرافى تخمورب انتقلوا من إقليم خونيرس^(٣) إلى ستة أقاليم أخرى لم يكن فى طاقة البشر بلوغها ، وذلك على ظهر الثور الخرافى «سرسائوغ» Sarsaogh . وقد حدث ليلة ، فى وسط المحيط ، أن سقطت ثلاث نيران كانت متقدة فوق ظهر الثور أسقطتها عن ظهره الرياح فوقعت فى الماء ولكن النيران ، كأنها ثلاثة أرواح حية ، قد نبشت (من جديد) حيث كانت فوق ظهر الثور فأنارت الدنيا . وبعد ذلك جاء ييم (جم) وهو خليفة الملك تخمورب (خرافى أيضاً) فبنى لإحدى هذه النيران الثلاث ، نار فريغ ، معبداً فوق جبل خورهمند فى خوارزم . ونحن لاندرى إلى أى زمان يرقى تاريخ هذه النيران الثلاث . ويظن هوفان^(٤) أن هناك صلة بين النار الأبدية بمدينة أساك بمقاطعة استائوين ، وهى النار التى احتفل عندها بتقديس أورشاك ، مؤسس الدولة الأشكانية ، ملكا^(٥) وبين نار برزين مهر التى كان يبتها قريباً من هذه الجهة فى عهد الدولة الساسانية . وفى رواية من روايات رجال الدين المزدى إن النيران الثلاث كانت متصلة بالطبقات الاجتماعية الثلاث التى أسسها أبناء زردشت الثلاثة —

(١) آذر فريغ فى الكتابة المهلوية ، وقد تكون كلمة فريغ كتابية تاريخية أو كتابية خاطئة للفظ فروغ بذ ؛ ولكن يظهر أن الصيغة الميرانية آذر فردا (هوفان ، ص ٢١٣) تقصد ذكر الصيغة الإيرانية آذر — فريغ .

(٢) الفصل ١٧ ، ٤ — ٥ ، وست ، Pahlavi Texts ، (١) ، ص ٦٢ وما بعدها ؛ ١٢٤ ، ١ — ٥ وما بعدها من نشر انكساريا .

(٣) ينقسم العالم ، حسب نشأة الخلق فى القصص الدينى ، إلى سبعة أقاليم (كشور) ، منها واحد يسكنه الآدميون وهو الإقليم الأوسط المسمى خونيرس .

(٤) Auszüge ، ص ٢٩١

(٥) Isodore de Characène ، ١١

كما تقول هذه الخرافة — فأذر فربغ كانت نار رجال الدين ، بينما كانت نار آذر
گشنسب نار رجال الحرب ، وآذر برزین مهر نار الزراع . وأما وضع النيران الثلاث
في المواضع التي كانت معابدها فيها أيام الدولة الساسانية فترجعه القصص إلى الملوك
الخرافيين قبل الأكينيين .

آذر فربغ : وهي حسب رواية البندهشن الهندي ، فوق جبل روشن في كابلستان
بناحية كابل . ولعل في هذا خطأ من الناسخ ، فإن البندهشن الإيراني قد يقرأ على
وجه آخر ، ولكن للأسف غير مؤكد . فيقرأه ولیم جاكسون^(١) الجبل النير في
كاوار وند (البخاري) في مقاطعة كار ، ثم يحاول أن يرينا أن النص يقصد مدينة
كاريان في إقليم فارس ، في منتصف الطريق بين سيراف على شاطئ الخليج الفارسي
ودارا بجرد ، حيث لا تزال خرائب معبد قديم حتى الآن . ويظهر أن النار المقدسة
هنا كانت تتقد من عين نطف^(٢) . وأما المسعودي^(٣) فيرى أن هذا المعبد كان يسمى
آذر جوي وتفسير ذلك « نار النهر » ومن الظاهر أن هذا هو المعبد نفسه الذي يشير
إليه البيروني باسم آذر خوره^(٤) . هذا ويقترح^(٥) هرتسفيلد قراءة أخرى للعبارة التي
نحن بصدددها من البندهشن الإيراني ، فعنده أن بيت نار فربغ كان مقاما في إحدى
ولايات الثغور التي يحدها العالم الألماني بسهل نيسابور^(٦) . وعندي أنه من العقول
جداً أن يكون موقع بيت نار فربغ في كاريان ، إذا لاحظنا الروايات العربية التي
ذكرها جاكسون تأييداً لرأيه . وكانت النار تؤخذ من معبد كاريان لتنقل إلى المعابد

(١) JAOS ، The Location of the Farnbāgh Fire ، ١٩٢١ ، ص ٨١ وما بعدها

(٢) قارن ستاك ، Six Months in Persia ، نيويورك ، ١٨٧٢ ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٣) صروج ، (٤) ، ص ٧٥ وما بعدها .

(٤) طبعة ساخاو Sachau ، ص ٢٢٨ وما بعدها ، ترجمة الناشئ ، ص ٢١٥ وما بعدها ؛
وقد تكون آذر خورا مكان آذر خوروا ؛ وخر وفر صورتان من كلمة واحدة هي خورنه في
الأوستا ، قارن ص ١٣٥

(٥) Modi, Mem. Vol. ، ص ٢٠١ ، Arch. Mitt ، (١) ، ص ١٨٢ وما بعدها .

(٦) قارن قبل هذا ص ٩٤ ، ملاحظة ٣ ، وصفا ٢٢٨ و ١٢٩

الأخرى وذلك إلى القرن العاشر^(١) فقد كان من العادات القديمة أن تجدد النار في المعابد الصغرى بإمدادها من إحدى النيران في المعابد الثلاثة الكبرى^(٢).

آذر گشنسپ : وهي النار الملكية ، وكان معبدها في الشمال في گنججك (شيز) بأذربيجان . وقد حدد جاكسون مكانها بين خرائب تحت سليمان في منتصف الطريق بين أورمية و همدان^(٣) . وكان الملوك الساسانيون يحجون إلى هذا البيت العظيم حين الأزمات . وكانوا يهبونه حينئذ هبات سخية من الذهب والأموال والأراضي والعبيد . وقد أرسل إليه بهرام الخامس الجواهر النفيسة التي كانت في التاج الذي أخذه من الخاقان كما أرسل إليه زوجه للخدمة فيه^(٤) . وكذلك أظهر خسرو الأول مثل هذا السخاء لهذا المعبد . وقد نذر كسرى الثاني لمعبد آذر گشنسپ حلياً من الذهب والفضة إذا انتصر على بهرام چوبين وقد أوفى بنذره . ويصف المسعودي^(٥) في القرن العاشر خرائب هذا المعبد فيقول : « وفي الشيز من بلاد آذربيجان آثار عجيبة من البنيان والصور بأنواع الأصباغ العجيبة من صور الأفلاك والنجوم والعالم وما فيه من بر وبحر وعامر ونبات وحيوان وغير ذلك من العجائب ولهم فيها بيت نار معظم عند سائر طبقات الفرس يقال له آذر خوش^(٦) ، وآذر أحد أسماء النار بالفارسية والخوش الطيب . وكان الملك من ملوك الفرس إذا ملك زاره ماشياً

(١) مقدسي ، نشر دى جوبه de Geojie ، ٣ ، ٤٢٧

(٢) تقول الرواية الخرافية (البندهشن) إن وبشتاسيا الملك القديم الذي من زردشت هو الذي نقل نار فربغ من خوارزم إلى المكان الذي وجدت فيه حين ألّف هذا الكتاب وأما المصادر العربية فلها روايتان مختلفتان عن نقل النار المقدسة في كاريان فالعس ينسب ذلك لويشتاسيا وآخرون ينسبونه للملك الساساني كسرى الأول . ومهما يكن فلا شك أن نار فربغ كانت موجودة في مكانها النهائي في بدء العهد الساساني .

(٣) Persia Past and Present ، ص ١٢٤ — ١٤٣ ، JAOS ، ١٩٢١ ، ص ٨٢٤

(٤) الطبري ، ص ٨٦٥ ، ٨٦٦ ؛ نولدكه ، ص ١٠٢ و ١٠٤ ، وقد بحث أردشير الأول رؤوس القتلى من أعدائه لمعبد اناهيتا في اصطخر ، وكذلك علقت رؤوس قتلى المسيحيين في هذا المكان نفسه سنة ٤٣٠

(٥) التنبيه ، ص ٩٥ ، ترجمة كارادى فو Carra de vaux ، ص ١٣٧

(٦) اسم آخر لآذر — گشنسپ .

تعظيمها له ، وتنذر له النذور وتحمل إليه التحف والأموال^(١) وغير ذلك من البلاد كالماهات وأرض الجبال .

وبالجملة فقد كانت هذه النار رمزاً للوحدة الملكية والدينية ، رمز الملكية الساسانية ، التي قويت بتحالفها مع رجال الدين ، على خلاف الملكية الأشكانية ، التي كان لكل ملك مقاطعة فيها — أى لكل ستري — معبد خاص به . وهنا يعبر كتاب تنسر^(٢) عن حقيقة تاريخية ، ولكن ماجاء في ذيل الكتاب نفسه « من أن معابد ملوك الطوائف كانت بدعة وأن النار المكية الواحدة عند الساسانيين كانت إعادة لما كان متبعاً منذ عهد داريوس » ليس له أساس من التاريخ^(٣).

آذر برزين مهر : معبد نار الزراع ، وهو قائم في شرقي الدولة في جبال ريوند شمال شرقي نيسابور . ويسمى لازار الفرقي قرية ريوند بقرية المغان^(٤) . وقد أراد جاكسون أن يجعل مقر هذا البيت بقرب القرية الحديثة حشر . في منتصف الطريق بين ميان — دشت وسبزاور على الطريق الحراساني المؤدى إلى نيسابور^(٥).

كانت بيوت النار الثلاثة هذه موضع تقديس خاص وكانت هباتها وما ينذر لها أغنى مما يخصص للمعابد الأخرى . وكان في إيران معابد كثيرة من الدرجة الثانية ولكنها كانت محل رعاية كبيرة ، وخاصة ما نسب تشييده منها إلى بعض الأبطال الخرافيين الذين عاشوا في العصور البالية أو إلى زردشت نفسه ، ومن أمثلة هذه البيوت بيت النار في طوس ونيسابور وأرجان في فارس وبيت

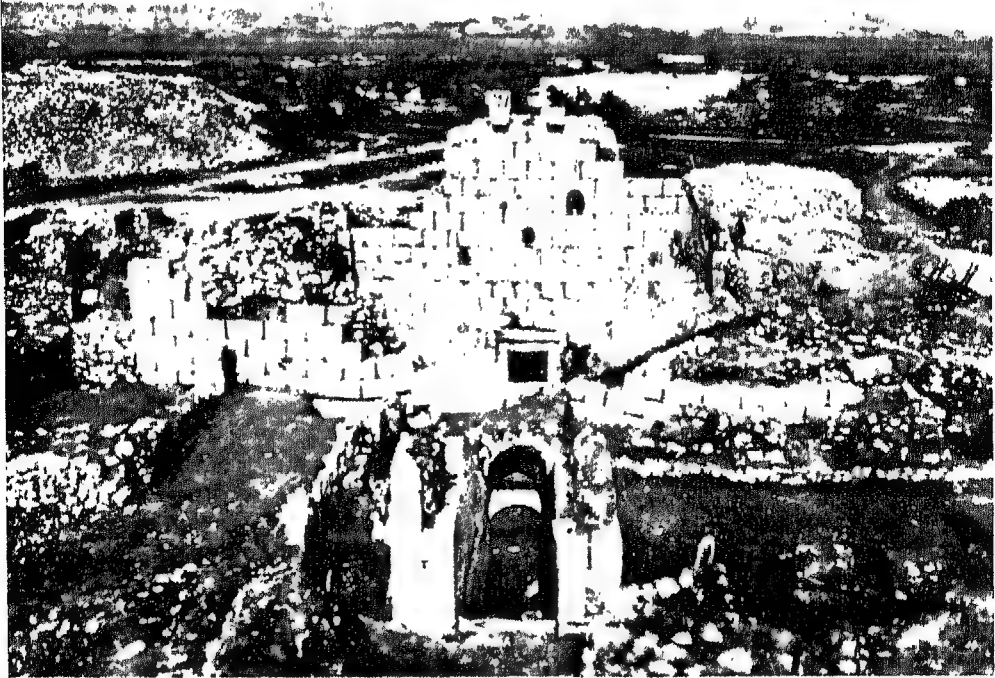
(١) وقد أشار ابن خرداذبة أيضاً إلى عادة سير الملوك الساسانيين مشاة إلى معبد آذر — كشنسب بالمداين عند توابتهم الملك (BGA) ، (٦) ، ص ١٢٠ ، الترجمة ، ص ٩١ .
(٢) دار مستر ، ص ٢٢٥ و ٣٠٠ وما بعدها ؛ مينوي ، ص ٢٢ . الترجمة العربية للخشناص ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) في المكتبة الأهلية بباريس خاتم عليه صورة ونقش لمغان مغ آذر كشنسب المسمى بآفر ك (انظر هنا ص ١٠٥) .

(٤) لانبولوا ، (٢) ، ص ٣١٥ ؛ هوشان ، ص ٢٩٠

(٥) From Constantinople to the home of Omar Khayyam ، ص ٢١١ —

نار كركرا في سيستان وبيت كويسا بين فارس وإصفهان^(١) . وتذكر أسماء
بيوت للنار في قرى كثيرة من بلاد الجبال ، وهي بلاد ميديا القديمة ومنها نار
قزوين ، وشيرون قرب الري ، وقومش (لعلها هكتمبوليس الأشكانيين)^(٢) ويري ،
حتى اليوم ، على قمة تل قريب من إصفهان خرائب بيت من بيوت النار^(٣)
(شكل ٧) . وقد جاء في كارنامك^(٤) أن الملك أردشير الأول قد أقام ناراً من



٧ . بيت نار في شاپور

(سال وكيرشمان . مجلة الفنون الآسيوية ، (١٠) ، لوحة ٤٠)

-
- (١) الشهرستاني ، نشر كيرتون Cureton ، ص ١٩٧ ؛ الترجمة هاربروشر ، (١) ،
ص ٢٩٨
(٢) القائمة الكاملة في شوارتز ، Iran im Mittelalter ، ص ٨٣٧ ، وقد ذكرت
نار كومش (كوماجين ، قومش بالعربية) في البندهشن الإيراني (انكلساريا ، ص ١٢٨ ،
١ — ١١ : ٧) ؛ انظر ماركارت — مسينا ، Catalogue ، ص ٦٥
(٣) عن كتاب جاكسون ، Persia Past and Present ، ص ٢٥٢ وما بعدها ،
في وصف الخرائب .
(٤) (٤) ، ١٩ و ٨ .

نيران ورهران في بوخت — أردشير على شاطئ البحر ، وأقام كثيراً غيرها في أردشير خوره .

* * *

وتعتبر الأعياد السنوية أيام الساسانيين — التي يعتبر كتاب البيروني « الآثار الباقية » من المصادر الرئيسية لمعرفة — أعياداً زراعية تتصل عادة بأعمال المزارع ، ولما اعترف الدين الرسمي بهذه الأعياد صار الاحتفال بها ذا مراسيم دينية مع احتفالات ، سحرية في الأصل ولكنها اختصرت كثيراً إلى مراسيم عادية يعجبها كثير من الملاحى الشعبية من كل نوع ، ووفقاً للخيال الذي ألفه الكتاب في الخرافات الشعبية أصبح معظم هذه الأعياد السنوية متصلاً بالتاريخ الخرافي ، فهذا العيد قد عيد تمجيداً لذكر هذه الحادثة التي وقعت أيام ييم (جمشيد) أو أفريدون أو غيرها من الأبطال الخرافيين .

وتتألف السنة الزردشتية من اثني عشر شهراً ، وهذه الأشهر تحمل أسماء الآلهة الرئيسيين ، وهي بالترتيب الآتى :

- ١ — فروردن (فروشى ها — الملائكة) ٧ — مهر (ميترا)
- ٢ — أردوهيشث (اشاو هشتا) ٨ — أبهان (أناهيتا)
- ٣ — خورداد (هورونات) ٩ — آذر (آثر)
- ٤ — تير (تيشترى) ١٠ — دار (أوهرمزد ، الخالق)
- ٥ — مرداذ (إمرتات) ١١ — بهمن (وهو منه)
- ٦ — شهربور (خشاأرا وريا) ١٢ — إسپندارمذ (إسپنتا آرميتى)

وكل شهر يعد ثلاثين يوماً ، وكل يوم يحمل اسم إله من آلهة الزردشتين ، وسبعة الأيام الأولى تحمل اسم أوهرمزد والستة أشهر إسپندات (جميع أشهر إسپند^(١)) . ويضاف إلى هذه الأيام الثلاثمائة والستين خمسة أيام إضافية أو مسترقة ،

(١) انظر هنا س ١٤٨ . والرأى السائد عند العلماء هو أن تقسيم الشهر إلى أسابيع لم يكن معروفاً عند الفرس القدماء (انظر جيجر ، Ostiranische Kultur im Altertum ، س ٣١٦) . ولسكنا نجد بعد ذلك ما يدل على وجود الأسبوع في التقويم الساساني .

توضع في نهاية الشهر الأخير من السنة وتحمل أسماء الكائنات (جميع كائنات) الخمسة .
والأعياد الموسمية ستة تسمى كهانبارات (جميع كهانبار) وكل منها يستمر
خمسة أيام . وفي أثناءها تنجر الحراف وفقاً للمراسيم المعينة وذلك في احتفالات
خاصة (١) . وها هي الأسماء الأوسمية لهذه الأعياد (٢) :

- ١ — ميديوى زرميه (في شهر أردوهيشث) ٤ — أياثريه . (في شهر مهر)
 - ٢ — ميديوى شام (في شهر تير) ٥ — ميدياى ريه (في شهر داذو)
 - ٣ — پايتيش ههيه (في شهر شهرپور) ٦ — همس پئائديه
- والكهانبار السادس ، همس پئائديه ، الذى يشمل الأيام الخمسة المسترقة كان
في الأصل عيد الموتى . وكان يستمر في الأزمنة القديمة عشرة أيام بلباليها ، وقد قيل
في اليشت الثالث عشر من الأوستا القى بأيدينا (فروردين يشت ٤٩ — ٥٢) أنه
في أثناء عيد «الهمس پئائديه» تقترب أرواح المؤمنين (فروشى ها) من مساكن
الصالحين مدة عشر ليال متوالية ، طالبة الصدقة والقرايين ، ومن أجل ذلك سمي
«يوم الموتى» هذا باسم فرورديگان أو عيد الأرواح (فروشى ها) . يقول
البيرونى (٣) وفي أيام هذا العيد «كانوا يضعون الأطعمة في نواويس الموتى
(دخات) (٤) والأشربة على ظهور البيوت ويزعمون أن أرواح موتاهم تخرج في
هذه الأيام من موضع نوابها وعقابها فتأتيها وتنشق قوتها وترشف طعومها ،
ويدخنون بيوتهم بالرائس ليستلذ الموتى براحتهم» .

ولكى تكون السنة الزردشتية مطابقة للسنة النجومية كانوا يضيفون شهراً في
كل مائة وعشرين سنة ، وحينئذ كانت الأيام الخمسة المسترقة تضاف عقب هذا
الشهر . ولكنهم كانوا ، لأسباب شتى ، يضيفون شهرين دفعة واحدة لمدة ٢٤٠

(١) دينكرد ، (٨) ، ٧ ، ١ : ٣

(٣) ذكر البيرونى أسماء الكهانبارات في لهجة خوارزم . ولكن في ترتيب يفاير
ذكر الأوستا لها .

(٣) الآثار الباقية ، ص ٢٢٤ والترجمة ، ص ٢١٠ .

(٤) انظر ص ٢٤ هنا عن نواويس الموتى (دخات) .

سنة . وهكذا ، في أيام بزدرج الأول (٣٩٩ — ٤٢٠) أضيف شهران بعد شهر آبهان . ومنذ ذلك الوقت جروا على وضع الأيام الخمسة المسترقة بين شهرى آبهان وآذر ؛ ولكنهم أهملوا إضافة الشهرين حين آن أوان إضافتهما في المدة التالية (١) .

ويظهر أن السنة كانت تبدأ بشهر مهر في العصر السابق على الساسانيين ، وكان المهرجان ، عيد الخريف ، أول أيامها (٢) . ولكن هناك دلالات من التقويم تفيد أنه عندما اتخذ أول الربيع مبدأ للسنة فيما بعد صارت السنة المصطلح عليها تبدأ بشهر داد (شهر أهر مزد) (٣) . وقد أصبح جلياً من الأبحاث التي قام بها كل من جوتشم (٤) ونولدكه (٥) أنه وحد أيام الساسانيين نوعان من التقويم ، الأول دينى ، وقد روعى فيه أن يكون بدء السنة قريباً من ابتداء الربيع ، والثانى مدنى ، وهذا التقويم لا يكبس بل إنه استبدل الأيام الخمسة المسترقة بشهر كامل ، فصار اليوم الأول من السنة لا يقع في الوقت نفسه إلا بعد ١٤٤٠ سنة (12×120) . وقد حدد يوم ارتقاء الملوك الساسانيين وفقاً لهذا التقويم .

وجدير بنا أن نلاحظ وجود التقاويم المختلفة وطرق الكبس المتباينة — فهذه واقعة محقة — إذا أردنا أن نشرح التضاد الذى نراه بين التاريخ الذى يضربه البيرونى لبعض الأعياد وبين الظواهر الطبيعية التى يشار إليها بمناسبة هذه الأعياد . فمن هذه مثلا العידان المسميان آذرچشن فقد وصفنا بأنهما عيدا الشتاء ، بالرغم من التقويم العادى الذى يجعل أول فروردين في ابتداء الربيع ، فإنه يحدد لعید الآذرچشن

(١) البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٣٣ و ٤٥ ؛ الترجمة ، ص ٣٨ و ٥٥ — ٥٦ .

(٢) قارن اندرياس — هينج ، *Mitteliranische Munichaica* (Sitz. Pr. Ak) ، ١٩٣٢ ، ص ١٨٩ ، الملاحظة ١ .

(٣) أنظر كريستسن ، *Le Premier Homme et le premier roi dans l'histoire* ،

légendaire des Iranien ، (١) ، ص ١٧٥ وما بعدها .

(٤) *Berichte d. Kön. sächs. Ges. d. Wiss., phil.-hist. Classe* ، ١٨٦٢ .

(٥) *Tabari* ، ص ٤٠٦ وما بعدها .

الأول يوم ٢١ أغسطس ويحدد للثاني يوم ٢٤ نوفمبر^(١) .

وكان النوروز أكبر الأعياد الشعبية كما هو اليوم في إيران (نوگ روز = بالفارسية نوروز) وهو يوم رأس السنة الذي يلي عيد فروردیگان^(٢) مباشرة في السنوات البسيطة . وقد جاء في الدينکرد^(٣) ، أن الملوك كانوا يسعدون رعاياهم في جميع الولايات في هذا اليوم السعيد ، وكان من يشغل يستريح ويحتفل بالعيد . وقد عدد نص پهلوی حديث^(٤) كل الحوادث الماضية والمستقبلية المتصلة بالنوروز منذ خلق أوهر مزد الدنيا ومنذ عهد المجد في التاريخ الخرافي حتى نهاية الدنيا . وقد تحدث عن هذا العيد ، عدا البيروني^(٥) ، كتاب من العرب والفرس^(٦) كما أن شعراء كالفردوسي ومنوچهری قد تغنوا به . إنه عيد ربيعی قد حفظ بعض خصائص الزمزمك Zargmok الذي هو عيد البابليين القدماء . كانت الضرائب المحيية تقدم للملك في النوروز ، وفيه يعين أو يستبدل حكام الأقاليم ؛ وتضرب النقود الجديدة وتطهر بيوت النار^(٧) ويستمر العيد ستة أيام متوالية ، وفي هذه الأيام يجلس ملوك الساسانيين للعامه ،

(١) كريستنسن ، Le premier homme ، (١) ، ص ١٧٩ وما بعدها ؛ وانظر أيضا ماركارث ، Modi. Mem. Vol. ، ص ٧١١ وما بعدها .

(٢) كانوا يحتفلون برأس السنة في أول الربيع أيام الإسلام ، وكان تاريخه في التقويم العربي يتغير كل سنة ، وفي العهد الحالي نظام التقويم الشمسي الذي يجعل النوروز رأس السنة كما اتخذ أسماء السنة الزردشتية القديمة .

(٣) (٣) ، ١٩ ، ٥ ، طبعة پيشوتن سنجانا ، (٩) ، ص ٤٤٧ ، الترجمة ، ص ٥٦٣ .

(٤) Pahlavi Texts ، نشر جاماسب اسانا (٢) ، ص ١٠٢ وما بعدها ؛ وقد أعاد نشره وترجمه ماركارث ، Modi Mem Vol ، ص ٧٤٢ وما بعدها .

(٥) الآثار الباقية ، ص ٢١٥ وما بعدها ، الترجمة ص ١٩٩ وما بعدها .

(٦) نبدتان من كتاب الخاسن ، إيرلش ، Modi Mem. Vol. ، ص ٩٥ وما بعدها . وقد ترجمت أولى النبدتين إلى اللغة الروسية واستخدمها اينسرتنرف في أبحاثه عن النوروز (SE ، ص ٨٢ وما بعدها) ثم ترجمت بعد ذلك إلى الفارسية ، ترجمها مازندي ، ثم ترجمت إلى الإنجليزية مع لمحة تاريخية عن النوروز بقلم ناريمان في الكتاب الصغير « أرمغان نوروز » (Supplement of the Iran League) ، بمباي . وقد تحدثت عن النوروز في الملاحق الذي أضفته للجزء الثاني من كتاب Le premier homme (ص ١٣٨ وما بعدها) .

(٧) الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٦

ويقابلون العظاء وآل ساسان في نظام حسن ويقدمون لهم الهدايا ، وفي اليوم السادس كان الملك يحتفل هو نفسه بالعيد مع خاصته ، والواقع أن اليوم الأول واليوم الأخير من النوروز (اليوم السادس) كان يحتفل بهما احتفالاً يحوى كل المظاهر الشعبية^(١) . وكانوا يصحون مبكرين في اليوم الأول وينذهبون إلى مجارى المياه والقنوات للاستحمام ورش بعضهم بعضاً بالماء ، وكانوا يتبادلون هدايا الحلوى . وكانوا في الصباح ، قبل أن ينطق أحدهم بكلمة يأكلون السكر ويلبسون العسل ثلاث مرات ، ويدلكون أجسامهم بالزيت ، ويتبخرون بثلاث قطع من الشمع ليحفظوا أنفسهم من الأمراض والآفات .

وأما عن أعياد السنة الأخرى فإننا سنتنصر على الإشارة لأهمها . ففي كل شهر عيد اليوم المسمى باسمه الشهر ، وعلى هذا النحو كان تير من شهر تير عيداً (١٣ تير) هو التيرگاه . وفيه يغتسل الفرس ويطبخون الحنطة والمواكه^(٢) .

وكان عيد آذرچشن الأول ، عيد النار ، يعيد في السابع من شهر يور (يوم شهر يور من شهر يور) ، وهو يوم عيد النيران التي في دور الناس ، وفيه يوقدون النيران العظيمة في بيوتهم ويكثرون من عبادة الله وحمده ويجمعون على الأكل والفرح . ولكن يظهر أن هذا اليوم لم يكن عيداً إلا في بعض ولايات إيران^(٣) .

وكان المهرجان عيداً كبيراً جداً ، هو عيد ميترا . يحتفل به يوم مهر (١٦ من شهر مهر) . وكان في الأزمنة القديمة يوم رأس السنة كما رأينا ، وقد احتفظ بكل تقاليد . وقد كان المهرجان ، كالنوروز ، احتفالاً بخلق الإنسان والأرض وغير ذلك من حوادث التاريخ الخرافي . ومن رسوم الأكرسة في هذا اليوم التتوج بالتاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها . ومنه جرى الرسم بأن يقف في صحن دار

(١) يحتفل اليوم بنوع خاص باليومين الأول والثالث عشر من النوروز ، وهذا اليوم هو آخر العيد .

(٢) البيروني ، ص ٢٢٠ ؛ الترجمة ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ ؛ الترجمة ، ص ٢٠٧ .

الملك رجل شجاع وقت إسفار الصبح ويقول بأعلى صوته : يا أيها الملائكة^(١) انزلوا إلى الدنيا وامنعوا الشياطين والأشرار وادفعوهم عن الدنيا . ومن طعم يوم المهرجان شيئاً من الرمان وشم ماء ورد دفع عنه آفات كثيرة^(٢) .

وفي أول آذار يحيون عيد بهارچشن « عيد الربيع » ولأن أول آذر وقع في عهد الأكاسرة (أي حين اختلفت التقاويم) فإن هذا اليوم صادف أول الربيع . وكان هذا العيد يسمى في العهود الإسلامية « بخروج الكوسج » فيركب كوسج بغلا ويطوف وقد أمسك بيده مروحة مظهراً سروره بأن البرد قد ولى وأن فصل الحر قد اقترب^(٣) .

وبعد انقضاء عدة أيام على بهارچشن كان يحتفل في يوم آذر (التاسع من شهر آذر) بالآذرچشن الثاني وفيه يحتاج إلى الاصطلاء بالنار لأنه آخر شهور الشتاء وكان بالبرد في آخر الفصل أكلب والقر حينئذ أغلب^(٤) .

أول داذ ، وهو يوم آخر من أيام السنة القديمة^(٥) ، كان عيد خرم روز (اليوم السعيد) . وكان الملك فيه ينزل عن السرير ويلبس الثياب البيض ويجلس على الفرش البيض في الصحراء ويرفض الحجة وهية الملك ويتفرغ للنظر في أمور الدنيا وأهلها ومن احتاج أن يكلمه في شيء دنا منه ربيعاً كان أو وضيعاً وخاطبه غير ممنوع من ذلك . ويجالس الدهاقين والمزارعين ويؤاكلهم ويشاربهم ويقول « أنا اليوم كواحد منكم وأنا أخوكم لأن قوام الدنيا بالعمارة التي تجري على أيديكم وقوام العمارة بالملك ولا استغناء بأحدهما عن الآخر^(٦) » .

(١) لعل أصل الصيغة الهلالية أن يكون يزدان (يازانا) أو أمر سسپندان (امشا سپنتا) .

(٢) البيروني ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ ؛ الترجمة ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٣) البيروني ، ص ٢٢٥ ؛ الترجمة ، ص ٢١١ ؛ وقارن المسعودي ، ص ٢٠٣ ، (٣) ، ص ٤١٣ وما بعدها حيث وصف العيد كما كان يحتفل به أيام المؤلف ، مع ما فيه من ألعاب .
(٤) البيروني ، ص ٢٢٥ ، الترجمة ، ص ٢١١ .

(٥) انظر ص ١٦٠ وما بعدها .

(٦) البيروني ، ص ٢٢٥ ، الترجمة ، ص ٢١١ — ٢١٢ .

وفي الرابع عشر من شهر داذ العيد المسمى « سير سور » أو عيد الثوم . وفيه يؤكل الثوم ويشرب الخمر ويطبخ النبات باللحوم التي يتحرز بها من الشيطان وبها يتداونون من العلل المنسوبة إلى أرواح السوء^(١) .

وفي الخامس عشر من داذ يحتفل بعيد آخر وفيه كان يتخذ شخص من طين أو عجين على هيئة إنسان ويوضع في مدخل الأبواب ولم يكن يستعمل ذلك في دور الملوك . وفي السادس عشر من داذ كانوا يحتفلون بعيد له اسمان مختلفان واسكن قراءتهما غير مؤكدة ولعل أولهما يتكون من اسم مركب فيه كلمة گاو بمعنى الثور . وأصل هذا العيد يتصل بخرافة الملك فريدون القديم . فقد ركب هذا الملك ثورا في الليلة التي ظهر فيها الثور الذي يجر عجلة القمر : « وهو ثور من ضوء قرناه من ذهب وقوائمه من فضة يظهر ساعة ثم يغيب والموفق لرؤيته بحجاب الدعوة في ساعة نظره إليه ، وفي هذه الليلة يرى على الجبل الأعظم زعموا خيال ثور أبيض يخور مرتين إن أخصب الزمان ومرة إن أجذب »^(٢) . ومن الطريف ذكر الثور الجرار لعربة القمر فقد وجد في متحف لنتجراد كأس ساساني من الفضة (كاس كليما) يظهر فيه ملك القمر (ماه) جالسا على عرشه داخل هلال يتكون منه الجزء الأعلى من عربته التي يجرها أربعة ثيران^(٣) (رسم ٨)

والعاشر من بهمن يوم مشهور بعيد ساذگ (ساذ بالفارسية) وهو أهم أعياد النار . وقد ذكره كثيراً الكتاب العرب والفرس^(٤) . ووصله بعضهم بتاريخ هوشنگ أول ملوك الأسرة الخرافية ، أسيرة الپيشداديين ، ووصله آخرون ببيوراسب الظالم أو الضحاك (ضحاك عند الفردوسي) ، وهو الرجل الذي نبت

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٢٦ ، الترجمة ص ٢١٢ .

(٢) نقص في النص (البيروني ، ص ٢٢٦ ، الترجمة ، ص ٢١٢ ، ٢١٣) وفي هذه الملاحظة الأخيرة نستطيع أن نرى أثرا من التقويم الذي يبدأ السنة بشهر داذ (انظر هنا ص ١٦٠ وما بعدها) .

(٣) هرتسفيلد ، *Jahrbuch der preussischen Kunstsammlungen* ، جزء ٤١ ، ص ٤ و ١٤٢ وما بعدها .

(٤) كريسستنسن ، *Le premier homme* ، (١) ، ص ١٦٤ وما بعدها .

على كتفيه شعبانان والذى عزله وقيده أفريدون . و يروى البيرونى^(١) أن الإيرانيين فى مساء عيد السدق يتبخرون لطرد السوء حتى صار فى كل رسوم الملوك فى ليلته إبقاء النيران وتأجيحها وإرسال الوحوش فيها وتطير الطيور فى لهاها والشرب والتلهى حولها .

واليوم الثلاثين من شهر بهمن عيد آبريزگان (آبريزان) — عيد السقى — وفيه يصب كل فرد الماء ، وهو عمل سحرى يقصد به جلب المطر . وقد روى البيرونى أصل هذا العيد ولم يرجعه إلى التاريخ الخرافى السابق على الدولة الأكمنية



٨ . كأس كليوا

(هرتسفيلد ، تقويم . ج ٤١)

ولكن يرجعه إلى العهد الساسانى ، ويقال إن هذا اليوم قد عيد احتفالا بنزول

(١) ص ٢٢٦ — ٢٢٧ ، الترجمة ، ص ٢١٣ — ٢١٤ .

المطر الذى هطل بعد جذب طال أوانه وذلك بعد أن حج الملك إلى بيت نار آذر خوره (آذر فربخ)^(١)

ويوم اسيندار مذ (الخامس من شهر اسيندار مذ) هو عيد النساء ، ويسمى «زديجيران» . وفيه يجود الرجال على النساء ، ويستقي فيه العوام زيبياً وحب رمان مدقوقين ويقولون إنه تريقا يدفع مضرة لدغ العقارب ويكسبون من لدن وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس رقية على أوراق مربعة ويلزقون في هذا اليوم ثلاثاً منها على الجدران الثلاثة من البيت ويتركون الجدار المقابل لصدر البيت تهرب منه الهوام^(٢) .

واليوم التاسع عشر من سيندار مذ عيد يسمى « نوروز الأنهار والمياه الجارية » وفيه يطرحون الطيب والماورد وغير ذلك في المياه الجارية^(٣) .

ويشير أجاثياس (٢ — ٢٤) إلى عيد ديني كان حسب قوله أعظم الأعياد عند الإيرانيين وهو يسميه « عيد إبادة الكائنات الشريرة » ففي هذا العيد يقتل عدد كبير من الزواحف والحشرات التي تعيش في الصحراوات ثم تقدم إلى المغان إثباتاً لتقوى القاتلين . وليس لدينا مصادر غير أجاثياس عن هذا العيد ولكننا نعلم أن الدين المزدى قد أوصى بإبادة الحيوانات الضارة التي خلقها أهرمين ، وأن قتل عدد معين من كل صنف منها كان مما يكلف به المؤمنون^(٤) .

وكانت قراءة الطالع من الأعمال التي يقوم بها المغان فكانوا يتحدثون عن الغيب وهم ينظرون إلى النار المقدسة^(٥) وكانوا يحضرون الطالع بما لهم من معرفة بعلم

(١) البيروني ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ، الترجمة ، ص ٢١٥ — ٢١٦ . ويقول الدمشقي (ترجمة هرن Mehren ص ٤٠٥) إنه السقي الذي يجري في النوروز وهو الذي يذكر بعده فيروز ، ولكن فيروز ، هنا ، قد ذكر بدلاً من ييم (وهي رواية أكثر قدماً عند البيروني) .

(٢) البيروني ، ص ٢٢٩ ، الترجمة ، ص ٢١٦ .

(٣) البيروني ، ص ٢٣٠ ، الترجمة ، ص ٢١٧ .

(٤) انظر ، مثلاً ، الونديداد ١٤ — ٥ : ٦ .

(٥) أجاثياس ٢ ، ٢٥ .

النجوم . ولكن مع ذلك كان هناك طريقة شعبية لمعرفة النجوم . فالبيروني^(١) يذكر قائمة بأسماء أيام السنة السعد منها والنحس ، كما أنه يبين أحكام الحية ورؤيتها في أيام من الشهر ، العلة والمرض ، موت أو ذهاب شيء من أهل البيت ، منفعة ومعونة من أهل البلد ، ذكر ومحمدة ، سفر فيه منفعة كثيرة ، دخول على السلطان ، تزويج ونكاح ، مال بلا تعب^(٢) . . . وكانت أيام قران النجوم أو تقابلها من أيام النحس . ويشير البلعمي^(٣) إلى كتاب فارسي اسمه « كتاب التفاؤلات » يشمل كل التفاؤلات التي ذكرت في حروب الإيرانيين ثم يذكر فقرة من هذا الكتاب^(٤) .

(١) ص ٢٣١ — ٢٣٢ ، الترجمة ، ص ٢١٨ .

(٢) تارن روزنبرج Notices de litterature persie (ليننجراد ١٩٠٩) ، ص ٤٩ ،

رقم ١٨ ، مرقومه « كتاب الثعابين » ، منظوم .

(٣) ترجمة زوتنبرج ، (٢) ، ص ٣٢٢ .

(٤) كتب اينسترنترف بحثا عن التفاؤل والتشاؤم عند الفرس أيام الساسانيين ، نقلا

عن المصادر العربية .

الفصل الرابع

النبي ماني ومذهبه

تولية سابور الأول . نقش التتويج . ماني ومذهبه . الجماعة والدرجات المانوية . التبشير بهذا الدين بعد موت نبيه . الفن المانوي

توفي مؤسس الأسرة الساسانية سنة ٢٤١ م^(١) . وصور نقش رجب الخاصة بتنصيب ولده سابور خلفاً له تمثل الملك وهو يتلقى الخاتم الملكي من يد الإله أوهرمزد . والمنظر محاكاة لصورة تنصيب أردشير في نقش رستم . فهنا يظهر الملك والإله على حصانين ، وهيئة الملكين واحدة في النقشين إلا أن الإله يقف شمالاً والملك يميناً في نقش سابور ، كما أن الأشخاص الجائئة على الأرض في نقش أردشير ليست في نقش سابور . ووجه الملك لم يبق من صورته الكثير ، وأما سائر التفاصيل فإنها من التلف بحيث لا تميز . وقد صور أوهرمزد وعلى رأسه التاج التقليدي ، وقد ظهر من فوقه الشعر المجمع متديلاً من قمة الرأس ، وكانت الأشرطة العريضة المتصلة بالتاج تخفق وراءه ، وأما رداءه فمزروع على الصدر تحت عقد من اللؤلؤ ، وأما سراويله فذات ثنايا رقيقة فوق الفخذ . وقد زينت رقبة الحصان وصدرة بسلسلة من الحلق المستدير ، وتظهر الكرة المفلطحة أمام رجليه الخلفيتين^(٢) .

ولم يرقم الاحتفال الرسمي بتتويج سابور إلا في سنة ٢٤٢ م^(٣) . وكانت أول خطبة لماني^(٤) ، حسب رواية ابن النديم ، في يوم تتويج سابور ، وذلك يوم الأحد أول

(١) وهو التاريخ المقبول بوجه عام . ويذكر هنريش شميدت (Syria ، ١٩٣٤ ، ص ٢٢) أن عهد أردشير الأول كان من ٢٢٦ حتى ٢٤٠ .

(٢) سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، ص ٩٧ ، اللوحة (١٣) .

(٣) جرى تقليد قديم بالاحتفال بتتويج الملك الجديد في أول عيد نوروز بلى ولايته

(انظر شميدر Gnomon (٩) ، ص ٣٥٠) .

(٤) أهم المصادر القديمة عن المانوية : الرسائل الجدلية التي ألفها كتاب النصراني وخاصة

تيتوس البستري وسانت أوجستين ؟ ثم ما جاء في Acta Archelai ؟ وفي الصيغ اليونانية =

نيسان ، حين كانت الشمس في برج الحمل . فإذا استطعنا تصديق هذه الرواية فإن

== واللاتينية الخاصة بالاستغفار والتي فرضت تلاوتها على المانويين المهتمدين ؛ ورسالة فلسفية أنلاطونية حديثة كتبها الكسندر ليكوبوليس ؛ ثم المواعظ السريانية التي كتبها سيفير الأنطاكي وعددها مائة وثلاث وثلاثون موعظة ؛ وكتاب "Livres des Sochies" للاستقف السرياني تيودور بركونائي . وهذا الكتاب الأخير والرواية المفصلة عن المانوية التي ذكرها المؤلف العربي ابن النديم في الفهرست كانتا زمنًا طويلًا المصدرين الأساسيين لمذهب ماني في خلق الدنيا . ثم إن بعض المصادر العربية الأخرى ، وخاصة الآثار الباقية للبيروني ، تمدنا بتفاصيل هامة في هذا الموضوع . وقد بدأ الباحثون عن تاريخ الديانة المسيحية دراسة المانوية ومنهم : دي بوسور : "Hist. critique de manichéisme et du manichéisme" ، (استردام ١٧٣٤ — ٣٩) ؛ بور : "Das manichäische Religionsystem" (١٨٣١) وأعيد طبعه في جوتنغ (١٩٢٨) . وقد نشر فلوجل رواية الفهرست مع ترجمة ألمانية وحواش مفصلة . وفي سنة ١٨٨٩ ألف كسلر رسالة عن ماني ولكنه لم يتهما . وفي سنة ١٩٠٨ نشر كيمو في "Recherches sur le manichéisme" بحثًا عن خلق الدنيا في مذهب ماني أساسه نذ من تيودور بركونائي كان قد نشرها يوليو قبل ذلك بعشر سنوات . وفي القرن العشرين كشفت البعثات العلمية الألمانية والإنجليزية والفرنسية وغيرها في التركستان الصينية عن عدد كبير من النصوص المانوية بالهلوية (بلهجات الشمال والجنوب الغربي) والصغدانية والأويغورية والصينية (انظر هنا ص ٣٢) . وقد نشر جزء كبير من هذه النصوص . وأهم ما نشر منها ما قام به مولر وزالمن ، ثم ما كتبه اندرياس وهنج ولوكوشتين (١٩١١) في JRAS (وشاوان وهليو (١٩١١ في JA) .

ونشر نصوصًا أصغر من هذه مولر وبانج وهليو . وفي سنة ١٩٢٦ نشر كل من والشميد ولتزر درجاسينيا بحوى أدعية مانوية ونصوصا هلوية وصغدية مع تعليقات تتناول دور المسيح في مذهب ماني ، كما نشرنا بحثًا آخر في سنة ١٩٣٣ عن العقائد المانوية في المتون الصينية والإيرانية . وبحث ريتزنشتين مواضيع مانوية في عدة كتب وقد أضاف إلى ترجمة أندرياس لبدا هلوية بلهجة الشمال لم تكن منشورة من قبل .

ونذكر من أبحاث السنوات الأخيرة عن المانوية ما كتبه الفريك عن المخطوط المانوية ؛ والمقالات العديدة لجاكسون في JRAS و JAOS وكتابه عن المانوية (نيويورك ١٩٣٢) حيث درس النصوص الأساسية وعلق عليها ؛ وتحقيقات كل من ريتزنشتين وشيدر ؛ ثم لأن شيدر نشر كتابًا في سنة ١٩٢٧ عن أصول المانوية ؛ وما كتبه ويسيدونك في AO المجلد السابع ص ١١٤ وما بعدها .

وأخيرًا فقد كشف في مصر في السنين الأخيرة كمية من ورق البردي تحتوي على نصوص من كتب مانوية وخاصة الجزء الأكبر من كتاب « كفلايا » مترجمة إلى اللغة القبطية ، وقد نشر جزء منها مع ترجمة ألمانية كل من شميدت وبلتسكي ، وهذه النصوص تحوى تفصيلات عن حياة ماني ومذهبه كانت مجهولة من قبل . وجزء من هذه النصوص ، وهو الذي عثر عليه شميدت ، موجود في برلين اليوم ، وقد اشترى جزء آخر شستريتي وهو في لندن . وقد ==

اليوم العشرين من شهر مارس سنة ٢٤٢ شهد حادثين تاريخيين . ولكن جاء في عبارة من كتاب كفلايا^(١) أن ماني نفسه يحدثنا بأنه منذ أيام أردشير قام برحلة في بلاد الهند ليدعو إلى مذهبه فيها ، وأنه قد عاد إلى إيران حين سمع بوفاة أردشير وتولية سابور ، وأنه قابل سابور في خوزستان^(٢) .

كان ماني إرانياً من أسرة عريقة . وتقول الروايات إن أمه كانت من العائلة المالكة الأشكانية وكانت لا تزال تحكم إيران حين ولد ماني ، وليس بعيداً أن يكون أبوه ، فانتك ، من الأصل نفسه^(٣) وقد هاجر فانتك هذا من بلده همدان (أكتان القديمة) إلى بابل حيث أقام في قرية في وسط ولاية ميسل^(٤) ، وهناك كان يحضر مجالس « المغتسلة » وهي إحدى الفرق التي وجدت في الأقاليم الواقعة بين الفرات ودجلة^(٥) . وفي هذه القرية ولد ماني سنة ٢١٥ أو ٢١٦ . وقد نشأ الطفل الصغير على مذهب المغتسلة . ولكنه تعمق بعد ذلك في درس أديان زمانه ،

== استطاع لمبشر أن يستخرج بهارة فائقة ستاوتسعين ورقة تكاد تكون تالفة من مجموعة شستريتي ، وهي تحوى مجموعة من المواعظ للتلاميذ ماني يرجع تاريخ أكثرها إلى القرن الثالث الميلادي . وقد نمرت هذه النصوص مع ترجمتها إلى اللغة الألمانية . ولهذه المواعظ قيمة تاريخية عظيمة فهي تحوى تفصيلات قيمة عن الحكم بقتل ماني وموته (ويبدو أنه لم يكن مستظلاً بحماية سابور الأول طوال عهده لحسب ولكن جاء هرمزد الأول أيضاً) ، وعن اضطهاد المانوية أيام بهرام الثاني ، وعن قتل سيس خليفة ماني ثم عن خلافة اينابوس له . ولم أستطع أن أفيد من أحدث هذه المنشورات إلا في اللحظة الأخيرة ، قبيل الأخذ في طبع هذا الكتاب .

(انظر تفصيل هذه المراجع في النسخة الفرنسية ص ١٧٥ ، ١٧٦) .

(١) شميدت — پلمسكى ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) قارن شيدر ، Gnomon (٩) ، ص ٣٤٩ وما بعدها . ويرى شيدر أن الهند كانت بلاد الهندوس وأن قندهار كانت تابعة للدولة الساسانية .

(٣) انظر شيدر ، Urform ، ص ٦٨ — ٦٩ ، ملحوظة ٤ .

(٤) شيدر ، حسن البصرى ، Der Islam ، (١٤) ، ص ٢٣ .

(٥) انظر هنا ص ٢٩ .

الزردشتية والمسيحية^(١) والمذاهب الجنستكية وخاصة مذهب ابن ديسان^(٢) ومريقون فترك مذهب المعتسلة . وكان يرى الوحي عدة مرات في صورة ملاك اسمه « القرن » فكان يكشف له عن الحقائق الإلهية . ثم بدأ يعلن دعوته .

وزعم ماني أنه « القار قليط » الذي بشر به عيسى عليه السلام^(٣) : « إن الحكمة والأعمال هي التي لم يزل رُسل الله تأتي بها في زمن دون زمن فكان يجيئهم في بعض القرون على يدي الرسول الذي هو « البد » إلى بلاد الهند وفي بعضها على يدي « زردشت » إلى أرض فارس وفي بعضها على يدي « عيسى » إلى أرض المغرب ثم نزل هذا الوحي وجاءت هذه النبوة في هذا القرن الأخير على يدي « أنا » ماني « رسول إله الحق إلى أرض بابل »^(٤) وقال ماني في أغنية يهلوية سائدة في شمالي إيران : « إني جئت من بلاد بابل لأبلغ دعوتي للناس كافة »^(٥) . وماني كهاء الله في القرن التاسع عشر ، ادعى أنه أتى لتكميل كلام الله وأنه خاتم الأنبياء . ويرى ماني^(٦) أنه كان في مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة . وأن

(١) ظهرت الترجمة السريانية للعهد الجديد حوالى سنة ٢٠٠ . رسالة رالفس في Waldschmidt-Lenz ، ص ٣٤ .

(٢) انظر أبحاث ويسندونك عن أثر ابن ديسان في مذهب ماني (A. O. ، (١٠) ، ص ٣٣٧ وما بعدها) ، وشيدر (Zeitschr. für Kirchengeschichte ، ١٩٣٢ ، ص ٢١ وما بعدها) .

(٣) الفهرست ، فلوجل ، ماني ، ص ٥١ و ٨٥ . وفي السكفلايا (Schmidt-Polotsky ص ٥٣) سمي هذا الملاك « بالقار قليط الحى » ، قارن شيدر ، Gnomon (٩) ، ص ٣٥١ — ٣٥٢ .

(٤) كلمة من مقدمة كتاب ماني المسمى « شاپورغان » ، ذكرها البيروني (الآثار الباقية ، ص ٢٠٧ ، الترجمة ص ١٩٠) . قارن شميدت — پلتسكي ، ص ٤١ وما بعدها و ٥٤ وما بعدها ؛ هننج ، Henochbuch ، ص ٢٧ وما بعدها ؛ شيدر Gnomon ، (٩) ص ٣٥٤ وما بعدها .

(٥) القطعة M. ، ٤ (a) .

(٦) انظر بنوع خاص كيمو ، Recherches ؛ فلوجل ، ماني ؛ اندرياس — هننج ، Mitteliranische Manichaica (١) ، (نص النبذة (٣) ، ٢٦٠) و (٣) ؛ هننج ، Ein Mani- «Ein manichaischer Kosmogonischer Hymnus» ؛ شميدت — پلتسكي ، Fund ، ص ٦٢ وما بعدها .

« الأول » هو « العظيم الأول » أو الإله « سروشاو » ويشار إليه أحياناً باسم زروان^(١)، وهو يتجلى في خمسة أشياء هي بمنزلة الوسائط بين الخالق والخلق وبمباشرة أقانيم الأب الخمسة^(٢) : الحلم والعلم والعقل والغيب والفتنة . وفي رواية شائعة في بلاد ما بين النهرين^(٣) أن العناصر الشريفة الخمسة قد كوَّنت العوالم الخمسة لإله الظلمات وهي : الضباب والحريق والسموم والسم والظلمة . وقد اتفق ماى مع زردشت في أن عالمي النور والظلمة لامتناهيان من جوانب ثلاثة وأنهما يتلاقيان في الجانب الرابع . ولكن إله الظلمات هاجم النور بكل قواه حين رآه . فنظم « العظيم الأول » إذا دفاعه عن مملكته وذلك بخلقه أول المخلوقات . فدعا « أم الحياة » أو « والدة الأحياء » التي تسمى أحياناً « رام راتخ » ودعت هي بعد ذلك « الرجل القديم » الذي يشار إليه أحياناً باسم أوهرمز^(٤) . « والعظيم الأول » « وأم الأحياء » « والرجل القديم » يكونون التثليث الأول (الأب والأم والولد)^(٥) . وبعد هذا ولد الرجل القديم خمسة أبناء هم : النسيم والريح والنور والماء والنار ؛ وقد مُجسِّدوا تحت اسم المهر سبندات الخمسة (جمع مهر سبند)^(٦) وحينما أحاط « الرجل القديم » نفسه بالعناصر الخمسة كأنها جنة له ، نزل ليقا تل إله الظلمات الذي تسلح بعناصره الخمسة . وقد وجد « الرجل القديم » أن عدوه أشد منه قوة فتركه يزدر عناصره النيرة « كرجل له عدو فقدم له قطعة من الحلوى مغموسة في السم الزعاف »^(٧)

(١) فارن هنا ، ١٣٩ .

(٢) كيـمو ، ص ١٠ ، Die Setellung Jesu : Waldschmidt-Lentz ، ص ٤٢ .

(٣) كيـمو ، ص ١٢ .

(٤) عن « الرجل القديم » في المذاهب الجنوستيكية ص ٢٨ من هنا . وتسمية زروان بالعظيم الأول وأوهرمز بالرجل القديم بين أن الماتوية كما عرفها ماى كانت مشبعة بأراء زروانية ؛ انظر شيدر ، Urform ، ص ١٤٤ . وانظر أيضاً هنتج ، Geburt ، ص ٣١٠ .

(٥) اندرياس — هنتج ، (٢) ، ص ٣٢٤ ، ملحوظة ٧ .

(٦) أمهر سبندات ، انظر هنا ص ٢٠ و ١٣٣ ، للمحوظة ٦ . اندرياس — هنتج ،

(٢) ، ص ٣٢٢ ؛ Dogmatik ، Waldschmidt- Lentz ، ص ٥٦٨ .

(٧) تيودور بركونائى ، كيـمو ، ص ١٨ . بحث عن مردك وتيامت ؛ فارن هنا ص

٨٣ ؛ هنتج ، Gebart ، ص ٣٠٧ .

وقد اختلطت العناصر الخمسة النورانية بعناصر الظلمات الخمسة وتنتج عن ذلك عناصرنا الخمسة التي لها صفتا الطيبة والخبث . ولكن «الرجل القديم» ، بعدهذا ، كان متأثراً ضيق الصدر ، فطلب الغوث من «العظيم الأول» سبع مرات^(١) . فلما رأى عينه هذا رأى أن يأتي بخلق جديد ألا وهو : «صاحب الأنوار» أو «نرسف»^(٢) الذي دعا كذلك «ألبان الأعظم» وهو دعا «روح الحياة» (دميورجس عند مانوية الغرب) ويشار إليه في نصوص من لهجة الجنوب الغربي باسم مهرزرد (الإله ميترا) . هذا هو التثليث الثاني . وقد نسل «روح الحياة» خمسة أبناء : «زينة المجد» ، «ملك الشرف» «آدم النوراني» ، «ملك الافتخار» ، «والحامل» . وهبط «روح الحياة» مصحوباً بأبنائه الخمسة إلى مملكة الظلمات فدعا «الرجل القديم» بصوت عالٍ كالنصل البتار ، ثم خالصه^(٣) . ثم إن «روح الحياة» مستعيناً بأبنائه قتل ثم سلخ أراكين مملكة الظلمات . ومن جلودهم خلقت «أم الحياة» السماء . ولكن أجسادهم ألقيت إلى أرض الظلمات حيث تكونت الأرض من اللحم ، والجبال من عظمهم . وهى رواية جديدة لقصة دينية عن خلق الدنيا توجد منها آثار في القصص الزردشتية^(٤) . والدنيا التي خلقت من أجسام الشياطين النجسة تتكون من عشر سماوات لكل منها اثنا عشر باباً ومن ثمان أرضين^(٥) . وقد رفعت «زينة المجد»^(٦)

(١) في لهجة الشمال : نرسنخ عند الصغد . وهو نيروسنجا الأوستا ؟ قارن من ١٤٥ ملحوظة ٤ .

(٢) انظر جاكسون The Second Excavation in the Manichaean System of Cosmogony. Researches in Manichaeism من ٢٧١ وما بعدها . JRAS ، ١٩٢٤ ، من ١٣٧ وما بعدها .

(٣) إن «صبيحة» روح الحياة وإجابة الرجل القديم قد جسيما كإلهين : خروشتشك وپند و آخشتك ، انظر شيدر ، Studien z. antiken Synkretismus ، من ٢٦٣ وما بعدها ، شميدت — پلنسكى ، من ٧٦ وما بعدها ، والدشميدت — Dogmatik ، من ٥٧٥ ، ٦٠٦ .

(٤) انظر كريستنسن ، Le premier homme ، (١) ، من ٣٤ وما بعدها .
(٥) أربع أرضين في نص من نبذة بلهجة الجنوب الغربي ، اندرياس — هنتيج (١) ، من ١٧٧ .

(٦) العظمة عند مانوية الغرب تساوى زينة المجد ؟

السما ، وأما « الحامل » فإنه — كأطلس الخرافة القديمة — قد حمل الأرض على كتفيه . وأما « ملك الشرف » فقد جلس في الوسط ملقياً أوامره على الآلهة الحراس الآخرين .

ثم إن « روح الحياة » وجد صورته في أبناء الظلمات فأثار الشهوة الجنسية فيهم^(١) بحيث إنهم تركوا جزءاً من النور الذي اختلط بهم يسقط . ومن ذرات هذا الجزء من النور خلق الشمس والقمر والنجوم ومن بعدها خلق الأفلاك الثلاثة وهى الهواء والماء والنار التى رفعها « ملك الفخار » فوق الأرض وذلك حتى تمنع سم الأرض من أن يصل إلى مساكن الآلهة .

ولسكى طريقة الحماية خلق « العظيم الأول » خلقاً جديداً ، « البشر » أو « الرسول الثالث » الملقب « بإله عالم النور » (روشن شهر يزد) أو « نريسه »^(٢) فى لهجة أهل الشمال أو الإله ميترا فى اللغة السغدية (مهر يزد ، ميشى بها گه)^(٣) . وبهذا « البشر » اكتملت سلسلة الآلهة السباعية . ومن الممكن مقارنة هذه السلسلة بالمجموعة الزردية التى تتكون من السبعة أمشا سبندات ؛ ومن ناحية أخرى كان الاعتقاد فى سلسلة تحتوى على ثلاثين وإله واحد معروفاً عند السكندانيين أيام مانى^(٤) . وقد نسل « البشر » اثنتى عشرة عن ذرا ، نورانيات^(٥) هى : السلطة والحكمة والنصرة والاعتقاد والطهارة والحقيقة والإيمان والصبر والصدق والإحسان والعدل ثم النور ، وأما « البشر » نفسه فكان إلى درجة ما فى مرتبة البتول الأولى النورانية^(٦) . وقد اتخذ مقامه فى

(١) قارن القصة المزدية ، ١٤٥ — ١٤٦ من هنا .

(٢) نريش هو الصيغة الجنوبية الغربية الإيرانية للاسم الأوستى نيريوسنجا . قارن

ص ١٧٤ ملاحظة ١ .

(٣) رأينا فى لهجة الجنوب الغربى أن الإله ميترا هو روح الحياة .

(٤) كيمو ، ص ٣٤ .

(٥) قارن البروج الإثنى عشرى ؛ كيمو ، ص ٣٦ .

(٦) نرى من بعض النبد المستورة بلهجة الشمال وباللهجة السغدية أن « الخلق الثالث » قد تطور بعد ذلك ، كسابقه ، إلى ثلاث : المسيح والعذراء النورانية « ومنوه ميذبرك » (شيدر Studien ، ص ٢٤٣ وما بعدها ؛ منوه ميذ : العقل) . وفى لهجة الجنوب الغربى يسمى الشخص الثالث من هذا الثلاثي بهم (اندرياس — هنج ، (٢) ، ص ٣٢٨ ، ملاحظة ١ ، ٢) ؛ وهو ما يسمى وهُوهَـنَّه فى كانتات الأوستا .

الشمس^(١)، ومن هنا سير السفينتين ، أى الشمس والقمر . وكانت النجوم والشمس والقمر . والبروج تكون نوعاً من الآلهة عملها أن تخلص ذرات النور من اختلاطها بمخلوقات الظلام ثم تنقلها إلى سماء النور . وبأمر « للبشر » سيرت العجلات الثلاث وشيد « البان الكبير » أرضاً جديدة وسجناً للشياطين . وهكذا بدأت الحركة المنظمة للعالم كله . وحينئذ أعاد « البشر » التجربة التى قام بها من قبل « روح الحياة »^(٢) .

فقد اطلع على جمال صورهِ فى الأراكنة المقيدىن بالسلاسل على السماء ، وذلك بأن طلع على الذكور من الأراكنة فى صورة امرأة فاتنة ، وعلى الإناث منهم فى صورة شاب جميل . فالأراكنة ، وقد أخذتهم الشهوة ، أسقطوا عنهم بعض الدرات النورانية ولكنهم نفضوا عنهم فى الوقت نفسه « الإثم » فسقط على الأرض . ومن نصف هذه المادة الظلمانية الذى سقط على الجزء المائى (البحر) ولدتين ، وقد غلبه آدم النورانى وهزمه ، ومن النصف الآخر الذى وقع على الجزء اليابس (الأرض) نبتت خمس شجرات هى أصل النبات كله . وكانت الإناث من الأراكنة حاملات بطبيعتهن من قبل . فلما رأين جمال « البشر » سقط من أجنهن على الأرض مَزَن^(٣) وآسر يشتار^(٤) فولد منهما حيوانات الأرض والبحر والهواء . وهكذا نشأت الحيوانات ، كالنباتات ، من الشياطين النجسة^(٥) .

وأخيراً فإن الحرص (آز) زوج (آسريشتار) و (مزن) وبلع أولادها ،

(١) الإله ميترا ، إله الشمس ؟ انظر والد شميدت — Dogmatik ، ص ٥٣٩ وما بعدها .

(٢) انظر كيمو ، ص ٥٤ وما بعدها .

(٣) قارن « دايو امازاني » الأوستا وشياطين مازندران فى القصص الأحدث (الفردوسى وغيره) .

(٤) مازان وآسريشتار ، انظر اندرياس — هنتج (١) ، ص ١٨٢ وما بعدها .

(٥) فى رواية النبذة T (٣) ٢٦٠ التى نشرها اندرياس — هنتج ، كان خلق النبات والحيوان سابقاً على خلق الدنيا الجديدة . قارن هنتج Ein man. Kosm. Hymnus ، ص ٢١٧ وما بعدها .

وبعد ذلك ولد لعفريتين أحدهما ذكر والثاني أنثى^(١) اسمهما اشقلون وغرائيل وله اسمه كيمرد^(٢) ثم بنت اسمها (مرديانك)^(٣) وذلك في الرواية السريانية . وفي هذا الزوج الشيطاني الأصل ، هذا الزوج الذي يسمى آدم وحواء ، أبو وأم الآدميين ، وخاصة في كيمرد — آدم ، تركزت آخر ذرات النور التي كان الشياطين يحتفظون بها : كانت الروح الإلهية سجينة اللحم النجس^(٤) . ثم أرسل عيسى النوراني ، عالم العقل — خرد شهر — الذي لم يخلقه (العظيم الأول) ولكن خلقه آلهة من المقام الثاني (المبشر وأم الحياة والإنسان القديم وروح الحياة) إلى كيمرد — آدم ليوقظه من السبات الذي كان يغط فيه وليوضح له طبيعته وحالته وأحوال العالم^(٥) . يقول كيمو^(٦) : ويرى المانوية ، بتشبيه جرى ، في عذاب عيسى آلام الجوهر الإلهي الذي انتشر في الطبيعة كلها وأن (من يولد يقاسى ويموت كل يوم) . ايشوديوس ، (De fide ، ٣٤) ، والذي إن سرى في الأشجار فهو معلق وكأنه مصلوب في الغابات كلها (August, contr. Faust.) (٢٠) ، ٢) وإن سرى في الفواكه والخضراوات فهو يقدم على الموائد (نفس المصدر (٢٠) — ١٣) ويستهلك في المواد . هذا هو من يسمونه «المسيح المعذب» . ويصيح آدم في ضيق : «ويح لخالق جسدي ، ويح لمن قيد روحي ، ويح للعصاة الذين أذلوني»^(٧) . ونجا آدم ودخل الجنة^(٨) .

وقد رجعنا لبيان هذا الملخص في خلق العالم عند ما نرى إلى المصادر السريانية والعربية ثم أكلناه بالنصوص الهلوية التي عثر عليها في تورفان . وقد ذكر كتاب

(١) اندرياس — هننج ، (١) . ص ١٩٥ .

(٢) كيموهرد في خلق العالم عند المزدئين ، انظر ص ١٣٧ .

(٣) صيغة أخرى لكلمة مشيانك عند الزردشتيين ، انظر هنا ص ١٣٧ .

(٤) كيمو ، ص ٤٦ .

(٥) حل أوهرمزد ، الرجل القديم مكان المسيح في هذا الدور ، في نبذة (S ، ٩) ،

(انظر هننج Ein manich. Kosmog-Hymnus ، ص ٢٢٢) .

(٦) ص ٤٨ .

(٧) Théodore ، كيمو ، ص ٤٩ .

(٨) هننج ، (١) ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .

كفلايا^(١) فهرستا كاملا للآلهة يحوى خمسة آباء موزعين على خمسة أجيال ، فى كل جيل ثلاثة أشخاص . وها هى شجرة النسب نقلا عن كفلاية^(٢) :

| العظيم الأول (أبو العظمة) | | |
|-----------------------------|------------------|----------------------|
| أم الحياة | عاشق الأنوار (٢) | البشير الثالث |
| عمود العظمة | عيسى النوراني | البتول النورانية |
| النفس النورانية (٤) (٣) | القاضى الأعظم | [.] |
| خليفة النور | الرفيق المصاحب | (٥) الصورة النورانية |
| ١ — ملك | ٢ — ملك | ٣ — ملك |

وفى نهاية عمر الدنيا تصل المخلوقات الإلهية من الجهات الأصلية الأربع وينظرون إلى الجنة الجديدة مع إلقاء نظرة فى الوقت نفسه على هوة جهنم . ثم يأتى السعداء من جنتهم للوقت^(٤) . ويضع الملكان اللذان يحملان السماء والأرض أحمالهما فتقع ، وينقض كل شيء وتشتعل النيران من وسط هذا الاضطراب وتمتد فتحرق العالم كله وفى هذا الحريق الشامل الذى يدوم ثمان وستين وأربعمائة وألف سنة^(٥) (١٤٦٨) تخلص كل الذرات النورانية التى يمكن خروجها من الأجساد المظلمة ، ويبقى جزء

(١) شميدت پلنسى ، ص ٦٢ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع ، ص ٧٣ .

(٣) منوه ميذ ، شيدر ، Onomon (٩) ، ص ٣٥٦ وما بعدها .

(٤) بعد الموت يدخل « الصديقون » الجنة ، ولكن المؤمنين الذين هم أقل درجة والذين لم يخلصوا أنفسهم من المادة ، يحبون من جديد فى الدنيا فى حالات متفاوتة حسب سلوكهم ، أما المجرمون فيذهبون إلى جهنم .

(٥) وقد حاولوا شرح هذا العدد من السنين بطرق مختلفة ، وهو من غير شك نتيجة لمشاهدات فلكية أو نجومية . انظر شارل أجدن فى Modi Vol ، ص ١٠٢ وما بعدها .

صغير منها في الظلمات أمداً ولكن هذا لا يؤلم الآلهة فإن الحزن لا يناسب طبيعتهم التي لا تعرف غير المرح والابتهاج^(١). ويقام جدار لا يعبر بين العالمين ، وتسعد مملكة النور بسلام أبدي^(٢). ولا يستطيع الباحث أن يفهل الأصل الجنوستيكي لخلق الدنيا والمعاد عند ماني . وقد وجد شيدر^(٣) في ملخص عقائد ماني الذي ذكره السكندر الليكوبوليسي في صورة فلسفية (يَحتمل أن يكون حوالي سنة ٣٠٠) أساس الفلسفة الهلينية التي بنى عليها ماني ، تلميذ ابن ديسان ، نظريته^(٤). فالفكرة المجردة التي تخفى تحت هذا التصوير الخرافي هي أن الأصلين القديمين هما الله والهيولي ، « الحركة المضطربة » .

الله هو المبدأ الطيب والهيولي هي المبدأ الخبيث . ويتدخل الله لينظم الحركة ، وإذا يبدأ بإرسال قوة ، هي النفس التي تختلط بالهيولي ثم يرسل قوة أخرى هي العقل فيبدأ حركة التخليص . فالنفس التي تنبعث من الله ، والتي قد وقعت تحت سلطان المادة باتحادها مع الجسد والتي فقدت الإحساس بأصلها وبمصيورها ، يوقظها ويخلصها روح من عند الله . والإنسان مكون من النفس التي ترجع كلياً إلى العالم العلوي ، ومن الجسد الذي يتبع تبعية كاملة العالم السفلي ، ومن بينهما الروح التي تتبع من غير شك العالم العلوي ، ولكنها لا امتزاجها بالجسد ، قد تعلقت بالعالم السفلي وهذا التنظيم في عالم الإنسان له نظيره في العالم الدنيوي الذي هو خليط من الحياة الإلهية المشيرة ومن مادة مظلمة وهو كالإنسان في حاجة إلى التخليص^(٥). ونظرية المانوية في خلق الدنيا تعطى الأخلاق أساساً عقلياً وإلهياً ، « فالعامل الخلق يصبح على هذا صورة

(١) نبذ بلهجة الشمال ، ترجمها اندرياس في Das mandaische. Buch des Herrn der Grösse ، ص ٢٧ .

(٢) الفهرست ، فلوجل ، ماني . ص ٧١ و ١٠١ ؛ الشهرستاني ، نشر كيرتون ، ص ١٩١ — ١٩٢ ، ترجمة هاربروش ، ص ٢٨٩ — ٢٩٠ ، وفقاً لما جاء في كتاب الشاپورغارن الذي وجدت بعض نبذ منه (مولر ، Handschriftenreste ، (٢) ، ص ١٩ وما بعدها) .

(٣) Urform ، ص ١٠٦ وما بعدها .

(٤) فارن بحث شيدر في Z. K ، ٥١ (١٩٣٢) ص ٢١ — ٧٤ .

(٥) Urform ، ص ١١٠ .

التطور الدينى مصغراً ، والعكس بالعكس»^(١) . ونرى فى قول الكسندر الكوبوليسى خلق العالم حسب رأى المانوية كما عرضوه إلى النفوس المتعطشة إلى الفلسفة الهلينية. ولدينا اليوم فى الكتب القبطية مصدر مباشر لمعرفة المانوية الغربية .
والذى يصعب تأويل المصادر فيما يتعلق بمذهب مانى هو أن هذه المصادر تمثل المراحل المختلفة لتطور النظرية والبيئات المتفاوتة ، وقد كان للدعوة المانوية لون خاص فى كل بيئة دينية ، وقد أراد مانى أن ينشر ديناً عالمياً ، وقد طابق بين مذهبه ، بمهارة ، وبين الآراء والمصطلحات الدينية عند مختلف الأمم^(٢) . وكانت اللغة السريانية لغته الأصلية بغير شك ولكنه كتب رسائل باللغات الإيرانية . ككتابه «شاپور غان» ، الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، وكتب أخرى كتبت باللهجة الجنوبية الغربية ، الهلوية الساسانية . وله أدعية باللهجة الشمالية ، الهلوية الأشكانية . ولكى يكون مانى وخلفاؤه قريبين من فهم سامعيهم الإيرانيين ، استعاروا ، كما رأينا ، أسماء آلهة من الديانة المزدية^(٣) ، كما ذكروا أبطال إيران كأفريدون مثلاً فى قصصهم الدينى . وذكرت بعض الآراء المانوية على لسان زردشت^(٤) . وهناك أسماء ملائكة أخذت من البيئة السريانية مثل جبريل ورفائيل وميكائيل وإسراييل وبرسيموس وغيرها . ولعل يعقوب ، الذى يذكر مع هؤلاء ، هو نبي العهد القديم^(٥) ، وهو يماثل نريمن (الأوستا نيرم انه) الذى هو لقب للبطل الخرافى الإيرانى كرشاسپا^(٦) .

(١) المرجع نفسه ، ص ١١٤ ؛ شميدت — پلنسى ، ص ١٣ وما بعدها ؛ شيدر ، Gnomon (٩) ، ص ٣٥٩ وما بعدها .

(٢) شميدت — پلنسى ، ص ٥٩ وما بعدها .

(٣) الظاهر أن مانى نفسه فى تقديره للزردشتية قد تعلق بمذهب الغرب ، انظر شيدر ، Gnomon (٩) ، ص ٣٥٤ ؛ هنج ، Henochbuch ، ص ٢٧ وما بعدها .

(٤) «أغنية زردشت» فى لهجة الشمال ، ترجمة أندرياس فى Reitzenstein ، "Die hellenistischen Mysterienreligionen" ، ص ١٢٦ وما بعدها ؛ أندرياس — هنج (٣) ص ٨٧٢ .

(٥) انظر پيترسون فى "Theologische Literaturzeitung" ، ٢٦ مايو ١٩٢٨ ، ص ٢٤٢ .

(٦) قارن كريستنسن ، Les Kayanides ، ص ٩٩ وما بعدها .

وهناك اختلافات كثيرة في الأسماء الأسطورية في رسائل المانوية التي كتبت باللهجات الجنوية الغربية والشمالية والصغدية^(١).

وقد أثرت الآراء المسيحية تأثيراً عظيماً في مذهب ماني . « فالعظيم الأول » و « الرجل القديم » ، و « أم الحياة » ، التثليث المانوي الأول ، كانوا يقدمون كالأب والابن وروح القدس^(٢) . وفي النصوص التي حفظت عن المانوية عبارات مأخوذة عن الأناجيل المسيحية ، وليس في المذهب المانوي مراكز رئيسي ، ولكن معرفتنا به لا تكفي لتحديد هذا المركز . ومهما يكن فإن عيسى المانوية غير عيسى الذي صلبه اليهود . فعذاب عيسى ، ولم يكن إلا في الظاهر ، كان عند ماني رمزاً لاستعباد روح النور في العالم السفلي^(٣) . وعيسى الحقيقي عند ماني هو الإله الذي أرسل من عالم النور ليرشد آدم ويأمره الطريق المستقيم . فعيسى هو رائد الأرواح نحو عالم النور^(٤) . وقد نسب ماني إلى عيسى آراء في التخليص أبعد قدماً كما أبان ذلك بوسيه عند جماعة جنوستيكيين آخرين ولم يكن ذلك بإضافة سطحية مصطنعة ولكن كان ذلك بتأويل رسالة التخليص المسيحي وفقاً لمذهبه^(٥).

والظاهر أن ماني قد أخذ نظريته في التناسخ عن المذاهب الهندية ، ومن المحتمل أن يكون عن البوذية^(٦) وقد اختلف العلماء في مكانة هذه الفكرة من المذهب

(١) انظر هنتنج ، OLZ ، ١٩٣٤ ، ص ٥ وما بعدها .

(٢) لا أبداً هنا مسألة العلاقة بين التثليث المسيحي والآراء السامية التي تقول بإله والد وإلهة أم وإله ولد وهي المسألة التي ناقشها ديبلتف نيلسن ، (Der dreieinige Gott in religionshistorischer Beleuchtung) ، كوبنهاجن ١٩٢٢ .

(٣) والشميدت — لنتر ، Die Stellung Jesu ، ص ٢٤ وما بعدها .

(٤) المرجع نفسه ، ٦١ وما بعدها .

(٥) والشميدت — لنتر ، Die Stellung Jesu ، ص ٧٧ . أما عن دور المسيح في المانوية فقامر شيدر ، Urform ، ص ١٥٠ وما بعدها ، أندرياس — هنتنج ، (٢) ، ص ٣١٢ وما بعدها .

(٦) والشميدت — لنتر ، Die Stellung Jesu ، ص ١٠ ، جاكسون Jackson ، JAOS ، مجلد ٤٥ ، ص ٢٤٦ وما بعدها ؛ ويستونك AO ؟ (٨) ، ص ١٧٨ ؛ أندرياس — هنتنج ، (٢) ، ص ٣١٠ .

المانوى ، ويلخص جاكسون وهو يبحث عن الموضوع بتوسع ، ملاحظاته على النحو الآتى : « إننا على حق إذا اعتقدنا أن مانى قد اتخذ من هذا المذهب — التناسخ — مبدأ خاصاً فى تعاليمه الدينية ، ذلك أنه كان يقول إن العقاب ، فى صورة مامن صور البعث ، سيكون مآل السماعين الأقل إيماناً والمذنبين ، واستثنى من ذلك الصديقين » .

وبرى ويسندونك أن الشخص نفسه لا يقع عليه التناسخ إنما يكون هذا على الأجزاء النورانية فيه فهى التى تبعث ثم تبعث إلى أن تفى فى مملكة النور . وكذلك تمثى المذهب المانوى حين دعى إليه بعد ذلك فى آسيا الوسطى مع البوذية التى كانت منتشرة هناك . ولدينا نص صينى لرسالة مانوية^(١) أسلوها بوذى محض .

وتتدرج الجماعة المانوية فى نظام من خمس طبقات تمثل المساكن الخمسة « للعظيم الأول » . إننا عشر من المعلمين أصحاب الحلم (فريشتگان) يكونون الطبقة الأولى ، واثنا وسبعون من المشمسين أبناء العلم (آپسیسگان) يكونون الطبقة الثانية . وتتكون الطبقة الثالثة من ستين وثلاثمائة من القسيسين أبناء العقل (مهیشتگان) . وعدد الأشخاص فى الطبقتين الأخيرتين وهما طبقة « الصديقين أبناء الغيب » (ویزیدگان) والسماعين أبناء الفطنة (نیوشگان) لم يكن محدد^(٢) . ويشار غالباً فى النصوص إلى هاتين الطبقتين . والسماعون هم سواد الناس : وهم المؤمنون الذين لا قوة لهم على تحمل النظام الدقيق الذى يتبعه الصديقون . وأما الأخلاق المانوية فقد وسعها سلسلة من القواعد ، وخاصة الخواص السبعة ، التى منها أربعة روحانية تتعلق بالعقائد ، وثلاثة تبحث فى سلوك المؤمنين ، وهذه

(١) ششان ولبو ، J.A ، ١٩١١ ، ص ٤٩٩ — ٦١٧ .

(٢) لأن طريقة الدرجات الخمس مختلفة ، وهناك بعض اختلافات فى أوصاف تدرج النظام المانوى ؛ انظر شيدر ، Iranica ، (Abb. d. Ges. d. wiss. zu. Gottingen) ، ١٩٣٤ ، ص ١٢ وما بعدها ، وقارن والدشيدت — لنتر ، Dogmatik ، ص ٥١٩ وما بعدها ، ٥٩٢ وما بعدها ، أندرياس — هنتج ، (٢) ، ٣٢٣ وما بعدها . وانظر ، عن بعض ألقاب كبار المذهب المانوى ، جوتيو ، J.A ، ١٩١١ ، (٢) ، ص ٥٩ وما بعدها ، وبنقست ، Etudes d'orientalisme ، نشر متحف جييميه لذكرى ريموند لينوسي ، (٥) ، ١٩٣٢ ، ص ١٥٥ وما بعدها .

الثلاثة هي : خاتم النعم (الكف عن الكلام المؤدى إلى الكفر أو الخبث) ،
وخاتم اليد (الاحتراز من كل فعل أو تصرف يغضب النور) ، وخاتم القلب (تجنب
الاستسلام للشهوات الجنسية المحرمة)^(١) . وكانت هذه الأختام المتعلقة بالحكمة
العملية ذات محمل مختلف بالنسبة « للصديقين » « والسامعين » . الصديقون حرم
عليهم مباشرة المهن التى تغضب العناصر ، والسعى وراء الثراء أو البذخ ، وحرم عليهم
أكل لحم الحيوان ، وطبخ الخضر لأن فيه إغضاباً لدرات النور التى فيها ، وكذلك
حرم عليهم شرب الخمر ، وعليهم ألا يملكوا سوى غذاء يوم واحد ، وكساء سنة
واحدة ، وأن يعيشوا بلا زواج^(٢) وأن يطوفوا بلاد العالم يبشرون بالدين وينصحون
الناس بالاستقامة .

أما السامعون فكانت التكاليف عليهم أيسر : فلهم أن يُعِنُوا بأعمالهم ويمارسوا
مهنهم ولهم أن يأكلوا لحم الحيوان ، على أن يذبحوه بأيديهم ، ولهم أن يتزوجوا ،
ولسكن عليهم أن يسيروا سيراً مستقيماً ، وأن يجتهدوا فى ألا يتعلقوا بأمور الدنيا .
وعليهم أن يوفروا الغذاء « للصديقين » بتقديم الهبات لهم ، وأن يطبخوا الخضر
التي يتغذى منها هؤلاء ، وأن يقدموها إليهم راكعين ، ثم إن الصديقين يكفرون
عنهم بصلاتهم ما ارتكبوه من وزر فى طبخ النبات^(٣) .

وكان على المؤمنين عامة أداء العشر والمحافظة على الصيام والصلاة . وكانوا
يصومون سبعة أيام كل شهر ، ويصلون أربع مرات فى اليوم ، على أن يتطهروا قبل

(١) عن الأختام السبعة ، انظر جاكسون ، JAOS ، المجلد ٤١ ، ص ٦٨ وما بعدها ،
Researches in Manichéism ، ص ٣٣١ وما بعدها . خمس فضائل أساسية ، انظر
والدشيمدت — لنتر Dogmatik ، ص ٥٧٤ ؛ خمسة أصول أخلاقية ، المرجع نفسه ص ٥٧٩
و ٥٨٨ وما بعدها .

(٢) فى خطاب (أندرياس — هنتج ، (٣) ، ص ٣٥٧ وما بعدها ، T (٢)
D (٢) ١٣٤ ، ١٩٣ — ٢٠٠) قد يكون كاتبه سيس ، خليفة مانى (كما يقول هنتج)
تناول الكاتب مسألة ابني مانى ، الابن الذى كان يؤثره ، والابن الذى كان يقصده والذى كان
من الصديقين فيما يظهر . فهل استعملت كلمة ابن هنا مجازاً ؟

(٣) قارن أندرياس — هنتج ، (٢) ، ص ٢٩٦ وما بعدها .

الصلاة بالماء الجارى أو ، فى حالة الضرورة ، بالرمل ، أو بما يماثله ، وأن يسجدوا اثنتى عشرة مرة فى كل صلاة . وكان « السماعون » يُعَيِّدون يوم الأحد ، « والصديقون » يوم الإثنين . ذلك أن المانوية قد تبعت أسبوع الكواكب السيارة^(١) . وقد كانت الزكاة فرضاً . ولم يكن المانوية يعطون الماء أو الخبز إلى الكفار لأن فى ذلك اعتداء على ذرات النور التى فى الماء والخبز ، ولكنهم كانوا يعطونهم الملابس والنقود وغيرها من الأشياء التى لا نور فيها .

ولقد لقيت دعوة مانى نجاحاً كبيراً منذ البداية ، لافى بابل وحدها بل بين الإيرانيين أنفسهم . ويظهر من نص الكفلايا الذى ذكرناه من قبل^(٢) ، أن مانى كان ذا حظوة عند سابور أيام حكم أردشير الأول .

وهناك مصادر أخرى تفيد بأن مانى قد نجح فى إدخال أخوين لسابور فى دعوته هما مهرشاه حاكم ميسن وفيروز . وقد حفظت لنا إحدى الحرافات^(٣) المانوية أول مقابلة لمانى مع الأمير مهرشاه : فقد كان مهرشاه عدواً للنبي الجديد ، وكان قد أمر بغرس حديقة غناء واسعة الأرجاء لم يكن لها مثيل ، ودخل النبي عند مهرشاه وهو فى الحديقة فى وليمة ، مرحباً كل المرح . فقال للنبي : أفى الجنة التى تتحدث عنها حديقة كحديقتي هذه . فأدرك النبي أنه لا يؤمن برسائله ، فأراه بقدرته العظيمة جنة النور بألحنتها وملائكتها وسعادتها . فأغشى على الأمير وظل فى إغمائه ثلاث ساعات وكان قد حفظ فى قلبه ذكرى ما رأى . ثم إن النبي وضع يده فوق رأس الأمير فأفاق ، ولم يكذب يقوم حتى ألقى بنفسه على أقدام النبي وأمسك يده اليمنى^(٤) .

ورواية الفهرست أن الذى حضر مجلس النبي هو الأمير فيروز فقد كان مع

(١) بعض ملاحظات عن التقويم المانوى : هننح ، Henoehbuck ، ص ٣٢ وما بعدها .

(٢) ص ١٧٧ ، شميذت — پلنسى ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٣) مولر ، Handschriftenreste ، (٢) ، ص ٨٢ وما بعدها ، نبذة بلهجة الشمال .

(٤) الباقي ناقص .

سابور . ويظهر أن النبي كان يمارس فن الطب ، فقد حكى أن سابور لجأ لماني ليشفي ابنه المريض ، وقد مات مع ذلك في يديه^(١) . ولعل ما جاء في القطعة الثالثة (m ٣)^(٢) يشير إلى هذه القصة التي ذكرت أيضاً في Acta Archelai والتي شك فيها كسلر . أما الصيغة التي أوردتها الفهرست لهذه القصة فإنها تقول « ثم إن ماني دعا فيروز أخا سابور بن أردشير فأوصله فيروز إلى أخيه سابور فدخل إليه وعلى كتفيه مثل السراجين من نور ، فلما رآه أعظمه وأكبره في عينه ، وكان قد عزم على الفتك به وقتله . فلما لقيه داخلته به هبة وسر به وسأله عما جاء به . فوعده أن يعود إليه . وسأله ماني عدة حوائج منها أن يعز أصحابه في البلد وسائر بلاد مملكته وأن ينفذوا حيث شاءوا من البلاد فأجابه سابور إلى جميع ما سأل » .

وأما أن سابور قد تساهل مع المانوية ورحب بهم فهذا ما يظهر من إهداء ماني لسابور كتاباً من كتبه الرئيسية الذي سماه « شاپورغان » . وقد ضمن ماني كتابته عن سيرته التي جاءت في السكفلايا معلومات قيمة من علاقته بالملك سابور الكبير . فبعد أن أشار إلى رحلته في الهند ثم عودته إلى إيران قال ماني : « وقد مثلت في حضرة الملك سابور ، فأحاطني برعايته . ثم أتاح لي أن أجوب (بمملكته ؟) وأن أعظ بكلام الحياة . وقد أمضيت سنين عدداً ... في حاشيته وسنين كثيرة في إيران ، وفي بلاد البرت حتى آديب (آديابين ؟) وحتى البلاد المجاورة للإمبراطورية الرومانية »^(٤) .

(١) كثيراً ما تناولت المصادر المانوية وما يعارضها قدرة ماني في علم الطب (انظر الفريك (١) ، ص ٤٢ وما بعدها) . والظاهر أن طب المانوية لم يكن مختلفاً عن طب الزردشتيين في زمنه ، وهو الذي يميز بين ثلاثة أنواع من العلاج : بالسكين والأعشاب الطبية والقول الطيب (انظر هنا الفصل الثامن) . وكان الكلام ، أي العبارات الدينية أو السحرية ، عند ماني كما كان عند الزردشتيين أجمع الوسائل لطرد المغاريت التي تجلب الأمراض .

(٢) مولر ، Handschriften Reste ، (٢) ، ص ٨٠ وما بعدها . (لهجة الجنوب الغربي) .

(٣) ماني ص ١٥٨ وما بعدها .

(٤) شميدت — پلنسكي ، ص ٤٧ وما بعدها . "Quelques details sur la mission

organisée par Mani" (نشاط المبشرين پانيك ، ادا ، امو ، اردوان) : أندرياس — هنج ، (٢) ، ص ٣٠١ وما بعدها ؛ شيدر Iranica ص ٦٩ وما بعدها .

وقد عين الأمير فيروز ، بعد تملك سابور ، واليا للمقاطعة الشمالية الشرقية (أبهرشهر وخراسان)^(١) . وقد بقيت من عهده نقود سمي فيها « عابد مزدا ، الإلهي ، فيروز ملك الكوشان الكبير » ، وعلى نقود فيروز صورة إلهية كتب تحتها « الإله بوذا »^(٢) فقد كان يستطيع ، بأنه مانوي ، أن يعبد في وقت واحد مزدا وبوذا .

ومن كبار أتباع ماني — وقد أصبح داعياً كبيراً لمذهبه — رجل يسمى بالاسم الأشكاني أردوان ، وهذا يرجح أنه أحد أمراء الأسرة المنقرضة^(٣) . أما الروايات العربية التي تتحدث عن المانوية فإنها تقول بأن سابور قد غضب على ماني في آخر الأمر . ويقول اليعقوبي إن الملك سابور قد لبث من أتباع ماني عشر سنوات فقط ، وبعد ذلك نفى ماني من إيران ، فظل حائراً أكثر من اثني عشر عاماً في بلاد آسيا الوسطى . وقد ذهب إلى الهند والصين داعياً بمذهبه في كل مكان ومؤلفاً للكتب والرسائل التي يبعثها إلى الرؤساء والجماعات في بابل وإيران وبلاد المشرق . وأخيراً توفي سابور سنة ٢٧٢ م . وخلفه ابنه هرمزد الأول سنة ٢٧٣ فتجراً ماني وتحدى خصومه الموابذة وعاد إلى إيران . ويشك شميدت^(٤) في تفصيلات هذه الرواية بل يذهب إلى حد الاعتقاد بأن ماني لم يخاصم سابور قط يقول « ومهما يكن فإن الحرب أو النفي إلى الهند قصة خرافية ، لأن هذه الرحلة قد جرت قبل عهد سابور » وقد كان ماني أثيراً عند هرمزد الأول لا عند سابور وحده .

والحق أن بهرام الأول ، أخا هرمزد الأول ، وهو ملك شهواني قليل النشاط ، قد ترك ماني تحت رحمة رجال الدين . يقول اليعقوبي^(٥) : إن مناظرة عامة قد

(١) انظر ص ١٢٦ — ١٢٨ .

(٢) هرتسفيلد ، Paikuli ، ص ٤٥ و ٤٩ — ٥٠ .

(٣) أندرياس — هنتنج ، (٢) ، ص ٣٠٣ . شيدر Iranica ، ص ٧٢ .

(٤) شميدت — پلتسكي Schmidt-Polotsky ، ص ٥١ .

(٥) نثر هوتسما Houtsma ، ص ١٨١ و قارن فارسنامه ، ص ٦٤ .

جرت بين ماني والموبدان موبد ، وقد غلب ماني على أمره لأن الموبدان موبد كان القاضى صاحب الفصل فى المناظرة^(١) ، وقد حكم على ماني بالكفر فأدخل السجن حيث عذب عذاباً مبيئاً مات على أثره^(٢) ، وكان ذلك عام ٢٧٦^(٣) . وفى رواية شرقية ، صلب ماني وسلخ حيا ، ثم قطعت رأسه وحشى جلده وظل معلقاً على أحد أبواب مدينة جنديسابور فى الأهواز (سوزيان) ، وقد سمى هذا الباب بعد ذلك « باب ماني » .

وقد اتخذ المانوية لهم عيداً سموه « بيا » ذكرى لمقتل نبيهم الشهيد . وفى هذا العيد ينصب منبر يرمز إلى الحضور الروحى لنبيهم الغائب . وفى نص من نصوص اللهجة الشمالية^(٤) ، يقال : « تعال هنا يا . . . (؟) فى يوم بيا هذا ، حتى تتخلص من كثير من « السمسات » . وإذا فكلمة « سمسارا » (التناسخ) السنسكريتية كانت تستعمل لدى المانوية .

وقد ألف ماني كثيراً من الكتب والرسائل التى ضمنها مذهبه . وقد ذكر كثير من المصادر الغربية والشرقية أسماء هذه الكتب التى كتب معظمها باللغة السريانية ، كما أشارت هذه المصادر إلى الموضوعات المهمة فى هذه المؤلفات^(٥) . وفى كتاب « سفر الأسرار » تناول المؤلف فيما تناول من الأبحاث : باب ذكر الديهانية ، وكتاب « الأصلين » ولعله نظير رسالة « العفاريت »^(٦) (كوان) التى تقص قيام

(١) صحة هذه الرواية مشكوك فيها .

(٢) فارن پلتسكى Manichäische Homilien ، ص ٤٢ وما بعدها ؛ اندرياس — هينج Andreas-Henning ، (٣) ، ص ٨٦٢ ، ملحوظة ٣ . قطع نثرية وأغان فى موت ماني ، اندرياس — هينج ، (٣) ، ص ٨٦٠ وما بعدها ، ٨٩١ .

(٣) شيدر Onomon ، (٩) ، ص ٣٥١ ؛ Iranica ؛ ص ٧٩ — ٨٠ ، ملحوظة ٤ .

(٤) والشميدت — لنتز ، Die Stellung Jesu ، ص ١٠ ؛ فارن پلتسكى ،

Homilien ، ص ٣٢ وما بعدها و ٧١ وما بعدها .

(٥) انظر الفريك ، Les écritures manichéennes ، (٢) .

(٦) الفريك ، (٢) ، ص ٣١ وما بعدها .

الشياطين بحرب السماء وقصصاً أخرى من قصص الأبطال^(١) . وكتاب پراجمتايا أو « كتاب الأصل » ولعله كتكملة لكتاب « الأصلين » ، « الإنجيل الحى » أو « الإنجيل » فقط الذى يحتوى على اثنين وعشرين بابا ، عدد الألف باء السريانية وهو يعتبر الفلسفة الدينية الحقيقية التى أنزلها على ذوى الإرادة الطيبة المختصين^(٢) ، وقد ألحق بالإنجيل كتاب آخر عن مذهب الجنستىكية هو « كنز الحياة » . ويحدد مانى فى « التعاليم » قواعد الأخلاق وفروض الدين للصديقين والسماعين . وقد ترجمت جميع الكتابات السريانية إلى الهلوية منذ عصر مبكر . ومن كتب مانى الأخرى كتاب ألفه باللغة الهلوية الجنوبية الغربية وهو كتاب « الشاپورغان » الذى ألفه باسم سابور الأول الملك العظيم الذى يشار إليه كثيرا وهو يتناول البدء والمعاد . وقد عثر على بعض أجزاء من كل من « الشاپورغان » و« الإنجيل » ضمن نصوص تورفان . ويشمل كتاب « الكفلايا » Kēphalaia تعاليم النبي التى جمعت بعد موته وقد أصبح بأيدينا جزء كبير منه باللغة القبطية ، ولعله منقول عن اليونانية . وأخيراً لدينا كثير من كتب مانى وخطاباته التى كتبها بنفسه حسب المناسبات ، وكان يوجه الخطابات إلى تلاميذه الممتازين أو إلى الجماعات المانوية فى مختلف البلاد ، فى المدائن وبابل وميسلن والرها والأهواز وأرمينية والهند وهكذا ، مما يبين الدعوة المانوية أثناء حياة مؤسسها مانى . وتوجد مجموعة من هذه الخطابات باللغة القبطية بين أوراق البردى التى اكتشفت فى مصر^(٣) .

وقد أدخل مانى إصلاحاً على الكتابة الهلوية ، بوصفه أحد كتابها . وذلك بأن

(١) كيمو ، (١) ، ص ٣ — ٤ ؛ (٢) ، ص ١٦٠ وما بعدها . وقد افترض كل من بنفست (MO ، ١٩٣٢ ، ص ٢١٤) وهنتج (من غير أن يتأثر بسابقه ، Honochbuch ، ص ٣٠) أن الكلمة الإيرانية التى ترجمت بكلمة « عفريت » هى كو (أو ستيه كوى — ، كى وهى فى لغة الكتب الزردشتية الهلوية لقب للملوك الجرافيين) . والواقع أنه وجد حديثاً فى نص مانوى (اندرياس — هنتج ، (٣) ، ص ٨٥٨) كلمة كوان (العفريت) كمنوان لكتاب .

(٢) الفريك ، (٢) ، ص ٣٤ .

(٣) شميدت — پلتسكى ، ص ٢٣ وما بعدها .

استبدل بالكتابة الهلوية — التي كانت لعمومها قابلة لقراءات كثيرة مغلوطة — الألف باء السريانية التي استطاع تطبيقها بغاية الدقة على اللهجتين الإيرانيتين (لهجتي الجنوب الغربي والشمال) ، وقد عبر عن الحروف الهلوية الصوتية بأقرب الحروف السريانية لها . ولم تترك طريقة العلامات المعبرة التي كانت تستعمل في الهلوية العادية وحدها في هذه الكتابة الجديدة ، وإنما وجدت كتابة مضبوطة حسب النطق بدلا من الطريقة القديمة التي لم تستطع أن تتخلص منها الهلوية الزردشتية لميل أهلها إلى المحافظة على القديم .

وقد استعمل حروف الهجاء المانوية المانويون الذين يتكلمون بالصغدية ، كما أنها أحدثت فيما بعد طرقا للكتابة عند سكان آسيا الوسطى .

وبعد موت ماني رأس الديانة المانوية ، بناء على وصيته ، أحد تلاميذه المسمى سيس أو سيسين (Sisinnios)^(١) . وقد أقام هذا في بلاد بابل التي أصبحت منذ ذلك الوقت مقاما للهيئة العليا لأتباع المانوية . وقد حل إيناوس (Innaïos) محل سيس في رئاسة المانويين بعد صلب هذا الأخير^(٢) . وانتشر الدين الجديد في الأقاليم الغربية ، من المملكة الرومانية^(٣) . وقد اعتنقه الأب أوجستين Père Augustin قرابة تسع سنوات ثم إنه هاجمه بعد ذلك في كثير من العنف . وقد جزع النصارى من دين ماني الذي بدا لهم أنه يفسد الأساس الحق لدينهم وبالح كل في رميته بالسوء . يقول مؤلف أعمال شهداء الكرخ^(٤) : « وفي أيام سابور بصق ماني ، موئل الحبث كله ، صفراءه الشيطانية » . ويلخص تيودور بركونائي رأيه في أتباع ماني الكافر فيقول : « إن جميع أتباع المانوية هم من الأشرار الذين يقتلون الناس بطرق

(١) انظر شميدت — پلتسكي ، ص ٢٤ وما بعدها ؛ والدشميدت — انتر Dogmatik

ص ٦٠٦ ؛ شيدر ، Onomon ، (٩) ، ص ٣٤٣ ، و Iranica ، ص ٦٩ .

(٢) شميدت — پلتسكي ، ص ٢٨ .

(٣) تارن شميدت — پلتسكي ، ص ١١ وما بعدها . وقد أرسل پاپوس ، أحد

تلاميذ ماني ، إلى مصر للدعوة لمذهبه (المرجع نفسه ، ص ١٤ — ١٥) .

(٤) هوفان ، ص ٤٦ .

خفية شيطانية ، وهم يرتكبون الفاحشة فيما بينهم بلا حياء ، وقد تجردوا من الرحمة وليس فيهم فضيلة» (١) .

ولكن إذا أردنا أن نعرف الحقيقة عن الرحمة والأخلاق الطاهرة الإنسانية عند المانوية فعلينا أن نقرأ «خواستو ونيفت» أو « صلاة الاعتراف » عندهم . وقد حفظ نص هذا الكتاب باللغة التركية القديمة (أويغور) ضمن المخطوطات التي عثر عليها في تورفان وتوين هيانج (٢) .

ومع الاضطهاد الذي لقيه المانويون في إيران من رجال الدين الزردشتيين ، فإن هذا الدين الجديد قد عاش في صورة شبه سرية . وفي النصوص القبطية (٣) قصص عن اضطهاد المانوية في إيران أيام الملكين نرسی وهرمز الثاني .

وقد حمى المانوية عمرو بن عدی ، أحد ملوك الحيرة (٤) ، وقد وجد كثير من المانوية في بابل بنوع خاص لأنها مهد هذا الدين ، وفي المدائن عاصمة الدولة . ومن ناحية أخرى أدى الاضطهاد إلى هجرة كثير منهم إلى أقاليم الشرق والشمال حيث يقيم كثير من الإيرانيين . وتكونت في بلاد الصغد جالية مانوية كبيرة . وقد فقد هؤلاء المانويون الشرقيون بمضى الزمن كل صلة بإخوانهم المقيمين في الغرب ، وأخيراً عدلوا عن الاعتراف بالرياسة الدينية العليا التي كانت في بابل ، وكونوا من أنفسهم طائفة مستقلة . وقد استخدم أهل الشرق تراجم مكتوبة بالهلوية الجنوبية الغربية للكتب السريانية ، لأنهم كانوا لا يفهمون هذه اللغة ، ولكنهم احتفظوا بمعرفة لهجة أهل الشمال التي كتب بها جزء كبير من النصوص الدينية وخاصة الأدعية والأشعار المذهبية التي كشفت حفائر تورفان عن بعض نماذج منها (٥) مع نص به فهرست

(١) پونیو ، Inscriptions mandäites ، ص ١٨٤ .

(٢) لوكوك ، JRAS ، ١٩١١ ، ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٣) پلتسکی ، Man. Homilien ، ص ٤٢ — ٨٥ .

(٤) انظر شيدر ، Onomon ، (٩) ، ص ٣٤٤ وما بعدها .

(٥) انظر بنوع خاص أندرياس — هنتج ، (٢) و (٣) (أغان باللهجتين) .

عددت فيه مطالع القصائد مرتبة ترتيباً هجائياً^(١) . ثم بدى . بعد ذلك بترجمة النصوص الدينية إلى اللغة الصغدية ، ومنها ترجمت بعد ذلك إلى اللغة التركية القديمة ، وذلك حين كوّن الأويغور الذين هم من أصل تركي دولة لهم في آسيا الوسطى في القرن الثامن ، وحين آمن أحد الخانات الأويغور الذين حكموا في النصف الأخير من هذا القرن بالديانة المانوية ونال لقب « مظهر ماني »^(٢) . ويرجع تاريخ نصوص تورفان إلى العهد الذي بدأه هذا الخان الأويغوري ، وهي النصوص التي تظهر فيها كل اللغات التي ذكرنا ، الهلالية الجنوبية الغربية والهلالية الشمالية والصغدية والتركية . وقد تمتشت مانوية آسيا الوسطى مع البوذية كما ذكرنا من قبل ، فاستخدم الوعظ الاصطلاحات الدينية البوذية كما استفادوا من القصص البوذية ، وكذلك اقتبس مانوية الغرب حكماً من العهد الجديد^(٣) .

والروايات التي تميل إلى القصص والتي ذكرها الكتاب المسلمون عند ماني قد احتفظت بمسحة واضحة عن شخصية النبي ، وذلك فيما يختص بمهارته في الخط والنقش . ومن هؤلاء السكاتب الفارسي أبو المعالي في كتابه « بيان الأديان » الذي آتاه في سنة ١٠٩٢ (٤٨٥ هـ) ، يقول إن ماني كان يكتب بخط دقيق على قطعة من الحرير الأبيض إذا نزع خيط واحد منها اختفت الكتابة التي كتبها . وقد ألف ماني كتاباً جامعاً لأنواع التصاوير يسمى « ارژنك ماني » وهو في خزائن غزنة . وأما الفردوسي فعنده أن ماني ، الذي أتى من الصين ، كان نقاشاً لم ير له مثيل على وجه الأرض^(٤) .

(١) مولر ، Ein Doppelblatt aus einem manichäischen Hymnenbuch .

(مهر نامك) .

(٢) مولر ، Uigurica ، (٢) ، ص ٩٥ ، و Ein Doppelblatt ، ص ٥ .

(٣) أما عن الخلاف الذي جرى حوالى نهاية القرن السادس حين انفصل مانوية المشرق

(الديناوران) عن الدينداران في الغرب ، فانظر شيدر ، Iranica ، ص ٧٨ وما بعدها .

نس ألف عن التعليم الديني والخلق عند الديناوران ، اندرياس — هنتج ، (٣) ، ص ٨٥٤

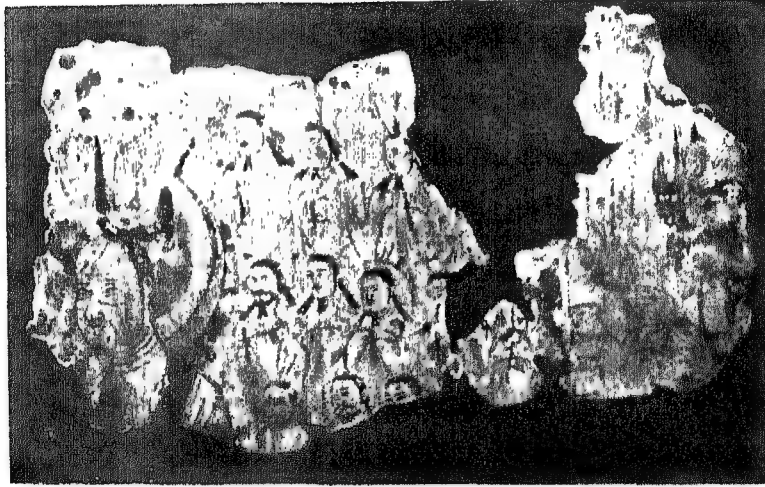
وما بعدها .

(٤) نيامد يكي مراد گویا ز چین که چون او مصور نبیند زمین

وقد رويت كل صور الحرافات^(١) حول كتاب ماني « اردنج » (ارتنج أو ارژنگ)
الذي أصبح من المصطلحات الشعرية لدى الشعراء الفرس . وقد جاء في قصة مجهولة
المصدر رواها ميرخوند أن ماني قد زين بالنقوش غاراً في بلاد الشرق . ثم إن
حفريات تورفان وخوچو Khocho قد أمدتنا بالدلائل على وجود فن مانوي . ففي
خوچو غار قد زينت جوائبه بنقوش نستطيع أن نتبين تفاصيل واحد منها بوضوح .
وفي أحد هذه النقوش قديس (ماني نفسه ؟) مغولى الهيئة ، شاربه مدلى ، ولحيته
فرعان ، وقد بدا قرص الشمس أحمر من وراء رأسه كأنه هالة من نور ، وحواشيه
بيضاء ، والجزء الأسفل من هذا القرص محاط بهلال . وكان يلبس فوق رأسه نوعاً
من التاج ، يحتمل أن يكون مصنوعاً من الديباج وأسفله ضيق جداً لا يغطى غير
قمة الرأس ، وقد ربط بعصابة مما يحيط بالدقن ، وأعلاه واسع . ويرى إلى الآن بقايا
تطريز من الديباج على الرداء . وعلى عيني القديس يرى بعض الصديقيين قاماتهم أقصر
من قامته فيما يظهر ويبدو أن معظمهم من الأجناس الغربية وهم يلبسون ثياباً بيضاء ،
وأما عمامتهم وهي من نوع تاج القديس فيبدو أنها مصنوعة من نسيج أبيض .
وأطراف عصابة الدقن الحمراء لا تزال ترى فوق الدقن . وكل هؤلاء قد ربعوا أيديهم
فوق صدورهم بحيث تدخل اليد اليمنى في الكم الأيسر واليسرى في الكم الأيمن .
وهذا وضع يدل ، عند أهل الشرق ، على الخضوع والإجلال . وبعض أسماء الأفراد
المكتوبة على الصور بالخط الأويغوري لا يزال يقرأ . وفي نهاية الرسوم ترى نساء
الصديقيين ، وقد لبسن كالرجال فيما عدا غطاء الرأس ، فإنه عندهن أسطواني الشكل .
ومن خلفهن يرى بصعوبة صور السماعين من الجنسين وقد ارتدوا ثياباً مختلفة
الألوان وأحذية سوداء ، ولكن هذا الجزء من النقش تالف جداً^(٢) .

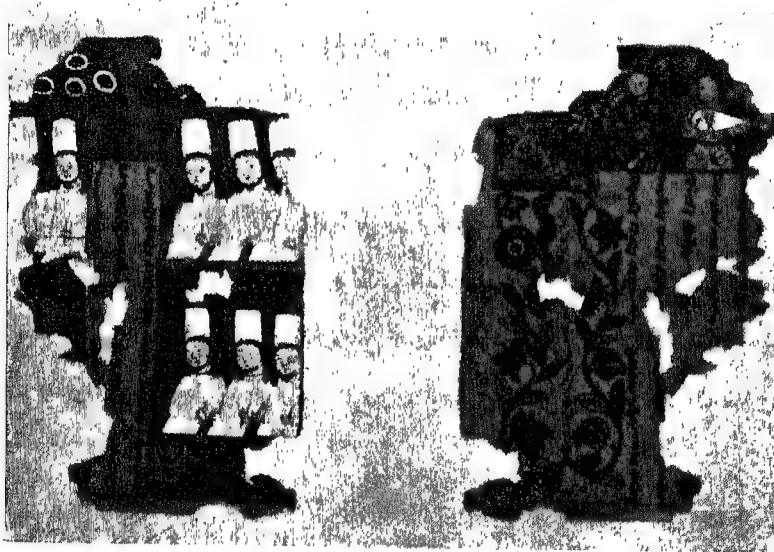
(٢) انظر الفريك ، (٢) ، ص ٤١ وما بعدها . وقد ذكر اردنج مع كوان في إحدى
الخطابات المكتوبة بلهجة الشمال والتي نشرت في اندرياس — هنتج ، (٣) ، ص ٨٥٨ .
تارن شيدر Ononion ، (٩) ، ص ٣٤٧ ؛ پلتسكى ، Man. Homilien ، ص ١٨ ،
ملحوظة ٨ .

(١) لوكوك ، Chotscho ، لوحة ١



٩ . رسم مانوي
(لوكوك . خوچو)

وقد كشف أيضا عليان من أعلام المعبد عليهما تصاوير . أحدهما يصور امرأة
من الصديقات وأمامها سيدة حمراء الثوب راكمة ، قوامها أقصر من الصديقة .



١٠ . مينيائير مانوية
(لوكوك — خوچو)

(١٣ — الساسانية)

ونعرف من إحدى النقوش أن الصورة الرئيسية لأميرة اسمها بُسُوسُك Bosusk . ورسم على العلم الثاني اثنان من السباعين ، رجل وامرأة ، وقد ركبا أمام أحد الصديقين . وقد اندثر الجزء الأسفل من صورة الرجل وعلى رأسه عمامة كالتي يلبسها أهل هذا الإقليم اليوم . وأما المرأة فقد اتخذت هيئة العابدة ، وقد مدت كفيها متقابلتين أمام صدرها . أما الصديق فيبدو أنه يغفر ذنوب السباعين ؛ ونحن نعرف أن هذا كان من مزايا الصديقين من الرجال^(١) .

ثم إن نماذج من فن المينياتير المانوي قد كشفت . وهناك ورقة فيها نص باللغة التركية على وجهها تصاوير ، وفيها رجال الدين من المانوية وقد ارتدوا الثياب البيض وعلى رؤوسهم عمام عالية أسطوانية وقد اصطفوا أمام منابر مزينة بأعلام مختلفة الألوان . وقد أمسكوا أقلاما بأيديهم ، وكان أمام كل منهم قطعة من الورق . والصحيفة محاطة بإطار مزين بالأشجار المثمرة وعناقيد العنب ؛ والوجه الآخر من الورقة يحتوي على عمودين عليهما نصان أحدهما بالمداد الأسود والآخر بالمداد الأحمر ، ومن حولهما إطار مزين بنقوش على هيئة الأغصان . وعلى الحاشية صورة تمثل ثلاثة أشخاص جالسين القرفصاء على سجادة ، وقد ارتدوا ثياباً كثيرة الألوان . وأعلى هؤلاء مقاما جالس على اليسار ، ولم يبق منه غير الجزء الأسفل وقد اتجه إليه الاثنان الآخران وعلى رأسيهما قلنسوتان طويلتان . وأولهما جالس في طمأنينة ، وقد أخفى يديه باحترام في كفيه ، بينما الآخر يعزف على العود^(٢) (صورة ١٠) .

هذه التصاوير التي صورت دقائقتها في مهارة فائقة تذكرنا بلوحات فن التصوير الفارسي في العهد الإسلامي . إنها تشهد بقدم هذا الفن في إيران فإنه يبدو من المحقق كما يقول كيمو^(٣) إن المانوية قد نقلوه من الدولة الساسانية إلى بلاد التركستان حيث توسع فيه وأدى إلى إخراج الروائع . وروى كيمو أيضا^(٤) نصا من حديث سرياني

(١) المرجع نفسه ، اللوحة ٣ .

(٢) لوكوك ؛ • .

(٣) Revue archéologique ، ١٩١٣ ، (٢) ، ص ٨٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

لإفرم (الرهوى) الذى عاش بعد موت مانى بأقل من مائة سنة يقول فيه إن مانى قد نقش بالألوان على طومار صوراً منفرة لأبناء الظلمات وذلك ليبغضها إلى الناس ، بينما صور أبناء النور صوراً جذابة ليحبب جمالها إلى الناس ، وكانت هذه الصور الملائكية والشیطانية معدة ليهذب العامة أنفسهم . وإذا فمن الممكن أن يقال إن عادة تصوير الكتب المانوية ترقى إلى النبی نفسه ، وأن هناك بعض الحقيقة فى القصة التى تمثل مانى نقاشاً عظيماً . وقد ظن ألفريك^(١) أن كتاب « ارژنگ » المشهور كان نسخة لإنجيل مانى مزينة بالصور .

(١) (٢) ، ص ٤٢ .

الفصل الخامس

دولتا المشرق والمغرب

النظام الحربى للدولة الساسانية . حروب أردشير الأول وسابور الأول مع روما . انتصار سابور على الإمبراطور والرين . نقوش نصر سابور . تدمير . حكم هرمزد الأول وبهرام الأول وبهرام الثانى . نقوشهم . حكم بهرام الثالث ونرسى . نقوش نرسى . الحرب الجديدة مع روما . حكم هرمزد الثانى . سابور الثانى والحرب الكبرى . نبذ من رواية أميين . شخصية سابور الثانى . حكم أردشير الثانى وسابور الثالث وبهرام الرابع . نقوش أردشير الثانى وسابور الثانى والثالث .

اتسعت دولة أردشير فى ظل نظام حربى قوى . ولا شك أن سياسته كانت متأثرة بذكريات غير محدودة عن عهد الأكيمينين الزاهر . وقد أحس أردشير أنه وارث دارا ، وأن عليه أن يحدد الجهود التى بذلها الأشكانيون فكان نجاحهم فيها منقوصا ، وذلك لى يحى الإمبراطورية الشرقية التى قضى عليها الإسكندر^(١) . وعلى هذا نجد اتجاهها نحو التوسع فى السياسة الخارجية التى انتهجها أردشير وخلفاؤه الأوائل . وكانت هذه السياسة متجهة أولا إلى حماية الحدود فى الشرق والشمال والغرب . تلك الحدود التى كانت مهددة دائما فقد مست الحاجة إلى إعداد دفاع محكم عنها .

وقد عدلت النظم الإقطاعية القديمة وقعا للأوضاع ومقتضيات الأحوال فى نظام الدولة الساسانية الحربى . فأدبجت طوائف الجند التى كانت تتبع صاحب الإقطاع فى الجيش المنظم . وقد رأينا أن أكبر الألقاب العسكرية وهو لقب أرجيد ، كان وراثيا فى الأسرة المالكة ، وأن وظيفتين عسكريتين أخريين ، وهما رئيس شئون الجيش وقائد الفرسان ، كانتا كذلك ، وراثيتين فى أسرتين من الأسر الكبيرة^(٢) . وربما كان تعيين الإصبهدين (جمع سپاهبد) فى جهات معينة قبل عهد

(١) فارن هيرودين ، (٦) ، ٢ .

(٢) فارن هنا ص ٩٣ وما بعدها . وانظر عن إدارة الجيش ص ١١٨ وما بعدها .

كسرى الاول ، من الأمور الشادة . وكان تحت إمرة حكام للمقاطعات التي على الحدود جنود مرتزقة في كل زمان ، وكذلك كانت دائماً تقيم الحاميات في الأماكن الحصينة من الحدود^(١).

وكانت نخبة الجيش ، كما كانت في عهد الأشكانيين تتكون من الفرسان الدارعين ، الفرسان النبلاء . وكان لهؤلاء (أسواران) اللقام الأول في المعارك ، وكان النصر يتوقف على قوتهم وشجاعتهم قبل كل شيء^(٢) . فقد كان الإيرانيون يلقون ضد الرومان بأفواج منظمة من الفرسان الدارعين ، في صفوف كثيفة كل الكثافة ، فكان يريق الدروع التي كانت تتبع اتجاه الجيش يعكس هيئة تهر الأبصار^(٣) . كانت فرق الفرسان كأنها صيغت من حديد وقد غطى جسد كل منهم بألواح من الحديد ملتصقة به إلى درجة تجعل مفاصل الدرع الحديدية الصلبة تتحرك في يسر وفقاً لحركة أعضاء الجسد . وكان للوجه قناع يحميه . وهكذا كان من المتعذر تصويب سهم إلى الفارس ما لم يسدد نحو الفتحات الصغيرة قبالة العينين أو إلى الثقبين الدقيقين أمام الأنف اللذين كان يتنفس الفارس منهما . وكان بعض الفرسان ، المسلحين بالحرب ، يقفون بلا حراك ، حتى ليظن أنهم شدوا إلى سلاسل من حديد . وبجانبهم يقف الرماة وقد مدوا أذرعهم ليشدوا الأقواس المرنة بحيث يلمس الوتر الجزء الأيمن من صدورهم بينما السهم معلق في أيديهم اليسرى . وكان السهم ينطلق بضغط محكم بالأصبع فيدوى في الفضاء ويصمى من يصيبه^(٤) . ويقول أمين Ammien إن الفرس مع ذلك لم يكونوا ذوى بأس في الوغى ، فإنهم لم يتعودوا النضال في جسارة إلا أن يكونوا على مسافة بعيدة من أعدائهم^(٥) ، وإذا أحسوا أن فرقهم تتراجع يتقهقرون سراعا

(١) تولدك ، Tabari ، ص ٤٧٩ ، ملحوظة ١ .

(٢) كان الفرس يعتزون بالفرسان قبل كل شيء ، « حيث يؤدي هذا الواجب الشاق جميع النبلاء والممتازين » ؛ وامتازت الفروسية بنظامها الحربى وضبطها وكذلك بالتمرين التواصل وعُددها . أمين مارسلان ، (٢٣) ، ٦ ، ٨٣ .

(٣) أمين مارسلان ، (٢٤) ، ٦ ، ٨ .

(٤) أمين مارسلان ، (٢٥) ، ١ ، ١٢ — ١٣ .

(٥) (٢٥) ، ١ ، ١٨ .

كالريخ العاصف ، مطلقين سهامهم من خلفهم كي يخففوا من جرأة عدوهم وهو يقتنى أثرهم^(١) .

وكان لدى الساسانيين ، كما كان للأكمينيين ، فرقة من الفرسان المختارين تسمى « فرقة الخالدين » وهي تتكون كأعوذجها الأكميني ، من عشرة آلاف رجل يحمل رئيسهم لقب « ورهر نيكان خوذاي » varhranighan khivadhay^(٢) . أما ما يسمى « جان — أوسپار » Agan-Auspar ومعناه « القدائيون » فلعلها فرقة أخرى ممتازة بالجرأة وتحدي الموت^(٣) . ونجد على بعض القلنسوات الطويلة لرجال يلنفون حول الملك في النقوش علامات لعلها العلامات التي تميز الغباط من الفرق المختلفة .



وكانت الفيلة تتخذ مكانها خلف الفرسان . وكانت أصواتها ورائحتها ومناظرها الخيفة تلقى الدرع في خيل العدو . وكان « الفيلة » يركبون وفي أيديهم المني سكاكين طويلة المقابض ، فإذا ما دعر فيل ، وكان هذا يحدث أحيانا ، فانقلب يتخبط في صفوف الإيرانيين يوقعهم ويدوسهم ، فإن الفيل يبادر إلى قتله بأن يعمد السكين في عظام رقبته^(٤) . وأما مؤخرة الجيش فكانت مؤلفة من المشاة (بايگان) يقودهم رؤساؤهم ويسمى الواحد منهم « بايگان سالار » . وكان المشاة من أهل القرى وكانوا يتخذون جندا لحفظ النظام ، يذهبون للحرب من غير أن يشجعهم أحد بالأجر أو غيره من الثوبة^(٥) . إنهم كانوا جمهرة الحرايين الخاضعين للنظام العسكري ، وقد

(١) اليزه ، Langlois ، (٢) ، س ٢٢١ ؛ بروكوب ، BP ، ١ ، ١٤ ؛ قارن هوپشمان ، Armen. Gramm ، (١) ، س ١٩٢ .

(٢) هرتسفيلد ، Paikull, gloss ، رقم ٣١٥ ؛ قارن بنقنست ورينو في : "Vrtra et Vrthragna" ، (باريس ١٩٣٤) ، س ٣٨ ، ملاحظة ٢ .

(٣) انظر جيجر ، WZKM ، جزء ٣٧ ، ١٩٧ — ١٩٩ .

(٤) أمين مارسلن ، (٢٥) ، ١٤ ، ١ — ١٥ .

(٥) أمين مارسلن ، (٢٣) ، ٦ ، ٨٣ .

كانوا ، على الأقل ، مصنفين بدروع مستطيلة ومقوسة من الخيزران المتشابك ،
المغطى بجلد غير مدبوغ^(١) . وقد كان المشاة جنوداً غير مهرة بوجه عام ، « كانوا
معزاً قدرة قد مستخدم القذارة وهم يلقون السلاح ويولون الأدبار قبل أن يتدرم
أحد بالحرب » . وبهذا قال الإمبراطور جوليان مشيراً بإصبعه إلى أسرى الجند من
الإيرانيين ، لكي يبعث الشجاعة في قلوب الجند الروم^(٢) . وكانت الفرق المردفة
التي تتكون من الشعوب المحاربة التي تقطن في أطراف الدولة أكثر غناء في الحرب
من المشاة الحرائين . وكانوا يمتازون نسبياً لأنهم كان يحكمهم أمراء وطنيون ، وكان
جزء من جيش الأكمينيين يتكون من مثل هذه الفرق . وكان الساجيون من
من أحسن الأقوام في جيوش دارا وخشيارشاي . وكذلك نجد ، في أيام السامانيين ،
أن أجدر الفرق بالثقة بين الفرق الرديف فرق السجستانيين^(٣) ، أي الساج المهاجرين
إلى ولاية درانجان القديمة . وكثيراً ما استخدم الإيرانيون فرقاً من الأمم الجبلية
المختلفة في القوقاز وشمال بحر قزوين ، والجيليين والكادوسيين^(٤) والورت
والألبانيين والديلمة^(٥) وكذلك استخدم كوشان بقطريان^(٦) والكيونيت الذين
يظهر أنهم منحوا إقليم كوشان في النصف الأول من القرن الرابع^(٧) . وربما كان
بعض هذه الشعوب مستقلاً استقلالاً تاماً . ولكنهم كونوا ، بالمال ، فرقاً من الجنود

(١) نفس المرجع ، (٢٤) ، ٦ ، ٨

(٢) نفس المرجع (٢٤) ، ٨ ، ١ .

(٣) نفس المرجع (١٩) ، ٢ ، ٣ .

(٤) البره ، Langlois (٢) ، ص ٢٢١ ؛ أمين مارسلان ، (١٧) ، ١ ، ٥ .

(٥) أجاتياس ، ٣ ، ١٧ وغيرها ، انظر تولدك الطبرى ، ص ٤٧٩ ، ملحوظة ١ .

يقول أجاتياس : وكان الديلمة أقدر في المعركة حيث يحاربون بالسيف والحرية والخنجر أكثر
سما يرمون بالسهم . وقد ذكر ماركارث (A Catalogue of Provincial Capitals of Eranšahr ، نشر مسينا ، ص ٥٢) نصاً من تاريخ أربيل جاء فيه أن سابور الأول قد
أخضع الجيليين والديلمة والجرجانيين .

(٦) ماركارث (Eranšahr ، ص ٣٦) حيث يذكر Cusenos بدلاً من Eusnos ،

أمين مارسلان ، (١٦) ، ٩ ، ٤ .

(٧) ماركارث ، Eranšahr ، ص ٥٠ .

المرتزة ، ومن هذا القبيل ، على الأقل فرقة الهون التي ألحقت في بعض الظروف بالجيش الإيراني^(١) . وكانت هذه الفرق المردفة تحارب راكبة كالأساور الإيرانية^(٢) . وكان الفرسان الأرمن الذين يحاربون تحت الراية الإيرانية موضع رعاية خاصة . فكانوا حين يدخلون المدائن يبعث الملك إليهم أحد العظماء المشهورين ليتحرى عن حالة أرمينية ، وكان هذا يتكرر ثلاث مرات ، ثم يستعرض الملك فرقهم^(٣) .

وكانت الوحدات الكبيرة من الفرق تسمى « گنډ » ورؤساؤهم « گندسالار » أما « درفش » فكانت فرقا أصغر ، والفرقة الصغرى من هذه الفرق كانت تسمى « وشت » Vasht^(٤) وكان لكل « درفش » رايته^(٥) . وترينا النقوش الساسانية بعض أمثلة من الرايات والشارات الحربية فنرى راية من النسيج^(٦) طويلة ورفيعة تشبه كثيرا الرباط ، وهي تخفق على عصا .

وفي إحدى صور نقش رستم ، وهى الصورة التى يظهر فيها ملك ساسانى^(٧) ممسكا بالحربة وهو يدفع نحو عدو له قد حطمت نشاطته فى القتال ، فى هذه الصورة يرى حامل الراية ممسكا القناة بيده وقد التصق بها عارض من الخشب تعلوه ثلاث كرات ، واحدة على كل من طرفيه والثالثة فوق القناة مباشرة^(٨) (الصورة ١١) وقد أشير إلى الرماح الفارسية بين الغنائم التى ظفر بها أوريلين بعد الانتصار على الزباء^(٩) . وكانوا

(١) اليزه ، Langlois ، (٢) ، ص ٢٢١ .

(٢) أمين مارسلن ، (١٩) ، ٢ ، ٣ .

(٣) باتكانيان ، JA . ١٨١٦ ، (١) ، ص ١١٢ .

(٤) هوبشمان ، Armen. Gramm ، (١) ، ص ١٣٠ و ١٤٦ .

(٥) كلمة درفش تعنى « الراية » أو « العلم » .

(٦) فلانندان وكوست ، Voyage en Perse ، لوحة ٥٠ .

(٧) لعله بهرام الثانى .

(٨) سار — هرتسفلد ، Felsreliefs ، لوحة ٦ ، ص ٧٤ وما بعدها ؛ سار ،

Die Kunst des alten Persien ، لوحة ٨٣ ؛ فارن سار فى Klio (٣) ، للزمة ٣ ، حيث وصفت الراية وصورت .

(٩) Vita Aureliani عند فلافيوس فويديسكوس ، ٢٨ .

عند ما يبدأون الهجوم يلوحون بالعلم الناري اللون^(١) . وكثيراً ما يتحدث الفردوسى ، فى أجزاء الشاهنامه التى تتعلق بالأزمة الحرافية أيام السكيانيين ، واصفاً



١١ . نقش بارز ساسانى فى نقش رستم (بهرام الثانى ٩)

(سار . فن فارس القديمة)

رايات الأبطال الأقدمين . وهذه الأوصاف مأخوذة عن مصادر ساسانية ، فلا شك أن الأعلام الساسانية هى التى اتخذت نماذج لها . فنجد فى قول الفردوسى وصف علم ملكى عليه صورة الشمس بلون بنفسجى ، ومن فوقها قرم مذهب^(٢) كما نجد علماً محلى بصورة أسد أمسك فى مخالبه بدبوس وسيف^(٣) ، وآخر أسود عليه صورة الذئب ، ورابعاً عليه صورة النمر ، وأعلاماً أخرى مزينة بغزال أو خنزير برى ، أو نسر ملكى

(١) أمين مارسلن ، (٢٠) ، ٦ ، ٣ .

(٢) فولرز ، (١) ، ص ٤٧٨ ، بيت ٧٣٤ .

(٣) راجع الأسد (الذى أمسك السيف بيده) والشمس فى أسلحة إيران الحديثة .

أو تتين له سبعة ردوس متقابلة^(١). ثم هناك علم عليه صورة الشمس ، وآخر عليه صورة حمار الوحش ، وعلم قد جعلت له أهداب قد صور عليه القمر بلون أرجواني ، وعلم عليه صورة ثور^(٢).

وكان العلم الساساني « درفش گاوian » . يتكون كما يقول القصص التاريخي ، من فوطة الحداد كاوك (كاوه) الذي كان ، في الأزمنة القديمة الخرافية ، قد أثار الناس على الملك الظالم الضحك ، ولكن الأوصاف الباقية من هذا العلم المسمى لا ترقى إلا إلى العصر الأخير من حكم الساسانيين^(٣).

وفي المعارك الكبيرة التي كان يديرها الملك بنفسه ، كان يحمل له عرش كبير ، يوضع وسط الجيش ويلتف حول العرش خدم الملك وحاشيته وفرقة من الجند كان عليها أن تدافع عنه حتى الموت . وقد رفعت الأعلام في أركان العرش . وخلف هذه الأعلام يقف حرس من الرماة والرماجل . فإذا لم يكن الملك حاضرا ، وكان قائد الجيش هو الذي يتولى الحركة ، فإنه يجلس على العرش . ومن فوق عرش كهذا تابع رسمت تقلبات معركة القادسية^(٤). وكانت معابد نار متنقلة توضع في خيمة خاصة ، فإن الملك لا يحارب مطلقا من غير أن يصحبه المغان وبيوت النار^(٥).

كان البرتيون قليلي الحيلة والمهارة في الحصار ولكن الساسانيين قد تعلموا فن الاستيلاء على القلاع من الرومان . فكانوا يستخدمون آلات للهدم ، والمجانيق ، والأبراج المتحركة ، وآلات الحصار الأخرى التي كانت تستعمل قديما . وكانوا إذا حوصروا هم أنفسهم ، يعلمون كيف يفسدون آلات عدوهم ، وذلك بإيقاع آلات

(١) قولرز ، (٢) ، ص ٧٨٥ ، بيت ٣١٠ وما بعده .

(٢) المرجع نفسه ، (٢) ، ص ٨٠١ ، بيت ٥٢٧ وما بعده .

(٣) انظر الفصل العاشر فيما بعد .

(٤) ابن خلدون ، Not. et Extra ، (١٧) ، ٦٩ ؛ (٢٠) ، ٧٩ — ٨٠ . أما أن ملكا ، كسابور الثاني ، قد اشترك في القتال بنفسه وكان عليه أهدح عبء فيه فهذا ما لم يسمع به حتى ذلك الوقت .

(٥) Sébéos ، انظر باتكانيان ، JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١١٣ .

المدم ، التي يستخدمونها ، في السكامن ، أو بسبب الرصاص المذاب أو المواد الملتصبة عليها^(١) . ونجد على كأس فضي يرجع إلى القرن الأول من العهد الساساني ، وهو من محفوظات متحف ليننجراد ، صورة قلعة حصينة قد شن عليها الأعداء الهجوم . فتجد فوق الحائط ذى الشرفات المستند إلى الأعمدة الذي يفتح في وسط باب مغلق ، برجاً من فوقه ثلاثة جنود للحراسة . وقد نصب في الجانب الأيسر للبرج عمود يتدلى منه علم طويل ، وفي وسط الحائط ، أمام البرج ، تجمع ناخو الأبواق حول معبد أو بناء أثري آخر . وكانوا ينفخون الأبواق كي ينبهوا المحاصرين . وكان المهاجمون يسرعون بخيولهم نحو القلعة من الجانبين وقد تسلحوا بالسيوف والحراب والحلق المستدير . وكان أحد الفرسان يحمل في يده علماً له أربعة أطراف متموجة^(٢) . (شكل ١٢)

وكان الإيرانيون يحرقون حقول القمح إذا توغل العدو في أراضيهم لكي يحولوا دون تموينه^(٣) ، أو يفتحون السدود في الأراضي التي يخصبها الري ، فيغرق الوادي ويوقف تقدم العدو^(٤) .

وكان أسرى الحرب عامة يساقون وقد قيدت أيديهم خلف ظهورهم . ليباعوا رقيقاً^(٥) ، أو كانوا يرحلون إلى الأماكن المهجورة من الدولة حيث يكونون مستعمرات زراعية^(٦) .

وفي نقش ساماني بمدينة سابور ، صَوَّرَه فلاندين Falandin^(٧) يرى الملك وقد عرضت عليه رءوس أسرى الحرب أو الثوار .

وقد اتخذ الإيرانيون طريقة بديعة لإحصاء القتلى في الحرب فقبل الحرب كان

(١) انظر الأوصاف عند أمين مارسليان ، (١٩) ، ٥ وما بعدها ، (٢٠) ،

٦ — ٧ و ١١

(٢) سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ١٠٥ .

(٣) أمين مارسليان ، (٢٤) ، ٧ ، ٧ .

(٤) المرجع نفسه (٢٤) ، ٣ ، ١٠ .

(٥) المرجع نفسه (١٩) ، ٦ ، ٢ .

(٦) قارن هنا ص ١١٥ ؛ أمين مارسليان ، (٢٠) ، ٦ ، ٧ ؛ وانظر أيضاً لابور

Labourt ، ص ١٢٢ ، ملحوظة ٣ .

(٧) فلاندين وكوست ، (١) ، لوحة ٥٠ .

حدث استعراض أمام الملك ، جالسا فوق عرشه ، والقائد الذي أسندت إليه إدارة دفعة الحرب . وكان الجنود يمرون الواحد تلو الآخر ، وكل منهم يرمى سهما في أسفاط كبيرة وضعت هناك لهذا الغرض ثم تختم الأسفاط بالختم الملكي ، فإذا انتهت الحرب فتحت الأسفاط ويأتي الجنند فيأخذ كل منهم سهما . فالأسهم التي تبقى تنم عن عدد القتلى أو الأسرى . وهكذا كان يتسنى للملك أن يعرف هل اشترى القائد نصرا بضمن غال^(١) . والأمر هنا فيما يبدو يتعلق بعادة قديمة جداً عند الشعوب الإيرانية . ذلك أن ما يذكره هيرودوت (٤ — ٨١) عن الرجل الكبير المقدس عند إقليم إجزامبيوس يثبت ، مهما تكن الرواية خرافية ، أنه في زمن المؤرخين الإغريق ، كان السيث في أقاليم البحر الأسود يستخدمون طريقة مماثلة لتعداد السكان .



١٢ . حصار قلعة مصور على كأس فضي
(سار . فن فارس القديمة)

(١) بروكوب ، BP ، (١) ، ١٨ ، ٥٢ — ٥٣ .

وقد تضمنت الأجزاء الضائعة من الأوستا الساسانية وشروحها الهلوية الضائعة أيضاً^(١) كثيراً من الإشارات إلى الشؤون العسكرية . وقد تناول البحث فيها الحروب الدفاعية عند الحدود ضد الهجمات التي تشنها الشعوب الأجنبية^(٢) . واستيلاء المحاربين وهم في سيرهم^(٣) وهكذا . والنسك المسمى « دزدسر — زرد » يحوى فصلاً كاملاً « أرْتِيشْتَارِ سْتَان »^(٤) وهو يبحث في الحرب والجيش وهى مسائل مهمة لأن « استئصال الذئاب ذوات الرجلين أكثر ضرورة من قتل الذئاب ذوات الأربع » وفي هذا الفصل تفاصيل عن الفرق المصفحة وغير المصفحة ، ورتب قواد الجيش وغيرهم من الضباط ، وعدد الفرق التي يقودها ضباط من رتب متفاوتة ، ومراتب الضباط ، وعدد الجند ، وتموينهم ، وعلاوفة خيولهم ، وما أشبه ذلك .

وفي زمن السلم كانت الأسلحة ومعدات الحرب تحفظ في المخازن (أَمْبَارْ كُ) = عُنَابَر) وفي الخابى* (گَنْز) وقد كان على « إيران — امبارگبد »^(٥) أن يراعى كون كل شىء منظماً ومعداً للتسليم في أقصر مدة . فإذا انتهت الحرب أعيدت المهمات^(٦) . وكانت الخيول موضع عناية خاصة ، وكان الطبيب البيطرى (ستورس بزشك) ذا شأن . وكانوا يجمعون له الأعشاب ليستخدمها في علاج الحيوانات^(٧) . ولم يكن الاستيلاء على خيول الرعية مباحاً إلا أن تكون الحرب واقعة على الفور من غير أن تصل الخيل اللازمة في حينها^(٨) . وأما عن تموين الجيش ، من اللحم واللبن والخبز ، فإن هذه المواد كانت توزن وتوزع يومياً على المحاربين بالتساوى^(٩) . ويظهر

(١) قارن هنا ص ٤٠ — ٤١ ، ١٣١ .

(٢) دينكرد (٨) ، ٣٧ ، ٥٠ .

(٣) دينكرد (٨) ، ٢٢ ، ٦ .

(٤) دينكرد (٨) ، ٢٦ .

(٥) انظر هنا ص ٩٤ .

(٦) دينكرد (٨) ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٧) دينكرد (٨) ، ٢٦ ، ١١ .

(٨) دينكرد (٨) ، ٢٦ ، ١٨ .

(٩) دينكرد (٨) ، ٢٦ ، ١٠ .

أن الجنود والحيل كانوا ينالون رواتب يوم المعركة أكثر مما يأخذون عادة^(١) .
ويعزى « الأرتيشتارستان » أيضاً ملاحظات عن خطط الحرب ، عن الأحوال
التي يجب فيها الاشتباك في المعركة أو الحالات التي يتفادى فيها النزاع . وكان يشترط في
القائد أن تتوفر فيه المناقب الضرورية لإدارة الحرب ، والقدرة على وضع الخطط ،
والنظرة السليمة ، والإلمام بحالة جيشه ، ودقة سلوكه ، وعليه أن يعرف خاصة
وحدات جيشه وقدرة كل وحدة منها ، وعليه أن لا يبدى غضبه يوم المعركة ،
وأن لا يتخذ عملاً يوقع الخوف في نفوس جنده . ويجب أن يرتبط الجندي بأخيه
بميثاق المحبة ، ويجب أن يطيع الجنود قائدهم طاعة عمياء ، وعلى هذا أن يشجع جنده
يوم المعركة حتى لا ييأسوا بالموت وذلك بأن يذكرهم بواجبهم الديني الذي يحتم عليهم
قتال الكفار ، وبالجزاء والأجر الذي سينالونه في الدنيا ، وبالدكر الطيب الذي
سيكون لهم في الآخرة^(٢) وكان الجيش يشار للقتال على قرع الطبل^(٣) ويبدأ القتال
بعد أن يصب الماء المقدس في أقرب مجرى ماء ، وبعد أن يرمى غصن مقدس على أنه
السهم الأول^(٤) . وجرت العادة بأن القائد ينصح عدوه قبل المعركة ، بأن يخضع
لشاهنشاه وأن يؤمن بدين زردشت^(٥) ، أو يدعو إلى المعركة بصيغة «مرء
وسمرء (رجل ورجل) كل رجل له شجاعة في القتال^(٦) ويبحث «الأرتيشتارستان»
أخيراً في المسكافات التي تمنح للفرق المحاربة بعد الظفر ، ومعاملة العدو المنزوم ،
والأسرى والرهائن ، وتخيير الشعب المغلوب بين الموت أو قبول الجنسية الإيرانية^(٧)

(١) دينكرد (٨) ، ٢٦ ، ١٢ .

(٢) دينكرد ، (٨) ، ٢٦ ، ١٤ — ١٦ ، ٢٢ — ٢٣

(٣) أمين مارسلن (١٩) ، ٢ ، ٥ ؛ البز ، Langlois ، (٢) ، ص ٢٢١ .

(٤) دينكرد ، (٨) ، ٢٦ ، ٢٤ .

(٥) « » « » ٢٦ ، ٢١ .

(٦) نهاية ، برون ، ص ٢٥٠ ؛ بروكوب BP ، (١) ، ١٣ ؛ البلمعي ، زوتنبرج ،

(٣) ، ص ٣٨٩ — ٩٠ ؛ فارن سار — هرتسفيك ، Felsreliefs ، ص ٧٤ ، ماحوطة ١ ،

وبنفسه في JA ، ١٩٣٢ ، ص ١٣٥ وما بعدها .

(٧) دينكرد ، (٨) ، ٢٦ ، ٢٢ .

ويحتمل أن يكون معنى هذا ، الإلزام بخدمة إيران بالسلاح ، أى الاندماج في جيشها . وفي نس في الذسك المسمى سكام^(١) ذكر «للجيوش الهاووعة والجيوش الجريئة» وقد أبدى المعلق في سداجة نخره القوي بأن أضاف إلى ذلك قوله : إن الإقدام هو العلامة المميزة للجيش الإيراني إذا قورنت بجيوش الأجانب . وهناك نموذج مهم للخطط الحربية عند الساسانيين ، ذكره ابن قتيبة^(٢) نقلا عن الآيين نامك^(٣) ، وقد أوضحه أنسترتزف^(٤) . والنص ينقسم إلى قسمين كما أوضح العالم الروسى ، ققسم منه يتناول المعركة الرهيبة وهى دائرة ، والثانى يتحدث عن محاصرة الحصون . ففي القسم الأول يتحدث الكاتب عن إعداد الجيش ، فالقلب يرتاد مكانا مشرفا ، والفرسان في المقدمة ، ومن كان من الجند أعسر (وهم الذين يقدرون على الرماية بأيديهم اليسرى) يوضع في الميسرة . وهنا نذكر تفاصيل عن المعركة . فلا يألون صاحب الجيش على حال من الأحوال أن يستدبر جنده عين الشمس والريح ، وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فإن وقت ذلك عند رى العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فإن أسلس ما يكون الإنسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشد ما يكون طلبا للشيء عند حاجته إليه . وبعد ذلك يأتى الكاتب بنصائح عن السكمن ، فينبغى أن ينتخب له من الجند أهل جرأة وتيقظ وصرامة ، ليس بهم أنين أو سعال ولا عطاس ، ويختار لهم من الدواب ما لا يسهل ولا يعنت ، ويختار الجنودهم مواضع لا تغشى ولا تؤتى ، قرية من الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم . ثم يتحدث عن البيات من إلقاء الرعب في العدو بالضجة والضوضاء وهكذا . والقسم الثانى يتناول الحيل في محاصرة الحصون ، فكيف يمكن استنباط أسرار أهل الحصن ، وكيف يتم إخافتهم وإفزازهم وذلك بأن يدس فيهم من يصغر شأنهم

(١) ديشكرد ، (٨) ، ٣٨ ، ٣٠ .

(٢) عيون الأخبار ، طبعة القاهرة ، (١) ، ص ١١٢ وما بعدها .

(٣) انظر هنا ص ٤٩ .

(٤) S.E. ، ص ٤٦ وما بعدها ؛ الترجمة الإنجليزية يوجدانوف في J. Cama. Or. Inst.

رقم ٧ (: ١٩٢٦) ، ص ٧ — ٥٢ .

ويؤسهم من اللدد أو بكتابات تُرسل إليهم على نشابة فيها تنبيط لهمهم . وقد لاحظ
اينسترنزف أن الفروق الأولى بين الفن الحربى عند الإيرانيين وعند الرومان
البيزنطيين قد زالت قليلا قليلا ، حتى صارت النظريات الحربية عند الأمتين واحدة
تقريبا . ونتيجة هذا أننا نستطيع الإفادة من أوصاف حوادث القتال أو الرسائل
الحربية البيزنطية لكي نوضح تفاصيل نص « الآيين نامك » . وهو مافعله الأستاذ
الروسى فى تعليقاته المفصلة على ترجمته للنص المشار إليه . والواقع أن الكاتب قد وجد
بين النظريات الحربية عند الأمتين صلات قد تؤدي إلى افتراض وجود رابطة أدبية
بينهما . ومن الممكن الاستفادة من كلام اينسترنزف أيضا فى بعض المعلومات التى
ذكرها المعلقون الساسانيون على « الأريتشترستان » .

إن الإقليم الجبلى الذى يمتد ما بين أقاصى شرق البحر الأسود والمجرى الأوسط
لدجلة لا يقف حدا طبيعيا فاصلا بين الإمبراطوريتين العظيمتين ، إمبراطورية الشرق ،
وإمبراطورية الغرب . ولو أن أرمينية كانت قوية لدرجة تكفى على حفظ استقلالها
من اعتداء الدولتين الكبيرتين لاستطاعت أن تكون حائلا بينهما ، ولكنها كانت
ضعيفة جدا . وكان يحكم أرمينية ملوك يمتون بصلة النسب البعيد إلى الأشكانيين .
ولكن موضعهم هناك لم يكن ثابتا . فقد كان عظماء أصحاب الإقطاع على استعداد دائم
لشق عصا الطاعة كما كان نفوذ الرومان متفوقا على النفوذ الإيراني .

ولم يأت أردشير الأول بنتائج باهرة فى حربه مع الرومان وقد قاومته بقوة
المملكة العربية الصغيرة فى الحضر فى الصحراء جنوب نينوى القديمة ولعل الحضر
لم تذعن إلا فى أيام سابور الأول (١) .

(١) تقول الرواية إن الحيرة سقطت بخيانة : فإن ابنة ملك الحضر قد فتحت أبواب
المدنة لملك الفرس الذى عشقته والذى قبل أن يتزوجها جزاء لها على خيانة أبيها . فأرسلت
إليه ليلة العرس ودلته على مدخل الحصن ، ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن إلا وأصحاب
سابور معهم فيه . وقد عمدت فسقت أباهما حتى أسكرته طمعا فى تزويج سابور بإياه . وأمر
سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه . وعمرس سابور بالنضيرة بنت الضيزن
فبات مسعدة . فقال لها سابور مالك لا تنامين . قالت إن جنبي يتجافى عن فراشك قال ولم =

وقد انتهت الحرب مع روما بمعاهدة سلام سنة ٣٤٤ بين سابور الأول والإمبراطور فيليب العربي ، وقد نص فيها على أن يترك الأخير أرمينية إلى الإيرانيين . وقد سُغل سابور بادي الأمر محارب سكان الولايات القزوينية والشعوب الأخرى



١٣ . من نقود سابور الأول
(مجموعة المؤلف)

الناثرة في الداخل وعلى الحدود الشمالية والشرقية . وقد جاء في تاريخ أرييل^(١) « أن سابور ، في السنة الأولى من حكمه ، حارب الخوارزميين ثم الميديين الجليين^(٢) وهزمهم في معركة حامية . ومن هناك ذهب لإخضاع الجليين ، والديلم والهرقانيين (سكان جرجان) الذين كانوا يسكنون الجبال البعيدة المجاورة لبحر قزوين » . وجاء في الكتاب الهلوي المسمى « شهرستانهاى ايران شهر »^(٣) (§ ١٥) إنه هزم في خراسان ملكا تورانياً اسمه بهليزك وقتله ، ثم أنشأ بعد ذلك في المكان

فوالله ما نامت الملوك على ألين منه وأوطأ وإن حشوه لزغب النعام . فلما أصبح نظر فإذا ورقة آس بين عكبتها فتناولها فكاد بطنها أن يدي . فقال لها ويحك بم كان أبوك يغذيانك ؟ فقالت بالزبد والملح والقمح والشهد وصغو الخمر . فقال لها سابور إني لجدير أن لا أستيقك بعد إهلاك أبويك وقومك وكانت حالتك عندهم الحالة التي تصفين . فأمر بها فربطت بغدأرها إلى فرسين جوحين ثم خلى سبيلها فقطعها (الثعالي ، نشر زوتنبرج Zotenberg ، ص ٩٢ ، المسعودي ، مروج ، (٤) ، ص ٤٨) .

ويرى كتاب آخرون من الفرس والعرب أن بطل هذا الحادث هو أردشير أو سابور الثاني ؟ قارن جبريللي ، RSO ، (١٣) ، ص ٢٠٩ . ويأث هذه القصة موجود ، من غير الأساء المدبرة ، في القصة الخيالية المرححة (La princesse sur le pois) لأندرسن .

(١) نشر منجانا (Sources syriaques) ، (١) ، ليبرج (١٩٠٨) ، انظر ماركارث A catalogue of the Provincial capitals of Eranshahr ، نشر مسينا ، ص ٥٢ .

(٢) في آذربيجان (ماركارث) .

(٣) ماركارث — مسينا ، Catalogue ، I ، c .

الذى دارت فيه المعركة المدينة الحصينة نيو — سابور (سابور الطيب) ، وهى نيسابور الحديثة^(١) ، وكانت عاصمة أشهر شهر ومقاطعة الأبارن^(٢) . وكان أردشير قائماً بلقب شاهنشاه إيران ، ولكن سابور بعد انتصاراته وفتوحه قد اتخذ لنفسه ، فى نقوشه ، اللقب الفخم « شاهنشاه إيران وأئيران » أى ملك ملوك إيران وغير إيران^(٣) . وبعد سنوات قليلة ثارت حرب جديدة مع روما . فى سنة ٢٦٠ هزم الإمبراطور فاليرين ثم أسر ، وكان قد قاد بنفسه الحملة ضد الإيرانيين . وقد أحس الشاهنشاه فى ذلك الوقت أنه ملك الشرق والغرب جميعاً . وقد خلع لقب الإمبراطور على رومانى خان بلاده ولجأ إليه ، اسمه كيريادس ، ومع ذلك فإنه لم يتبع لهذا أن يلعب دوراً فى التاريخ^(٤) . وأما مصير فاليرين فجهول . والمحقق أنه مات أسيراً ، ولعله لقي حتفه فى جنديسابور . وروايات المؤرخين الرومان لكتنتيوس وغيره ، التى تصف المعاملة السيئة التى لقىها الإمبراطور من الشاهنشاه تقبل بتحفظ . وتقول الروايات الشرقية إن سابور أخذ فاليرين (الريانوس) ببناء « شاذروان تستر » على أن يجعل عرضه ألف ذراع ، وهو السد الذى يستخدم فى أيامنا أيضاً لتحويل مياه نهر قارون إلى المزارع التى ترتفع عنه ، ويعرف باسم « بند قيصر » أى سد الإمبراطور^(٥) . ومهما يكن من شئ فإنه يحتمل أن يكون الشاهنشاه قد أقام الأسرى الرومان فى منطقة جنديسابور وتستر . وكانوا يقدرون فن الرومان كثيراً . ولا شك أن السد والجسر الكبير فى تستر هما من صنع المهندسين الرومان^(٦) .

(١) أشار حزة أيضاً فى تاريخه إلى بناء سابور الأول لنيسابور (س ٤٨ ، الترجمة ص ٣٥) . ويقول الطبرى (ص ٨٤٠ ، نولده ، س ٥٩) والثعالى (ص ٥٢٩) ، إن سابور الثانى هو الذى بنى نيسابور .

(٢) الأبارن قبيلة إيرانية متقلة من الداها . وكان مؤسس الأسرة الأشكانية رئيساً للأبارن أول الأمر .

(٣) قارن هرتسفيلد ، Paikuli ، س ٤١ .

(٤) سار — هرتسفيلد ، Iran. Felsreliefs ، ص ٧٩ .

(٥) نولده ، الطبرى ، س ٣٣ ، ملحوظة ٢ .

(٦) ديولافوا ، L'art antique de la Perse ، جزء (٥) ، لوحة ١٢ و ١٣ .

أما عن الروايات الشعبية عن بناء جسر شوشتر ، انظر هيار فى Transactions du XIII Congrès des Orientalistes (همبورج ١٩٠٢) ، ص ١١٥ وما بعدها .

وقد خلد سابور انتصاره على فاليرين في آثار عدة . ففي نقش كبير ، بنقش
رستم ، يرى سابور وهو يهب الحياة في عظمة ، للإمبراطور المغلوب . يصل الشاهنشاه
على حصان رجله اليمنى مرفوعة ، وفوق التاج الملكي ترتفع كرة القماش المحيطة عالية
إلى حد الجأت إلى إطالة الجانب الأملس من حاشية الصخر بشكل نصف دائرة ،
ليتسع لها . ونهاية لحية الملك كثيفة ومجمدة وقد جمعت في خلفة ، وخلف شعره
المجمد أيضا وخلف ظهره الأشرطة المعتادة في اللباس الملكي ، وقد رسمت في طيات
متوازية . وقد ارتدى ثوبا ضيقا وسروالا يتعصن على ساقيه ، وتحلى بعقد وقرط وقد
انتصب على السرج المزركش ممسكا بيده اليسرى قبضة سيفه وكان مائلا ، باسطة يده
اليمنى في رحمة نحو فاليرين الذي جثا أمامه على ركبته . وكان الإمبراطور يلبس
إكليل النار ، وكان الهواء يلعب بردائه فتطاير وراء ظهره : لقد أقبل بكل سرعة
لكي يرتقى على أقدام الملك الظافر ، في صورة خاشعة وقد ثنى ركبته اليمنى ،
وأسند اليسرى إلى الأرض ، ومد ذراعيه نحو الشاهنشاه يلتصق عفو . ووقف
بجانبه رجل يلبس اللباس الروماني كذلك . ويرى سار أنه كريادس ، عدو القيصر .
وهذا النقش من أحسن ما أنتج الفن الساساني ، فالمنظر مملوء بالحياة وقد عبر عن
موضوعه تعبير آرائعا . ويظهر أن صورة أخرى قد نقشت على الحجر ، في عصر لاحق
تمثل فارسيا تظهر رأسه ويداه المرفوعتان تجلة خلف حصان الملك ، فوق كتابة
بهلوية غير الزمان معالمها^(١) .

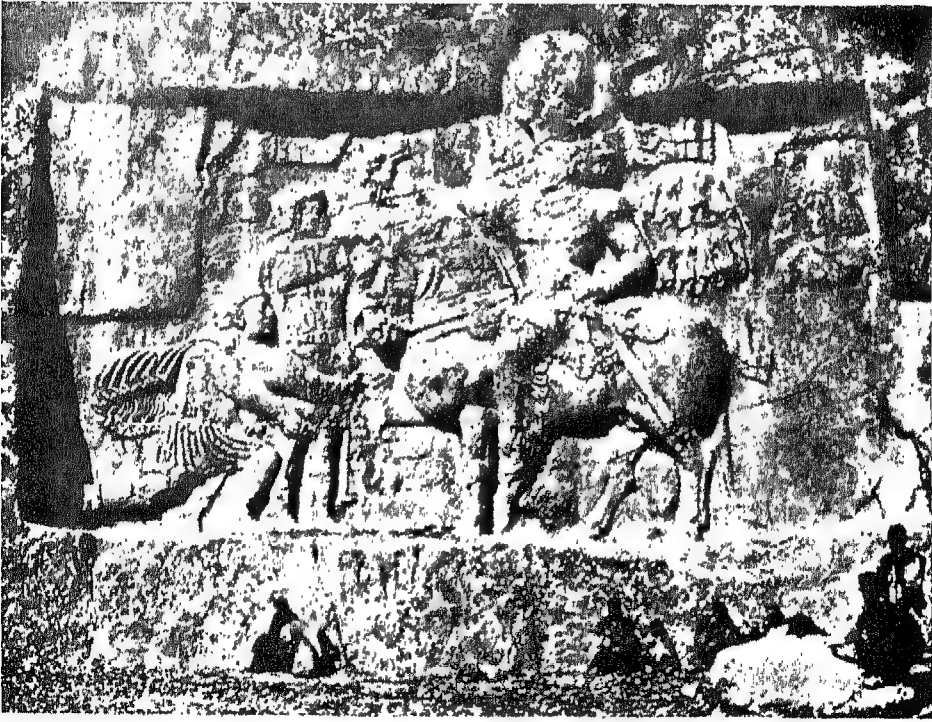
ويظهر المنظر نفسه ، مع تفاوت في مجموع الأشخاص ، في نقش بغرب مدينة
سابور التي شيدها سابور الأول ، غربي اصطخر^(٢) . (رسم ١٤) .

وقد صور انتصار ملك إيران على نقشين كبيرين في جوانب صخور مدينة سابور .
فنقش يرينا ، في الوسط ، سابور ممتطيا جوادا وكريادس واقفا على رجله . وتحت
حصان الملك صورة آدمي ملقى على الأرض ، وأمامه الإمبراطور راكما . وترى صورة

(١) ديولافوا Dieulafoy ، (٥) ، لوحة ١٥ ؛ سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ،

لوحة ٧ وصفحات ٧٧ — ٨٠ ؛ سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ٧٤ .

(٢) ديولافوا ، لوحة ١٨ ؛ سار — هرتسفيلد ، لوحة ٤٤ ، ص ٢٢٢ .



١٤ . ظفر سابور الأول على واليرين ، رسم بارز في نقش رستم
(سار . فن فارس القديمة)

الملك نفسه يحلق في الفضاء وهو يقدم للملك الظافر تاجاً من ورق الشجر له أشرطة
تتطاير ، وعلى اليمين واليسار وقف الفرسان والمشاة الإيرانيون في صفين متقابلين ،
وهم يمثلون الفرق الحربية لمختلف الشعوب بأسلحتهم المتفاوتة^(١) .

وحجم النقش الشانئ كبير كبيراً يفوق المعتاد ويشمل مجموعة من الصور منتظمة في
صفوف أربعة بعضها فوق بعض وهو اليوم دارس جداً . وفي وسط الصف
الثالث تظهر صورة كل من الملك والإمبراطور على الهيئتين التي يظهران بها في النقش
الذي وصفنا من قبل ، فالملك يمتطي صهوة جواده وقد جندل تحت أقدامه صورة
آدمية ، ووقف بجانبه كريادس وكان الإمبراطور راكعاً وبأسطاً ذراعيه . وبجانب

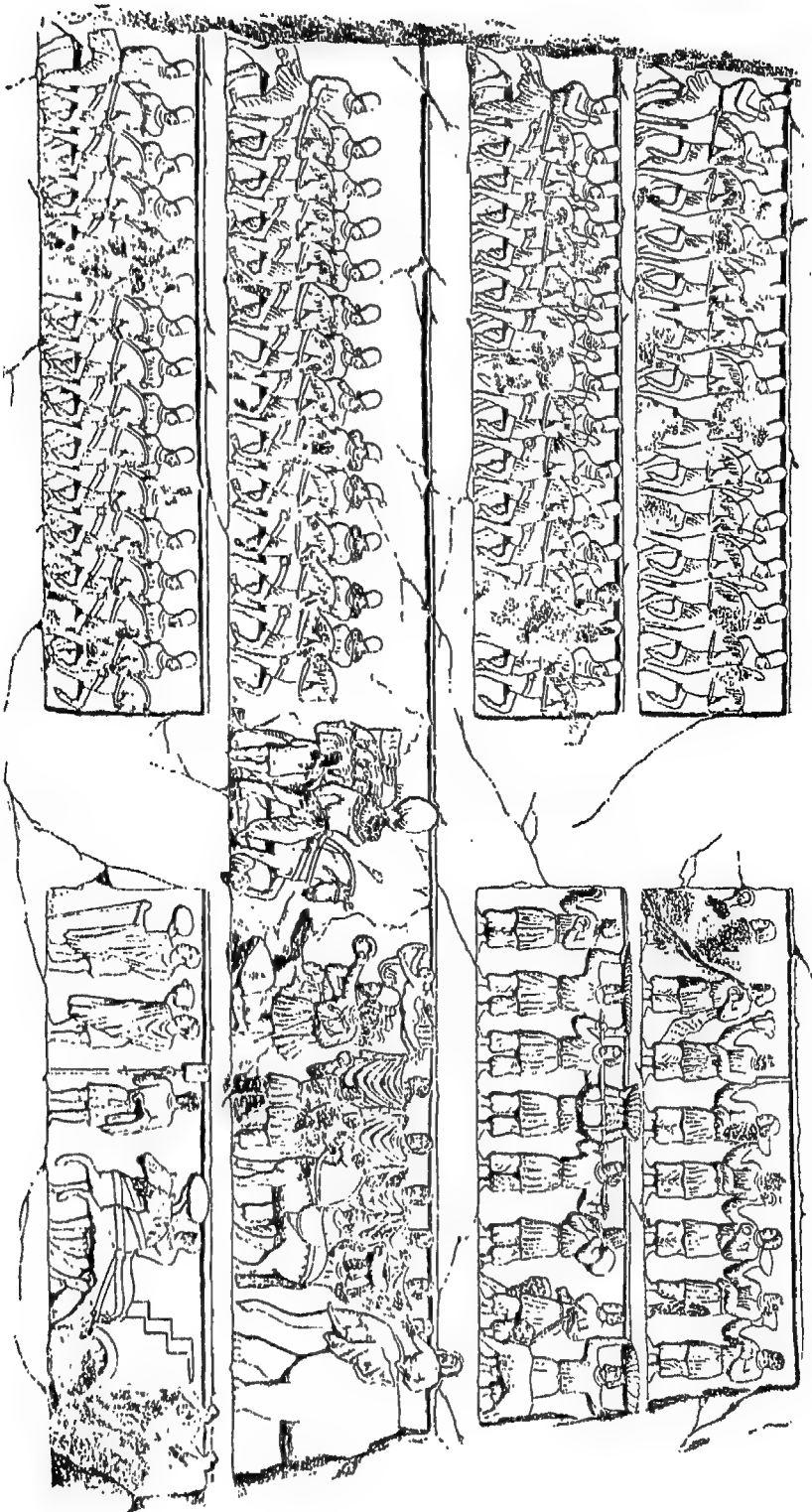
(١) ديولافوا ، لوحة ٢٠ ؛ اندرياس وستولز ، Persopolis ، لوحة ٤٣ ؛ سار —

مرتسفيد ، لوحة ٤٥ ، ص ٢٢٣ .

هذا الأخير رجلان يلبس أحدهما القلنسوة الإيرانية العالية ويقدم الثاني خاتما أو تاجا للملك . ويحلق فوق هذا صورة الملاك نيكة . وخلف هذه المجموعة وقف بعض الروم ممن يرتدون ثياب الرومان ، كما وقف جماعة من الرجال يسوقون حصانا وفيلًا ؛ ورجل آخر يضع قصعة فوق رأسه . وهذه الصورة تشغل الناحية اليمنى من الصف الثالث . وعلى الصفين الأعلى من هذه الناحية نفسها تظهر صور رجال يرتدون سُترا تتدلى حتى ركبهم وسراويل تهبط إلى كعبهم ، وهم يحملون القصاع والسيوف والخيول ، وكيسا ، لعلهم يملأون بالنقود ، ويمسكون أسدين موثقين . . . وفي الصف الأسفل أشياء أخرى من الغنائم ومن بينها علم روماني ، وفي آخره عربة الإمبراطور الحربية يجرها جوادان . وأما الصفوف الأربعة من النصف الأيسر للنقش فإنها تمثل الفروسية الإيرانية ، ومعظم الرجال يلبسون فوق رؤوسهم قلنسوة أسطوانية طويلة أعلاها مستدير . وخمسة الفرسان الذين يقفون خلف الملك مباشرة ، في الصف الثالث ، صفقوا شعورهم دوائر مجمدة كما يفعل الملك ، ولعلهم أمراء من الأسرة الملكية وقد لبس اثنان منهم قلنسوة أو خوذة مدية تميل قمتها إلى الأمام . وقد وقف جميع الفرسان في الصفين الأعلى في احترام وقد أشار كل منهم بسبابة يده اليمنى إلى الأمام^(١) (رسم ١٥) .

وقد لقي سابور الهزيمة ، بعد وقت قصير من أسر فاليرين ، وذلك على يد عدو صغير الشأن . فقد استخف الملك بأذينة الحاكم العربي لمدينة تدمر في الصحراء السورية ، وهي المركز المهم للتجارة بين الشرق والغرب ، ففي أثناء عودة سابور إلى بلاده بعد اجتياح سوريا وكبادوكية جمع أذينة إلى قواته الفرق الرومانية ثم هاجم الجيش الإيراني فاضطر هذا إلى الارتداد إلى ما وراء نهر الفرات بعد أن منى بخسائر فادحة . فاستولى أذينة على السكرخ ونصيبين وامتد سلطانه إلى الشام ومعظم الأقاليم الرومانية في آسيا الغربية شبه وال مستقل عن روما ، وقد خلع عليه الإمبراطور جالينوس لقب إمبراطور . وقد استمر الإيرانيون يحاربون تدمر بغير جدوى حتى

(١) فلاندان وكوست ، (١) ، لوحة ٥٣ ؛ سار — هرتسفيلد ، لوحة ٤٣ ، ص ٢٢٠ وما بعدها ؛ وقد جاء النصف الأيمن من النقش في كتاب ديولافوا ، (٥) لوحة ١٩ .



۱۵ . نقش بارز لطیف ساپور الأول فی شاهپور
(کار رسمه فلائندان و کورست)

سنة ٢٦٥ . فلما قتل أذينة استولت أرملته الزباء (زينب أوبت — زينبا) على مقاليد الحكم وصية على ابنها وهب اللات . وقد أراد وهب هذا أن يستقل نهائيا



١٦ . من نقود بهرام الأول
(متحف كوبنهاجن)

عن الإمبراطورية الرومانية فسمى نفسه في سنة ٢٧١ أجستوس (العظيم) . حينئذ سار الإمبراطور أوريلين بجيش قوى إلى تدمر . فاستولى على المدينة وخرّبت بعد دفاع مجيد نظمته الزباء . وقد حاولت هذه الملكة ، عبثاً ، أن تلجأ إلى الإيرانيين ، ثم وقعت أسيرة في أيدي الرومان سنة ٢٧٢ ، واقتيدت إلى روما ، والخرائب الباقية من تدمر تشهد بعظمة الدولة التي عاشت فيها بعض الزمان^(١) .

وتوفى سابور في سنة ٢٧٢ . وهناك حجر عظيم من الشكل اليوناني الروماني عليه اسم سابور الأول بالهلوية ، ولكن الصورة من الآثار الإغريقية الأكثر قدماً ، وقد حفر سابور اسمه عليها^(٢) .

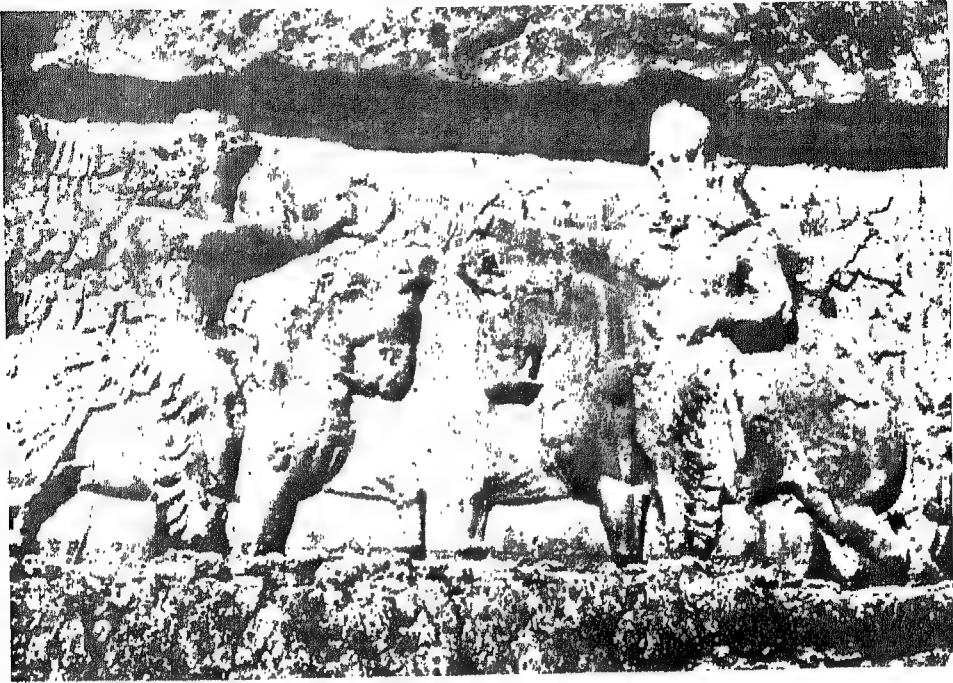
ولا نكاد نعلم شيئاً عن الحوادث السياسية التي جرت في عهدي هرمزد الأول (٢٧٢ — ٢٧٣) وبهرام الأول (٢٧٣ — ٢٧٦) ابني سابور الأول . وفي نقش منحوت في صخر سابور نرى بهرام الأول^(٣) يتلقى تتويجه من يد الإله

(١) انظر اينغولت Studier over palmyrensk Skulptur ، كوبنهاجن ١٩٢٨ .

(٢) سار ، Die Kunst des alten Persien ، ص ٤٥ ؛ هرتسفيلد Paikuli ، ص ٧٤ .

(٣) على النقش كتابة لنرسي ؛ هكذا نسبها سار أول الأمر (ص ٢١٥ وما بعدها من Die Kunst des alten Persien الحديث (ص ٤٠)) ، ولكنه في كتابه الحديث (Paikuli ، ص ١٧٣) ، بطراز النقش وصفات ينسبها إلى بهرام الأول . وقد بين هرتسفيلد (Paikuli ، ص ١٧٣) ، بطراز النقش وصفات الملك ، أن نرسي قد زور اسمه على نقش أخيه الأكبر . وهذا الرأي لا شك فيه ، لأن تاج الملك هو تاج بهرام الأول الذي نراه على نقوده وهو يختلف عن تاج نرسي .

أوهرمزد . وكان يلبس تاجا ذا أطراف مدببة يظهر أن الكرة للنسوجة كانت توضع فوقها . والملك والإله ، الذي لبس التاج ، راكبان . ويتقبل أولهما الخاتم الذي يده أوهرمزد إليه . ويفوق هذا النقش كل النقوش التي سبقته من حيث جودة الفن . فقد كاد يختفي عدم التناسب بين الحصان والفارس ، كما يقول سار « فإننا نرى لأول مرة أن الخيل وقد وقفت ، في حسي مرهف ، منتظمة في حركاتها وسكناتها ، وأطراف أرجلها وعضلاتها واضحة بنوع خاص » . وبالرغم من أن الفنان كان مضطرا دائما لرعاية التقاليد في تصوير الملك فقد عرف كيف يبرز الملامح في هيئة بهرام ووجهه « فرغبة الأمير في تسلم رمز المملكة الذي يده إليه الإله ، واضحة وضوحا تاما » . (رسم ١٧ ^(١))



١٧ . نقش بارز لتنصيب الملك بهرام الأول
(سار . فن فارس القديمة)

(١) سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، لوحة ٤١ ، ص ٢١٥ وما بعدها ؛ سار .
Die Kunst des alten Persien ، لوحة ٧٨ .

واستؤنفت الحرب مع روما أيام بهرام الثانى (٢٧٦ — ٢٩٣) ابن بهرام الأول . وتقدمت جيوش الإمبراطور كاروس حتى بلغت المدائن ، ولكن الروم تراجعوا عنها لوفاة كبيرهم جفأة . وفى سنة ٢٨٣ عقد صلح تملك به روما أرمينية والجزيرة . وقد كان لتنازل الملك عن هاتين الولايتين للعدو الذى كانت قواه قد وهنت أسباب وجيهة : ذلك أن ثورة خطيرة قد شبت فى الشرق .

والنقود المسماة « السيت الساسانية » والى كانت تضرب باسم نائب الملك فى الجزء الشرقى من إيران (خراسان)^(١) تدل على أن هذه الولاية الكبيرة ، إلى زمن بهرام الثانى ، كان يحكمها دائماً أمير من البيت المالك يلقب بكوشانشاه . وهكذا سمي فيروز أخو سابور الأول « كوشانشاه الأعظم » على نقوده . ثم بعد سنة ٢٥٢ ولى سابور الأول^(٢) ابنه هرمزد (الذى صار هرمزد الأول فيما بعد) حاكماً على خراسان مع اللقب الأنخم « شاهنشاه بزرگ كوشان » أى ملك ملوك كوشان العظيم . وقد ولى هذا المنصب الكبير كل من بهرام الأول وبهرام الثانى قبل أن يرقيا عرش إيران .

وفى أيام بهرام الثانى حكم خراسان أخوه هرمزد . ولكن هرمزد هذا ثار أثناء الحرب مع روما ، وحاول أن يجعل لنفسه إمبراطورية مستقلة فى الشرق بمساعدة الساجيين والكوشانيين والجليلين . فلأجل هذا أسرع بهرام الثانى لإنهاء الحرب كي يلقى بقواته جميعاً لقتال أخيه الثائر . وقد أخمدت الثورة وخضعت سجستان ،



١٨ . من نقود بهرام الثانى
(متحف كوبنهاجن)

(١) انظر ص ١٢٦ — ١٢٨ .

(٢) قارن ص ١٨٥ — ١٨٦ .

وولى عليها الأمير بهرام (بهرام الثالث فيما بعد) ولقب ساجانشاه أى (ملك الساج) وذلك أن الأمير المرتقب لعرش إيران كان ، كما يقول هرتسفيلد ، يعين حاكماً لأهم الولايات أو لآخر ما فتح منها^(١) .

وقد خلف بهرام الثانى نقوشاً هامة من الناحية الأثرية . ففي نقش رستم ، بجانب نقش تنصيب أردشير الأول ، أعد بهرام نقشا أصغر حجماً ، حيث يبدو واقفاً وسط أسرته ، لأن هذا الملك كان يحب أن يظهر رب أسرة . وترى صورة الوجه الجانبية له وللملكة على نقوده ، وأمامهما أمير صغير قد أدار وجهه نحوهما ؛ ويلبس الملك التاج المزين بالكرة التقليدية وبجناحي النسر بينما غطاء رأس الملكة والأمير على هيئة رؤوس الحيوانات (صورة ١٨) . وعلى نقش رستم^(٢) يشغل الملك المكان الأوسط وشعره ولحيته مصفوفتان على طريقة ملوك الساسانيين ، والتاج الممنوع فوق رأسه ، وقد استندت يده على مقبض السيف الطويل المستقيم . وأمامه ، يساراً ، ثلاثة أشخاص يتجهون بوجوههم نحوه ، ولكن تقاطيعهم لا تظهر إلا قليلاً . ويعتقد سار أن الأول هو الأمير بهرام ساجانشاه وأن الآخرين اللذين يلبسان خوذتين على شكل رؤوس الحيوانات هما الملكة والأمير الصغير المعروفان من النقود . وخلف هؤلاء الثلاثة شخص لا لحية له ، يلبس القلنسوة العالية التى يلبسها كبار القوم ، وقد رفع يده تجلّة . وآخر الصف رجل لم يرفع يده ويدل تصفيف شعره وهيئته على أنه من أفراد الأسرة المالكة . ويرى سار أن الرجل ذا القلنسوة العالية هو الموبدان موبد وأن الثانى هو الأمير نرسى ، عم الملك . وخلف الملك ، فى النصف الأيمن من النقش ، وقف ثلاثة من العطاء ذوى القلنسوة العالية ، وقد رفعوا أيديهم اليمنى^(٣) .

(١) هرتسفيلد Paikuli ، ص ٤٢ وما بعدها . New light on Persian History .
(J. Cama. Or Inst.) from Pahlavi Inscriptions . ، رقم ٧ ص ١١٠ — ١١١) ،
Kushano-Sassanian Coins (رقم ٣٨ من Memoirs of the Archaeological Survey of India)

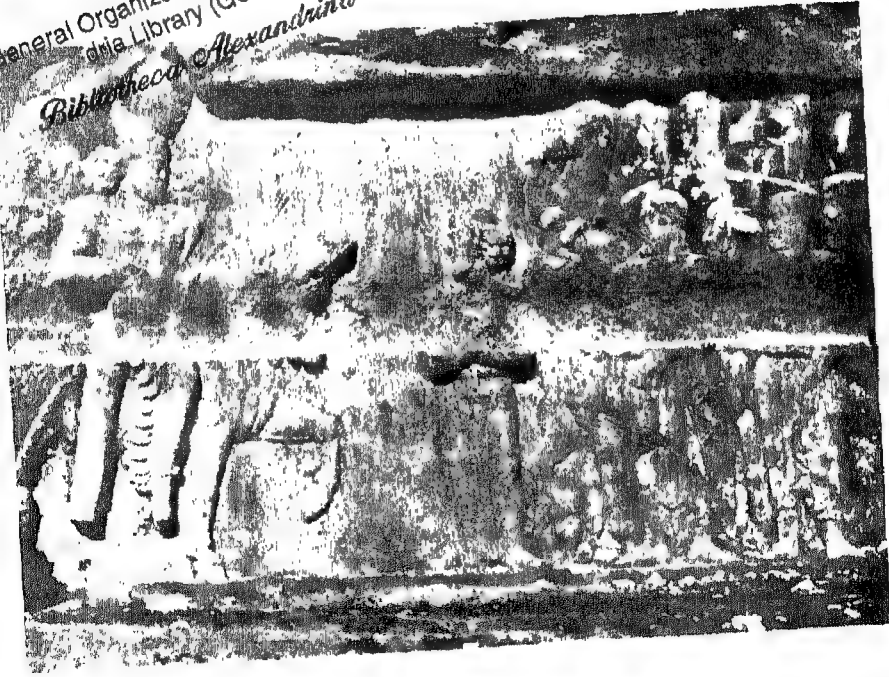
(٢) انظر رسم ٢ ، على اليمين (ص ٧٨) .

(٣) ديولافوا ، (٥) ، لوحة ١٤ : سار — هرتسفيلد Sarre-Herzfeld ، لوحة ٥ ،
ص ٧١ وما بعدها . واسمر ، Numismatic Chronicle ، السلسلة الخامسة ، المجلد (٨) ،
ص ٢٨٦ ، ٢٨٨ .



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

— ٢١٩ —

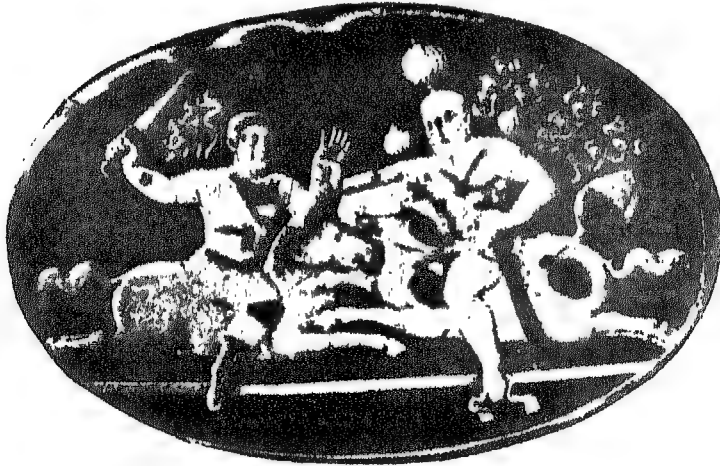


١٩ . نقش بارز لظفر بهرام الثانى فى شاهپور

(سار . فن فارس القديمة)

وقد نقش بهرام الثانى على صخور سابور صورة النصر ، وقد رأى فيها رولنسن وديولافوا صورة الانتصار على الساجيين ؛ وأما سار فيعتقد أن الرجال ذوى الأردية الطويلة الذين يقادون أمام الملك والذين تبدو رؤوسهم مغطاة بقطعة من الفسيح مشدودة إلى خيط (؟) هم ممثلو قبيلة عربية أكرهت على الخضوع . ويرى بهرام ، الذى ثبتت شخصيته من خوذته المهنجة ، راكبا حصانا . وشعره ولحيته على الشكل الممهود . والأشرطة ذات الطيات الملحقة بالخوذة تتأرجح فى الهواء من ورائه . ويتدلى من حزامه جعبة سهام طويلة . وترى الكرة المستطيلة كالعادة أمام رجله الحصان الخلفيتين . وأمام الملك ، وقف رئيس جيش إيران ، وقد أسند يديه إلى السيف . وتصنيف شعره يبين أنه من الأسرة المالكة . وقد تبعه رئيس الأعداء

القهورين ، ويرى واضحاً في هذه المجموعة حصان ورأساً جليين^(١) . (صورة ١٩) .
وينسب هرتسفيلد صور نقش رستم التي أشرنا إليها آنفاً^(٢) (صورة ١١) ،
والتي تمثل معركة فرسان إلى بهرام الثاني^(٣) . وهناك نقشان آخران على صخور
نقش رستم ، عدا عليهما الزمان ، وعليهما مناظر مماثلة ، ترجع غالباً إلى ذلك
الوقت^(٤) . والباعث على معركة الفرسان بين الملكين الساساني والروماني المذكور
على حجر عتيق أسود من محفوظات المكتبة الأهلية في باريس (صورة ٢٠) ،
ومن المحتمل أن يكون بهرام الثاني هو الملك المصور عليه^(٥) .



٢٠ . معركة بين فارسين
(سار . فن فارس القديمة)

(١) ديولافوا ، (٥) ، لوحة ٢١ ؛ سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، لوحة ٤٢ ،
ص ٢١٧ وما بعدها ؛ سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ٧٩ — في برم
ديلك ، على مقربة من بازارگرد القديمة ، نقش في الصخر نقشان بارزان أتلتهما الزمن ،
ويرى سار (Felsreliefs) ، لوحة ٣٢ ، ص ١٨٧ وما بعدها) أن في هذين النحتين منظر
تنويج بهرام الأول أو الثاني والملكة .

(٢) ص ٢٠١ .

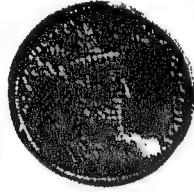
(٣) Am Tor von Asien ، ص ٤٣ — ٤٤ .

(٤) سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، لوحة ٨ و ٥١ ؛ قارن سار ، Die Kunst
des alten Persien ، ص ٤١ .

(٥) رقم ٣٦٠ من بابلو ، Catalogue des Camées de la Bibliothèque

Nationale ؛ سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ١٤٥ .

وبعد موت بهرام الثانى فى سنة ٢٩٣ ولى العرش ابنه بهرام الثالث ، ولكن حكمه لم يدم غير أربعة شهور . فقد ثار عليه أكبر أعمامه ، نرسى بن سابور الأول (صورة ٢١) ، ثم انتصر . وهذا هو الموقف الذى يتكون منه النقش الكبير الذى عمله نرسى فى بيكولى^(١) . ومن المحتمل أن يكون بهرام الثالث قد احتفظ بسلطانه على بعض أجزاء من إيران الشرقية^(٢) بعد سنة ٢٩٣ .



٢١ . من نقود نرسى
(متحف كوبنهاجن)

وقد نقش نرسى صورة تنويجه المقدس على صخور رستم .

وهذا هو الباعث المشهور : فإن الملك يتسلم الخاتم ذا الأشرطة ، رمز السلطة الملكية ، من يد إلهه ، إلهة أنثى هنا ، يرى فيها سار أنها أناهيتا وقد ارتدى الملك الثوب العادى اللاصق به ، أما التاج الذى يرى على بعض نقود نرسى فإنه على هيئة قلنسوة قصيرة يتفرع منها أشعة عمودية ، ومن فوقه الكرة المنسوجة الكبيرة ، وكان شعره المجد الذى تهدل فى تموجات عظيمة على كتفيه ، ولحيته المديدة التى تجمع طرفها فى خاتم ، والأشرطة التى ترفرف خلف رقبته ، والعقد اللؤلؤى ، كل هذا قد نقش حسب الرسم التقليدى . والإلهة تلبس فوق رأسها التاج ذا الجدار المفتوح الخاص بالآلهة والإلهات التى صورت فى النقوش الساسانية ، والذى ترى منه دوائر الشعر المجددة فى قمة الرأس . وكانت صنفائر الشعر تهدل فوق الرقبة والذراعين ،

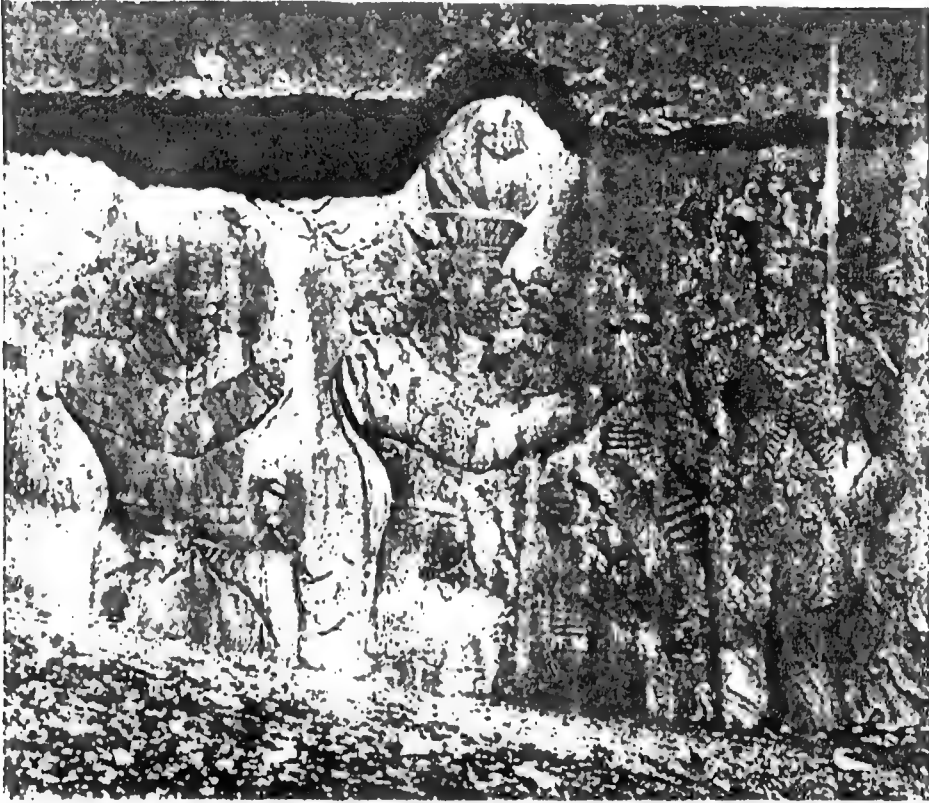
(١) انظر هنا ص ٣٧ ، ٣٨ . يرى شيدر (Gnomon) ، (٩) ، ص ٣٤٤ ملحوظة

(١) فى أسماء الملوك الساسانيين الأول علامات ، أثبتها طابع نقش بيكولى ، على أن تطور الضمير الوطنى الفارسى للسيادة الساسانية قدم فى عهد نرسى .

(٢) نولدكه ، Tabari ، ص ٤١٦ .

أما الرداء فقد زرع بزُرارٍ مزين بالأشرطة عند الصدر تحت العقد اللؤلؤى ، وبخزام
في الحصر .

ويرى بين الملك والإلهة صورة طفل طامسة ، لعله ابن نرسی ، هرمزد الثاني
فيما بعد . ووقف خلف الملك أحد كبار الأشراف ، وكانت قلنسوته العالية على هيئة
رأس الحصان ، وعليها شارة مميزة ، وقد رفع يده في وقفة الإجلال العادية^(١) .
(صورة ٢٢) .



٢٢ . نقش بارز لتنصيب نرسی ، في نقش رستم
(سار . فن فارس القديمة)

(١) ديولافوا ، (٥) ، لوحة ١٦ ؛ سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، لوحة ٩ ،
س ٤٨ وما بعدها ؛ سار Die Kunst des alten Persien لوحة ٨١ .

ولم يكن نرسى موقفاً في حربه مع روما . لقد طرد ملك أرمينية ، رُذات ،
الذى كان يدين بعرشه لحماية الإمبراطور . ولكن جاليريوس قاد الجيش الرومانى
وعُلب نرسى ووقعت زوجه للمسكة أرسان أسيرة في أيدي الرومان . واضطر نرسى
أن يتنازل للرومان عن مقاطعات من أرمينية الصغرى ؛ وعاد رُذات ملكاً على
أرمينية . واعترفت أيريا (جورجيا) بسيادة الإمبراطور^(١) .



٢٣ . من نقود هرمز الثانى
(متحف كوبنهاجن)

واستمر السلم الذى عقد بين إيران وروما ما يقرب من أربعين سنة ، ثم أعقبت
حكم هرمزد الثانى ابن نرسى (٣٠٢ — ٣٠٩ — ٣١٠) الذى اشتهر بأنه ملك
رقيق الحاشية وعادل ، معارك حامية الوطيس . فقد ولى العرش آذر — نرسى أحد
أبناء هرمزد الثانى من زوجته الأولى ، ولكنه لم يكن محبوباً من العظماء ، فعزل
بعد أشهر من حكمه ، وسملت عيناً أحد إخوته ، وسجن آخر اسمه هرمزد ، ولكنه
وفق إلى الإفلات من سجنه واحتفى بالرومان . ولكن العظماء نصبوا على العرش
أحد أبناء هرمزد الثانى من زوجة أخرى ، الأمير سابور كان طفلاً وقتذاك^(٢) .

وقد حكم سابور الثانى سبعين سنة متواصلة (٣٠٩ أو ٣١٠ — ٣٧٩)^(٣) .
وحكمت أمه يساعدها العظماء حين كان قاصراً . وتذكر المصادر الشرقية كيف أبدى

(١) انظر يوسقي ، GIPH ، (٢) ، س ٥٢٠ .

(٢) تولدكه Tabari ، س ٥١ ملحوظة ٣ . وقد افترض هرتسفيلد ، وفقاً لنقش في
پرسپوليس يصعب حله (هرتسفيلد ، Paikuli (١) ، س ١٢١ و ٥٠ ؛ Archaeologische
Mitteilungen aus Iran ، (٤) ، س ٢) ، وجود سابور ثان كان أخاً لسابور الثانى وكان
يلقب بسكانشاه .

(٣) ٣٠٩ — ٣٨٠ فى رأى هنريش شميدت (Syria ؛ ١٩٣٤ ، س ٢٢) .

سابور، وهو طفل بعد، اتجأها إلى الإصلاح عجيبا. فقد كان ينام ذات مرة في القصر الملكي بالمدائن فاستيقظ على ضجة كبيرة أمام القصر. فلما سأل عن سبب هذا



٢٤. من نقود سابور الثاني

(متحف كوبنهاجن)

المصخب أجابوه بأنه ناجم عن تراحم القوم على جسر دجلة حيث يتقابل الناس في الذهاب والإياب. فأمر الملك في الحال بتشديد جسر آخر بجانب الأول بحيث يكون أحد الجسرين للذهب والآخر للإياب^(١).

وليس لدينا معلومات محددة عن الثلاثين سنة الأولى من حكم سابور الثاني. ولكن ما حدث من تركه سنوات عدة تنقضى بعد بلوغه سن الرشد دون التفكير في شن الحرب الانتقامية على الرومان يحملنا على الاعتقاد بأنه كان عليه أن يذل مصاعب داخل بلاده. ويحتمل أن يكون قد وجه جهوده الأولى إلى الحد من سلطان «الشهر داران» و«الواسپوران» ذلك السلطان الذي عظم كثيراً أيام الوصاية. فقد كانت تقاليد العهد الأشكاني لا تزال تجري في دماء الأشراف. وحينما كان ملك قليل اليقظة يسلس القيادة لأطباعهم، كان يخشى طغيان الأرستقراطية والفوضى الإقطاعية. ولعل الملك الصغير كان مشغولاً أيضاً بحماية الحدود ضد الأعراب. ويشير الطبرى وغيره من الكتاب الشرقيين إلى معارك مظفرة ضد القبائل العربية واحتلال البحرين على الشاطئ العربي للخليج الفارسي في أيام سابور الثاني^(٢).

وكان سابور الثاني ملكاً عظيماً جديراً بأن يخلف أردشير الأول وسابور الأول وبهرام الثاني. وقد أطلق عليه الإيرانيون لقب «ذى الأكتاف» لأن الروايات

(١) الطبرى، ص ٨٣٧، تولدكه، ص ٥٤.

(٢) رودشتين، Die Dynastie der Sasaniden، ص ١٣١ وما بعدها.

تقول إنه كان في حربه الشديدة مع العرب ينقب أكتاف أسرام^(١) .
وأخيراً أعد العدة لقتال روما بعد أن وطد سلطانه . وكانت حوادث هامة قد
حدثت في الإمبراطورية الرومانية ، فقد دخل قسطنطين الأكبر في الدين المسيحي .
وكان من نتيجة إدخال الدين المسيحي في أرمينية ، وقد أدخله فيها حوالي هذا الوقت
تردات وأتباعه ، توثق الصلات بين روما وأرمينية ، وإذا كان الإمبراطور جوليان
المرتد قد حارب المسيحيين فإن أثره لم يدم ، ولم يغير شيئاً في هذا المركز . وكان بين
الأرستقراطية العليا الأرمينية أحزاب تسمى ، وراء مطامعها الشخصية ، إلى مساعدة
الإيرانيين . وكانت أرمينية دأمة التمزيق بما بين أحزاب كبار النبلاء من تطاحن ،
وتوالى اغتيال الأمراء والمؤامرات والحجانات ، وكان كل هذا يؤدي أيضاً إلى تدخل
روما أو إيران . وقد ظلت أرمينية ميداناً للحروب الإيرانية الرومانية .

وفي هذه المرة تذرع سابور بالمنازعات الداخلية في أرمينية لبدء الحرب التي أراد
بها استرجاع البلاد التي فقدت بهزائم نرسى . واجتاح أرمينية بغير صعوبة ثم اصطدم بعد
ذلك بالرومان في الجزيرة . وكان قسطنطين قد مات فأشرف خلفه كونستانتس الثاني
على سير الحرب الرومانية^(٢) . وقد ثبتت قلعة نصيبين لهجمات الفرس المتوالية ،
وظهر الرومان بمعركة سنجار ، ولكن هذا النصر تلتته هزائم عديدة . وبعد ذلك

(١) يذكر الكتاب العرب الذين ينقلون عن المصادر الساسانية لقب سابور « بنى
الأكتاف » . ويرى نولدكه أن هذا اللقب كان في الأصل صفة مشرفة لاذ معناها الرجل
القوى الأكتاف أى الذى يستطيع تحمل أعباء الحكومة الثقيلة . ولكن حزة والكتاب
الذين ينقلون عنه يذكرون لقب سابور بالصيغة الفارسية « هوبه ستبا » ، وهى كلمة معناها
« نقاب الأكتاف » . ويعتقد نولدكه (Tabari ، ص ٢٥ ملحوظة ١) أن هذا التركيب
صناعى وأنه زكب وفقاً لمعنى التعبير العربى . ولكن التعبير عن كلمة « كنف » بالكلمة
الفارسية القديمة « هوبه » تجماعى أظن أن الصيغة التي ذكرها حزة هى في الواقع ذكر لاسم
يهلوى وأن التفسير المتفق عليه هو صحيح في الواقع (نقاب الأكتاف) . وهذا وليست هذه
أول مرة في تاريخ الساسانيين يذكر فيها هذا التعذيب الوحشى : فإن كسرى الثاني حين غضب
على المنجمين هددهم بخلع أكتافهم .

(٢) انظر پيترز L' intervention politique de Constance II dans la Grande Arménie en 338
فصله من مجلة الأكاديمية المسكية البلجيكية (آداب) ، السلسلة الخامسة ،
المجلد ١٧ (١٩٣١) .

توقفت الحروب على حدود الرومان عدة سنين ، وانهز سابور فرصة هذا السلم ليدفع السكيونيت وغيرهم من الشعوب المتوحشة التي كانت تغزو الأقاليم الشمالية الشرقية . وقد أنهى هذه الحرب بتحالف مع السكيونيت والساجيين في سبجستان^(١) .

وفي سنة ٣٥٦ وجه موسونيانس قائد الحرس الملكي الروماني إلى المزربان الإيرانياتهم — سابور اقترحا للصلح فرفعه هذا إلى الملك . وكان سابور قد أمن الحدود الشرقية فأرسل سفيراً إلى الإمبراطور كونستانس مع الهدايا ورسالة ملفوفة في الحرير الأبيض وفيها : « يحيي سابور ، ملك الملوك رفيق النجوم ، أخو الشمس^(٢) والقمر ، أخاه القيصر كونستانس ، وقد أدرك — مغتبطاً — أن الإمبراطور قد أصلح بالتجربة خطأه وعاد إلى الطريق السوي . وقد مد آباؤه (آباء سابور) سلطانهم حتى نهر ستريمون وإلى حدود مقدونيا ، وأنه هو (كذلك بغير غرور) قد جاوز في الجلال وكثرة الفضائل ، الملوك الأولين ، وأن عليه أن يستعيد أرمينية وبلاد الجزيرة اللتين أخذنا غصباً من جده . وإنا لن نحيي الرأي الذي أجزته في عتوك ، الرأي الذي يرى كل فوز في الحرب جديراً بالثناء ، من غير أن يفرق بين نصر يرجع إلى الشجاعة ونصر أساسه الحيلة الخادعة ، وكما أن الأطباء يكوون أو يترون أعضاء الجسد أحياناً حتى يستطيع استخدام أعضائه الأخرى ، فعلى الإمبراطور أن يتنازل عن جزء صغير من أرضه على هذه الطريقة ، عن الجزء الذي كان مصدر القاق وإراقة الدماء ، حتى يحكم هادئاً باقي مملكته . وإذا عاد السفراء الإيرانيون من غير أن يظفروا بشيء فإن الملك العظيم سيسير بكل قواه لحرب الإمبراطور ، بعد استراحة الشتاء » .

وكان جواب « كونستانس المظفر في الأرض والبحر والعظيم دائماً إلى أخيه الملك سابور » رفضاً خالصاً مع لوم شديد للملك الجشع الذي يتزايد جشعه على الدوام . وإن كان الرومان قد آثروا — أحياناً — الحرب الدفاعية على الحرب

(١) ماركارث ، Eranšahr ، ص ٣٦ و ٥٠ . وفي نص آمين Ammien وردت كلمة سبجستاني مكان جيلاني ، (١٧) ، ٥ ، ١ وهو تصحيح ماركارث . ويظهر أن سبجستان قد استقلت أيام كان سابور قاصراً .

(٢) تمستياس ، Orat. ١٣ ، انظر نشر فاليسوس بكتاب آمين مارسان ، حواشي ،

الهجومية فإن هذا الإيثار لم يكن عن خوف ولكنه عن اعتدال ، وإذا كان الرومان قد اضطربوا في الحرب في بعض المعارك فإن النتيجة النهائية للحرب لم تكن تدور عليهم . والخطابان كما يظهران في كتاب آمين (١٧ ، ٥ - ٣ : ١٤) يحملان الطابع الخاص لهذا المؤرخ . وقد ذكرها آمين متصرفا تصرفا كاملا كعادة المؤرخين القدماء ، ولكنه رأى النص الأصلي . ونستطيع أن نستنبط ذلك من الألقاب التي ينسبها سابور لنفسه : « سابور ملك الملوك ، رفيق النجوم ، أخو الشمس والقمر » . ومع أن آمين لم يذكر الألقاب بدقة تامة فإن ما ذكره منها يشبه ألقاب سابور الرسمية التي تظهر في نقوش حاجي آباد : « عابد مزدا ، الإله سابور ، ملك ملوك (شاهنشاه) إيران وغير إيران سليل الآلهة » وفي الألقاب التي يمنحها الملك العظيم لنفسه في خطاباتة الرسمية للسلطات الأرمينية « أكبر مظفرى (أو شجعمان) عابدى أو هرمزد الذى يطاول الشمس ، ملك ملوك إيران وغير إيران » (١) .

وقد بدأ سابور الحرب بهجوم على قلعة آمد ، ديار بكر الحديثة ، واستولى عليها بعد دفاع مجيد . وكان ذلك سنة ٣٥٩ . وبعد سنتين توفى كونستانس فصار جوليان إمبراطورا واحدا على الرومان ، فقاد بنفسه الجيوش الرومانية وسار ليحارب الإيرانيين . وكان من بين قواده الأمير هرمزد ، الأمير الإيراني المنفى ، أخو الملك ، وكان يأمل أن يجلسه الروم على عرش إيران ، ومن ناحية أخرى كان للإمبراطور حليف فى ملك أرمينية ، أرشك الثالث الذى قتل قريبه جنيل وتزوج أرملته فرنندزم وهى امرأة مولعة بالسائس . وتقدمت جيوش الرومان وحلفاؤهم نحو المدائن ، ولكنها أوقفت بجيش إیرانى قوى يقوده قائد من أسرة مهران ، وقد قتل جوليان سنة ٣٦٣ فى المعارك التي تلاحقت . وقد سحب خلفه جوفيان الجيوش الرومانية إلى ما وراء الحدود ، وكسب الإيرانيون فى الصلح الذى تم عاجلا لمضى ثلاثين عاما نصيبين وسنجار والمقاطعات المتنازع عليها فى أرمينية . وتعهد الإمبراطور فيما عدا ذلك ألا يساعد أرشك الذى عزل على أثر ثورة جماعة من أمراء الأرمن ، وأخذ أسيرا إلى إيران حيث انتحر بعد ذلك . وقد اضطرت فرنندزم إلى التسليم بعد أن

(١) باتكانيان ، JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١١٦ .

قاومت زمناً طويلاً في قلعة أرتجرس ثم نقلت إلى إيران وقتلت . وبمقتضى شروط الصلح انتزع الإقليمان القوقازيات إيبريا (جورجيا) وألبانيا من السيادة الرومانية ووضعتا تحت سيادة إيران . ولكن الرومان تعهدوا تعهداً شبه رسمى بأن يساهموا ، كما كانوا يفعلون من قبل ، في المحافظة على «الأبواب القزوينية» عند ثغرة داريال ، التى تحمى أقاليم جنوبى القوقاز من غارات الشعوب المتوحشة^(١) .

وقد حاول الإمبراطور والنس مرتين أن ينصب الأمير باب بن أرشك ملكاً على أرمينية تحت حماية الرومان . وفى المرة الأولى طرده سابور ، وكان مشغولاً حينئذ بحرب ضد الكوشانيين^(٢) ، وفى المرة الثانية غلب الإيرانيون على أمرهم ، غلبهم القائد الأرمنى موشل . الذى كان يتعادل مع الفرق الرومانية بعد أن أخضع أروزين والولايات الأخرى الثائرة^(٣) ، ثم اتحد مع جاثليق أرمينية نرشى (نرسى) . ويقول فاوستوس البيزنطى إن موشل هذا كان يسليخ أسرى الإيرانيين أحياء ثم يرسل جلودهم محشوة إلى باب الذى لم يلبث أن قتل رائده الظالم نرشى بالسهم . ولكن الدساسين الأرمن قد شككوا والنس فى باب فخرض على قتله فقتل . وبعد

(١) ماركارت ، إيرانشهر ، ص ٩٥ و ١٠٣ . دويال صيغة مختصرة من در آلان « الباب الحامى من سكان آلان » . تارن پيترز فى *Analecta Bollandiana* ، جزء (٥٢) ، ١٩٣٤ ، ص ٣٥ .

(٢) لعل فاوستوس البيزنطى يقصد بكلمة الكوشان هنا جماعة الكيويوت فى بقطريان (ماركات *Erānšahr* ، ص ٥٠) .

(٣) فى سور مدينة فركين (ميافارقين ، مارتيربوليس وهو الاسم الأحدث لتجرا نوكرتا عاصمة أروزين ، انظر ليمان — هويت ، *Armen en* (١) ، الفصل ١٣) يوجد مريمات من الحجارة عليها نقش يونانى . وقد عث بهذه المريمات وفقد منها الكثير . وقد حاول ليمان — هويت (١) ، ص ٤١٠ وما بعدها أن يعيد النقش الذى أمر به ملك أرمينى وهو يروى الاستيلاء على تجرانوكرتا بعد ثورة ، والنقش يبين هذه الحوادث وأن باب *Pap* هو صاحبه . وعلى مسيرة ساعتين ونصف ساعة من فركين وجد ليمان — هويت نقشا بارزا منحوتا فى الصخر الذى أقيمت عليه قلعة بشات الكردية يمثل ملكاً ساسانيا على حصانه وقد أدار وجهه نحو اليمين ووقف رجل خلف ذيل الحصان . ويرى المؤلف (هويت) تؤيده قصة محلية ، أن الفارس هو سابور الثانى ، وأن النقش يمثل انتصاره على أرشك والد باب ، قبل عدة سنوات (١) ، ص ٤١٩ = ٤٢٠) .

ذلك وقعت مفارقات بين الروم وإيران وكان يمثلها شريف من أسرة سورين . وقد تنازل والنس من جديد للملك إيران عن حق التدخل في عرش أرمينية . ومع ذلك نصب الرومان الأمير الأرميني ورزادت ، ولكنه اختلف مع روما فعزل .

وحينئذ ولي العرش الأرميني أميران قاصران ، من أبناء باب ، ونصب وصيا عليهما مانويل الماسيكوفى أخا موشل الذى قتله ورزادت ، وكان صديقا للإيرانيين فطلب مساعدة الشاهنشاه ضد تدخل الرومان المتوقع ، فانتز سابور هذه الفرصة وأرسل إلى أرمينية جيشا يقوده سورين الذى عين مرزباناً على أرمينية^(١) ، ومات سابور بعد ذلك مباشرة .

هذه أهم حوادث حرب الأربعين سنة بين سابور الثانى والروم . ولم تحفر يد أى فنان على صخور إيران مناظر هذه الحرب بين القوتين الكبيرتين فى العالم القديم^(٢) . ولكن الكتب الرومانية حفظت إلينا رواية حية كتبها رجل ساهم فى أعمال الحرب ، وكان شاهد عيان فى كثير من الحوادث ، تقصد آمين مارسلن الضابط الرومانى ، وهو من أصل يونانى ، وكان جندياً جريئاً ، مثقفاً وراوية من الطراز الأول رغم لغته المشككة . ووصفه للمعارك التى انتهت بسقوط آمد فى يد الإيرانيين سنة ٣٥٩ واضح ليس وراءه مزيد . كان على ولاية كورديين الأرمينية حاكم إيرانى اسمه جوفينين . وقد أحب المدنية الرومانية لأنه أسر صغيراً ثم أخذ رهينة فى الشام ، ولا شك أنه سمى اسمه الرومانى فى ذلك الوقت ، وعلى كل حال فإنه كان ذا ميل للرومان . وقد أوفد إليه آمين رسولاً مع ضابط ثقة لىكى يتنسم الأخبار عن حركات الجيش الإيرانى . وقد بعث جوفينين معه دليلاً يعرف الأماكن ، فلما صعد إلى مرتفعات سلسلة عالية من الجبال ، رأى المترصدون ، فى اليوم الثالث أن

(١) حين ألخص هنا تاريخ العلاقات بين أرمينية وإيران والإمبراطورية الرومانية ، وهو غامض جداً ، أتبع بوجه عام رواية يوسق (GIPH) ، (٢) ، ص ٥٢٤ وما بعدها) الذى استخدم كل المصادر الأرمينية والرومانية والبيزنطية . فارن ماركارت ، Untersuchungen zur Geschichte von Iran (١) ، ص ٤٤ وما بعدها من المستخرج من المجلة .

(٢) نقش مبهشات الذى أشرت إليه فى ملاحظة سابقة موجود فى البلاد الأرمينية القديمة .

الأرض منذ شروق الشمس قد غصت بفرق لا عدد لها . وعلى رأسها ملك إيران بلباسه البراق وعلى يساره جرومباتس ملك الكيونيوت الجديد ، وهو رجل متوسط العمر ، ضعيف البنية ، ولكنه قوى الروح ، وقد اشتهر بانتصارات كثيرة ، ووقف ملك الألبان على يمين سابور ، مساويا في الرتبة جرومباتس ولم يكن أقل منه شهرة . ووقف خلفهم كثير من القواد الممتازين . ثم تأتى مجموعة الجيش المؤلفة من أفضل فرق الأمم المجاورة . ولما رأى آمين الجيش الإيراني وهو يعبر نهر الزاب على جسر من القوارب ، عاد إلى جوفينين ، وبعد أن استراح أقل راجعاً مجتازاً الجبال ليلاحق بالجيش الرومانى . حينئذ استعد الرومان للحرب وأشعلوا النيران في حقول القمح . وصم الفرس سراحاً من أمام نصيبين وواصلوا السير متتبعين الأودية الحصبة عند سفوح الجبال اجتناباً للحقول المحترقة . وأما الفرق الرومانية فقد أحثت السير ، من ناحية أخرى ، نحو ساموزات عاصمة ولاية قومش لى عبروا النهر عندها . وقد تمكن القائدان الإيرانيان هم — سابور ونخ وذار^(١) لجن وإهال عن فوجين من جند الرومان ، أن يتقدما ومعهما ألف محارب وأن يكمن خلف التلال المحيطة بآمد . وهنا يحدث اللقاء الذى يصفه آمين في العبارات التالية : « وبينما نحن نسير على منوء الشروق الضعيف ، نبغى بلوغ ساموزات كما قلت ، رأينا من فوق تل بريق الأسلحة . وسمعنا في الحال صيحات تنذر بأن العدو هناك ، ثم أبدوا العلامة العادية لإيذاننا بالاستعداد للنضال . فوقفنا وجمعنا الصفوف ولم يسد لنا من الغطنة أن نولى الأدبار في تلك اللحظة ، فقد كنا نرى العدو الذى يتعقبنا إن فعلنا ، ولا أن نبدأ الحرب فإنها ستعرض أرواحنا جميعا للبور المحتم في قتال عدو يفوقنا في فرسانه ورجاله . وأخيراً رأينا أن لا مفر من القتال وكنا مترددين فيما نتخذ من رأى ، وقتل جماعة منا وهم الذين أسرفوا في التقدم حينئذ تقارب الجيشان » .

« ولما مضى على ذلك نصف ساعة ، صاح رجال مؤخرتنا ، وكانوا على قمة تل ، بأنهم يرون وراءنا فرقا أخرى من الفرسان الصفحين تقترب منا بسرعة كل الإسراع . ولم نستطع أن نعرف أى ناحية تتبع ، كما يقع دائماً في مثل هذه اللاحظات

(١) صفحة ١٠ ، ملحوظة ٣ .

الخطرة ، وها هي الجماهير الغفيرة تندفعنا دفعا . وهكذا هربنا ونحن نتفرق فكل منا ذهب إلى الناحية التي ظن فيها السلامة من أيسر سبيل . ولكننا لم نستطع أن نتجنب الاشتباك مع طلائع العدو ونحن نحاول كل بمفرده الخلاص من الخطر المحدق بنا . وفي هذه اللحظة لم يفكر أحد في أكثر من النجاة بحياته . ولقد دافعنا عن أنفسنا بكل قوانا ، وقد اندفعنا نحو شواطئ دجلة الوعرة ، وهنا هوى بعضنا وكان مثقلا بما عليه من أسلحة فعاص في النواحي الواطئة من النهر ، وآخرون جرفهم اليم بدواماته العميقة فغرقوا ، وآخرون وقبوا يناهضون العدو ويحاربونه ، موقفين وخائبين ، وكان هناك من ملأوا رعبا من الجموع المتراسة من الجند فحاولوا بلوغ أقرب فجاج جبل طوروس »

« ... أما أنا فقد انفصلت عن زملائي ، وفكرت على أي شئ أعزم حينما اقترب منى ويرنين ضابط الحرس وقد أصابه سهم في فخذه وعلق به . وبينما كنت أود أن أحمله معي لإصراره على ذلك إذا بي أرى الفرس وقد أحاطوا بي من كل جانب فحاولت أن أسرع نحو المدينة (آن) وكانت أعلى من المكان الذي هوجمنا فيه ولم تكن لنتال إلا عن طريق ضيق جدا زاده ضيقا طاحون بنيت في وسط المرتفع حتى تسد كل الطرق المتفرعة . وهنا اختلطنا بالفرس وقد بلغوا الجبل حينما بلغناه ، فكان لزاما علينا أن نبقى بلا حراك ، حتى تطلع الشمس ، في تدافع بلغ من شدته أن جثث الموتى ظلت واقمة من الزحام لا تجد فسحة من الأرض تهوى إليها . وقد كان أمامي مباشرة جندي شجبت رأسه نصفين بضربة سيف مروعة ، وقد اشتد عليه الضغط من كل جهة فلبث واقفا كأنه وتد . وقد نصبت المناجيق من جميع الأنواع فوق القلعة ، وسقط علينا وابل من النشاب ولكننا كننا قريين جدا من الأسوار فلم يمسناء منها . وأخيرا نجوت بالدخول من باب خفي فوجدت جمهورا كبيرا ، رجالا ونساء ، وقد هرعوا للداخل من الأماكن المجاورة ، ذلك أن السوق السنوية كانت قائمة حينذاك في الضاحية تتجمع فيها خلق كثير من القرويين كانوا جميعا يتصايحون ويتسابقون بكل ما في وسعهم ، وكان بعضهم يبكي من فقد ، وبعضهم

وبعضهم مصابا بجرح مميت ، وكثيرون ينادون أصحابهم فلا يجدونهم وسط هذه الاضطراب ^(١) .

وحيث بلغ سابور نفسه آمد يقود الجزء الأكبر من جيش الفرس . « وكانت الأرجاء جميعاً إلى أقصى مدى البصر ، منذ تنفس الصبح ، تلمع ببريق الجيوش ، وبالفرسان المصفحين بالحديد وقد انتشروا على السهول والتلال . وكان الملك نفسه بين الآخرين بقامته الطويلة ، وقد تقدم على حصانه الجيش كله ، ولبس بدلاً من التاج رأس ماعز مذهبة ومرصعة بالأحجار الكريمة . وقد نم على عظمة موكبه عدد الأشراف الذين أحاطوا به والحاشية المؤلفة من رجال أم مختلفة . ولا ريب أنه حاول أن يحمل المدافعين على التسليم اختياراً ، إذ كان عليه ، كما نصحه أثونيوس ^(٢) أن يسرع إلى غير هذا المكان . ولكن آلهة السماء ، كي تجمع آلام الإمبراطورية الرومانية في ساحة ضيقة ، جعلته يثق بنفسه ثقة عظيمة ، وخيلت إليه أنه إن حضر فسيأتي المحاصرون مذعورين طالعين العفو . وقد سار راكباً إلى الأبواب في حرسه الملوكي . ولكنه اقترب مطمئناً كل الاطمئنان ، حق كان في الإمكان معرفته ، فكان ، بسبب زيناته الواضحة ، هدفاً لجميع السهام والنشاب ، وكاد يقضى عليه لو لم يحفظ مئثار النقع حياته من الرماة . وهكذا ارتدت في أمان وسلام ، غير أن رداءه قد مزقته نشابة ، ونجا بحياته ليذيق آلاف الناس الموت بعد ذلك ، فقد استشاط غضباً ، كأننا قد أجرمنا بالاعتداء على مكان مقدس . وكان يقول إنه قد اجترأ بعض الناس بالاعتداء عليه على إغضاب ملك أكبر من كثير من الملوك ، وأعد في حماس بالغ كل العدة لتخريب المدينة . ولكن القواد العظام استخلفوه ألا يحيد عن طريقه المظفر ، وهدأه الأشراف الآخرون مستعينين بصدائهم له . فعزم على أن يأمر حامية المدينة بالتسليم في العادة » .

وهكذا تقدم جرومباتس ملك الكيونيت الذي كلف بهذه الرسالة ، واثقاً بنفسه ، حتى بلغ الأسوار ، وكان مصحوباً بفرقة من الفرسان الأقوياء . ولكن

(١) (٢٨) ، ٨ .

(٢) جندي روماني هارب لياحق بالعدو .

راميا ماهراً ، حينما أدرك أن جرومباتس أصبح على مرمى السهم ، أدار المنجانيق
غرق درع ابن جرومباتس وصدره وكان راكبا حصانه بجور أبيه ، وكان شابا يمتاز
على سائر الشبان أترابه بطوله وجمال قامته . وقد تفرق أبناء جفسه بعد مقتله ،
ولسكنهم أحسوا في إخلاص بأن جثته لا يجوز أن يأخذها الرومان ، فعادوا بعد قليل
وحرصوا كثيرا من الناس على حمل السلاح بصيحات عالية . وثارت معركة حامية
بعونهم ، وتساقطت السهام في كثرة من كل ناحية . وأخيرا ، بعد واقعة مهلكة ،
دامت حتى آخر اليوم نجح الأعداء وقد احتموا بسواد الليل ، في أخذ الجثة من بين
أكوام الموتى وغزير الدم ... » .

« وقد غمر هذا الموت البيت المملوك بالحزن وشاطر النبلاء جميعا الأب في حزنه
البالغ من هذه الخسارة الفادحة . وأوقفت أعمال الحرب كلها ، وأقيم ، حسب الرسم
المتبع في بلاد القتل ، احتفال بمنزلة الشاب الذي كان شريفا مولده والذي كان
عزيزا جدا كذلك . وقد حمل لابسا درعه العادي ووضع فوق كرسي عال ، وأحيط
بعشرة أسيرة عليها صور موتى متقنة الصنع فكانت شبيهة تماما بالجثث المكفنة .
وقضى الرجال عشرة أيام كاملة في العزاء ، فكانوا يحيون جماعات وأفواجا جنازة
الأمير الشاب وهم يرقصون ويرتلون نوعا من أدعية الجنائز . وضرب النساء
صدورهن في حزن وكن يكيبن ، حسب العادات المتبعة في مثل هذه الأحوال ،
يكيبن أمل الناس وقد خاب في مستقبل العمر . . »

« وبعد أن حرق الجثمان ووضعت الحطام في ظرف من الفضة لتدفن ، كما رأى
الوالد ، في أرض الوطن^(١) ، اجتمع مجلس حربي كبير ، اتفق فيه على أن يحملوا
لروح الشاب المقتول ضحية محرقة بأن يحولوا المدينة إلى تراب ، ذلك لأن جرومباتس
لا يريد مغادرة المسكان قبل أن يثار لظل ابنه الوحيد . فسمح للجند بالراحة يومين ،
واقصر على بعث الفصائل الضرورية لتخريب الحقول الحصبة المزروعة غير المحمية
كأنها في أيام السلم . ثم حوصرت المدينة بخمسة صفوف من الجند الدارعين

(١) نرى من هذه العبارة أن السكيون لم يكونوا زردشتيين ، ذلك لأن حرق

الجثث والدفن كانا مخالفين لقواعد الدين الزردشتي (انظر ص ٢٣ — ٢٤) .

ذوى التروس . وعند صبيحة اليوم الثالث انتشر الفرسان ذوو الدروع البراقة في الأرض على مدى البصر ، ومشت الصفوف في ثاقل إلى المكان الذى وقع الاختيار عليه ، وأحاط الفرس بالفلمة كلها . وكان الركن الشرقى ، حيث قتل الشاب لشقائنا مكان السكيونيت . وكان الورت Vertes فى الجنوب ، والألبان فى الشمال ، واصطف السجستانيون^(١) أمام الباب الغربى ، وهم لانظير لهم فى حومة الوغى . وكان مع هؤلاء صفوف من الفيلة العظام ، يهول منظرها ، وكان جلدوها مملوءا بالغضون ، وكانت تتقدم ببطء ومن فوقها رجال مسلحون . وهذا ، كما قد قلته مرارا ، أبشع وأشنع ما يمكن أن يتصور من مناظر . . . »

» وعندما تم اصطفاف الجنود ، وقفت الفرق جامدة حتى المساء ، ثم عادت من حيث أتت بالنظام نفسه . وقبيل بزوغ الشمس ، أحاطوا بالمدينة من جديد ، وذلك على صوت الأبواق . ثم بدءوا المعركة . ولكن المدافعين عن المدينة زادوا عنها بقوة . » وقد هشمت الأحجار الكبيرة التى قذفناها بآلاتنا رموس عدد هائل من الأعداء ؛ كما أصبنا آخرين بالسهم ، وغيرهم بالنشاب ، حتى أن العدو لم يكن يتقدم إلا بمشقة بسبب أكوام الجثث التى غطت الأرض . وقد جرح بعضهم فكان يجتهد فى اللحاق برفاقه . وأما المدينة فلم يكن ما فيها من أحزان ومقاتل بأقل مما فى خارجها فسيل من السهام كان يحجب السماء ، وأصابت الآلات التى استولى عليها الفرس فى نهب سنجار كثيرا . وقد جمع المحاصرون قواهم كلها وأخذوا يعيدون الكرة كلما توقفت المعركة ؛ ولكن سقوطهم كان محزناً حين يصابون وهم يحاربون بهذا الروح المتوقد ، ذلك أنهم حين يسقطون مضرجين بدمائهم يوقعون جيرانهم ، وكانوا إذا أسيبوا بسهم وهم أحياء يستغيثون ويطلبون أناساً مهرة لنزعها . وهكذا توات المارك الدموية طول النهار ، ولم يكن ظلام الليل ليسكن من حدة المتقاتلين ، هكذا كان العناد الذى يقا تل به الطرفان . وبينما كان الحراس واقفين بأسلحتهم بالليل ، كانت التلال تتجاوب بأصدا الصياح من المعسكرين ، فرجالنا يجدون فضائل

(١) سكان سجستان ، الساجيون .

الإمبراطور كونستانس سيد العالم كله ، والفرس تمجد سابور الذي يسعون شاهنشاه أو فيروز (يبروز) ، ومعناهما « ملك الملوك » و « الظفر في كل الحروب » . واستمرت المعركة حامية الوطيس طوال اليوم التالي ، ثم اضطرت الحسارة الفادحة الطرفين إلى إيقاف الحرب فترة . ولكن دفن الموتى كان متعذرا في المدينة التي يسكنها أناس أكثر مما تسع (إذ فيها عدا سبع فرق رومانية جماعة كبيرة من المهاجرين ، يناهزون العشرين ألف رجل بالإحصاء الدقيق) ثم تفشى الطاعون فيها زيادة في الحظ العاثر . وقد أحاط الفرس المدينة بقفف من الخيزران مملوءة بالتراب ، كما أقاموا أسواراً للهجوم وبنوا أبراجاً عالية محصنة بالحديد من الأمام ، ووضعوا فوق كل برج منجانيةقا خصص لإبعاد حماة الأسوار . وقد شرع المحاصرون يهجمون هجمات جريئة . وقد استولى سبعون من الرماة الفرس ، من الحرس الملكي ، يقودهم روماني هارب ، على برج في الناحية الجنوبية من السور . فتسلق الجنود الفرس سلالم الهجوم . وأما الرومان فقد أداروا منجانيقهم ضد البرج وسددوا النشاب الضخمة التي كانت تصيب أحيانا عدوين معاً . وحينما قتل من في البرج من الأعداء تكاثف الدفاع عن الأسوار واستمر حتى شئت شمل الورت الذين كانوا يقيمون في الناحية الجنوبية . وفي هذه الأثناء استولى العدو على عدة قلاع حصينة من الضواحي ، فهبت وأحرقت . وقد أخرج منها آلاف من الناس من بينهم شيوخ ونساء لا يقدرّون على السير ، فتركوا في الطريق ، وقد قطعت ربلات سيقانهم وعظام أرجلهم . وقد استشاط جنود الجالوا Gaulois غضبا حين رأوا صفوف الأسرى . فهجموا هجوماً يائساً ونشروا الموت والفرع في الجيش الإيراني . وأخيرا ، بعد أن أتم الفرس معدات الحصار ، بدءوا هجومهم الأخير العنيف على المدينة . وظلت المعركة بلا نتيجة في اليوم الأول . وفي اليوم التالي تقدم الفرس من جديد ومعهم فيلهم . وقد هدم الرومان أبراج الهجوم وحطموا المنجانيق بحجارة ألقيوها بالآلاتهم ، ثم دفعوا الفيلة بالمشاعل . وهنا نصل الحديث في عبارات مؤرخنا :

« وأخيرا تلفت آلات الحصار ولكن هذا لم يؤد إلى تهديم المعركة . ذلك لأن ملك الفرس نفسه ، ولم يكن مجبرا على أن يباشر الحرب ، غضب جداً من هذا

السيل من المصائب حتى أقدم على شيء لم يقدم عليه أحد من الملوك قبله : لقد دخل المعركة وسط الجند كواحد منهم ، حيث كانت الصفوف أكتشف ما تكون . ولكن صوب عليه عدد كبير من الشباب لأن تمييزه كان يسيرا حتى على البعيدين منه ، وذلك بكثرة الذين يحيطون به ، وقد سقط كثير من هؤلاء ، ولكنه هو قد ارتد وأخذ يجري من صف لآخر ، حتى نهاية اليوم من غير أن يروعه منظر القتلى والجرحى . وحينئذ سمح للجيش بأن يستريح قليلا » .

« وفي الحق أن الليل وقف القتال ، ولكن الشمس لم تكد تشرق حتى كان الملك ، وهو يكاد يتميز غيظا ونقمة ، غير مبالي بفروض الإنسانية ، يحث الجنود على القتال من جديد ليصل إلى تحقيق رغباته . وكانت أدوات الحصار قد أتلقتها النار كما قلت ، وكان الهجوم علينا من أعلى أسوار الهجوم التي كانت أقرب شيء إلى أسوار المدينة فأقام رجالنا ، في الداخل ، كذلك أسواراً ملائمة للهجوم ، بكل ما في وسعهم من الحمية ، وقد قاموا في هذا المقام الصعب ، بقوة معادلة تماماً لقوة العدو » .

وظلت المعركة الدامية سجالاً مدة طويلة ، ولم يهن عزم أحد على الدفاع خوفاً من الموت . وقد كانت المعركة في أقصى شدتها حين تقرر مصير الطرفين المتحاربين بالمعاجزة التي لا تدفع ، فقد انهار جدارنا الذي عملنا فيه مدة طويلة ، كأن زلزالاً أقضه . وهكذا صارت المسافة بين القلعة وأسوار الهجوم ممهدة أمام العدو ، كأن طريقاً أنشئ بها أو جسراً أقيم عليها ، حتى يعبر العدو ههنا المعبر حيث لا تعترضه عقبة ما . وقد سقط معظم الجند أو قد خضعهم الانهيار فهم لا يقوون على العمل . ومع ذلك أسرع الجند من كل مكان لدرء هذا الخطر الذي لم يخطر على بال ، ولكن هذه العجلة نفسها قد جعلت كل واحد يمنع الآخر من التقدم . بينما ازدادت شجاعة العدو بما نال من نجاح . وقد أمر الملك بأن تتقدم جميع قوات الجيش ، وبدأ الحرب بالنضال ، وسال الدم من الجانبين في مذبحه عنيفة ، وامتلاأت الحفر بالبحث . وهناك اتسع الطريق لفرق الأعداء ، فملأت البلد كله ، فضاع كل أمل لنا في الدفاع أو الفرار وقد قتل الرجال المسلحون وغيرهم ممن لا سلاح لهم كما تذبح البهائم بلا تمييز بين الفريقين » .

وينتقم المؤرخ هذه الرواية قاصدا تفاصيل هربه وما كان فيه من المخاطر . وقد أقدم عليه في ظلمة الليل ، وبصحبه رفيقان من الرومان . وقد تجنب لحسن الحظ ، الفرس الذين تتبعوا فرقة من فرسان الروم . ثم إنه وزع عليه قد اجتازوا الجبال وبلغوا آخر الأمر مدينة ملطية Melitine في أرمينية الصغيرة ، ومنها سافروا بصحبة ضابط روماني إلى أنطاكية^(١) .

وسابور الثاني بين الساسانيين الأول هو الملك الوحيد الذي تتيح لنا مصادرنا أن نتعرف مزاياه . ولم يستطيع آمين مارسلن ، رغم بغضه الطبيعي لعدو الإمبراطورية الرومانية الخطر ، أن يغفل في روايته بعض الإعجاب بمظهر سابور المهيب وبجرأته . فالملك ، بقامته المديدة كان يفرع حاشيته كلها طولا بمقدار الرأس . وقد تقدم في حصار بيزنده (بيت زنده) وآمد ، في جرة ، إلى الحندق ليختبر ما حول القلعة غير هياب من مقذوفات المجانيق أو وابل السهام^(٢) .

ولم يكن أول اضطهاد لحق النصارى أيام كسرى راجعا إلى التعصب الديني ، بل كان مرجعه إلى أمور سياسية . ويحكي الكتاب السرياني الذي يصف حياة القديس أوجين أن سابور قد رغب في رؤية هذا الزاهد النصراني وكان يحله كثيرا فقد شفى أوجين ولدين للملك ، كانا فريسي الشيطان . وحق أن كتاب « حياة أوجين » مصدر مشكوك فيه كثيرا ، ولكن الروايات السريانية عن حياة القديسين تتضمن بعض إشارات^(٣) يبدو أنها مستقاة من الروايات القديمة ويتبين منها أن سابور لم يكن ينطوى على ضغن للنصارى . ومع ذلك فإن البعض الذين يحملون نصارى إيران للدولة كان خطراً دائما عليها ، ذلك بعد أن اتخذ ملوك الرومان الصليب شعاراً ، ولم يتردد سابور في اضطهاد هذا العدو المواطن ، وقد استمر هذا الاضطهاد إلى نهاية عهده الطويل^(٤) .

(١) (١٩) ، ١ — ٨ .

(٢) (٢٢) ، ٧ ، ٢ .

(٣) لابور ، س ٣٠٥ ، ملحوظة ١ .

(٤) انظر الفصل السادس .

وقد كان سابور مزهواً إلى أقصى حد بقوته وعظمته ، كان سريع الغضب قاسياً . وقد كان ينتفض غضباً إن اعتدى أحد على جلالته أو وقف في سبيل خططه^(١) . وحينما أعلن المسيحي بوساك أو بوسيك ، وكان قد سبق إلى الملك ، أنه يحسد إخوانه في الدين على استشهادهم وأنه يحتقر جلالة سابور ، استشاط هذا غضباً ، وصاح « ألا لا يقتلن كسائر الناس . إنه احتقر جلالتي وتحدث إلى كائن صنو له ، فاستأصلوا لسانه من قفاه حتى يخشاني من لا يزالون أحياء »^(٢) .

أما أن الإنسانية ومروءة الفروسية لم تكونا غريبتين عن أخلاق سابور فهذا ما نستفينه من بعض إشارات في كلام آمين . ففي الاستيلاء على قلعتين رومانيتين أسر عدد من النساء وجرى بهن إلى سابور وكان من بينهن زوج المستشار جروجاسيوس وهى امرأة جميلة جداً وكانت ترتعد خشية أن يغتصبها المنتصرون . فأمر الملك بإحضارها عنده ثم وعدّها بأن ترى زوجها عما قريب ، وبأن أحداً لا يستطيع أن يعتدى على عفافها . ذلك لأنه كان يعلم ، كما يقول آمين ، أن جروجاسيوس كان يحب زوجته حباً جماً . وكان سابور يأمل أن يحث هذا الرجل على تسليم مدينة نصيبين . ويضيف الكاتب إلى ذلك أن الملك وضع تحت حمايته بنات أخريات من النصارى قد وهبن حياتهن لخدمة المعابد ، فأمر بأن يتركن متفرغات لواجبات دينهن فلا يضايقهن أحد . ولعله من غير الجائز أن نرى في هذه الشفقة مراعاة من الملك كما يريد آمين مارسلن . وقد هرب جروجاسيوس بعد ذلك ، لأنه رأى أن الرومان يشكون في سلوكه ولأنه خشى أن يتهم بالخيانة . وقد انحاز إلى الإيرانيين ، مدفوعاً بحبه لزوجته ، فردّها سابور إليه كما رد إليه كل أهله وما صودر من ثروته ، وجعل له في إيران مكاناً علياً^(٣) .

وقد أتاحت الحروب الطويلة مع روما لسابور أن ينتفع بزايا القائد العظيم فيه .

(١) آمين مارسلان ، (١٩) ، ١ ، ٦ و (٢٧) ، ١٢ ، ١١ ، ١٨ .

(٢) لابور ، ص ٦٨ .

(٣) آمين مارسلان ، (١٨) ، ١٠ ، (١٩) ، ٩ .

وقد كان النظام سائدا في جيوشه . ولم تحدث مذابح بلا جدوى عند الاستيلاء على بلاد معادية غالبا . وفي سنة ٣٦٠ حين سقطت قلعة سنجار في أيدي الإيرانيين قتل عدد قليل من الناس حين دخلت الفرق الإيرانية . وقد أسر جميع السكان ومن بقي حيا من الحامية الرومانية بأمر من سابور ثم أرسلوا إلى أقاليم نائية من الدولة^(١) . وهذا كما رأينا الخطوة العادية التي تتبعها الملوك الساسانيون الذين أرادوا الاستفادة من الرومان المتفوقين في الصنائع الفنية . وكان سابور غاية في الدقة ، فعرف كيف يتصرف في تواضع أو كبرياء على اختلاف الأحوال^(٢) . وقد استدرج بلطفه ملك أرمينية أرشك إلى وليمة فقبض عليه ثم سجنه .

وكان سابور قد ألقى بزمام حكم أرمينية إلى رومانيين خائنين لجأ إليه ، كيلاكيس وأرتبان . فحينما انحاز هذان إلى الرومان ، بعد حبس أرشك ومهدداً نصب باب^(٣) بن أرشك ملكا ، لم ير سابور الظرف مناسباً لاستعمال العنف ، فذبح باب بأمر من معاهدة صداقة ثم لأمه ، في لهجة ودية ، بأنه من غير أن يفكر في مقامه ، قد جعل نفسه كالرفيق لكيلاكيس وأرتبان ، حتى إنه لم يبق له من الملك غير المظاهر . وهكذا دفع هذا الملك الذي لا خلق له إلى قتل مستشاريه^(٤) .

وأخيرا قد خلد سابور اسمه بين مشيّدی المدن العظام . فبعد أن هدم مدينة سوس القديمة وقتل أهلها بسبب ثورتهم^(٥) بنى مدينة أخرى وسماها إران شهر — شاپور . ثم شيد على مسافة قريبة ناحية الشمال مدينة إيران — خوره — كرد — شاپور التي يسميها السريان « كرخا الليدان » ، حيث يوجد اليوم خرائب قصر يرجع تاريخه إلى عهد سابور ، هو إيوان كرخ ، وهو البناء الذي استبدلت بقبته الدهليزية

(١) المرجع نفسه ، (٢٠) ، ٦ ، ٧ .

(٢) المرجع نفسه ، (٢٧) ، ١٢ ، ١٤ .

(٣) بارا عند أمين مارسلان ، وتقرأ بابا Papa .

(٤) أمين مارسلان ، (٢٧) ، ١٢ ، ١٢ .

(٥) لابور ، ص ٧ .

عقود كبيرة ذات أعراش يتخللها قباب صغيرة ، والذي أصبح النموذج المعماري في بلاد العراق^(١) .



٢٥ . سابور الثاني يصيد الأسود . كأس فضي
(متحف ارميتاج . ليننجراد . قوتوغرافية كوبر ، لندن)

وخلفاء سابور الثاني ، أخوه (؟) أردشير الثاني (٣٧٩ — ٨٣) وابنا سابور الثاني سابور الثالث (٣٨٣ — ٨٨) وبهرام الرابع (٣٨٨ — ٩٩)^(٢) ، كانوا ملوكا ضعفاء ، استعاد عظماء الدولة في عهودهم ما فقدوه من الأرض أيام سابور

(١) نولدكه ، الطبرى ، س ٥٨ ، ملحوظة ١ ؛ ماركارت ، إيرانشهر ، س ١٤٥ ؛ هرتسفيلد في Sarre - Herzfeld ، Felsreliefs ، س ١٣٠ وما بعدها .

(٢) ٣٨٦ — ٣٩٧ كما يقول هنريش شميدت (Syria ، ١٩٣٤ ، س ٢٢) .
وسمى بهرام الرابع كرمانشاه لأنه كان حاكما على كرمان من قبل أثناء ولاية أبيه . ويرى نولدكه ، (Pabari ، س ٧١ ، ملحوظة ٣) أن مدينة كرمانشاه في إيران الغربية تذكر بلقب هذا الملك .

الأكبر . وقد عزل العطاء الأول ، وذاق الآخرا عفيف الموت . وفي السنوات الأولى من حكم بهرام الرابع (صورة ٢٦) اقتسمت إيران وروما ملك أرمينية



٢٦ . من نقود بهرام الخامس

(متحف كوينهاجن)

فدخل قسمها الشرق ، وهو أكبرها ، تحت حماية إيران ، وخضع القسم الغربى لحماية الرومان . وقد نصب خسرو بن ورزندات ملكا على القسم الشرقى . ولكنه عزل فى سنة ٣٩٢ ، عزله بهرام الرابع ونصب مكانه أخاه بهرام — شاپور^(١) . وبعد ذلك عاد خسرو ملكا من جديد وحكم بين سنق ٤١٤ — ٤١٦ . وكان الملوك الساسانيون الأول حق نرسى يثبتون نقوشهم على الصخور المحيطة بمدينة پرسوبوليس (قرب شيراز) ، ولكن أردشير الثانى وخلفاءه قد اختاروا لتخليد عهودهم جهة فى ميديا القديمة ، أكثر قربا من العاصمة أعنى صخور طاق البستان ، شمال شرق كرمانشاه ، على ما يقرب من فرسخ من هذه المدينة ، على الطريق الكبير بين بغداد وهمدان ، وهو طريق القوافل القديم ، وهو الطريق الذى ترك عليه الملوك ، منذ أقدم العصور ، آثارهم والذى يسميه هرتسفيلد «باب آسيا»^(٢) ولا شك أنه كان هناك معبد قديم فى طاق البستان ، حيث ينابيع غزيرة تتدفق من جوانب الجبل ؛ ولعل هذا المعبد كان خاصا ، فى الأزمنة المزدية ، بعبادة أناهيتا^(٣) . وهذا الجبل ، الذى نحت بالمعاول ، قائم

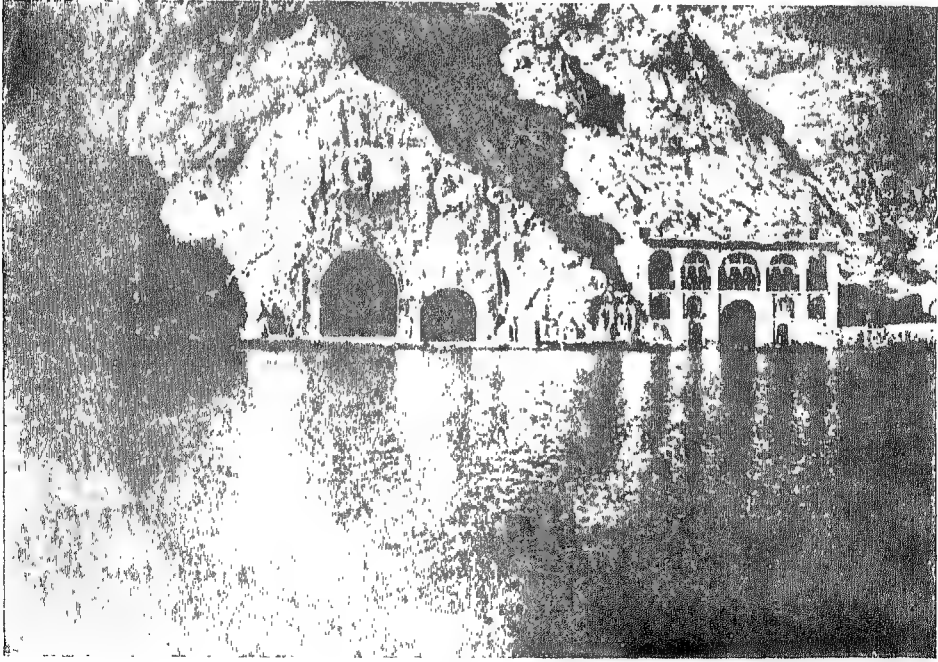
(١) صيغة أرمينية للاسم الفارسى بهرام — شاپور .

(٢) ديولانوا ، (٥) ، س ٩٥ وما بعدها ؛ مورجان ، Mission Scientifique en

Perse جزء (٤) ، س ٣٠٣ وما بعدها ؛ هرتسفيلد ، Am Tor von Asien ، س ٥٧ وما بعدها .

(٣) هرتسفيلد ، (١) ، س ٥٨ .

خلف غدير ، ويعاود قصرأ حديثا للملاهي (صورة ٢٧) . وقرب هذا البناء على اليسار

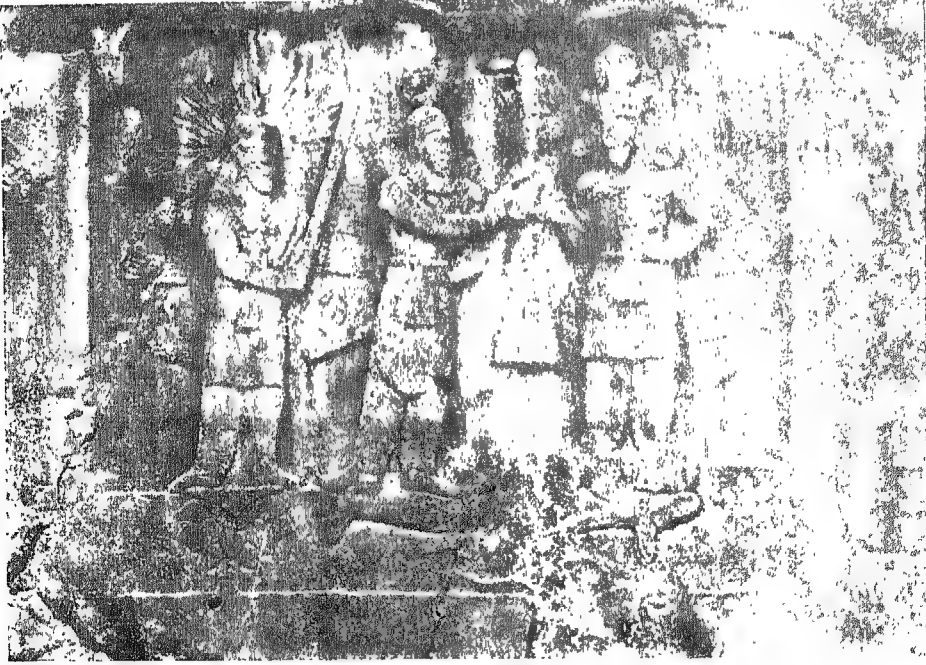


٢٧ . طاق بستان

(هراتسفيد ، باب آسيا)

نقش على الصخرور يمثل منظر تنصيب أردشير الثاني . فعلى يمين الملك أوهرمزد وقد أدار وجهه نحوه ، وعلى رأسه التاج ذو الجدار وهو يمد الحاتم ذا الأشرطة . وقد لبس الملك والإله ، كلاهما ، ثوبين يصلان حتى الركب . فأما رداء الملك فذيله مستدير . وسراويلهما مشاة من الماحية الداخلية للأرجل ، وقد أحكمت على السكعوب بحلق ، وقد تمظما ، ولبسا العقود والأساور ؛ ووقف خلف الإله إله آخر ، يشبه لباسه لباس أوهرمزد ، ولكنه يتميز بالأنوار تسطع حول رأسه ، وفي يده اليمنى البرسم (في الأوستا برسمحن) ، باقة الأغصان التي تتخذ في المعابد . وقد اعتقد البرسيون في الأزمنة الحديثة أن هذا الإله ذا الأكليل النوراني هو صورة «صحيحة» لزردشت . والحقيقة أنه رسم الإله ميترا ، وهو معروف لنا بأثر أنطاكية الجنائزي في قومش من

ناحية ، ومن النقود الزردشتية الملوك « توروشكا » من ناحية أخرى ، فإن شخصيته
بيئة هنا ، كما هي بيئة هناك ، بالكتابة . وقد انبطح على الأرض ، تحت أرجل الملك ،
وأوهرمرد ، عدو مقهور ، بينما رسم ميترا فوق ورقة الاوتس^(١) . (صورة ٢٨)



٢٨ . نقش بارز يمثل تنصيب سابور الثاني ، طاق بستان

(هرتسفيلد . باب آسيا)

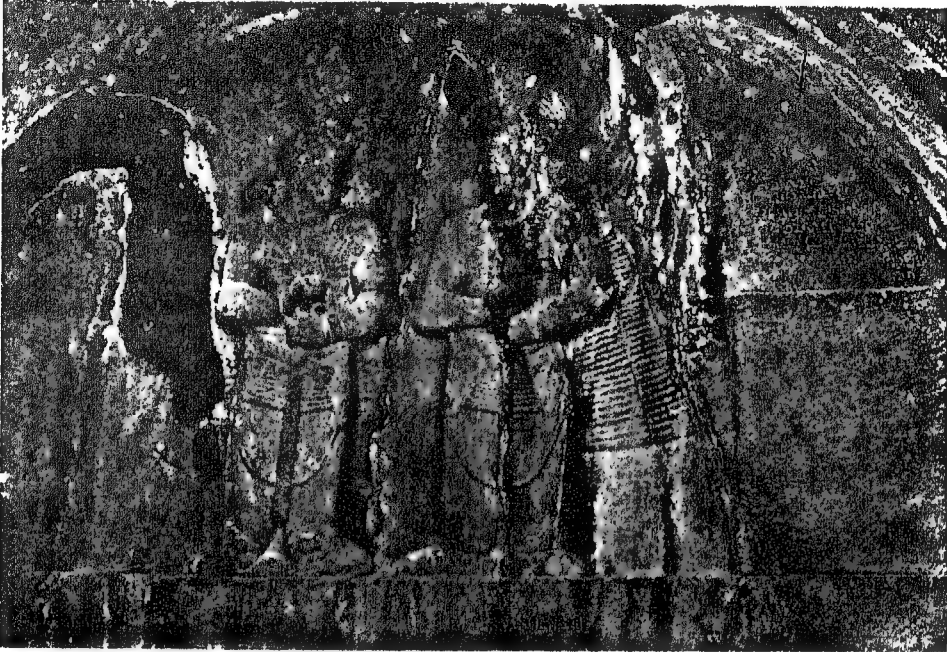
وعلى يسار هذا النقش غاران ، الأول أصغرهما ويظهر أنه حفر أيام سابور الثالث ،
لأن فيه رسم هذا الملك مع أخيه سابور الثاني . والصورتان للنقوشتان على الحاجز
الخليفي والمحوطتان من الناحية العليا بالغار ذي القبة نصف الدائرية ، واللذان عرفت
شخصيتهما بكتابات پهلوية مقروءة للآن ، قد صورتا في الوقت نفسه ، أعنى في عهد
سابور الثالث . وقد رسم الماسكان^(٢) وجهاً لوجه ، ولكن الوجهين صورا جانبيا ،

(١) هرتسفيلد ، Am Tor von Asien ، لوحة ٢٩ ، ص ٥٩ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه ، لوحة ٣١ و ٣٣ ، ص ٦٦ وما بعدها .

وينظر كل منهما إلى الآخر ، سابور الثانى على اليمين ، والثالث على اليسار . واللباس هو الرداء التقليدى : فالسروال المثنى ، والعقود والأشرطة الخفاقة ، والشعر المجعد ، والحية المدببة ، التى أحكمت نهايتها بحلقة . وقد وضع كل منهما يديه على السيف الطويل المستقيم ، فاليد اليمنى على المقبض ، واليسرى على الجزء الأعلى من النعبد ، وقد لبس سابور الثانى التاج ذا الجدار والشرفات ومن فوقه الكرة المنسوجة ، وبه الأشرطة الخفاقة ، وهو تاج يقلد تاج سابور الأول ، ولكنه يتميز عنه بسلسلة من الأقواس الصغيرة فوق الجزء الأسفل . وتظهر دقائق تاج سابور الثالث بصعوبة ، وذلك لتلف الصخر .

وتذكرنا هيئة الرجلين بهيئة « حاملى السيوف » وبغيرها من الأشكال الأخرى المنقوشة فى مغارات تركستان الصينية . وكذلك تشبه صور الصليبيين وفرسان أوروبا وأساقفتها فى القرون الوسطى (١).



٢٩ . نقش بارز لسابور الثانى وسابور الثالث ، طاق بستان
(هرتسفيلد . باب آسيا)

(١) هرتسفيلد ، Am Tor von Asien ، ص ٦٨ .

الفصل السادس

النصارى فى إيران

ازدياد سلطان رجال الدين والأرستقراطية العليا . الكنيسة الزردشتية فى أوجها . مكانة اليهود والنصارى فى الإمبراطورية الإيرانية . اضطهاد النصارى فى عهد سابور الثانى . عهد يزدگرد الأول وبهرام الخامس . البرزك فرمادار مهرترسى وأسرته . تجديد اضطهاد . النصارى . يزدگرد الثانى . شتون أرمينية . شهداء السريان والفرس . منازعات العقابة والنساطرة . الملكان فيروز وبلاش . غزو الهياطلة . انتصار مذهب النساطرة . النظام القضائى فى إيران . نظرة على أعمال الشهداء .

لم يكن النظام الإدارى المركزى للدولة الساسانية خلقاً جديداً ، فإن النظم الإدارية وألقاب الموظفين الاصطلاحية ، كل ذلك كان موروثاً عن الپرت بوجه عام ، وقد كانت الأرستقراطية الإقطاعية ممثلة فى بلاط الملك أيام الأشكانيين . ولكن الملوك الساسانيين الأول قد وطدوا هذا النظام الإدارى المركزى بصورة لم تعهد من قبل ، كما أقاموا رابطة وثيقة بين الحكومات الإقليمية والحكومة المركزية . وقد بلغ تفسكك الدولة أيام الأشكانيين أن أصبحت دولهم مجموعة من « الدويلات » المزمرة بالجزية ، شبه المستقلة ، حول الحكومة المركزية ، ولكن كانت الأسرات الپرتية الكبيرة تنازع الشاهنشاه السلطة . نجاء أردشير واستهل أعماله بإدخال المركزية المحككة التى كانت السبب فى عظمة الدولة الساسانية . وأصبح حكام الأقاليم ، منذ ذلك الوقت ، تابعين تبعية كاملة للشاهنشاه . وقد تقرر ألا يكون لتقسيم البلاد إلى كور رابطة نظامية بالأنواع المختلفة لحكومات الأقاليم التى مالت كلها إلى الطابع العسكرى . وكذلك عمل أردشير على منع تسرب التقاليد الإقطاعية إلى الولايات ، وعلى ألا تكون هذه إمارات وراثية . وقد جعل الإدارة المدنية فى الولايات بين طبقة النبلاء الأدين وهم الدهاقين الذين كانوا أوفياء له دائماً . وكان نظام الجاسوسية القديم يسير بطريقة ناجحة . وتظهر قوة السلطة الملكية الجديدة بشكل واضح

فما كان من تعيين المليكين الساسانيين الأولين لمن يرث العرش بعدهما^(١) وقد استمر العمل بالنظام الإقطاعي . وكان أبناء الأسر الكبيرة (واسپوران) يخرجون للحرب على رأس جمع من رعاياهم (الحرائين) ، ولكن هذه الجيوش المكونة من الحرائين كانت سيئة التشكوين ومؤلفة من جند غير أكفاء . وكذلك كان للمرتقة من الجند نصيب كبير في الجيش . إنما تتكون صفوة الجيش من الأساورة (الفرسان) المصفحين ، وهم نبلاء ، ومن المحقق أن معظمهم لم يكن تابعا للواسپوران ، وإنما كانوا سادة صغارا من أصحاب الإقطاعات والقصور الذين يتبعون الملك رأسا ، وكذلك لم تكن إقطاعات الواسپوران متحدة جغرافيا ، كما يحتمل أن تكون أيام الأشكانيين ، ولكنها كانت مشتتة في جميع أنحاء الإمبراطورية . وكل هذا قد حال دون تمكن الأشراف من بلوغ السيادة التي كانت لهم من قبل .

وكانت الأرستقراطية الإقطاعية أرستقراطية البلاط في الوقت نفسه ، كما كان الحال أيام الأشكانيين . وكان بعض الوظائف الهامة وراثيا في الأسرات السبع الممتازة ، وعندما تغلب النظام المركزي على النظام الإقطاعي ، رويدا رويدا ، جرى كبار الملاك إلى الاحتفاظ بجزية شغل أكبر الوظائف غير الوراثة في الحكومة المركزية . وبهذه الطريقة حافظوا على النفوذ الذي كان عرضة لأن يضيع منهم بالتطور الجديد في نظام الدولة .

وكان معظم خلفاء سابور ملوكا ضعافا . فكان موت سابور الثاني فاتحة عهد طال حوالي خمس وعشرين ومائة سنة تنازع فيه السلطة الملك وأشراف الدولة ، وعادت الأرستقراطية العليا ، وقد وجدت في رجال الدين حلفاء لها ، خطراً على سلطان الملك .

ولا تمدنا مصادرنا بتفاصيل المعركة الحامية التي دارت بين طبقة رجال الدين والمملك . ولكن نستطيع بعد جمع الروايات التي نلتقطها من مصادر شتى أن ندرك

(١) الطبري ، ص ٨٢٥ و ٨٣١ ، تولدك ، ص ٣٠ و ٤٢ . من الصعب أن نعتقد أن الصدفة هي التي جعلت الطبري يذكر أن أردشير وسابور الأول وسابور الثاني وقباد وكسرى الأول هم وحدهم الذين عينوا بأنفسهم خلفاءهم .

التطور الذى رفع رجال الدين ، وقد استعانوا بنفوذ أصحاب الإقطاعات ، إلى ذروتهم .
ونتبين بشكل مبهم ، من هذه المصادر ، نزاعا بين نظريتين تتعلقان بالصلات بين
الملكية والرياسة الدينية العليا . فملوك الساسانيين فى كتاباتهم ، يسمون أنفسهم دائماً
بعباد مزده (مزده يسن) ، ولكنهم فى الوقت نفسه يلقبون أنفسهم بالإله أو الشخص
الربانى (بئغ) أو ابن الآلهة (يزدان)^(١) .

ويطلق سابور على نفسه ، فى كتابه إلى كونستانس Constance الذى ذكرناه
من قبل^(٢) ، الألقاب الضخمة « ملك الملوك ، قرين النجوم ، أخا الشمس
والقمر » . ويمجد كسرى الأول نفسه بأنه « الإله ، الطيب ، الذى يهب السلام
للوطن ، المقدس ، كسرى ، ملك الملوك ، المجدود ، الورع ، الخير ، الذى
وهبه الآلهة سعادة عظيمة وسيادة واسعة ، جبار الجبارة ، الخلق على صورة
الآلهة »^(٣) ، وكذلك يسمى كسرى الثانى نفسه : « الرجل الخالد بين الآلهة ،
والإله العظيم جدا بين الرجال ، صاحب الصيت الدائع . الذى يصحو مع الشمس
والذى يهب لليل عينيه »^(٤) .

ولا بد أن يخلو الملك من كل نقص فى التكوين ليكون جديرا بهذه الألقاب
العظيمة ، ولذلك كان الملوك أحيانا يسمعون الأعين أو يقطعون أعضاء من يخشون
منافستهم من أفراد أسرهم ، ليجعلوهم غير لائقين لارتقاء العرش . ولم يكن من
الملائم أن يكسب الملك المال عن طريق الزراعة أو التجارة ، وعليه أف تعهد
عند ما يتوج بأن يحكم بالعدل ، وأن لا يمتلك الضياع ، وأن لا يمارس التجارة^(٥) ،

(١) بئغ هو التسمية الإيرانية القديمة للإلهة (بئجا) ، ويزدان هو التسمية الزردشتية
بنوع خاص . والتمييز بين التعبيرين فى ألقاب الملك الأكر له معناه .

(٢) ص ٢٢٥ — ٢٢٧ .

(٣) كتاب كسرى إلى جستنيان ، وقد ذكره ميناندر (Corp. scr. hist. Byz) ،

(١) ، ص ٣٥٣ .

(٤) ثيوفيلكت ، (٤) ، ٨ .

(٥) يفسر ابن خلدون ، الذى أخذنا عنه هذه الملاحظة ، هذه الحالة بان اشتغال الملك
بالزراعة قد يضر بمصالح جبرانه ، وأنه إذا مارس التجارة قد يرفع أسعار السلع ؛ ولكن هذه
مسألة ترجع بالأحرى إلى اللياقة .

وأن لا يملك العبيد خدمته ، « لأنهم لا يحضونه النصح الخالص المفيد مطلقا » . وإنما دخلُ الدولة وحده يغنى الملك ويزيد في رفايته^(١) . ويحتج الملك في المحافظة على مكانته في الرياسة العليا لطائفة رجال الدين لأنه ابن لآلهة السماء . وجاء في القصص أن بابك رأى في منامه النيران الثلاثة المقدسة نار المحاربين ونار رجال الدين ونار الزراع^(٢) ، قد اجتمعت فوق سقف بيت ساسان الذي تقول الرواية إنه صار بعد ذلك زوج ابنته والدا لأردشير . ويظهر من شاهنامه الفردوسى أن المتحدثين إلى الملك كانوا يصفونه غالبا « بالموبد » ، وهو وصف يحتمل أن يرجع إلى مصدر بهلوى . ونجد في هذا بغير شك النظرية الأصلية التي روعيت من جديد في حماسته منذ زمن كسرى أنوشروان (نظرية الدنيا والدين توأمان) .

ومن ناحية أخرى فإن الدينكرد ، وهو كتاب بهلوى ألف بعد زوال الدولة الساسانية يشرح حقوق الملك وواجباته ، ونستطيع أن نقول إنها خلاصة للنظرية الدينية في السلطة الملكية أيام الساسانيين . وقد عدلت هذه النظرية تعديلا طفيفا بحكم التطور ، أيام كسرى الأول . ولكنها لبثت دينية دائما . وصفات الملك وواجباته وفقا لدينكردهى^(٣) :

- ١ — الصفات والواجبات التي تتصل بالدين القيم ، ٢ — العقل السليم ،
- ٣ — الخلق القويم ، ٤ — القدرة على العفو ، ٥ — حب الرعية ، ٦ — القدرة على تهيئة الراحة للرعية ، ٧ — السرور ، ٨ — التذكر الدائم بأن السلطة فانية ،
- ٩ — تقدير الأكفاء برفع درجاتهم ، ١٠ — تنبيه الغافلين ، ١١ — حسن السلوك مع رؤساء الأقاليم ، ١٢ — إصدار الأوامر العادلة ، ١٣ — مراعاة عقد اجتماعات عامة في حضرته ، ١٤ — الكرم ، ١٥ — طرح الخرص ، ١٦ — تأمين الناس من الخوف ، ١٧ — مكافأة الطيبين بجملهم مع رجال البلاط أو برفع

(١) ابن خلدون ، Not. et Extr. (١٧) ، ص ٨٦ ، (٢٠) ، ص ٩٨ .

(٢) انظر هنا ص ١٥٤ .

(٣) نثر پيشوتان سنجانا ، جزء (٣) ، § ١٣٣ ، ص ١٥٣ وما بعدها ، الترجمة ، ص ١٨٠ وما بعدها .

درجاتهم ، ١٨ — العناية بتعيين المديرين في الدولة ، ١٩ — طاعة الله طاعة تامة . ومن خلال هذه الصفات والأوامر ، وهي بجميع البيانات الأخلاقية البرسية تفتقر إلى الأسلوب المنظم ، نستطيع أن نتبين بوضوح النظرية الدينية في الدولة ونرى إلى أى حد كانت هذه النظرية تعتمد على الطابع الدينى للدولة . ويظهر هذا الطابع في الدينكرد كله . ونضرب مثلاً بالفقرة الآتية^(١) : « إن خير ملك لهذه الدنيا هو الذى يثق بعلماء الدين الحق (دستوران) الذين يحفظون حكمة أوهرمزد » . وإن الجلالة الإلهية لتترك الملك الضال الذى ينبغى ألا يستمر فى الحكم ، بعد أن يتبين سوء إرادته وعجزه « فإذا ظهر القحط وعم ، وعجز الملك بقواه الخاصة ، أن يضع له حداً ، أو لم يعن به أو لم يعرف له (علاجاً) فهذا (الملك) الضعيف الذى لا يقدر على تخطى الشر ولا يعالجه ، هو بالطبع عاجز عن أن يحكم بالعدل بأى طريق ، وينبغى أن يحاربه الآخرون من أجل العدالة »^(٢) .

وقد قام دستور الدولة الساسانية ، قولاً وفعلاً ، على أساس الاستبداد الذى يلطفه (جزاء) العزل أو القتل . وفى هذا حد من سلطة الملك ، حد لا يستند إلى نصوص فى دستور مسطور ، ولكن يستند إلى الروح الدينى والخلق فى الدولة . وكان عجز الملك يتجلى بطرق مختلفة ، منها أنه لا يتبع نصائح كبار رجال الدين وتوجيههم . وكانت نظرية عزل الملك سلاحاً قوياً فى أيدي الموابذة . وإذا كثر المرشحون للملك وكان يشد أزركل منهم حزب من النبلاء ، كان رأى كبير الموابذة فاصلاً (فى تعيين الملك الذى يرضاه) : فإنه يمثل القوة الروحانية ، وفى شخصه يتجسد إيمان الأمة وشعورها الدينى .

وقد قلنا إن الملوك الساسانيين الأول كانوا يعينون خلفاءهم . ولكن ولاية العهد لم تكن مرتبطة بقواعد محددة . والعادة أن ينصب الملك أحد أبنائه لولاية عهده ، ولكنه يستطيع إذا أراد أن يعين فرداً آخر من بيته .

(١) نشر پيشوتان سنجانا ، (٤) ، § ٢٧٣ ، ص ٣١٩ ، الترجمة ، ص ٤٢٢ — ٢٢٣ .

(٢) المرجع نفسه ، (٢) ، ص ١٠١ ، الترجمة ، ص ١١٥ . أذكر هنا ترجمة پيشوتان

سنجانا ولكى أعترف بأن بعض تفاصيل النص ليست واضحة تماماً لدى .

وفي المدة التي ضعف فيها سلطان الملك استطاع ملوك مثل بهرام الخامس ويزدگرد الثاني أن يسيروا في حكمهم بلباقة ، فقد أظهر هذان المسكان للناس التقوى وتركوا أمور الدولة للعظماء يسيرونها . كان بهرام الخامس ملكا يتفق تماما مع ذوق النبلاء ، فقد قسم حياته بين أعمال الفروسية والمملذات ذات الهرج . وقد طاب ذكر فيروز لتدينه ، رغم ما كان من غدره بملك الهياطلة . وكان فيروز ملكا يقظا محبا للحرب ولكنه لم يكن موقفا فيها فجرت على البلاد كثيرا من الويلات . وفي أثناء هذه المدة لم يكن الملك يختار ولي عهده ، بل جرى العمل في الواقع على اختيار الملك من بين أفراد أسرة الساسانيين ، وقد أعطى حق انتخاب الملك لرؤساء رجال الدين والجيش والكتاب أو — في حالة اختلافهم — إلى كبير الموابذة وحده . ويجري الانتخاب بالطريقة الآتية ، كما جاء في كتاب تنسر^(١) : كان الملك يكتب بيده ثلاث وصايا ويودع الأولى الموبدان موبد ، والثانية كبير الكتاب (دبير مهيست) والثالثة كبير رجال الجيش (إيران سپاهبد) . ولم تكن هذه الوصية لتحوى كما يقول دار مستتر^(٢) غير نظرات عامة ، وآراء في أخلاق المرشحين المختلفين واستعدادهم وحاجات الدولة ، فهي لا تتضمن توصية محددة ، ولو كان الأمر كذلك ما كانت حاجة المداولة واختيار واحد بواسطة الثلاثة الكبار . وقد جاء في الكتاب : حينما يموت الشاهنشاه يدعى الموبدان موبد ومعه الرجلان الآخران . ثم يجتمعون للمداولة ويفضون الرسائل ويتشاورون في اختيار أحد أبناء الملك . فإذا اتفق رأى الموبدان موبد مع رأى الآخرين ، يذاع الرأى في الناس ، أما إذا كان اختلاف لم يذع شيء في الخارج ، ولا يعلم أحد شيئا عن الوثائق المكتوبة أو عن رأى الموبدان موبد إلى أن يدعو هذا إلى مجلس سرى فيه الموابذة وعلماء الدين (دستوران) والزهاد ، فيصلون ، ويقف الأتقياء من خلفهم يقولون آمين ويسجدون ويرفعون أيديهم وهم خاشعون . وينتهي هذا بسلامة المساء ، ويؤمن الحاضرون بما أوحى الله إلى قلب الموبد الكبير .

(١) دار مستتر ، ص ٢٣٩ — ٢٤١ و ٥٤٤ — ٥٤٥ ؛ مينيوى ، ص ٣٨ — ٤٠ الترجمة العربية للكتاب ص ٦٤ — ٦٥ .
(٢) ملحوظة على هذا النص في كتاب تنسر .

وفي تلك الليلة يحضرون ، إلى القاعة الكبرى في القصر ، التاج والعرش . يأخذ كبار الضباط مكانهم . ثم يدخل كبير الموازنة مصحوباً بالهرايذة والعطاء والوزراء ، إلى مجلس أمراء البيت المال ، فيصطفون جميعاً أمام الأمراء ويقولون : لقد تشاورنا أمام الإله الأعلى ، فأرشدنا وألهمنا وهدانا إلى الخير « ثم يصيح كبير الموازنة عالياً : « إن الملائكة^(١) قد ارتضوا فلان ابن فلان ملكاً . فبايعوه أيها الناس ، وإنها لبشرى لنا ! » وحينئذ يرفعون هذا الأمير ويجلسونه على العرش ويضعون التاج على رأسه ثم يسكون يده ويقولون له : « أئقبل من الله دين زردشت الذي قواه گشتاسب بن هراسپ ، والذي أحياه أردشير بابگيک » . فيجيب الأمير بالإيجاب ويقول : « سأعمل لحبر رعيقي إن شاء الله » . ويمكث رجال القصر والحرس معه ، وتعود الجماعة إلى أعمالها وشئونها .

وهكذا كان انتخاب الملك متوقفاً في نهاية الأمر على الموبدان موبد الذي كان يحتفظ ، من ناحية أخرى ، بالمهمة العظيمة وهي تنصيب الملك^(٢) . وهذا ما يبين بجلاء مركز رجال الدين الزردشتيين ومكانة كبيرهم في العهد الذي نتحدث عنه . وقوائم كبار رجال الدولة الفارسية التي يذكرها اليعقوبي والمسعودي في كتابه التنبيه تسمح لنا بمتابعة التغييرات التي وقعت في النصف الأول من القرن الخامس ، وقائمة اليعقوبي ترجع فيما يظهر ، إلى أوائل هذا القرن حوالي عهد يزدگرد الأول^(٣) ، فهو يذكر^(٤) بعد الشاهنشاه مباشرة البزرگ فرمادار (كبير الوزراء) ، والموبدان موبد ، والهيربدان هيربد ، وديربدشم السباهيد الذي كان من تحتها الباذگوسپان^(٥) . ويضيف المؤرخ قوله إن رئيس الولاية كان يسمى مرزبان ، ورئيس السكورة شهرينغ ، وإن الضباط كانوا يسمون الأساورة^(٦) ، وإن قضاة الصلح يسمون

(١) لعل النص الأصلي الهلوي يقول : يزدان أو امهر سپاندان .

(٢) الطبري ، ص ٨٦١ ، فولدكه ، ص ٩٦ .

(٣) انظر الملاحق (٢) .

(٤) نشر هوتسما ، (١) ، ص ٢٠٢ .

(٥) انظر الفصل الثاني ، القسم الخاص بإدارة الدولة .

(٦) أساورة ، في الجمع الهلوي أسواران أو أسوارگان .

شاهريشت (؟) وإن رئيس المجلس الإداري يسمى إيراث — أمارگر^(١). وكان نظام المراتب حسب رواية التنبيه والإشراف للمسعودي ، وهي الرواية الأخوذة من گاهنامك^(٢) ، يصور ما كان يجري عليه العمل أيام يزدگرد الثاني ، حوالى منتصف القرن الخامس^(٣) .

١ — موبدان موبد (ووكيله هيربدان هيربد) ، ٢ — بزرگ فرمادار
٣ — سپاهبد^(٤) ، ٤ — دبير بد ، ٥ — هوتوخشبد ، ويسمى أيضا وستريوشبد
(حافظ كل من يكديديه كالمهنة والفلاحين والتجار وغيرهم) وكان هؤلاء الأشخاص الخمسة « المدرين للملك والقوام عليه والوسائط بين الملك وبين رعيته »
نقول إنهم كانوا يكونون وزارة الدولة . إنهم يمثلو الطبقات الأربع ومعهم كبير الوزراء الذى يمثل الملك . ويذكر المسعودي بين العظماء الآخرين المرازبة وحكام الثغور وكان عددهم أربعة ، واحد لكل جهة من الجهات الأصلية^(٥) ، وهنا قد تناوب البزرگ فرمادار والموبدان موبد السكان ، فإن هذا الأخير قد أخذ السكان الأول بين العظماء .

وكان رجال الدين الزردشتيون شديدى التعصب ، ولكن مشار تعصبهم كان لأسباب ميسامية خاصة . ولم يكن الدين الزردشتى دين دعاية ، فلم يكن رؤساؤه مملوئين بالحماس لبث مسعادة الأرواح فى العالم كافة . ولكنهم ادعوا السيادة المطلقة فى داخل حدود الدولة ، وكانوا لا يطمحون كثيرا إلى من يدينون بدين آخر ، وخاصة إذا انضموا إلى دين دولة أجنبية قوية . وقد قضى على الخطر الذى جلبته دعوة المانوية فى داخل الدولة . ولم تكن الجماعات اليهودية فى بابل تهدد سلطة رجال الدين الزردشتيين أو كيان الدولة الإيرانية . وحق أن أردشير الأول كان قليل المراعاة لليهود الذين كانوا ينهون

(١) انظر الملحق (٢) حوالى النهاية .

(٢) انظر هنا ، ص ٥٠ .

(٣) BGA ، (٨) ، ص ١٠٣ ؛ كارادى فو (Le livre de l'avertissement) ، ص ١٤٧ وما بعدها .

(٤) أى ليران — سپاهبد .

(٥) فارن هنا ، ص ٨٩ و ١٢٥ وما بعدها ، والملحق (٢) .

قساهل الأشكانيين ، وقد كانوا في العهد الأول من حكم الساسانيين عرضة للمضايقات وخاصة عند ما أرادوا أن يعفوا من الضرائب . ولكنهم ، بوجه عام ، كانوا يستطيعون العيش في سلام مستظلمين بحماية الملك^(١) . ولكن حال النصارى كان مختلفا . فحين حلت الأسرة الساسانية مكان الأشكانيين كان للجالية النصرانية مركز كبير في الرها (Edesse) وقد رأينا في أثناء الحروب الكبيرة مع روما ، أن جماعة من الأسرى قد أقيموا في الجهات النائية من الدولة الإيرانية . وكان ملك إيران ، في غزواته للشام ، ينقل في بعض الأحيان سكان مدينته أو ناحيته ليسكنهم في داخل بلاده . وكان معظم هؤلاء السكان الجدد من النصارى ، فانتشرت النصرانية على نطاق ضيق في كل مكان^(٢) .

وفي أوائل القرن الرابع ، حاول باباير الكاوى ، أسقف سلوقية — المدائن أن يجمع كل الجماعات النصرانية الإيرانية تحت إدارة مركز روحاني واحد في المدائن ، فأثار هذا نزاعا غير مشر إذ انتهى الأمر بخلع بابا ، خلعه مجمع مسيحي ؛ ولكن الحرب استمرت . وكان هناك أسقفيات كثيرة في المناطق الأرمينية والكرديّة شرق دجلة حتى كركوك وحلوان ، وناحية الجنوب في جنديسابور وفي سوس وهرمز أردشير (سوق الأهواز) في الأهواز (Susiane) . وقد صور حال النصارى في القرن الرابع صورة مظلمة صوّره كذلك أفرعت في موعظته الرابعة عشرة ، وأفرعت هذا من أشهر الرجال بين نصارى السريان في ذلك العهد الذي قل فيه اهتمام رؤساء الكنيسة النصرانية بمصالح جماعتهم ورعاية دينهم ، بل انصرفوا إلى مطامعهم الشخصية^(٣) .

وقد راج ، في ذلك الزمان ، بين أبطال الديانة المسيحية الشرقية الغرور والحسد والحسنة وبيع الأشياء المقدسة وشراؤها ، ودأبوا على هذا حتى أثناء الاضطهاد . ولكن هذا لم يقلل من تعصبهم الشديد الذي لم يكن موجها ضد المانوية وحدهم بل

(١) تولدك ، Tabari ، ص ٦٨ ، ملحوظة ١ ؛ لابور ، ص ٧ — ٩ .

(٢) لابور ، ص ١٨ — ١٩ .

(٣) لابور ، ص ٢٤ وما بعدها .

وجه أيضا للوانتيين والمارقونييين والديصانيين وغيرهم من الكفرة الغنوصيين .
وقد عاش نصارى إيران في سلام ما كانت الإمبراطورية الرومانية وثنية ولكن
موقفهم تغير حين اعتنق الإمبراطور قسطنطين Costantin الدين المسيحي . فكان
حينئذ على نصارى إيران ، وكانوا كثيرين في الولايات المجاورة للدولة الرومانية ،
أن يتحملوا نتيجة جذب استمالة دولة قوية لهم دينها الرسمى هو دينهم . وقد نذبا أفرعت
بالنصرى النهائى « لشعب الله » أى الرومان . وإن كانت جيوش الفرس مظفرة
ثما ذلك إلا عقاب يوقعه الله . ولكن وحش الأبوكاليس (تنين رمزى يذكر كثيرا
في كتاب القديس حنا) سيقتل في أوانه^(١) . وفي أعمال الشهداء إن سابور الثانى
كتب لأمرء إقليم الأرمن يقول : « عند ما تعلمون بأمرنا هذا ، نحن الآلهة الآخرين ،
وهو في الدرج الذى بعثناه إليكم ، فعليكم أن تقبضوا على سيمون رئيس الزاريين^(٢) ،
ولا تطلقوه ما لم يوقع هذه الوثيقة ويقبل أن يجمع جزية وغرامة مضاعفتين
يؤديهما إلينا عن كل الزاريين الذين يعيشون في بلاد قداستنا والذين يسكنون
أراضينا ، لأننا نحن الآلهة الآخرين ليس لنا غير متاعب الحرب وهم ليس لهم غير
الراحة واللذات ! إنهم يسكنون بلادنا ويشاركون قيصر ، عدونا ، المشاعر^(٣) » وقد
سجن سيمون ، ولكنه رفض إطاعة أمر الملك ، فاستشاط سابور غضبا عند ما سمع
بهذا وصاح قائلا : إن سيمون يريد إثارة أعوانه ليثوروا على الدولة ويخضعوها لرق
قيصر الذى هو على دينه . ويوافق المؤرخ الكاثوليكي الذى سجل حوادث الشهداء ،
لابور بأن شك سابور لم يكن على غير أساس ، بالرغم من أن سيمون استنكر أثناء
استجوابه ، اتهامه بالخيانة العظمى ، وقد أعدم^(٤) .

وقد كانت هذه الحوادث مقدمة لأول اضطهاد وقع على نصارى إيران ، وقد دام
منذ سنة ٣٣٩ حتى وفاة سابور الثانى . وقد وقع الاضطهاد خاصة في ولايات الشمال

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٨ — ٤٩ .

(٢) سيمون برصبسى ، خليفة بابا .

(٣) لابور ، ص ٤٥ — ٤٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٥ وما بعدها .

الشرق وفي المناطق المتاخمة للإمبراطورية الرومانية . كان هناك مقاتل ومذابح كما كان هناك تشريد . وفي سنة ٣٩٢ نفي تسعة آلاف مسيحي مع الأسقف هيلودور من قلعة فينيك ، في زابده ، إلى خوارزم ، بعد ثورة^(١) . ويقدر سوزمين عدد ضحايا اضطهاد سابور بستة عشر ألفا ، وهم الذين عرفت أسماءهم ، وهو عدد مبالغ فيه قليلا عند لابور . وتروى أعمال الشهداء السريان الاضطهادات التي وقعت على النصراني والتي تواتت في مدد معينة طوال قرنين . وبما لا يحتاج إلى بيان أن هذه الروايات مطبوعة بالتحيز إلى أقصى حد . كما أن جزءا منها قد امتلأ بقصص خرافية . ولكنها لاستنادها إلى روايات وأسناد قيمة ، ولا سيما فيما يتعلق بأقدم العهد^(٢) ، تمدنا بتفاصيل كثيرة من الحياة الإيرانية في ذلك الوقت . وكذلك لم يكن أردشير الثاني ، خليفة سابور ، محبا للنصارى . وعلى عكس هذا جرى الملوك التاليون ، سابور الثالث وبهرام الرابع ، على سياسة التقارب في علاقاتهم بالإمبراطور . وفي أثناء حكم يزدگرد الأول (٣٩٩ — ٤٢١)^(٣) دخلت العلاقات المسيحية — الزردشتية في مرحلة جديدة .



٣٠ . من نقود يزدگرد الأول

(مجموعة المؤلف)

وقد كانت يزدگرد الأول (صورة ٣٠) موضع حكاية مختلفين من المؤرخين الفرس والمسيحيين . يشير إليه مصدر سرياني معاصر بأنه « الملك الطيب الرحيم يزدگرد ، المسيحي المبارك بين الملوك » ، و « إنه كل يوم يشمل الفقراء والتعساء

(١) المرجع نفسه ، ص ٧٨ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٣ وما بعدها .

(٣) ٣٩٧ — ٤١٧ كما يقول هنريش شميدت (Syria ، ١٩٣٤ ، ص ٢٢) .

بفضله»^(١) ويمتدح المؤرخ البيزنطي بروكوب علو نفس هذا الملك . وأما الكتاب العرب والفرس الذين ينقلون عن تاريخ الساسانيين وهو التاريخ المفعم بعواطف رجال الدين الزردشتيين والأشراف ، فإنهم على عكس ذلك يلقبونه بألقاب مثل الأثيم (بزه گر) والحادع (دهر)^(٢) وهو في رأيهم ناكر للجميل مُتهم ، وكان إذا جسر أحد على كلامه في أمر كله فيه رجل قال له « ما قدر نجعلتك في هذا الأمر الذي كلتنا فيه وما أخذت عليه ؟ » كان قاسياً شريراً يترص لمن يخطئ من رعيته لينزل به عقاباً صارماً كل الصرامة . يقول الطبرى في سداجة إن الرعية لم تستطع أن تسلم من سطوته وبليته وما كان فيه من جميع الخلال السيئة إلا يتمسكهم بما كان للملوك قبله من السنن الصالحة والآداب^(٣) . وكانوا لسوء أدبه وخفاة سطوته متواصلين متعاونين^(٤) . وهناك نص آخر في الطبرى قد يصلح في تقويم هذا الوصف المتحيز . فقد قال بهرام الخامس ابن يزدگرد وخليفته في حديثه لأهل مملكته إن أباه كان افتتح أمرهم باللين والمعدلة فجحدوا ذلك أو منهم من جمده ، ولم يخضعوا له خضوع الحول والعبيد للملوك فأصاره ذلك إلى الغلظة وضرب الأبرار وسفك الدماء^(٥) . ونحن نميز خلف صور يزدگرد التي تكاد تكون مزيفة صورة ملك ملوء بالنشاط ، مبال بطبعه إلى الخير . ولكنه صار ظالماً حين خاض غمار المعركة الحامية التي زاد فيها عن سلطته ضد طغيان الطبقات الممتازة بعينها .

وبعد أن تم السلام بين الإمبراطوريتين الكبيرتين ، وكان يزدگرد قد أخذ تحت حمايته تيودوس الثانى ، وهو طفل قاصر^(٦) ، علامة من علامات المجاملة التي ليس لها في الواقع قيمة عملية ، أقر الملك بضرورة وضع حد للنزاع بين الدولة ورعاياها النصارى ليعيشوا هادئين . وقد أرسل وفداً برئاسة ماروتا أمقف ميفارقين

(١) Land, Anecd. Syr. ، (١) ، ٨ ؛ انظر تولدكه ، Tabarī ، ص ٧٥ ، الملاحظة

(٢) انظر ماركارت — مسينا ، Catalogue ، ص ٦٧ .

(٣) أى : الأشراف .

(٤) الطبرى ، ص ٨٤٨ ، تولدكه ، ص ٧٤ .

(٥) الطبرى ، ص ٨٦٥ ، تولدكه ، ص ١٠٤ .

(٦) بروكوب ، BP ، ١ ، ٢ .

(مايفرقت) من قبل الإمبراطورية الرومانية الشرقية إلى الملك يزدگرد . وقد ترك ماروثا بحسن مظهره أثراً حسناً في نفس الملك الذي أولاه ثقته . وقد أمر يزدگرد بإعادة بناء الكنائس المحترقة وإطلاق سراح المسجونين بسبب عقيدتهم من النصارى . وسمح لرجال الدين المسيحي بالتجول في كل مكان بالدولة . ثم إن ماروثا حث الملك على عقد مجمع للأساقفة في سلوقية (بجانب المدائن) حيث ترتب أمور نصارى إيران وتنحى وحدة الكنيسة المسيحية . وقد عقد هذا المجمع في سنة ٤١٠ تحت رئاسة إسحق أسقف سلوقية والمدائن وماروثا وافتتح بدعاء على الملك إيران ، وكانت نتيجة العمل بسلسلة من القواعد أدت إلى اتفاق الكنيسة الشرقية ومذهبها مع القواعد المعمول بها في الغرب . وقد اعتمدت فيه عقيدة نيكه (Nicée) كما أعيد تنظيم المراتب الروحانية . وكان لأسقف سلوقية المدائن ، المطران الكبير أو جاثليق الكنيسة المسيحية في إيران والذي كان أسقف كشكر يعمل وزيراً له ، خمس مطرانيات تحت رياسته في بيت لايت (جنديسابور) بخوزستان ونصيبين وبرات ميشان بميسان وأربل وكرخا بيت سلوخ (كركوك) . وقد خضع لهذه المطرانيات ما يقرب من ثلاثين أسقفية . وقد ظلت بعض الفرق المعزولة في المناطق النائية خارجة عن نطاق هذا التنظيم . وأخيراً ظل أربعة من رؤساء الكنيسة في خوزستان على رأس فرقهم وبموتهم أصبح تعيين خلفائهم بأمر من الجاثليق . وكان يزدگرد ينفذ قرارات المجمع . وقد أمر اثنين من أكبر أشراف المملكة وهما البزرگ فرمادار خسرو — يزدگرد ومهر سابور الذي كان يحمل لقب أرگبذ — وهذا يبين نسبته إلى الأسرة المالكة (١) — أمرهما الملك بأن يجعلا الأساقفة في بلاط الملك وأن يتحدثا إليهم باسمه مؤكدين من جديد حرية الديانة للمسيحيين وحق تشييد الكنائس ، ومعلنين أن من يعارض أوامر الجاثليق إسحق وماروثا يعاقب بشدة (٢) . وبعد عدة سنوات من ذلك بعث « يهيا الله » ، الخليفة الثاني لإسحق ، إلى القسطنطينية لإتمام الصلح بين الإمبراطوريتين . وقد عاد بكثير من الهدايا التي استفاد منها في ترميم كنيسة سلوقية — المدائن وبناء

(١) انظر هنا ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) لابور ، ص ٨٧ — ٩٩ ،

كنيسة جديدة في المدينة نفسها . ولكن النتائج العظيمة التي وصل إليها النصارى في ظل يزدگرد لم تنه الحصومات التي كانت تسود كنيستهم في إيران . تلك الحصومات التي أدت فيما يظهر ، إلى عقد المجمع المقدس سنة ٤٢٠ (١) . ولا شك أن روح المسألة التي أظهرها يزدگرد الأول في معاملته للنصارى كانت تملها أسباب سياسية : فإنه بتوطيد السلام مع الإمبراطورية الرومانية الشرقية كان يستطيع أن يجمع جهودهم في تقوية السلطة الملكية ولكن يظهر أن التسامح في مسائل الدين كان ظاهرة طبيعية في خلقه . فقد كان متسامحا كذلك مع اليهود الذين لم يكن لهم شأن سياسي (٢) . بل تزوج هو من يهودية ، شوشين دخت (٣) ابنة رأس الجالوت (٤) .

وإن كان يزدگرد قد غير سياسته مع النصارى في أواخر حكمه فإن هذا كان بخطأ هؤلاء . ذلك أنهم عتوا وتحذوا الرأي العام حتى لم يكن مفر من مقابلة الشر بمثله . ففي مدينة هرمزد — أردشير بخوزستان اجتراً أحد القساوسة واسمه هاشو على أن يهدم بإذن صريح أو ضمنى من الأسقف عبدا ، بيت نار قريب جدا من الكنيسة النصرانية . وقد قبض على القسيس والأسقف وغيرهما بمن ذكروا في هذا الحادث وأرسلوا جميعا إلى الدائن . وقد سأل الملك نفسه عبدا فنفى كل اتفاق جنائي ، ولكن هاشو اعترف أنه هو خرب بيت النار هذا ثم فاه مع هذا الاعتراف بألفاظ عدائية فيها إساءة إلى الدين الزردشتي ، وحينئذ أمر الملك عبدا بإعادة بناء للمعبد ، ولكنه رفض الأمر بإصرار فحكم عليه وقتل . وقد أشاد المؤرخ الديني تيودوروت بسلوك هذا الأسقف الذي أصر على خطئه ، بالرغم من اعتباره هدم المعبد عملا بعيدا عن الحكمة (٥) .

(١) لابور ، ص ١٠٠ — ١٠٣ .

(٢) تولدكه ، Tabarī ، ص ٧٥ ملحوظة .

(٣) انظر هنا ص ٢٥ ؛ ماركارث ، Eranshahr ، ص ٥٣ ، ملحوظة ١ ؛ لويس جرای ، The Jews in Pahlavi Literature ، محاضر مؤتمر المشرقين الدولي الرابع عشر ، (١) ، باريس ١٩٠٦ ، ص ١٩٠ وما بعدها .

(٤) هوفان ، ص ٣٤ وما بعدها ؛ لابور ، ص ١٠٥ وما بعدها .

وهناك حادث آخر يلفت النظر بأن أسماء النصارى الذين ذكروا فيه كانت إيرانية كلها . ذلك أن القسيس شاهپور قد حرض نبيلًا إيرانيًا اسمه آذر — فرينغ^(١) على الدخول في النصرانية ، بأن أمّله بالشفاء من مرض . فدعا هذا القسيس إلى قرينته وأتاح له أن يبني كنيسة فيها ، وقد تملك شاهپور الأرض أولاً بعقد ثم بنى الكنيسة عليها . وقد أبلغ الموبد آذر بوزى^(٢) الأمر إلى الملك على أنه مثل سيء لا يرتداد النبلاء عن دينهم ، فأذن يزدگرد للموبد بأن يبذل كل الوسائل لإرجاع المرتد إلى الدين الزردشتي ، ولكن على ألا يقتله . والواقع أن آذر — فرينغ قد رجع إلى دينه القديم ، ثم طلب صك التخليك من القسيس شاهپور فأبى ذلك بتحريض من أحد رجال الدين المسيحي المسمى نرسى^(٣) ، ثم هرب بعقد الملكية . ثم أعيدت الكنيسة إلى بيت نار ولكن نرسى أطفأ النار في المعبد وأقام فيه مشاعر المسيحية ، فلما شاهد موبد القرية هذا الإثم العظيم أذاعه على أهل القرية ، وجلد نرسى ثم أرسل مكبلاً بالسلاسل إلى المدائن حيث وعده آذر بوزى بالإعفاء من العقاب على شرط أن يصلح ما أفسده في المعبد ، وقد رفض نرسى هذا العرض فألقى في غياهب السجن فلما أصر على إباته قتل^(٤) .

وقد أودى النصارى بالضرورة بأمثال هذه الأعمال العنيفة ويمكن أن نرى في تعيين مهر — نرسى ، عدو النصارى الصريح ، في وظيفة كبير الوزراء (بزرگ فرما دار) البرهان على تغير سلوك الملك مع المسيحيين^(٥) .

يغطي على موت يزدگرد الأول في سنة ٤٢١ غموض بعيد الغور ، وتقول الرواية الإيرانية إنه في أثناء إقامته بجرجان رحله على فؤاده فرس عاثر لم يرقبله مثله في الخيل

(١) بالسريانية : آذر فسرّوا .

(٢) ربما الموبدان موبد ؛ وبعد ذلك سمي « رئيس المجوس » في حوادث التعذيب .

(٣) نرسى بالسريانية .

(٤) هوفان ، ص ٣٦ — ٣٨ ؛ لا بور ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .

(٥) بين تولدك (Tabari ، ص ٧٦ ملحوظة ١) ، مستشهداً بأسباب من التاريخ السنوي ، عدم صحة رواية الطبري التي تقول بأن يزدگرد عين مهر — نرسى وزيراً بعد توليه العرش مباشرة .

في حسن صورة وتعام خلق رحمة هلك منها مكانه ، ثم لم يُر ذلك الفرس ، ويقال إنه اشتد في عدوه فلم يدرك ولم يوقف على كنهه . ولعل نولدكه قد أصاب حين افترض أن هذه القصة قد اخترعت لتخفي حقيقة انتهاز الأشراف لإقامة يزدگرد في مكان قصي ليتخلصوا من ملك ييغضونه^(١) .

وقد ترك يزدگرد من بعده ثلاثة أبناء : سابور ، وبهرام ونرسی . وكان يزدگرد قد أقام سابور ملكا على قسم أرمينية الخاضع لإيران وكان بهرام يقيم عند ملك الحيرة العربي ، التابع للملك . ويقول الطبري إن بهرام قد أرسل صغيرا إلى الحيرة لتربيته وحضنته^(٢) وإنه لم يتأدب بأدب العجم وإنما أدبه أدب العرب وخلقه تخلقهم^(٣) . ولكن هذه الإقامة الطويلة في الإقليم العربي المتأخم كانت نفيا على الأرجح ، ويفسر ذلك ما كان من الاختلاف بين يزدگرد وولده الصغير^(٤) ، والمؤكد أن بهرام كان يعيش في قصر الخورنق بالحيرة . وهو القصر الذي ينسب بناؤه إلى النعمان اللخمي ، ولكن تاريخه يرجع بغير شك إلى تاريخ أبعد قدما^(٥) ، وأن بهرام قد رُبي بإرشاد المنذر ، ابن النعمان وخليفته ، الذي حباه يزدگرد بمرتبتين سنيتين ، رام افزود يزدگرد (الذي زاد سرور يزدگرد) ومهيدشت (أعظم الخول)^(٦) أما الابن الثالث من أبناء يزدگرد ، نرسی (ابنه من السيدة اليهودية)^(٧) فيحتمل أنه كان قاصرا عند وفاة أبيه . وأما بهرام فلم يكن يتجاوز العشرين من عمره^(٨) . ولكن الأشراف ورجال الدين ، وقد تخلصوا من ملك غير موفق ، أرادوا

(١) نولدكه ، Tabari ، ص ٧٧ ، ملحوظة ١ .

(٢) الطبري ، ص ٨٥٥ ، نولدكه ، ص ٨٦ وما بعدها .

(٣) الطبري ، ص ٨٥٨ ، نولدكه ، ص ٩١ .

(٤) انظر نولدكه ، Tabari ، ص ٩٠ ، ملحوظة ٢ .

(٥) رودشتين ، ص ١٦ و ١٤٤ .

(٦) الطبري ، ص ٨٥٥ ، نولدكه ، ص ٨٦ وما بعدها ؛ وقارن رودشتين Rothstein

ص ٧٦ وما بعدها .

(٧) انظر هنا ص ٢٥٨ .

(٨) الطبري ، ص ٨٦٣ ، نولدكه ، ص ٩٨ .

انتهاز الفرصة لكي يوطدوا جاههم فتألفت جماعة من الأشراف لكي يبعثوا أبناء يزدگرد جميعاً عن وراثة العرش ، ويذكر الدينوري من هؤلاء^(١) : ويستهم اصبيد السواد وكان لقبه هزارفت ، ويذكر كشنسپ باذگوسبان ناحية الزاب (الزوابي)^(٢) وپيرگك مهران^(٣) وگوذهر صاحب ديوان الجيش وگشنسپ آذرويش والي ديون الخراج وپناه خسرو (روانگان دبير) أي قثم الصدقات^(٤) . ومما هو جدير بالنظر أن اسم مهر نرسی ، الوزير العظيم أيام يزدگرد ثم أيام بهرام الخامس فيما بعد ، لم يذكر في هذه القائمة . وقد سارع سابور ملك أرمينية إلى المدائن ليضمن العرش ، ولكن العطاء قتلوه^(٥) ونصبوا أميرا اسمه كسرى ملكاً عليهم ، وهو من فرع بعيد من الأسرة الساسانية .

ولكن الأمير بهرام لم ينتظر أن يهزم بغير معركة ، وقد أمده ربيبه إمدادا مجديا . ويقول المؤرخون العرب إن ملك الحيرة قد سار على رأس فرقتين من الفرسان ، اسم الأولى « دوسر »^(٦) ، وهي لتنوخ وغيرها من القبائل التي تسكن حول الحيرة^(٧) ، والأخرى « الشهباء » وهي للفرس^(٨) . ومهما يكن فقد كان لدى المنذر قوة أحسن إعدادها فوضعها تحت قيادة ابن النعمان . فتقدم هذا نحو المدائن فارتاع العطاء وأهل البيوتات فبدأوا يفاوضون المنذر وبهرام وعزل كسرى وولى بهرام العرش . وقد أفاض القصص الإيراني على هذا الحادث خرافة خياليه :

(١) نشر جبرجس ، ص ٥٧ .

(٢) ناحية من إقليم بابل الأسفل تخترقها القنوات المسماة بالزاب ، نولدكه ، Tabari ، ص ٥٠١ وما بعدها ؛ ماركارت ، Erānšahr ، ص ١٦٤ . اقترح هرتسفيلد قراءة أخرى ، انظر الملحق ٢ .

(٣) يعتبر الدينوري « مهران » كأحد العطاء ؛ انظر الملحق ٢ .

(٤) روانگان دبير . انظر ص ١٢٥ .

(٥) موسى الخوري ، ١ ، ٥٦ ؛ نولدكه ، Tabari ، ص ٩١ ، ملحوظة ٤ .

(٦) فارس « ذو الرأسين » ، « الرئيسين » ؟

(٧) رودشتين ، ص ١٨ وما بعدها .

(٨) تذكر الفرقتان معاً في المصادر العربية ، ويفترض رودشتين (ص ١٣٦) أن الإسمين كانا في الأصل يعنيان فرقة واحدة .

فبهرام يعد بإصلاح ما أفسد أبوه ورأب ما صدع ويطلب مهلة سنة ليقيم الدليل على تنفيذ ما وعد به . ثم إن اختيار الملك يتوقف على نوع من حكم الله : فإن من يتناول التاج والزينة من الطامعين في الملك ، من بين أسدين ضاربين مشبلين فهو الملك . وقد رفض كسرى أن يدخل حيث الأسودان ، فتقدم بهرام وقتل الأسودين ثم تناول التاج والزينة ، ثم هتف به جميع الحاضرين ، وكان كسرى أول من هتف ، وأذعنوا له وخضعوا . ولا شك أن هذه القصة قد اخترعت لتخفي حدثاً مخجلاً وهي أن تدخل جيش عربى صغير قد كانت كافياً لإحباط عمل الأشراف وإجبارهم على قبول ملك كانوا عنه معرضين .

ولم يكن لأحد من ملوك الساسانيين ، عدا أردشير الأول وكسرى أنوشروان وكسرى بروز ، ما كان لبهرام الخامس من ميل قلوب الناس إليه . (صورة ٣١) فإنه خفض الضرائب عن أصحابها عطفاً منه على الناس أجمعين . وقد ألقت قصص كثيرة حول بلائه الحسن في حروب أقوام الشمال وبرزنطة ، وحول غرامياته ومخاطراته في الصيد . وهذه الأخيرة ، وهي تشبه أحياناً أسلوب قصص «موشهاوزن» (بارون ألماني ١٧٢٠ — ١٧٩٧) ، قد خللت في الآداب الفارسية ، وبالتصوير أيضاً ، كما أنها أوحى ، على تتابع القرون بحلى للسجاجيد والمنسوجات من كل الأنواع . ولا يزال لدينا كؤوس فضية ترجع إلى العهد الساساني وقد صور عليها مناظر من مخاطرات هذا الملك في الصيد . وفي متحف الإرميتاج في ليننجراد كأس يمثل بهرام الخامس ، ويعرف من هيئة تاجه ، وقد ركب فرساً مردفاً وراءه قينة له . وقد أشير إلى التفاوت الاجتماعى بين الملك والمرأة باختلاف قديهما في الطول . وقد أرادت القينة ، في خبث ، أن تعرف أيستطيع الملك بسهمه أن يشبه ذكران الوحش بالإناث وإنائها بالنذكران ، فرمى تيساً من الظباء بذشابة ذات شعبتين فاقطع قرنيه ورمى عنزاً منها بذشابتين فأثبتتهما في موضع القرنين (١) .

(١) انظر عيون الأخبار لابن قتيبة (١) ، س ١٧٨ من طبعة القاهرة) نقلاً عن كتاب سير المعجم ؛ الفردوسى ، طبعة . ول ، (٥) ، س ٦٠٥ — ٦٠٨ .

وقد رسم صانع الكأس السهم بشكل خاص فجعل نهايته على هيئة الهلال^(١) .



٣١ . من نقود بهرام الخامس

(مجموعة المؤلف)

كان بهرام مطبوعاً على الجلد والنشاط فدعا الناس إلى التمتع بالحياة . وكان يقول الشعر بالعربية ويتكلم بسائر اللغات^(٢) . وكان محباً للموسيقى فسوى بين الطبقتين من الندماء والغنيين ورفع من أطربه ، وإن كان من أوضاع الدرجات ، إلى الدرجة الأولى^(٣) ، وإليه تنسب القصة المشهورة إنه أحضر من الهند جماعة من اللور أجداد الغجر حتى لا يحرم سواد الناس من الاستمتاع بالموسيقى^(٤) . وقد أدت حياته المرحية إلى أن لقب بـ (حمار الوحش) . وقد ربطت هذه التسمية بقصة جاء فيها أنه انتظم بضربة سهم واحدة ، حمار وحش وأسد كان يعلو ظهره .

والحق أن مؤرخي الساسانيين لم يستثنوا بهرام گور من النقد ؛ فقد أخذوا عليه انغماسه في اللذات والإسراف ، ثم إنه كان مؤثراً للهو على أعمال الدولة^(٥) .

(١) انظر شوارتز ، Iran im Mittelalter ، (٥) ، ص ٥٤٧ عن « بقعة الفزال »

(المتعلقة بقصة أخرى عن الصيد) وقصر بهرام گور قرب همدان ، اللذين وصفهما ابن الفقيه . وأما عن مهارة بهرام في رمي السهم فقارن ما يرويه الجاحظ في التاج ، ص ١٧٧ وما بعدها .

(٢) المسعودي ، صروج ، (٢) ، ص ١٩١ ؛ الثعالي ، ص ٥٥٥ .

(٣) الجاحظ ، التاج ، ص ٢٨ ؛ المسعودي ، صروج ، (٢) ، ص ١٥٧ .

(٤) الفردوسي ، طبعة مول ، (٦) ، ص ٧٦ — ٧٨ ؛ الثعالي ، ص ٥٦٦ وما بعدها .

(٥) الجاحظ ، التاج ، ص ٣٠ و ١٥٩ ؛ الطبري ، ص ٨٦٣ ، نولذلك ، ص ٩٨ ؛

المسعودي ، صروج ، (٢) ، ص ١٦٨ وما بعدها ؛ الثعالي ، ص ٥٥٧ .

ولكن ليس من شك في أنه ، حين ترك زمام أمور الدولة في أيدي العظماء ، صار محبباً إليهم وإلى رجال الدين ، وأن بعض شهرته العظيمة يرجع إلى هذا الحب .

وكان أقوى العظماء في ذلك الوقت وأوسعهم نفوذاً مهر — نرسی بن ورزگ^(١) ، كبير الوزراء (بزگ فرمادار) الذي يحمل لقب أورتبة هزار بندگ (الذي يملك ألف عبد)^(٢) . ومهر — نرسی هذا من الأسرة الأشكانية « سپندياذ » ، وهي إحدى الأسرات السبع الممتازة . ويصوره الكتاب العرب والفرس ، ويحتمل أن ترجع أقوالهم عنه إلى التاريخ الساساني الكبير ، رجلاً متوقداً واسع المعرفة . وليس عجيباً أن يفضيه مؤرخو المسيحيين ، وأن ينعتة للورخ الأرمني لازار القرني Lazare de Pharpe بالقدر والقسوة ، لما بدا من تعصبه (مهر نرسی) للدين الزردشتي . ولكن هذا التعصب لم يظهر في كراهيته لأتباع الأديان الأخرى فحسب ، فقد وضع « فرّض » فلاحه الأرض وإخصابها الذي فرضته الديانة الزردشتية نصب عينيه . فبنى في الملكات الشاسعة التي كانت له ، في نواحي أردشير — خرم وفي كورة سابور في فارس أبنية رفيعة واتخذ فيها بيت نار يقال له « مهر نرسیان » ، ثم بنى بالقرب من أبروان ، مسقط رأسه ، أربع قرى وجعل في كل واحدة منها بيت نار ، فجعل واحداً منها لنفسه وسماه « فرازمرآ آور خدایان » (٢) (أقبلني إلى سيدتي)^(٣) على وجه التعظيم للنار ، وجعل الآخرين لأبنائه الثلاثة ، فأحدها لزروانداد وسماه « زر واندازان » والآخر لكاردار وسماه « كارداران » ، والآخر لماه گشنسپ وسماه « ماه گشنسپان » . ثم اتخذ في هذه الناحية ثلاث باغات (حدائق) جعل في الأولى اثني عشر ألف نخلة ، وفي الثانية اثني عشر ألف

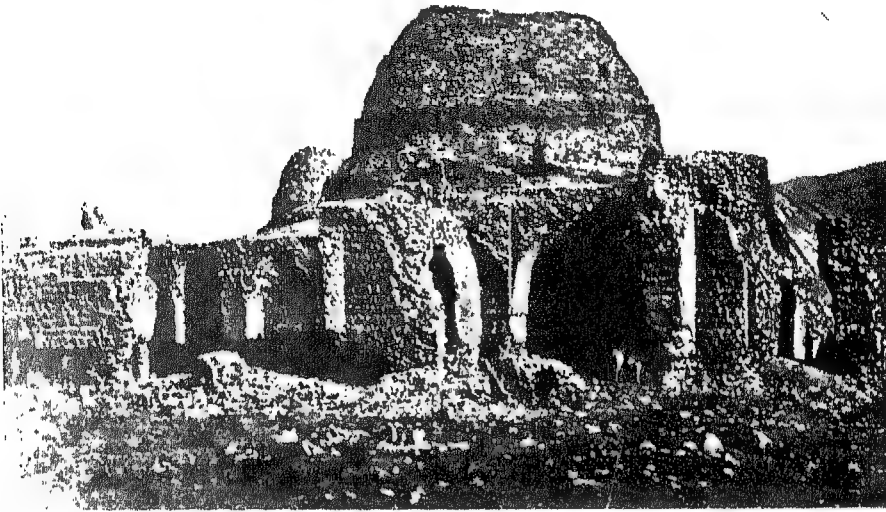
(١) الطبري ، ص ٨٧٢ ، نولدكه ، ص ١١٦ .

(٢) ذكر الطبري (ص ٨٦٩ ، نولدكه ، ص ١٠٩ وما بعدها) المعلومات التالية عن مهریزس وأبنائه .

(٣) « سيدتي » حسب الترجمة العربية التي قال بها الطبري ، يقول نولدكه Tabari ، ص ١١١ ، ملحوظة ٧) ، كلمة النار مؤنثة بالعربية ؛ فإن مع هذا ص ١٣٥ من هنا . أما عن صيغة الأمر آور فانظر نيرج . E. Symbolis Philologicis O.A. Danielsson octogenario dicatis (أوبسال ، ١٩٣٢) ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

أصل زيتون . وفي الثالثة اثني عشر ألف سرورة ، يقول هذا الطبري ويضيف إليه قوله : « ولم تزل هذه القرى والباغات (الحدائق) وبيوت النيران في يد قوم من ولده معروفين إلى اليوم ، وإن ذلك فيما ذكر إلى اليوم باق على أحسن حالاته » ؟ .
والكنا لا ندرى أيرجع هذا إلى الوقت الذي عاش فيه الطبري نفسه أم إلى عهد مؤرخ أكثر قدما يروى الطبري عنه .

وقد لاحظ هرتسفيلد أن قصر « سروسن » الذي يقع على طريق القوافل المؤدى من شيراز إلى دارابجرد وبندر عباس ، الذي يرجع تاريخه ، فيما يرى ، إلى حوالي عهد بهرام الخامس ، قد يكون من العمارات التي شيدها مهر — نرسی ، إذ أن معنى كلمة سروسن « منبت السرو » . وسروسن هذا (صورة ٣٢) قصر صغير ذو قباب^(١) . ويرى هرتسفيلد أنه أصغر حدا من أن يصح



٣٢ . قلعة سروسن

(ديولافوا . فن فارس القديم)

(١) سار — هرتسفيلد Felsreliefs ، ص ١٣١ ؛ سار — هرتسفيلد ،
Archäologische Reise im Euphrat-und Tigris-Gebiet ، (٢) ، ص ٣٣٢ وما بعدها .

سكنا للملك . وقد كان بهو الاستقبال قصير الأطوال خاصة . وقد فتحت بالحيطان أبواب الجدران كثيرة . ويدل تشييد القعود على أن فن العمارة الساسانية قد تقدم تقدماً واضحاً في ذلك الوقت (١) .

وكان أبناء مهر نرسى الثلاثة يشغلون ، منذ أيام أبيهم ، أعلى الوظائف في الدولة . فكان زروانداد هريبدان هريبد وهي مرتبة شبيهة بمرتبة موبدان موبد . وكان ماه كشنسب متواليا ديوان الخراج (واستر يوشا نسالار) وكان كاردار قائد الجيش الأعظم (ارتيشتارا نسالار) .

وقد بدأ بهرام الخامس بشن الحرب على البرابرة في الشمال ، وهم الذين يشير إليهم الكتاب العرب والفرس باسم الترك . ويحتمل أن يكونوا هم الكيونييت (٢) . وقد رأينا هؤلاء الناس الذين يرجعون إلى أصل هونى بين الفرق المردفة في جيش سابور الثانى . وكان إخلاصهم غير مؤكد . وقد استقروا حينذاك في الصحراء شمال مرو فقاموا في العهد الذى تلاموت سابور ، بثورات متكررة في خراسان حتى أصبحوا العدو الأول للفرس عند هذه الحدود . وقد قاد بهرام بنفسه حملة مظفرة ضد هؤلاء البرابرة واستخلف أخاه نرسى على ما كان يدير من ملك أثناء غيابه . وقد ولى نرسى هذا على خراسان بعد أن استتب السليم في أقاليم الشرق (٣) . ولكن العلاقات بين إيران وبيزنطة قد تسكدر صفوها في هذه الأثناء .

أدى عتو النصارى إلى ققدم عطف يزدگرد الأول ، فأعد لهم اضطهاد جديد قبل موت هذا الملك . وكان منظم الحركة ضد النصارى الموبدان موبد مهر سابور ، فلم يكدر يعتلى بهرام الخامس العرش حتى بدأ هذا الاضطهاد . وأخذ

(١) Felsreliefs ، (١) ، ٤٥ ؛ جبل ديولافوا ((٤) ، ص ٣٠ وما بعدها) قصر سروستان بين العمارات الأكمينية .

(٢) وهكذا ماركارث ، Eranšahr ، ص ٥٢ .

(٣) الطبرى ، ص ٨٦٥ . نولدكه ، ص ١٠٣ ؛ قارن ماركارث — مسينا ،

Catalogue ، ص ٤٣

النصارى المقيمون في البلاد المجاورة للعرب يفرون زرافات إلى الأراضى البيزنطية . وقد أثار عليهم مهر — نرسى القبائل العربية قتل عدد كبير منهم . وقد نعر «اسبيد»^(١) ، وهو الموظف الإيراني الكبير الذى نيط به وسائل اضطهاد النصارى ، بما كلف به ، ورفض إطاعة ما صدر إليه من أوامر وساعد النصارى على الفرار ، فلما أجبر هو نفسه على الهرب لجأ إلى القائد الرومانى أناطول فولاء قيادة القبائل العربية الموالية لبيزنطة . وقد طالب ملك إيران حكومة بيزنطة بتسليم اللاجئين فرفضت .

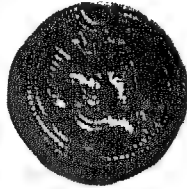
هذه الحوادث التى انتهت فى سنة ٤٢١ بإنارة الحرب الجديدة بين بيزنطة وإيران . وكانت حربا قصيرة المدى . وقد رأس الجيش الإيرانى مهر — نرسى ، وكان للرومان التفوق بوجه عام . وفى الصلح الذى عقد فى السنة التالية (٤٢٢) اعترف الفرس للنصارى بحرية العقيدة فى بلادهم . وأما منح الزردشتيين المقيمين فى الإمبراطورية الرومانية هذا الحق نفسه فلم يكن له أثر عملى ولكن نص على ذلك تعزيزا لهيئة الإيرانيين . وجدد الاتفاق على الأموال التى تدفعها بيزنطة لحفظ معابر القوقاز ضد الهون .

وفى ذلك الوقت كان نصارى إيران يتنازعون بشدة فيما بينهم . فإن داد يشوع الذى انتخب جاثليقا فى سنة ٤٢١ أو فى أوائل السنة التالية ، قد أدى ملك إيران خدمات جليلة فى دفاع خراسان ضد برايرة الشمال . وقد اتهمه لفيغ من المنشقين ، على رأسه بطاى أسقف هرمزد — أردشير ، ببيع الأشياء المقدسة والتعامل بالربا وإنارة المغان لاضطهاد أهل ملته . وقد أحكم تدير هذه الحملة الغادرة . وأخيرا أمر بهرام بسجن داد يشوع . ولما أطلق سراحه بعد ذلك بفضل مساعى الإمبراطور تيودوس الثانى ، كان ضيق الصدر بمنصبه حق رغب فى الاستقالة منه ، ولكن أتباعه توسطوا فى الأمر ، وعقد مجمع من ستة وثلاثين أسقفا ، فأيدوه هذا

(١) تجمعه Analecta graeca أميرا عريبا (لابور ، ص ١١٧) ولكن يبدو أن اسم هذا الرجل إما أن يكون فارسيا من أسرة اسبيهد الكبيرة ، أو أنه كانت وظيفته اسبيهد ، ومى وظيفة قد لا يعهد بها لى عربى .

المجمع وحمله على العدول عن استقالته . ولهذا المجمع الذى عقد فى بلد عربى ، خطر من حيث أنه نادى باستقلال كنيسة النصارى فى إيران وبانفصالها عن الكنيسة العربية . ولا شك أن داد يشوع حين حمل المجمع على التصويت لهذا رأى ، قصد إلى أن يكون مركز نصارى إيران أكثر ثباتا ، فلا يتهمنهم أحد بعد ذلك بالتآمر مع بيزنطة (١) .

وبعد موت سابور أخى بهرام الخامس وملك ولاية أرمينية التابع ، تملك عليه أرتخشس (أردشير) الأشكاني بن ورام شاپو مدة عشر سنوات ، ثم عزله بهرام . وحكمت أرمينية بعد ذلك حكم المقاطعات الإيرانية ، ثم ولى عليها مرزبان من الأشراف الفرس اسمه ويه — مهر — سابور .



٣٣ . من نقود يزدگرد الثانى
(متحف كوينهاجن)

وقد توفى بهرام الخامس سنة ٤٣٨ أو ٤٣٩ ، وكانت وفاته طبيعية فى قول الفردوسى . ولكن معظم المصادر العربية تجعله يموت ضحية حبه للصيد : فقد كان يركض على فرس ذات يوم فى بعض أيام صيده ، فغاص هو وفرسه فى حومة كحأة ، وقد اختفى فلم يعثر أحد على جثته (٢) . ومن الممكن أن يكون تردى الملك فيروز فى حفرة قد ساعد على صياغة هذه القصة التى تتضح من ناحية أخرى من تداعى المعانى : فقد كان بهرام يلقب بگور (حمار الوحش) ، وقد تردى فى گور (قبر) . وقد استفاد عمر الحيام ، الشاعر الفارسى المشهور ، من هذا الجنس فى رباعية له مشهورة جدا :

(١) لابور ، ص ١١٩ — ١٢٥ .

(٢) تولدكه Tabari ، ص ١٠٣ ، ملحوظة ٣ ؛ والرواية نفسها فى الشمالى ، ص ٥٦٨ .

آن قصر که بهرام درو جام گرفت آهوچه کرد و روبه آرام گرفت
بهرام که گور می گرفت می همه عمر دیدی که چگونه گور بهرام گرفت
هذا القصر الذى أمسك بهرام السكاس فيه ، أصبح مولدا للغزلان ، ومستراحا
للذئاب ، لقد كان بهرام يصيد حمر الوحش (گور) طول عمره ، وها هو بهرام
فريسة القبر (گور)^(۱).

ولم يكن يزدگرد الثانى ابن بهرام وخليفته ، متحليا بصفات أبيه الحميدة . ويقول
الطبرى^(۲) إنه صرح فى حديثه إلى العطاء الذين أتوا يهنئونه بالملك بأنهم فقدوا عنده
ما كانوا يعهدونه من أبيه من إطالة الجلوس للرعية ولكنه يريد أن تكون خلواته
فى مصلحة المملكة . ويشير مصدر سريانى إلى هذا التغير فى سياسة الملك أيضاً ،
وقد جاء فيه أن يزدگرد الثانى قد ألقى السنة القديمة التى كانت تتبع لكل موظف
فى الدولة الحق فى الثول فى حضرة الملك فى الأسبوع الأول من الشهر ، ويقدم له
بياناً عما ارتكب من مظالم أو تعد من جميع الأصناف^(۳).

وقد حدثت حرب صغيرة مع بيزنطة ، فى أوائل عهد يزدگرد (۴۴۲) وانتهت ،
من غير حوادث خطيرة ، إلى صلح لم يبدل من جوهر الأوضاع السابقة^(۴).

وإذا كان فى استطاعتنا أن نشق بما فى أعمال الشهداء فإن يزدگرد يبدو أول
الأمر متساعماً مع النصارى ، ولكن تغييراً قد طرأ على سلوكه معهم فى السنة الثامنة
لحكمه ، وذلك بعد أن قتل ابنته التى كان قد تزوجها ، كما قتل بعض عطاء
المملكة^(۵). ولم تبين أعمال الشهداء من هم هؤلاء العطاء ، ولكن المفروض أنهم

(۱) انظر كريستنسن : Critical Studies in Rubā'iyāt of Umari Khayyam :

س ۷۵ ، رقم ۴۴ . بهرام هو الصيغة الفارسية الحديثة لوهرام ، گور (giir) هو النطق
الفارسي الحديث للكلمة البهلوية گور .

(۲) س ۸۷۱ ، نولذک ، س ۱۱۳ .

(۳) هوفمان ، س ۵۰ .

(۴) نولذک ، Tabari ، س ۱۱۶ ، ملاحظه ۲ .

(۵) هوفمان ، س ۵۰ ؛ لابور ، س ۱۲۶ .

من اعتنقوا المسيحية أو كانوا يميلون إلى اعتناقها . وليس من المستطاع أن نفكر في أن هذا الملك كان يعارض سلطان كبار الأشراف عامة ، ذلك لأن المؤرخين العرب والفرس ، الذين يبينون رأى رجال الدين أيام الدولة الساسانية ، يصورون يزدگرد ملكا رؤوفا محسنا^(١) . وأما اليهود فقد كان متشدداً في معاملتهم إذ حرم عليهم « السبت » سنة ٤٥٤/٤٥٥^(٢) . وقد اشتد على نصارى أرمينية منذ السنة العاشرة من حكمه^(٣) . ويقدم لنا اليزه مسألة طريقة^(٤) : وهي أن يزدگرد قد درس الأديان في مملكته مقارناً إياها بالزردشتية وإنه تثقف كذلك بمذاهب النصارى . وكان يقول : « اسأل واختبر وارقب فسوف نختار ما يظهر لنا أنه الأفضل » .

ولم يكن هذا السلوك ، في نظر الكاتب الأرمنى الشرس ، إلا نقاقا . وسنرى في هذا السلوك مجهوداً محموداً لفهم الحركات الدينية في ذلك الوقت . وليست هذه الظاهرة بنادرة في تاريخ الملوك الساسانيين : فقد رأينا أن سابور الأول وهرمزد الأول كانا شغوفين بمعرفة المانوية ، وسنرى فيما بعد إلى أى حد تأثر الملك قباد الأول بمذهب مزدك ومع هذا فإن يزدگرد الثانى ظل متمسكا بالزردشتية ، بعد أن قارن بين الأديان المختلفة ، وظلت مقاليد الأمور في إيران في يد نرسى ، خصم النصارى المبين .

وقد كان انتشار المسيحية في أرمينية مصدرا لقلق حكومة إيران منذ زمن طويل . وقد كان المفهوم في المدائن أن استعمار أرمينية يظل منتجا مابقيت فيها الخلافات الدينية ، وقد لقيت الدعوة إلى القمع مدافعا قويا في شخص مهر نرسى . وقد كانت نتيجة المداوالات التى دارت بين الملك ومهر نرسى والعطاء وكبار رجال الدين الزردشتيين أن وجه مهر نرسى أمرا إلى الأشراف الأرمن باسم الملك . وقد ذكر لازار الفربى — ويظهر أنه عاش بعد هذه الحوادث بنحو نصف قرن — هذا

(١) الطبرى ، ص ٨٧١ ، فولدكه ، ص ١١٣ .

(٢) فولدكه ، Tabarī ، ص ١١٤ ، ملحوظة ١ .

(٣) اليزه ، Langlois ، (٢) ، ص ١٤٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٨٧ وما بعدها .

الأمر على النحو التالي: (١) ... « لقد أمرنا بسطر (أصول) ديننا الذى يعتمد على الحقيقة والذى يقوم على أسس متينة ، وأرسلناها لكم . وإنا راغبون فى أنكم ، أنتم الأعزاء النافعون للبلاد ، تقبلون وتدخلون فى ملتنا المقدسة الحقة ، وتطرحون هذا الدين الذى نعرف جميعا بالارباب أنه زائف عقيم . وإذا فعليكم حين تعرفون مرسومنا أن تقبلوه مختارين راغبين ولا توجهوا أنفسكم نحو نحل أخرى . وعلاوة على هذا قد تنارلنا إلى أن نأمركم بأن تكتبوا إلينا دينكم المزعوم الذى كان ، حق اليوم ، سبب ضلالكم . وإنكم حين تعرفون ، كما عرفنا ، ديننا فلن يجرؤ سكان جورجيا والألبان على مخالفة إرادتنا » . (٢)

والمفروض أن الأمر كان معه رسالة وضحت فيها أركان الدين المزدى . وحينئذ اجتمع الأساقفة النصارى وأعظم قساوسة أرمينية ، لى ينظروا فى القضية . وقد أمدنا لازار الفربى بأسماء الحاضرين جميعاً ، وهذا يحملنا على اعتقاد أنه استمد ما يرويه من مصادر قيمة ، ثم ذكر الرد الذى صاغته هذه الجماعة والذى كان بالغاً فى الشدة . ونحن نذكر بعض أهم فقراته (٣) : « الحق أننا إن كنا ، ونحن فى قصرك بحضرة المغان الذين يسمون مشرعين ، قد هزأنا بهم واحتقرناهم فإننا نكون لهم اليوم أكثر من هذا وذلك ، إن كنت تريد إجبارنا على قراءة كتبك والإصغاء إليها ، وهى كتب لاتعني ولا يمكن أن تكون موضوع تفكيرنا . ثم نحن زيادة فى احترام إرادتك ، لم نكون نريد أن نفتح كتابك ونقرأ ذلك لأن ديننا نعرفه باطلا ونعرف أنه أوهام رجال بلهاء ، وقد نقل تفاصيله إلينا مشرعوك ، مشرعو الزور ؟ ديننا كهذا نعرفه أكثر مما نعرف ، لا يستحق أن يقرأ عنه ، أو يصغى إليه . والحقيقة أننا حين قرأنا شريعتك اضطررنا إلى أن نهزأ بها ، وكذلك سخرنا من هذه الشرائع والمشرعين ، ومن يؤمنون بمثل هذه الأضاليل ومن أجل هذا رأينا عبثاً غير لائق

(١) لانجلوا ، (٢) ، ص ٢٨١ . وقد تركنا بعض ملاحظات تقديمية .

(٢) عن التبشير بالمسيحية بين أقوام القوقاز انظر بيترز ، Les débuts du christianisme ، en Oéorgie d'après les sources hagiographiques ، Analecta Bollandiana .

جزء (٥٠) ، ص ٥ — ٥٨ .

(٣) لانجلوا ، (٢) ، ص ٢٨٢ .

أن نكتب ، وفقاً لأمركم ، (قواعد) ديننا ونرسلها إليكم . لأننا لم نعتقد أن دينكم الباطل المضل جدير بأن يقرأ وأن يعرض علينا ، كي لا نؤذيكم بالسخرية به ، فكان عليكم ، لحضرتكم العالية ، أن تفكروا في هذا حين كتبتموه وأرسلتموه إلينا ، فكيف نستطيع إذن أن نعرض ، على جهلكم ، ديننا الإلهي المقدس وأن نسلّمه إلى سحرياتكم وشتمكم ؟ . وأما ما عيس عقيدتنا فاعلم علم اليقين أننا لن نعبد أبداً ما تعبدون ، لن نعبد العناصر والشمس والقمر والهواء والنار ، ولن نعبد هذه الآلهة كلها التي تسمونها في الأرض والسماء . ولكننا ، كما تعلمنا ، نعبد إلهاً واحداً حقاً هو خالق السماء والأرض وما فيها ...» (١)

(١) وقد ذكر مؤرخ أرميني آخر ، اليزه ، بالتطويل أمر مهر — نرسی ، ولكن بصيغة مختلفة كل الاختلاف ، متضمناً فقط عرضاً لمبادئ دين زردشت ومآخذ عن الدين المسيحي ، ثم ينتهي بالأمر الصارم برفض الآراء المعروضة أو المثول أمام المحكمة العليا . وقد ذكر اليزه أيضاً صيغة الرفض المفصلة التي كتبها الأساقفة والقسس الأرمن . ولكن مبيه Meillet قد حاول في مقالة دقيقة وغاية في الوضوح (JA ، ١٩٠٩ ، (١) ، ص ٥٤٨ وما بعدها) أن يبين أن ما ذكره اليزه وإزنيك ، الذي وصف مذهب الجوس بنفس العبارات تقريباً ، يرقى إلى عرض قديم للمذهب المزدی (وفقاً للآراء الزروانية) ، وهو موجود أيضاً في حياة الشهداء السريان ، وفي نص مشهور لتيودور دي موبسيسست ذكره فوتيوس Photios ، وكان هذا العرض قد عمل تبعاً لمصدر قيم (انظر هذا الكتاب ص ١٣٩) . وقد أيد مارييس M.L. Mariès نظرية مبيه ، فإنه قد بحث المسألة من أساسها في كتابه (Le De Deo d'Egnik) (باريس ١٩٢٤) . ومع قبول وجهة نظر العالمين ، فإنّنا أظن أن عرض لازار الفربي صحيح في كليانه ، وأن الواقع أن رجال الدين المسيحي في أرمينية قد جهلوا الكتاب الذي يحوى عرض الآراء الدينية الزردشتية وأنهم حتى لم يفتحوه . وإذا كان الأمر كذلك ، وقد اختفى نص كتاب مهر — نرسی ، فإن اليزه Eliseé — لكي يسد النقص — اصطنع العرض الذي تشكل عنه وكذلك الرفض الذي لم يكن قد كتب أبداً ، وذلك بأن استعان في كتابة العرض الديني بترجمة يونانية أو أرمينية لرسالة پهلوية كانت أيضاً مصدر ملاحظات تيودور موبسيسست وإزنيك وغيرها ، والظاهر أنه كتب الرد مستعيناً ببعض رسائل المسيحيين . ومع ذلك فإن كتاب مهر — نرسی المنتحل الذي يقدمه اليزه مهم ، ليس فقط المعلومات التي يحويها عن المذاهب الزردشتية أيام الساسانيين ، ولكن لأنه يعرفنا بالآراء المسيحية التي كان يتقم عليها الزردشتيون أكثر من غيرها . وهناك فقط الجدل التي نجدها عرضاً في أعمال الشهداء السريان : فالنصارى مخطئون إذ يؤكّدون أن الخير والشر صادران من فاعل واحد ، وأن الله غيور ، وأنه ، من أجل تينة واحدة قطعت من شجرة ، خلق الموت وحكم على الناس بأن يتحمّاه . «مثل هذه الغيرة لا توجد بين الناس أبداً ولا بين الله وبينهم» وخطئية أخرى =

فلما تسلم يزدگرد جواب الأساقفة أمر باستدعاء رؤساء الأسرى الأرمنية وسجنهم وقد تظاهر هؤلاء « بأنهم يشاركون الملك في كفره » ؛ وكانوا قد عاهدوا ربهم من قبل على أن يظلوا مؤمنين بدينهم . (اليزه Elisée) . وكان يزدگرد مشغولا حينئذ بحرب الكوشانيين ، أعنى الأقوام المتوحشة التي كانت تملك إقليم الكوشان القديم ، فلم يشك مطلقا في الحيلة الماكرة التي مكر بها أشراف الأرمن عليه ؛ (اليزه) فرد إليهم مراتبهم وأملاكهم ، ولكنه احتفظ مع ذلك ببعض أمرائهم رهينة ، ثم أرسل أكثر من سبعمائة من المغان وعلى رأسهم « كبيرهم » ، لكي يعملوا لتجسس بلاد الأرمن . (إدخالها في الدين المجوسى) .

وكان يزدگرد قد هزم ملك القبائل الهونية الرحل في چول ، وكان يسكن شمال جرجان ، وهو الذي تحدثت عنه أعمال الشهداء^(١) ، وشيد يزدگرد في الإقليم الذي فتحه مدينة شهرستان — يزدگرد ، وأقام بها بضع سنين ليكون قريبا من الحدود المعرضة لغزو البرابرة^(٢) . واضطر بعد ذلك أن يشهر سلاحه حين قامت القبائل الهونية أو الكيونيت التي تسمى الكدارية^(٣) بغزوة في الشرق بإقليم طالقان . وفي أثناء ذلك ثار عظماء أرمينية ودعا رجال الدين المسيحي إلى الجهاد . ولكن

== وقع فيها النصرى هي أن الله خلق السموات والأرض ، جاء إلى الدنيا ، وولدت عذراء اسمها حريم التي كان اسم زوجها يوسف ، فالمسيح هو في الحقيقة ابن فنتور (پانتوريوس في رواية يهودية قديمة ، انظر لانجوا (٢) ، ص ١٩١ ، ملحوظة ٢) ، من صلة غير شرعية . ويقول علماء الدين النصرى إنه ليس لهما أن تأكل اللحم وهم أنفسهم لا يأكلونه ؛ وإن النساء حلال للرجال وهم أنفسهم لا يتزوجون . ويقولون إن من يكثر المال يذنب ويعتدحون الفقر وبالقون في هذا . وهم يحبون المصائب ويحتقرون التوفيق ؛ إنهم يزددون الثراء ويعتبرون المجد كالعدم ؛ إنهم يحبون رث الثياب ويؤثرون العادى من الأشياء على ثمنها ؛ إنهم يتندحون الموت ولا يحفلون بالحياة ؛ إنهم يعيبون ولادة الأطفال ويأسفون على العقم وهكذا (Langlois ، (٢) ، ص ١٩١) .

(١) هوفمان ، ص ٥٠ و ٢٧٧ ؛ ماركارث ، Eranšahr ، ص ٦٥ . ومنذ النصف الثاني من القرن الخامس أقام خاقان الجول في بلخان ، شرق خليج كرسنوفدسك Krasnovodsk . ماركارث — مسينا ، Catalogue ، ص ٣٨ وما بعدها و ٤٣ .

(٢) هوفمان ، ص ٥٠ .

(٣) تبعا لاسم ملكهم كيداره .

تباغض الأسرات الكبيرة في أرمينية حال ، كما حال كل حين ، دون تحقيق هذا الغرض العام . فقد لبث «رزيان» أرمينية ، وزك السيونيكي وهو من أعظم أمراء أرمينية ، على ولائه الإيرانيين واعتنق الزردشتية . وظلت أرمينية مشقة عدة سنوات بسبب الحرب الداخلية . والتس الثأرون المعونة من الإمبراطور ، ولكن بغير جدوى ، فإن بينظة كانت مشغولة بـود قبائل الهون عن حدودها ؛ ولكن إقدام الأرمن على هذه الخطوة جعل الصلح مع حكومة إيران مستحيلا . وقد هزمت جيوش إيران وأسر وزك وأجبر على العودة إلى حظيرة المسيحية . وحينئذ سار يزدگرد — ولم يكن موقفا في حرب الكداريين — على رأس جيشه إلى أرمينية ، فهزم الثوار في معركة كبيرة سنة ٤٥١ ، وعاد إلى إيران وفي صحبته رؤساء الثورة الذين لم يلقوا



(٣٤) . صورة إيران امباركبد (الخازن) وه دين سامور

(سار . فن فارس القديمة)

حنفهم في المعارك ، ومعهم كبار رجال الدين . وقد عزل وزك عن المربانية وصودرت أملاكه . فقد اعتبر — لا بغير سبب — خائناً للإيرانيين والأرمن جميعاً كما أنه أجرم بما ارتكب من أعمال السلب . وقد أمر الملك « إيران — امباركبد » وبهدين — شاهبور (رسم ٣٤) بقتل القساوسة النصارى المسجونين . وقد بذل المرازبة الإيرانيون الذين تعاقبوا على ولاية أرمينية مساعى جديـة لتحسين أحوال الولاية ، وأعيدت حرية العقيدة إليها بعد وفاة يزدگرد .

وقد أضر بالنصارى السريان استفحال الخلافات الدينية ، ومع ذلك لم تكن الاضطهادات على الشكل الذى كانت عليه أيام الملك سابور الثانى . وقد طرد يزدگرد أثناء حربه مع ملك الجول ، من جيشه الجنود النصارى . إذ أيقن بعدم جدواهم بعد تجارب سيئة ؛ ثم أمر بعد عودته إلى المدائن كلا من « مغان — اندرزبد »^(١) ثم يزدگرد ، « سروشورز داريك »^(٢) ولاية أرزين آذر — افروز گرد ، وسورين و«ستور همداد»^(٣) ولاية بيت — گرماى على الزاب الأصغر^(٤) ، أمرهم بأن يسجنوا عطاء النصارى فى الولايات الغربية وأن يحملوهم على ترك ملتهم . وقد أبى معظم المسجونين أن يرددوا عن دينهم فقتلوا سنة ٤٤٦ بعد تعذيب مروع . وكان من بين هؤلاء الطران يوحنا . وفى السنة التالية عذب يبيتيون ثم قتل صبوا ، وعرض رأسه على صخرة قرب الطريق السلطاني الكبير الذى يؤدى من المدائن إلى الأقاليم الشرقية من المملكة . ويبيتيون هذا من أشهر الشهداء وكان قد لقي نجاحا كبيرا فى تبشيريه فى الأقاليم الجبلية بين ميديا ووادي دجلة^(٥) . وقد كان على يزدگرد فى سنوات حياته الأخيرة أن يحارب الكداريين ، ثم مات ميتة طبيعية سنة ٤٥٧ .

وقد توج من بعده ولده هرمزد (الثالث) وكان قد حكم سجستان مع لقب ملك . ولكن أخاه الأصغر منه ، فيروز ، كان يتطلع إلى التاج . فجمع جيشا فى الأقاليم الشرقية وهاجم هرمزد ، وكان فى الرى^(٥) . وبينما كان الأخوان يتقاتلان كانت أمهما دينك تحكم فى المدائن . وهناك نقش فى فجوة من الصخر يمثل صورة هذه الملكة

(١) انظر ص ١٠٨ .

(٢) من كبار موظفى العدل ، انظر ص ٢٨٥ .

(٣) هوفان ، ص ٢٥٣ وما بعدها .

(٤) هوفان ، ص ٤٣ — ٦٨ ؛ لاور ، ص ١٢٦ وما بعدها .

(٥) الملحوظة التى وردت فى بعض الروايات العربية (انظر الطبرى) ص ٨٧٢ ، نولذك

ص ١١٥ و ١١٧ ، ملحوظة ٣) والتى تقول إن فيروز قد ظفر بمساعدة عسكرية من ملك الهياطلة فى حديث خرافة ، أعلها نسج على نمط تحالف قباد بن فيروز مع ملك الهياطلة وهو ما سفتحدث عنه . وفى وقت موت يزدگرد الثانى لم يكن الهياطلة قد توغلوا حتى حدود إيران (ماركارث ، Eranšahr ، ٥٧) .

مع اسمها ولقبها بالحروف الهلالية وهو « بامبشنان بامبش » (ملكة الملكات) (١).
وقد لبست السيدة التاج ومن فوقه قبعة على شكل الكرة وقد عصب بشريط صغير ،
وهي تلبس قرطا ذا ثلاث لآلي* وعقدا من الأولو* ، وشعرها ضفر ضفائر صغيرة
كثيرة تتدلى حول الرقبة (٢) .

وقد أوضحت الروايات الإيرانية الشعور الديني لفيروز ومعرفته للدين الزدى .
فالمفروض إذا أنه كان مفضلا عند رجال الدين الزردشتيين (٣) ، وكان فيروز أيضاً
معضداً من رجل من أعظم الأشراف ، هو « رهام » من أسرة مهران وكان مريباً
له . وقد حمل رهام السلاح وقاتل هرمزد وهزمه . وأسر هرمزد نفسه . ويقول
إليه إنه قتل بناء على أمر رهام ، الذي توج فيروز (٤) .

وكان عهد فيروز (٤٥٩ — ٨٤) غير موفق ؛ فقد كان الدفاع عن الحدود
الشمالية والشرقية يتطلب جهوداً حربية ، وقد زاد على متاعب الحرب قحط طويل (٥)
على أثر الجفاف . وقد حفظت الروايات الوسائل التي اتخذها فيروز لعلاج هذه
الشدة : فإنه رفع عن الناس جزءاً من الضرائب كما نظم توزيع الغلال (٦) . وقد



٣٥ . من نقود فيروز
(متحف كوينهاجن)

-
- (١) صيغ هذا اللقب على غرار لقب « شاهنشاه » — ملك الملوك — ، وهو بين
كما يقول هرتسفيلد أن دينك كانت حينئذ حائزة على السيادة الملكية .
(٢) موردمان ، ZDMG ، (٢٨) ، ص ٢٠١ وما بعدها و (٣١) ، ص ٥٨٢ ؛
هرتسفيلد Paikuli ، ص ٧٥ و gloss رقم ٢٦٢ و ٦٣٦ .
(٣) الطبري ، ص ٨٧٢ ؛ نولدكه ، ص ١١٨ ، ملحوظة ٤ .
(٤) البره ، لانيجوا ، (٢) ، ص ٢٤٨ .
(٥) يقول المؤرخون العرب إنها دامت سبع سنوات .
(٦) الطبري ، ص ٨٧٣ ؛ نولدكه ، ص ١١٨ وما بعدها . قارن هنا ص ١٦٥ — ١٦٦ .
« كتب إلى جميع رعيته يعلمهم أنه لاخراج عليهم ولاجزية ولا نائبة ولا مسخرة » .

أشار خطاب الأسقف المسيحي برهوما إلى الجائليق أكاس^(١) المؤرخ حوالى سنة ٤٨٥ إلى القحط الذى تقاسيه منذ سنتين ولايات الشمال^(٢) .

وقد حدث اضطهاد لليهود أيام فيروز . ويقال إن الذى أثاره هو الأراجيف التى شاعت بأن اليهود قد سلبوا رجلين من رجال الدين الزردشتى حين . والظاهر أن هذا الاضطهاد كان قاسيا وخاصة فى مدينة إصفهان التى كان بها ، كما بها اليوم ، جالية يهودية كبيرة^(٣) .

وكان العالم المسيحي فى ذلك الحين يتجادل فى إحدى المسائل الأصولية . فكان النساطرة يقولون : إن للمسيح طبيعتين متميزتين إحداهما إنسانية والثانية إلهية ، بينما كان القائلون بوحدة الطبيعة (المونوفيزيت) يقولون إن هاتين الطبيعتين قد وحدتا فى شخص المسيح . وقد كان أولئك وهؤلاء جهة واحدة ضد الآريين ، وكان الفريقان يبغضانهم ، ولكنهما فى الوقت نفسه كانا يتخاصمان ويكن كل منهما الآخر بغضا دفيناً . وكان الجدل قائماً فى مدرسة الرها حيث كان نصارى إيران يتلقون الدين المسيحي . وجينما توفى إبّاس Ebas سنة ٤٥٧ وهو أستاذ هذه المدرسة المشهور ، وكان نسطوريا متحمسا تفوق المونوفيزيت ، وطرده رجال الدين النساطرة من الرها . وكان من بين هؤلاء بعض القراء الشبان ، الذين أشار إليهم خصومهم بألقاب مثل « ناشل الفلوس » أو « شارب ماء الفسيل » أو « الخنزير الصغير » وهكذا ؛ وقد لقب أحدهم لقباً لا يليق ذكره . وكان أكثرهم نشاطاً برصوما « العصفور بين الأعشاش » والذى يسمى فى المجمع : « قاطع طريق إفيز Ephése » (٤٤٩) ، وقد دافع عن النسطورية بقوة حتى طلب الأساقفة نفيه . وكان كثير من هؤلاء القراء يشغلون منصب الأسقفية فى إيران . ولم يكفهم خصومهم المونوفيزيت تهم الإباحة وكل أنواع الفجور . وقد عرف برصوما ، وكان فيما يظهر طموحا وصاحب حيل

(١) انظر بعد ذلك .

(٢) لاور ، ص ١٤٤ وما بعدها .

(٣) نولدكه ، Tabari ، ص ١١٨ ملحوظة ٤ ؛ حزة ، نشر جوتولد ، ص ٥٦ ،

الترجمة ، ص ٤١ .

ولكنه كان رجلاً فذاً على كل حال ، عرّف كيف يكسب عطف فيروز إلى حد ما . والواقع أنه كان يخدم بروح واحد مصالح دينه ومصالح الملك . ولا شك في أن فيروز لم يكن يقدر الأساقفة النصارى المتنازعين الحقودين أكثر مما يقدر الدين الذى يدشرون به . ولكنه كان يقدر الفائدة السياسية التى يكسبها من الفساطرة ، وذلك أنه يبعد نصارى إيران عن إخوانهم فى الدين فيما وراء الحدود الغربية للدولة .

وحينما بدأ الإمبراطور زينون Zénon سياسة إخفاء المونوفيزيتية تحت ستار من التدين الخالص المحايد ، وعاد برصوما — الذى كان مطرانا على نصيبين ومفتشاً على فرق الحدود — مع جماعة من المطارنة إلى مجمع للأساقفة فى نصيبين قرروا فيه عزل الجاثليق بابوأتى الذى عرف عجزه بصفة عامة . وقد لعن بابوأتى من ناحية برصوما وأتباعه . واحتدمت المعركة وانتهت بسجن بابوأتى ، ثم علق من أصبعه البنصر وضرب بالسياط حتى مات . ولم يكن الانسجام تاماً بين برصوما وزميله القديم فى الحرب أكاس (ناشل الفلوس) الذى عين جاثليقا بعد بابوأتى . وقد رفض برصوما ، بأعذار مختلفة ، حضور مجمع أراد أكاس عقده فى سلوقية^(١) .

كانت الإمبراطورية الرومانية ، أثناء القرن الخامس ، مشغولة جداً بالفتن الناشئة عن غزوات البرابرة ، فلم تكن خطراً على إيران . ولكن هذا الغزو أصاب الدولة الساسانية أيضاً ، كما رأينا^(٢) .

وقد أراد فيروز فى أول عهده إجبار السكنداريين على دفع الجزية . فرفض كدارا ، ملكهم ، واستؤنفت الحرب . ويقال إن فيروز حاول عقد الصلح مع كُنْجْخَسْ Kungkhas ، ابن كدارا وخليفته ، وذلك بأن عرض عليه أن يتزوج من أخته^(٣) . ومهما يكن فإن الحرب استمرت . وقد دعا فيروز إمبراطور بينظط

(١) لابور ، ص ١٣١ — ١٤٤ .

(٢) أنظر أبحاث ماركارت ، Erānsahr ، ص ٥٥ وما بعدها فيما يتعلق بالصلوات بين الفرس وأقوام الشرق أثناء حكم فيروز .

(٣) قد تكون هذه الرواية خرافية . فقد خدع فيروز كداره بأن أرسل إليه امرأه أخرى بدلا من أخته . وهى قصة شعبية دائمة فى إيران (تارن خدعة الملك أماسيس مع قبيز ، ميرودوت ، (٣) ، ١) ؛ وتحكى القصة نفسها عن كسرى الأول فى صلاته مع خاقان الترك . انظر ماركارت ، Erānsahr ، ص ٥٧ ، ملحوظة ٤ .

إلى أن يمدد بمال ليدفع له إغاثة كي يقود الحرب ضد السكداريين إلى نهاية طيبة ، ثم لكي يدفع غزوات السرجوريين وأقوام آخرين برابرة كانوا قد توغلوا في جورجيا وأرمينية من معابر القوقاز ، ولكن هذه الدعوات المتكررة لم تأت بنتائج فيما يظهر . ومع ذلك أوقع فيروز بالسكداريين هزيمة حاسمة ، فهاجروا بقيادة كمنجس وأقاموا في قندهار . ولكن قوماً آخرين ، الهياطلة^(١) ، جاءوا من الولاية الصينية قان صو وغزوا مناطق طخارستان التي هجرها السكداريون . وهؤلاء الهياطلة الذين يسمون أيضاً « بالهون البيض » لم يكونوا هوناً حقيقين^(٢) . ويرى بروكوب Procope أنهم يمتازون عن أقوام الهون الآخرين ببياض بشرتهم وبعميشتهم المتمدنة . وقد خاض فيروز المعركة ضد هذا العدو الجديد ، فغلب وأسر . وقد ألزم بالتنازل عن مدينة طالقان ، وكانت مدينة الحدود قبل انتصاره على السكداريين ، كما تعهد ألا يجتاز هذه الحدود . ثم إنه التزم بأن يشتري حريته بوعده بأداء فدية ، وظل ابنه قباد في بلاط ملك الهياطلة سنتين رهينة إلى أن أدى الفداء^(٣) . وبعد ذلك أعاد فيروز حرب ملك الهياطلة^(٤) ، رغم نصائح الإصبهنيدي بهرام^(٥) . وقد

(١) هيفتالان في البندهشن الإيراني (انكلساريا ، ص ٢١٥ ، ١ ، ٩٠٧) ، بالأرمينية Hephtal ، بالفارسية هيتال ، بالعربية هيطل ؛ قارن ببلي BSOS ، (٦) ، ٤ ، (١٩٣٢) ، ص ٩٤٦ وما بعدها وتعرف بعض النقود الهياطلية مع كتابة بالحروف السكوشانية الهياطلية المشتقة من حروف الهجاء اليونانية ، وبالسكتانية الهندية المسماة البرهية ؛ انظر يونكر ، Sitz.Pr. Ak ، Die Hephthalitischen Münzinschriften ، ١٩٣٠ ، ص ٦٤١ وما بعدها .

(٢) يقول ماركارث (Eransahr ، ص ٥٥ ، ملحوظة ٨) إن السكيونيت كانوا يسمون أولاً بالهون البيض ثم غيرت هذه التسمية إلى كلمة الهياطلة .

(٣) يقول المتسمى ستبايت إن فيروز أسر مرتين في بلاد الهياطلة بعد حروب خاسرة . ولكن هذا القول ظاهر البطلان .

(٤) سمي هذا الملك في المصادر العربية والفارسية التي أخذت عن الخدينامة أخششونوار ، أخششون أو خشنواز ، وهي صيغة يرجع خطأها إلى طريقة الكتابة العربية وهي تقل النص الهلوي . وقد كتب الاسم بالحروف الهلوية في البندهشن الإيراني (انكلساريا ، ص ٢١٥) ويظهر أنه خششونواز ، ولكن العبارة التي وجد بها هذا الاسم جاءت ضمن فصل من البندهشن نقلت معظم فصوله عن النسخ العربية أو الفارسية للخدينامة (انظر كريستنسن ، Les Kyanides ، ص ٦١ — ٦٥) ، فيكون لضبط اللفظ فيه ما لأشكال الضبط الأخرى ؟ ويرجح أن اللقب الصفدي خششون « ملك » يستتر وراء هذه الصيغة المحرفة ، وهو ما ذهب إليه مولر (Soghdische Texte ، (١) ، ص ١٨٠ ، ملحوظة) .

(٥) تتصل بحرب فيروز مع ملك الهياطلة بعض قصص شعبية . فإن فيروز لكي يتجمل =

كانت هذه الحملة مشنومة كل الشؤم . ففي سنة ٤٨٤ ، لقي الجيش الإيراني وقد توغل في الإقليم الصحراوي ، القضاء التام على يد الأعداء . وقد قتل فيروز نفسه ولم يثر على جثمانه . ويقول المؤرخون من العرب والفرس إنه لقي حتفه مع كثير من رجاله في خندق حفره ملك الهياطلة ؛ وسواء أصححت هذه الرواية أم لم تصح فإنها قديمة جدا لأن لازار الفربي — وهو كاتب معاصر — قد أشار إليها^(١) . وقد وقعت إحدى بنات فيروز في يد ملك الهياطلة فأرسلها إلى حريمه . وتوغل الهياطلة في إيران واستولوا على ولايات كثيرة ومدن الرود وهرارة وفرضوا على الفرس جزية سنوية^(٢) .

وكان أقوى النبلاء في إيران في ذلك الوقت زرمهر أو سوخرا من أسرة قارن العظيمة^(٣) التي كانت من بيوت شيراز ، والتي كانت تحكم ولاية سجستان وتلقب بلقب « هزارفت »^(٤) ، وشاهبور الرازي وهو من بيت لا يقل عظمة عن

== من الوعد الذي عاهد عليه أمر بالحجر الذي جعله بينهما ليحمل على عملة أمامه وهو يسوق جيشه في أراضي أخشنوار (أو أنه جل البرج الذي جعل حدا بين مملكتيهما ، والذي بناء من قبل بهرام الخامس ، على خمسين فيلا وثلاثمائة جندي) . وكذلك دخلت قصة زو بروس في حرب فيروز مع ملك الهياطلة . انظر ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، طبعة القاهرة ، (١) ، ص ١١٧ وما بعدها (نقلا عن كتاب سير العجم) ، والطبري ص ٨٧٨ و٨٧٥ ، ونولده ص ١٢٨ وما بعدها و ١٢٤ مع الملاحظة ١ ؛ وقارن جبريلي ، *Revista degli Studi Orientali* ، (١٣) ، ص ٢٠٩ وما بعدها .

(١) لانجلوا ، (٢) ، ص ٣٠١ .

(٢) انظر ماركاروت ، *Erānšahr* ، ص ٦٠ — ٦٣ .

(٣) يظهر أن سوخرا كان اسم العائلة للفرع من أسرة قارن الذي كان منه زرمهر ؛ انظر نولده ، *Tabarī* ، ص ١٢٠ ، ملحوظة ٣ وصحة ١٤٠ ، ملحوظة ٢ . وقد ذكرت الكتب الفارسية والعربية الاسم بصيغ مختلفة (سوخرا ، سواخر ، سوفري وهكذا) . والصيغة الهلالية سوخر ك أو قد تكون سخرای أو سوخرائي ؛ (انظر نولده *Persisch Studien Sitzb. d. phil.-hist. Classe der Kais.- Akad. d. Wiss. in Wien.* ١٨٨٨ ، ص ٤١٣ وما بعدها) .

(٤) الطبري ، ص ٨٧٨ ، نولده ، ص ١٢٧ وما بعدها ؛ لازار ، لانجلوا ، (٢) ، ص ٣٢٦ .

سابقه ، بيت مهران^(١) . يحدثنا لازار القزويني أن هذين الرجلين كانا يعملان على رأس جيشين عظيمين في جورجيا وأرمينية ، وأنهما حين سمعا بموت فيروز شدا الرجال إلى المدائن ليعملا جاهدتهما في اختيار الملك الجديد . وقد وقع الاختيار على بلاش أخى فيروز ، وكان زرمهر الحاكم الحقيقي لإيران أثناء ولاية هذا الملك . وقد عقد صلحا مع زعيم ثوار الأرمن ، وهن الماميكوني . وقد عرف الأرمن كيف يستفيدون من الحال ؛ وتدل شروط الصلح التي ظفروا بها وهن على أن النصارى كانوا أكثر تعصبا من الزردشتيين الفرس : فإنه لم يكتف بأن يطلب الحرية الكاملة والمطلقة لتأدية شعائر الدين المسيحي بل طلب إلغاء الزردشتية وهدم بيوت النار في أرمينية^(٢) . فلما ظفروا بهذه الامتيازات أعان وهن زرمهر ضد زيرير (بالأرمنية زره) أخى فيروز وبلاش الذى ادعى الملك ، فغلب هذا وهرب إلى الجبال حيث قبض عليه وقتل^(٣) وقد نصب وهن مرزبانا على أرمينية .

كانت الحال تعيسة جدا . فقد تحولت إيران إلى دولة ذليلة بتبعيتها الملك الهياطلة ؛ وكان فى وسع القائد الفارسي گشنسپداذ الذى كان له لقب نَحْوَارْگ^(٤) ، والذى خوله زرمهر مفاوضة الأرمن ، أن يقول لو هن وهو يحادثه : « إنه (فيروز) قد أسلم لسيادة الهياطلة دولة كبيرة جدا مستقلة ، فلن تستطيع الخلاص من هذا الإذلال القاسى ما دامت سيادة الهياطلة^(٥) » . وقد قضى على خير رجال الجيش ولم يكن لدى الملك من المال ما يدفع منه أجور الجند . وقد تخيلت الرواية ، إنقاذاً لشرف الفرس ، حرباً انتقامية شنها زرمهر على ملك الهياطلة وانتهت بصلح مشرف لإيران ، فقد أجبر الهياطلة على رد كل ما استولوا عليه من غنائم فى المعركة الأخيرة .

(١) لازار ، لانبجوا ، (٢) ، ص ٣٥٢ ؛ الطبرى ص ٨٨٥ ، تولدكه ، ص ١٣٩

(٢) لازار ، لانبجوا ، (٢) ، ص ٣٦٠ .

(٣) لازار ، لانبجوا (٢) ، ص ٣٤٣ وما بعدها . ويذكر بروكوب — الذى يخطئ بـ بلاش وجاماسب بن فيروز — ، خطأ ، قباد على أنه خليفة مباشر لفيروز .

(٤) انظر ص ١٠ .

(٥) لازار ، لانبجوا ، (٢) ، ص ٣٥٧

بينهم وبين فيروز ، ومنها بنت هذا الملك . والحقيقة أن ابنة فيروز لم ترد ، وقد ولد ملك الهياطلة منها بنتا تزوجها بعد ذلك الملك الساساني قباد الأول (١) .

وقد كان بلاش ، فيما يظهر ، رجلا مخلصا توفرت فيه أطيب النيات لإسماعاد رعيته . ويقال إنه كان لا يبلغه أن بيتا خرب وجلا أهله عنه إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك البيت على تركه إنعاشهم وسد فاقهم حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم (٢) . ويمتدح الكتاب النصارى أيضا ميوله الحسنة وروحه المسالم ، ولكنه مع ذلك لم يكن الرجل الذي يجب أن يكون لإحياء الدولة (٣) ، فقد أصبح التدمير عاما بين العظماء (٤) ، وعزل بلاش بعد حكم أربع سنوات وممّلت عيناه ، وحل محله قباد بن فيروز (٥) ، (٤٨٨) . ولا شك أن زمره كان المحرك الأول لهذه الثورة (٦) ، التي كان لها ما يبررها من الأسباب السياسية الوجيهة : فقد عاش قباد عدة سنوات رهينة في بلاط ملك الهياطلة بعد هزيمة فيروز الأولى على يد هؤلاء الناس ، وقد كانت لقباد بهم صلات طيبة ، وقد أملوا أن يكون في اختياره ملسكا تخفيف للضغط

(١) تولدكه ، Tabari ، ص ١٣٠ ، ملحوظة ٣ . والمصادر المعاصرة لا تذكر شيئا عن هذه الحرب الانتقامية .

(٢) الطبري ، ص ٨٨٣ ، تولدكه ، ص ١٣٤ .

(٣) انظر مثلا ميشيل الميرباني ترجمة شابو ، (٢) ، ص ١٥١ .

(٤) يقول المتسمى سنيليت إن بلاش لم يكن لديه من المال ما يدفع منه أجور الجند ولأنه أغضب رجال الدين الزردشتيين « بمحاولته إلغاء قوانينهم وبإبداء الرغبة في بناء حمامات في المدن الكبرى » . وقد بينت ما يحوم حول هذه الرواية الخاصة بالحمامات من الشك في كتابي "Le règne de Kawādh I" (ص ٩٣ ملحوظة ٢٠) . على أن هذا الموضوع كان محالا للحدث في ذلك الزمن . ويرى المتسمى سنيليت بعد ذلك أن الملك قباد بعد أن استولى على آمد رأى فيها الحمامات فأمر ببنائها في جميع مدن إيران . ويرى الزردشتيون أن الاستحمام بالماء الساخن ذنب (إرداگ ويراك — نامك ٤١) ، ولسكن الأوستا الساسانية تبيح الحمام الساخن على شرط اتخاذ الاحتياطات الخاصة لحماية طهارة النار (ديشكرد ٨) ، ٢٧ ، ١ ، كما جاء في دزد سرنزذ — نسك) .

(٥) وفقاً لبعض الأسطر من رواية الخداينامة يقال إن قبادولى الحكيم وهو طفل ، وهذا غير صحيح ؛ فإن مالالاس والفردوسى يقولان إنه مات في الثانية والثمانين من عمره (٨٠) بعد حكم ثلاث وأربعين سنة (٤٠) . (تولدكه ، Tabari ، ص ١٤٣ ، ملحوظة ١) .

(٦) الدينورى (والنهاية) والفردوسى .

ملك الهياطلة . والواقع أنه يبدو أن العلاقات بين البلدين أصبحت أقل عداء بالرغم من أن إيران استمرت تدفع الجزية للهياطلة^(١) .

وقد كان برصوما موضع الرعاية طوال حكم بلاش . وقد أرسل إلى القسطنطينية لإبلاغ ارتقاء بلاش العرش . ثم أمره الملك في رجعته بأن يبقى في نصيبين لتسوية مسألة الحدود فاتخذ من هذا الأمر عذرا جديدا لابتعد عن المجمع الذي أعده أكاس . ومع هذا عقد المجمع في سلوقية ، ولكن حضره إثنا عشر أسقفا فقط . وقد حضر بعضهم من بلاد قاصية ، كجبريل أسقف هراة وقد أقرروا فيه ثلاثة قوانين خطيرة .

استقرت النسطورية نهائيا على أنها المذهب الوحيد لنصارى إيران . وحرّم على الرهبان منافسة القسس في تنفيذ المراسيم الدينية ، وحرّم على رجال الدين أن يندروا الرهينة فإنها لم تبج إلا لمن آثر الحياة الدينية في الصومعة . وكان هذا القرار الأخير خطوة نحو التفاهم مع المزدنيين الذين كانوا يجزعون من الرهينة . وقد تزوج برصوما بناء على رغبة فيروز « ككل الفرس » . ومن ناحية أخرى احتجوا للقانون الثالث من قوانين مجمع سلوقية بأسباب من الاحتشام لأن « العادة القديمة قد عابها وسخر منها الناس في الخارج بسبب سوء الأخلاق والخلاعة » ، يعنى الفرس .

واقعة أخرى ساعدت على إبعاد النصرانية في الشرق من نصرانية الغرب هي إنشاء مدرسة للقساوسة في نصيبين . وقد أنشأها برصوما بعد أن أمر الإمبراطور زينون Zénon بإغلاق مدرسة الزها التي تغفلت فيها البدعة النسطورية . وقد نصب العالم نرسيس (الأبوص) على رأس مدرسة نصيبين التي صارت من ذلك الوقت حصنا

(١) يقول پروكوب إن سيادة الهياطلة على إيران دامت سنتين ، وإن قبادة قد أحس في نفسه القوة بعد ذلك فرفض أن يدفع لهم الجزية . وقد رأينا أن پروكوب يجهل السنوات الأربع لحكم بلاش . ويظهر أن الحقيقة أن إيران ظلت تدفع الجزية للهياطلة حتى زمن كسرى أنوشروان ، لأنه وجدت نقود فضية باسم بلاش وقباد وكسرى أنوشروان تحمل كتابة بحروف الهجاء السكوشانية الهياطلية ، وقد ضربت فيما يقول ماركارث (Eranšahr ، س ٦٢ — ٦٣) من أجل الجزية التي تدفع للملك الهياطلة . قارن يونكر ، Sitz Pr. Ak ، Die Hephthalitischen Münzenschriften ، ١٩٣٠ ، ص ٦٥٧ وما بعدها .

للفسطورية . وقد كان موت برصوما ثم الجائليق أكاس وقد عاشا حتى حوالي سنة ٤٩٥ نهاية عهد من أهم عهود المسيحية الإيرانية^(١). ولكي نحدد العلاقات بين المسيحية والدين الرسمي في إيران إبان القرنين الرابع والخامس نسوق ماقاله ساخاو^(٢): « لقد أجهزت المسيحية كل حين في الإمبراطورية الساسانية ، حتى في أعنف أوقات الاضطهاد ، ومن الحق أن جماعات دينية في المدن والقرى كانت عرضة ، في الغالب ، لمضايقات ونكيات الموظفين الفرس الطامعين . وقد أقامت المسيحية الشرقية دستورها في مجامع سنة ٤١٠ وسنة ٤٢٠ التي عقدت في عاصمة الدولة وتحت أنظار الحكومة ، وقد تم هذا ، وهو بليغ الدلالة ، بمساعدة رسولين من قبل إمبراطور بيزنطة هما الأسقف ماروتا أسقف ميفارقين (ميفرقت) وأكاس أسقف آمد^(٣) . وقد ألف أقرعت مواعظه في وقت الاضطهاد المروع الذي وقع على النصارى أيام سابور الثاني ، ولكنه لم يذكر ما يدل على أن الديانة المسيحية في عهده لم تكن تقام كالعادة دون عائق ، وكان الاضطهاد يقع على رجال الدين خاصة ، ولم يذكر في أي نص أن أحدا طلب من النصارى المدنيين أن يرتدوا عن دينهم . ويظهر أن النصارى في دولتي الفرس والروم قد اتبعوا ، في علاقاتهم القانونية قواعد القانون السرياني الروماني (Leges Constantini Theodos Leonis) مع تطبيقاتها المحلية^(٤) . وكانت الاضطهادات الكبيرة نادرة ، وقد استطاع النصارى ، أكثر الأحيان ، العيش هادئين تحت الإرشاد الروحي من جثاقتهم وأساقفتهم » .



وتعتبر أعمال الشهداء السريان ذات قيمة خاصة لأنها تعين على معرفة قانون العقوبات والتحقيق الجنائي بوجه عام . وبعد أن اخنصرنا المجادلات الدينية الكبرى

(١) لابور ، س ١٤٣ — ١٥٢ .

(٢) Von der rechtlichen Verhältnissen der Christen im Sassanidereich

(١٠) ، ٢ ، س ٧٢ وما بعدها .

(٣) انظر عن أكاس هذا لابور ، س ٨٩ ، ٩٣ ، ١٠١ وما بعدها .

(٤) ساخاو ، (١) ، C ، س ٨٠ وما بعدها .

في القرنين الرابع والخامس مستعينين بكتاب الدكتور لاپور ، نرى من الطبيعي أن نجتمع هنا المواد التي في متناولنا لتوضيح هذا الموضوع . كان للعدالة حرمة عظيمة في إيران القديمة . وهناك دلائل كثيرة على أن الملوك ، منذ عهد الأكمنيين ، كانوا يراعون بدقة التوجيه الصحيح من القضاء وعدل القضاة ، وكان اسم القاضي ، أيام الساسانيين أيضا ، له حرمة تامة . وكان القضاة يختارون من بين ذوى التجارب والعدل من الرجال ، الذين لا يحتاجون إلى المشاورة . وكانوا يهزءون بالطريقة الرومانية التي تقضى بأن يقف خلف القضاة الجهلاء رجال من أهل الفصاحة والعلم بالقانون^(١).

وقد رأينا أن وظيفة الوسيط والحكم — وربما كانت بين النبلاء وحدهم — كانت من الوظائف السبع الوراثية في الأسر الممتازة^(٢) ، ولكن ما بين الدين والأخلاق والقانون من الارتباط الوثيق الذي هو في طبيعة الدين الفارسي استلزم أن تكون السلطة القضائية بالمعنى الصحيح في يد رجال الدين ، وكانت العلوم كلها منحصرة فيهم ويشار إلى القضاة ، « دادوران » والدساتير (جمع دستور) والموابذة والمرابذة . وكان الرئيس الأعلى للقضاة هو « قاضي الدولة » « شهردادور » أو « دادور دادوران »^(٣) . ويظهر أن « الآيين بد » (كأنه الأمين الرئيس على العادات والتقاليد) كانت له وظائف القاضي^(٤) . وكان أحد القضاة الروحانيين يقوم على القضاء في كل كورة وكان عليه بوجه عام أن يراقب سير العدالة حتى في سلوك السلطات المدنية العليا في الإقليم . ومن كبار الموظفين الذين لهم سلطة قضائية كل من « سروشورزداريك » أي القاضي

(١) أمين مارسلان ، (٢٣) ، ٦ ، ٨٢ . وجاء في الدينكرد (٨) نسك نكاذم) كذلك أن وظيفة القاضي يعهد بها إلى من يعرف الشريعة . وقد احتوى نسك هسپارم على عرض أكثر تفصيلا لواجب القاضي في أن يكون عادلا وللاعتبارات الدينية التي يسير عليها .

(٢) انظر هنا س ٩٣ — ٩٤ .

(٣) تافاديا Eine Tischrede aus der Zeit der Sasaniden . مؤتمر المشرقين

الرابع عشر ، س ٩ .

(٤) برون : Acsgew. Akten persischer Märtyrer ، س ٢١٣ .

الروحاني و « دستور همداد »^(١). وكان لازماً أن يكون لكل قرية مرجع قضائي أدنى ، كان هو الدهقان أو قاض خاص يعين بالقرية . ويشار للمأى إلى قضاء الصلح (شاهرشت ؟)^(٢) ، ولكن ليس لدينا معلومات عن عملهم واختصاصهم . ويشير النسل الأوسق المسمى « سكاظم »^(٣) إلى التفرقة بين القضاة الذين درسوا القانون عشر سنوات وإحدى عشرة أو اثني عشرة أو ثلاث عشرة أو أربع عشرة أو خمس عشرة سنة . والظاهر أن أحكامهم وفتاواهم كانت تتفاوت في درجتها . وقد نيط القضاء العسكري بقاض خاص هو (سپاه دادور)^(٤) . هذا والمفروض أن كثيراً من الموظفين القضائيين الذين يلقبون بألقاب خاصة كانوا من اللوايزة أو الهرايزة . ونعرف أن الهرايزة كانوا يصدرن أحكاماً قضائية بوصفهم قضاة^(٥).

وكانت السلطة القضائية تابعة للملك . ولم يكن هذا أمراً نظرياً محضاً ، فهناك روايات تشهد بما كان ملوك الساسانيين من شغف بالعدالة . كان كلام الملك مقدساً لا ينتقض ، وللدلالة على هذا التقديس كان الملك ، حين يوقع المعاهدات أو يأذن بجواز المرور لشخص ، يرسل إلى خصمه أو صاحب المصلحة كيساً من الملح مختوماً بخاتمه^(٦) . وإذا استعصى على رجل أن ينال حقه من السلطات المحلية استطاع دائماً الوصول إلى حقه برقع أمره إلى الملك . ولكن الملك كان بعيداً ؛ وكان من الصعب الاتصال به . ويحكي أن معظم ملوك إيران كانوا يمتطون صهوات جيادهم في مناسبات معينة ويقفون

(١) هوفان ، ص ٥١ . إذا جاز ماذهب إليه هوفان من تفسير هذه الكلمة : دستور — همداد (من له نفس سلطة القاضي) بأنها « نائب القاضي » فإننا نستنتج من هذا التفسير أنه كان للقاضي (دستور) وظائف تشريعية . وقرأ نولدكه ، (Tabari ، ص ٤٣٨) : دست — برهم (من شبك يديه) . وعندى أن تفسير هوفان أفضل .

(٢) اليعقوبي ، انظر هنا ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

(٣) دينكر د (٨) ، ٤٣ ، ٩ .

(٤) هوشمان ، Armen. Grammatik ، (١) ، ص ١٣٦ .

(٥) المسودي ، مروج ، (٢) ، ص ١٥٦ .

(٦) فاوستوس البيزنطي ، لانجلوا ، (١) ، ص ٢٦٨ — ٢٦٩ ؛ بروكوب ، BP ،

(١) ، ٤ ؛ انظر باتكانيان ، JA ، ١٨٦٦ ، ص ١١٣ .

على مرتفع يشرفون منه على جمهرة الشعب في الميدان . وهناك يقضون بالعدل لمن أناهم
شاكيا ظلما وقع عليه ؛ والسبب في ذلك هو أن « الملك إذا جلس في مكان له أبواب
وحواجز ودهاليز وستر فإن أصحاب الأغراض والظالمين من الحاشية يمنعون المتظلم
من الدخول إليه » (١).

ونحن نعلم أن الملوك الساسانيين الأول كانوا يجلسون للعامة مرتين في السنة ،
يوما في النوروز ويوما في الهرجان (٢) ، ولا يحجب عن الملك أحد في هذين اليومين
لصغير ولا كبير ، ولا جاهل ولا شريف . وكان الملك يأمر بالنداء قبل جلوسه بأيام
ليتأهب الناس لذلك ، فيهيئ الرجل القصة ، ويهيئ الآخر الحجة في مظلمته . ثم
يأمر الملك الموبد أن يوكل رجلا من ثقات أصحابه فيقفوا بباب العامة ، فلا يمنع أحد
من الدخول على الملك ، وينادى مناديه بأن من حبس رجلا عن رفع مظلمته فقد
عصى الله وخالف سنة الملك ، ومن عصى الله فقد أذن بحرب منه ومن الملك . ثم
يؤذن للناس بالدخول وتؤخذ رقاعهم فينظر فيها ، فإن كان فيها شيء يتظلم فيه من
الملك بدى به أولا . فيخبر الملك الموبد الكبير والديربد ورأس سدة النار ، ثم
يقوم مع خصومه حتى يحثو بين يدي الموبد فيقول له إنه ما من ذنب أعظم عند الله
من ذنب الملك ، وإنما خولها الله تعالى رعاياها لتدفع عنها الظلم وتذب عن بيضة الملك
جور الجائرين وظلم الظالمين ، فإذا كانت هي الظالمة الجائرة حق لمن دونها هدم بيوت
النيران وسلب ما في النواويس من الأكفان . « ومجلسي هذا منك ، وأنا عبد ذليل (٣) ،
يشبه مجلسك من الله غداً . فإن آثرت الله آثرك ، وإن آثرت الملك عذبك » فيقول
له الموبد : « إن الله إذا أراد سعادة عباده اختار لهم خير أهل أرضه فإذا أراد أن
يعرفهم قدره عنده أجرى على لسانه ما أجرى على لسانك . » ثم ينظر في أمره وأمر
خصمه بالحق والعدل ، فإن صح على الملك شيء أخذه به ، وإلا حبس من ادعى عليه

(١) نظام الملك ، سياست نامه ، نشر شيفر Schefer ، ص ١٠ ، الترجمة ، ص ١٢ .

(٢) انظر ص ١٦٢ — ١٦٤ .

(٣) تعبير « سلب ما في النواويس من الأكفان » يذكر بالآراء الإسلامية .

باطلا ونسكل به ونودى عليه : هذا جزاء من أراد شين الملك وقدم في المملكة .
فلذا فرغ الملك من مظالمه في نفسه ، قام فحمد الله وعجده طويلا ثم وضع التاج على
رأسه وجلس على سرير الملك وأخذ ينظر في شكاوى الناس^(١) . وهذه الرواية التي
تمثل تدخل رجال الدين وهم قضاة للفصل في القضايا التي يكون الملك ، السلطة
الزمنية الكبرى ، طرفا فيها ، تستند ولا ريب إلى أصل تاريخي إلى حد ما . وتقول
مصادرنا إن يزدگرد الأول قد ألغى هذا التقليد ، وهو أشد ملوك الساسانيين بضاً
إلى رجال الدين . وقد جاء في أعمال الشهداء أن العادة قد جرت في الأصل^(٢) بأن
للناس الحق الكامل في التوجه إلى موظفي الدولة وتلاوة الشكاوى مما وقع من ظلم
عليهم ، كما كان لهم الحق في رفع كل ما اعوج من أمر إلى الملك ، وكان لهم هذا الحق
في الأسبوع الأول من كل شهر ، وأن يزدگرد الثاني (لا الأول) قد أبطل هذه
العادة . ويؤيد هذه الرواية ملحوظة جاءت في الطبري^(٣)

وكانت مصادر القانون ، الأوستا مع الشروح^(٤) ومجموع فتاوى الفقهاء الدينيين
الطبيين^(٥) . ولم يكن هناك مجموعة قانونية بالمعنى الصحيح^(٦) . ولكن يظهر من مختصر
أجزاء الأوستا الساسانية الذي تضمنه كتاب الديشكرد أن أجزاء كثيرة قد تناوت
المسائل القانونية . وهذا الملخص قد أجرى على الأوستا الساسانية ، والتعليق الذي
يحتمل أن يرجع إلى عهد الأكاسرة وهو يتضمن تعليقات أقدم ، وربما زاد عليها
شروحا جديدة . وهكذا نجد التفاصيل المتعلقة بالفقه والتي أشار الديشكرد إلى بعضها
يرجع معظمها إلى الشراح القدامى ، وهي تمثل الأحكام القضائية أيام الساسانيين .
وقد تناولت الأجزاء الباقية من كتاب الفقه المسمى «ماديگان هزار داذستان»^(٧)

(١) الجاحظ ، التاج ، ص ١٥٩ — ١٦٣ ؛ وقد ذكرها نظام الملك باختصار في
سياست نامه ، طبعة شيفر ، ص ٣٨ — ٣٩ ، الترجمة ، ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) هوفان ، ص ٥٠ .

(٣) انظر هنا ص ٦٩ .

(٤) زند ، انظر هنا ص ٤١ .

(٥) ديشكرد ، (٨) ، ص ٢٠ ، ٦٩ .

(٦) بارثولوميه Bartholomae ، Die Frau im sasanideschen Recht ، ص ٦ .

(٧) انظر هنا ص ٦ .

وقد ترجم وشرح بعضها بارتلمويه ، مسائل الملك والزواج وحقوق الأسرة عامة .
وهي مسائل نترك الكلام عنها للفصل التالى . ثم جزم مؤلف هذا الكتاب بأن
كون الكلمة العليا فى الدعاوى المدنية للموبدان موبد^(١) يمكن أن يسرى أيضا على
القضايا الجنائية التى سنتناولها هنا :

فإن قرار الموبد الكبير أقوى من اليمين . إن قراره لا يخطئ وقد تناول
النسكان « نيكاذم »^(٢) و « دُزْدَسَرِ نَزْد »^(٣) موضوع المحاكم المختلفة التى تتكون
من قضاة من مختلف الدرجات . وقد حدد القانون للقضاة مدة لاستدعاء الشهود كما
حددت القواعد مدة المرافعات كلها^(٤) وهناك قيود عديدة لثروة المتخاصمين الذين
يحاولون إطالة المرافعات أو عرقلة سير القضايا^(٥) ، كما كان من الممكن التظلم من
القاضى الذى يقدم ، لمصلحته الخاصة ، قضية مشكوكا فيها على أنها ثابتة أو قضية ثابتة
على أنها مشكوك فيها^(٦) .

وقد كان للابتهال شأن كبير فى الفصل حين الشك فى إدانة المتهم أو براءته^(٧) .
وكانت طريقة الابتهال متفاوتة فى خطورتها^(٨) . وكانوا يفرقون بين « الابتهال
الحار » و « الابتهال البارد »^(٩) فالابتهال الحار (ورى گرم أو گرموك - وريه)
كان يتم مثلا باختراق المتهم النار ، وقد وصف وصفا شاعريا فى قصص سياوش بن
كيكاس^(١٠) و « ويس ورامين »^(١١) وهناك قواعد معينة لنوع الحشب الذى

(١) بارتلمويه ، Zum Sasanidischen Recht ، (٤) ، س ٢٩ وما بعدها .

(٢) دينكرد ، (٨) ، ١٦ — ٢٠ .

(٣) ، (٨) ، ٢١ — ٢٧ .

(٤) ، (٨) ، ٢٢ ، ١٢ — ١٥ .

(٥) ، (٨) ، ٢٠ ، ٢٧ .

(٦) ، (٨) ، ٢٢ ، ١٠ .

(٧) ، (٨) ، ٤٢ ، ٣ وما بعدها (نسك سكاذم) .

(٨) نسك سكاذم ، دينكرد ، (٨) ، ٣٨ ، ٦٤ .

(٩) المرجع نفسه ، (٨) ، ٤٢ ، ٦ .

(١٠) الفردوسى ، شاهنامه ، طبعة ولرز Villers ، س ٥٥٠ وما بعدها (بيت ٥٠٢
وما بعده) .

(١١) ويس ورامين ، طبعة ليس ، س ١٣٦ وما بعدها

يتخذ للوقود ، وكان الابتهاال يجري في احتفالات دينية^(١). وقد أراد آذربيد بن مهرسپند أن يثبت حقيقة مذهبه الديني ، أيام سابور الثاني ، فقبل ابتهاالا حاراً وترك المعدن المذاب يصب فوق صدره^(٢). وأما الابتهاال البارد (وري سرد) فإنه يكون بأفنان مقدسة : هي برسموگوريه^(٣) . وهناك نوع آخر قديم جداً من الابتهاال يصحب أداء اليمين ، وقوامه شرب الماء المختلط بالكبريت . وهذه الطريقة قد أشر لها في الوندیداد (٤ — ٥٤ وما بعدها) ، وقد احتفظت اللغة الفارسية في أيامنا بتعبير سوکند خوردين (المعنى الحرفي شرب الماء المختلط بالكبريت) ومعناه أداء اليمين ، ومع ذلك فمن المحتمل أن يكون استخدام الماء الكبريتي في حالة أداء اليمين أيام الساسانيين أمراً سورياً^(٤). وكان هناك موظف من رجال العدالة « وُرْ — سردار » مهمته الإشراف على صحة الابتهاال^(٥).

ونستطيع أن نستنتج بعض المعلومات عن نظرية العقاب من كتاب تنسر فهو عيز بين ثلاثة أنواع من الجرائم التي يعاقب عليها القانون : الجرائم في حق الله حينما « يرتد رجل عن الدين أو يحدث البدع في الشريعة » والجرائم في حق الملك « حين يعصى الفرد أو يخون أو يغش » والجرائم بين الأفراد « حين يظلم بعضهم بعضاً » وكان عقاب النوعين الأولين من الجرائم ، أى جرائم الكفر والعصيان والخيانة والحرب من الجيش الموت الوحى . وذلك في القرون الأولى من العهد الساساني . وأما جرائم الأفراد ، السرقة وقطع الطريق وهتك العرض والظلم وغير

(١) دينکرد ، (٨) ، ٢٠ ، ٤١ .

(٢) نبد پهلوية ذكرها وست كالفصل ١٥ من شايت ناشايت (١٥ ، ١٦) ، نصوص پهلوية Pahlavi Texts ، (١) . ص ٣٧٦ ؛ سسکند — گمانیک — وزار ، ١٠ ، ٧٠ (وست PT ، (٣) ، ص ١٧١) ؛ دينکرد ، (٧) ، ٥ ، ٥ ، (PT West) ، (٥) ، (٧٤) . قارن هنا ص ١٣١ .

(٣) دينکرد ، (٨) ، ١٩ ، ٣٨ و ٢٠ ، ١٢ .

(٤) بارتلومييه ، Zum Sasandischen Recht ، (٢) ، ص ٧ وما بعدها .

(٥) انظر بارتلومييه Zur kenntniss der mitteliranschen Mundarten في قوة

العهد ، من غير أداء اليمين وعقود ناكث العهد .

ذلك فكان يعاقب عليها بعقوبات بدنية شديدة أو بالموت^(١). وقد كان قانون العقوبات صارما جدا حينذاك وهو ما لاحظته امين مارسلن أيضاً^(٢): « إن القوانين باللغة الصرامة عند الفرس ، والقوانين الزاجرة للجاحدين أو المحاربين من الجيش كانت قاسية بوجه خاص ، والقوانين الخاصة بالجرائم الأخرى كانت فاحشة ربما تجر جريمة فرد الهلاك على أقاربه جميعاً ». وقد تضمن النكاذم نسك^(٣) قواعد الاتهام وإقامة الدعوى في قضايا السرقة وقطع الطريق والأضرار المختلفة ، والقتل ، وهتك العرض ، والتهديد بالاعتصاب والسجن بدون حق ، والحربان من الزاد ، والتخفيض الجائر لأجور العمال ، والإضرار برجل بالسحر وغيرها . وقد تناول هذا النسك أيضاً مسائل قانونية أخرى مثل حدود مسئولية الطفل ، والتجريض على قتل أجنبي وغير ذلك . ولكن تلخيص الدينكرد لا يذكر غير إشارات مختصرة . وهى فى الجملة لا تتناول التفصيلات . ونحن نعلم أن السارق الذى يضبط متلبسا كان يساق إلى القاضى وقد علق الشيء الذى سرقه برقبته^(٤) وأنه كان يلقي به فى السجن مكبلا بالحديد . وكان عدد السلاسل يختلف باختلاف خطورة الجريمة ، وأعضاء الجسد التى ارتكب بها الإثم كان يضيق عليها الوثاق أكثر من غيرها^(٥). وواضح أن هذه السلاسل لم تكن ضمانا من الهروب فحسب ، بل كان لها صبغة رمزية أيضاً . وقد جاء فى نسك نكاذم أن الأغلال لم تكن تستعمل مع المجرمين الأجانب ، أى الذين لا يدينون بالزردشية ، وذلك لأسباب دينية^(٦). ولعل هذا هو رأى بعض الشراح وليس بالقاعدة فى القانون المول به . وعلى كل حال فقد أشارت أعمال الشهداء كثيرا

(١) دارمستر ، JA ، ١٨٩٤ ، (١) ، ص ٢١٩ وما بعدها و ٢٢٣ وما بعدها ؛ مينوى ، ص ١٦ — ١٧ ؛ والترجمة العربية للشهاب ص ٣٨ ، وفى رأينا أن يقال فى الأزمنة القديمة السابقة على الدولة الساسانية ، وليس فى القرون الأولى للدولة الساسانية كما قال كريستنسن .

(٢) (٢٣) ، ٨١٠٦ .

(٣) دينكرد ، (٨) ، ١٦ ، وما بعدها .

(٤) دينكرد ، (٨) ، ٢٠ ، ١٢٣ .

(٥) دينكرد ، (٨) ، ٢١ ، ١ — ٥ .

(٦) دينكرد ، (٨) ، ١٩٠ ، ٥٦ .

إلى اتخاذ الأغلال والسلاسل والحديد في الأرجل المسجونين النصارى^(١). وكان قاضى التحقيق يتوسل ، إذا اقتضى الأمر ، فى أسئلته بالحجة المصطنعة أو الألفاظ الخداعة كى يحمل المجرم على الاعتراف^(٢) وكان من يخون شركاءه فى الجريمة فيعترف عليهم يكافأ^(٣). وكان مخفى الأشياء المسروقة يعاقب بمثل عقوبة السارق^(٤). ولم يكن للصوم ، وطيون وأجانب ، يعاملون سواء فى الكساء إذا اشتد البرد ، وفى طرق العلاج فى حين المرض^(٥).

وقد تناول السكاذم نسك^(٦) مسائل إقامة الدعوى مع استخدام الابتهاال ، وتنفيذ الموت فى ساحر^(٧).

ومن للشكوك فيه أن يكون القانون الإيرانى قد اتخذ السجن إلى أمدٍ عقوبة ولكن من الممكن أن يمتد الحبس الاحتياطى إلى ما شاء الله . ووفقا لرواية النكاذم نسك كان المجرمون يحبسون فى مكان قذر خاصة ، حيث يطلق عليهم عدد من الحيوانات المؤذية تعين لكل حالة . وتجده هذه الرواية تأييداً فى رواية تيودور أسقف صور (رشيد يسمى ٢١٣) التى تقول إن النصارى كانوا يسجنون أحياناً فى خنادق مع طائفة من الفئران ، وكانت أيديهم وأرجلهم موثقة ، بحيث لا يستطيعون إبعاد هذه الحيوانات التى كان يدفعها الجوع إلى نهشهم فى عذاب قاس طويل^(٨). ومن ناحية أخرى استخدم السجن وسيلة لإبادة أفراد الطبقة الرفيعة لخطرهم على الدولة أو تأميناً للملك إبادة بغير جلبية . وكانت القلعة الحصينة المسماة « جيلـگـرد » أو

(١) على سبيل المثال ، هوفان ، ص ٦١ .

(٢) دينكر د ، (٨) ، ٢١ ، ١٠ .

(٣) ، ، (٨) ، ٢١ ، ١١ .

(٤) ، ، (٨) ، ٢١ ، ٨ .

(٥) ، ، (٨) ، ١٩ ، ٥٥ .

(٦) ، ، (٨) ، ٤٢ ، ١ — ٢ .

(٧) ، ، (٨) ، ١٩ ، ٤٤ .

(٨) لا بور ، ص ١١٠ .

«أنشد مشن»^(١) ، الواقعة في خوزستان ، نوعا من البستيل . وكان هناك ما يسمى «أنوش بَرْد» أو قلعة النسيان ، لأنه كان محرما ذكر من يسجن بها بل اسم القلعة نفسها^(٢) .

وقد روى فاوستوس البيزنطي^(٣) الموت الماؤم الذي لقيه الملك الأرمني أرشك الثالث^(٤) في قلعة النسيان . وقد حدث أن خصيا اسمه درستامات^(٥) أصبح أميرا (اشكن) لإحدى كور أرمينية لأنه أنقذ من الموت سابور الثاني في معركة مع السكوشانيين دعاه سابور لأن يطلب ماشاء ، اعترافا بفضله ، ووعدته بتنفيذ كل ما يطلب . فطلب درستامات أن يذهب ، ليوم واحد ، ليرى أرشك في قلعة النسيان ليحييه ويسليه بالموسيقى . فأجابه سابور بأن هذا الطلب صعب المنال وأنه ، درستامات قد خاطر بحياته حين ذكر اسم أنوش بَرْد ؛ ولكنه مع ذلك يجيبه إلى ما يطلب نظرا للخدمات الجليلة التي أداها له . وأرسل الملك مع درستامات ضابطا من حرسه وأعطاه خطابا عليه الخاتم الملكي ليبيح له دخول القلعة . وهكذا دخل القلعة مع ضابط الحرس ، فخلص أرشك من الحديد الذي غلت به يده ورجلاه وعنقه ، ثم غسل رأسه ومكنه من الاستحمام ثم ألبسه أثوابا رائعة وأعد له العرش ، وهيا له الطعام وفقا لنظام البلاط الأرمني ووضع الخمر أمامه وفقا للتقاليد نفسها . وبهذه الطريقة أنقذ درستامات أرشك من الغم ثم أخذ يسرى عنه مستهينا بالموسيقين .

(١) يرى هو بيمان شهما بين هذا الاسم الأخير ، الذي نقل إلينا عن المصادر الأرمنية وحدها ، مع أنشد بَشْكَ ، وهو اسم قديم لمدينة دِرْزُ قول (ص ١٩ من الجزء (١) من (Armenische Grammatik)

(٢) هو بيمان ، (١) ، C ؛ تولدكه ، Tabari ، ص ١٤٤ ملحوظة ١ . وقد نزل هذا السجن كثير من أفراد الأسرات المالكة ، من بينهم أرشك الثالث ملك أرمينية . ويقول بروكوب (BP) Procope ، (١) ، ٥ — ٦) لأنه من هناك دبر فباد بعد عزله وسجنه السبيل إلى الهرب . ثم خاض منه بعد ذلك شيرويه أفرادا كثيرين ممن ساعدوه على عزل أبيه كسرى پرويز (باتكانيان ، JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ٢٠٨ — ٩) .

(٣) انظر هناس ٢٢٦ .

(٤) لأنجلوا ، (١) ، ص ٢٨٦ وما بعدها .

(٥) انظر هو بيمان ، Armen Gramm ، (١) ص ٣٨ ، عن هذا الاسم .

يقول فاوستوس « وقرب انتهاء الطعام ، وضع أمام أرشك الفواكه ، التفاح والخيار ولذيذ الأطعمة . وفي الوقت نفسه ، وضع أمامه خنجر السكى يستعمله . وقد بذل درساته كل ما في وسعه للتسرية عن أرشك ، ثم إنه لم يكف عن عزائه وهو واقف أمامه . وكان أرشك قد لعبت الخمر برأسه ، وأخذت الدنيا تسود في عينيه فتذكر ماضيه وقال : ويل لأرشك ! هكذا تسير الأمور ! إني ها هنا وقد بلغت هذا الحد ، قال هذا ثم أغمد الخنجر في قلبه ، وكان قد أمسكه بيده ليقطع الفاكهة التي يأكلها ، وقد مات على أثر هذه الطعنة النجلاء ، في مجلسه . فلما رأى درساته ذلك ، انتزع الخنجر من صدره وأغمد في جنبه فمات أيضا في اللحظة نفسها . »

وهناك عقوبة مشهورة جدا ، يعاقب بها خاصة الأمراء الثائرون وهي سمل العيون بإبرة شحمة أو بصب الزيت المغلي في مآقي الفريسة^(١). وكان الإعدام ينفذ عادة بالسيف . وبعض الجرائم ، مثل خيانة الوطن أو الخروج على الدين كان يعاقب عليها بالصلب . ويحكى آمين مارسلن^(٢) أن الفرس قد اعتادوا السلخ السكلى أو الجزئى للمجرمين وهم أحياء ، ويقول بروكوب إن قائدا أرمينا قد سلخ وعلق جلده المحشى على شجرة من أعلى الشجر^(٣) . وقد حدث في اضطهاد النصارى أن رجم الشهداء^(٤) . وفي عهد يزدگرد الثانى صلب راهبتان ورجمتا على الصليب^(٥) . وقتل بعض الشهداء بوضعهم كالحجارة في البناء . وقد شاعت أيام الساسانيين العقوبة القديمة عقوبة الموت تحت أقدام الفيلة^(٦) . وهناك أمثلة على أنها استخدمت في العصور الإسلامية أيضا^(٧) .

(١) بروكوب ، BP ، ١ ، ٦ ؛ فاوستوس البيزنطى ، Langlois ، (١) .

ص ٢٣١ .

(٢) (٢٣) ، ٦ ، ٨٠ .

(٣) BP ، (١) ، ٥ .

(٤) لابور ، ص ٦١ .

(٥) نفس المرجع ، ص ١٢٧ .

(٦) نفس المرجع ، ص ١١٢ .

(٧) هوفان ، ص ٥٣ ؛ الطبرى ، ص ١٠١٢ ، نولدكه ، ص ٣٠٧ .

ويذكر « النكاذم نسك » أنه كان من المستطاع إبقاء الأشخاص الذين يحكم عليهم بالموت لاستخدامهم في أغراض طبية^(١).

وقد عرفتنا أعمال الشهداء بكل أنواع التعذيب المحزن التي كانت تتخذها المحاكم. فكانوا يعرضون أمام المتهمين ، لتخويفهم ، بأدوات التعذيب المختلفة^(٢). وكان المجرمون المسجونون يعلقون من الإصبع الخنصر ، أو يعلقون رؤوسهم إلى أسفل ، وأحياناً من الرجل ، وكانوا يعذبون بضربات من سياط صنعت من أعصاب البقر المجدولة^(٣) وكانوا يصبون في الجروح الخل والملح والمواد الكاوية (انقوزة)^(٤). وكانت أعضاء البؤساء تكسر أو تقطع واحداً واحداً . وكانوا يسلكون رؤوسهم أو وجوههم من الجهة حق الدفن ، أو جلد الأيدي أو الظهر^(٥) وكانوا يصبون الرصاص المذاب في آذانهم وعيونهم ، ويقطعون ألسنتهم . وقد شقوا رقبة أحد الشهداء ثم شدوا اللسان وقطعوه من الشق^(٦). وكانوا يضعون الإبر في العيون وفي سائر الجسد^(٧)، وكانوا يستعمرون في صب الخل والحرذل في أفواههم وعيونهم وخياشيمهم حتى يأتهم الموت^(٨). وكانوا يستعملون في الغالب آلة هي المشط الحديدي الذي يقطعون به لحم السجين ، ولكي يضاعفوا العذاب ، يصبون النفط على العظام التي كشف عنها اللحم ثم يشعلون في النفط النار . ويظهر التعذيب بالعبجلة والموت فوق كومة الحطب التي يغذيها النفط في هذه المجموعة المروعة من القسوة ، التي يوجد عدد كبير منها في قانون العقوبات الهندي القديم^(٩).

(١) دينكرد ، (٨) ، ٢٠ ، ٤ .

(٢) هوفان ، ص ٥٣ .

(٣) هوفان (٨) ، ص ٢٥ .

(٤) هوفان (٨) ، ص ٢٩ .

(٥) لابور ، ص ١١٠ .

(٦) لابور ، ص ٦١ .

(٧) هوفان ، ص ٥٥ .

(٨) هوفان ، ص ٥٦ .

(٩) انظر ماير ، Dandins Daçakumâracaritam ، ليرج ، ص ٣٦ وما بعدها

وكان أشد أنواع التعذيب فظاعة « تسع الموتات » وها هو تفصيلها : فإن الجلاد يقطع أولاً أصابع اليدين ، ثم أصابع القدمين ، ثم يقطع اليدين حتى الرسغين ثم القدمين حتى الكعبين ، ثم الذراعين حتى المرفقين ، ثم الساقين حتى الركبتين ، ثم الأذنين فالأنف ثم يختم بالرأس^(١). وكانت جثث القتلى تترك للحيوانات المفترسة^(٢) وأحياناً كان يعهد إلى المسجونين النصارى الدين وعدوا بالحرية أو برد الأموال المصادرة بتنفيذ القتل في إخوانهم في الدين^(٣). ومن العقوبات الأخرى مصادرة أموال المجرم^(٤) ، والأشغال الشاقة التي تكون بتعبيد الطرق أو كسر الحجارة أو قطع الأشجار أو الأخشاب للمحافظة على النار المقدسة وهكذا^(٥).

ولا شك أنه يكون ظمأً للإبرانيين أن نعتقد أن ضروب القسوة التي تشهد بها أعمال الشهداء كانت متبعة في العدالة اليومية . وبصرف النظر عن المبالغات التي يمكن افتراضها في مثل هذه الروايات فإنه ينبغي أن نعتبر أنها خاصة بالاضطهاد الدينية . وهكذا تكون ضروب القسوة أثراً للمزج الخاص بين التعصب الديني والمفاسد الجنسية ، ذلك المزج المشهور في محاكم التفتيش في أوروبا إبان القرون الماضية . ثم إن العقوبات لم تكن تنفذ بمخادفها في كل حين . وهذه بعض أمثلة من الاضطهاد الذي جرى أيام بهرام الخامس : فقد أمر مهر — سابور رئيس المغان و « كبير أعداء النصارى » بتعزية ستة عشر مسيحياً رفضوا الارتداد عن دينهم وأمر بسوقهم كل ليلة إلى الجبل حيث يتركون وقد صفدوا بالأغلال وبأن يقدم لهم من الطعام والماء ما يكفي لإبقائهم أحياء . فبعد أن استهدفوا لهذا العذاب أسبوعاً نادى مهر — سابور حارسهم وسأله عن حالة هؤلاء النصارى البؤساء فأجاب الحارس بأنهم على

(١) هوفان في جهات متعددة ؛ لاهور ، ص ٦١ .

(٢) لاهور ، ص ٦٢ .

(٣) لاهور ، ص ٦١ وما بعدها .

(٤) لاهور ، ص ١١١ ، حيث يشدد العقاب فيقضى على المتهم من النبلاء بالخضوع

لأسوأ عيبه وبأن يترك له زوجته .

(٥) لاهور ، ص ١١٤ و ١٣٠ .

شفا الهلاك . فقال مهر — سابور : « اذهب وقل لهم إن الملك يأمركم بالعمل برغبته وعبادة الشمس ، فإذا لم تفعلوا فإني سأوثق بالحبال أرجلكم وأجرمكم في أرجاء الجبل حتى يتساقط اللحم عن عظامكم ، وتبقى جثثكم بين الأحجار ولا يبقى منها غير العرقوب الذى شد بالحبال » وأدى الحارس الرسالة فلم يسمعها كثير منهم لأنهم كانوا فى غشية ، وقهر الألم الآخرين فاستكانوا وحينئذ أرسلهم مهر — سابور إلى سلوقية من غير أن يرغمهم على عبادة الشمس أو النار ، وهناك التأمت جراحهم فأخذوا يصومون ويصلون ويكون لما ظهروا به من خروج على الدين . وبعد ذلك أطلق سراح خمسة عشر منهم وأرسلهم إلى بيوتهم مع أنهم رفضوا إثبات الخروج على مذهبهم بردة جديدة . ولقى الشهيد جاك وحده « تسع الموتات » بأمر من الملك ، ذلك لأنه ذكر بمصير زدگرد الأول ، أمام محكمة الملك ، قائلا إنه لقي حتفه منبوذا من الجميع وأن جسده لم يجد رمسا يأوى إليه ، لأنه بدل سياسته الطيبة مع النصارى (١) .

ولم يكن للمحاكم العادية بوجه عام عمل فى الاضطهاد الموجه إلى الكفار . فالتحقيق والاستجواب والمحاكمة كانت تجري كلها على يد المرازبة أو السلطات المحلية الأخرى أو ، وهو الأغلب ، على يد هيئات ملكية خاصة كان للموازبة فيها أعظم شأن (٢) . وأحيانا كان الموبدان موبد نفسه يستجوب النصارى ويصدر الحكم . يقول لابور (٣) « كان الملك والقواد والموازبة يسوقون وراءهم أفواجا من المسجونين ، وكانوا يسجنونهم متى شاءوا » . وحينما اتهم الأسقف عبد يشوع أيام سابور الثانى ، اتهمه ابن أخيه ، وهو شماس مسافح كان قد عزله ، بأنه يرأس الإمبراطور ويفشى أسرار الملك ، رأس محاكمته ، بادی الأمر ، الأمير أردشير (أردشير الثانى فيما بعد) ، وكان يحكم أقليم اديابين ويلقب بالملك ثم رأس المحاكمة الموبدان موبد ، وكان يعاونه اثنان من الغان ، وأخيرا رأسها رئيس الحصيان الذى

(١) لابور ، ص ١١٤ — ١١٦ .

(٢) انظر مثلا هوفان ، ص ٣٨ و ٦١ وما بعدها .

(٣) ص ٥٩ .

كان « قبا لجميع فيلة الدولة »^(١) . وقد ألفت محكمة تفتيش من المغان اندرزبد ، وال — سروشورز داريك وال — دستور همداد^(٢) ، وأخرى من مفتش المخازن الملكية والموبدان موبد يساعدها رئيس الحصان ورئيس الخلوة^(٣) . وحينما بدأ « الراذ » (موظف ديني) الذي تولى قضية بيتيون Petion في إظهار استيائه من أعمال القسوة وحاول أن يصرف النظر عن تنفيذ عقوبة « تسع الموتات » على الشهيد ، سلبه الموبدان موبد خاتم الشرف ثم عزله . وقد أرسل إليه البلاط قاضي القضاء (شهر — دادور) وكان قد عين حديثا ، ليعاونه بدلا من الموظف المعزول^(٤) . وقد جرت العادة بأن من الضروري على من يريد اتخاذ وسائل صارمة ضد اتباع الأديان المختلفة أن يأخذ إذنا خاصا من الملك^(٥) .

وهكذا لم تكن العدالة مرتبطة بالقوانين العادية في مثل تلك الحالات التي لها طابع غير عادي (حالات المحاكمات الدينية) . لأن بعض القضاة المكلفين بنظر هذه القضايا من موظفي الدولة الذين لا يستطيع اقتراض معرفتهم بأصول القوانين ، فقد كان هؤلاء يتبعون أوامر ملكية غير عادية^(٦) . وكانوا يتصرفون بغير محابة أحد ، فالسريان والإيرانيون ، وأفراد الشعب والأمراء كان يحكم عليهم بالعذيب أو بالإعدام وكانت الجرم أشد إذا ارتكبه الإيرانيون الذين تخلوا عن دين آبائهم ، فإننا نجد أسماء إيرانية كثيرة بين شهداء النصاري . وقد لقي العذاب ثم الهلاك رجال من النبلاء ، بل أفراد من الأسرة المالكة ، مثل پير — گشنسپ ، ابن أخى سابور

(١) المرجع نفسه ص ٦٠ .

(٢) هوفان ، ص ٥٠ — ٥١ .

(٣) لازار القرني ، لانجلوا (٢) ، ص ٣٠٧ ؛ فارن اليزه ، المرجع نفسه ص ٣٢٠

وما بعدها .

(٤) هوفان ، ص ٦٥ ، تصحيح شهر دبير شهر دادور ، انظر نولذك Götting. Anz

١٨٨ ، ص ٨٧٨ .

(٥) لا بور ، ص ١١٤ .

(٦) فارن لا بور ، ص ٥٧ .

الثاني^(١) ، وكان قد دخل في النصرانية وسمى نفسه بالاسم السرياني مارسابها . وقد روى اليزه قضية « لرئيس المغاف » الذي كفر بالموت عن دهرته عن المزدية . فقد حدث في عهد يزدگرد الثاني أن أحد الموابذة ، وكان قد نال لقب هُهمك دين^(٢) بسبب اطلاعاته الواسعة في الدين الزردشتي ، وكثيرا ما ألقى نصارى أرمينية ، قد تأثر تأثرا بالغا بصلابة هؤلاء حق دخل في النصرانية آخر الأمر . يقول اليزه إن ناظر الأرزاق الذي تولى محاكمته على رده ، لم يجرؤ على احتمال التبعة في قتل رجل كبير من رجال الدين الزردشتي ، فرفع الأمر إلى الملك فأمره بأن يعمل على الحصول من السكان على اتهام هذا الموبد بالعب في الملك ، فلما تم ذلك حكم عليه بالموت جوعا في مكان قصي مهجور^(٣) .

والصبغة الغالبة على أعمال الشهداء السريان هي الصبغة الغالبة على قصص الشهداء . فالروح الديني واحد فيهما ، وفي كل الأزمان ، وأعمال الشهداء القديمة أكثر اعتدالا ، وأما الحديثة منها فهي على العكس ، صيغت في قالب مبهرج يكاد لا يحتمل . ولكن يخلص من جميع أعمال الشهداء نزوع إلى التعصب والحق يجب أن يدخل في الاعتبار ، إذا أردنا تفهم العلاقات بين المسيحيين ورجال الدين في إيران . ثم إن المسيحيين لم يقصروا كرههم على الزردشتيين الذين لم يكن علماءهم الدينيون في نظرهم غير سحرة مردولين ، بل كانوا يكرهون الوثنيين والملاحدة ، وكانوا يفترضون على خصومهم كل أنواع الافتراء ، ويجهدون خاصة في التشكيك في خلقهم الجنسي . وكانوا ينفرون نفورا شديدا من المغنوصيين . فأتباع هذا المذهب ، الذين يشار إليهم باسم « صدوقيين » خبثاء كاللوطيين وهم يعبدون رأس الخنزير^(٤) . وأما عن « السكفر الشنيع والسنة الملوثة التي للبوربوريين الذين تتشابه مبادؤهم كثيرا مع

(١) كان پيرگشنسپ بن جاماسب . وكان جاماسب وأذر — افروزگرد أخون من الأب لسابور الثاني (ذي الأكتاف) ، وكانا يحكمان أجزاء من ولاية اروستان بين نصيبين ودجلة (هوفان ، ص ٢٤ ؛ فارن ماركارث ، Fransahr ، ص ١٦٣) .

(٢) انظر هنا ص ١١٠ .

(٣) لانجوا (٢) ، ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٤) هوفان ، ص ٧٦ .

مبادئ الصدوقين « فإنه شنيع جداً أن نسمع حديث مذهبهم الآذان الطاهرة »^(١). وقد جاب القديسان « سابها » و « وبهشمر يك » البلاد فكانا يهدمان المعابد ويشيدان مكانها الكنائس والأديرة^(٢). وقد عظم ربولا أسقف الرها لأنه استأصل من أسقفيته الديصانيين واليهود والآريين وأتباع مرقيون والمانوية والبوربوريين كما استأصل الصدوقيين الكفار « الذين يعتقدون ، ضلالاً ، في أوهام المكشفات ، ويضاهم العمى عن الحقيقة » . « وقد شئت ربولا جماعاتهم ، وطردتهم من معابدهم التي أحسنوا بناءها ، وأقام مكانهم إخواننا في الدين ، وأما الذين يهتدون فكان يلحقهم بفرقة »^(٣).

ومما لا يحتاج إلى الذكر أن مكشفات النصارى لم تكن خرافات ، وكذلك المعجزات . وأعمال الشهداء الحديثة تفيض بذكر المعجزات . فسابها ، « هادى الكفار » قد أشار بيده إلى صخرة وقال : « اتركى مكانك » وفي الحال سمع رعد شديد وتحركت الصخرة^(٤). وحينما قبض على بيتيون Péthion تحطمت السلاسل . فشد وثاقه بأطناب متينة اتخذت من أعصاب الخنزير ، ولكنها مزقت قطعاً بصاعقة . وقد قبل بيتيون مختاراً ، الأغلال ، كما طلب « الراذ » الذى عهد إليه بسجنه ، وسبق القديس هكذا إلى كبير الموابدة . فلما برم هذا بإجابات بيتيون جذب السلسلة بقوة ، فقطعت ، والجزء الذى بقى في يد الموابدة منها ، احترق كأنه الشعلة . وألقى بيتيون في السجن ، ولكنه قام والمسجونين في منتصف الليل ، فوَقعت عنهم الأغلال وفتحت الأبواب من تلقاء نفسها . فألقى به في اليم ، ولكن الماء تساند كأنه حائط وحمله من غير أن يبتل . فألقاه كبير الموابدة في نار ، أشعلها فوق هيكل^(٥) ، ولكن النار ارتفعت واتخذت هيئة القبة فوق رأسه وبقيت هكذا أربع ساعات

(١) هوفان ، ص ١٢٥ .

(٢) هوفان ، ص ٧٦ .

(٣) هوفان ، ص ١٢٢ .

(٤) هوفان ، ص ٧٦ .

(٥) إن مثل هذا التنجيس للنار مستحيل عند المزدنيين .

متوالية ثم اختفت بعد أن أكلت بعض الكفار الحاضرين . فافتادوا يبتغون إلى السجن ، مقيدا كالكلب ، وأمروا بأن لا يعطى طعاما ولا شرابا ، وبعد شهرين وجدوه حيا ، ولون وجهه نضر جميل كاللؤلؤة (١) . وأخيرا حكم عليه « بتسع الموتات » وقد استمر تنفيذ هذا العذاب ستة أيام وكان يصلى طوال هذا الوقت ويقول الحاضرون « آمين ! » (٢) .

(١) انظر ص ١٤٥ .

(٢) هوفمان ، ص ٦١ وما بعدها .

الفصل السابع

ثورة مزدك

حالة الإيرانيين الاجتماعية أيام الساسانيين . طبقات المجتمع . الأسرة . القانون المدني . العصر الأول من عهد الملك قباد الأول . الآراء المزدكية الثورية . تحالف قباد مع المزدكية . عزل قباد وفراره . حكم جاماسب . عودة قباد . العصر الثاني من عهده . وراثة العرش . القضاء على المزدكيين . موت قباد .

قامت الجماعة الإيرانية على عمادين : النسب والملكية^(١) . فكان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمة ، وكان التمييز يبدو جليا في « المركب والملبس والسكن والبستان والنساء والخدم^(٢) » أو كما جاء في فقرة أخرى من كتاب تنسر : « وميز الأشراف عن المحترفة والمهنة باللباس والمركب والزينة كما ميزت أزواجهم بثياب الحرير والقصور العظيمة والسراويل وغطاء الرأس والصيد وبكل مزايا الأشراف^(٣) » . وكان رجال الحرب يتمتعون بدرجة « أعلى من تلك الجماعات كلها^(٤) » . وكثيرا ما جاء في شاهنامه الفردوسي ذكر القلنسوة الملكية والحفاف المزرکشة التي كانت من خصائص العظماء .

وعلاوة على هذا وجدت الدرجات الاجتماعية في جميع الطبقات : فكان لكل فرد مرتبته ومكانه المحدد في الجماعة ، وكان من قواعد السياسة الساسانية المحكمة ألا يطمع أحد في مرتبة أعلى من المرتبة التي يخولها له مولده . وقد حكى سعد الدين

(١) عن نظام الطبقات في الجماعة انظر صفحات ١ و ٨٥ وما بعدها .

(٢) كتاب تنسر ، الترجمة العربية ص ٤٠ .

(٣) كتاب تنسر ، ص ٤٨ ؛ أما أن النساء كن يشتركن في الصيد فهذا ما يبينه قصص

بهرام گور .

(٤) كتاب تنسر ، ص ٤٨ .

الورويني في كتابه « مرزبان نامه^(١) » حكاية مهما تكن خرافية في صيغتها فإنها مفيدة فيما نتحدث عنه ؛ ذلك أن أحد الملوك الساسانيين قد أمر بإعداد وليمة يدعى إليها الناس من جميع الطبقات ، من أعظم النبلاء إلى أحقر الفقراء ، وأن يجلسوا على مراتبهم ، ثم قدمت لهم أفخر الأطعمة . وقد جلس على المائدة جماعة من موظفي الدولة ورجال الديوان لعرض المظالم حتى ينال الآثمون جزاءهم ، وفقا لرسوم الشريعة المقدسة . ثم اعتلى الملك عرشه وأمر المنادي بإذاعة هذا المقال : « أيها الحاضرون أمام الملك افتحوا جميعا عيون بصائركم ! أنتم ، أيها الحاضرون من الندماء ورجال الديوان ، انظروا إلى من هم أقل منكم طبقة ، ولا تتطلعوا إلى الطبقة الأعلى منكم ، ليقنع كل منكم بما هو فيه وليشكر الله على المرتبة التي هو فيها حين ينظر إلى غيره بمن هم أقل منه » وهكذا أخذ كل فرد ينظر إلى من هم أدنى منه مرتبة . حتى أن الذين كانوا في آخر مرتبة من أدنى طبقة أحسوا السعادة بالنسبة لمن أدى بهم سوء سلوكهم إلى التعزير ، وكان هؤلاء يحسون أنهم أعلى منزلة بمن عوقبوا ليسكونوا مثلاً رادعاً لغيرهم ، وكان من حكم عليه بمثل هذه العقوبة ، حين يرى من صلب أو قطعت رقبتة أو قتل بطريقة أخرى يعد نفسه سعيداً لأنه ليس في مكان أحد منهم . ويضيف المؤلف إلى ذلك قوله إن إقامة مثل هذه المكآب أصبحت منذ ذلك اليوم عادة عند ملوك إيران .

وكانت القوانين تصون شرف النسب في الأسرات كما تحفظ أملاكهم الثابتة . أما الأسرة المالككة فقد حفظ لنا كتاب « فارس نامه »^(٢) رواية مهمة يحتمل أن يكون مأخذها عن « الآيين نامك » : « وكانت عادة ملوك إيران أن يتزوجوا من بنات جميع الملوك الأجانب كملك الصين وبيزنطة وملوك الترك والهند واسكنهم لايزوجون بناتهم من أحد هؤلاء الملوك ، فإنهم لايزوجوهن من غير أفراد أسرتهن » .^(٣)

(١) مرزبان نامه ، نشر ميرزا محمد قزويني ، لندن ١٩٠٩ (GMS) ، (٨) ،
س ٢٧٧ وما بعدها .

(٢) س ٩٧ — ٩٨ .

(٣) انظر مع هذا ص ٩٦ ، ملحوظة ٢ ؛ س ٢٧٨ والملاحظة ٣ .

وكانت الأسرات الكبيرة تقيّد في الكنب والدواوين^(١) ، وكانت الدولة تعنى بحياتهم كما كانت تمنع أفراد الشعب من شراء أملاك النبلاء . إلا أنه لم يكن مفر من انقراض بعض الأسرات النبيلة على مضي الزمن . يقول كتاب تنسر^(٢) :

« إن فساد البيوتات والدرجات نوعان : أولهما أن يهدم القوم البيت وأن يحيزوا وضع درجتهم في غير موضعها . والثاني أن يحط الزمن نفسه ، بغير سعي من أحد ، عزهم وبهائمهم وجلال قدرهم وينشأ منهم عقب لاخير فيه ، يتخذون من أخلاق الأجلاف شعاراً ، ولا يعنون بكريم الحصال ، ولما كانوا يشتغلون بالمهن لكسب المال فيذهب ما لهم في نفوس العامة من وقار ، ولا يعابون باكتساب الفخار وبصاهرون السفلة ومن ليس كفتاً لهم ، وينسلون من هذا التواله السفلة مما يؤدي إلى تهجين المراتب » .

وتذكر أعمال الشهداء مسائل شتى عن أحوال النبلاء . بعد وفاة شهريز رئيس أسرة مهران أرسل أخوه في طلب ابنه جشن يزداد (القديس سابها) الذي كان عليه « يوم القربان » أن يرأس احتفالات الغذاء المقدس التي تقام على أراضى الأسرة ، وهو واجب يقع على عاتق رئيس الأسرة ، ولو كان قاصراً كالواقع في هذه القصة ، فحين علم العم الذي كان وصياً على جشن يزداد أن هذا قد دخل في للسيحية اعتبر نفسه المالك الشرعى لأموال البيت . فمن الممكن أن نفترض أن الخروج على الدين كان يترتب عليه ، على الأقل في فترة من عهد الساسانيين فقدان الإقطاعات الوراثية وتؤول حينئذ إلى أقرب وارث . وفي القصة التي نتحدث عنها توفي العم بعد ذلك بأيام . واستولى جشن يزداد على ثروته التي وزعها بين الفقراء^(٣) . ولا ندرى هل أقر هذا التصرف .

(١) كتاب تنسر ، الترجمة العربية ، ص ٤١ .

(٢) كتاب تنسر ، ص ٤٠ . ومما يلاحظ أن كتاب تنسر قد كتب بعد الانهيار الاجتماعي الناشئ عن الزدكية التي سنتناولها في هذا الفصل :

وقد رتب المؤلف كثيراً من النتائج على هذه النظرية التي نخالفه فيها فإننا نذهب إلى أن كتاب تنسر كتب أيام أردشير لا أيام كسرى أنوشروان (مقدمة كتاب تنسر ، ترجمة الخشاب) .

(٣) هوفان ، ص ٦٨ وما بعدها .

كان هناك تمييز واضح بين الطبقات المختلفة للعامة . فكان لكل فرد مكانه المحدد ، وحرم على الواحد منهم أن يشتغل بغير الصناعة التي خلقه الله لها^(١) . يقول المؤلف المجهول لكتاب « مينوگك خرد »^(٢) :

« إن من واجب الصانع ألا يتدخلوا في الأعمال التي لا يعرفونها ، ولكن عليهم أن يتقنوا ويعنوا بالعمل الذي يعرفون ، وأن يطلبوا عنه الأجر القانوني ، ذلك لأن الصانع إذا اشتغل بعمل لا يعرفه يفسده ويصبح بسبب تدخله عديم الجدوى » .
وقد جاء في تاريخ أبي الفدا^(٣) أن ملوك إيران لا يهودون إلى ذوى الأصل الوضيع بأى عمل من أعمال الديوان . ويروى الفردوسى قصة تبين إقصاء العامة عن هذا المجال : كان كسرى الأول في حاجة إلى المال للضى في إحدى حروبه مع الروم . وكان أحد الإسكافيين مستعداً لإقراض الملك مبلغاً كبيراً من النقود ، وكان الإسكاف في أساطير الفرس أيام الساسانيين يمثل أحط رجال الطبقة الدنيا ، ومع هذا تم الاتفاق على القرض وبعث الرجل الجمال محملة بالمال . وقد سر الملك بأريحيته وأمر حين يرد المال إليه أن يزداد مبلغ كبير عليه . ولكنه كان طموحاً وكان يود لو رأى ولده بين الكتاب ، كتاب الملك . فلما سمع كسرى بهذه الرغبة أمر بإعادة الجمال وما تحمل رافضاً أن يأخذ القرض بهذا الثمن . قال : حينما يرقى ولدى إلى العرش يحتاج إلى كاتب سعيد الحظ فإذا كان لابن الإسكاف هذا مقدرة ، فإن الملك لن يرى إلا بعينه ولن يسمع إلا بأذنيه ، ولا يبقى لأهل الدكاه من الأشراف غير الحسرة والأسف ، وإنه مهما اعتلت درجته استهان بذوى الألباب واستعظم لهم في الثواب رد الجواب^(٤) .

وقد كان الانتقال من طبقة إلى أخرى أعلى منها محظوراً ، بوجه عام ؛ وإنما كان يقع هذا ، على سبيل الاستثناء ، حينما يظهر أحد العامة موهبة خاصة . « ففي

(١) كتاب تفسر ، ص ٣٥ .

(٢) الفصل ٣٢ .

(٣) Hist. anteislamica ، نشر فيشر ، ص ١٥٠ .

(٤) شاهنامه ، نشر مول ، (٦) ، ص ٥١٢ وما بعدها ؛ شاهنامه البندارى

(عزام) ج ٢ ص ١٦٤ .

تلك الحالة يرفع الأمر إلى الملك وبعد اختيار الواحدة والهرابذة إياه وطول مشاهدتهم له ، فإذا رأوه مستحقاً أمر الملك بإلحاقه بغير طبقته ^(١) فإذا كان يمتاز بالتقوى المحققة فإنه يدخل في سلك رجال الدين ، وإذا كان موهوباً بالقوة والجرأة أُلحق ببطقة رجال الحرب ، وإن امتاز بالذكاء وكانت له ذاكرة قوية ، أُلحق بالكتاب . وعلى كل حال كان هذا الترقى إلى طبقة أعلى محاطاً بمحدود قوية ^(٢) . وكذلك لم يكن رفع العوام إلى طبقة النبلاء ممنوعاً ، فقد كان للملك في هذه الترقية وسيلة لإدخال دم جديد في دماء الأشراف ، ولكن هذا الحادث كان نادراً جداً .

ومهما يكن فقد كانت حالة العامة من سكان المدن أحسن نسبياً . فقد كانوا يدفعون الجزية كالفلاحين ^(٣) ، ولكن يظن أنهم كانوا معفيين من الخدمة العسكرية . وكانوا يستطيعون كسب المال وبعض المكاينة باشتغالهم بالتجارة والحرف . وأما الفلاحون فكانوا أسوأ من هؤلاء حالا .

كانوا تابعين للأرض ، ومجبرين على السخرة ^(٤) ، وعلى الخدمة العسكرية رجالاً . فكانت كثرتهم العظمى « تسير وراء الجيش كأنها ذاهبة إلى إذلال أبدى ، وبغير أجر يحفزها ولا مكافآت أخرى » ^(٥) . وبالجملة لم تقرر القوانين كثيراً من القواعد لحماية الفلاحين ، بل إن أوصى ملك من أصدقاء الرعية مثل هرمزد الرابع بألا يقسو الجيش على السكان المسالمين في القرى ^(٦) ، فإنه كان يقصد من هذا

(١) كتاب تنسرى ص ٣٥ .

(٢) كتاب تنسرى ص ٣٥ — ٣٦ .

(٣) وقد استثنى من دفع الجزية أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك (العابري ، ص ٩٦٢ ، تولدك ، ص ٢٤٦) . والأمر يتعلق بمراسيم كسرى الأول الخاصة بتوزيع الجزية والخراج ، ومن الممكن القول أن هذه القواعد في هذا الموضوع كانت هي نفسها تقريباً قبل إصلاح كسرى .

(٤) انظر الطبري ، ص ٨٧٥ ، الأسطر ١ — ٢ ؛ تولدك ، ص ١٢٢ ، السطر

١١ — ١٠ .

(٥) أمين مارسان ، (٢٣) ، ٦ ، ٨٣ .

(٦) الطبري ، ص ٩٨٩ ؛ تولدك ، ص ٢٦٥ .

مراعاة الدهاقين أكثر من الفلاحين . وليس لدينا أخبار أكثر تحديداً عن حالة الفلاحين الخاضعين للنبلاء الذين « يدعون حق منع الحياة أو منعها في العبيد والشعب »^(١) ، ولم يكن مكان الفلاحين من السادة المالكين ليختلف مطلقاً عن موقف العبيد المحكومين منهم . ولسنا نعلم أكان للوالى الذى يعينه الملك بعض السلطة على الإقطاعات التى فى ولايته ، وهل كانت حصانة هذه الإقطاعية حصانة كلية أم جزئية ، وهكذا . وللاؤكد هو أنه كان على الرعايا أن يدفعوا الضرائب لأصاحب الإقطاع أو للدولة أو لهما معاً ، وأنهم كانوا ملزمين بالخدمة العسكرية تحت رئاسة صاحب الإقطاع .

وكان للزراعة شأن عظيم ، وقد مجدها السكتب المقدسة كثيراً ، ونعلم من ذلك أن المركز القانونى للزراع قد نظم بدقة . وقد تضمنت أجزاء كثيرة من الأوستا وخاصة نسكى هسپارم وسكادم مجموعة كاملة من القواعد فى هذا الموضوع^(٢) . وأما الرى الذى كان عماد الزراعة فى الدولة ، كما هو الحال اليوم ، فقد نظم تنظيمًا مفصلاً . كانت هناك قواعد خاصة بأنواع القنوات المختلفة ، وبطرق السدود ، وملاحظة الترع وتطهيرها وشروط استعمالها وهكذا^(٣) . وكانت عندهم قواعد محددة تناولت عدد الأغنام ، وحالة الرعاة ، كاتناولت مظاهر العناية ، الواجب توجيهها نحو كلاب الراعى . وكان للكتاب ، كما نعلم ، منزلة كبيرة عند الزردشيين ، وقد تناول جزء بأكمله من نسك دُز دسر^(٤) زِد الحماية القانونية الواجبة لكلب الراعى^(٥) .

هذا هو ما بين الطبقات الاجتماعية من تفاوت . وقد كان هناك تفاوت آخر بين الإيرانيين وغيرهم ، ونجدّه غالباً فى ملخص الأجزاء الضائعة من الأوستا . فقد وجدت قواعد مذهبية يجب مراعاتها إذا اجتمع مثلاً إيراينون مع الوثنيين على مائدة

(١) آمين مارسلان ، (٢٣) ، ٦ ، ٨٠ .

(٢) دينكر د ، (٨) ، ٣١ ، ٣٢ — ٣٤ ، ٣٦ ؛ (٨) ، ٣٨ ، ٣٥ وهكذا .

(٣) » ، (٨) ، ٣٨ ، ٤٤ — ٥١ (نسك سكاذم) .

(٤) » ، (٨) ، ٢٣ .

واحدة^(١) . والمستخدم الأجنبي كان ينقد على خلاف نظيره من أفراد الدولة المزدية ، بشروط خاصة في كل حالة^(٢) . وقد أجاز الزواج من الأجانب في ظروف معينة^(٣) . ولكن ليس لدينا تفاصيل عن هذا الموضوع . وكانت أوضاع الجماعة الساسانية ينظمها قانون مدني ناصح يقوم على الأوستا والزند ، وقد حوى الملخص الذي جاء في الهنديسكرد كثيراً من النبد المتعلقة بمسائل القانون المدني ، من غير تعرض للتفصيل في الغالب . ولكن توجد معلومات أكثر تفصيلاً ، تذكر في الغالب مع تأويلات متفاوتة للفقهاء ، في نصوص « مازينگان هزار دادستان » ، وهو كتاب قانون من العصر الساساني . وقد درس بارتولومويه بعض أجزائه^(٤) ، ومن الممكن أن نقارن به النص السرياني لمجموعة القوانين الساسانية التي كتبها عيشو بخت^(٥) .

وقد قامت الأسرة على أساس تعدد الزوجات . وقد كان عدد الزوجات ، اللاتي يتخذهن الرجل من الناحية العملية ، على قدر يساره ، وكان المضيق عليهم في الرزق يتخذون ، بوجه عام ، زوجاً واحدة . وكان لرب البيت (كذك خدای) رئاسة الأسرة (سرداری دوزك)^(٦) .

وكانوا يميزون الزوج الرئيسية (زن پادشاهي) ، وهي الزوج « بالمنى الكامل » أو الزوج « الممتازة » ، عن الزوج التي في المرتبة الثانية أو الزوج الخادمة (زن چكارها)^(٧) . وكانت الأحكام القانونية لهاتين الطبقتين من الزوجات مختلفة^(٨) . والظاهر أن الطبقة الثانية كان منها الرقيق المشتري والسبايا^(٩) . ولا نعلم

(١) دينكرد ، (٨) ، ٣٨ ، ٦١ — ٦٢ (سكاظم) .

(٢) دينكرد ، (٨) ، ٣٢ ، ١ (سكاظم) .

(٣) دينكرد ، (٨) ، ٣٠ ، ١١ (هسيارم) .

(٤) انظر هنا ص ٤٣ و ٢٨٨ .

(٥) انظر ص ٤٤ .

(٦) بارتولومويه ، Rechtsbuch ، ص ٨ ، Z. sas. Recht. ، (١) ، ص ٣١ ،

(٢) ، ص ٢١ .

(٧) Z. sas. Recht. ، (١) ، ص ٣١ .

(٨) بارتولومويه ، Die Frau im Sasanidischen Recht ، ص ١٣ .

(٩) آمين مارسلان ، (٢٣) ، ٦ ، ٧٦ .

أ كان عدد الزوجات الممتازات محددًا ، ولكن كثيراً ما يشار في المسائل القانونية إلى حالة الرجل الذى له زوجتان ممتازتان . وكانت كل زوجة ممتازة ربة لبيت (كذك بانوگ)^(١) ، ولذا كان لكل واحدة بيت خاص بها^(٢) . وكان للمرأة الممتازة الحق فى الطعام على زوجها طيلة حياتها ، والابن هذا الحق حتى يبلغ وللبنت حتى تتزوج . وأما الزوج الحادمة فأولادها الذكور وحدهم يقبضون فى أسرة الأب^(٣) . وقد ذكرت الكتب الفارسية الحديثة ستة أنواع من الزواج^(٤) ، ولكن يبدو أن القانون الساسانى لم يعرف غير النوعين الذين ذكرناهما^(٥) . وكان النصارى يعيرون على الزردشتيين أن الزواج كان سهل العقد وسهل الحل ، ولكن هذا اللوم يبدو جائراً^(٦) .

وقد اقتضت العناية بنقاوة دم الأسرة — التى كانت من الصفات البارزة فى عادات الجماعة الإيرانية — جواز الزواج بين المحارم : بين الأب والبنت ، والأم والابن ، والأخ والأخت ويسمى هذا النوع من الزواج « خويذ وگدس » (فى الأوستا خويث ودكته) . وعادة زواج المحارم قديمة عند الفرس ؛ ويمدنا تاريخ الأكيمينين بأمثلة كثيرة منه^(٧) . وإن كان المعنى الصحيح للكلمة الأوستية خويث ودته لا يستخرج من فقرات الأوستا التى ذكرت الكلمة بها ، فالذى لا شك فيه

(١) قانون الفارسية الحديثة كدبانو .

(٢) Z. Sas. Recht ، (١) ، ص ٣٦ .

(٣) Rechtsbuch ، ص ٧ .

(٤) وست P.T. ، (١) ، ص ١٢٢ — ١٢٣ ، كما جاء فى الروايات ، انظر

كريستفسن ، L'empire des Sassanides ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٥) Z. sas. Recht ، (١) ، ص ٣ وما بعدها .

(٦) هوفمان ، ص ٩٦ . القضية هنا مجيبة ، فى هذه الحالة على الأقل : فإن مهر —

كشفسن قد اعتنق النصرانية مما اضطره إلى ترك زوجه التى هى أخته .

(٧) كان لقمييز زوجة هى أخته أتوسا وأخت أخرى كذلك ؛ وكان دارا الثانى

متزوجاً من أخته پارساتس ، وكان أرت خشتر (أردشير) الثانى متزوجاً من بنتيه أتوسا وامستريس ، وتزوج دارا الثالث بنته — تانيرا .

أن الأجزاء الضائعة قد قصدت بهذه الكلمة الزواج من المحارم وقد مجد آل —
«خويد وگدس» في النسكين «باغ»^(١) و«ور شنان سر»^(٢) حيث قيل إن الزواج
بين الأخ وأخته منور بمجد إلهي وله فضيلة طرد الشيطان . وقد ادعى الشارح رضى
بُرمهر أن زواج المحارم ، خويد وگدس ، يمحو الكبائر^(٣) . ثم إن العادة
الإيرانية ، عادة الزواج من الأخت أو البنت أو الأم لم يشهد بها ، في العصر
الساساني ، الكتاب المعاصرون مثل أچائياس^(٤) والورخ الذي يسمى نفسه ابن
ديسان^(٥) فحسب ، بل إن تاريخ العصر نفسه يمدنا بكثير من أمثلة هذا النوع من
الزواج . ومن الجائز أن يكون الولي أرداگ ویراز — الذي اتخذ من إخوته
السبع زوجات له^(٦) — شخصا خياليا . ولكن ها هو ذا المعتصب بهرام چوبين ،
الذي سنتحدث عنه فيما بعد ، قد اتخذ أخته كردية زوجا له ، وها هو ذا مهران —
گشنسپ الذي كان قد تزوج أخته قبل أن يدخل في المسيحية « عملا بالعادة القبيحة
النجسة التي يبيعها هؤلاء الضالون »^(٧) . وأخيرا نجد في كتاب قانون سرياني (خاص
بالزواج) من تأليف البطريق مار بها الذي عاش أيام كسرى الأول^(٨) ، الفقرة
الآتية : « إن العدالة العجيبة عند عباد أوهر مزد تقضى بأن يكون للرجل صلات
شهوانية مع أمه وبنته وأخته » . و يروى الزردشتيون أمثلة من القصص الخرافية
يثبتون بها قداسة هذا العمل^(٩) .

(١) دينکرد ، (٩) ، ٦٠ ، ٢ — ٣ .

(٢) دينکرد ، (٩) ، ٤١ ، ٢٧ .

(٣) شايت ناشايت ، (٨) ، ١٨ .

(٤) (٢) ، ٢٤ .

(٥) لانجوا ، (١) ، ص ٨٣ ؛ قارن المصادر التي يذكرها في الهامش المترجم الفرنسي .

(٦) إرداگ — ویراز — نامگ ، ٢ ، ١ .

(٧) هوفان ، ص ٩٥ .

(٨) ساخاو ، Syrische Rechtsbücher ، (٣) ، ص ٢٦٥ .

(٩) قارن في مسألة خويد وگدس ، وست ، PT ، (٢) ص ٣٨٩ وما بعدها

وانسترنترف ، SE ، ص ١١٦ وما بعدها ، وقد ترجمها عن الروسية بوجدانوف ، J. Cama.

Or. Inst ، رقم ٧ ، ص ٦٠ وما بعدها .

وإزاء هذه الأدلة الصحيحة التي نجدها في المصادر الزردشتية وعند الكتاب الأجانب المعاصرين على السواء نرى الجهود التي بذلها بعض البارسيين المحدثين لنفي وجود زواج المحارم في إيران الزردشتية لغوا من القول . مثل التأويل الذي يقترحه بلسارا^(١) ، إذ يقول « إنه يظهر أن « خويذ وكدس » تعني العلاقات بين الله والإنسان عن طريق حياة مقدسة » ، وإنه إن كانت ، أزمنة الكتب الهلوية ، قد لصقت بهذه العبارة فكرة السفاح بين الأقارب ، « فإن هذا ينبغي أن ينسب جملة إلى الفلاسفة الشيوعيين مثل مزدك ، وليس إلى الزردشتية » . والواقع أن زواج المحارم كان لا يعتبر سفاحاً ، بين الأقارب ، ولكنه عمل صالح يثاب عليه صاحبه من الناحية الدينية . ولعل السائح الصيني هيون تسيانج Hsien Tsiang يشير إلى هذا النوع من الزواج إذ يقول إن عادات الزواج عند الإيرانيين في زمانه^(٢) كانت الاختلاط المطلق^(٣) .

وكان على الوالد الذي يولد له طفل أن يعلن شكره لله بمراسم دينية معينة ، ويبدل الصدقات ؛ ولكن هذه الواجبات كانت أقل شأنًا في ولادة بنت منها حين ولادة ابن^(٤) . ثم تأتي تسمية الطفل . فالتسمية بأسماء الوثنيين تعتبر إثمًا كبيراً^(٥) . والأسماء الزردشتية — أيام الساسانيين — التي عرفناها من الروايات التاريخية أو من الكتابة على الأحجار الثمينة كانت كلها ، تقريباً ، أسماء أشخاص من الطبقات الممتازة . وهي في الغالب ذات طابع ديني . فهي مثلاً أسماء آلهة مثل هرمزد (أوهي مزد — أهورا — مزده) ، بهرام (ورثاغنا) ، نرسی (نَسِيرُيوسنها) ، أو تركيب من اسمين من أسماء الآلهة مثل مهر — نرسی (ميثرا + نيريوسنها) ، أو تركيب من جزئين أحدهما اسم أحد الآلهة : مهر — وراز (ميثرا + الخنزير البري) ،

(١) اثيرتستستان ونيرنجستان ، ص ١٠ ، ملحوظة ٥ .

(٢) في أوائل القرن السابع الميلادي .

(٣) بيل ، Buddhist Records of the Western World ، (٢) ، ص ٢٧٨ .

(٤) دينكرود ، (٨) ، ٣١ ، ١٣ — ١٤ (نسك هسپارم) .

(٥) دينكرود ، (٨) ، ٣١ ، ١٥ (هسپارم) .

مهر — بوزيد (ميثرا تنجى) ، زروان — داد (الذى خلقه زروان) ، يزد — بوخت (الذى خلصه الله) ، أناهيد — پناه (العائد بأناهيته) وهكذا . وكانت الأسماء المركبة مع كلمة آذر (النار) شائعة جداً ، مثلاً آذر بزي (النجاة بالنار) ؛ والأسماء التى تذكر بمعابد النار الكبيرة : آذر — گشنسپ ، گشنسپ ، مهران — گشنسپ^(١) ، گشنسپ — فر (له مجد گشنسپ) ، آذر — فرينغ ، فرينغ ، برزين ، پناه — برزين (العائد برزين) . ونجد أيضاً أسماء مركبة من ثلاثة أجزاء مثل آذر — خورشيد — آذر (نار — شمس — نار) . وقد يعبر الاسم عن علو نسب الطفل : شاهپور (ابن الملك) ؛ أو قد يتضمن فألاً حسناً : بيروز (الظافر) ، نام — ويه (صاحب الاسم الطيب) . وكانت الأسماء المصغرة تصاغ بطرق مختلفة ، والغالب أن يحذف المقطع الأخير من الاسم وتحل محله النهاية أويه : ماهويه (من ماه بمعنى القمر مضافاً إليه الجزء الآخر) ، يوانويه (من يو وان بمعنى الشاب أو البطل) . ويغلب أن تنتهى أسماء السيدات بكلمة دخت (بنت) : هرمزد — دخت ، يزدان — دخت (بنت الله أو الآلهة ، إن لم يكن يزدان اسم والدها) ، آذر ، ميدخت (الفتاة الطاهرة) ، أو بلفظ أگ : دينك (من دين) ، وردگ (من ورد بمعنى الوردية) . وكانت صفات المدح تستعمل كأسماء للسيدات : شيرين (الناعمة) .

ومنذ منتصف القرن الخامس سرى استعمال الأسماء المأخوذة عن التاريخ القصصى القديم . فالملك كواذ (قباد) يحمل اسم الملك القديم كواته Kavata الذى تعرفه بشتات الأوستا . وقد تسمى أناس فى القرون الخامس والسادس والسابع بأسماء ترجع إلى هذا الوسط نفسه مثل خسرو ، سياوش ، رستم (رستم بالفارسية) وغيرهم . وهذه الأسماء تشهد بما كان من حب لقصص الأزمنة الحالية الملوءة بالمفاخر . وفى أثناء هذه القرون اتخذ التاريخ القصصى الصورة التى وجد عليها فى الخداينامك^(٢)

(١) نطق شعبي : مهران — گشنسپ (أعمال المهداء) .

(٢) انظر هنا ص ٤٦ . فارن كريستنسن ، Les Kayanides ، ص ٤٠ وما بعدها .

ومن الواجب حماية الطفل الصغير من عين السوء ، وأن يحترز من أن تقرب الطفل حائض ، ذلك لأن النجاسة الشيطانية التي أصابت هذه المرأة تسبب للطفل سوء الحظ^(١) . وكانوا يطردون الشياطين بالنار ، وذلك بالإضاءة لاسيما في الليالي الثلاث التي تلي الولادة ، وكانوا يعطون الطفل عصارة نبات الهوما ويذيقونه زبدة الربيع^(٢) . وينبغي أن تكون العناية بالطفل من الرضاعة واللفة وغير ذلك ، طبقاً لأصول الدين^(٣) . وكان لحلق شعر رأسه أول مرة قواعد دينية أيضاً^(٤) .

ويعهد بتربية الطفل إلى أمه ، أو عند الحاجة إلى العمة أو إلى الإبنة البالغة من الأب إذا لم يكن غيرها^(٥) . وإن لم يرّ الولد أباه كما يجب له ، فإن جزءاً من ميراثه قد ينتقل إلى أمه على شرط أن تكون أهلاً لذلك^(٦) . أما البنت فيقع عبء تعليمها الديني على عاتق أمها ، ولكن للوالد^(٧) الحق في أن يزوجه . فإذا كان الأب ميتاً فإن تزويجها يناط بشخص آخر^(٨) ؛ يناط بالأم أولاً ، فإن كانت متوفاة عهد به إلى أحد الأعمام أو الأخوال . وأما البنت نفسها فلا تملك أن تختار زوجها^(٩) . ثم كان لزاماً على الأب أو من ينوب عنه في الولاية على البنت أن يزوجه بمجرد بلوغها ، ومن الإثم إهمال تحقيق رغبتها الشرعية في أن تكون أما^(١٠) .

وكانت الخطوبة تتم غالباً أثناء الطفولة ؛ وأما الزواج فيعقد في السن المبكر . وينبغي أن تزوج الصبية في الخامسة عشرة من عمرها^(١١) . والغالب أن الزواج يتم

(١) دينكرد ، (٨) ، ٣١ ، ٢١ — ٢٢ (نسك هسپارم) .

(٢) د ، (٨) ، ٣٨ ، ٦ — ٧ (نسك سكاظم) .

(٣) د ، (٨) ، ٣٥ ، ٩ (هسپارم) .

(٤) د ، (٨) ، ٣٨ ، ١٩ (سكاظم) .

(٥) د ، (٨) ، ٣١ ، ٩ — ١٠ (هسپارم) .

(٦) د ، (٨) ، ٤٣ ، ١٣ (سكاظم) .

(٧) د ، (٨) ، ٤٣ ، ١٠ (سكاظم) .

(٨) د ، (٨) ، ٢٠ ، ٨٩ (نسكاظم) .

(٩) د ، (٨) ، ٤٣ ، ١١ (سكاظم) .

(١٠) د ، (٨) ، ٤٣ ، ٢٠ (سكاظم) .

(١١) د ، (٨) ، ٢٠ ، ٩٥ (نكاظم) .

بواسطة « الحاطبة »^(١) . وكان المهر محددًا . ثم إن على الزوج أن يدفع إلى والد العروس مبلغًا من المال ، ولكن كان له حق استرداد ماله في أحوال معينة ، أى (إذا كانت العروس ، بعد الزواج لا تساوى المبلغ المدفوع)^(٢) ، والظاهر أن هذا التعبير يقصد به العقم . ثم ليس للأب الحق في إجبار البنت على قبول الزوج الذى اختاره لها ، فإذا رفضت فليس للأب الحق في حرمانها من الإرث لهذا السبب . وبعد الزواج تنتقل أهلية القيام بالأعمال الخيرية من الزوجة إلى زوجها^(٣) .

وإذا اتصلت القى عنست برجل صلة غير شرعية فإنها تحتفظ بحق النفقة عليها من أبيها وبنصيبها من الإرث ، على شرط أن تقطع هذه الصلة ، وأما الأطفال غير الشرعيين فإن نفقتهم تكون على جدهم لأهمهم^(٤) .

وكان للزوج ، بمقتضى عقد قانونى ، أن يجعل زوجته شريكة له ؛ فتصبح شريكته في ملك الثروة ، وتملك التصرف فيها كزوجها تمامًا^(٥) . وبهذا الطريقة وحدها تستطيع الزوج أن تتعاقد مع غيرها ، لأنها تعتبر ، بالنسبة لمثل هذه العقود وما يترتب عليها من آثار قانونية ، كأنها خارجة عن نطاق الزواج (الذى تقتصر أهلية التعاقد فيه على الزوج وحده) فتتمكن مقاضاتها دون اشتراط رضا الزوج . وفي هذه الحالة يستطيع الدائن أن يطالب بحقوقه قبل الزوجة أو الزوج على السواء^(٦) . بل كان في وسع الزوج أن يبرم مع زوجتين ممتازتين له « عقد منفعة متبادل » (كمّ وند يشينه) وفي هذه الحالة يكون لكل من الزوجتين ربحها شائعًا مع الزوج ، ومنفصلاً بالنسبة للزوجة الثانية . وللزوج أن يفسخ هذه « الشركة » في كل وقت ولكن الزوجتين

(١) بارتلومويه ، Zur Kenntniss der milleliranischen Mundarten ، (٢) ،

ص ٦ .

(٢) دينكرود ، (٨) ، ٢٠ ، ٩٤ (نكادم) .

(٣) Z. sas. Recht ، (٥) ، ص ١٠ وما بعدها ، ٢٧ وما بعدها ، ٣٨ ؛

Die Frau ، ص ١٠ — ١١ .

(٤) Rechtsbuch ، ص ١٥ ، ملحوظة ؛ Z. sas Recht ، (٥) ، ص ٧ ؛

Die Frau ، ص ١١ .

(٥) Z. sas Recht ، (١) ، ص ٢٧

(٦) المرجع نفسه ، ص ٢٥ وما بعدها .

قبول المرأة ضروريا . وفي هذه الحالة لا يستطيع الزوج الثانى أن يتصرف فى أموال الزوجة ، والأطفال الذين يولدون من هذا الزواج المؤقت ينسبون لأسرة الزوج الأول ويعتبرون أبناءه^(١) . وهذا الاتفاق ، وهو شاهد جديد على ما بين حال الزوجة والرقيق من الشبه القانونى ، كان يتم بعقد قانونى ، يتعهد بمقتضاء الزوج المؤقت أن يقوم برعاية زوجه طوال هذا الزواج الثانوى . وهذا العقد من قبيل : الإحسان على أخ فى الدين معوز . (وألقاب الزوج والزوجة فى الهلوية هى شوذ وزن) ، أما الزوج المؤقت والمرأة التى تعطى له كأنها مؤجرة ، فإن التعبير الفقهى قد أطلق عليهما اصطلاحين آخرين هما ميرك وزيانك (٢)^(٢) .

وهذا البيان عن مركز المرأة ، وهو البيان الذى استطعنا الإمام به بفضل أبحاث بارتولومويه ، تبدو فيه كثير من المسائل المتناقضة . وذلك لأن المركز القانونى للمرأة قد تطور فى خلال العصر الساسانى . فنظريا ، لم تكن المرأة شخصية قانونية^(٣) ، وفقا لقول بارتولومويه ، ولكنها كانت موضوعا للحق فحسب . كانت شيئا ولم تكن شخصية قانونية . ولكن الحقيقة أنها كانت تملك حقوقا معينة . وكانت هناك أحكام عتيقة تقوم بجانب القواعد الجديدة ، يبدو أنها مناقضة لها . وكانت المرأة الإيرانية ، قبل الفتح العربى الإسلامى لإيران ، فى طريق الحصول على استقلالها^(٤) .

ومن نظم القانون الساسانى للتعلىق بحقوق الأسرة ، « زواج الابدال » الذى وصفه صاحب كتاب تنسر . وقد أشير إلى هذا النوع من الزواج باختصار فى الترجمة الفارسية للكتاب^(٥) ، وأشير إليه بتفصيل أكثر فى نص من كتاب البيرونى عن الهند ، وهو مأخوذ عن الترجمة العربية المفقودة لابن المقفع . وهذا ما يقوله

(١) Z. sas. Recht ، (١) ، س ٢٩ وما بعدها ؛ Die Frau ، س ١٤ وما بعدها .

(٢) Z. sas. Recht ، (١) ، س ٣٦ — ٣٧ . وقراءة الاصطلاح الأخر

غير مؤكدة .

(٣) Die Frau ، س ٧ .

(٤) المرجع نفسه ، س ١٨ .

(٥) س ٢٢٤ و ٢٢٩ من طبعة دارمستر ؛ مينوى ، س ٢١ — ٢٢ ؛ الترجمة

العربية للخشاب س ٤٣ — ٤٤ .

البيروني^(١) : « وعليهم إذا مات الرجل ولم يخلف ولداً أن ينظروا فإن كانت له امرأة زوجها من أقرب عصبة باسمه . وإن لم تكن له امرأة فابنة للتوفى أو ذات قرابته ، فإن لم توجد خطبوا على العصبية من مال التوفى ، فما كان من ولد فهو له . ومن أغفل ذلك ولم يفعل فقد قتل ما لا يحصى من الأنفس لأنه قطع نسل المتوفى وذكره إلى آخر الدهر » .

وقد لعب المتنبى (سَدَرِيَه) ، وهو سنة إيرانية أخرى ، دوراً كبيراً في جماعة الزردشتيين . فإذا مات والد من غير أن يكون له ولد بالغ يخلفه رئيساً للأسرة فإن أبناء القصر يوضعون تحت الوصاية ، وإذا كان الميت ثروة^(٢) وجب أن يقوم مقامه في إدارتها « ابن متنبى » فإذا كان الميت « زوجة ممتازة » فإنها هي التي تتولى إدارة شئون الأسرة بوصفها « ابن متنبى »^(٣) . وعلى العكس من ذلك ليس « للزوجة الخادم » سلطان ، وينبغي أن توضع تحت الوصاية كالأطفال القصر ، وحينئذ يكون الوصى أباً لها ، وحين وفاة الوصى يحل محله أخوها أو أكبر إخوتها أو واحد من أقاربها الأقربين^(٤) . وإذا لم يكن للأب الميت « زوجة ممتازة » ولا ابنة وحيدة فإن وظيفة « الابن المتنبى » تسند إلى أخ ثم إلى أخت ثم إلى ابنة أخ ثم إلى ابن أخ^(٥) ثم إلى الآخرين من الأقارب الأقربين^(٦) .

وقد اشترط القانون في الرجل الذي ينصب « ابناً بالمتنبى » أن يكون بالغاً ، زردشتياً ، راشداً ، وأن يكون له أسرة عديدة وأن يكون له أولاد أو ينتظر أن يكون له ، وألا يكون قد ارتكب كبيرة من الكبائر . واشترط في المرأة ألا تكون متزوجة وألا تبحث عن زوج وألا تعيش في التسرى ، وألا تعيش على البغاء ،

(١) طبعة ساخاو ، ص ٥٣ ، الترجمة (١) ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

(٢) انظر داذستان دينك ، ٥٦ ، ٢ و ٥٩ ، ٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ٥٦ ، ٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ٥٦ ، ٧ .

(٥) هكذا النص ، ولا شك أن هناك خطأ : إن ابن الأخ يجب أن يسبق بنت الأخ .

(٦) المرجع نفسه ، ٥٦ ، ٦ ؛ وقارن ٥٨ ، ٣ .

وألا تكون متبناة في أسرة أخرى . وأما الرجل فيستطيع أن يكون ابناً « بالتبني » في أسرات كثيرة كما يريد^(١) . ولا تنتقل الولاية التامة « للإبن المتبني » بمجرد التبني وقد جعلت رعاية النار المقدسة في البيت علامة عليه^(٢) .

والتبني ثلاثة أنواع : « الابن المتبني السكّان » ، وهو تعيين زوجة ممتازة أو بنت وحيدة عزباء . فالتبني في هذه الحالة يستند إلى العلاقة الطبيعية ويتم بحكم القانون من غير استعداد خاص .

والثاني « التبني بالنص » وبمقتضاه يعين من أوصى به الميت .

والثالث « التبني بالتنصيب » وهو تعيين المتبني من بين من يصلحون من أقارب الميت^(٣) .

وعلى « الزوجة الممتازة » بعد أن تصبح أرملة أن تعنى بكل ما يمس الأسرة ، من المراسم الدينية والأعمال الخيرية التي يقع عبثها على الأسرة ، وعليها أن تزوج البنات وأن ترعى أخوات زوجها اللاتي لم يتزوجن إذا كن تحت وصايتها وهكذا . ولها الحق في أن تتصرف في جزء كبير من الميراث فيما تحتاج إليه خاصة . ولكن إذا تزوجت إحدى بناتها فعلى الأم أن تقاسم ولايتها مع الزوج ، وتزداد سلطة هذا إذا ولد من زواجه ابناً يكون يوماً ما رئيساً للأسرة^(٤) .

وقد عرف التبني بالمعنى العادي للكلمة أيضاً . وفي هذه الحالة لا يكون للأبوين المتبنين الحق في ميراثه : فإذا مات الابن المتبني الذي ولدته زوجة ممتازة قبل أن يبلغ سن الرشد فإن ميراثه يرجع إلى والده^(٥) .

وأما الميراث فإن الزوجة الممتازة وأبناءها يرثون بالتساوي ، والبنات المتزوجات

(١) داذستان — ديليك ، ٥٧ ، ٢ — ٤ .

(٢) نبذة من ماذيگان هزار داذستان ، يوتكر ، The Farhang i Pahlavik (هيدلبرج ، ١٩١٢) ، ص ٩٠ .

(٣) داذستان — ديليك ، ٥٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ٤٤ ، ١٠ — ١٢ . وفي لسكي هسپارم وسكاذم قواعد عن

التبني ، انظر دينكرود ، (٨) ، ٣٦ ، ١٣ و ٤٣ ، ١٤ .

(٥) Z. sas Recht ، (٣) ، ص ٧ .

يأخذن نصف ما يأخذ الواحد من هؤلاء . وليس للزوجات الخاديات وأبنائهن حق في الميراث . ولكن الأب يستطيع أن يتصرف في ثروته سلفا عن طريق الهبة أو الوصية^(١) .

وقد عين مراقبون على قوانين الميراث . فإذا مات رجل كان على الواحدة أن تقسموا أمواله بين الورثة وفقا لقانون الوصية . فإذا لم يترك الميت ثروة فإن عليهم أن يقوموا بخنازنه وبرعاية أولاده . وقد كان مقررا أن يكون أبدال أمراء البيت المالك أمراء مثلهم وأن يكون أبدال الأشراف أشرافا^(٢) .

وإذا تصرف الرجل ، في مرض الموت ، في بعض ثروته فأعطائها لبعض الناس حارما بذلك ورثته الشرعيين ، فإن تصرفاته لا تعتبر صحيحة ، إلا إذا كانت لسداد دين أو نفقة زوجة^(٣) أو أبناء أو والد أو فرد من أسرته تحت رعايته . ولكن التصرفات التي يعرضها رجل وهو مريض مرضا قليل الخطر تعتبر صحيحة بعد شفائه على شرط أن يكون قد أممها وهو متمتع بكامل قواه . وكان على الموصى أن يجعل لكل بنت غير منروجة نصيبا وزوجته الممتازة إن كانت نصيبين^(٤) .

ونستطيع أن نقبين كثيرا من التفاصيل عن قانون الملكية في كتاب « ماذيگان هزار دستان » ، فهو يحددنا عن العقود الشفوية^(٥) وعن الصيغ المختلفة للعقود الخاصة بالهبات^(٦) ، وهبة الأرض مع حق الارتفاق في القنوات^(٧) ، والهبة المؤقتة^(٨) ، ورهن الملك ، والتنازل عن عقار مع التزام التنازل إليه بأن يتلو الأدعية على روح

(١) Z. sas Recht ، (٥) ، س ١٤ ، ملحوظة ٤ ، س ٣٥ ، ملحوظة ٣ ؟

Die Frau ، س ١٣ — ١٤ .

(٢) كتاب نفسر ، الترجمة العربية ص ٤١ ؟ مينو ، س ٢١ .

(٣) زوجة غير ممتازة بلا شك لأن الزوجة الممتازة تعد من الأقارب الأقربين .

(٤) دادستان — ديفيك ، ٥٤ ، ١ — ٩ .

(٥) Z. sas. Recht ، (١) ، س ٧ وما بعدها .

(٦) Z. sas Recht ، (٣) ، س ٥ وما بعدها .

(٧) المرجع نفسه (٣) ، س ٢٩ وما بعدها .

(٨) المرجع نفسه (٣) ، س ٥٠ وما بعدها .

من يمينه الواقف ، وعنوان هذا الفصل (پَارُوانَ يَزِشَن رَاي دَاشَتَن)^(١) ، وحلف اليمين للفصل في دعوى خاصة بمسألة من مسائل الملكية^(٢) ، والقواعد الخاصة بقرض اقترضه جماعة بالاشتراك^(٣) ، والاحتياطات الواجبة في حالة الكفالة^(٤) وغيرها . وإذا تصرف الوصى على صبي قاصر في جزء من تركة الأسرة لسداد الديون فإن للولد حين يبلغ سن الرشد أن يجيز هذه التصرفات^(٥) . وإذا اعتق رجل أمة عشر إعتاق فإن أولادها يعتبرون أحراراً عشر الحرية . وهذه القاعدة الفريدة تكاد توجد بنفسها في كتاب الفقه السرياني لعيشو بوخت^(٦) .

ثم إن نسك سكاذم قد تضمن قواعد مفصلة عن مسائل الملك والقرض والفوائد^(٧) ، وحجز المواشى والدواب والحيل وغيرها ، والالتزامات المترتبة للحاجز ، ثم حبس المدين ومصادرة الملابس وما أشبهها ، والمسائل القانونية التي تترتب على كشف كنز ، وغير ذلك^(٨) .

والمعلومات التي نستطيع أن نستخرجها من مصادرنا عن الجماعة الإيرانية ، مهما تكن جزئية وناقصة ، ترينا حالة اجتماعية كانت قوتها الذاتية مستمدة من الشعور القديم العميق بروابط الأسرة التي لا يتسرب إليها خلل . فقد شرعت القوانين لحماية الأسرة والمملك وللمحافظة على التميز الدقيق بين طبقات المجتمع بأن عينت لكل فرد مكانه المعلوم في النظام الاجتماعي . ولكن حوالى آخر القرن الخامس زالت المزدكية هذا النظام الاجتماعي من أساسه . وقد ساعدت الأحداث السياسية هذا

(١) المرجع نفسه (٣) ، ص ١٩ .

(٢) المرجع نفسه (٢) ، ص ٥ .

(٣) المرجع نفسه (١) ، ص ٣٩ وما بعدها ، (٣) ، ص ٥٤ وما بعدها ، للمحوظة .

(٤) المرجع نفسه (٤) ، ص ٥ وما بعدها .

(٥) المرجع نفسه (٢) ، ص ٢٣ وما بعدها .

(٦) المرجع نفسه (٣) ، ص ٤٧ .

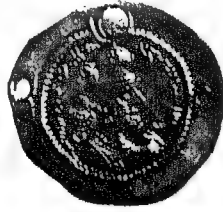
(٧) دينكرد ، (٨) ، ٤١ .

(٨) دينكرد ، (٨) ، ٣٩ .

التيار الثوري الذي كان له أثر مشدوم في الفترة التي زلزلت فيها إيران من جراء
نسكة فيروز الفادحة (١).

(١) ذكرت تاريخ قباد والمزدكية في المسائل السكلية نقلا عن البحث الذي قدمته في كتابي
D. vid. Selsk. fil. hist. Medd (١٢٧—٩٤) ، Le règne du roi Kawad I.
(٩)، ٦. وأحيل من أجل التفصيل في المصادر المذكورة على القسم الأول من هذا
الكتاب حيث جمعت المواد؛ وحيث بحثت صلة المصادر ببعضها وقبيلها التاريخية. وهامي
المصادر الرئيسية: ١ — يشوع ستيبيت الزائف، وهو كاتب سرياني معاصر يتناول تاريخ
السنوات ٤٩٤ — ٢٤٥٠٦ — السكانيين البيزنطيان بروكوب (BP (١)، ٣—٢١)
وأجائيس (٤)، ٢٧ — ٣٠ (٣٠) — بعض ملاحظات شقي في الآداب الهلوية الدينية
(تعليقات على الونديداد، يشت بهمن، دينسكرد؟ وهناك ملحوظة لم أشير إليها في كتابي وهي
في البندهشن الكبير، طبعة أنكلساريا، ص ٢١٥ ويحتمل أن يكون مصدرها ترجمة عربية
لأجدانيامة) ٤ — الروايات العربية والفارسية التي يعتبر أجدانيامة مصدراً أساسياً لها،
وأقسمها إلى أربعة فروع: (١) اليعقوبي، الجزء الأول، ص ١٨٥؛ الطبري، ص ٨٨٥
(١)، ٧ — ١٨، ٨٨٦، (٢٠، ١) ٨٨٦، ١٤٤، (٢، ١) ١٤٤، ١٤٧ — ١٥٣ — ١٥٥ —
(ب) ابن البطريق، طبعة بوكوش، صفحات ١٢٦ — ١٣٣ و ١٧٤ — ١٨١،
وطبعة شيخو الجزء الثاني صفحات ١٩١ وما بعدها و ٢٠٦ وما بعدها؛ ابن قتيبة، طبعة
وستنفيلد، ص ٣٢٨؛ الطبري، ص ٨٨٣ — ٨٨٥ (١ — ٥)، ٨٨٥ (١ — ١٩)
٨٨٦ (١ — ١٨)، ٨٩٦ — ٨٩٨ (نولده، ص ١٣٥ — ١٣٨ (١ — ١٣)
و ١٤١ (١ — ٥) — ١٤٢ في الأسفل، ١٦٢ — ١٦٤)؛ مطهر بن طاهر
المقدسي، طبعة هبار، الجزء الثالث، ص ١٧٦ وما بعدها، الترجمة، ص ١٧٠ وما بعدها؛
المسعودي، صروج، الجزء الثاني، ص ١٩٥ وما بعدها؛ حمزة، ص ١٠٦ — ١٠٧،
الترجمة ص ٨٣ — (ح) الدينوري، صفحات ٦٢ و ٦٦ — ٦٩؛ النهاية ص ٢٢٦
وما بعدها — (د) كتاب الأغاني، طبعة بولاق، الجزء الثامن، ص ٦٣ — ٦٤؛
حمزة، ص ٥٦، الترجمة ٤١؛ الثعالي، ص ٥٨٣؛ الفردوسي، طبعة مول، الجزء السادس،
ص ١٠٣ وما بعدها؛ البيروني، الآثار الباقية، ص ٢٠٩، الترجمة ص ١٩٢؛ بجل التواريخ،
مول، JA، السلسلة الثالثة، جزء ١٤، صفحات ١١٦ وما بعدها و ١٦٣ وما بعدها؛
ابن الأثير، تورنبرج، الجزء الأول، ص ٢٩٦ وما بعدها؛ أبو الفداء، Hist. antisl.
طبعة فليشر، ص ٨٨ والكتاب الذين ينظمهم الفرع الرابع قد استخدموا قصة مزدك نامك
التي نستطيع إعادة نظمها وفقاً لما جاء في سياست نامه لنظام الملك (طبعة شيفر ص ١٦٦
وما بعدها، الترجمة ص ٢٤٥ وما بعدها) وكذلك استخدموا رواية فارسية (داراب هرمزيار،
الجزء الثاني، ص ٢١٤ — ٢٣٠؛ انظر مقالتي: «Two versions of the history of
Mazdak»، في Modj Mem Vol، ص ٣٢٢ وما بعدها). وقد استخدم كل من
البلعمي (ترجمة زوتنبرج، الجزء الثاني، ص ١٤٢ وما بعدها) وفارسنامه لابن البختي (طبعة =
(٢١ — الساسانية)

وقد احتفظ زرمهر (سوخرا) في السنوات الأولى من حكم قباد بمكانته على أنه أكبر رجل بين عظماء الدولة ^(١) ، ولكن قباد لم يكن مستعداً لأن يخضع لهذا الرجل الطموح الخطر ، فاستفاد مما بين زرمهر وسابور مهران من خصومة ، ولما أيقن من مساعدة الأخير له قتل زرمهر وكان سابور حينئذ « سياهبد إيران » أو القائد الأعلى للدولة (الطبرى) أو ربما كان « سياهبد السواد » فقط (النهاية) ^(٢)



٣٦ . من نقود قباد الأول

(متحف كوينهاجن)

وقد كان لهذا الحادث دوى عظيم في سائر أنحاء البلاد ثم إنه أوحى بمثل شعبي : « نقصت ريح سوخرا وهبت لمهران ريح » ^(٣) ، أو « جمدت نار سوخرا وهبت ريح سابور » ^(٤) .

= لوستراخ ونكاسون ص ٨٤ — ٩١ ، وانظر مقال في Modi Mem Vol ، ص ٣٢٢ وما بعدها (الروايات المختلفة في الحدائنامة . تاريخ طبرستان : ابن اسفنديار (ترجمة برون ، ص ٩٢ وما بعدها) وظهير الدين المرعشي (طبعة دورن ، ص ٢٠١ وما بعدها) . تفاصيل عن نظرية مزدك : المهرستاني ، طبعة كيرتون ، ص ١٩٢ وما بعدها ، ترجمة هاربروكر ، الجزء الأول ، ص ٢٩١ وما بعدها ؛ الفهرست ، ص ٣٤٢ .

(١) انظر هنا ص ٢٨٠ .

(٢) تخلط المصادر العربية والفارسية التي ترقى إلى الحدائنامة بين مقتل زرمهر ، وأحد العظماء ، سياوس ، وكان هذا قد قتل بعد زرمهر بنحو ثلاثين سنة . انظر « Le règne du roi Kawadk I » ، ص ٤٩ ملحوظة ١ .

(٣) الطبرى ، ص ٨٨٥ ؛ تولدك ص ١٤٠ .

(٤) النهاية ، ص ٢٢٦ .

ولكن لم نعد نسمع شيئاً عن سابور مهران بعد هذا ، ولعله لم يعيش كثيراً بعد موت خصمه^(١) .

وقد أكسب قتل زرمهر قباد عداوات خطيرة ، ولكن الذي أشعل غضب العظماء هي صلات الملك بفرقة المزدكية الكافرة والبدع الثورية التي ترتبت على ذلك . وقد باشر قباد سلطانه متبعاً سبيل العنف ثم أدخل على النظام الإداري بدعا كما يقول بروكوب ، ويؤكد أجنائاس أنه كان مستعداً للتطويع بالنظام القائم ، ولقلب حياة الأفراد قلباً ثورياً ، وللقضاء على الآداب القديمة . ولكن المؤرخين البيزنطيين وكذلك المتسمى ستيليت لم يذكروا من هذه الأعمال الثورية التي أجراها الملك غير واحد هو شيوع النساء . أما أن هذا الإجراء كان جزءاً من نظام ديفي فهذا ما لم يعنوا به ؛ والمتسمى ستيليت كان يعرف وحده ، « فرقة الزردشتكيان الضالة » ؛ وينبغي الرجوع إلى مؤرخي العرب والفرس لمعرفة أبناء هذه الفرقة ومذهبها . وينبغي أن نلاحظ أولاً الاسم الذي أطلقه المتسمى ستيليت على هذه الفرقة . والمصادر العربية والفارسية لا تتحدث إلا عن الفرقة المزدكية ، وليس هناك أدنى شك أن الحدادنامة قد أشار إليها بهذا الاسم أيضاً . ومع ذلك فإن كثيراً من المصادر العربية والفارسية ، الطبري واليعقوبي والنهاية ، تذكر رجلاً اسمه زردشت بن خورگان من أهالي بسا (فساى) بمقاطعة فارس ، على أنه المؤسس الأول لهذه الفرقة . ويذكر زردشت في « النهاية » على أنه من أشرف الفرس وكان يؤيد دعوة مزدك . ثم إن معظم المصادر العربية والفارسية التي لا تشير إلى زردشت تجعل مولد مزدك ، خطأ ، في مدينة

(١) يرى ماركارث (ZDMG ، ٤٩ ، ص ٦٣٧) أن هذا الاصبهيد شاهپور هو اسپهبد Aspabedes (سپاهبد) الذي عقد الهدنة مع سيلر الرومان Celer سنة ٥٠٥ أو ٥٠٦ ، والذي كان أخو زوج قباد (بروكوب) . ولكن المتسمى ستيليت يقول إن اسم هذا الاصبهيد هو بويه . وهو من غير شك بويه الذي كان يلقب بوهريز (انظر هوبمان ، Armen. Gramm ، (١) ، ص ٥٩ و ٧٨) والذي قاد ، فيما يقول بروكوب ، الجيش الإيراني لقتال جورجيين ملك السكرج (جورجيا) . فيجب إذاً أن نفترض أن بويه كان خليفة أو أحد خلفاء شاهپور في وظيفة إيران — سپاهبد أو سپاهبد السواد .

يسا وهى المدينة التى ولد بها زردشت^(١). فمن الظاهر أن الإشارة إلى زردشت قد أخذت عن الخداينامه. ولكن مالالاس يروى^(٢) أنه ظهر فى روما أيام ديوكليستين مانوى اسمه بندس Bundos أنى بمذاهب جديدة تتعارض مع المانوية الرسمية : فقد كان إله الخير يحارب إله الشر وأن هذا الأخير قد منى بالهزيمة .

ومن أجل هذا وجب تمجيد المنتصر . وقد ذهب بندس هذا إلى إيران حيث دعى إلى مذهبه الذى سماه الإيرانيون « مذهب إله الخير » ؛ وهذا بالهلوية « دريست دينان » ، « أتباع الدين الحق »^(٣) . وفى نص آخر يذكر مالالاس الملك قباد باسم (كودايس هوداراس ثنوس)^(٤) ، والصورة الصحيحة للقب هى (هوداريس ثنوس)^(٥) . وهذا اللقب الذى أطلق على قباد بوصفه واحداً من أتباع مذهب مزدك بلا شك ، مذكور مع التحريف فى كثير من المصادر العربية والفارسية التى ترقى إلى الخداينامه^(٦) .

فالمزدكية إذا هى نفس مذهب « دريست — دين » الذى دعا إليه بندس .

(١) عند الدينورى : اصطخر . انظر « Le règne du roi Kawadh » ، س ٤١ والملاحظة ١ .

(٢) مين Migne ، Patrologia ، Series Graeca ، جزء (٩٧) ، س ٤٦٥ .

(٣) يسمى مزدك دينه ، حسب رواية فارسنامه (ص ٨٤) « بدين العدالة » .

(٤) مين Migne ، (١) ، c ، ص ٦٣٣ .

(٥) وجدت صيغة دريست (بدلامن دُرُست) فى نصوص ترفان (M ، ٤٧٥ ، v ، و ٨ و M ، ٤٧ ، v ، ٨ وفارن تودسكو فى « Le Monde oriental » ، (١٥) ، س ٢٠٩) . وفى ملاحظة عابرة تردد تولدكه (Tabari س ٤٥٧ ، ملحوظة ١) بين درست — دين ودرزُد — دين ، ولكنه رجح الأخيرة . ولكن كلمة درزُد ، الصيغة الهلوية — الفارسية للكلمة الأوستية زَرَزدا لم توجد حتى الآن فى النصوص الهلوية ، واكتشاف صيغة دريست يرجح كفة تفسير دريست — دين . وكتابة الكلمة فى التواريخ العربية والفارسية يبين أن صيغتها مع آ مى الأصح . وتسمية دريست دين « الدين الحق » توافق به — دين « الدين الطيب » ، وهو الاسم الذى يطلقه الزردشتيون على دينهم .

(٦) انظر « Le règne du roi Kawādh » ، س ٩٧ وما بعدها ، حيث تناولت هذه الصيغة التى هى جيعاً تحريفات لكلمة درزُد دين وهى النطق الشعبى لكلمة دريست — دين .

وإذا كان بئدس المانوى الذى أعلن فى روما انشقاقه على المانوية قد سافر إلى إيران ليدعو إلى مذهبه ، فإننا نستطيع أن ننتهى من هذا ، مع بعض التأكيد ، إلى أنه كان من أصل إيرانى . واسم بئدس لا يشبه أسماء الأعلام الإيرانية ولكن يمكن أن يكون لقباً^(١) . ولما كان ذكر رجل سابق على مزدك ومبشر به وقائل بأنه المنشئ الحقيقى للمذهب لم يكن قاصراً على المؤرخين العرب الذين يستمدون كتاباتهم من الحدائنامة بل إنه ورد كذلك فى نص بالفهرست الذى يستقى من مصادر أخرى ، ولما كان هذا الرجل السابق قد سمي فى الحدائنامة زردشت ، وهو ما يتفق مع اسم الفرقة ، زردشتگان ، الذى نجده عند المتسمى ستيليت وهو المؤرخ المعاصر لمزدك ، فإننا نستطيع أن نؤكد أن بئدس وزردشت شخص واحد وأن زردشت كان الاسم الحقيقى لهذا المبتدع كما كان كذلك اسماً للنبي المزدى القديم^(٢) . والفرقة التى تتحدث عنها هى إذاً شعباً من المانوية أسست فى روما قبل مزدك بحوالى القرنين ، أسسها رجل إيرانى هو زردشت بن خوركان المولود فى پسا . وهكذا كان المؤرخين البيزنطيين والسريانيين الذين اشتغلوا ببحث الضلالة أيام قباد^(٣) أسباب قوية لتسمية أتباع مزدك بالمانوية^(٤) .

ويستفاد من روايات المؤرخين العرب أن زردشت كان رجل دعوة فقط ، وأن مزدك كان رجل التنفيذ فهو « خليفة زردشت عند سفلة الناس » (الطبرى) ، وقد

(١) قارن الهلوى بَوَّندَك (الأرمي بَوَّندَك) ، كامل ، انظر سامان Saleman ، OIPH ، (١) ، ١ ، س ٢٨٠ (§ ٥٠ — ١٤) ؛ نيرج Nyberg ، Hilfsbuch des Pehlevi (٢) ، س ٣٣ .

(٢) اعلاه هو زردشت هذا الذى يشار إليه فى نقش يونانى وجد فى سيرين ، حيث الموضوع شيوع المال والنساء الذى يوحى به زرديس وفيثاغورس (انظر شيروود فكس ، Passages in Greek and Latin Literature relating to Zoroastre and Zoroastrianism J. Cama (Dr. Inst.) ، رقم ١٤) ، س ١١٨ .

(٣) مالالا وتوفان ، وعلى هديهما سيدرين وزونراس وميشيل السريانى ، ترجمه شابو ، (٢) ، س ١٩٠ .

(٤) يقول الطبرى وأبو الفدا إن كسرى الأول قتل كثيرين من أتباع مزدك وبعض المانوية . وقد يكون هؤلاء المانوية مزدكيين فى الحقيقة .

استطاع هذا أن يقضى على شهرة سابقه ، ولما عرفت الفرقة منذ أيامه بالمزدكية ظن الناس فيما بعد أن المؤسس الحقيقي للمذهب كان يسمى مزدك أيضا ، وهكذا ظنوا أنه كان هناك رجلان اسمهما مزدك ، مزدك القديم ومزدك الأخير (الفهرست) . وإذا فروايات الطبري واليعقوبي والنهاية التي تجعل زردشت معاصراً لمزدك مخطئة .

أما شخصية مزدك فنحن نعرف عنها قليلا جدا . وقد رأينا أن روايات بعض المؤرخين العرب الذين يجعلونه من مواليد پسا روايات غير مصيبة ، فإن پسا هي البلد الذي ولد به زردشت لا مزدك . ويقول الطبري إن مزدك ولد في مدينة مذرنية . ولعله يقصد مدينة ماذرايا الواقعة على الشاطئ الشرقي لدجلة حيث توجد اليوم مدينة كوت العبارة . وكانت هذه المدينة عامرة حتى القرن الحادي عشر الميلادي فقد كان يسكنها أشراف الفرس^(١) . ثم إن اسم مزدك اسم فارسي وكذلك اسم أبيه بامداد . ويقول الدينوري إن أصله من اصطخر ، أما صاحب « تبصرة العوام » فيرى أن مزدك ولد في مدينة تبريز^(٢) . والواضح أن مدينتي اصطخر وتبريز قد حللتا مكان بلد غير معروف أو استعصت قراءته .

ومذهب « دريست دين » الذي قال به بُندُس — زردشت ومزدك كان طابعه إصلاح مذهب ماني^(٣) . وهو كالمانوية الأولى بدأ يناقش الصلة بين الأصليين القديمين : النور والظلمة . وهو يختلف عن مذهب ماني لأنه يقول إن الظلمة لا تعمل كما يعمل النور بالقصد والاختيار ولكنها تفعل على الحبط والاتفاق ، وعلى هذا النحو يكون امتزاج النور بالظلمة — وهو الامتزاج الذي نشأت عنه الدنيا — غير ناتج بالقصد والاختيار كما قال ماني ولكنه كان على الاتفاق والحبط . وعلى ذلك فعلموا النور أكثر توكيدا في النظرية المزدكية منه في المانوية . وهذا يتفق مع رواية مالالاس

(١) لوستراخ ، The Lands of the Eastern Caliphate ، ص ٣٨ ؛ الترجمة العربية لبشير فارس وكوركيس عواد ص ٤٤ (مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٤) .

(٢) شيفر ، Chrestomathie Persane ، (١) ، ص ١٥٨ .

(٣) المصدر الرئيسي لمذهب مزدك هو الشهرستاني (طبعة كيرتون ، ص ١٢١

وما بعدها ، ترجمة هاربروكر ، (١) ، ص ٢٩١ وما بعدها) .

الذى قال إنه ، وفقا لنظرية بندس ، قد غلب إله الخير (النور) إله الشر (الظلمة) ، ومن أجل هذا وجب تعجيد الغالب . إلا أن هذا النصر لم يكن كاملا ، لأن الدنيا خليط من الأصلين القديسين ، وهى باقية ، والمقصد النهائى من تكامل هذا العالم هو تخليص ذرات النور التى اختلطت بذرات الظلمة . وفى هذا تتبع المزدكية طريقة مانى . وقد قال هذا بوجود خمسة أركان للنور : الأثير والهواء والنور والماء والنار ، ولكن مزدك قال بثلاثة أركان : الماء والنار والتراب . وإذا كان الشهر ستانى لم يتحدث فى هذا الشأن فإننا نظن أنه كان هناك ثلاثة أركان للظلمة ، كما لها خمسة فى المذهب المانوى ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر ، فما كان من صفوها مدبر الخير وما كان من كدرها مدبر الشر . ومدبر الخير هو إله النور ، «ملك النور» عند المانوية . وقد صور مزدك معبوده وهو قاعد على كرسيه فى العالم الأعلى على هيئة قعود كسرى فى العالم الأسفل ، وبين يديه أربع قوى^(١) : قوة التمييز والفهم والحفظ والسرور ؛ كما بين يدي كسرى أربعة أشخاص : الموبدان موبد والمهربدان هربد والإصهيد والرامشكر (صاحب الموسيقى)^(٢) . وتلك الأربع تدبر أمر العالمين بسبعة من وزرائها : سالار (الزعيم) ، ييشكار (الرئيس) ، بارور (حامل العباء) ؟ ، پروان (الوكيل) ، كاردان (الخبير) ، دستور (المستشار) ، كوزك (العلام — الخادم) . وهذه السبعة تدور فى اثني عشر روحانيا^(٣) هم : خواننده (الداعى) ، دهنده (المعطى) ، ستاننده (الآخذ) ، برنده (الحامل) ، خورنده (الآكل) ، دونده (الجارى) ، خيزنده (القائم) ، كشنده (القاتل) ، زننده

(١) مى « زورآن » فى النصوص المانوية . فارن : قرى إله الدور الأربع ، مولار Handschriften Reste Muller ، (٢) ، ص ٦٢ .

(٢) فارن قوائم العظما التى جاء بها البهمنى والمسعودى ، هنا ص ٢٥١ وما بعدها . ولكى يقيم مردك المعارفة بين حكم السماء وحكم الدولة الإيرانية اختار أربعة من العظما والعجيب هو أنا نجد بين هؤلاء الرامشكر ؟ انظر هنا فى الفصل التالى .

(٣) فارن الإثنى عشر « شهر دار يفت » « إمارات » أو أبونات المانوية . والسبعة يدورون داخل الإثنى عشر ، كالأفلاك السبعة فى دائرة إثنى عشر برجاً . ويذكر نص الشهرستانى ثلاثة عشر اسما .

(الضارب) ، كئنده (العامل) آينده (الآتى) شونده (الذهاب) ، بایده (الباقي)^(١) وكل إنسان اجتمعت له هذه القوى : الأربع والسبع والإثنى عشرة صار ربانيا في العالم السفلى وارتفع عنه التكليف . وينتهى حديث الشهرستاني عن العالمين العلوى والسفلى بكلام من الحروف التي مجموعها « الاسم الأعظم » .

وأما عن علم المعاد عند الزدكية فإن الشهرستاني لا يحددنا تفصيلا . ولا شك أن قوله إن الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار ، كما حدث في المزاج بين الظلمة والنور قول مختصر . ومهما يكن فإن على الإنسان أن يأمل في الخلاص بالقيام بأعمال وبالامتناع عن أخرى . وإنما تتحدث مصادرنا عن الامتناع خاصة . والنقطة المهمة عند الزدكية ، كما هي عند المانوية ، هي تفادي كل ما من شأنه توثيق صلة الأرواح بالمادة ومن أجل ذلك حرم على الزدكية أكل لحم الحيوان^(٢) . وقد حافظوا في أكلهم ، بوجه عام ، على بعض قواعد الزهد^(٣) . وللامتناع عن أكل لحم الحيوان باعث آخر : فلا أكل الحيوانات يجب ذبحها ، وكل سفك للدماء إنما هو عمل يعوق الجهد في سبيل تخليص الأرواح^(٤) . وقد ذكر الشهرستاني رواية جاء فيها أن مزدك « قد أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة » . ويحتمل أن يكون معنى هذا أنه يجب قتل الزوات والشهوات التي هي عوائق في سبيل الخلاص . وقد نهى مزدك الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب عدم

(١) نستطيع أن نقرأ كئندك بدلا من كئندك (الأولى بمعنى الحافر أو الخرب) .
انظر أيضاً : (Le règne du roi Kawadh) ، ص ٨١ ، ملحوظة ٢ .

(٢) البيروني وابن الأثير . وقد حرمت اللحم في المانوية على « الصديقين » ، انظر هنا ص ١٨٢ .

(٣) في عبارة من نص أوسني في الوندباد (٤ ، ٤٩) جاء ذكر هؤلاء الذين يحاربون استودوتو (الهوى استودات) ، شيطان الموت ؛ فن هؤلاء « هذا الذي يحارب الكافر النجس الذي يمتنع عن الطعام » . والتعليق الهوى (§ ١١) يضيف المهرج التالي : « هذا الذي يحارب الكافر الدنس الذي يحمل الناس بالقوة على عدم الأكل ، مثل مزدك بن بامداد ... ، الذي كان يترك الناس للجوع والموت ، وهذا الرجل يحارب استودات » . ويقول ابن الأثير إنه أبيع للمزدكية أكل البيض والابن والزبد والجن .

(٤) رواية عربية ذكرها الطبري ، انظر (Le règne du roi Kawadh) ، ص ٢٩ .

المساواة بين الرجال ، فقد أوجب إزالة هذا السبب ؛ وقد وجب ، في الجماعة المانوية على الصديقين أن يعيشوا بلا نساء وأن لا يملكوا من الغذاء غير قوت يوم واحد ومن الملابس غير ما يكفي سنة واحدة . والمفروض أن قواعد مماثلة قد فرضت على الطبقات العليا من الفرقة المزدكية لأننا نجد فيها هذا الميل نحو الزهد ورياضة النفس . ولكن رؤساء المزدكية قد أدركوا أن الرجال العاديين لا يستطيعون التخلص من حب اللذات المادية ، أى الرغبة في تملك الأموال والنساء أو المرأة التي يحبونها ، إلا في اللحظة التي يستطيعون فيها إشباع هذه الحاجات بالاختيار . وبهذه الفكرة ظهرت النظرية الاجتماعية للمزدكية : فإن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتساوى بحيث لا يكون لأحدهم أكثر مما لغيره . وقد نشأ عدم المساواة بالقوة ، فكل يريد إشباع رغباته على حساب أخيه ، والحقيقة أن من كان عنده فضلة من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو أولى به من غيره فينبغى أن يأخذوا من الأغنياء للفقراء وأن يردوا من المكثرين على القليلين ، وذلك ليقيموا المساواة البدائية^(١) وينبغى أن تكون النساء والأموال شركة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار والسكك^(٢) .

وذكر مزدك أن ذلك من البر الذي يرضاه الله ويثيب عليه أحسن الثواب . وأنه لو لم يكن الذي أمرهم به وحثهم عليه من الدين ، كان مكرمة في الفعال ورضاء في التفاوض^(٣) .

ونفهم بسهولة كيف استطاع خصوم هذا المذهب اتهام الشيوعيين المزدكيين بالشهوة والإباحة وهما في الحقيقة صفتان متناقضتان مع الزهد الذي كان أساسا للمذهب . وفي الجملة فإن زردشت ومزدك قد استطاعا الدعوة إلى ثورة اجتماعية مدفوعين بأفكار أخلاقية وإنسانية .

وقد أصر المزدكية على وجوب القيام بأعمال الخير ، فإنهم لم يحرموا القتل

(١) ابن البطريق ، الطبرى ، الثعالي ، الفردوسى ، وغيرهم .

(٢) الشهرستانى .

(٣) الطبرى .

فحسب ، ولكنهم حرموا أيضا إدخال الآلام على النفوس ، ولهم مذهب فى الضيافات ليس عند أمة من الأمم . فهم إذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شيء يلتصقه كائننا ما كان^(١) . وقد أوصى مزدك بالرفق مع العدو^(٢) .

كيف اتصل مزدك بالملك ؟ ليس لدينا أسانيد موثوق بها . وقد ذكر الثعالبي والفردوسى أن مزدك استطاع ، أثناء قحط ، أن يستدرج قباد بأسئلة ماكرة إلى أن يعلن أن من منع رجلا من الطعام والشراب ينبغي أن يقتل به ، ففرج مزدك عند ذلك فقال للسوقة المتجمعين حول القصر إن الملك قد أباحكم ما فى الأهراء من الغلات فابسطوا أيديكم وأينا وجدتم شيئا فاستبيحوه . ووضح أن هذه الرواية خرافية فى تفاصيلها ، ولكن قد يكون جوهرها أساسا لحقيقة تاريخية . فقد أشار سعيد بن البطريق إليها^(٣) . وقد استطاع البؤس الذى خلفته هذه الشدة والذى كشف عن توزيع الثروة الظالم فى الجماعة الإيرانية ، حيث كانت السلطات ، بغير استثناء ، فى يد الأشراف ، أن يشجع المظلومين من الشعب وأن يوحى فى الوقت نفسه للملك بأن يجرى إصلاحات جريئة . وعلى كل حال فقد دخل قباد فى مذهب مزدك ، وتصرف على هذا الأساس . وقد انفتحت المصادر العاصرة واللاحقة ، عدا المتسمى سقيليت ، على أن الملك قد أصدر قوانين تبيح النساء . وأما المتسمى سقيليت فقد قال إنه — الملك — قد أعاد ورقة الزردشتگان التى كانت تقول بإباحة النساء جميعا ، ولا يحمل هذا النص نفس المعنى الذى تقول به المصادر الأخرى . ما هى إذا الأوامر التى أصدرها قباد فى هذا الصدد ؟ لم يدع أى مصدر أنه ألغى الزواج ، ولو أن هذا الأمر كان يستحيل التنفيذ . ومن الممكن أن يكون قباد قد شرع بالقانون بعض أنواع جديدة من الزواج أبسر وأسهل فلا تتعدى هذه الأنواع التوسع فى القوانين التى كان معمولا بها من قبل فى القانون الساسانى . وقد رأينا أنه بهذا القانون

(١) المهرست

(٢) الطبرى ، الرواية العربية .

(٣) يقول ابن الباريق إن القحط حدث بعد السنة العاشرة من حكم قباد . ولكن

قباد لم يحكم غير ثمان سنوات حينما عزل .

كان في وسع الرجل أن يتنازل عن زوجه أو عن إحدى زوجاته — حق عن الزوجة الممتازة — إلى رجل آخر قد مسه الإملاق من غير خطأ منه حتى يستطيع الإفادة من عمل المرأة .

ثم مما تجب مراعاته أن مصدرا من المصادر المعاصرة لم يتحدث عن القوانين التي أصدرها قباد لشيوع الأموال . وقد تحدث ال — خدائنا من مثل هذه الوسائل ، وقد يكون فيها شيء من الحقيقة . ولكن التجديد لم يكن من الخطر بحيث يثير العجب في نفوس المعاصرين من البيزنطيين والسريان . وربما تعلقت بفرض ضرائب باهظة على الأغنياء لتحسين أحوال الفقراء أو بشيء من هذا القبيل .

ويسأل الباحث لماذا أعلن ملك إيران انضمامه إلى فرقة الشيعيين . وقد أزعج السؤال المؤرخين الشرقيين . ويدعى بعضهم أن اعتناقه المذهب كان عن عقيدة ، ويرى الآخرون أنه لم يقبل مذهب المزدكية إلا محاباة أو خوفاً . وقد بين نولدكه^(١) نقطة ونشاط هذا الملك الذي رقى العرش مرتين في أشد الظروف عسراً ، وثبت فيه ، وكثيراً ما ألقى الفزع في الإمبراطورية الرومانية ، ثم ختم قوله بأن قباد لم يتحالف مع المزدكية إلا بقصد تحطيم قوة الأشراف . ولكن لم يتحدث واحد من المصادر المعاصرة أو القريبة من عهد قباد على أنه « مكياقلى » الخلق . لم يذكره بذلك بروكوب الذي كان معجباً به ، ولا أجاثياس الذي لم يكن يحبه ، ولا المسمى ستيليت الذي كان يبغضه . وإلى هذا نجد مصادرنا تشير بإشارات كثيرة قد يفهم منها أن اعتناق قباد للمزدكية كان بإخلاص . وقد انهارت دولته « لأنه كان يشتغل بالحياة المستقبلية » كما يقول حمزة . أما الطبرى فيعتبره من خير ملوك إيران إلى أن ضل واعتنق المزدكية . ومهما عدنا رواية الثعالبي والفردوسى عن المحادثة التي جرت بين مزدك وقباد أثناء القحط خرافية ، فإنها توضح الرأى بأن الوسائل التي اتخذها الملك بناء على نصيح مزدك قد استوجبت الاهتمام بأمر الشعب المعذب ، وهذا هو نفس الشعور بالعدالة وبالبإنسانية الذي يظهر في إصلاح نظام الجباية الذي أعده قباد

(١) Tabari ، س ١٤٢ — ١٤٣ ، ملحوظة ٣ ، س ٤٦١ .

ونظمه خليفته من بعده . والروايات العربية القديمة ، وهي روايات عدائية للهجة ، تقول بأن هذا الملك ، وهو زنديق^(١) « قد ظهر بالرقه وبأنه يخشى سفك الدماء وأنه من أجل هذا كان يعامل أعداءه بكثير من الرأفة » . وبما لا يحتاج إلى بيان أنه ينبغي ألا نفهم هذا الخوف من إراقة الدماء بالألفاظ . فإن ملكا يشتبك في الحرب فترة طويلة من حكمه ، وكان عليه في الوقت نفسه أن يجمع الكبرياء وروح العصيان في حزب من الأشراف الأقوياء ، لا يمكن أن يكون شديد الحساسية في هذه الناحية . ثم إنه في حروبه ضد البيزنطيين قد اتبع المثل السائر القائل بأن الهجوم خير دفاع . ولكننا نرى في وسط الوحشية التي لم يكن منها مفر في حروب ذلك الوقت آثار إنسانية الملك قباد . ويتحدث المتسمى سقيليت في فزع عن المذبحة التي وقعت على سكان مدينة آمد بعد أن استولى عليها قباد ، ولكن حين نقرأ هذه الرواية يجب أن نقدر طبيعة الحرب وروح التعصب عند المؤرخين النصارى الذين دأبوا على اتهام خصومهم في الدين . وأما رواية بروكوب فتقول بأن الفرس حين دخلوا المدينة قاموا بمذبحة كبيرة فتقدم قسيس شيوخ من قباد وقال له إنه ليس جديراً بملك أن يقتل الأسرى . فأجاب قباد وكان لا يزال غاضباً : « لماذا أصررتم أنتم على قتالي ؟ » فأجاب القسيس : « قد أراد الله أن يضع آمد بين يديك ، لا بتدبير منا ، ولكن بفضل شجاعتك » . فأمر الملك بوقف المذبحة ولكن أباح نهب الأملاك واسترقاق جميع الأحياء من سكان المدينة وأن يختار له كل ذوى الكفايات . فلما عاد إلى إيران مع الجيش وأسرى الحرب أثبت رأفته مرة أخرى وذلك بالسماح لجميع الأسرى ، بعد زمن قليل ، بالعودة إلى أوطانهم^(٢) . وقد ترك الملك القائد گلون مع فرقة صغيرة لاحتلال آمد ، ولكن لا هذا القائد ولا قباد نفسه ، أباحا لنفسهما إتلافاً أو تخريباً لأية كنيسة في آمد أو خارجها^(٣) . ويظهر أن قباد قد عامل أخاه

(١) انظر عن كلمة زنديق شسيدو ، *Iranische Beiträge*, I, Schriften der Königsberger Gelehrten Gesellschaft ، ١٩٣٠ ، ص ٢٧٤ وما بعدها .

(٢) BP (٢) ، (١) ، ٧ ، ٣٠ — ٣٤ .

(٣) BP (٣) ، (١) ، ٩ ، ١٩ . ومثل آخر من كرم قباد في المرجع نفسه ، (٢) ،

جاماسب ، الذى عزل عن العرش ، معاملة إنسانية تتنافى مع عادات ملوك إيران^(١).
والخلاصة أنى أعتقد أن فى وسعنا أن نقول : حق أن الملك قباد لم يتبع بغاية الدقة
قواعد الأخلاق المزدكية ، كما لم يتبع قسطنطين الأكبر بغاية الدقة قواعد الأخلاق
المسيحية ، ولكننا نحس فى سلوكه ، إلى حد ما ، المثل الإنسانى الأعلى لمزدك .

وعدا هذا نظن أن القوانين الاجتماعية التى سنها قباد فى المدة الأولى من حكمه
لم يكن لها تأثير ظاهر على مركز النبلاء وصلاتهم . ولو ظهرت اضطرابات اجتماعية
فى ذلك العصر لواجهها ما سب ، الذى نصب ملكا بعد عزل قباد ، وكان رجلا رقيقا
ضعيفا فيما يظهر ، مصعب ولوجدنا آثار بعض هذه فى مصادرها . ولكن ، لا الكتاب
المعاصرون ، ولا المؤرخون العرب والفرس ، يذكرون كلمة واحدة عن معارك
اجتماعية أو مساع بذلتها الحكومة الجديدة لقمع الحركات الثورية . وقد استمرت
الثورات التى كان منشؤها نكبة فيروز وضعف بلاش أثناء المدة الأولى من حكم قباد .
وأما ما يقوله المتسمى ستيليت من أن قباد الملك الضال قد قسى على الأرمن لأنهم
رفضوا عبادة النار فقول بعيد عن الصواب . ولكن الصالح الذى عقده « گشنسپداذ »
مع الأرمن الثائرين لم يكن كافيا لإخماد المنازعات التى كانت دينية وسياسية فى وقت
واحد^(٢) ، فتجددت الحرب وغلب الأرمن جيش قباد ، وقد ثار القادشيون^(٣)
والتوريون ، وهم من العشائر الجبلية فى إيران ، وأغار العرب على الأراضى الإيرانية ،
وهؤلاء الأعراب هم من غير شك القبائل العربية التى عجز عن كبح جماحها ملك
الحيرة التابع لملك إيران . وقد أثبت قباد حقوقه قبل الإمبراطور أنستاس فى تقاضى
معمونة مالية للدفاع عن شعاب القوقاز ضد البرابرة ، وهى مشار خلاف قديم بين إيران
والإمبراطورية الرومانية فطالب الإمبراطور بمدينة نصيبين الحصينة ثمنا لهذه
المعمونة ، ولكن قباد لم يقبل هذا الشرط^(٤) .

(١) انظر ص ٣٣٦ .

(٢) انظر هنا ص ٢٨١ .

(٣) قادش فى إقليم سنجارا ونصيبين ، ويبدو أنهم كانوا قبيلة من الهياملة (انظر نولدك

ZDMG ، (٣٣) ، ص ١٥٧ وما بعدها ، وماركارت ، Eranšahr ، ص ٧٧ وما بعدها) .

(٤) المتسمى ستيليت .

وقد بلغت الأمور هذا الحد حينما عزل قباد بشورة في القصر أثارها بغض كبار رجال الدين الزردشتيين لكل ما يشتم منه الضلالة المانوية ، وحقده جماعة من النبلاء الذين كانوا يناصرون زرمهر . وكان أشد الأعداء بغضاً لقباد « النخوير گشنسپداز » الذي كان يشغل المنصب الكبير « كسنارنگ »^(١) ، وكان فيما مضى محل ثقة زرمهر في المفاوضات مع الأرمن^(٢) . وليس صحيحاً ما يقوله المتسمى ستيليت من أن قباد قد علم بمؤامرة العظماء وأنه هرب إلى بلاد الهون (أى الهياطلة) . وتتفق كل المصادر الأخرى على أن الملك المعزول قد سجن^(٣) . وأما أقوال المؤرخين البيزنطيين التي تعزو عزل الملك إلى استياء عام بين السوقه أثارته القوانين الثورية (بروكوپ) ، وأن الجميع ماروا (أجائياس) فينبغي أن تفهم على الطريقة الإيرانية في الثورات : فقد أشعل النار الأشراف وكبار رجال الدين ، ولم يهتم السوقه بالأمر إلا بسبب خضوعهم للمادى لأصحاب الإقطاعات العظام وتأثرهم الروحي بالموازنة . ثم إن المؤامرة لم تشمل الأشراف جميعاً ، فقد كان لقباد واحد منهم على الأقل ، كان مخلصاً ونشيطاً هو سياوش ويبدو أنه كان شاباً حينذاك . وقد نصب الثوار جاماسب أخا قباد^(٤) على العرش . واجتمع الأشراف ، الذين كونوا مجلس شورى الملك تحت رئاسة جاماسب ليتداولوا في مصير قباد . فأشار « النخوير گشنسپداز » ، السكنارنگ ، والحاكم العسكري على حدود الهياطلة ، بأن الأفضل قتل الملك المعزول ، ولكن الأكثر رفضوا اقتراحه وأشاروا برأى أقل غلوا^(٥) ، وحبس قباد . وليس من سبب للشك في رواية بروكوپ الذي يقول إن الملك المعزول سجن في قلعة

(١) نخور ، انظر ص ١٠ ملحوظة ٣ .

(٢) ص ٢٨١ .

(٣) ليس كما يريد أجائياس في السنة الحادية عشرة من حكمه ؛ وقد نفذت المؤامرة سنة ٤٩٦ . لأنماهي عودة قباد التي كانت في السنة الحادية عشرة من الفترة التي بدأ فيها ولايته . انظر فولدكه Tabarai ، ص ٤٢٧ وما بعدها .

(٤) يسميه بروكوپ ، (بلاش) خاطا بينه وبين سلفه قباد . وقد أدى إلى هذا الخلط تشابه إلى حد ما في أخلاق هذين المسكين ومصيرهما .

(٥) بروكوپ .

انوش برد (قلعة النسيان) ، لأننا نعلم أن هذه القلعة قد اتخذت محبساً لمن هم خطر على الدولة من حيث مولدهم أو مرتبتهم^(١) .

ولم يلبث قباد في سجنه طويلاً . فقد خلصه سياوش بطريقة ما ولم يلبث هربه أن صار موضوعاً للقصاص الخيالي^(٢) . وقد سحب سياوش قباد في هربه^(٣) . وقد أمكنه الفرار وبلغ قباد بلاط ملك الهياطلة أو الخاقان فاستقبله استقبال صديق قديم وزوجه ابنته من ابنة الملك فيروز ، وكانت ابنة اخت قباد^(٤) . وأخيراً أمده صهره

(١) انظر ص ٢٩٣ .

(٢) يذكر بروكوب إن الذي خلص قباد من سجنه صديق له حيم اسمه سياوش ، وكذلك فإن معظم المصادر العربية والفارسية التي ترجع إلى الخدينامة تجعل هذا الصديق زمر . ولكن يروى أيضاً أن الذي خلص قباد امرأة أطعت الحارس بجهاها . وفي بروكوب Procope تذكر المرأة على أنها زوج قباد وأن الهرب تم بواسطة التخفي : فقد خرج قباد من السجن مرتدياً ثياب زوجه . وفي إحدى الروايات التي يذكرها الطبري وجاءت في فارسنامه (ص ٨٥) أن هذه السيدة أخت قباد ، وأنها أخرجت أخاها من القلعة ملفوفاً في بساط وقالت عن البساط إنه فراش كانت افترشته في عراكها (حيضها) ولأنها إنما خرجت لتطهر . ومن المحتمل أن تكون السيدة ، بصيغة القصة الأولى ، أخت قباد وزوجه في الوقت نفسه . وقد مزج الدينوري وصاحب النهاية ، كما فعل بروكوب ، الروايتين وذلك بأن جعلوا للصديق دوراً أفلحت من بعده السيدة في إخراج قباد من السجن . ويقول أجاثياس Agathias في بساطة إن قباد هرب من السجن ، سواء كان هذا بحيلة من زوجه كما قال بروكوب ، أو بطريقة أخرى . ونستطيع أن نعرف من هذا أن قصة تحايل السيدة لم يكن موجوداً في الروايات الإيرانية التي رجع إليها أجاثياس .

(٣) بروكوب ؛ خدينامة .

(٤) المدعى ستيليت ؛ بروكوب ؛ أجاثياس . وهما قصة ذكرتها كل الفروع التي تستقي من الخدينامة : ذلك أن الملك قباد قد تزوج أثناء هربه من امرأة مجهولة في إحدى قرى إيران ، وقد اختلفت الروايات في موقع هذه القرية ، وقد تركها وواصل هربه . وحينما عاد إلى إيران وجدها قد وضعت طفلاً ، هو الملك المستقبل كسرى أنوشروان . وقد علم أن هذه السيدة تنتمي إلى أسرة مالكة قديمة فأحضرها مع ابنها في قصره . وقد ذكر بعض الكتاب العرب والفرس (الفرعين الثاني والرابع) أن هرب قباد إلى بلاد الهياطلة (أو الترك) كان أيام بلاش . وقد رأينا أن اشتباه سلطنة بلاش ، كان جاماسب قد سبب الخلط في رواية بروكوب ، وقد جر هذا الالبس تغيير الحقيقة التاريخية عند الكتاب الشرقيين . وهكذا فإن كتاب الفرع الثاني يرجعون تاريخ هذه المخاطرة الغرامية التي قام بها قباد إلى زمن بلاش ، أما كتاب الفرع الرابع فقد قصوا هرب قباد مرتين (مرة إلى بلاد الترك أيام بلاش ومرة أيام جاماسب إلى الهياطلة) وبذا جعلوا القصة الغرامية في مكانها الأصلي . أما عن الناعث على هذه القصة فانظر H.v. Mzlk ، Das Motivenschema ... ، فينا ١٩٣٠ ، ص ٢٤ وما بعدها .

يحيى وتعهد قباد بأداء الجزية إذا نجح في استعادة عرشه . وفي سنة ٤٩٨ أو ٤٩٩ دخل قباد مملكته بغير حرب تقريباً^(١) .

ولم تتحدث المصادر جميعاً عما جرى من حوادث أيام جاماسب ، فتورة الأرمن ، والاضطرابات الأخرى التي بدأت من قبل ، قد استمرت ولم يتم كبحها إلا بعد سقوط جاماسب . وهذا الملك الذي اكتسب شهرة الملك الرحيم العادل لم يثبت أنه نشيط عامل ، ولما لم يجد مدافعين عنه متحمسين آثر أن ينزل باختياره عن العرش لأخيه . وقد اختلفت روايات المصادر بشكل واضح في ، صير جاماسب . ويقول مؤرخ واحد^(٢) إن قباد قتل أخاه . ويقول بروكوب إن الملك المؤقت قد سملت عيناه ، وهو يسميه الملك ولاش (بلاش) . ولكن الذي سملت عيناه هو حقيقة بلاش سلف قباد . وروى ابن البطريق والطبري أن جاماسب قد نفى . ويقول الدينوري والثعالبي والفردوسي ، وهم في هذا يتفقون مع أجاثياس وهو مصدر من الدرجة الأولى ، إن قباد عفا عن جاماسب ولم يقتله . ويبدو لي أن اختلاف المصادر في هذه النقطة يبين أن قباد لم يتبع الطريقة الشائعة في البلاط الساساني والى تقضى بقتل من يدعى الملك أو بسمل عينيه على الأقل . فكل هذا يحملنا إذاً على الاعتقاد بأن رواية أجاثياس صحيحة من الناحية التاريخية ، وأن قباد قد دل في معاملة أخيه على رحمة نادرة . أما أن قباد قد تعهد رسمياً بالألأحبابى للزركيين كما يقول بعض المؤرخين العرب^(٣) فهذا لا يقبل على أى وجه ؛ ولكن يحتمل أن يكون قد تعهد صراحة بأن يكون من بعد أكثر حيطة مع المزدكية .

وأما الأشراف الذين عزلوه فإن المتسمى ستيليت يقول في روايته التى يبلغ فيها إنه قتلهم . وبما لا يحتاج إلى بيان أنه ليس فى طاقة الملك أن يتخلص بهذه الطريقة السهلة من طبقة الأشراف القوية . ولا شك أن رواية الدينوري والثعالبي والفردوسي

(١) المتسمى ستيليت ، بروكوب ؛ أجاثياس ؛ خدائناك . أما عن التاريخ فانظر تولدك ، Tabari ، ص ٤٢٨ .

(٢) الياس النصيبى ، انظر تولدك ، Tabari ، ص ١٤٥ — ١٤٦ ، ماحوظة .

(٣) الدينوري ؛ النهاية .

أنه قبل اعتذارهم وعفا عنهم ، أقرب إلى الحقيقة التاريخية . وهو لم يعاقب غير من كانت عداوتهم بالغة الخطر . وقد اضطر الكمارنگ « كشنسپداد » أن يدفع حياته ثمناً للنصيحة التي أسداها من قبل بقتل الملك المعزول قباد ، وأخذ مرتبة الكمارنگ هذه آذر گنداد أحد أفراد أسره كشنسپداد^(١) . وكوفي سياوش طي ما أدى من خدمات فمين في المنصب العسكري العالي « ارتشتار انسلار » ، كبير جيش إيران ووزير الحرية^(٢) .

وقد عرف قباد كيف يشب سلطان الملك . فقد خضع له القادشيون والتوريون ، وقضى على غارات القبائل العربية ، واشترك عرب الحيرة برياسة ملكهم النعمان الثاني^(٣) فعلا في الحرب التي بدأت مع بيزنطة . وأما الأرمن فقد أخضعوا ، وأقر قباد على حقهم في حرية العقيدة على شرط أن يعاونوه مخلصين في الحرب ضد الروم ، فقبلوا كارهين^(٤) .

ويبدو أن قباد قد عمل على إضعاف سلطة الأشراف . يقول شتين^(٥) إنه عين بجانب « البرزك فرمادار » موظماً لقبه « استبد »^(٦) ، أي رئيس التشريفات ،

(١) لا يجوز وصف التفاصيل التي ذكرها پروكوب بأنها تاريخية : فإن قباد حين أعلن أن أول من يجيئه بعد اجتياز حدود إيران يرفعه إلى درجة كنارنگ قدنسى (١) أن كل وظيفة كبيرة كانت مرتبطة بأسرة معينة ، ولا يجوز أن يولاه رجل لا ينتمي إلى هذه الأسرة ؛ ولكن الصدفة السعيدة جعلت آذر گنداد أحد أفراد أسرة كشنسپداد أول من يجيئه . والحقيقة أن وظيفة كنارنگ كانت إحدى الوظائف الكبرى التي تناط بأفراد الأسرات السبع الممتازة (انظر ص ٩٤ ملحوظة ٣) . وقد حدث أخيراً أن نقل كسرى أنونروان ، بعد أن قتل آذر گنداد ، وظيفة كنارنگ إلى ولده بهرام بن آذر گنداد (پروكوب ، BP ، (١) ، ٢٣ ، ٢٢) .

(٢) ليست صحيحة رواية پروكوب التي تقول بأن سياوش كان أول وآخر من شغل هذه الوظيفة ، انظر ص ١٢٠ .

(٣) رودشتين ، ص ٧٤ .

(٤) المسمى ستيليت ، الفصل ٢٤ .

(٥) انظر الملحق الثاني .

(٦) انظر ص ١٢٥ .

كما أدخل نظام الهاذكو سبان^(١) الأربعة الذين حلوا محل المرازبة الأربعة السكار (مرزبان شهر دار)^(٢) .

ولكى يؤدي قباد الجزية التي وعد بها ملك الهياطلة ، استقرض الإمبراطور انستاس ، ولكن الإمبراطور أجاب بالرفض ، مؤملاً في فتور الصداقة بين الإيرانيين والهياطلة إذا لم تدفع الجزية . وحينئذ بدأ قباد الحرب سنة ٥٠٣ . وعلى عكس ما انتظر ساسة بيزنطة قاتلت فرق الهياطلة في صفوف الجيش الإيراني . والحادث المهم في هذه الحرب هو استيلاء قباد على آمد . ولكن غزوات الهون الذين تسربوا من أبواب قزوين (نجوة داربال) جعلت الملك يعزم على عقد هدنة لسبع سنوات (٥٠٥ أو ٥٠٦) . وقد نجح في أن يرجع هذا العدو ، ولكن الهون السابرية عادوا إلى غزو أرمينية وآسيا الصغرى بعد عشر سنوات^(٣) . وأخيراً جعل قباد من المدينة القوقازية پرتو ، وقد سميت فيروز — قباد ، حاجزاً منيعاً ضد غزوات البرابرة^(٤) وقد كانت هذه المدة هادئة بعض الهدوء .

ويمكن أن نفترض أن الإصلاح الذي تحدث عنه كتاب خدا ينأمة قد تم أثناء هذه السنوات ، وهو حفر الترع وإنشاء الجسور ونحوه ، وتشبيد المدن التي منها رام — قباد على الحدود بين فارس وخوزستان^(٥) وقباد خرّه في فارس^(٦) . وحوالي سنة ٥١٩ أثرت مسألة وراثة العرش . وكان قباد قد وطد سلطانه

(١) . قارن ص ١٢٨ .

(٢) هنا ص ٨٨ . والأربعة هاذاكوس أو ياهاكوس (هذه الصيغة في نصوص تورفان) هم : أبهاحستر (الشمال) ، خوراسان (خراسان ، الشرق) ، نيمروز (الجنوب) ، خوروران (الغرب) . انظر الطبري ، ص ٨٩٢ — ٨٩٣ ؛ نولدكه ، ص ١٥١ — ١٥٢ ملحوظة ٢ .

(٣) ماركارث ، Erānšhr ، ص ٦٣ — ٦٤ و ١٠٧ .

(٤) ماركارث ، (١) ، ص ١١٨ . في حرب قباد الثانية ضد بيزنطة كان في الجيش الإيراني جماعة من السابرية (بروكوب ، BP ، (١) ، ص ١٥) .

(٥) الطبري ، ص ٨٨٧ — ٨٨٨ ؛ نولدكه ، ص ١٤٦ .

(٦) الثعالبي ، ص ٥٩٤ ؛ فارسنامه ، ص ٨٤ .

حينذاك إلى حد أن حاول إعادة النظام القديم الذى يخول للملك أن يختار خليفته^(١)، ونجح فى ذلك . وكان له ثلاثة أبناء يصلحون لولاية العرش من بعده . وكان كاووس أكبرهم^(٢) . وكان قباد قد عهد إليه بولاية « پدشخوار »^(٣) — طبرستان — (الأقاليم الجبلية فى پدشخوار) بعد أن زال جاء أسرة گشنسپ شاه وكانت تلى هذه الولاية منذ نهاية الدولة الأشكانية^(٤) . وهكذا يتضح ، كما لاحظ ماركارت أن أمير پدشخوار (پدشخوار — شاه) الذى تحدث عنه تيوفان هو كاووس^(٥) . ويقول تيوفان إن كاووس هذا هو ابن قباد من بنته هو اللسجة سمبيكة . وقد بين ماركارت بعد هذه الرواية عن الحق : فقد ولد كسرى ثالث أبناء قباد ، حسب الروايات العربية — الفارسية ، أثناء فرار قباد وقبل أن يصل إلى ملك الهياطلة^(٦) ، ولا يمكن أن يكون كاووس ابناً من بنت أخت قباد بنت ملك الهياطلة ، وإذا يجب أن يكون مولد كاووس قبل هرب قباد ، ويحتمل أن يكون ابن هذه السيدة التى هى أخت قباد وزوجه ، والتى ساعدت زوجها على الهرب من السجن^(٧) . ومن الممكن سوق دليل آخر لتقوية رأى ماركارت . فإن كاووس ، فيما يقول تيوفان ربى على دين المانوية أى الزردكية . فمن المستبعد أن يكون قباد قد اجترأ بعد عودته إلى العرش على أن يعود إلى تحدى رجال الدين الأقوياء بأن يعهد بتربية ابنه إلى المزدكيين . وإذا نفترض أن إشراف المزدكيين على تهذيب كاووس بدأ قبل أن يعزل والده عن العرش

(١) هنا ص ٢٥٠ .

(٢) بروكوب ، BP ، (١) ، ١١ — ٣ ؛ ابن اسفنديار ؛ ظهور الدين ، انظر "Le règne du roi Kawadh" ص ٧٥ وما بعدها .

(٣) انظر تولدك ، كارنامك ، ص ٤٧ ، ملحوظة ٢ وماركارت ، Êrānšahr ، ص ١٣٠ .

(٤) اخطأ تيوفان فجعله ثالث أبناء قباد سناً .

(٥) لا نستطيع الاعتماد كثيراً على هذه الروايات القصصية .

(٦) ماركارت ، (١) ، ص ١٣٠ — ١٣١ ، ملحوظة ٦ . ليس هناك من سبب للشك فى وجود هذه الأخت والزوجة لقباد ، مع التسليم بأن رواية حيلة السيدة قد تكون روائية .

وكان زام ، الأخ الثانى ، قد فقد عيناً من عينيه . ويؤدى مثل هذا العيب ، عادة ، إلى الحرمان من الملك . ولكن هذا الحرمان لم يكن حتماً ؛ وكان قباد الذى أراد أن يدع العرش إلى كسرى خائفاً أن يدعى زام أنه أحق بالعرش بعد أبيه وكان قد جمع لنفسه جماعة من الأصدقاء بخلقه اللتين^(١) . وهنا أثر من آثار رحمة قباد فإنه لم يخلص من ابنه الذى يخشى أن يدعى العرش بالطريقة المألوفة وهى القتل وأما الولد الثالث ، كسرى ، الذى وجد فيه قباد كل صفات الملك الصالح ، فقد كان عيبه الوحيد ما فيه من استعداد لسوء الظن^(٢) . ورواية خدائنامه تجعل أمه بنتاً لأحد الدهاقين من أسرة مالكة قديمة ، كان قباد قد تزوجها أثناء فراره ، وهى رواية خرافية . ويقول بروكوب Procope إن أمه كانت ابنة أحد الأصهبذين أو « إيران — سياهبد » بويه الذى عقد مع سار الرومانى هدنة سنة ٥٠٥ أو ٥٠٦^(٣) .

وأما أوت قباد قد أثر لخلافته كسرى الصغير على ابنه الأكبر كاووس بدشخوارشاه ، الذى كان مزدكياً معروفاً ، فبين بشكل واضح تغير سياسة الملك تجاه الفرقة التى كان متعلقاً بها حيناً .

ولكى يضمن قباد العرش لكسرى عقد مع الإمبراطور جستين صلحاً نهائياً ثم طلب إليه أن يتبنى ابنه كسرى ، وهو عمل يؤدى إلى التزام الإمبراطور التزاماً أدبياً بالدفاع عن قضية كسرى ضد من يدعون العرش . وربما ظهر هذا الطلب لنا غير عادى ، ولكن حوالى آخر القرن الرابع نصب الإمبراطور أركاديوس ملك إيران يزدگرد الأول كفيلاً للأمير الصغير تيودوس لى يضمن ارتقاء العرش من بعده ، ولو أنه فى الحقيقة لم يفعل هذا فى صورة تبني^(٤) . وقد عمل الإمبراطور

(١) بروكوب .

(٢) الدينورى ؛ النهاية .

(٣) انظر ص ٣٢٣ ، ملحوظة ١ .

(٤) هنا ٢٥٦ .

جستين برأى المستشار بروكس ، فقبل طلب قباد ، ولكنه اشترط أن يتم التبنى بالسلاح « على الطريقة البربرية » لا بوثيقة مسطورة . ولعل المقصود هنا نوع من التبنى كان شائعاً بين البرابرة الجرمان في أوروبا ويظهر أنه لم يكن يستتبع مثل هذه الالتزامات الفادحة . ولما لم يقبل قباد هذا الشرط انقطعت المفاوضات التي أثار الفرس فيها طلبات لهم في إقليم لازيك وظلت التسوية معلقة بين الدولتين (١) .

وقد كانت هذه الحيلة في المفاوضات نذيراً بسقوط ال — أرتيشنارا نسالار مياوش الذي كان حتى ذلك الوقت أقوى رجل بين عظماء إيران ، فهو الذي كان يتولى المفاوضات مع الرومان ، وكان معه عظيم آخر اسمه ماهبود من عائلة سورين فاتهمه بأنه السبب في خيبة المفاوضات ، وكان ينقم عليه سلطانه ؛ وكان ماهبود متكبراً كل التكبر ولو أن بروكوب يتمدح إخلاصه ، وقد رفعت القضية إلى المجلس الأعلى ، أي جمعية العظماء ، ولعل رئيسها المويدان موبد ، وهي المحكمة التي يظهر أن لها ولاية القضاء في جرائم الحياة العظمى .

وكانت هذه المحكمة مدفوعة بالحقد على مياوش وعازمة ، فيما يظهر ، على شئنه فوجهت اتهامات أخرى إليه : فإنه لم يكن يريد أن يعيش على السنن المتبع ولا أن يحافظ على المراسيم الإيرانية ، بل إنه يقصد آلهة جديدة ، وقد ماتت زوجته ، قبيل المحاكمة ، فدفعها على غير عادة الزردشتيين الذين يحتمون أن تعرض الجثث على الدخات (جمع دخمة) حتى تلتهمها جوارح الطير . وحكم على مياوش بالقتل ، وأقر قباد الحكم ، ولو أنه كان آسفاً ، وذلك لكيلا يخرق القوانين . ورواية بروكوب هذه تلفت النظر لأنها تجعلنا نشك أن كانت تتناول حكماً ضد المزدكية وكانت قد بلغت أقصى قوتها حينذاك ، و بروكوب الورخ الوحيد الذي يحدثننا تفصيلاً عن سقوط مياوش لا يذكر أن هذا العظيم كان « مانويا » : فإنه لا يهتم مطلقاً بالفرق الدينية في إيران ، ولسنا نعرف أن كان المزدكيون يدفنون

(١) بروكوب .

موتاهم^(١) ، والذي نعرفه هو أن سياوش قد أنجى من السجن قباد الذي عزل ثم حبس لصلته بالمزدكيين ، وأنه (سياوش) يدين بمذاهب معادية للدين والمراسيم الزردشتية ، وأنه يعبد آلهة جديدة . فالقول بأن سياوش كان هو نفسه مزدكياً يبدو طبيعياً . ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فإن مسلك قباد مع سياوش ، وإن بدا لنا غير وفي^٢ ، يصير مفهوماً على الأقل : فإن النتائج الوخيمة للدعاية المزدكية قد أخذت تلقى الرعب في نفس الملك فلطالما تسامح سنين طويلة مع إخوانه في العقيدة ، ولكن اتجاهاتهم أخذت تزداد مضايقة له ، وفي هذه اللحظة رأى أن ينحاز نهائياً إلى ناحية الدين الزردشتي . وقد أصبح ماهيود المستشار الأمين للملك ولقب بـ سر — نخويرگان^(٢) .

ويظهر أن قباد قد انتهر فرصة ليظهر تمسكه بالدين الرسمي ، فأراد أن يحمل أهل جورجيا النصراني على قبول الدين والمراسيم الزردشتية ، وحرّم عليهم خاصة أن يدفنوا جثث الموتى وأوجب عليهم أن يعرضوها وفقاً للمراسيم الإيرانية . ولعل الخطر الذي جعل لهذا الموضوع الأخير الذي كان ذا أثر كبير في قضية سياوش لم يكن مصادفة . وقد استجار جورجين ، ملك جورجيا التابع لملك إيران ، بالإمبراطور فأجاره ، وبدأت المنازعات بين إيران وبيزنطة . وقد وقعت الحرب العلنية منذ سنة ٥٢٧م^(٣) . ونستطيع بدراسة عميقة لما في أيدينا من تاريخ الزدكية ، أن نكون لأنفسنا فكرة تقريبية عن تطور هذه الحركة أثناء حكم قباد المديد . كانت الزدكية في الأصل مذهباً دينياً ، دعى إليه رجل مثالي مشبع بأخلاق الإنسانية ، وكانت نيّاته خالصة وخالية من الغرض بغير شك . ولم يكن لمظهر المذهب الاجتماعي إلا شأناً قليلاً ، والقوانين التي أصدرها قباد في المدة الأولى من حكمه ليحقق ، إلى حد ما ، المثل الأعلى

(١) أما عن المأوية فيبدو أن عرض الجثث كان شائعاً في بعض الأنظار أو عند بعض المذاهب ، ولكن كتاب « الأصول » المأوي ينص على وجوب دفن الموتى عراً . انظر شوان وهليو ، JA ، ١٩١٣ ، (١) ، ص ٣٥٤ — ٣٥٦ و ٣٣٨ .

(٢) أي رئيس النخويرگان .

(٣) پروكوب .

الدينوي عند المزدكية ، كانت في الحقيقة قوانين ثورية ، ولكن لا إلى الحد الذي ظهرت به للشاهدين الأجانب . ولعله لم يكن للمزدكية ، في اللحظة التي عزل فيها قباد وفي أثناء حكم جاماسب ، غير دعوة محدودة . ولكن المبادئ الشيوعية كانت قد بدأت تتأصل في السوق ، وكانوا منذ أجيال في ضيق من ظلم الطبقات الممتازة ؛ وقد انتشرت هذه المبادئ ، بطيئة أول الأمر ثم لم تلبث أن أسرع . وظهرت أعمال لا تنطوي على الرحمة الدينية ولا تتمثل فيها النزاهة عن الهوى التي كانت طابع مزدك ، واستفحل الاستياء ، وجرأ السوق التكاثر . فبدأوا العدوان . ولا نبعد عن الصواب كثيراً إذا قلنا إن العبارة الآتية من كتاب تنسر تعبر عن هذه الحال^(١) : « فإذا حجاب الحفاظ والأدب قد ارتفع ، وظهر قوم لا يتحلون بشرف الفن أو العمل ، لا ضياع لهم موروثه ، ولا حسب ولا نسب ، ولا حرفة ولا صناعة . عاطلون ، مستعدون للغمز والشر وبث الكذب والافتراء ، بل هم من ذلك يحيون في رغد من العيش وسعة المال » .

وهكذا عم التطاول كل مكان ، واقتحم الثوار قصور الأشراف ، ناهبين الأموال ، مقتصبين الخرائ ، وكانوا يملكون ، هنا وهناك ، أراضى تلفت لأن السادة الجدد لا يعرفون الزراعة .

ونرى إلى أي حد بلغت الفوضى ؛ من روايات المؤرخين العرب عن الوسائل التي اتخذها كسرى الأول من بعد ، لإصلاح ما نتج من المفاسد وسنتناولها في الفصل القادم . وإن كانت المزدكية قد أخذت تتخذ رويداً رويداً طابع نظرية اجتماعية ثورية وهي تنتشر في الطبقات الدنيا من المجتمع فإن أساسها الديني قد بقي . وقد كان لها دائماً أنصار بين الطبقات العالية^(٢) . وأخيراً أحست الجماعة المزدكية بالقوة السكانية لإنشاء المراتب الدينية . وكانوا ينتخبون رئيساً . ويقول مالالاس إن اسم هذا

(١) دار مستتر ، ص ٢١٥ و ٥١٩ ؛ مينوى ، ص ١٣ ؛ الترجمة العربية للأخشاب

ص ٣٥ .

(٢) « المستشارون الفرس الذين حافظوا على إيمانهم » (تيوفان) .

الرئيس كان « اندرزار »^(١) ، وقد رأى فيه نولده^(٢) الكلمة البهلوية « اندرزگر » بمعنى « المستشار » أو « المعلم » ، ووضح أن هذه الكلمة لقب وليست اسماً علماً : إنها لقب الرئيس الأعلى لفرقة المزدكية^(٣) . ولكن مالالاس وتيوفان يقولان إن هذا الـ « اندرزگر » قد قتل في مذبحة المزدكية . بينما تجمع المصادر العربية والفارسية التي تنقل من الـ « خداينامك » على أن مزدك قد قتل مع جماعة من أنصاره يوم المذبحة . فمن الجائز جداً أن يكون الـ « اندرزگر » ، الرئيس المنتخب للمزدكيين ، هو مزدك نفسه .

وقد أتاح ضعف الدولة الإيرانية بهذه الاضطرابات الشيوعية ، وإن لم تتمتع قباد من الثائرة على حرب الرومان ، للحارث بن عمرو ، من قبيلة كندة ، أن يطرد الملك المنذر الثالث عن عرش الحيرة وأن يغتصب الملك^(٤) .

وقد وقعت الكارثة حوالي نهاية سنة ٥٢٨ وابتداء سنة ٥٢٩^(٥) . وأدى إليها خطة المزدكية الجريئة في معارضة قباد في وراثة العرش ، ولتهديد الطريق ، بالحيل ، إلى تولى كاووس « بندشخوار شاه » وإقصاء كسرى . هذه هي القطرة الأخيرة التي فاض بها الكأس . ولا ينبغي أن نأخذ التفاصيل التي ذكرها تيوفان عن هذا الموضوع كما هي ، ولكن زبدة المعلومات التي ذكرها مالالاس وتيوفان نقلاً عن رواية بَستَنگَر^(٦) الفارسي الذي آمن بالنصرانية أخيراً وعمد باسم تيموثة ، صحيحة ولا ريب وقد لجأوا إلى الطريقة المحرّبة : وأعدوا مؤتمراً دينياً^(٧) . وحضر كبير المزدكية مع

(١) ذكر أكثر تحريفاً في تيوفان : Indazaros .

(٢) نولده ، Tabarī ، ص ٤٦٢ ، ملحوظة ٣ .

(٣) عن لقب « اسقف » عند المانوية انظر هنا ص ١٨٢ .

(٤) رودشتين ، ص ٨٧ وما بعدها . فارن أولندر ، The Kings of Kinda ، ١٩٢٧ .

(٥) نولده ، Tabarī ، ٤٦٥ .

(٦) وظيفة لا تعرفها في جهة أخرى .

(٧) يقول تيوفان إن قباد قد جمع جمعية عمومية متظاهراً بالاستعداد لتنصيب كاووس

بندشخوار — شاه وليا للعهد عملاً برغبات المزدكية . وليست صحيحة هذه الرواية التي تتضمن =

رؤساء الفرقة ، واجتهدوا في دعوة جماعة كبيرة من المزدكية أو جذبهم إلى حضور المناظرة الرسمية . وقد ترأس قباد نفسه المجلس^(١) ، ولكن كسرى ، ولى العهد المعين ، الذى رأى حقوقه مهددة باجتماع الأمير كاووس وجماعة المزدكية ، عمل وسعه لإنهاء هذا الأمر بضربة قاضية يصوبها نحو هذه الفرقة^(٢) . وجرى بأقوى المناظرين حجة من الموازنة ، ابن ما هداذ ، نيو سابور ، داذ — هرمزد ، آذر — فروغ — بى ، آذر بى ، آذر — مهر ، بخت آفريند^(٣) . وقد حضر الموبدان موبد وگلو ناز ، وبازان^(٤) أسقف نصارى إيران وكانوا يعاونون الزردشتيين على المزدكية . وكان بازان ذا مكانة خاصة عند قباد لمعرفته بالطب . وبالطبيعة ارتجى على أنصار المزدكية وغلبوا ، وفي هذه اللحظة انقض الجند الذين كانوا يحاصرونهم وانهاروا عليهم بأسلحتهم .

== أن قباد كان في ذلك الوقت يعمل نحو المزدكية . أما المصادر التى ترجع إلى الخديانامه — والمصادر التى أخذت عن رواية مزدك — فقول إن ما حدث كان جدلاً دينياً . وهى رواية تؤيدها ملاحظات يشت بهمن الپهلوى (١) ، ٦ — ٨ ، وست West ، PT ، (١) ، ص ١٩٣ وما بعدها ؟ وقد جاء النص الپهلوى في ملاحظة من طبعة دينشكرد التى قام بها پيشوتن ، (١٢) ، ص ٣٤ ملاحظة ١) ، والتى قد تمثل تعليقات على الأوستا عملت أيام الساسانيين . وكان هذا النوع من الجدل يذيع فيما يظهر حين يراد القضاء على فرقة ضالة . ومما لا يحتاج إلى بيان أن نتيجة الجدل كانت تعرف من قبل . وإذا كانت مجادلة مانى للموبدان موبد في جلسة علنية مشكوكاً فيها في الحقيقة ، فإن في أعمال الشهداء السريان كثيراً من الجدالات بين النصارى والزردشتيين . وقد تجددت طريقة الفرس في الجدالات الدينية بعد ذلك أيام الخليفة المأمون . (انظر « أبو المعالى » ، شيفر ، Chrestomathie persane ، (١) ، ص ١٤٥ وما بعدها ، ترجمة ماسيه ، RHR ، ١٩٢٦ ، ص ٢١ ؛ والسكاب الپهلوى گجستك أبالش ، نشر بارتلى) .

(١) مالاكس وتيوفان ؛ وهنا تعتبر شهادة تيموثه الفارسى قاطعة ضد ما ذكره الخديانامه من أن مذهب المزدكية كانت أيام كسرى أنوشروان . وقد كانت قصة مزدك أقرب إلى الحقيقة في هذه النقطة من الرواية التاريخية شبه الرسمية .

(٢) لم ينس مالاكس وتيوفان إلى نشاط كسرى في هذا السبيل ، ولكنه ذكر في ملحوظة يشت بهمن (١) ، ٦ — ٨ .

(٣) يشت بهمن ، وقارن الفردوسى ، انظر "Le règne du roi Kawadh" ،

ص ٥٢ .

(٤) الصيغة الإيرانية لاسمى Bazanes و Glonazes لا تتميز بالتحقيق .

وقتل «الاندرزگر» (ولعله مزدك) ^(١) ولا نعلم كم قتل من المزدكيين في هذا السنين ، والأرقام التي يذكرها المؤرخون العرب والفرس غير دقيقة . ولكن يظهر أن رؤساء الفرقة قتلوا جميعاً في هذه الواقعة ، ولما استبيح دم المزدكية بعد ذلك ^(٢) وبدأت المذابح لم يستطع أهل المذهب ، وهم مشنتون ولا رئيس لهم ، مقاومة أعدائهم الألداء ، فقتلوا وصودرت أملاكهم ، وأحرقت كتبهم الدينية ^(٣) .

ويبدو أن هناك صلة لا نستطيع تحديدها بين القضاء على المزدكية وعودة المنذر الثالث إلى عرش الحيرة في سنة ٥٢٩ استطاع المنذر اللخمي أن يقضى على الحارث المغتصب وأن يسترجع مملكته ^(٤) وقد أدى هذا الأمير المحارب الحبير بفنون الحرب خدمات كبيرة للإيرانيين في محاربة بيزنطة ، وهو الذي يشير إليه بروكوب باسم المنذر ابن الشقيقة ^(٥) .

والمظنون أن قباد ، بعد هلاك المزدكية خطأ أولى الخطوات إلى تحقيق برنامج في الإصلاح وقد انتهى نهاية طيبة في عهد خليفته ، ولعله اقترح وأعد في هذا البرنامج نظام إصلاح الضرائب ، الذي أكسب كسرى المجد ^(٦) .

وفي سنة ٥٣١ أصيب قباد بالمرض فأملى ، بمشورة ماهبود ، وصيته الأخيرة بولاية كسرى من بعده . وقد كتب ماهبود الوصية نفتحها الملك ثم سلمها إليه ^(٧) .

(١) مالالاس ؛ تيوفان ؛ خديانامه ؛ وقصة مزدك ، التي ذكرت في سياست نامه لنظام الملك (فصل ٤٤ من طبعة شيفر ، ٤٥ من الترجمة) .

(٢) مالالاس ؛ تيوفان ؛ أبو الفدا .

(٣) مالالاس ؛ تيوفان . وشهادة تيموثه ، الفارسي المنصر ، التي ذكرها هذان الكتابان ، بأن الملك أعطى معايد المزدكية للنصارى ، فاتخذوها كنائس لهم ، ينبغي أن تقبل بتحفظ .

(٤) روذشتين ، ص ٨٩ .

(٥) روذشتين ، ص ٧٦ .

(٦) اليعاقوني ؛ الصبرى ؛ المسعودي ؛ الدينوري ؛ النهاية ؛ الثعالبي ؛ الفردوسي ؛ الباهمي

(٧) بروكوب ؛ الطبرى .

ونوفى قباده بعد ذلك بقليل . وكان لا ريب من أعظم ملوك الساسانيين . وقد اجترأ كاووس ، الأمير المزدكى ، ويبدو أنه كان لا يزال قوياً في « بندشخورگر » على أن يطالب بحقه في العرش . ولكن ماهبود رفض دعواه ، وقدم الوصية إلى مجلس العظماء وكان عليه أن يقرر ، حسب العادة ، من يرث العرش . وقد وافق الأعضاء بالإجماع على رأى ماهبود وهو أن إرادة الملك هي القانون^(١) ، وكانوا يعرفون أن كسرى سيتخذ سياسة حازمة قوية ضد النزعات الثورية . واقتصر عمل الموبدان موبد هذه المرة على فض وصية الملك المتوفى وقراءتها أمام كسرى^(٢) . والظاهر أن كاووس قد توسل بالسيف وثار ضد أخيه ولكن بغير جدوى . ومهما يكن فقد قُتل بعد قليل^(٣) . وهكذا أبعده آخر خطر كان يستطيع أن يهدد الدولة من جانب المزدكية . وبقيت هذه الفرقة منذ ذلك الوقت فرقة سرية فقط ، وعاشت على هذا النحو أيام الدولة الساسانية ؛ ثم عادت إلى الظهور من جديد في العصور الإسلامية .

(١) پروكوب ؛ الطبرى .

(٢) النهاية ، ص ٢٢٧ . قارن عبارة تجارب الأمم لابن مسكويه التي ذكرها مينوى في مقدمة طبعته لكتاب تنسرى والتي يبدو رجوعها إلى الفترة التي افتتحها قباده رغم ما تنسب من الحوادث لأردشير الأول : كان الملك يكتب اسم خليفته في أربعة كتب يودعها عند كبار موظفي الدولة الأربعة ؛ وبعد موت الملك تفتح هذه الكتب المختومة ، وكتاب خامس يكون في طيات ثوب الملك المتوفى ، فن كان اسمه مسطوراً في الكتب الخمسة انتخب ملكاً (مينوى المقدمة) . ومما هو جدير بالملاحظة الفرق بين هذا الإجراء وما نص عليه كتاب تنسرى عما كان متبعاً في الزمن السابق (انظر هنا ، ص ٢٥٠ — ٢٥١) .

(٣) ابن اسفنديار ؛ ظهير الدين . قال هذان الكاتبان إن زمام الأمور ، بعد موت كاووس ، قد سلم إلى أحد أبناء زرمهر سوخرا ، ولكن قد نكون هذه قصة مخترعة لتبجيد أسرة قارن . انظر ماركارت ، Eirānšahr ، ص ١٣٤ .

الفصل الثامن

كسرى أنوشروان (الروح الخالد)

تقوية سلطان الملك . تقويم النظام الاجتماعي ، إصلاح نظام الضرائب .
الإصلاح الحربي . حرب بيزنطة . الهياطة والترك . غزو اليمن . شخصية
كسرى . ثورة أنوشك زاد . وصف العاصمة والقصور الملكية . النظام
الإدارية . الملك العظيم . مراسم البلاط . التشريعات . الألقاب الدبلوماسية .
عصر النهضة الأدبية والفلسفية . التعليم . العلوم . الطب . برزويه الطبيب
الأديب . الدين والفلسفة . تأثير الهند في الأدب . كلية ودمنة . الأدب
الأخلاقي . انحطاط دين زردشت . الأحوال المادية والروحية في إيران لمبان
عصر كسرى .

يعتبر ارتقاء كسرى الأول عرش إيران — وهو المعروف في التاريخ بلقب
أنوشروان^(١) — افتتاحاً لأزهى عصر من عصور الدولة الساسانية ، فإنه قد قضى
على البدع التي آتت بها جماعة مزدك ، كما ساد في حكمه الأمن في داخل البلاد . ولكنه
كان أمناً حزيناً لقوم منهكين فقراء من كثرة ما لقوا من الفتن وسوء الحكم ، الذي
عم جميع الطبقات .^(٢)

وقد حفظ الطبري استهلال خطاب وجهه الملك الجديد إلى نخويرك زادويه ،
بإذ گوسپان القسم الثمالي^(٣) من الدولة ، وقد جاء فيه : « من الملك كسرى بن قباد
إلى واري بن النخويرگان فاذاوسپان آزرهيجان وأرمينية وحيزها ودنباوند
وطبرستان وحيزها ومن قبله ، سلام ، فإن أخرى ما استوحش له الناس فقدمن
تخوفوا فقدم إياه زوال النعم ووقوع الفتن وحلول المسكاره بالأفضل فالأفضل منهم

(١) نوشيروان عند الفردوسي .

(٢) ص ٨٩٢ — ٨٩٣ ، تولدك ، ١٥٢ — ١٥٣ .

(٣) يحتمل أن يكون هذا النص صحيح النسبة ، انظر تولدك ، طبري ، ص ١٥٣ ،

في نفسه أو حشمه أو ماله أو كريمة وإننا لا نعلم وحشة ولا فقد شيء أجل وزينة عند العامة ولا أخرى أن تعم به البلية من قند ملك صالح » . ولا شك أن وراء هذا الخطاب نقداً متعمداً لسياسة قباد التي كان من نتائجها تحرير السلطة الملكية من برائن الأرستقراطية ، ولكن ذلك كان بخراب الدولة . ولكن يبدو من الخطاب كذلك أن الملك الجديد عازم على الاستفادة من المركز الذي هيأه سلفه ، وأنه سيحافظ على السلطة الملكية من اعتداء أى رجل كان ، كما أنه عازم على استخدام جميع قواه المادية والمعنوية لإصلاح المفاصل التي تئن البلاد منها .

وهكذا أصبح أنوشروان عماد السلطات كلها ، فهو يحكم على النبلاء كما يحكم على أفراد الشعب ، وكذلك خضع له رجال الدين . وقد جاء في الكتاب المنسوب لتنسر ، وهو الكتاب الذي تظهر منه سياسة كسرى الأول ، أن الملك هو « النظام بين الرعية والجيش ، وهو الزينة يوم الزينة ، وهو الموزع والمجأ يوم الخوف من العدو »^(١) . وقد عزم كسرى الأول على أن يحكم كما يريد ، وألا يجيز تدخل النبلاء . ولكن يضعف نفوذ رئيس الوزراء (بزرگ فرمادار) ، حول بعض أعماله إلى كبير الموظفين ، وكان يحتفظ بها إلى ذلك الحين^(٢) .

وقد بدأ كسرى إصلاحاته بالقضاء على الفوضى التي أحدثتها أتباع مزدك^(٣) ؛ فرد الأموال إلى أهلها ، منقولة كانت أو ثابتة ، وجعل من الأموال التي لا وارث لها رصيذاً لإصلاح ما فسد . وأما من غلب على أمره من النساء فكان ينظر لحالة كل منهن على حدة : فإذا كانت المرأة المغتصبة من طبقة الغاصب ، ولم تكن قد تزوجت من قبل أو كان زوجها قد توفى عنها ، يؤخذ الغالب لها حتى يهرم لها مهرها ويرضى أهلها ، فإذا لم يكونا من أهل طبقة واحدة فالطلاق واجب على رأى^(٤) ، وفي رأى آخر يكون لها الخيار في أن تبقى زوجة لغالها أو أن يطلقها . وعلى الزوج

(١) صفحة ٤٢ ، الترجمة العربية ، ص ٢٠ من طبعة مينو .

(٢) انظر الملحق الثاني قرب نهايته .

(٣) ابن البطريق والصبري ، وانظر Le règne du roi Knwadh I ، ص ٣٢ —

٣٣ و ٣٦ — ٣٧ .

(٤) ابن البطريق .

أن يدفع لزوجته المهر وأن يرضى أهلها على أية حال^(١) . وإذا كان للمرأة زوج ، على قيد الحياة ، وجب ردها إلى زوجها وألزم الغالب بأن يدفع لها مهرأ مساوياً للمهر الذى دفعه زوجها الشرعى من قبل .

وأمر بكل مولود اختلف فيه عنده أن يلحق بمن هو منهم إذا لم يُعرف أبوه ، وأن يعطى نصيباً من مال الرجل الذى ينسب إليه إذا قبله الرجل . وأمر بكل من كان أضر برجل فى ماله أو ركب أحداً بمظلمة أن يؤخذ منه الحق ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرمه .

وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قيعهم فسكتوا له ، فأنسح بناتهم الأكفاء وجعل جهازهم من بيت المال وأنسح شبانهم من بيونات الأشرف وساق عنهم وأغنهم وأمرهم بملازمة بابه ليستعان بهم فى أعماله . وعلى هذا النحو ظفر كسرى الأول بطبقة جديدة من النبلاء خاضعة له . وأمر بكبرى الأنهار وحفر اتقى وإسلاف أصحاب العمارات وتقويتهم ، وأمر بإعادة كل جسر قطع أو قنطرة كسرت أو قرية خربت وأن يرد ذلك إلى أحسن ما كان عليه من الإصلاح .

وأمر بالنظر فيما تهدم من المساكن والقرى ، حينما يحجز الملاك عن المحافظة عليها ، وعلى أدوات الرى والترع ، فأعان أهلها لإصلاح حالمهم وأمدهم بالمواشى ، وأعيد بناء القرى التى خربت ، وأقيمت الجسور الحشبية التى كسرت وبنيت الجسور الحجرية التى انهارت ، ثم أقيمت الحصون فى الأماكن المعرضة للعدو .

واتجه كسرى الأول لإصلاح نظام الضرائب ، فإن الطريقة التى كانت تنجى بها الضرائب عقارية وشخصية حتى ذلك العهد لم تكن قليلة الفائدة للملك وحده ، بل كانت تجر كثيراً من المصاعب على الممولين أيضاً . فلم يكن الزراع يجرون على مس ناضج الثمار قبل دفع الضرائب^(٢) . وعندما أدرك قباد سوء هذا الوضع عزم على تغيير نظام الجباية تغييراً أساسياً ، ولكن هذا الإصلاح لم يتم إلا أيام كسرى الأول . فمست الأراضى المزروعة بدقة ، وحدد ما يدفع عنه المال منها . ثم اتخذ هذا النظام

(١) الطبرى .

(٢) تولدكه ، طبرى ، ص ٢٤١ ، ملحوظة ٢ .

وسيلة لتنظيم الضريبة العقارية من جديد ، وقد قام بهذا رجال عرفوا بالاستقامة والنزاهة ، اختارهم الملك بنفسه وعهد إليهم بهذا العمل . وقد حدد هذا الإصلاح الفئات التي تفرض على هذه الأراضى : درهم واحد في السنة عن كل جريب من القمح أو الشعير^(١) ، ثمانية دراهم في السنة عن كل جريب من الأعناب ، سبعة دراهم في السنة عن كل جريب برسيم^(٢) ، خمسة أسداس درهم في السنة عن كل جريب أرز ، درهم واحد عن كل أربع نخلات إيرانية أو ست آرامية أو ستة أصول من الزيتون .

وأعفيت كل المحصولات الأخرى من الضرائب ، كذلك أعفى النخل المتفرق الذي لا يكون حديقة واحدة^(٣) . ولكنا لا نعرف إلى أى حد كان من الممكن أن ترتفع النسبة المئوية للضرائب بالتسريع الاستثنائي أو التعسف الإداري مع مراعاة القوانين المالية المذكورة . والذي لا شك فيه أن هذا النظام كان مرضياً للشعب بصفة عامة ، كما أنه قد أمد الخزانة بدخل أوفر وأكثر استقراراً .

وقد عدل أنوشروان الضريبة الشخصية وفقاً للقانون الذي أعده الرجال المختصون الذين ذكرناهم . فقرضت هذه الضريبة على من يتفاوت عمرهم بين العشرين والخمسين من الرجال ، واستثنى منها أهل البيوتات والمعطاء والمقاتلة والهرباذة والكناب ومن كان في خدمة الملك .

وقسم من فرضت عليهم الضريبة إلى طبقات كثيرة حسب ثرائهم : فمنهم من كان يدفع اثني عشر درهماً ، ومنهم من يدفع ثمانية ، ومنهم من يدفع ستة ، وأكثر الشعب كانوا يدفعون أربعة دراهم . وكانت الضرائب تجبى كل ثلاثة شهور^(٤) . وقد أودع كسرى الأول نسخة من نظام الضرائب الجديد في سجلات الدولة ، وأرسل نسخاً أخرى إلى موظفي إدارة الضرائب في الأقاليم ، وإلى جميع قضاة المراكز الذين كان من اختصاصهم النظر في عدالة الجباية .

(١) ٢٤٠٠ متراً مربعاً .

(٢) مهمة كلف للخيول (انظر نولدكه Ic) .

(٣) الطبرى ، ص ٩٦٠ — ٩٦٢ ، نولدكه ، ص ٢٤١ — ٢٤٥ .

(٤) من المحتمل أن تكون الضريبة العقارية والشخصية .

وأعفى من الضريبة المقارية من بارت زراعة قمحه أو تلفت أشجاره وقت جباية الضريبة . وكان على قضاة المراكز أن يرفعوا إلى الحكومة المركزية بياناً بالأراضي المعفاة ليتسنى للحكومة إخبار الجباة عنها . وقد أراد كسرى بهذه الرقابة أن يقضى على الظلم الذى كان يقع على الناس عادة من تعسف الجباة فى استعمال حقهم^(١) . وقد ذكر كسرى الباعث له على تنظيم الضرائب بقوله : « إنا رأينا أن نجتمع فى بيوت أموالنا من الأموال مالو أنا من ثغر من ثغورنا أو طرف من أطرافنا فتق أو شئ نكرهه واحتجنا إلى تداركه أو حسمه ببذله فيه مالا ، كانت الأموال عندنا معدة موجودة ولم ترد استيفاء اجتباؤها على تلك الحال »^(٢) . فعنده أن الدفاع ضد الأعداء ، فى الخارج أو الداخل ، هو أهم ما توجه إليه عناية الملك .

وكذلك تبع تعديل النظام المالى إصلاح حربى جديد ، فقد كانت أسر النبلاء الفقيرة ، حتى ذلك الوقت ، هى التى تتكون منها نواة الجيش ، وكانوا مجبرين على القيام بوظيفة الجندية بلا أجر ، بل كانت عليهم أن ينفقوا على أسلحتهم ، ولكن كسرى « تفقد الأساورة فمن لم يكن له منهم يسار قواه بالدواب والعدة وأجرى لهم ما يقوهم »^(٣) . وكان المشاة من الحراثين الفقراء ، ولم يكن لهم فى الحرب ، فى جميع العهود ، شأن كبير . وقد وصفهم القائدان البيزنطيون Bélisaire و Hermogène بأنهم « جماعة من الحراثين البؤساء يعملون فى الجيش لهدم الأسوار وسلب القتلى ثم خدمة الجند أى الفرسان »^(٤) .

وكان سلاح الفارس أيام كسرى يتكون من : « تجافيف ودرع وجوشن وساقين وسيف ورمح وترس وجرز تلزمه منطقة وطبرزين أو عمود وجمبة فيها قوسان بوتريهما وثلاثين نشابة ووترين مضافين يعلقهما الفارس فى مغفر له ظهرياً »^(٥) .

(١) الطبرى ، ص ٩٦٢ — ٦٣ ، تولدكه ، ص ٢٤٦ — ٢٤٧ .

(٢) الطبرى ، ص ٩٦٠ — ٩٦١ ، تولدكه ، ص ٢٤٢ .

(٣) الطبرى ، ص ٨٩٧ — ٨٩٨ ، تولدكه ، ص ١٦٤ .

(٤) بروكوب ، BP ، (١) ، ١٤ .

(٥) الطبرى ، ص ٩٦٤ ، تولدكه ، ص ٢٤٨ — ٤٩ .

ومن أجل ثقل هذا السلاح الذى يلبسه الفارس أطلق عليه اسم تنوريغ^(١) .
وكان السلاح الرئيسى القوس والنشاب وهو السلاح القديم الذى كان الفرس
يحبسون استعماله منذ أقدم العصور . وقد شهد لهم بروكوب Procope^(٢) قائلاً : إن
الفرس يجيدون جميعاً رماية السهام وهم أحرر الناس فى استعمال هذا السلاح ، ولكن
رميهم السهم يحتاج دائماً إلى قوة لأن أوتار الأقواس ليست محكمة الشد .
ومنذ عهد كسرى الأول أصبحت لكلمة « أساور » (فارس) قيمة أخرى ،
وقد جاء فى الجاحظ والمسعودى^(٣) نقلاً عن مصادر ساسانية أن الطبقة الأولى فى
بلاط كسرى كانت تتكون من الفرسان وأبناء الملك^(٤) . وجاء فى نص من كتاب
التاج للجاحظ^(٥) أن الملك كان يختار رفقائه فى السفر من الأساورة والعظماء .
ونحن نعلم أن عدداً من الأساورة كلفوا بتنشئة أبناء كسرى پرويز^(٥) . وقد أشار
كتاب مازيگان شطرنج إلى منصب « أسواران سردار » (رئيس الفرسان)
(جاماسپ أسنا فى نصوص پہلویة (١) ص ١١٧ - ١ - ١) ، وكان وهریز ،
بعد أن غزا الين ، والياً عليه من قبل كسرى الأول ، وهو من الأساورة ، وكذلك
كان خلفه زين منهم^(٦) .

وكان هناك طابع للإصلاح الحربى أيام أنوشروان ، وقد استطاع شتين^(٧) بحدارة
أن يوضح هذا الإصلاح ، ذلك أن كسرى قد أعظم القتل فى أمة يقال لها البارز

(١) انظر تولدكه ، ص ١٦٤ ، ملحوظة ٥ .

(٢) BP ، (١) ، ١٨ .

(٣) انظر بعد ذلك بقليل فى هذا الفصل .

(٤) يلينى أن نفهم من هذا التعبير الأسماء من البيت الساسانى والشهرداران الذين
يلقبون بلقب ملك (شاه) .

(٥) الطبرى ، ص ١٠٤٣ ، تولدكه ، ص ٣٥٧ .

(٦) الطبرى ، ص ٩٤٨ و ٩٨٨ ، تولدكه ، ص ٢٣٠ و ٢٦٤ . ماركارث
(Philogus ، ج ٥٥ ، ص ٢١٥ رقم ٥) يقرأ وين بدل زين (ولابدال الحرف وبالحرف
ز شائع جداً فى الكتابة العربية) .

(٧) Byzantinisch-neugriechische Jahrbücher ، ١٩٢٠ ، ص ٦٨ — ٦٩ .

(٢٣ — الساسانية)

وأجلى بقيتهم عن بلادهم وأسكنهم مواضع في بلاد مملكتهم ، وأنهم أذعنوا له بالعبودية واستعان بهم في حروبه . وأمر فأسرت أمة أخرى يقال لها جول^(١) وقدم بهم عليه وأمر بهم فقتلوا ما خلا ثمانين رجلا من كانهم استحياءهم وأمر بإزالتهم شهرام فيروز يستعين بهم في حروبه ؛ وأن أمة يقال لها أبخز وأمة يقال لها خزر وأمة يقال لها اللان تمالثوا على غزو بلاده وأقبلوا إلى أرمينية ليغيروا على أهلها ، وكان مسلكهم إليها يومئذ سهلا يمكننا فأغضى كسرى على ما كان منهم حتى إذا تمكنوا في بلاده وجه إليهم جنوداً فقاتلهم واصطلموهم ماعدا عشرة آلاف رجل منهم أسروا فأسكنوا أذربيجان وما والاها^(٢) . وهذه المعلومات التي استقينها من الطبري مؤيدة بما ذكره البلاذري في مدينتي الشابران ومسقط ، وفي مدينة باب الأبواب (دربند) الحصينة التي قوى أسوارها ، أسكن قوما سماهم السياسيجين « ؟ » وأقام من هؤلاء القوم حاميات في بلاد عديدة من البلاد الأرمينية التي أخذها من الرومان . وبني بأرض جرجان « جورجيا » مدينة يقال لها سغدييل وأنزلها قوما من السغد وأبناء فارس وجعلها مسلحة^(٣) . ويذكر البلاذري أيضا^(٤) أن كسرى الأول نصب ملوكا تابعين له في القوقاز . وقد كان نقل جماعات من السكان وإقامتهم في مكان آخر عادة قديمة عند السريان وعند الأكرينيين أحيانا^(٥) ، وقد رأينا أن ملوكا ساسانيين مثل سابور الأول وسابور الثاني قد أنشأوا مستعمرات الأسرى في عدة أقاليم من إيران . ولكن الذي يميز ما فعل الساسانيون قبل كسرى الأول وما عمله هذا مع الأسرى هو أن كسرى استخدمهم في أغراض حربية كما لاحظ شتين Stein : وهكذا تكون جيش أنوشروان من الأساورة ومن المهاجرين الغرباء الذين طاعوا سرعاً مع البيشة الفارسية من غير أن

(١) انظر قبل ذلك ص ٢٧٣ من هذا الكتاب .

(٢) العبري^١ ، ص ٨٩٥ ، نولدكه ، ص ١٥٧ وما بعدها .

(٣) البلاذري ، نفس دي جويه ، ص ١٩٤ — ١٩٥ ، ترجمة ريشر (٢) ستو تجارت (١٩٢٣) ، ص ٢١٦ وما بعدها .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٩٦ ، ترجمة ريشر ، ص ٢١٨ — ٢١٩ ؛ وقارن ماركارت ، Irānšahr ، ص ١١٩ .

(٥) هيرودوت ، (٤) ، (٢٠٤) ، (٥) ، ٢٠ .

يفقدوا صفاتهم الحربية . ويذكر الطبرى أن كسرى لما صار بالمدائن وافاه قوم يستنصرونه على الحبشة فبعث معهم قائداً من قواده فى جند من أهل الديلم وما يليها فقتلوا مسروقا الحبشى باليمن وأقاموا بها^(١).

واستتبع النظام الجديد للجيش تغييراً فى القيادة العليا ، فألقى أنوشروان وظيفة إيران — سباهبد « وكانت له الرياسة على الجنود ففرق كسرى هذه الولاية والمرتبة بين أربعة إصبهينيين منهم واحد للمشرق وخراسان وما والاها ، والثانى من العراق حتى حدود الدولة البيزنطية والثالث لنيمروز وهى بلاد اليمن والرابع لأذربيجان وما والاها وهى بلاد الخزر ، لما رأى فى ذلك من النظام الملكة »^(٢) .

وأما مرتبة هؤلاء الإصبهينيين الأربعة فقد حفظ لنا المسعودى رواية طريفة خاصة بهم^(٣) : فهو ينسب إلى أردشير — الذى تنسب إليه كل تفاصيل النظام الإدارى — أنه رتب المراتب فجعلها سبعة أرواح^(٤) ، ورتب الطبقات الأربع من أصحاب التدبير ومن إليهم أزمة الملك وحضور المشورة فى إيراد الأمور وإصدارها : ١ — الوزراء ٢ — الموبدان موبد وهو القائم بأمور الدين وهو قاضى القضاة وهو رئيس اللواحدة ٣ — الإصبهينيين الأربعة وهم أصحاب تدبير الملك ، كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد منهم خليفة هو المرزبان ٤ — المرازبة . ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوى الصنعة بالموسيقى^(٥) . ومن هذا نرى أن المرازبة ليسوا إلا خلفاء

(١) الطبرى ص ٨٩٩ ، نولدكه ص ١٧٦ . وانظر عن الديلمة بحث مينورسكى المنشور فى منشورات جمعية الدراسات الإيرانية والفن الإيرانية ، رقم ٣ : La domination des Dailamites (دولة الديلمة) ، باريس ١٩٣٢ ؛ وانظر اينستراثرزف ، ص ١١٥ وما بعدها ، ترجمة بوجدانوف ، J. Cama Or. Inst. ، رقم ٧ ، ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) الطبرى ٨٩٤ ، نولدكه ١٥٥ وملحوظة ٢ ؛ الديورى ص ٦٩ ؛ وفارن الثعالى ص ٦٠٩ ؛ تفاديا ، Eine Tishrede aus der Zeit der Sasaniden ، ص ٩ .
(٣) مروج (٢) ص ١٥٥ ، وانظر ششتين (١) ص ٦٩ — ٧٠ ، وانظر المالحق (٢) .

(٤) ويقول المؤرخ فيما بعد إن بهرام الخامس قد أدخل بعض التعديلات فى طبقة المغنين ، وإن كسرى الأول قد أعاد نظام أردشير . أى أنه يصف النظام الذى وجد أيام كسرى الأول .
(٥) ولا يفيدنا المسعودى شيئاً عن هاتين الطبقتين .

الإصبيذين . ثم إن هذه القائمة التي ذكرها المسعودي مفيدة من نواح : ذلك أن الوزراء هم من غير شك بزرك فرمادار وكبار الموظفين الذين عهد إليهم كسرى الأول ببعض الولايات التي كانت للبرزك فرمادار من قبل . وظهور المغنين وأهل الموسيقى في مراتب أعظم موظفي الدولة يؤيده — بطريقة عجيبة^(١) — القائمة التي أعدها مزدك لأتباعه عن مراتب الموجودات العلوية وفقاً لنموذج نظام الطبقات الذي كان سارياً في البلاط الإيراني حينئذ^(٢) . والذي يدعو إلى العجب هو اختفاء الفاذوسبانيين (الپاذگوسپانیان) في قائمة مروج الذهب . والظاهر أن الإصبيذين الأربعة « الذين كان لهم أربعة مرازية تكلفاء » قد حلوا محل الپاذگوسپانیان الأربعة الذين نصبهم قباد في نظامه ، كما حل هؤلاء محل المرازبة السكبار الأربعة أيام بزدگرد الثاني . ونعرف من رواية الطبري^(٣) أنه حين اعتلى كسرى أنوشروان العرش كان بإيران أربعة « فاذوسبانيين » ، كان كل واحد منهم على ناحية من نواحي بلاد فارس فإجلال أنوشروان أربعة من الإصبيذين مكانهم يدل على أنه أراد أن يراعى بلاشك الطابع العسكري للولايات . ونجد أيام كسرى الثاني « پرويز » پاذگوسپان في الغرب^(٤) ، وأن له كل سلطة الإصبيد . ومن ذلك يظهر أن كلتي پاذگوسپان وسپاه بدكانتا تستعملان للدلالة على وظيفتين مختلفتين في ذلك العصر .

ولكن علينا ونحن يبحث هذه المسألة أن ندخل في حسابنا نصاً مهماً آخر ، فقد جاء في كتاب تفسر : « ليس لأحد^(٥) من لا ينتمون إلى بيتنا ، أن يحمل لقب ملك ، عدا أصحاب الثغور وهي اللان ، وناحية المغرب وخوارزم وكابل »^(٥) .

(١) انظر ص ٣٣٦ من هذا الكتاب . وسنرجع إلى بحث مرتبة المغنين وأهل الموسيقى في البلاط .

(٢) صفحة ٨٩٢ — ٩٣ ، نولده ص ١٥١ — ١٥٢ .

(٣) شاهين ، الطبري ص ١٠٠٢ ، نولده ص ٢٩١ .

(٤) عدا الملوك التابعين .

(٥) دار مستر ص ٢١٠ ، ٥١٣ ؛ مينيوى ص ٩ . وليس في نص دار مستر غير الثلاثة الأول ، ولكننا نجد الرابع في نص مينيوى ؛ الترجمة العربية للأشباح ص ٢٩ .

فالكتاب يتحدث هنا عن حكم الثغور الأربعة ، وبما أن تاريخ كتاب تفسر يرجع إلى عهد كسرى الأول ، أى بعد الإصلاح الحربى ، فالظاهر أنه يتحدث عن الإصهيديين الأربعة . على أنه ينبغي أن يكون هناك بعض الخطأ فى تعيين الولايات ، لأنه إذا قيل إن كابل كانت تابعة لكسرى الأول فلا بد أنها كانت جزءاً من ثغر الشرق وعندئذ تنقص ولاية الجنوب (١) .

وفى الطبرى والفرديوسى (٢) رواية تمثل بابك ، الكاتب الذى ولاه أنوشروان ديوان المقاتلة ، وكان يستعرض الجيش وفيه كسرى نفسه ، فلم يركسرى بينهم فأمر بإجراء العرض فى اليوم التالى ، فلم يره ، فأمر بالعرض فى اليوم الثالث فمثل كسرى ولكن لم يكن سلاحه كاملاً ، فحكم عليه بغرامة تزيد درهما واحداً عما يفرض على سائر الجند . والقضية تبين الأثر العميق الذى كان للإصلاح الحربى العظيم الذى أجراه كسرى ، كما تبين النظام الدقيق الذى لا استثناء فيه ، والذى جعل الملك يتخذ من جيشه أداة عظيمة فى الحرب وفى حفظ الأمن .

والواقع أن خطر المزدكية كان قد بعد عن الدولة فى الداخل ، إلا أن مركزها الخارجى كان يبرر الجهد الذى بذله كسرى فى إصلاح الجيش . حقيقة أن السلم قد استتب مع بيزنطة فى سنة ٥٣٢ وهى السنة الثانية من حكم كسرى أنوشروان ، ولكن كانت إثارة الحرب متوقعة دائماً . وكان مركز إيران ضعيفاً أمام الهيمنة من ناحية أخرى ، فقد كانت إيران فى موقف ذليل منهم ، كان عليها أن تدفع جزية سنوية للملكهم (٣) . وقد كان النزاع بين دولة العساسنة ، وهى تابعة لبيزنطة ، وملك الحيرة وهو تابع للملك إيران ، سبباً فى قيام الحرب بين الدولتين الكبيرتين (٤) . وفى سنة ٥٤٠ استولى كسرى على أنطاكية وخرّبها . وبعد سلسلة من الحروب انتقل زمام

(١) حين تحدثت النهاية (ص ٢٢٧) عن رئاسة ثغر اللان — الخزر ، حفظت اللقب القديم المرزبان .

(٢) الطبرى ص ٩٦٣ ، نولدكه ص ٢٤٧ وما بعدها والملاحظات ؛ الفرديوسى ، طبعة مول Mohl ، (٦) ص ١٧٤ وما بعدها .

(٣) فارن ما ذكرناه ص ٢٨٣ ، ، المخطوطة ١ .

(٤) الطبرى ص ٩٥٨ ، نولدكه ص ٢٣٨ وما بعدها ؛ رودشتين ص ٨١ — ٨٢ .

المعركة فيها من يد إلى يد ، أعلنت الهدنة بين المتقاتلين سنة ٥٤٥ . وبعد ذلك نشب القتال حين حاول كسرى إخضاع اللازيين النصارى في القوقاز وكانت محاولة عقيمة بسبب تدخل الروم ، وعقد الصلح النهائي بين الدولتين سنة ٥٦٢ لمدة خمسين سنة . وقد اتفق فيه على أن يترك للطرفين ما لهما من الأراضي القديمة ، وعلى حرية التجارة بين إيران وبيزنطة ، ومنح النصارى حرية العقيدة على ألا يسعى أحد من رجال الدين ، في الدولتين ، للتبشير بدينه .

وإذا انتهت الحرب مع بيزنطة نجح كسرى بين سنتي ٥٦٣ ، ٥٦٧ في إباداة دولة الهياطلة التي ضعفعتها حملة قبيلة تركية عليها يقودها سنجيو (Silzibu) ^(١) . وكان نهر جيحون هو الحد بين إيران وأراضي الخاقان التركي الذي أصبح عدواً شديداً للراس لا يقاس به ملك الهياطلة . وظهرت في القوقاز قبائل الترك أيضاً . ولكي يدفع كسرى عن هذه الحدود هجماتهم جدد تحصينات قلعة دربند وقواها ^(٢) . وقد مد كسرى نفوذه جنوباً ، على اليمن ، التي كانت خاضعة حينذاك للأحباش ، فقد تحالف أحد قواد كسرى ، وهريز ، مع العرب وطرد الأحباش منها سنة ٥٧٠ ، ثم ولى حكمها من قبل كسرى ^(٣) .

وحوالى هذا الوقت أغار سنجيو ، بتحريض الروم ، على الأراضي الإيرانية ولكن التحصينات القوية التي أنشأها كسرى أوقفت هذه الاعتداءات إلى حين . وإنما نتج عن هذا قيام النزاع بين الإمبراطوريتين الرومانية والإيرانية سنة ٥٧٢ ،

(١) ماركارت ، إيران شهر من ٦٤ ، ٢١٦ ؛ شيدر (Abh. d. Ges. d. Wiss. Ztt. Iranica , Göttingen) سنة ١٩٣٤ ، ص ٣٨ وما بعدها .

(٢) وتذكر بعض المصادر الشرقية غزوة لكسرى ضد « ملك الهند الذي خضع من غير قتال ناركا لكسرى البلاد المجاورة لعان (١) التي كانت متروكة لإيران أيام بهرام گور » . (البهامي ، (٢) ص ٢٢١) . ويذكر المسعودي (مروج ، (٢) ، ص ٢٠٠) « إن ملوك الهند والهند والشمال والجنوب (وسائر الممالك) هادن ملك إيران ... » .

(٣) ويموت وهريز أسند كسرى ولاية اليمن إلى فارس اسمه زين أو وين (٤) . وقد عزله هرمزد الرابع وولى مكانه مروّزان . وقد ولى من بعده ابنه خره — كسرى بإذن من كسرى پرويز ، وبه انتهت سلسلة حكام الفرس في اليمن (الطبري ص ٩٨٧ و١٠٣٩ — ٤٠ ، فولدكه ص ٢٦٤ و ٣٤٩ — ٣٥١) .

وكان السبب المباشر لهذه الحرب اضطرابات أرمينية ، فاجتاحت بلاد ما بين النهرين من جديد ، وقد هزم القائد البيزنطى جستنيان Justenien ، بعد انتصاره الباهر في وادى ملطية ، هزمه ملك إيران ؛ وقد خلفه القائد موريس الذى قام بغزوات في أرض إيران واستولى على سنجار . وحينئذ بدأت مفاوضات الصلح ، ولكن كسرى مات سنة ٥٧٩ قبل أن يرى نتيجة الصلح .

* * *

ويبدو أنوشروان في الروايات الشرقية مثالا للملك العادل . وقد أطال الكتاب العرب والفرس في ذكر الحكايات التى تصور يقظة هذا الملك للمحافظة على العدل . ومن ذلك حكاية أوردها نظام الملك^(١) عن مصادر صحيحة . فبالرغم من توصية كسرى الأول للكبراء والعظماء ، حين ولى العرش ، بأن يكونوا أمناء في استعمال سلطانهم على الناس وألا يظلموهم فإن أصحاب الإقطاعات وكبار الموظفين استعمروا في ارتكاب الجرائم ضد الرعية ، فبعد ثلاث سنوات أو أربع من حكمه جمعهم وقال لهم : « قد أتاح الله لى ملك الدنيا . فأشركتكم فيه ، وأعطيت كلا منكم ولاية ، ولم أمنع رزق من له على حق في أثناء حكمي ، وتركتم لعظماؤكم ما أعطاهم أبى من ولايات أو مناصب ، فما خفضت من عيش أحدكم ولا خططت من قدر أحد . فوعدوه جميعاً بالإنصاف والعدل بين الناس . وعاد الولاة إلى ولاياتهم غير مباليين بنصائحهم . وقد رأى كل منهم ، في غروره ، أنه أجلس الملك على العرش ، وأنه حر إن شاء اعترف به وإن شاء خلعته . وكان أشدهم عتوا سياهسالار (قائدا) ولاء كسرى إقليم آذربيجان ، و « لم يكن له مثيل في القوة والجاه »^(٢) ، فكان أكثر الولاة أسلحة وحرسا ، وكانت قصوره أنعم القصور وأكثرها بدخا . وقد أراد هذا الوالى أن أن يبنى بيتاً ريفياً فأراد أن يشتري كوخاً صغيراً لفقيرة عجوز ، فأبت صاحبتها بيعه فهدمه واستولى على مملكتها . وكثيراً ما حاولت المسكينة بالحاح أن يعوضها عما كان

(١) سياست نامه ، طبعة شيفر ص ٢٩ وما بعدها ، والترجمة الفرنسية ص ٤١ وما بعدها .

(٢) سياهسالار ملى سياهد ومعاها واحد .

من إضراره بها ، ولكنه لم يستمع لها ، ولم تجد من حاشيته وموظفيه أذنًا صاغية لشكواها . فذهبت تلتمس مقابلة الملك في الصيد ، ورفعت إليه ظلامتها . فأخذ الملك الشكوى وأمر أن تنزل ضيفة عند حاكم أقرب قرية منه ، ثم أمر بنقلها إلى قصره حين عاد من الصيد . وأرسل كسرى رسولا إلى آذريجان ، ووكّل إليه مهمة تفتيش جميع المدن والنواحي وأن يتحرى حالة الحقول والبساتين^(١) ويرى أضرار المزروعات ضرر من الأمطار ، ثم ينظر في حالة المراعى وأماكن الصيد . ولكن الرسالة السرية كانت بحث شكوى العجوز الفقيرة . وعاد الرسول بعد أن علم أن العجوز محقة في شكواها . فجمع الملك العطاء والموازنة وسألهم كم يملك والى آذريجان من نقود الذهب والفضة ؟ فقالوا « مليونين من الدينارين لا يحسبها » وكم لديه من الأواني والمنقولات ؟ قالوا « لديه ما يساوى خمسمائة ألف دينار من أدوات الذهب والفضة » قال : وماذا عنده من الحلى ؟ قالوا « ما قيمته ستمائة ألف دينار » . فسألهم عما لديه من الأملاك ، فقالوا : « ليس في خراسان أو العراق أو فارس أو آذريجان ناحية أو مدينة لا يملك فيها بيتاً أو خانات أو أرضاً مثمرة أو بيتاً تستغل »^(٢) . قال الملك كم لديه من الخيل والبغال ؟ قالوا : « ثلاثون ألفاً » . قال : كم لديه من الغنم ؟ قالوا « مائتا ألف » . قال كم لديه من العبيد ، إنائاً وذكورا ؟ قالوا « ألف وسبعمائة عبد تركي ورومي وحشي » ، وإن لديه أربعمائة وألف جارية »^(٣) . فسألهم الملك أى عقاب يستحق رجل يملك هذا كله إذا طمع في كوخ امرأة عجوز فقيرة تقية فيسلمها كوخها والقليل الذى عندها ؟ فأجابوا بأنه يستحق أقصى العذاب . فأمر الملك بسلخه وبرمى لحمه للكلاب وبملاء جلده بالقش وتعليقه على باب القصر ، وأن ينادى المنادى سبعة أيام بأن من يرتكب عملاً ظالماً يلقى هذا الجزاء .

(١) بسبب توزيع الضرائب .

(٢) هذا شاهد مباشر على ما كان من أمر توزيع ثروة النبلاء على جهات مختلفة في الدولة .

(٣) لا حاجة بنا إلى القول بأن هذه الأرقام ليست لها قيمة تاريخية حقة ، ولكن هذا التحقيق يعطى فكرة عن الأساس المادى لقوة الأشراف في إيران .

وهناك قصة أخرى تشبه قصة فردريك الثانى والطحان وقد ذكرها السعوى^(١) ثم أعاد ذكرها المؤرخون العرب . وهى أنه وفدت على كسرى أنوشروان رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك ، وكان فيمن وفد إليه رسول من قبل ملك الروم قيصر . فلما نظر الرسول إلى إيوان كسرى وحسن بنيانه رأى اعوجاجاً فى ميدانه ، فقال كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعاً . فقيل له إن عجوزاً لها منزل من الجانب المعوج وإن الملك أرادها على بيعه ورغبها فيه فأبت ، فلم يكرهها الملك وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى . فقال الرسول . هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء . وهناك قصص أخرى ، خرافية بلا شك ، ولكنها حقيقية فى الدلالة على عدل أنوشروان^(٢) . فقد ذكر نظام الملك فى كتابه «سياسة نامه»^(٣) قصة السلسلة والجرس ليتمكن لدوى المظالم إبلاغ الملك ظلاماتهم وذلك بأن يشدوا السلسلة التى وضعت على باب القصر . وقد ظلت السلسلة سبع سنوات ونصف سنة لم يمسه إنسان . ثم دق الجرس فظهر أن حماراً أجرب قد تحكك بالسلسلة . فأمر الملك بالبحث عن صاحب الحمار وأرغم على العناية بحماره . وهذا الشطر الأخير لم يرد فى تاريخ أبى الفدا^(٤) الذى ينسب اختراع فكرة الجرس إلى هرمزد الرابع . ومهما يكن فهذه القصة معروفة ، وهى مبنية على عادة يظهر أنها شاعت فى الهند والصين^(٥) .

وإن كانت القوانين قد طبقت بدقة وعدالة بوجه عام ، فإن العقوبات قد خففت إلى حد ما فى أيام كسرى الأول . وقد ذكرنا نصاً^(٦) من كتاب تنسى يقول بأن

(١) مروج (٢) ، س ١٩٧ وما بعدها ، وقارن تولدكه ، طبرى ، س ٢٥١ ملحوظة ١ .

(٢) انظر ، على سبيل المثال ، البيهقى ، طبعة شوالى ، س ٥٣٨ ؛ والنهاية ، س ٢٣٢

(٣) طبعة شيفر ، س ٣٦ وما بعدها ، الترجمة الفرنسية ، س ٥٢ وما بعدها .

(٤) طبعة فليشر ، س ٩٠ وما بعدها .

(٥) باست ، "Revue des Traditions Populaires" (مجلة العادات الشعبية) ، جزء

٢٤ ، س ١٩٢ وما بعدها .

(٦) س ٢٩١ .

الإعدام العاجل كان عقوبة لجرائم الكفر والعصيان والخيانة والحرب من الجندية . أما الجرائم على الجار من سرقة ونهب واعتداء وعدوان فكانت عقوبتها جسمانية قاسية أو الإعدام . ويضيف تنسر أن الملك^(١) قد استحدث لهذه الأحوال تشريعاً أرقى من تشريع الأقدمين . فقديماً كان من يخرج على الدين يعدم فوراً ، ولكن في العصر الذي ألف فيه كتاب تنسر ، أمر الملك بسجن المتهم وبأن يتصل به جماعة من رجال الدين مدى سنة كاملة ، يعملون على هديه وينصحون له ويقومون له الأدلة ويزيلون الشك عن نفسه . فإذا ندم واعترف بذنبه أطلق سراحه ، وإذا أخذته العزة بالإثم واستكبر فبقى في ضلاله ، يقتل . والحقيقة أن هذا القانون لم يطبق على أهل الأديان كالتصرانية واليهودية ، ولكن يحتمل أنه طبق على أهل المذاهب الإلحادية الأخرى^(٢) . وأما من يرتكبون جريمة ضد الملك — بالثورة والحرب من الجندية — فقد اكتفى في ذلك العصر بقتل فريق منهم لتخويف الآخرين وليكونوا عبرة لهم . وأما الجرائم ضد الأشخاص فقد كانت العقوبة فيها الغرامة والبتر ، وكان عقاب الغاصب أربعة أضعاف عقاب السارق . وخلافاً للمتبع قديماً كان البتر ينفذ بطريقة لا يترتب عليها الإخلال بقدرة المجرم على العمل ، فالزاني مثلاً تقطع أذنه . والمجرم الذي يحكم عليه بعقوبة مالية ثم يعود إلى ارتكاب الجرم الذي غرم من أجله كانت تقطع أذنه وأنفه ويحرم من التماس عفو جديد^(٣) .

ولكن هذا التخفيف النسبي في العقوبات لم يكن يمنع الملك من التنفيذ بقسوة بالغة ، وهذا لا يحتاج إلى بيان . وقد ذكر پروكوب كثيراً من حوادث القتل « بالحازوق » أيام كسرى الأول^(٤) . وذكر أجنائاس^(٥) أن كسرى أنوشروان أمر

(١) هذا الملك ، حسب الكتاب ، هو أردشير ، ولكننا نعلم أن الكتاب وضع أيام كسرى الأول . هذا رأى كريستنسن ورأينا أن تنسر يقصد أردشير (الحشاش) .

(٢) ويرى الأب نو Nau (RHR ، جزء ٩٥ ، ص ١٧١) أن كتاب تنسر يذكر هنا خوى منشور لسابور الثاني يرجع إلى سنة ٣٤٠ ، وقد أشير إليه في أعمال الشهداء .

(٣) كتاب تنسر ؛ مينوى ، ص ١٧ — ١٨ حيث تقرأ نهاية الجملة الأخيرة : « ولكنهم لا يعاقبون بغير آخر » ، الترجمة العربية للشهاب ص ٣٩ .

(٤) BP ، (٢) ١١ ، ٣٨ ، (٢) ١٧ ، ١١ — ١٢ .

(٥) (٤) ، ٢٣ .

بسلخ النخويرك حياً ، وهو القائد الذى هزمه الالاز هزيمة كانت قاضية على الإيرانيين .
ولا تكنفى المصادر الشرقية بتصوير أنوشروان ملكا عادلا بل إنها تمثله نموذجاً
للملك العظيم الرحيم . يقول الشعالي^(١) إنه رفع إليه أن « الوكيل » تزيد نفقته
ومروته على المقدر له ، فوقع : مق رأيتم نهراً سقى أرضاً قبل أن يشرب . وقد
أكثر كتب الآداب الإسلامية ، فى باب الأدب ، القصص الذى يبين سخاء
أنوشروان^(٢) .

وأما الصورة التى يصورها الكاتب الفرنجى پروكوب لسكرى فتختلف عما
جاء فى الكتب الشرقية . والواقع أن پروكوب ليس شاهد عدل فى كل صفحة من
صفحات كتابه يبدو الحقد للـ على هذا الملك الذى كان خطراً على بينظة . فهو
يصوره رجلاً مفسداً طائشاً محباً للبدع يثير دائماً حوله الاضطراب ، وأنه كان شديد
الحق على عظماء دولته^(٣) . هذه هى النزعة الإصلاحية لسكرى فى نظر مؤرخ سبيء
القصد . ثم يصفه پروكوب بالمرأاة وعظيم السكر : فكان فى رأيه أقدر الرجال على
تقرير ما لم يقع وإخفاء ما وقع ، وعلى إلقاء تبعة جرائمه الفظيعة على ضحايا ظلمه . وكان
مستعداً دائماً لنقض وعوده ولتدنيس نفسه بكل أنواع الخايزى ليكسب مالا ، متظاهراً
بالطيبة ، متجنباً بالكلام تبعة أعماله^(٤) . ثم يأتى پروكوب بمثال على فساد خلق
كسرى فى حكاية ما جرى حين غزا الفرس مدينة سورا وهى حكاية قد تؤول بشكل
آخر عند مؤرخ منصف . فنجد ذكر أن كسرى الأول رأى رجلاً منوحشاً يسوق
أمامه سيدة جميلة بوحشية منكرة وقد سقط ابنها الصغير على الأرض ، فتباكى كسرى
وأرى الجميع ، ومن بينهم سفير الروم الستاس ، وجهه الباكى ، ودعا الله أن ينتقم
من الرجل الذى تقع عليه مسئولية كل ما حدث ، مع أنه يعلم أنه هو نفسه
لا الإمبراطور جستنيان الذى عناه بقوله ، أكبر إثماً .

(١) س ٦٠٨ .

(٢) انظر ، على سبيل المثال ، البيهقى ، طبعة شوالى ، س ٥٥٣ ، ٤٩٤ ، والشيروانى
رحمة ريشمر (ستو تجارت ١٩٢٠) ، س ٢٠٧ وما بعدها .

(٣) BP ، ١ ، ٢٣ .

(٤) المرجع نفسه (٢) ٩ ، ٨ .

ولدينا دلائل على أن كسرى كان « ميكياڤلى » السياسة ، وذلك من حديث الكتاب الشرقيين عنه . فقد ذكر البلاذرى^(١) أن أنوشروان قد رغب فى أف يستتب السلم بينه وبين ملك الترك (منجيبو) فأرسل إليه كتابا يسأله الوادعة والصلح وأن يكون أمرها واحداً ، وخطب إليه ابنته ليؤنسه بذلك ، وأظهر له الرغبة فى صهره^(٢) ، وبعث إليه بأمة كانت نبذتها امرأة من نسائه وذكر أنها ابنته^(٣) ، فأهدى التركى ابنته إليه ، ثم قدم عليه فالتقيا وتنادما أياماً وأنس كل منهما بصاحبه وأظهر به . ولكن أنوشروان أمر جماعة من خاصته وثقاته بإشعال النار فى معسكر الترك ليلاً ، فلما شكاه الخاقان الحريق فى معسكره تظاهر بجهله الأمر وحدث الإحراق ليلة أخرى وانتهى بالنتيجة نفسها . وفى الليلة التالية أشعلت النار فى معسكر أنوشروان نفسه ، بأمره ، ثم اشتكى إلى الخاقان متظاهراً بأنه يعتقد أن النار أشعلت بأمر منه ، فحلف التركى أنه لم يعلم بشيء من هذا . فقال أنوشروان إن خير وسيلة لمنع هذا التعدى بين الجنود أن تأذن لى فى بناء حائط يكون بينى وبينك فأجابه الخاقان إلى ذلك ، ثم انصرف إلى بلاده وأقام أنوشروان بناء الحائط المنيع . ولما عرف الخاقان بعد ذلك أنه خدعه وزوجه غير ابنته وتحصن منه ، لم يقدر على حيلة^(٤) .

وهناك قصة أخرى ذكرها الجاحظ فى كتابه التاج^(٥) ، وفى كتاب المحاسن والمساوى المنسوب إليه^(٦) : فقد شك أنوشروان فى رجل من خواص خدمه أنه

(١) طبعة دى جويه ص ١٩٥ وما بعدها ، ترجمة ريشير ص ٢١٦ وما بعدها .

(٢) والحقيقة أن كسرى قد تزوج أميرة تركية هى بنت استامى خاقان الأخ الأصغر لسنجيبو وهى أم الملك هرمزد الرابع (انظر شيدر فى Iranica ، ص ٤١) .

(٣) حكاية شائعة ، انظر قبل ذلك صفحة ٢٧٨ — ٢٧٩ فى تاريخ فيزور .

(٤) وقد جاءت القصة نفسها فى ابن حرداذ به (BGA ، (٦) ص ٢٥٩ وما بعدها ، الترجمة ، ص ٢٠٠ وما بعدها) ، حيث حل ملك الخزر محل خاقان الترك .

(٥) ص ٦٢ وما بعدها .

(٦) طبعة فان فولتن Van Vollen ص ٢٧٧ وما بعدها ، ترجمة ريشير ، (٢) ص

٨٨ وما بعدها .

ينحونه في إحدى نساءه ، ولكنه لم يكن لديه دليل ، فأرسل هذا الرجل إلى بلاط ملك الـرم جاسوساً ، وكاد له حق عرف ملك الـروم خيانة الرجل وقتله . والحكايتان لا ترجعان ، فيما أرى ، إلى الخدائنة ، والتفصيلات فيها خرافية ، ولكنهما قد يتضمنان ذكر جانب من أخلاق كسرى القى لم يكن يعرفها معاصروه ، ولكنه جانب لا يظهر إلا نادراً في صورة كسرى المثالية القى امتاز بها التاريخ الإيراني .

وأما قلة جدوى نصائح رجال الدولة والعلماء المختصين عند الملك فهذا ما تبينه القصة القى ذكرها الطبرى فقد حكى أن كسرى حين عدل الضرائب قال « إنا رأينا أن نضع على ما أحصى من جربان هذه المساحة من النخل والزيتون والجمجم وضائع ، ونأمر بإنجامها فى السنة ثلاثة أنجم . ونجمع فى بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتاينا عن نهر من نغورنا أو طرف من أطرافنا فتق أو شئ نكرهه واحتجنا إلى نداركه أو حسمه يبدلنا فيه ما لا كانت الأموال عندنا معدة موجودة ولم ترد استيفاء اجتباها على تلك الحال ، فما ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟ فلم يشر عليه أحد منهم فيه بمشورة ولم ينبس بكلمة ، فكرر كسرى هذا القول عليهم ثلاث مرات ، فقام رجل من عرضهم وقال لكسرى : أتضع أيها الملك عمرك الله فى هذا الخراج على الفانى من كرم يموت وزرع يهيج ونهر يغور وعين أو قناة ينقطع ماؤها ؟ فقال له كسرى : ياذا السكفة المشثوم من أى طبقات الناس أنت ؟ قال الرجل : أنا رجل من الكتاب . فقال كسرى : اضربوه بالدوى حتى يموت . فضربه بها الكتاب خاصة تبرأ منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه ، حتى قتلوه . وقال الناس نحن راضون أيها الملك بما أنت ملزمننا من خراج » (١) .

وقد رأينا أن كسرى قد قتل أخاً له ، كاووس ، لأنه تطلع إلى ارتقاء العرش (٢) وكان لأخيه زَم حزب يناصره من العظماء ، وكانوا مستائين من حكم كسرى ، فاستطاع هذا أن يقضى على الفتنة القى أعدوا العدة لها ، بقتله زَم . ولسى يأمن مثل هذه المؤامرات أمر بقتل بقية إخوته وأبنائهم جميعاً ، كما أمر بقتل عمه اسيد ،

(١) الطبرى ، ص ٩٦١ ؛ نولدكه ، ص ٢٤٢ — ٤٣ .

(٢) ص ٣٤٧ .

ولم ينبج من هذه المذبحة غير قباد بن زم . فقد أخفاه « السكنارنگت » آذر گنداذ^(١) ولم يُعرف هذا السر إلا بعد سنوات ، فأمر كسرى بقتل آذر گنداذ الشيخ وأعطيت وظيفته إلى ابنه وهرام . ويظهر بروكوب وهو يروي هذه الحوادث بالتفصيل^(٢) ، بهذه المناسبة ، تحايل أنوشروان كما يفعل في كل مناسبة . وقد لقي هذا الصير عظيم آخر كان يدين بوظيفته الكبيرة إلى والد كسرى ، وهو ماهبود الـ « سرنخويرگان » . وكان هذا قد دبر لإسقاط الأرثشتارانسلار سياوش ، ولكنه لقي حتفه بدسيسة من عظيم آخر هو زبرقان . فقد طلب كسرى الأول من زبرقان أن ينادى ماهبود وكان هذا مشغولا بعمل مع الجيش فقال لزبرقان إنه حاضر بعد أن يفرغ من عمله ، فذهب هذا وقال للملك إنه أبي الحجيء إليك معتلا بأنه مشغول مع الجيش . فغضب أنوشروان وأمر في ثورة غضبه بأن يحضر ماهبود ، وأن يجلس فوق كرسى العقاب أمام القصر^(٣) . وقد مكث ماهبود أياماً فوق الكرسى منتظراً إعدامه . وقد كان لهذه القصة دوى كبير^(٤) . وقد رواها كل من الثعالبي والفردوسى فى قالب أوسع خيالاً : زروان^(٥) ، كبير الحجاب وعدو ماهبود الحليم دس لهذا عند الملك واستطاع برشوته أحد السحرة اليهود أن يثبت لدى الملك أن ماهبود يقصد قتله بالسم . ولم يكشف كسرى حقيقة الأمر إلا اتفاقاً فأمر بصلب اليهودى وتنصيف الحجاب وندم كثيراً على قتله ماهبود^(٦) .

(١) انظر هنا ص ٣٣٧ .

(٢) BP ، (١) ، ٢٣ .

(٣) الكرسى الذى نصب أمام القصر حيث يجلس المجرم منتظراً الحكم الذى يقضى به الملك .

(٤) بروكوب ، BP ، (١) ، ٢٣ .

(٥) زروان أو زوران عند الفردوسى (= زبرگان) ؟ وقد خلطت رواية الثعالبي بين عقليمين من العظماء أيام كسرى ، فتسمى عدو ماهبود آزر ونداذ (وتقرأ : آذر ونداذ) وهى صيغة أكثر قدماً فى آذر گنداذ .

(٦) الثعالبي ، ص ٦٢٥ وما بعدها ؛ الفردوسى طبعة مول ، (٦) ، ص ٢٩٤ وما بعدها .

وكذلك أخذ أنوشروان ثورة أشعلها ابنه أنوشك زاد حين أشيع موت الملك وكان في ذلك الوقت مريضاً مرضاً عضالاً . وقد قضى على الثورة ولكنه لم يقتل ولده بل اكتفى بسمل عينيه أو كما قال بروكوب أحرق جفنيه بالحديد المحمى ، وقد حرم هذا من ولاية العرش أو جعلها في حكم المستحيل على أى حال^(١).

* * *

وقد بلغت المدائن ، عاصمة الدولة ، في عهد أنوشروان^(٢) أقصى اتساعها . والمدائن بالمعنى الأخص مدينة رئيسية بين جملة مدن تسمى « المدائن » ، وتسمى بالسريانية ماخوزى Makhōzē^(٣) مع لقب ملكا (ملك) أو مدينتا أو مدينة (المدن)^(٤) . وهى التسمية التى استعملها العرب فى صيغة المدائن . والفروض أن هذه الأسماء السامية ما هى إلا ترجمة للاسم البابلى الذى قد يكون شهرستانان والذى لم يحفظ فى مصادرنا . وقد أشير إلى العاصمة على النقود الساسانية باسم در^(٥)

(١) انظر نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٦٧ وما بعدها .

(٢) وصف هرتسفيلد خرائب العاصمة فى : سار وهرتسفيلد : Archäologische Reise im Euphrat-und Tigrisgebeit ، (٢) ، برلين ١٩٢٠ ، ص ٤٦ وما بعدها . وفى تاريخ طليفلون وساقية انظر سترك Seleucia und Ktesiphon (Der alte Orient) ، (١٦) ، ٣ — ٤ . قارن هونجمن ، Ktesiphon ، Real-Ency ، الملحق (٤) . وقد بدأت حفائر ألمانية سنة ١٩٢٨ تحت إشراف روتير ، انظر فى هذا تقريراً أعده ماير فى Mitteilungen der Deutschen Orient - Gesellschaft ، رقم ٦٧ (١٩٢٩) ؟ روتير فى « The Antiquity » ، (٣) ، ديسمبر ١٩٢٩ ، ص ٤٣٤ وما بعدها ، Die Deutsche Ktesiphon-Expedition ، ٢٩/١٩٢٨ ، برلين ١٩٣٠ ، واتشموت فى Forschungen und Fortschritte ، ١٠ يونيو ١٩٣٠ . وقد استمرت الحفائر الألمانية بمعاونة Metropolitan museum of Arts فى نيويورك ؟ انظر اوپتن Bulletin of the Metropolitan Museum ، ١٩٣٢ ، ص ١٨٨ وما بعدها ؟ كوهنل ووتشموت ، Die Klésiphon Expedition ، ١٩٣١ — ٣٢ ، برلين ١٩٣٣ ؟ هنريش شبيدت ، Expédition de Ctésiphon ، سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ فى مجلة « Syria » ، (١٥) ، ١٩٣٤ .

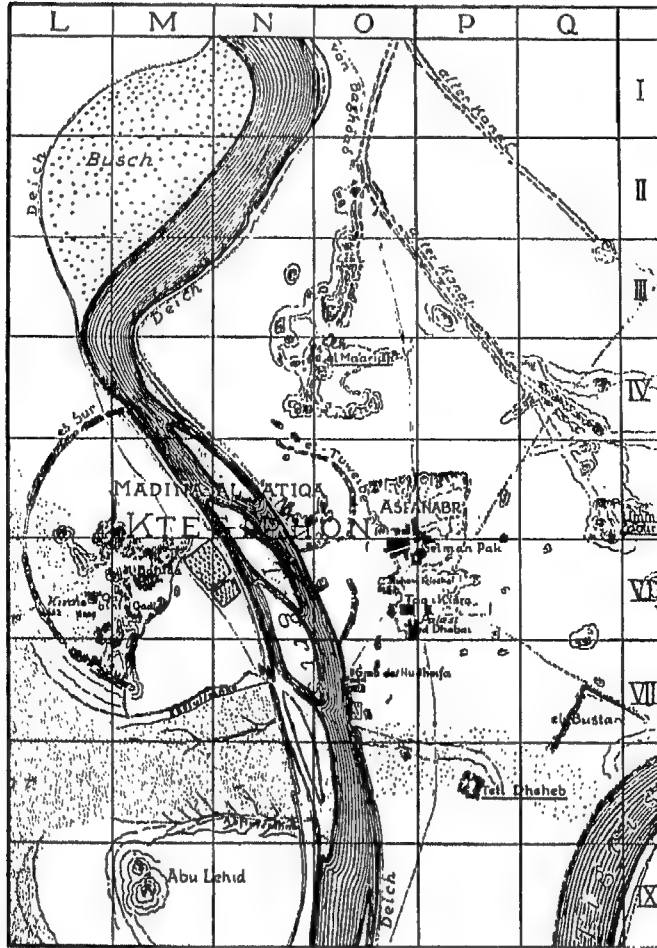
(٣) جمع ؟ أما عن المفرد ماخوزا (المدينة ، المدينة الكبيرة) انظر ما بعد ذلك .

(٤) انظر سار — هرتسفيلد ، Archäologische Reise ، (٢) ، ص ٤٨ ،

ملحوظة ٢ .

(٥) هو زوارش ، بابا ، شترك ، ص ٣٨ .

(الباب) . وكان عدد المدن المشار إليها سبعة في العهد الأخير للدولة الساسانية .
فالكاتب العرب أو الفرس الذين كتبوا حين كانت هذه المدن مندثرة قد اختلفوا
في عددها . ومهما يكن فإن طيسفون بالمعنى الصحيح وويه — أردشير التي كانت
سلوقية القديمة ، كانتا أكبر هذه المدن . (رسم ٣٧) .



٣٧ . خطة مدينة سلوقية — طيسفون وضواحيها

(شميدت . حفريات طيسفون ١٩٣١ — ٣٢)

وكانت عاصمة إيران كما يقول آمين^(١) بهيدة المنال بحكم موقعها . فقد كانت مجموعة

(١) (٢٤) ، ٧ — ١ .

المدن التي تكونها محاطة بأسوار حصينة عليها أبواب محكمة^(١). ويحتمل أن تكون هذه الأسوار قد جددت مرات كثيرة بمقدار زيادة عدد المدن التي تتكون منها «ماخوزى». وكانت المواصلات بين المدينتين، المدائن بمعناها الأخص وويه-أردشير وهما على شاطئ دجلة الشرقى والغربى، تجري على جسر من السفن ولم يكن هذا الجسر كافياً للسابلة فأمر سابور، فى شبابه، أن ينصب جسر آخر حتى يكون واحد للذهابين وآخر للآتين^(٢).

وكانت المدائن بمعناها الأخص (بالهلوية تيسپون)^(٣)، شرقى النهر، وكانت محصنة بسور نصف دائرى عليه أبراج. والمسافة بين هذا الحائط والنهر، وترى بقاياها حتى اليوم، تبلغ نحو ٥٨٠ ألف متر مربع، وهى المدينة العتيقة^(٤). وكشفت الحفائر التي قامت بها البعثة الألمانية فى سنة ١٩٢٨ — ١٩٢٩ عن خرائب كنيسة نصرانية ترجع إلى عصر الساسانيين، وقد وجد منها النصف الأعلى لثمان قديس من الرخام والجبس المنقوش؛ وشرقى المدائن — حيث يوجد اليوم مزار إسلامى يعرف باسم «سبلان پاك» — كان يوجد حتى اسفانبر^(٥). وفى هذه الجهة توجد الخرائب متجمعة حول القصر الفارسى الشهير بطاق كسرى. والظاهر أن هذا المكان كان غاصاً محدائق القصر الملوكى وأشجاره، وركن من السور، يسعى بستان كسرى، يظهر

(١) الطبرى، ص ١٠٦٢، نولدكه، ص ٣٨٧.

(٢) انظر قبل هذا ص ٢٢٤.

(٣) Ssu-pin عند الكتاب الصينيين (هيرث Hirth) China and Roman Orient، ص (٢٢٤). وهناك اسم صينى آخر لعاصمة الساسانيين هو Su li (المرجع نفسه ص ١٩٨)، ولعله مأخوذ من الهلوى Sirigh (سوريك) (السرياني). ويسمىها هيون تسيانج Su-la-sa-t'ang-na : Hiuen Tsiang (سوريستان «سوريا» ٩)، بيل، Buddhist Records، (٢)، ص ٢٧٧.

(٤) المدينة العتيقة بالعربية. سار — هرتسفيلد، Arch. Reise، (٢)، ص ٥٨. وخرطة شميدت Schmidt (صورة ٣٧) تبين تحت اسم طيسفون والمدينة العتيقة مجموعة مدن المدائن وسلوقية.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٨، ٧٣. ويكتب المؤرخون العرب الاسم مع تغيير قليل (اسفانبر فى الخريطة رقم ٣٧).

أنه في الحقيقة البقية الأخيرة من سور كان يحيط مساحة كبيرة للفلزات . وكانت أراضي اسبانبر محاطة من ناحية الجنوب بمجرى دجلة القديم . وفي هذه الناحية تل يسمى « خزانة كسرى » يظهر أنه يحجب أساس معبد كبير (١) .

وبرى باثمان مساعد رويتر أن بستان كسرى ربما يكون مكان أنطاكية الجديدة وهي إحدى المدن التي تتكون منها العاصمة . وكان الاسم الرسمي لهذه المدينة وبه — انتيوخ — خسرو (٢) ولكنها كانت تسمى في العادة رومكان (٣) أى مدينة الروم . وقد أنشأها كسرى الأول ، فإنه بعد أن استولى على أنطاكية نقل سكانها إلى مدينة جديدة خصصها لهم قرب المدائن ، ونقل من الشام ورودس الرخام وأعمدة المرمر والفسيفساء الزجاجية والحجارة المصقولة (٤) . ويحكى المسعودى أن كسرى بعد أن عقد الصلح مع إمبراطور الروم نقل من الشام المرمر والرخام وأنواع الفسيفساء والأحجار (٥) ، « والفسيفساء شئ يطبخ من الزجاج والأحجار ذو بهجة وألوان يدخل فيما فرش به من الأرض والبنيان كالفصوص ، ومنه على هيئة الحمامات شاف ، وحمل ذلك إلى العراق فبنى مدينة نحو المدائن وسمها الرومية وجعل بنيانها وما داخل سورها بما ذكرنا من الأحجار ، يحكى بذلك أنطاكية وغيرها من مدن الشام . وهذه المدينة سورها من طين قائم إلى هذا الوقت خراب يباب يعرف بما ذكرنا » . وتضيف القصة إلى هذا أن هذه المدينة قد بنيت مشابهة لمدينة أنطاكية تماما فضى أهل كل بيت من سكانها إلى ما يشبه منازلهم متى كانوا فيها في أنطاكية فكانهم لم يخرجوا عنها (٦) . وقد بنى لهم كسرى الحمامات وحلبات السباق ومنح سكانها مزايا

(١) سار — هرتسفيلد ، (١) ، ٢ ، ص ٥٩ وما بعدها .

(٢) انظر بروكوب BP, Procope ، (٢) ، ١٤ .

(٣) الرومية بالعربية .

(٤) تيوفيلكت ؟ Barhebraeus ؟ وانظر سار — هرتسفيلد في كتابه عن الآثار في

دجلة والفرات (٢) ص ٤٨ . (Arch. Reise) .

(٥) مسروج (٢) ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

(٦) الطبرى ، ص ٨٩٨ ، تولدكه ، ص ١٦٥ .

خاصة ، منها حرية العقيدة المسيحية ، وقد كانوا خاضعين للملك مباشرة كما كان لمدينتهم حق الحماية^(١) .

وفي غرب دجلة بقايا حائط معظمه من اللبن الذي جلب من بابل ، وكان هذا الحائط يحيط بمساحة تبلغ حوالى ٢٨٦٠٠٠ مترا ، وهو المكان الذى كانت فيه مدينة سلوقية ، أقدم المدن ، وقد أعاد بناء جزء منها أردشير الأول وسماها ويه — أردشير^(٢) . والحائط هو سور سلوقية أيام السلوقيين^(٣) . وكانت مدينة ماخوزا^(٤) متاخمة لسلوقية . وقد استخدم الكتاب السريان واليهود اسم ماخوزا مريدين كل بلاد سلوقية . وكانت ويه — أردشير مدينة كبيرة مرصوفة الطرقات ، وكانت حظائر البهائم مجاورة للمنازل في هذه المدينة ، لأن سكانها الأثرياء كانوا يملكون مواشى ترعى أثناء النهار في واد مستطيل مجاور لمدينة ماخوزا . يسمى عقبة ماخوزا . وكانت سوق المدينة كبيرة ، بها تجار النسيج من اليهود وتجار متجولون لشق السلع وكان الجمالون نشطين . وقد أثرت المدينة بفضل التجارة الراجحة ، وكانت السلام والأمان (الذهبية) تعتبر ضئيلة القيمة ، فكانت السيدات يهينها عن سعة للفقراء ، وكان جامعو الصدقات يأخذونها بدل النقود . وكان أهلها قليلي العناية بالأموال الروحية ، وقد اتهموا بالإفراط وإدمان الشراب والترفع ؛

(١) بروكوب ، BP (٢) ، ١٤ ، ١ — ٤ .

(٢) ويه — أردشير قد تكون أردشير الطيب « بالهلوية » . ولكن نولدكه (WZKM ، (١٦) ، ١٩٠٢ ، ص ٧) يرى أن معناها الحقيقى هو « بيت أردشير » ، لأن ويه هى بن الآرامية .

(٣) Sarre-Herzfeld (١) ، ص ٥٠ وما بعدها .

(٤) فى المفرد . قارن ما جاء فى ص ٣٦٧ وجاء فى نص آمين ((٢٤) ، ٥ — ٣) أن كوش ، كوخى عند السريانيين Koche هى تسمية أخرى لسلوقية . ولكن ما قد لاحظ (Mitt. d. Deutschen Orient-Ges) نمرة ٦٧ ، ص ١٨) أن اسم كوش قد أدخل خطأ فى نص آمين المحرف ، وأن نصا لزوسيموس ((٣) ، ٢٣ وما بعدها) يكاد يتفق تماما مع نص آمين قد ذكر الاسم Ζαυχάσι ، وهو خطأ أيضاً ، فيما يظهر . والحقيقة أنه وفقا لنص آخر فى كتابة آمين ((٢٤) ، ٦ ، ٢) تذكر كوش على أنها واقعة على بعد من مصب نهر ملكا فى دجلة .

« كانت النساء تأكل ولا تعمل ». ومن الصناعات التي اقتصت بها سلوقية — ماخوزا صناعة أكياس النقود ونوع من الحصير يحفف عليه التمر^(١). وكانت وية — أردشير مركز النصارى في إيران وقصر الجائليق . وكان بها الكاتدرائية — كنيسة سلوقية الكبيرة — التي ضربت أيام الاضطهاد إبان ولاية سابور الثاني ، وأعيد بناؤها بعد موته ثم أصلحت عدة مرات بالأموال التي كان يمنحها البلاط البيزنطي . وكان بها أماكن أخرى مقدسة ككنيسة القديس نركس (نرسيس ؟ St. Narkos) ، ومدرسة القسس التي أنشئت في القرن السادس . وكانت صومعة بيتيون في مدينة طيسفون بمعناها الأخص . وقد بنى بها كسرى الثاني كنيسة القديسة ماري والقديس سرج St. Serge^(٢).

وكان في وية — أردشير و طيسفون جالية يهودية كبيرة . وكان بها مدرسة يهودية للتعليم العالي منذ القرن الثالث ، وكان رأس الجالوت ، رئيس الجالية اليهودية في بلاد بابل (العراق) ، يقيم في ماخوزا^(٣).

و على نحو خمسة كيلومترات شمالى وية — أردشير كانت توجد مدينة صغيرة تسمى درز نيدان^(٤). وكانت مدينة بلاش — آباد (ساباط) على الشاطئ الأيمن لدجلة ، وهى المدينة التي بناها الملك بلاش (ولاش) ، ولعلها كانت غربى وية — أردشير^(٥).

(١) برلينر A. Berliner في كتابه عن جغرافية وشعب بابل : Beiträge zur Géographie und Ethnographie Babyioniens ، ص ٤٠ وما بعدها .

(٢) شترك Streck في كتابة عن سلوقية و طيسفون : « Seleucia und Ktésiphon » ص ٤٥ — ٤٦ .

(٣) برلينر في كتابه السابق ، ص ١٩ ، ٢٣ — ٢٤ ، ٣٩ — ٤٣ ، ٦١ — ٦٢ ؛ شترك ، ص ٢٧ و ٦٣ ؛ وانظر دائرة المعارف الإسلامية مادة المدائن .

(٤) شترك ، ص ٣٦ .

(٥) الطبرى ، ص ٨٨٣ نولده ، ص ١٣٤ ؛ لوسترايخ في كتابه عن بلاد الخلافة الممرقية « The Lands of the Eastern Caliphate » ، ص ٣٤ ، (الترجمة العربية لهذا الكتاب ص ٥٢ لبشير فرنسييس وكوركيس عواد) .

ويعرف من مجموعة المدن التي كانت تتكون منها العاصمة الفارسية أيام كسرى الأول خمس مدن : طيسفون القديمة ، ورومگان (الرومية) وهي على الشاطئ الشرقي للنهر ، وويه — أردشير (سلوقية) ، ودرزندان ، وبلاش — آباد على الشاطئ الغربي . ويكمل عدد المدن إلى سبع إذا نحن حسبنا حتى اسبانبور وحى ماخوزا على الشاطئ الأيمن مدينتين مستقلتين .

وقد كشفت الحفائر التي حفرت سنة ١٩٣١ — ٣٢ في أم السعائر والمعايرد (تلان في شرق وشمال طاق كسرى) عن أساس لمنازل ساسانية ، وقد استطاع وتشموث أن يعيد تخطيطها . وقد وجد هناك عدة قطع من زخارف من المصيص ، ونقوش زعف النخل ، وزهور براعم وتيجان من الورد ونقوش التوريق — نوع سابق على توريق الفن الإسلامي — وأشكال حيوانات وصفحات مستطيلة فيها صور الديبة والخنازير الوحشية وصورة لشجرة الحياة وعليها الطواويس وحجارة مربعة عليها تماثيل نصفية للأمرء والأميرات . ومن بين الأبقاض أيضاً حجارة من تماثيل صغيرة للراقصات واللاعبين على العود والسكرى نياما على سرير . . (١)

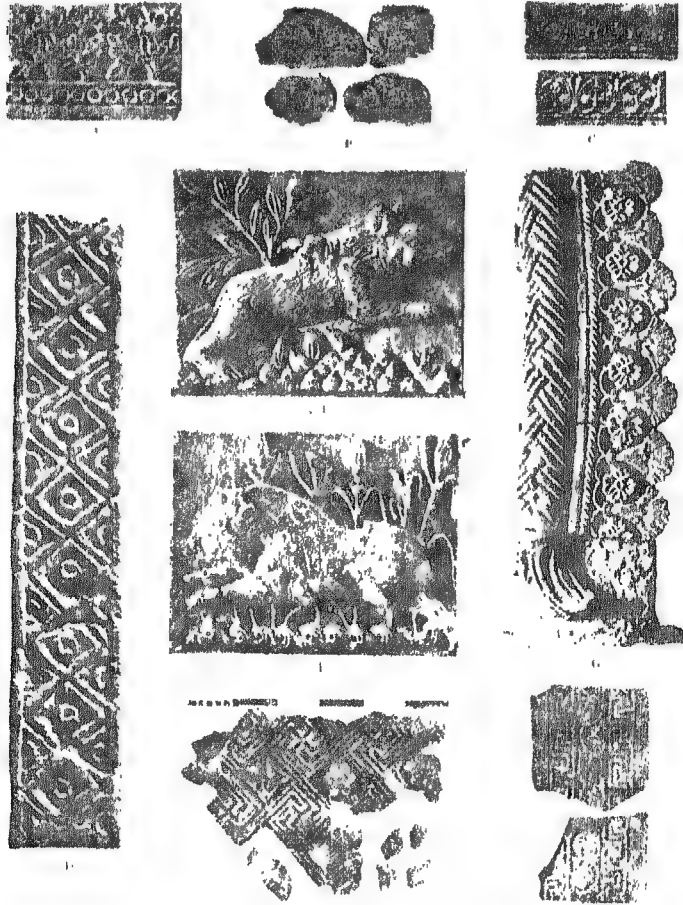
(رسم ٣٨) .

وكانت هناك قصور ملكية على شاطئ دجلة . وأيام سابور الثاني كان هناك قصر صغير جميل للعصيد يظلمه الشجر ، وكان مطلا على واد به أشجار الكرم والسرور خارج مدينة سلوقية . وكانت حيطان القصر مزينة على الطريقة الإيرانية بصور تمثل الملك في العصيد وهو يقتل الحيوانات المفترسة من كل صنف « لان رسوم هؤلاء الناس ونقوشهم لا تمثل غير أنواع المذابح والحروب » (٢) . وكان للملك يقيم أحيانا في طيسفون نفسها حيث كان قصره قريباً من النهر فكان رواح الناس وغدوهم على الجسر يقض مضجعه أحيانا : ومن أجل هذا أمر سابور الثاني ببناء جسر آخر . وكان قصر طيسفون هذا هو « القصر الأبيض » الذي هدمه الخليفة المعتضد والخليفة

(١) شميديت ، « Syria » ، ١٩٣٤ .

(٢) آمين مارسيلن Ammien Marcellin ، (٢٤) ، ٦ ، ٣ .

المتوكل لاستعمال أنقاضه في بناء قصر في بغداد ، بعد سقوط الدولة الساسانية بقرنين ونصف قرن^(١).



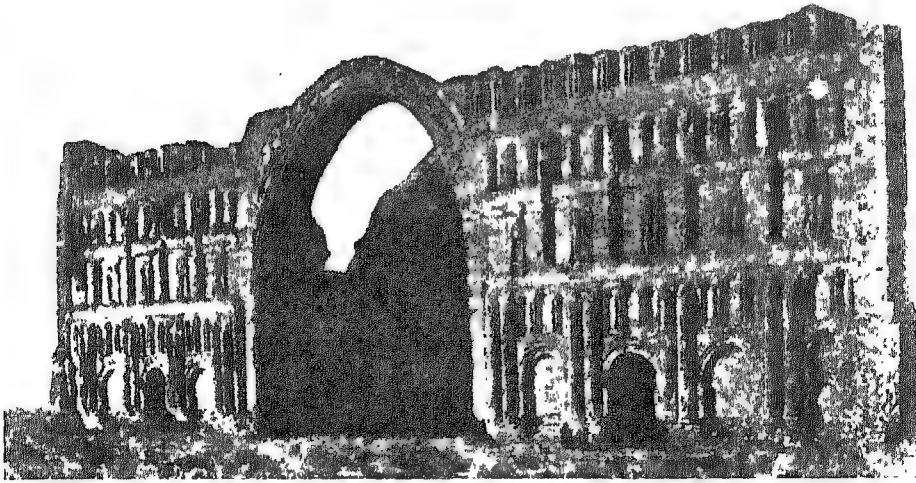
٣٨ . زخارف من الجص في طيسفون
(شملت ، ١٩٣١ - ٣٢)

وأشهر القصور التي شيدها الساسانيون طاق كسرى أو إيوان كسرى في أسبانيبر .
وهو القصر الذي تثير خرابته إعجاب الزائرين حتى اليوم^(٢) . (صورة ٣٩) وتفسب .

(١) سار — هرتسفيلد في آثار دجلة والفرات ، (٢) ، ص ٧٦ .

(٢) ويرجع التخریب الجزئي لهذا الهيكل إلى عمل أحد الخلفاء العباسيين الأوائل .
وينسبه معظم المؤرخين إلى المنصور (٧٥٤ / ١٣٧ - ٥٥) . وقد عدل عن الهدم لأن
الإنفاق عليه كان أكثر من الفائدة المرجوة منه . وقد ذكرت هذه الرواية بشكل خرافي =

الفصل ببناء هذا القصر لكسرى الأول . وقد نفى هرتسفيلد صحة هذه الرواية وقال إنه يرجع إلى عهد سابور الأول ، ولكن رويتر^(١) يدافع عن صحة الرواية الأولى : والطاق هو الإيوان في القصر الذي بناه كسرى الأول . وتبلغ المساحة التي تشغلها خرائب هذا القصر ثلاثمائة في أربعمائة متر (٣٠٠ × ٤٠٠) ، وهي تشمل الطاق



٣٩ . طاق كسرى كما كان حتى سنة ١٨٨٨

(ديولافوا . فن فارس القديم)

وبقايا بناء شقيقه على مسافة مائة متر منه تقريباً ، وتلاً في جنوبه يسمى حريم كسرى وفي شماله خرائب تحفيها مقبرة حديثة . والطاق هو الجزء الوحيد ، من هذه المجموعة الذي بقيت منه خرائب هامة . ووجهة هذا البناء شرقية يبلغ ارتفاعها ثمانية وعشرون أو تسعة وعشرون متراً ، وهي تتكون من حائط بلا نوافذ ولكن تزينه الطيقان

= رواية في «داراب هرمزيار» (٢) بمباي ١٩٢٢ ، ص ٢٤٤ ؛ انظر شترك (١) ص ٦١ ؛ وانظر ترجمة مقال روزنبرج لبجداثوف في J. Cama. Or. Inst. ، رقم ٣ ، ص ٢٩ وما بعدها .

(١) الآثار ، « The Antiquity » ، (٣) ، ديسمبر ، ١٩٢٩ ، ص ٤٤٧ .

وصور العمدة المنقوشة البارزة والعقود المصفوفة على أربع طبقات ، وحائط «سرى»
نجد نظيراً له في المدن الشرقية التي تأثرت عمارتها بالفن اليوناني وخاصة في تدمر .
وقد كانت هذه الوجهة مغطاة بالمصيص المنقوش أو بلوحات الرخام أو كما يقول بعض
الواصفين المحدثين بألواح من النحاس المذهب أو المفضض . ولكن هرتسفيلد لم
يستطع أن يجد أية إشارة في النصوص القديمة إلى هذا الرأي الذي ذكرته في كتابي
الإمبراطورية الساسانية « L'Empire des Sassanides » (ص ١٠٢) .
وكانت الوجهة كلها والهوا الأكبر قائمتين حتى سنة ١٨٨٨ . وقد سقط الجناح الشمالى
في تلك السنة وصار الجناح الجنوبى آيلاً للسقوط . وفي وسط الوجهة تشرف القبة
البيضاوية الهائلة ، شاملة سمك البناء كله ، وهى القبة التي تغطى بهو « الاستقبال »
التي تبلغ مساحتها ٢٥٠٦٣ عرضاً × ٤٣٧٢ طولاً . وكان خلف كل من جناحي
الوجهة خمسة أبواب أقل ارتفاعاً تعلوها قباب شديدة الاستدارة يسدها من الخارج
جدار مرتفع ، والظاهر أنه كان ، خلف الحائط الذي يسور القصر ، بهو مربع
في الوسط عند مخرج بهو الاستقبال ، وحجرتان أصغر حجماً على كلا الجانبين .
وكانت الجدران والقباب جميعاً من اللبن ، وكان ممكناً خارقاً للعادة^(١) . وقد كشفت
الحفائر الألمانية الحديثة عن بعض قطع زخرفية ساسانية من المصيص .

والطاق بناء بالغ في السداجة من حيث البناء ، وهو يفرض على ناظره الإعجاب
به ، بأبعاده الرائعة وضخامة أجزائه لا يجماله في جملة أو تفصيله . وكان المقام العادى
للملك . ويقول عنه ابن خرداذبه^(٢) : « ما بناء بالحص والاجر أبهى من إيوان
كسرى بالمداثن » . ثم يذكر الوصف الشعري الذي رواه البحتري فيه :

وكان الإيوان من عجب الصنف معة أجوب في جنب أرعن جلس
مشمخر تعلو له شرفات رفعت في رؤوس رضوى وقدر
ليس يُدري أصنع إنس لجن سكنوه ، أم صنع جن لإنس

(١) سار — هرتسفيلد ، (١) س ، ص ٦٠ — ٧٦ ؛ وقارن ديولافوا (٥) ،

رقم ٦ .

(٢) BQA ، (٦) ، ص ١٦٢ ، الترجمة ، ص ١٢٤ .

هناك كان يقيم الملك محاطاً بحاشيته العظيمة ، ومن هناك كان يدبر شئون الدولة . وتتصل بعض التفاصيل التي ذكرها الكتاب العرب عن النظم الإدارية بعهد كسرى الأول وخلفائه . كانت الإدارة العامة للدولة تستقر في المسكاتب (ديوان بالهلوية)^(١) . وكان يسودها نظام أحكم تحديده . وليس لدينا معلومات مباشرة عن عدد الدواوين وأعمالها الإدارية المختلفة . نعلم أنه كانت للملك أختام عدة : خاتم للسرى ، وخاتم للرسل ، وخاتم للتخليد يغتم به السجلات والإقطاعات وما أشبه ذلك من كتب التشریف ، وخاتم للخراج . وأظن أنه كان لكل من هذه الأختام ديوان واحد على الأقل . ولعل هذه القائمة غير كاملة ، فالظاهر أنه كان هناك دواوين للحرب والبريد والنقود والقاييس والمسكيب وربما كانت للأموال الخاصة وهكذا . وزيادة على هذا فعمل من الطريف أن ديوان المالية ، وهو أهم من جميع فروع الإدارة ، لم يشتمل على عدة دواوين كما كان الحال فيما بعد أيام الأمويين والعباسيين^(٢) . وقد ذكر البلاذري^(٣) بعض المعلومات عن سير الأمور وخاصة في الشؤون المالية ؛ كانت الرسائل بحمل المال تقرأ على الملك وكانت يومئذ تكتب في صحف بيض وكان صاحب الخراج (واستريو شانسلار) يأتي الملك كل سنة بصحف موصلة قد أثبت فيها مبلغ ما جبي من الخراج وما أنفق في وجوه النفقات وما حصل في بيت المال فيختمها ويخرجها . فلما كان كسرى پرويز تأذى بروائح تلك الصحف وأمر ألا يرفع إليه صاحب ديوان خراجه . ما يرفع إلا في صحف مصفرة بالزعفران وماء الورد . وكان ملك الفرس إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقيع (إيران — ديربند ؟) بين يديه وله خادم يثبت ذكره عنده في تذكرة تجمع لكل شهر فيختم عليها الملك بخاتمه وتخزن ثم ينفذ التوقيع إلى صاحب الزمام وإليه الختم فينفذه إلى صاحب العمل فيكتب به كتاباً من الملك وينسخ في

(١) هو يشمان في كتابه عن الأجرومية الأرمنية Armen. Gramm ، (١) ، ص ١٤٣ . وقد استخدمت الكلمة بعد ذلك في الإدارة الإسلامية . ويرى ابن خلدون في مقدمته ((١٧) ، ص ١٦ ، (٢٠) ، ص ١٩) أن كلمة ديوان استعملت في الأصل للدلالة على سجلات الدخل والنفقات ، ثم امتد استعمالها فشملت الأملاك التي يشتغل فيها موظفو المالية والجباة ، ثم شملت في النهاية جميع المسكاتب .

(٢) البلاذري نقلاً عن ابن المقفع ؛ انظر نولدكه ، ص ٣٥٤ ، ملحوظة ٢ .

(٣) نقلاً عن ابن المقفع ؛ انظر نولدكه ، ص ٣٥٤ ، عمدة ٢ .

الأصل ثم ينفذ إلى صاحب الزمام فيعرضه على الملك فيقابل به ما في التذكرة ثم يختم بحضرة الملك أو أوثق الناس عنده .

وكانت الأوامر الملكية والمعاهدات ووثائق الدولة الأخرى تختم بخاتم الملك وكان خاتماً نقش عليه صورة خنزير برى (وراز) . فإذا تضحنت الوثيقة التزاماً قبل دولة أخرى ، مستقلة كانت أو تابعة لإيران ، فإنها تشفع بكيس من الملح وتختم بخاتم الملك ، وذلك علامة للعهد الذى لا يتقض (١) .

وكان يحيط بالملك كثير من رجال الحاشية المحتازين المقربين . فكان هناك التسكرىذ ومنصبه يشبه منصب رئيس الديوان الملكى (٢) ، والأنديمان كاران سردار (أو سالار) وهو رئيس التشريعات (٣) ، والحرم باش وهو الموكل بالستار . وكان هناك نظار القصر ، ورؤساء المخازن والمربذ (السقاة) (٤) والپدشخور (الدواقين) (٥) والخوان سالار وهو رئيس أصحاب المائدة (٦) والحجاب (منكين سنيكپ) Senekepan وسنيكپ Senekapet فى الصيغ الأرمينية للقب الإيرانى (٧) ، والشاهبان أى القوام على الصقور (٨) ، والخوربذ (أو أخور سالار أو ستوربان) (٩) وهو رئيس

(١) فاوستوس البيزنطى ، Langlois ، (١) ، ص ٢٦٩ ؛ باتكانيان JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١١٣ . والمسعودى (مروج) (٢) صفحات ٢٠٤ ، ٢٢٨) حيث يصف تفصيلاً اختتام كسرى الأول الأربعة وأختام كسرى الثانى التسعة .

(٢) هرتسفيلد ، فى كتابه عن آثار بيكولى رقم ٩٩ . (Paikuli gloss.) .

(٣) يارتولومويو فى كتابه عن تاريخ إيران القديم Altiran. Wörterbuch ، ص ١٥٩ ، وفى بحثه عن الفقه الساسانى (Rechtsbuch) ، (٤) ، ص ١٦ ؛ وهرتسفيلد فى بيكولى رقم ١٠٠ .

(٤) هذا اللقب مشكوك فيه انظر هو بضمن فى الأجرومية الأرمينية (Armen. Grammatik.) ؛ (١) ، ص ٦٩ والملاحظة ٢ .

(٥) هوفان ، ص ٩٥ .

(٦) يقول الطبرى إن جماعة من عظماء الفرس ملكت أردشير الثالث وكان طفلاً صغيراً قيل إنه كان ابن سبع سنين ... وحضنه رجل يقال له ماه آذر جشمب وكانت مرتبته رئاسة أصحاب المائدة ، الطبرى ، ص ١٠٦١ ، نولدكه ، ص ٣٨٦ .

(٧) باتكانيان ، (١) ، ص ، ص ١١٥ .

(٨) المصدر السابق .

(٩) هو بضمن ، (١) ، ص ، ص ٩٣ ؛ كارنامك ٣ — ٢ .

الاصطبلات ، والدربان — سردار^(١) أى كبير البوابين وغيرهم . وكان يحيط بالملك حرس عديد قوى يسمونه پشتيگيان^(٢) ورئيسهم پشتيگيان سالار . وكانت مهمة الحرس الدفاع عن الملك والقيام بحراسته وكان رئيسهم يتمتع بأوسع جاه في البلاط^(٣) . ونجد أيام كسرى أن وظيفة الهزاربند ، أى رئيس ألف رجل ، لم تبقى وظيفة وزير ولكنه أصبح رئيساً للحرس الملكي^(٤) ، أى بالمعنى الصحيح للكلمة . وقد يجب أن نفهم من كلمة همهرز ضباط الحرس الملكي ، پشتيگيانها ، أو ضباط حرس آخر^(٥) . وقد كان هذا الحرس في آخر عهد الساسانيين مكوناً من النبلاء^(٦) . وحين يغطي الملك جواده يقف له حرسه سباطين عليهم الدروع والبيض والترسة والسيوف وبأيديهم الرماح فإذا حاذى بهم الملك وضع كل رجل ترسه على قربوس سرجه ثم وضع جبهته عليه كهية السجود^(٧) .

وكان هناك طوائف أخرى ذات شأن كبير في الدولة الساسانية لما كان لرجالها من تأثير شخصي على الملك . وهؤلاء هم : أولا المنجمون ، احترامار ، ورئيسهم احتراماران

- (١) اونوالا Unvala في الملك كسرى وغلماه : « King Husraw and his Boy »
 نبذة رقم ١٨٩ . ويذكر الـ كارنامك الذي نشره نوشروان (بمباي ١٨٩٦ ، ص ٣١ ،
 فقرة ١٤٧) لقب دران — دربند ، رئيس جميع الأبواب . أما النص الذي نشره پشتن
 سنجانا Peshotan Sanjana فإنه لم يذكر من هذا اللقب غير حرفيه الأولين (١٠ — ٧) .
 (٢) هوبشمان Hübschmann ، ص ٢٥٥ .

- (٣) جاء ذكر الـ — پشتيگيان سالار في الـ — كارنامك كأحد خلصاء الملك مع
 الموبدان موبد وإيران سپاهبد وديران مهيست ورئيس الأساورة (١٠ — ٧) .

- (٤) انظر ص ١٠٠ . تافاديا ، Eiene Tischrede aus der Zeit der Sasaniden
 ص ٩٦ .

- (٥) وعلى أى حال فإن همهرز وظيفة ممتازة جدا . وقد سمي الأرمن انتيجون همهرز
 الإسكندر الأكبر (Hübschmann, Armen Gramm ، (١) ، ص ١٢٧) .

- (٦) وكذلك فإن الجند الماديين في حرس الملك كانوا نبلاء . (انظر تولدكه ، الطبرى ،
 ص ٣٩١ ، ملحوظة ١)

- (٧) الطبرى ، ص ١٠٦٣ ، تولدكه ، ص ٣٨٩ .

سردار ، وكانوا من طبقة الكتاب^(١) ، والكهان ، وكان الملوك الساسانيون يستشيرونهم كما كان يفعل أسلافهم البرتيون : فكان سابور الثاني « يستشير كل القوى الجهنمية ويسأل الكهان عن المستقبل^(٢) » ، ودعا يزدگرد ساعة ولد ولده بهرام بمن كان يبايه من المنجمين فأمرهم بإقامة كتاب مولده^(٣) . وقد جمع كسرى الثاني حزاته الستين وثلاثمائة (العلماء من بين كاهن وساحر ومنجم) ليحسبوا له أحسن الأوقات ليبنى سد دجلة العوراء ، فلما غلط حسابهم قتل منهم مقتلة عظيمة^(٤) . ويؤكد أجنائاس^(٥) أنه مامن شك في أن رجال الدين أنفسهم كانوا يمارسون قراءة الغيب . وعلى هذا النحو ورث المجوس ميراث شيوخ الكلدانيين . وبعد هؤلاء كان أطباء البلاط دُرُست بد ، وكانوا أيام كسرى الأول ، غالباً ، من النصارى^(٦) ، ثم شعراء البلاط . وأما الخصيان ويبدو أن رئيسهم كان يلقب بلقب مرّبد^(٧) ، فكانوا من ذوي الخطر ولعلمهم لم يدخلوا في زمرة النبلاء قط .

وكانت الجلسات العامة تكون في بهو الاستقبال الملكي بالطاق (الإيوان) . ففي تلك الأيام كانت الجماهير تتدفق أمام البوابة العظيمة التي هي باب بهو الاستقبال (أبادانا^(٨)) ولا تلبث القاعة الكبيرة أن تنص بالوافدين . وكانت أرض القاعة مفروشة بالسجاجيد العظيمة ، وكذلك كانت تعلق السجاجيد على الجدران ، والأجزاء العارية من الجدران كانت عليها لوحات من الفسيفساء أعدت بأمر كسرى الأول ولعل الصناع الذين قاموا بعملها هم من الروم الذين أرسلهم الإمبراطور جستنيان إلى

(١) كتاب تفسر ، ص ٢١٤ ، ١٨٠ من طبعة دار مستر ، ميني ، ص ١٢ الترجمة العربية ص ٣٣ .

(٢) آمين مارسلن ، (١٨) ، ٤ ، ١ : فارن فاوستوس اليزنطى ، Langlois ، (١) ، ص ٢٧٠ .

(٣) الطبرى ، ص ٨٥٤ ، نولدكه ، ص ٨٦ .

(٤) الطبرى ، ص ١٠٠٩ ، نولدكه ، ص ٣٠٤ وما بعدها .

(٥) (٢) ، ٢٦ .

(٦) لابور ، ص ١٩٢ و ٢١٩ . أما عن الطب فانظر هذا الفصل بعد ذلك .

(٧) هو بيشان ، Armen. Gramm ، (١) ، ص ٦٩ ، ملحوظة ٢ .

(٨) انظر عن الأبادانا ص ١٥٤ من كتاب الفنون الجميلة عند القدماء لمحمد فؤاد رايط .

كسرى^(١). ومن بين هذه اللوحات مائثل حصار أنطاكية والمعارك التي دارت حول هذا البلد وقد صور فيها كسرى بملابس خضراء ممتطياً صهوة جواد أصفر وكان يستعرض صفوفاً من الجند الإيرانيين والبيزنطيين^(٢). وكان العرش موضوعاً في أقصى القاعة ، خلف الستار ، وقد أحاط به الضباط العظام والنبلاء وكانوا يقفون على بعد من الستار وفقاً لسنن المراسيم^(٣) وكان هناك حاجز ، بلاشك ، بين رجال البلاط والعطاء وبين جمهرة الشعب ، وجفأة يرتفع الستار ويظهر الشاهنشاه وقد جلس فوق عرشه على وسادة من الديداج المذهب ، وكان يرتدى ثوباً ثميناً موشى بالذهب . وكان التاج موشى بالذهب والفضة ومطعم بالياقوت والزبرجد والألؤلؤ ، معلقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاق مجلسه ، ذلك لأن عنقه كانت لا تحمل تاجه إنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه في التاج ، وهو يزن واحداً وتسعين ونصف كيلوجرام . ومنظر هذا الإيوان الفخم الذي ينفذ إليه ضوء أخاذ من خلال الخمسين ومائة كوة التي في القبة والتي يبلغ قطر كل واحدة منها من اثني عشر إلى خمس عشرة سنتياً ، هذا المنظر الفخم كان يدهش من يراه لأول مرة فيركع لهيبته . وعند ما يغادر الملك القاعة بعد انتهاء المجلس ، يبقى التاج معلقاً فيلف بستار من الديداج حتى لا يتسرب إليه التراب . ويضيف البلعمرى على ذلك أن هذا التقليد من وضع كسرى الأول وأنه ظل متبعاً في عهده وعهد خلفائه^(٤) . والحلقة التي تثبت بها السلسلة التي كانت تحمل التاج لم تنزع من مكانها إلا في سنة ١٨١٢^(٥) . وكان منظر الملك وقد زين بحليته كله عظيماً رائعاً ولكن كان وحشياً كذلك . يصف جان كريستوم Jean Chrysostôme بطريقة لإجلال فيها أحد ملوك إيران

(١) تيوفيلكت ، (٥) ، ٦ ، ١٠ .

(٢) سار — هرتسفيلد ، Arch.Reise ، (٢) ، ص ٧٠ .

(٣) انظر ما بعده

(٤) الطبري ، ص ٩٤٦ ، نولدكه ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ ؛ الثعالبي ، ص ٧٠٠ ،

البلعمرى ، الترجمة لزوتنبرج ، (٢) ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

(٥) جستى ، Geschichte des alten Persiens ، ص ٢١٠ .

في القرن الرابع بقوله : « يلبس لحية مذهبة وله هيئة الحيوان الجليل »^(١). ويصف تيوفيلاكث Théophyllacte هرمزد الرابع ، الذي خلف كسرى الأول ، وهو جالس على العرش الملكي متشعاً بثوب نفيس : « كان التاج من الذهب على بالجواهر ، وكان الياقوت الذي رصع به يشع عظمة ، وقد أحيط بصف من اللآلئ كانت تلمع فوق التاج وقد انعكس نورها المتموج على ألوان الزمرد الزاهية ، حتى أن العين كانت إذا وقعت عليه تقع في عجب محير . وكان يلبس سروالاً مزخرفاً بالذهب ، منسوجاً باليد ، غالى الثمن ، كان لباسه في الجملة يدل على الأبهة التي يتطلبها من يحب التيه »^(٢) .

ومن الممكن أن ينطبق هذا الوصف على كسرى الأول ، فقد وصفه حمزة^(٣) ، نقلاً عن الكتاب الذي كان يحوى صور ملوك الساسانيين بقوله^(٤) « شعاره أبيض ووشيه ألوان مختلفة وسراويله على لون السماء قاعداً على السرير معتمداً على سيفه » . ونراه على هذا الشكل مصوراً على كأس أنيق من كؤوس المكتبة الأهلية بباريس . فقد نقشت صورته على البلور الصخري وأحاط به ثلاثة صفوف من المينا عليها رسوم الورد الأحمر ثم الأبيض بالتوالي ، وقد ركبت على الذهب . (رسم ٤٠) وقد جلس الملك في الصدر على عرش تحمله الخيول ذات الأجنحة معتمداً يديه على السيف^(٥) ، ولعله هو الملك كسرى الأول الذي يظهر أيضاً في صخور شابور^(٦) في نقش من نقوش النصر . وهذا النقش قد تم عمله بطريقة غير محكمة ، وهو يحتوى على صفتين من العصور . ففي الصف الأول جالس الملك في الوسط ، جلسة

(١) انظر نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٥٣ .

(٢) تيوفيلاكث ، (٤) ، ٣ .

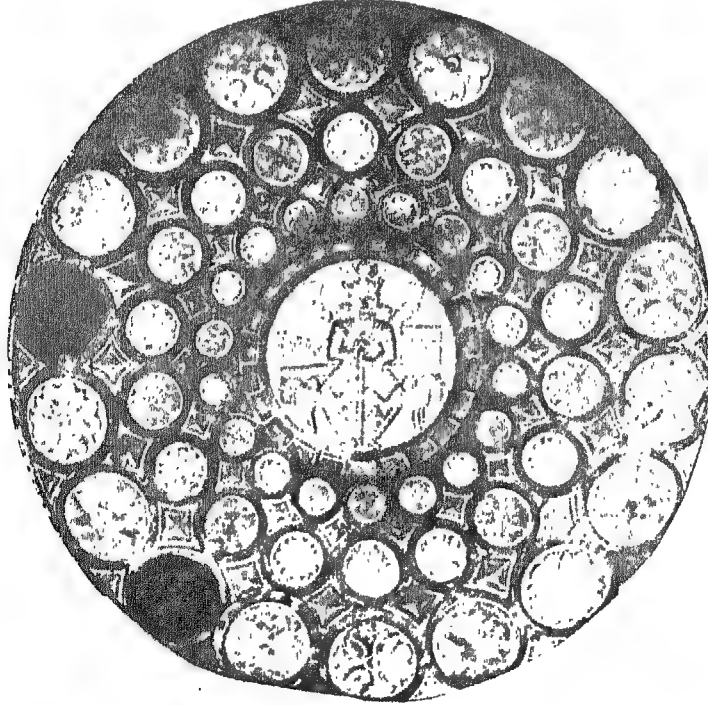
(٣) جوتولد . ص ٥٧ . الترجمة ، ص ٤٢ .

(٤) انظر قبل هذا ص ٥٤ — ٥٥ .

(٥) ديولافوا ، ج (٥) ، لوحة ٢٢ ؛ Cat. des camées de la Bibliothèque nationale ، رقم ٣٧٩ ؛ سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ١٤٤ .

(٦) فلاندان وكوست ، لوحة ٥٠ ، اندرياس وستولز ، Persopolis ، لوحة ١٣٨ .

تذكرنا بكسرى الأول في السكاس المذكورة آنفاً مع فارق واحد هو أن اليد اليسرى وحدها تعتمد على السيف ، بينما يده اليمنى تعتمد على عصا أو رمح ، وعلى

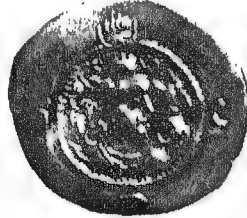


٤ . صورة كسرى أنوشروان على كاس
(سار . فن فارس القديمة)

يسار الرائي عطاء الدولة وقد وقفوا حسب العادة مادين أيديهم اليمنى في مستوى الوجه . وفي يمين النقش صورة الأسرى يساقون أمام الملك . وفي الصف الأسفل يرى على اليسار العسكر الإيرانيون مع حصان من خيل الميدان ، وعلى اليمين رجل يمسك بيده رأساً مقطوعة ، ثم الأسرى ، وشخص راكب فيلا ، ورجال كثيرون يحملون آنية وأشياء أخرى من الغنائم^(١).

(١) أراد سار ، الذي يرى في التشابه بين صورة الملك في النقش ورسمة على السكاس أنه ملك واحد في الاثنين ، أن يجعل هذا الملك كسرى الثاني (س ٢١٣ من Iran. Felsreliefs) ؛ ولكن هرتسفيلد ينسب السكاس إلى كسرى الأول ، (الجزء ٤١ ، ص ١٤ من Der Thron des Khosrô ، Jahrb. der preuss. Kunstmmlungen . والتاج الذي يعلو مفرق الملك هو من غير شك تاج كسرى الأول ، أما النقش فإن شكل التاج لا يتميز بوضوح .

وأما في النقود فإن كسرى يظهر بشاربه ولحيته المديبة كالمعتاد ، وقد لبس
العقد اللؤلؤى والتاج المجنح تعلوه كرة مثبتة في هلال . (صورة ٤١)



٤١ . من نقود كسرى أنوشروان

(متحف كوينهاجن)

وكان على من يمثل في الحضرة الملكية أن يسجد حسب التقليد القديم . ويحكى
الطبرى أن مجوانى ، صاحب رسائل يزدگرد ، دخل على بهرام الخامس فراعه
ما رأى من وسامته وهائه وأغفل السجود دهشاً ، فعرف بهرام أنه إنما ترك السجود
لما رآه من روائه^(١) فعفا عنه . وكان ال — پشتيكيان — سالار ، أو ضابط عظيم
غيره من حرس الباب ، يرفع إلى الملك إسم من يريد أن يتكلم معه . فإذا أذن
الملك بذلك دخل الرجل وهو يجذب من كمه شستقة بيضاء تقيه يغطي بها فمه ،
وهذا هو ال — پداهم Padham في (الأوستا Paitidana) الذى يستعمل لمنع
أنفاس الإنسان من تلويث الأشياء المقدسة ، كالأناصر وغيرها ، ويستخدم في هذه
الحالة لوقاية جلال الملكية . فإذا احتاط الداخل هذا الاحتياط ، اقترب ، ثم ألقى
بنفسه على الأرض أمام الملك ، ويبقى في هذه الهيئة إلى أن يأمره الملك بالوقوف ،
فيقف ويكفر بين يديه^(٢) ، فإذا دعاه الملك للكلام بدأ حديثه ببعض الجمل المناسبة

(١) الطبرى ، ص ٨٥٩ ، نولده ، ص ٩٢ — ٩٣ .

(٢) من المحتمل أن يتم ذلك على النحو الذى نرى في النقوش : بعد سبابة اليد اليمنى إلى
الأمام . وقد وصف الطبرى الرسم المشار إليه (ص ١٠٤٨ ، نولده ، ص ٣٦٦ وما بعدها)
في مناسبة خاصة هي حين مثل رسول الملك شيروية أمام الملك المخاوع كسرى پرويز لينقل
إليه رسالة الملك الجديد . وكان كسرى سجيناً ، قد ولى وظيفة صاحب الستر أحد قادة الجند
(كان قد وكل بحراسته) ، وقد عومل كسرى ، مع أنه مخاوع ، كما يعامل الملك العامل .
انظر نولده ، (١) ، C ، ملحوظة ٣ .

التي تعبر عن دعائه للملك . وكانت الصيغة الشائعة أن يقول له : « خلدك الله » —
أنوشك بَويد — أو حقق الله رغباتك^(١) وهكذا .

وكان ملوك الساسانيين يلقبون بلقب شماغ بغان (أنتم الكائنات الإلهية)
أو قدسيتم^(٢) . ويقال للملك مردان بهلوم أو الإنسان الأول^(٣) . فكان المخاطب
له لا يذكر اسمه . وقد ذكر الجاحظ في كتاب التاج^(٤) أن القاعدة أن الناس
لا ينادون الملك باسمه أو لقبه ، لا في الأشعار التي يوجهونها إليه ولا في المناسبات
الرسمية . وكان من المحرم أن يدعو الناس إذا كان الملك يصلى ويقول آمين .
« الملك الطيب له امتياز وواجب أن يصلى لرعيته الطيبة ولكن الشعب الطيب
لا يصلى للملك الطيب لأن دعاء الملك الصالح أقرب إلى الله »^(٥) . ومن ناحية أخرى
كانت الفوارق بين الملك والرعية ظاهرة بطرق مختلفة . كان ملوك العجم تمنع أن
يشاركها الرعية في الحجامة والفصد وشرب الدواء يوم تفعل ذلك ، وكانت تعاقب
من يفعل أحد هذه الأفعال يوم يفعلها الملك ، وتقول : إذا أراق الملك دمه فليس
لأحد أن يريق دمه في ذلك اليوم حتى يساوى الملك في فعله ، بل على الخاصة والعامة
الفحص عن أمر الملك والتشاغل بطلب سلامته وظهور رعايته وكيف وجد عاقبة
ما يعالج به^(٦) .

وأما نظام المراسم أو الآداب (الإتيكت) الصارم الدقيق الذي كان يسود البلاط
الساساني فلدينا معلومات ذكرها الجاحظ في كتابه التاج في مناسباتها ، ولعلها

(١) كارنامك ، ٩ ، ١٦ و ١٠ ، ٧ .

(٢) قارن هرتسفيلد في Paikuli Gloss ، رقم ٨٨ .

(٣) تافاديا ، Eine Tischrede aus der Zeit der Sasaniden ، ص ٦ و ٨ .

(٤) طبعة القاهرة ، ص ٨٣ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٩٠ .

(٦) طبعة القاهرة ، ص ٨٩ — ٩٠ . ويضيف الكاتب أن كسرى الأول كان
أكثر ما يحتجم يوم السبت ، وكان المنادي إذا أصبح في كل يوم سبت نادى : يا أهل الطاعة
ليكن مشكم ترك الحجامة في هذا اليوم على ذكر . والملاحظة طريفة لأنها تبين أنه كان لديهم
معرفة بالأسبوع (انظر ص ١٥٩ الملاحظة ١) .

مستمدة من «جهان نامك» أو «آيين نامك»^(١). يصف المؤلف طبقات خاصته الثلاث : الأولى الأساورة^(٢) وأبناء الملوك ، وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستار . ثم الطبقة الثانية وكان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم . ثم الطبقة الثالثة وكان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية وهم الضحكون وأهل الهزل والبطالة ، ولم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعفه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوف (مصاب بآفة) ولا مرمى بأبنة ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ولو كان يعلم الغيب مثلاً^(٣).

يتول الجاحظ^(٤) إن أردشير جعل مقابل الطبقة الأولى أهل الخدافة بالموسيقىات والأغاني فكانوا يازاء هؤلاء نصب خط الإستواء . وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك وبطانته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات ، وكان الذي يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والضحكين أصحاب الونج والعاظف والطناير . وكان لا يزم الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من المغنين ، وإن أمره الملك وهو في حالة سكره بذلك راجعه واحتج . إلا أن الملك كان ربما غلب عليه السكر حتى يؤثر فيه ، فيأمر الزامر من الطبقة الثانية أو الثالثة أن يزم على الغنى من الطبقة الأولى فيأبى ذلك ، حتى أنه ربما ضربه الخدم بالمرأوح والمذاب فيكون من اعتذاره

(١) «كتاب الأغاني» الذي ورد ذكره في الصفحة ٢٢ (١ — ١٣) من طبعة القاهرة ينبغي أن يصحح فيما أظن بكتاب الآيين = آيين نامك .

(٢) يتحدث الكاتب عن أساورة من أبناء الملوك ، ص ٢٥ . انظر قبل هذا ص ٣٥٢ (٣) يذكر السعودي (مروج ، (٢) ، ص ١٥٣) هذا الرسم مع غلط فيه ، فيجعل الندماء والمحدثين في الطبقة الأولى وبعد في الطبقة الثانية وجوه المرازبة وملوك السكون والإصميين . ويرى الثعالبي أن الملك ولاش قد جعل في حاشيته أصحاب الفكاهات كي يساعدهم بفكاهاتهم على تصريف شئون الدولة ، ولكي يجعلوه معتدل المزاج ؛ ولكنه حظر عليهم أن يقربوه في ثلاثة أماكن ، مكان العبادة ، وكان الاستقبالات العامة وحيث تدور الحركة .

(٤) ص ٢٥ — ٢٨ .

أن يقول « إن كاث ضربى بأمر الملك ومن رأيه فإنه سيرضى عني إذا صحا بلزومى مرتبى ». وقد وكل أردشير غلامين ذكيين ، لا يفارقان مجلسه ، يحفظ ألفاظه عند الشرب والمنادمة . فأحدهما يُملى والأخر يكتب حرفاً حرفاً ، وهذا إنما يفعلانه إذا غلب عليه السكر . فإذا أصبح ورفع عن وجهه الحجاب قرأ عليه الحاجب كل ما لفظ به في مجلسه إلى أن نام . فإذا قرأ عليه ما أمر به الزامر ومخالفة الزامر أمره دعا بالزامر خلع عليه وجزاه الخير وقاله له : أصبت فيما فعلت وأخطأ الملك فيما أمرك به ، فهذا ثواب صوابك . وكذلك العقوبة لمن أخطأ ، وعقوبى ألا نزمزم اليوم إلا على خبز الشعير والخبز . فلا يطعم في يومه ذلك غيرها . ويضيف الجاحظ أن ملوك العجم لم يزالوا على ذلك حتى ملك بهرام گور فأقر مرتبة الأشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران على ما كانت وسوى بين الطبقتين من الندماء والمغنين ورفع من أطر به وإن كان من أوضع الدرجات إلى الدرجة الأولى ، وحط من قصر عن إرادته إلى الدرجة الثانية ، فأفسد سيرة أردشير في المغنين وأصحاب الملاهى خاصة (١) وقد استمر هذا الحال حتى ملك كسرى أنوشروان فرد الطبقات إلى مراتبها الأولى . وكانت ملوك الفرس تحتجب عن الندماء بستارة كما قلنا . والمستارة من الملك على عشرة أذرع ، وهى من الطبقة الأولى على مثل هذا القدر ، فبين الملك وبين أول طبقة عشرون ذراعاً . ويصف الجاحظ (٢) والمسعودى (٣) ، مع اتفاق لفظى فى جزء من النص ، النظام الذى كان متبعاً فى هذه المناسبات : كان الموكل بحفظ الستار رجلاً من أبناء الأساورة (٤) يقال له « خُرّم باش » — كن مرحاً — فكان إذا جلس الملك لندمائه وحاشيته أمر الخُرّم باش رجلاً أن يرتفع على أعلى مكان فى قرار

(١) فى رواية الجاحظ بعض الغموض . ويقول المسعودى (ج ٢) ، ص ١٥٣ ، وهو يتبع نفس مصدر الجاحظ ، « إن بهرام غير طبقات المغنين ورفع من كان بالطبقة الوسطى إلى الطبقة العليا والطبقة الدنيا إلى الوسطى » . أما « المراتب السبع » (انظر هنا ص ٣٥٥) وطبقات رجال البلاط الثلاث فهما هيتان مختلفتان ويصفهما المسعودى ، كلا على حدة .

(٢) ص ٢٨ — ٢٩ .

(٣) مروج ، (٢) ، ص ١٥٨ وما بعدها .

(٤) انظر قبل هذا ، ص ٣٥٣ و ٣٨٥ .

دار الملك ويغرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول : يا لسان احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك ، ثم ينزل . . . فلا يجترئ أحد من خلق الله أن يدير لسانه في فيه بخير ولا غيره حتى تحرك الستارة ، فيطلع القائم عليها فيؤمر بأمر فينفذه ويقول : افعل يا فلان كذا وتغنى أنت يا فلان كذا وكذا^(١).

وبشير الجلاحظ إلى تقليد جديد يتعلق بهذه المجالس^(٢) ، قد أدخله أردوان الأحمر^(٣) وهو أن من كانت له حاجة من الحاضرين عند الملك فعليه أن يكتبها في رقعة ويرفعها « قبل شغلي »^(٤) وذلك حتى يفهم ما فيها ويبدى رأيه وهو صحيح العقل جامع الفكر . فمن سأل في غير هذا الوقت حاجته ضربت عنقه ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى ملك بهرام گور فكان يقول للندماء : « إذا رأيتموني قد طربت وخرجت من باب الجذ إلى باب الهزل فسلوا حوايجكم » ، وكان يوكل بحوايجهم صاحب الستارة فكان إذا سكر مد الناس أيديهم برفاعهم فأخذها صاحب الستارة فألقاها إليه فأخذها بيده وضعها عليها ثم رعى بها من غير أن ينظر في شيء منها ويقول انفذوا كل ما فيها . ولكن هذا الإسراف الذي لا حد له قد ترك بعد انقضاء عهد بهرام . فكانت المطالب فيها ترفض .

وإذا هم الملك بالمسير في نزهة أو لبعض أموره فإن الأساورة والديبريد والموبدان موبد ، ومن أشبه هؤلاء من خاصة الملك ، يعرضون دوابهم على راحة الملك وصاحب دوابه ، لأنه ينبغي أن لا يكون حصان أحدهم بليداً أو كثير النفور أو العثار أو الجراح فيكون على الملك من ذلك بعض ما يكره . ويجب ألا يطلب الحصان المحاذاة لسير دابة الملك وإن أراد ذلك منعه راكمه . ويجب ألا يروث أو يبول أو يتحصن أو يتشعب ، ولذا كان على الأساورة ألا يطعموا دوابهم في اليوم السابق على الخروج

(١) سنتناول الموسيقى في الفصل التالى .

(٢) ص ٢٩ — ٣٠ .

(٣) ملك أشكاني اسمه أردوان (٤) .

(٤) قراءة هذه الكلمة تنقل أفضل من أن نقرأ شغلي .

مع الملك ^(١) فمسايرة الملك في رحلة كان واجباً ثقيلاً وشرفاً غير مستساغ عند العطاء وكذلك لم يكن الملك يتأخر على مسايرة أحد من بطاقته بعينه ، لما كان يعلم من طيرتهم من ذلك وكراهمتهم له ^(٢).

وكانت حرمة مجلس الملك إذا غاب كرمته إذا حضر . وكان للملوك عيون على مجالسها إذا غابت عنها . فمن حضرها فكان في كلامه وإشارته وقلة حركته وحسن ألفاظه وأدبه — حتى أنفاسه — على مثل ما يكون إذا حضر الملك سمي ذا وجه . ومن خالف أخلاقه وشيخه وظهر منه خلاف ما يظهره بحضرة الملك سمي ذا وجهين وكان عند الملك منقوصاً متصنعاً ^(٣).

وقد احتاط الملوك الساسانيون لأنفسهم خشية الاعتداء عليهم . فلم يكن أحد يعرف أين ينامون . وأما أردشير بن بابك وسابور وبهرام وزدگرد وپرويز وكسرى أنوشروان فكان يفرش للملك منهم أربعون فراشا في أربعين موضعاً ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الانفراد لا يشك أنه فراش الملك خاصة وأنه نائم فيه ، ولعله ألا يكون على واحد منها ، بل لعله ينام على مجلس رقيق وربما توسد ذراعه فنام ^(٤).

ولم يكن لأحد الحق في أن يدخل غرفة الملك الخاصة ؛ حتى ابن الملك كان عليه أن يستأذن قبل أن يدخل . ويحكى الجاحظ بهذه المناسبة قصة طريفة ^(٥) . فإنه يقال إن زدگرد رأى ابنه بهرام ^(٦) وكان في الثالثة عشرة بموضع لم يكن له ^(٧) فقال

(١) الجاحظ ، ص ٧٧ وما بعدها ، قصة عن الموبد الذي راث حصانه في حضرة قباد الأول .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٠ .

(٣) الجاحظ ، ص ٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

(٥) ص ١٢٥ .

(٦) بهرام گور فيما بعد .

(٧) يقول الطبري (ص ٨٥٧ ، نولده ، ص ٩٠) إن بهرام قد ربى في حِجر الملك العربي المنذر منذ نعومة أظفاره ، وإنه عاد بعد ذلك إلى بلاط أبيه وظل فيه بعض الوقت .

مررت بالحاجب ؟ قال نعم . قال وعلم بدخولك ؟ قال نعم . قال فاخرج إليه واضربه ثلاثين سوطاً ونحّه عن السرّ ، ووكّل بالحجابة آزاد مرد . ففعل ذلك بهرام . فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل دفع آزاد مرد في صدره دفعة أوجعته كثيراً وقال : إن رأيتك بهذا الموضع ثانية ضربتك ستين سوطاً ثلاثين منها للجنايتك على الحاجب بالأمس ، وثلاثين لثلاث طمع في الجناية على . فبلغ ذلك يزدگرد فدعا آزاد مرد فخلع عليه وأحسن إليه .

وعلى الملك أن يكون جواداً لرعاياه ، وعلى حاشيته خاصة ، فإن جود الملك هو مظهر عظمة المملكة ويبقى له ذكرى طيبة من بعده . يروى نظام الملك أن من عادة ملوك الفرس أنه كلما قال الملك « زه » معرباً عن رضائه عن عمل أو شيء يعرض عليه كان على أمين الخزانة أن يعطى الشخص الذي سر به الملك مبلغ ألف درهم^(١) . وفي « الكارنامك »^(٢) كان كبير الموازنة الذي ينقل خبراً ساراً للملك يكافأ بماء فيه من الياقوت وقطع الذهب ، والآلى الملكية والحلى . وهى طريقة فريدة في مكافأة ما يؤدى للملك من الخدمات ، ولدينا أمثلة على اتباع هذه الطريقة في العهود الإسلامية^(٣) .

وكان الملك الساساني يقدر للرجل من خاصته وبطانته تقديراً وسطاً بين الإسراف والاقتصاد في مؤنه كلها وحوائجه خاصها وعامها . فإذا كان التقدير على

(١) سياست نامه ، طبعة شبفر ، س ١١٨ ، الترجمة ، س ١٧٣ — ١٧٤ . وإذا كانت الروايات التي ذكرت لتوضيح هذا الرسم مأخوذة عن التاريخ الساساني بتمامها . فإنه يبدو جلياً أن كلمة « تخمى سامانيان » التي جاءت في السطر ١٣ من النص الفارسي ينبغي أن تقرأ « تخمى ساسانيان » . أما عن علامة الإغراب « زه » (لعلها = زى) (> زيو) ، أى فلتعش ، بالنطق السريع) فقارن تاريخ اليعقوبي ونشر هوتسما ، س ١٩٢ ، ١ — ١٢ . وهذه الكلمة « زه » تستخدم حتى الآن في الفارسية الحديثة .

(٢) ١٠ — ١٤ .

(٣) انظر القصة التي رواها نفلای عروضی في چهار مقاله (نشر ميرزا محمد مزويي ، س ٣٠ والترجمة الإنجليزية لبرون Browne ، س ٣٨) ، حيث أمر السلطان محمود الغزنوي بماء فم الشاعر العنصرى ثلاث مرات مكافأة له على حسن الارتجال . انظر الترجمة العربية لعزام والحشاب س ٤٣ .

الجهة التي وصفنا عشرة آلاف درهم في الشهر وكانت للرجل ضيعة فإنه لا ينضم شيء منه في نظير هذه الضيعة التي أفادها من صلات الملك ، وأمر أن يدفع إليه في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم لأنزله ونفقاته وحوائجه بحيث لا يحتاج إلى طلب المال من الملك^(١).

وكان الملك^(٢) إذا زار وزيراً من وزرائه أو عظيماً من عظمائه (للتعظيم لا لغيره)^(٣) أرضحت الفرس^(٤) تلك الزيارة ، وخرجت بذلك التاريخ كتبهم إلى الآفاق والأطراف . وكانت السنة أن من زاره الملك للتعظيم أن توغر ضياعه (تعفى من الضرائب) وتوسم خيله ودوابه لثلاث سنين ، ويأتيه خليفة صاحب الشرطة كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة راجل ، يكون يبابه حتى غروب الشمس ، فإن ركب كانت الرحالة مشاة أمامه والركبان من خلفه . وكان عليه أن يقدم الهدايا للملك ومنها حصان سريع معد أحسن الإعداد سرجه مذهب ، يضعه تحت تصرف الملك أثناء إقامته وكان هذا يأخذه معه في عودته . والشرف الذي يسبغه الملك على مضيفه يؤدي إلى مزايا دائمة له : فلا يحبس أحد من عامته وخاصته لجناية جناها ، ولا يحكم على أحد من عبيده بحكم ، وإن وجب على أحد من بطائنه حد وجه به إليه ليرى فيه رأيه ، ويؤخر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له ، وتقدم هداياه في النوروز والمهرجان على كل هدية ، وتعرض على الملك ، ويكون أول من يأذن له الحاجب ، ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه منزويا ، وتكون مرتبته إذا قعد عن يمينه ، وإذا خرج من دار المملكة لم يقعد بعده أحد .

وكان العظماء يقدمون الهدايا للملك في عيدى النوروز والمهرجان^(٥) . والسنة في

(١) الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٥ .

(٢) الجاحظ ، التاج ، ص ١٥٨ وما بعدها : أردشير الأول وكسرى أنوشروان .

(٣) هذه الجملة تركها المؤلف ، والجاحظ يقسم الزيارات الملكية إلى أربعة أقسام : فمنها الزيارة للطعام والمنادمة ، ومنها الزيارة للعبادة ، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة ، ومنها الزيارة للتعظيم فقط وهي أرفع الزيارات ذكرا (التاج ، ص ١٥٨) . الحشاش .

(٤) أى من شرفهم الملك بالزيارة .

(٥) انظر ص ١٦١ و ١٦٣ .

ذلك عندهم أن يهدى الرجل ما يحب من ملهه ، إذا كان فى الطبقة العالفة . فإن كان يحب المسك أهدى له مسكاً لاغير ، وإن كان يحب العنبر أهدى عنبراً ، وإن كان صاحب بزمه ولبسة أهدى كسوة وثياباً ، وإن كان الرجل من الشجعان والفرسان فالسنة أن يهدى فرساً أو رمحاً أو سيفاً ، وإن كان رامياً فالسنة أن يهدى نشاباً ، وإن كان من أصحاب الأموال فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة ، وإن كان من عمال الملك وكانت عليه موانيد (جمع مانده أى باقى) للسنة للماضية جمعها وجعلها فى بدر حرير صيفى وشريكات فضة وخيوط إبريسم وخواتيم عنبر ثم وجهها ، وكذلك ، إنما كان يفعل من المال من أراد أن يتزين بفضل نفقاته أو بفضل عمالته أو أداء أمانته . وكان يهدى الشاعر الشعر ، والخطيب الخطبة ، والنديم التحفة والطرفة والباكورة من الخضراوات . وطى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يؤثره ويفضله كما قدمنا فى الرجال . غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك ، إن كانت عندها جارية تعلم أن الملك يهواها ويسر بها ، أن تهديها إليه بأكمل حالاتها وأفضل زينتها وأحسن هيئتها ، فإذا فعلت ذلك فمن حقها على الملك أن يقدمها على نساءه ويخصها بالمنزلة ويزيدها فى الكرامة ويعلم أنها قد آثرته على نفسها وبذلت له ما لا تجود النفس به وخصته بما ليس فى وسع النساء — إلا القليل منهن — الجوده . ومن حق البطانة والخاصة على الملك فى هذه الهدايا أن تعرض عليه وتقوم قيمة عدل وقد وكل بذلك رجل رعى هذا وما أشبهه ويتعهد . فإذا أصابت صاحب الهدية نائبة من مصيبة يصاب بها أو اضطر إلى المال لظرف قاهر نظر إلى ماله فى الديوان فرده الملك مضاعفاً ليستعين به على نائبته . وإذا كان المهدي قد قدم هدية رمزية ليست لها قيمة مادية كأن يكون قدم تفاحة أو أترجة فإنه إذا نزلت به مصيبة أو اضطر إلى المال ردت إليه التفاحة مثلاً ولكن ملوفاً بالدنانير المنظومة . وكان من تقدمت له هدية (صغرت أم كبرت ، قلت أم كثرت) ثم لم تخرج من الملك صلة عند نائبة تنوبه أو حق يلزمه ، فعليه أن يأتى ديوان الملك ويذكر بنفسه وألا يغفل عن إحياء السنة ولزوم الشريعة فإن أغفل ذلك عن عمد فمن سنة الملك أن يحرمه أرزاقه لسته أشهر وأن يدفعها إلى عدوه إن كان له ، إذا أنه أتى شيئاً فيه شين على الملك

وضعة في المملكة . وكان بعض الملوك الساسانيين ، مثل أردشير وبهرام گور وأنوشروان يأمرهم بإخراج ما في خزائهم في المهرجان والنوروز من السكى فتفرق كلها على بطانة الملك وخاصته ، ثم على بطانة البطانة ، ثم على سائر الناس على مراتبهم ، وكانوا يقولون إن الملك يستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء وعن كسوة الشتاء في الصيف^(١).

والعادة الملكية في تمييز رجل بخلع كساء عليه عادة قديمة جداً ، وقد عمل بها الخلفاء فيما بعد ، ثم أدخلت على نظام البلاط في الشرق الإسلامى . وقد ذكر ابن خلدون أن الأقمشة التي تستخدم في الخلع الملكية كان ينقش عليها صور ترمز إلى عظمة الملك^(٢). وقد تسلم القائد الأرمنى مانويل من الملك سابور الثانى تشريفاً خاصاً خلعة ملكية ، وقراء من السنور ، وأخذ لغطاء رأسه حلية من الذهب والفضة لتربط في أعلى خوذته ، ورباطاً يعصب به جبهته ونياشين للصدر كالتى يضعها الملوك ، وخيعة أرجوانية ومعها نسر ، وسجاجيد كبيرة زرقاء لتفرش في مدخل خيمته ، وآنية من الذهب لتزين مأدته^(٣).

وأكبر النياشين الملكية كما يقول بروكوب^(٤) هو عصاية محلاة بالآلآء . ويضيف هذا الكاتب إلى أنه حرم على الناس أن يلبسوا خواتم الذهب والأحزمة والأقراط وغير ذلك إلا من أنعم عليه الملك بها ، وإذا أدى أحد الأفراد للدولة أو للملك خدمة تستحق التخليد فإن اسمه ينقش على الآثار الملكية^(٥).

ومن علامات التمييز منح الألقاب . وقد كان منح الألقاب مكافأة على الأعمال الممتازة شائعاً أيام الدولة الأكمنية : ويقول هيرودوت^(٦) إن الأفراد الذين استحقوا

(١) الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٦ — ١٥٠ . أما عن جلوس الملك في النوروز والمهرجان فانظر قبل ذلك ص ٢٦٠ وما بعدها .

(٢) Not et Extr ، (١٧) ، ص ٥٧ — ٥٨ ، (٢٠) ، ص ٦٦ — ٦٧ .

(٣) فاوستوس البيزنطى ، لانيجلا ، (١) ، ص ٣٠١ .

(٤) BP ، (١) ، ١٧ .

(٥) بروكوب ، Bell. Goth. ، (٤) ، ٦ .

(٦) (٨) ، ٨٥ .

الإكبار من المملكة أو الملك كانوا يمنحون ، علاوة على الأراضي الواسعة ، لقب « الحَـيَّر »^(١) وأما في أيام الساسانيين فقد وجدت مجموعة كبيرة من الألقاب المختلفة . فنجد ألقاباً مثل مهيست ، الأكبر أى أكبر خدام الملك^(٢)؛ وهريز^(٣) وهزارفت (هزاربد — صاحب العجائب الألف ؟)^(٤) وقد لقب مهر نرسى بلقب هزار بندك (صاحب الألف عبد)^(٥) . وكان بعض القواد يلقبون أحياناً بلقب هزارمرد^(٦) . ومن طرق الإنعام منح الألقاب التى فيها اسم الملك الذى برز فى خدمته للنعم عليه . وكان شائعاً تركيب اسم الملك مع لقب تهم (بمعنى قوى) فيقال تهم — يزدگرد ، تهم شاهپور ، تهم — خسرو^(٧) ، وتهم هرمزد^(٨) . ومن الألقاب المماثلة خسرو شنوم (بهجة خسرو)^(٩) ، زاييدان — خسرو (خسرو الخالد)^(١٠) ،

(١) قد أريد جعل هذه الكلمة هى الصيغة الفارسية هو رزكا . وقد اقترح شيدير اشتقاقاً آخر (ص ٣٤٧ ، ملحوظة ٣ ، (٩) Onomon : Varnu- thanha : « الذائم الصيت » .
(٢) وهو لقب خلعه يزدگرد الأول على المنذر ، ملك العرب (الطبرى ، ص ٨٥٥ ، تولدك ، ص ٨٦ — ٨٧ ؟ وقارن هرتسفيلد ، Paikuli رقم ٦٤٥) . وأبدلته النهاية (ص ٢٢٢) بلقب مسترا مستران (مستر مستران) أى أعظم العظماء .
ونلاحظ أن الماء إذا حلت محل السين أصبحت مهتر مهتران . (الخشاب)
(٣) كذلك كان لقب القائد الذى فتح المين باسم كسرى الأول (الطبرى ، ص ٩٤٨ ، تولدك ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ؟ قارن ماركارث Eranshr , Marquart ، ص ١٢٦) .
(٤) هـ ز ا ر و م خ ت بالأرمينية هو اللقب الذى حمله كل من زرمهر والإصمبند وسطام (تولدك ، الطبرى ، ص ٧٦ ، ملحوظة ٢ ؟ هوبشمان Armen Gramm , Hübschmann ، (١) ، ص ١٧٤) .

(٥) الطبرى ، ص ٨٤٩ ، تولدك ، ص ٨٦ .
(٦) أى « ألف رجل » ، « صاحب قوة ألف رجل » ، وهكذا لقب وهريز فاتح المين ؟ وقد منح كسرى الثانى هذا اللقب لقائد روى من قواد الإمبراطور موريس Maurice ، كان قد أرسله لنجدته (تولدك ، طبرى ، ص ٢٤٨ ، ملحوظة ٢) .
(٧) انظر تولدك ، طبرى ، ص ٤٤٣ .
(٨) مرزبان گنرك فى آذربيجان .

(٩) لقب الأرمنى سميت بجرتونى (باتكانيان Patkanian ، JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١٩٥ ؟ هوبشمان Hubschmann ، Armen Gramm ، (١) ، ص ٢١٤) . وقد كان فى واقعة القادسية ضابط فارسى لقبه خسرو شنوم (الطبرى ، ص ٢٣٤٦) .
(١٠) لقب الأرمنى و ر ز ت ي ر ت س (باتكانيان Patkanian ، JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١٩٦ ؟ هوبشمان ، Armen Gramm ، (١) ، ص ٦٨ .

گمند شاپور^(١)، تن شاپور (جسد شاپور)^(٢)، رام — افزوده — یزدگرد (الدى یزید من بهجة یزدجرد)^(٣)، مُنخَو — هرمزد^(٤)، هرمزد — وراز، وراز — پیروز، شاپور — وراز أو وراز — شاپور^(٥)، وهكذا .

وأما کلمة کرتیر (کردیر) التى لا يزال نطقها الصحيح ومعناها غامضين فإنى لأجرؤ على أن أجزم أن كان هذا لقباً كما يقول هرتسفيلد^(٦) أو أنه تسمية لشاغل منصب كبير . ومن الألقاب التى اختص بها رجال الدين لقب همک (العالم بالدين كله)^(٧) . وإذا صح ماذهب إليه شتين^(٨) من أن لقب دَرُ أنندرزبد (المستشار أو منظم البلاط) الذى شاع أيام یزدگرد الثانى يعنى البرزک فرما دار حقا ، فهو اللقب الذى يشبه خاصة مشير الدولة أو نظام الدولة الذى شاع فى الأزمنة الحديثة^(٩) .

(١) فاوستوس اليزنطى ، لانجوا Langlois ، (١) ، ص ٢٦٣ ؛ gumand > vimand « الحدود » .

(٢) اليزه ، لانجوا Langlois ، (٢) ، ص ١٩٠ . لازار القرى Lazare de Pharp يذكر هذا اللقب بصيغة أوسع : ویه — تن — شاپور (الجسد الطيب لساپور) .

(٣) لقب لقب به الملك العربى المنذر . وقد أبدلته النهاية (ص ٢٢٢) بلقب افزود — خرّی ولعله تحريف افزود — خرّی (یزدجرد) ، بمعنى رام — افزود — یزدجرد .

(٤) مُنخَو ومنها اسم التفضيل مُنخَوِست (الأول) ، قارن مُنخَوِير ، نَخَوِير وهكذا (ص ١٠ ملحوظة ٣) . انظر هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ٦٦٨ .

(٥) وراز (الخزير البرى) ، هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ٤٨ . شاپور — وراز ، مرزبان آذربيجان فى زمن ترسی (فاوستوس اليزنطى Langlois ، Faustus ، (١) ، ص ٢٢٩) ، ولعله نال هذا اللقب فى صباه أيام ساپور الأول .

(٦) Paikuli, Gloss ، رقم ٥٥٨ .

(٧) قبل هذا ، ص ١١٠ .

(٨) انظر الملحق الثانى .

(٩) القيت الألقاب فى العهد الحالى .

وكانت الألقاب والألطف الملكية ووظائف البلاط أو الدولة أكثر المسائل استعمالاً لمكافأة الإحسان ، كما أنها استخدمت وسيلة تبذل ليرجع إلى دينه من اعتنق النصرانية من الزردشتيين^(١). وحين يمنح الملك رجلاً التاج فهذا يمنحه الحق في أن يتخذ لنفسه مكاناً على المائدة الملكية ، وأن يشارك في مجلس الملك^(٢). وقد منح قباد الأول التاج الذهبي المحلي بالآلئ مهيران ، وهو شرف خاص أسبغه الملك عليه^(٣) ومنح هرمزد الرابع الملك العربي النعمان الثالث تاجاً يساوي ستين ألف درهم^(٤) ولعل هذا ، كما يقول روذشتين^(٥) أكثر من منحة عادية ، إنه يشبه ما يسمى الوسام في العصور الحديثة .

ويؤكد مؤلف « فارس نامه »^(٦) الخبر التالي الذي قد يرجع إلى ال — آيين نامك :

« كان من آيين (تقاليد) بلاط أنوشروان أن يوضع على يمين العرش كرسى من الذهب وكرسیان آخريان من الذهب عن يساره وورائه . فأحد هذه الكرسي الثلاثة كان خاصاً بملك الصين ، والثاني لملك الروم والثالث لملك الخزر (الهفتاليين) بحيث أنهم إذا أنوا إلى بلاط كسرى جلسوا على هذه الكرسي . وهذه الكرسي الثلاثة توضع طول السنة فلم تكن ترفع ولا يجرؤ أحد على الجلوس عليها . وكان أمام العرش كرسى من ذهب يجلس عليه ال — بزرگ فرمادار^(٧) ، ومن تحته كرسى

(١) هوفان ، ص ٥٤ .

(٢) آمين مارسلن (١٨) ٥ ، ٦ . والمقصود بهذا هنا أجنبي ، مواطن روماني ، قد أنعم عليه بالتاج جزاء ما ارتكب من خيانة للرومان . وإذا فقد كان من الممكن ، منذ أيام سابور الثاني ، إلحاق الأجانب بالطبقات الرفيعة .

(٣) پروكوب ، BP ، (١) ، ١٧ ، ٢٦ — ٢٨ .

(٤) الطبري ، ص ١٠١٨ ، نولكه ٣١٦ .

(٥) ص ١٢٨ .

(٦) ص ٩٧ .

(٧) يذكر النص « بزرجمهر » ، ولكنني أظن هذا قراءة غير صحيحة ، انظر الملاحق الثاني ، قرب النهاية .

الموبدان موبد ومن تحته كراسى حجرت للرازية والعظاء ، وكان لكل كرسى خاص بحيث لا يتنازعون على الأماكن . وكان كسرى إذا غضب على أحدهم أقصى كرسیه عن المجلس » .

وحینما تكون البلاد ساهمة لأمر حزبها تلغى الموائد الملكية ويقتصر على مائدة لطيفة تقرب من الملك ويحضرها ثلاثة ، الموبدان موبد والديريد ورأس الأساورة ، فلا يوضع عليها إلا الخبز والملح والحل والبقل فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه . ثم يأتيه الحجاز بالبرماورد^(١) في طبق فيأكل منه لقمة ، ثم ترفع المائدة ويتشاغل بتدبير حربه وتجهيز عساكره . ولكن عندما تأتى الأخبار بمبشرة بالنصر يأمر الملك أن يتخذ له طعام مثل طعامه الأول ويأمر الخاصة والعامة بالحضور ويقوم الخطباء أولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له ، ثم يقوم الموبد فيتكلم ، ثم الوزراء بنحو من كلام الخطباء . ثم يمد الناس أيديهم إلى الأطعمة على مراتبهم ، فإذا فرغوا بسط للعامة ظهر الإيوان وللخاصة في صحنه بحضرة الملك^(٢) . ويقعد صاحب الشرطة للعامة كقعود الملك للخاصة وكانوا لا يتكلمون وهم يأكلون فإذا أراد أحدهم شيئاً أشار بما يريد^(٣) . ثم يدعى بالمغنين وأصحاب الملاهي^(٤) .

وإذا علم أحدهم أن الملك غاضب عليه فعليه ألا يلجأ إلى أحد المعابد وألا يهرب^(٥) . بل عليه أن يذهب فيجلس على كرسى ذى ثلاثة أرجل من حديد أمام القصر وأن ينتظر حتى يقضى الملك في أمره ، وقبل هذا لا يجوز أحد على حمايته^(٦) . وكان القتل يوقع في ساحة مكشوفة بالقصر . فهناك تقطع الرقاب أو

(١) نوع من البيض المضروب مع اللحم والخضر يلف بالخبز (البرهان القاطم) .

(٢) الجاحظ ، التاج ، ص ١٧٣ وما بعدها .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٨ .

(٤) الجاحظ ، التاج ، ص ١٧٣ وما بعدها .

(٥) كان الرجل الذى يتعقبه الشرطة يأمن إذا لجأ إلى المسجد فى العصر الإسلامى ، ويظهر أن بيوت النار كانت تؤمن من يلجأ إليها فى الأزمنة القديمة .

(٦) بروكوب ، BP ، (١) ٢٣ ، ٢٨ .

الأيدي أو الأرجل من المجرمين أو ممن استحقوا سخط الملك^(١).

وكان على الملك أن يتعافى عن تافه الجرائم . يروى الجاحظ^(٢) بهذه المناسبة قصتين إن صحتا أو كانتا منتحلين فإنهما قاطعتان في هذا المعنى . حكى عن بهرام گور أنه خرج يوماً لطلب الصيد .. وعهد بفرسه إلى راع ، فانتز هذا غفلة منه فسرق أطراف اللجام وهي من ذهب . فلما رآه بهرام گور ، استحيى ورمى بطرفه إلى الأرض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعى حاجته من اللجام . . حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاجته من اللجام قام فقال ياراعى قدم إلى فرسى فإنه قد دخل في عيني مما في هذه الريح فلا أقدر على فتحهما وأغمض عيني لثلاثي يومه أنه يتفقد حلية اللجام . وفي عودته قال لصاحب دوابه ومراكبه إن معاليق اللجام قد وهبتها لسائل مرتبى . والقصة الثانية هي أن كسرى أنوشروان قعد ذات يوم في النوروز أو المهرجان ووضعت الموائد ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومراتبهم . وقام الموكلون بالموائد على رؤوس الناس وكان كسرى يبحث يراهم . فلما فرغ الناس من الطعام جاءوا بالشراب في آنيته الفضية وجامات الذهب ، فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية في آنية الذهب فلما انصرف الناس ورفعت الموائد أخذ بعض القوم جاما ذهباً فأخفاه في خبائه وأنوشروان يلحظه فصرق وجهه عنه وافترق صاحب الشراب اللجام فصاح : لا يخرجن أحد من الدار حتى يفتش . فقال كسرى لا تعرض لأحد ، وأذن للناس فانصرفوا . فقال صاحب الشراب : أيها الملك إنا قد فقدنا بعض آنية الذهب . فقال الملك : « قد أخذها من لا يردها عليك وقد رآه من لا ينم عليه » .

وفي أعمال الشهداء عبارة يستدل منها على كيفية دخول أبناء النبلاء القصر . فقد لفت الشاب مهران - گشناسپ نظر الملك هرمزد الرابع باطلاعه في الآداب الفارسية وبإلمامه بالأصول النظرية والعملية لدين زردشت . فلما امتحن الملك ذكاه بأن استمع إليه وهو يعيد الكتب المقدسة التي حفظها عن ظهر قلب ، وهبه مبلغاً

(١) الطبري ، ص ١٠٥٩ ، تولدكه ، ص ٣٨٠ .

(٢) التاج ، ص ١٠٠ وما بعدها .

من المال قائلًا سيُعظم شأن هذا الشاب يوماً . ولما كانت أسرة الشاب تنتمي إلى الأرستقراطية الرفيعة^(١) وأنه هو نفسه كان حسن القوام متقد الروح ، عين خادماً على مائدة الملك ثم بلغ مرتبة فَرَّخ شاد (؟) أو پدشخور (ذائق ؟)^(٢) . وكان في بلاط الملك ، كل حين ، مبعوثون من البلاد الأجنبية النائية^(٣) . وكان السفراء الأجانب يكرمون كل الإكرام ، وكان إذا جاء سفير أرسل قائد الحدود تقريره في الحال ، ويسرع حكام الأقاليم التي سيمر بها السفير إلى اتخاذ التدابير لإعداد المنازل اللائقة به ، فإذا علم حاكم الإقليم بمهمة السفير^(٤) فإنه يبلغ الأمر إلى الملك فيرسل هذا إليه جماعة لاستقباله ومصاحبته إلى القصر الملكي حيث يستقبله الملك في حفل عام ، وهو جالس على العرش ومن حوله عظماء الدولة . ثم يسأل عن اسمه وعن رحلته ثم عن رسالته وعن حالة بلاده وملسكه وجيشه . ثم يصحبه الملك إلى قصره بكل مظاهر الأبهة الواجبة للسفير ، ثم يدعو إلى مائدته . ثم يصحبه إلى الصيد ، وأخيراً يسرحه بما يليق بمقام السفير من الحفاوة ، بعد أن يهديه خلعة^(٥) . ثم لم يكن دخول القصر مباحاً للأجانب . بل لم يكن في مقدورهم أن يدخلوا العاصمة مباشرة من الطريق السهل بل كان عليهم أن ينتظروا في إحدى المدن الخمس الآتية : فيتوقف في هيث الأجانب الوافدون من سوريا وفي العذيب الآتون من

(١) كان أبوه « أوستاندار » في نصيبين .

(٢) هوفان ، ص ٩٤ — ٩٥ .

(٣) الطبري ، ص ٨٩٩ ، نولكه ، ص ١٦٧ .

(٤) وهكذا كان على السفير أن يدلي بسفارته قبل أن يؤذن له بالقبالة الملكية ، وذلك حتى يتيسر إعداد الجواب عن رسالته . وكان على حرس الشرف الذي يصحب السفير أن لا يتيح له تنفس أخبار الدولة ؛ أما عن السفراء الذين يوفدون من إيران إلى الملوك الأجانب فكان عليهم أن يستعلموا ما أمكنهم عن حالة الطرق والمسالك ومجاري المياه والآبار ، والمراعى وعن يدير شؤون الدولة الأجنبية وأخلاق الملك وحاشيته وقوته الحربية وهكذا . هذا هو البيان الذي يذكره نظام الملك في كتابه سياست نامه (نشر شيفر Schefer ، ص ٨٧ — ٨٨ ، الترجمة ، ص ١٢٩) حين يصف تقليداً لاشك أنه بالغ في القدم ، ووصفه بطريقة استقبال السفراء في عهده يطابق تماماً ما ذكره الفردوسي وقد ذكرناه من قبل .

(٥) الفردوسي ، نشر مول ، (٥) ، ص ٣٦٤ ، البيت ٣٨٨ وما بعده .

الحجاز وفي صريفين الأجانب القادمون من فارس وفي حلوان الأجانب النازحون من بلاد الترك وفي باب الأبواب (دربند) أجانب بلاد الخزر واللان . ومن هذه المدن الخمس ترد التقارير إلى الملك عن الوافدين الأجانب . ولا يواصلون سيرهم إلا بعد أن يأمر الملك فيهم أمره^(١) .

وأما الدبلوماسية الإيرانية فقد كان الملك محتاط في اختيار سفرائه فكان يختبر رسوله اختباراً طويلاً قبل أن يفوض إليه القيام برسالة . كان الملك يوجهه إلى بعض خاصته ثم يرسل عيناً عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه . فإذا رجع الرسول بالرسالة ، جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته فقابل بها الملك ألفاظ الرسول فإن اتفقت أو اتفقت معانيها عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته ثم جعله الملك رسولا إلى عدوه وجعل عليه ، أيضاً ، عيناً يحفظ ألفاظه ويكتبها ثم يرفعها إلى الملك ؛ فإذا نجح في هذه التجربة أيضاً جعله رسوله إلى ملوك الأمم ووثق به^(٢) .



وقد بدأت النهضة الفلسفية والأدبية في إيران أيام كسرى ، وسنسبق وصف هذه المرحلة من المدنية ببعض نظرات في تنظيم التعليم بوجه عام . وإنه لمن سوء الحظ أن معلوماتنا في هذا الشأن قاصرة جداً ، ولا ندرى شيئاً عن التعليم الأولى . ولكن يظهر أن الحرايين كانوا ، غالباً ، أميين . وأما الدهاقين فكانوا ، في جميع العهود ، مثقفين إلى حد ما . فقد كانوا ، بعد سقوط دولتهم بعدة قرون ، يحفظون شيئاً من تاريخهم وآداب ديانهم . وأما التجار فكان كثير منهم يستطيع القراءة والكتابة وفهم الحساب . وعدا ذلك فتقافة أفراد الشعب الأدبية كانت ضئيلة جداً . يقول هيون تسيانج^(٣) إن الإيرانيين لا يعنون بالتعليم كثيراً ولكنهم يهتمون بأعمالهم . وليس من شك في أن التعليم الأولى وجزءاً من التعليم العالي ، على الأقل ، كانا محصورين

(١) ابن خردادبه ، BGA ، (٦) ، ص ١٧٣ ، الترجمة ، ص ١٣٤ — ١٣٥ .

(٢) الجاحظ ، التاج ، ص ١٢٢ .

(٣) بيل ، Budhist Records ، (٢) ، ص ٢٧٨ .

في رجال الدين ، وكان طابعهما دينياً ظاهراً^(١) . أما تعليم أطفال وشباب طبقات المجتمع العالية فلدينا عنه معلومات أكثر دقة . فقد كان أبناء الأشراف يتلقون جزءاً من تعليمهم مع أمراء البيت المالكة في القصر ، كما كان الحال أيام الأكينيين ؛ تحت إشراف « معلم الأساورة »^(٢) ، وكانوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب ورمى القرص^(٣) والشطرنج^(٤) وركوب الخيل والصيد^(٥) . وبما لا يحتاج إلى بيان أن النبلاء الشباب كانوا يلقبون فن الحرب قبل كل شيء .

يقول الطبري إن الأمير بهرام ، الملك بهرام الخامس فيما بعد ، الذي عهد بتربيته إلى الملك العربي المنذر^(٦) ، قال للمنذر « أحضرنى مؤدبين ذوي علم مدرسين بالتعليم ليعلموني الكتابة والرمي والفقه . فقال له المنذر إنك بعد صغير السن ولم يأن لك أن تأخذ في التعليم فالزم ما يلزم الصبيان الأحداث . . فأصر الغلام على طلبه فبعث المنذر إلى باب الملك من أتاه برهط من فقهاء الفرس ومعلمي الرمي والفروسية ومعلمي الكتابة . . وجمع له حكماً من حكماء فارس والروم ومحدثين من العرب فألزمهم بهرام »^(٧) . وفي الخامسة عشرة يكتمل التعليم الجسماني والدهني . يقول النص

(١) قارن نسك باغ ، دينكر د ، (٩) ، ٥٠ ، ١٧ .

(٢) نولدك ، طبري ، ص ٤٤٣ .

(٣) أما عن اللعب بالكرة والصولجان فانظر اينسترنترف ، ص ٧٢ وما بعدها (ترجمة بوجدانووف ، J. Cama. Or. Inst. ، رقم ٧ ، ص ٤١ وما بعدها) ، وقد رجع إلى عيون الأخبار لابن قتيبة الذي يروي الآيين نامك كمصدر له .

(٤) انظر بعد ذلك عن لعبة الشطرنج .

(٥) كارنامك ، ١ ، ٢٢ وما بعدها . وقد وجدت أندية السباق خارج المدينة حيث كان المدربون يعنون بالخيل ، وحيث يجري سباق الخيل وتمارين الرماية بالسهم ، دينكر د Dènkard ، (٨) ، ٣٨ — ٢٣ (پيشوتان ، (٨) ، ٣٧ — ٢٣) نقلاً عن نسك ساكادم Sakadhum-nask . وقد ألفت كتب في علاج سائر الدواب والخيل ، وفي الجوارح واللعب بها (الفهرست ، ص ٣١٥ ؛ وقارن اينسترنترف ، SE ، ص ١٢ ، ناريمان ، Iran. Influence ، ص ٢٩) . وقد نشر اينسترنترف بعض ملاحظات عن الرمي بالسهم نقلاً عن عيون الأخبار لابن قتيبة الذي اقتبس من الآيين نامك وعلق عليها في SE ، ص ٦٦ وما بعدها ، ترجمة بوجدانووف في J. Cama. Or. Inst. ، رقم ٧ ، ص ٣٥ وما بعدها .

(٦) انظر هنا قبل ذلك ، ص ٢٦٠ .

(٧) الطبري ، ص ٨٥٥ وما بعدها ، نولدك ، ص ٨٧ وما بعدها .

الپهلوى پندنامک — زردشت^(١) : إنه يجب على الشاب في هذا السن أن يعرف أصول الدين كما جاءت في الأوستا والزند وأن يعرف تاريخ الرجال وواجباتهم . وفي العشرين يتمتعن الحكماء والمهرا بذة والديساتير^(٢) . ويصف خادم صغير في بلاط كسرى الأول تفاصيل التعليم الذي تلقاه^(٣) . ففي السن المعين ألحق بالمدرسة حيث حفظ عن ظهر قلب « كاهربد » الأجزاء الرئيسية في الأوستا مع شروحها . ثم في التعليم المتوسط اهتم بدراسة الأدب والتاريخ والفصاحة والفروسية ورمى السهام وتسييد الرمح وإعمال البلطة ، ثم عرف الموسيقى والغناء وعلم النجوم وأتقن الشطرنج وأنواع الألعاب الأخرى . وأخيرا عرض على الملك معرفته بأنواع المأكولات وفن اللبس .

وأما تعليم البنات فإن مصادرنا لا تمدنا بشيء منه ويظن بارتولومويه^(٤) أن تعليم البنات كان مقصوراً على التدبير المنزلى . وقد تحدث نسك الباغ^(٥) صراحة عن تعليم النساء أصول التدبير المنزلى . ونستطيع أن نستنتج من نص في ال — مازيگان

(١) فريمان ، Pand-nāmak i Zarathust, Dissertation ، فيينا ، ١٩٠٦ و WKZM (٢٠) .

(٢) Ein mittelpersisches Schulgespräch ، نشر يونكر (Sitz ١٩١٢) ، Heidelberg Akad, ٤١ § — ٤٣ .

(٣) النص پهلوى « King Husraw and his boy » نشر أونوالا (باريس ١٩٢١) واسم الخادم واسپور (قارن (ص ٨٧ الملاحظة واحد من هذا الكتاب) . وقد ذكر الثعالبي في كلامه عن كسرى الثانى (ص ٧٠٥ وما بعدها) حديثاً جرى بين هذا الملك وخادمه خوش آرزو ، وهو حديث يرجع إلى نفس المصدر الذى استعمل منه النص الذى نشره أونوالا . وفي النصين ، كما نرى ، خلاف فيما يتعلق بالملك (كسرى الأول أو الثانى) وفي اسم الخادم كذلك ؛ ولكن بيلي (BSOS ، (٧) (١) ، ١٩٣٣ ، ص ٧٢) يرى أن واسپور في النص پهلوى تفيد المرتبة الاجتماعية أما الاسم وهو خوش آرزو فقد سقط . ومن ناحية أخرى فإن كلا من النصين قد ذكر عبارات أهمها النص الآخر . ولم يذكر الثعالبي تفاصيل التعام .

(٤) Die Frau im Sasanidsschen Recht ، ص ٨ .

(٥) دينكر د ، (٩) ، ٦٧ — ٩ .

هزار — دادستان^(١) أن نساء الطبقات العالية كن يلقن أحياناً درساً عميقاً في العلوم : « كان أحد القضاة ذاهباً ذات يوم إلى المحكمة فأحاط به خمس سيدات فسألته إحداهن أسئلة عن بعض حالات خاصة في الكفالة ، فلما بلغ السؤال الأخير لم يمر جواباً ، فقالت له إحداهن : أيها القاضي ، لا تكذب ذهناك وقل في صراحة لأعلم . ومع ذلك فإنك واجد الإجابة عن هذا السؤال في شرح مكتوب للمكوگان — اندرزبد » .

وأما العلوم فقد كان اليونان والرومان أساتذة للإيرانيين^(٢) . كان هناك أناس انصرفوا انصرافاً تاماً إلى الدراسات العلمية . وكانت الأوستا الساسانية هي المصدر الرئيسي لكل العلوم . فإنه لا شك أن هؤلاء العلماء كانوا من رجال الدين . وقد مدتنا إل — بندهشن بملخص للعلوم الطبيعية والنجوم كما جاء في الأوستا الساسانية وتفسيرها . ويستفاد من نص في معجم البلدان لياقوت^(٣) أنه كان ينزل في ريشهر (ريو — أردشير) ، وهي ناحية من كورة أرجان ، جماعة يسمون كشته دفتران وهم كتاب كتابة الجسثق وهي الكتابة التي كان يكتب بها كتب الطب والنجوم والفلسفة (؟) .

وقد تضمن نص وشرح الكتاب الأوسقي المسمى نسك مهسپارم بعض تفاصيل عن الطب والأطباء . فقد خلق أوهز مزد نباتاً واحداً على الأقل لتخفيف كل مرض . وكانت هناك قواعد لأجور الأطباء التي كان للطبيب أن يطلبها ، والغلات الطبية ، والملابس الجميلة والحيل السريعة الجرى . وأما الأجور النقدية فقد حدد ما يدفعه رب البيت العادي ، ورئيس القرية ، ورئيس الكورة ، ورئيس الإقليم ، ثم ما يستطيع الطبيب أن يطلبه من الفقراء . وكان أجر الطبيب يختلف حسب مقامه به ، إذا كان قد عالج الجسد كله أو عضواً فيه . وكان على الطبيب أن يعالج المريض بإخلاص وفي

(١) بارتولومويه ، Z. sas. Recht ، (٤) ، ص ٣٥ وما بعدها ؛ Die Frau

ص ٩ .

(٢) انظر شيدر ، Der Orient und das griechische Erbe ، ص ٢٠٤ .

(٣) طبعة وستنفيلد ، (٢) ، ص ٨٨٧ ، ترجمة باربييه دي مينارد ، ص ٢٧١ .

حزم وحذر؛ ويرتكب الطبيب جريمة إذا تباطأ أو تردد في زيارة مريض . وفي الكتاب المذكور تفاصيل أخرى تتعلق بالأوبئة والأمراض العادية . وكان هناك نوع من الإجازة للأطباء ، ولكن كان من المتعذر أن تجد دائماً الطبيب الحائز لهذه الإجازة . ويجوز أن يستعين الرجل بطبيب أجنبي إذا استحال الالتجاء إلى الطبيب الإيراني . ومن الجرم أن يستعين الرجل بالطبيب الأجنبي مع وجود الإيراني^(١) . ولكن الملوك الساسانيين كانوا يستخدمون غالباً الأطباء من الروم أو السريان النصارى .

وقد ذكر أطباء العيون المتخصصون^(٢) . وقد تناول هذا النسك علاج الحيوانات الأليفة أيضاً^(٣) . فذكر علاج كلب كلب^(٤) وهكذا . وتناول نسك نكادم تفاصيل خاصة بالطب البيطري^(٥) . كما أشير فيه إلى عادة كانت جارية في إيران وهي الإبقاء على مجرم حكم عليه بالإعدام ليستفيد الطب بإجراء التجارب عليه^(٦) وهذا كانت معروفاً في مصر أيام البطالسة .

وفي الكتاب الثالث من الدينكرد رسالة صغيرة عن الطب مأخوذة من غير شك من مصادر ترقى إلى عهد آل ساسان^(٧) ، ومؤلف هذه الرسالة يفرق بين الصحة الروحية والصحة الجسدية . ومع أنه يتحدث عن أطباء يمارسون علاج الروح وآخرين صناعتهم علاج الجسد فإنه يبدو أن العناية بالناحية الروحية كانت تدخل في ممارسة الطب بالمعنى الأخص إلى حد ما .

(١) دينكرد ، (٨) ، ٣٧ — ١٤ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع ، (٨) ، ٣٨ — ١٢ .

(٣) نفس المرجع ، (٨) ، ٣٧ — ٢٩ .

(٤) نفس المرجع ، (٨) ، ٣٣ — ١ .

(٥) نفس المرجع ، (٨) ، ١٩ — ٣٩ .

(٦) نفس المرجع ، (٨) ، ٢٠ — ٤ .

(٧) النص المذكور في الجزء الرابع من طبعة ييشوتان ، ص ١٨١ وما بعدها ، ص ٢٢٠ وما بعدها من الترجمة الإنجليزية . انظر الترجمة والتعليقات في « Le muséon » ، الجزء (٥) ، ص ٢٩٦ و ٥٣١ وما بعدها ، بقلم كاسارتلى .

وأصول الطب الإيراني زردشتية كلها بنيت على تقاليد الأوستا . ولكن أثر الطب الإغريقي يظهر في كل ناحية . وهناك ثلاث طرق للعلاج كما يقول الطب البقراطي : فما لا تنجح فيه الأدوية ويشفى بالحديد (أى بالجراحة) وما لا ينجح فيه الحديد يشفى بالسكى (النار) وأما المرض الذى لا يمكن علاجه بالسكى فإنه مستعص لا علاج له . ويذكر « الونديداد » الذى يرجع إلى القرون الأولى من عصر الأشكانيين^(١) ثلاث طرق للعلاج أيضاً هى : السكين والأعشاب والكلام المقدس ، والأخيرة أبعد الطرق الثلاث أثراً . ولكن طريقة السكى ظهرت فى الدينكرد^(٢) الذى ذكر خمس طرق للعلاج هى : ١ — الكلام المقدس ٢ — النار ٣ — الأعشاب ٤ — السكين ٥ — البخور ؛ والمقصود بالطريقة الأخيرة إحراق البخور من الأعشاب العطرية . وكان العلاج بالكلام المقدس ، أى بصيغ سحرية من الكتب المقدسة ، يعتبر أقوى الطرق أثراً . والطبيب الحاذق هو الذى يعنى عناية فائقة بمرضاه والذى يطلع كثيراً^(٣) ، وعليه أن يعرف أعضاء الجسد والمفاصل وأن يعرف الأدوية . وأن يكون رقيق الحاشية ، حلو الحديث ، صبوراً مع المرضى^(٤) . وأما الصفات الأخلاقية وما يخص طبيب الروح الماهر وطبيب الجسم الحاذق فقد ذكرت بالتفصيل حتى أن الفصل الخاص بها قد غمض من شدة الإطناب . وينبغى أن يبين كل من هذين الصنفين من الأطباء ، طبيب الروح الذى يتبع رجال الدين ، وطبيب الجسد ، الأدلة الضرورية الدالة على كفاءته . وعلى طبيب الجسم أن يكون قد عالج كافراً حتى يجوز له أن يمارس مهنته فى تطبيب المؤمنين . فإذا عالج ثلاثة أشخاص وماتوا فإنه يحرم نهائياً من ممارسة مهنته^(٥) . والطبيب ملزم بعيادة المريض كل يوم

(١) ٧ ، ٣٦ — ٤٤ .

(٢) ٧ § ، L. C.

(٣) من الممكن أيضاً أن تكون الترجمة : يعرف « التسميع » كثيراً (لعلاج حالة تلاوة الكلام المقدس ؟) .

(٤) نفس المرجع ، §§ ١٦ — ١٩ .

(٥) نفس المرجع ، § ٣١ . وجاء فى الونديداد (٧ — ٣٩ : ٤٠) ، أن الدليل الكامل يشمل ثلاث عمليات يجريها الطبيب على عبدة الأوثان .

طوال المدة اللازمة للعلاج وله في نظير ذلك الحق في أن يقدم له غذاء فاخر وحضان سريع ومسكن أنيق في موقع عامر^(١)، ولكن عليه ألا يسرف في حب المال . ومن ناحيتي الأخلاق والدين كان هناك عدة أصناف من الأطباء : وخيرهم من يمارس مهنته بالشفقة الدينية المحضة ، ويأتى من بعده من يتوسط بين الرحمة التي يقول بها الدين وحب المال ، ولكنه يكون أميل إلى الرحمة ، ثم يأتي من يؤثر المال وهكذا^(٢) وإن قواعد الأوستا لاتناقض نفسها أبداً .

ويظهر أن درست بد أو إيران — درستبد^(٣) كان نقيب الأطباء في الدولة كلها لكن الرئيس الأعلى لأطباء الجسد وأطباء الروح زرتشتروتوم وهو لقب يقصد به من غير شك الموبدان موبد^(٤) . والجزء الخاص بأنواع المرض في هذا الكتاب لايدل على معرفة واسعة في الموضوع . ونجد هنا أيضاً موازنة بين المرض والإثم . فالرذائل كالجهل والمكر والغضب والغرور والكبرياء والشهوة قد جعلت أسباباً للأمراض بجانب العلل الجسمانية كالبرد والجفاف والتعفن والجوع والعطش والكبر والألم^(٥) . وقد جاءت الرسالة بأمثلة من الثلاثين وثلاثمائة وأربعة آلاف مرضاً بأسماء بعض الأمراض التي وردت في الأوستا ، ولكن تعريفها الحقيقي كان غامضاً على مؤلف الرسالة كما هو غامض علينا .

والقسم الأخير ، الخاص بالأدوية ، عسير جداً على الفهم . ففي هذا الجزء يعوزنا وضوح الفكرة كما أن صعوبة الأسلوب تلمس فيه أكثر مما تلمس في غيره . ومن ناحية أخرى فإن كثيراً من الاصطلاحات الفنية غير مفهومة . ووفقاً لأصول الطب اليوناني يتوقف استعداد كل جسد للأمراض على نسبة الطبائع الأربعة فيه من برودة وحرارة ورطوبة ويابس . ولكن النظرية اليونانية قد مسخت بطرق مختلفة لكي تنطبق على الأصول الزردشتية التي تنسب الأمراض والرذائل لروح الشر . فالرطوبة

(١) نفس المرجع ، §§ ٣٢ — ٣٣ .

(٢) نفس المرجع ، § ٣٤ .

(٣) §§ ٦ ، ١٦ ، ٣٨ .

(٤) نفس المرجع ، §§ ٤١ — ٤٢ .

(٥) نفس المرجع ، § ١٠ ؛ وقارن دارمستتر ، ZA ، (١) ، ص ٣١ .

والجفاف ، اللذان يأتيان من هذا الروح هما العلتان اللتان ينبغي حماية الجسم منهما . وحالة الدم تتوقف على قوة الحيوية ، وإذا كان الدم يملك القوة الحيوية فإنه يحمل الدواء بمساعدة الطبيب الحاذق الذى يصف الدواء الضرورى . وتركيب الأغذية مهم ، فإنه ينبغي أن يحوى الغذاء كثيراً من الرطوبة (عنصر الماء) وذلك لمقاومة التأثير السيئ الذى يحدثه الجفاف ، وبعض الحرارة (عنصر النار) ليعيد البرد ؛ وهواء الغذاء يختلط بالهواء النقي فى تركيب المزاج ، وكذلك التراب الذى يدخل فى الغذاء (أى أجزاء التراب التى تدخل فى الغذاء) يختلط بالتراب الذى فى التركيب أيضاً . والصحة الجيدة تتوقف على الغذاء الحسن التركيب والذى يتعاطاه الآكل باعتدال^(١) .

وقد بين كاسار تلى^(٢) بعض أوجه الشبه بين النظريات التى جاءت بها هذه الرسالة وبين الطب الهندى .

وفى القرن الخامس ، حينما انتشر النساطرة الذين طردوا من الإمبراطورية البيزنطية فى العراق وإيران ، فتحت مدارس نصرانية خاصة ، وكان الطب يعلم فيها . كانت أشهر مدارس الطب مدرسة جنديسابور . وقد بقيت إلى ما بعد الساسانيين ، وظلت بيئة مهمة لدراسة علم الطب فى القرون الإسلامية الأولى .

ومن بين الرجال الممتازين فى عهد كسرى الأول يظهر لنا رجل واحد كشخصية حية ، وهذا الرجل هو رئيس أطباء الملك ، برزويه المشهور . ومن آثاره الباقية تاريخ حياته الذى كتبه بيده والذى جعل منه ابن المقفع مقدمة لترجمته العربية لسلكيلة ودمنة ، وهو كتاب برزويه المشهور الذى سنتحدث عنه فيما بعد . وتبدأ ترجمة حياة الطبيب الكبير^(٣) بالطريقة الآتية :

(١) نفس المرجع ، §§ ٤٩ — ٥٢ .

(٢) L. C. ، ص ٣١٤ وما بعدها .

(٣) نبه عباس إقبال صاحب مؤلف بالفارسية عن كتب ابن المقفع ، وجبريللى (Rev. degli Studi Orientali) ، (جزء ١٣ ، ص ٢٠٣ من L'Opera d'Ibn al muqaffa) إلى أن البيرونى فى كتابه الهند قال إن ابن المقفع قد أضاف فى مقدمته لسلكيلة ودمنة الفصل =

« إن أبى كانت من المقاتلة^(١) ، وكانت أحن من بنات عطاء الزامزة وفتحاهم في دينهم .

وكان مما ابتدأني به ربي^(٢) من نعمة أنى كنت من أكرم ولدنى أبوى عليهما ، وأنهما أسلماني في تعليم الطب لما صار لى من عمرى سبع سنين ، فلما بلغت وعرفت أمر الطب وفضله ، شكرت رأيهما في ذلك ، ورغبت في تعلمه ، حتى إذا شددت منه علماً ، وبلغت فيه ما أمنت له نفسى على مداواة الرضى وهممت بذلك ، أمرت نفسى وذكرتها وخيرتها بين الأمور الأربعة التى إياها يطلب الناس ، ولها يسعون ، وإليها يجحدون . فقلت : أى هذه الخلال ينبغى لمثلى أن يلتمس ؟ وأيهما أحرى ، إن هو بغاه ، أن يدرك منه حاجته ؟ المال أم اللذات أم الصوت أم أجر الآخرة ؟

واستدللت على المختار من ذلك ، فوجدت الطب محموداً عند العقلاء ، ولم أجده مذموماً عند أحد من أهل الأديان والملل . وأصبت في كتبهم أن أفضل الأطباء من اظب على طبه لا يريد بذلك إلا الآخرة . فرأيت أن أواظب عليه أبتغى ذلك ، ولا ألتبس له ثمناً ، ولا أكون كالتاجر الخاسر الذى باع ياقوته ، كان مصيباً في ثمنها غنى الدهر ، بخززة لا تساوى شيئاً . ووجدت في كتبهم أيضاً أن الطبيب المبتغى بطبه أجر الآخرة ، لا ينقصه ذلك من حظه في الدنيا . فإعنا مثله في ذلك مثل الحرات

= الحاس برزويه بقصد لإثارة الشكوك في الدين في نفوس ضعيفي العقيدة ليدخلوا في الدعوة المانوية . (طبعة ساخاو Sachau ، ص ٧٨ ، الترجمة ، ص ١٥٩) . ولكن لم يشر في المقدمة إلى المانوية ، ولكن ، من ناحية أخرى ، الميل إلى هذا المذهب ليس غريباً كما سئرى فيما بعد . والمهم هو قول البيرونى إن ابن المقفع قد زاد المقدمة ، وبعبارة أخرى لم تكن المقدمة مسطورة في النص الپهلوى . ولكن البيرونى لا يقول إن ابن المقفع قد عمل هذه المقدمة . والواقع أن المقدمة تعمل تماماً طابع عصر كسرى وتحتوى كثيراً من الإشارات التى لا يستطيع كاتب في القرن الثامن أن يخترعها ، فصحة هذه المقدمة عندى لا يرق إليها الشك . وقد ترجم ابن المقفع تاريخ حياة برزويه التى وجدت ككتاب مستقل ، ثم أدخلها في ترجمته لكليلا ودمنة . ومن المحتمل ، كما قال نولده (Noeldeke) مترجم مقدمة برزويه عن نص ابن المقفع) وجبريللى ، أن يكون ابن المقفع قد استخدم هذه الرسالة مع التصرف ولكن جوهرها الذى وضعه في مقدمة كليلا ودمنة هو ، من المؤكد ، بقلم برزويه .

(١) أى الأساورة .

(٢) أوهرمزد أو يزدان .

الذى يشير أرضه ويعمرها ابتغاء الزرع لا العشب ، ثم هى لا محالة نابت فيها ألوان منه . فأقبلت على مداواة المرضى رجاء ذلك . فلم أدع مريضاً أرجو له البرء وأطعم له فى خفة الوجع إلا بلغت فى معالجته جهدى . ومن قدرت على القيام عليه قمت عليه وفعلت به ذلك وإلا وصفت له . ولم أرد بشيء من ذلك جزاء ولا مكافأة بمن فعلته به . ولم أغبط من نظرائى ومن هو مثلى فى العلم وفوقى فى المال ، أحداً إلا بعين صلاح أو حسن سيرة فى الناس قولاً وعملاً ... »^(١) .

« ... فلم يمنعنى ذلك من أن أصبت من الدنيا حظاً جسيماً ، ونصيياً عظيماً ، من الملوك^(٢) والأولياء والإخوان ، قبل أن آتى الهند ، وبعد رجوعى منها ؛ وفوق الذى كان طمعى بجنح إليه ، وفوق ما كنت له أهلاً »^(٣) .

وهناك نص آخر^(٤) يفيدنا شيئاً عن آداب الطب أيام الساسانيين :

« فإننا نجد فى كتب الطب أن الماء الذى يقدر منه الولد السوى ، إذا وقع فى رحم المرأة ، اختلط بأمها ودمها ، نفث وغلظ ، فمخضته الريح حتى يصير كماء الجبن ، ثم يصير كاللبن الرائب ، ثم تنقسم أعضاؤه لإبان أجله ، فإن كان ذكر آ فوجهه قبل ظهر أمه ، وإن كانت أنثى فوجهها قبل بطنها . ويداه على وجهه ، وذقنه على ركبتيه ، مقبض فى المشيمة كأنه مصرور فى صرة . وهو يتنفس من متنفس شاق عليه . وليس منه عضو إلا كأنه فى وثاق ؛ فوجه حر البطن وثقله ، وتحت ما تحته . منوط قع سرته إلى مرقى بأمعائها ، يمص به من طعامها وشرايها ، وبذلك يعيش ويحيا . فهو بهذه المنزلة وعلى هذا الحال إلى يوم ولادته ، فإذا كان إبان ذلك سلطت الريح^(٥) على الرحم ، وقوى على التحريك ، فيتصوب رأسه قبل المخرج ، فيجد من

(١) نولدك ، برزويه (١٩١٢) ص ١١ وما بعدها . (س ٢٥ من كلية ودمنة ، نشر عبد الوهاب عزام) .

(٢) أى الشاهنشاه والحكام الملقبين بلقب شاه — ملك — .

(٣) نولدك ، I, e ، ص ١٤ ، (س ٢٩ ، كلية ودمنة ، عزام) .

(٤) نفس المرجع ، ص ٢٢ وما بعدها . (٣٧ — ٣٨ ، كلية ودمنة ، نشر عزام) .

(٥) يقصد الإيرانيون بكلمة الريح عنصر الهواء .

ضيقه مثل ما يجحد صاحب الوهق من عصره . فإذا وقع على الأرض فأصابته ريح أو مسته يد ، وجد لذلك من الألم ما يجحد الإنسان الذي قد سلخ جلده » . وهذه الفقرة تهجننا ، فإننا نجد بها تفصيلات عن الطب الهندي^(١) .

وقد حالف كسرى رجال الدين الزردشقي لكي يخلص نهائياً من الزدكية . ومع مناصرة كسرى لرجال الدين فإنهم ، والنبلاء أيضاً ، لم يعودوا إلى قوتهم الأولى . ولا شك في أن كسرى كان زردشتياً ، إلا أنه يمتاز بين السامانيين بأنه كان حر التفكير وكانت نفسه قابلة لبحث الآراء المختلفة في المسائل الدينية والطبيعية ، ولم يكن يتردد في استخدام النصارى في الوظائف ذات النفع العام . وبعد إنشاء مدينة رومكان سمح لليعاقبة أن يكونوا لأنفسهم فرقة وأن ينتخبوا جاثليقا لهم ، وقد حفظ له النصارى في إيران ، مدة طويلة ، معاملته الطيبة لهم^(٢) . ومع ذلك فقد لقي هؤلاء في ذلك الوقت أزمة خطيرة . ذلك أنهم كانوا يبيعون ، كالزردشتيين ، الزواج من أقاربهم الأدنى وهو أمر مخالف لأوامر الدين ، فألقى ماربها هذه المخالفة في حزم ، وكان قد انتخب جاثليقا عليهم سنة ٥٤٠^(٣) . وحينما بدأت الحرب بين الفرس والروم أعلن الموبدان موبد داد — هرمزد على نصارى إيران حرباً شعواء ، واختص بحربه جماعة الإيرانيين من النبلاء الذين دخلوا في المسيحية ؛ وكان لاشتداد الحرب بين الدولتين أثر في زيادة هذا التعصب الديني الذي لم يكن الملك يجذبه ولكنه سمح به تمشياً مع الظروف السياسية^(٤) . وقد سجن ماربها وكاد يحكم عليه بالموت .

وبعد قليل بلغ سخط رجال الدين الإيرانيين على ماربها أقصاه ، وذلك بسبب أعمال بعض النصارى الذين لم يتوخوا الحذر فيما يفعلون . وكان مركز ماربها حرباً

(١) رسالة هرتل إلى تولدكه .

(٢) تولدكه ، طبرى ، ص ١٦٢ (ملحوظة) .

(٣) لابور ، ص ١٧٥ . وفارن هنا ، ص ٣١٠ . وقبل ذلك بعدة سنين هرب ماربها من القسطنطينية خوف أن يعذب ، لأنه رفض أن يعلن علماء النساطرة . (لابورت ، ص ١٦٧) .

(٤) لابورت ، ص ١٧٦ وما بعدها .

وزاد في تخرجه انضمام النصارى لثورة أنوشك زاده . ولكن كسرى رأى حينذاك أن يطلق سراح ماريها وطلب إليه أن يمنع النصارى عن مناصرة أنوشك زاده ، فأفلمح في هذا فلاحا تاما^(١).

وقد منح النصارى حرية العقيدة ، كما رأينا ، في الصلح الذي تم بين إيران وبيزنطة سنة ٥٦٢^(٢). ومن الجائز أن تكون مزامير العهد القديم قد ترجمت من السريانية إلى الهلوية في عهد كسرى أنوشروان . وقد عثر على أجزاء من هذه الترجمة في تركستان الصينية ، وهي في برلين في متحف Volkerkunde ولهذا النصوص المأخوذة عن ترجمة عن النص السرياني قيمة كبيرة في دراسة اللغة والكتابة الهلوية^(٣).

وقد ألف المسيحي پولس برسا — ويظهر أنه هو نفسه پول الذي كان مطران نصيبين أيام الجاثليق يوسف ، خليفة ماريها^(٤) — مختصراً لمنطق أرسطو باللغة السريانية لكي يقرأه الملك ، وقد عرض فيه الآراء المختلفة الخاصة بالله والعالم على النحو التالي^(٥): « فقد وجد من يعتقدون في إله واحد ، ويدعى آخرون أنه ليس بواحد ، ويقول آخرون بأن له صفات متضادة وينفي آخرون عنه الصفات . وبعض

(١) نفس المرحم ، ص ١٨٧ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٣٥٨ من هذا الكتاب

(٣) انظر اندرياس في Sitzungsberichte der preuss. Akad. der Wissenschaften

١٩١٠ ، ص ٨٦٩ وما بعدها . وبعد موت اندرياس طبع نصوص المزامير بار M. K. Barr (Sitz. Pr. Ak. ، ١٩٣٣) .

(٤) مركاتي ، Per la vita e gli scritti di Paolo il Persiano ، روما ، ١٨٩٩ ؛ انظر لايورت ، ص ١٦٦ .

(٥) لاند ، Anecdota Syriaca ، ج (٤) ، ص ٢ — ٣ من الترجمة اللاتينية . كاسارتلى La Philosophie religieuse du mazdéisme sous les Sassanides ، ص ١ . كراوس Rev. degli Studi Orientali ، (١٤) ، ١٩٣٣ ، ص ١٧ وما بعدها . ومن الممكن أن نفترض أن رسالة پولس قد ترجمت من السريانية إلى الهلوية ، ولكن من الجائز أن يكون كسرى قادرا على القراءة بالسريانية .

يقول إنه قادر على كل شيء ، وبعض آخر يقول إن قدرته لا تشمل كل شيء . بعض يقول إنه خلق الدنيا وكل ما فيها ، وآخرون يقولون إنه ليس خالق كل شيء . وهناك من يقول إن العالم محدث ، وآخرون يقولون إنه قديم . ويرى كاسارتللى أن المؤلف هنا يصف الآراء الشائعة في صلب الديانة الإيرانية نفسها في الوقت الذى عاش فيه .

ومهما يكن من شيء فإن پولس قد قدم هذه المسائل مع تفصيلات أخرى للنظريات الفلسفية ، مدافعاً إلى حد ما عن رجحان الفلسفة على الدين وهو يرفع هذا الكتاب لكسرى . ومن هذا نستطيع أن نتبين حب هذا الملك للآراء الفلسفية التى لم يكن يتذوقها الموازنة إلا قليلاً . ثم إن أجاثياس Agathias يؤكد هذا مع ازدياد وخيلاء عالم هاليق بالنسبة للملك متوحش لم يكن يحب به إلا من الناحية الحربية . كيف يتاح للملك غارق في الشؤون السياسية والحروب أن يتعمق في معرفة الآداب والروح اليونانية الرومانية وخاصة أن هذه الآداب الهلينية كان ينبغي أن تنقل إلى لغة هى ، عند أجاثياس ، قدعة غليظة^(١) !

وكان الطبيب الفيلسوف أورانيوس Uranios الذى اعتبره أجاثياس جاهلاً ومدعياً كبيراً ، وشبهه بثرسيتس Thersites الذى ذكر في إلياذة هوميروس ، كان يعلم كسرى الفلسفة ، وكان هذا يجمع الموازنة ليناقدوا أسناده في المسائل الطبيعية وما شابهها ، كمسألة ما إذا كانت الدنيا لا متناهية وهل لهاعلة واحدة^(٢) .

ويبين التساهل للدين الذى ساد في بيزنطة ، بوضوح ، ما كانت عليه حرية العقيدة في البلاط الإيرانى . وبعد أن أوصدت أبواب مدرسة أثينا الفلسفية سنة ٥٢٩ واضطهد فلاسفتها ، هرب سبعة منهم إلى البلاط الإيرانى في الدائن وهم : دماسكوبوس السريانى Damascius ، سيمبليكيوس الصقلى Simplicios ، إيليموس الفريجى

(١) Agathias ، (٢) ، ٢٨ . يقول أجاثياس وكانوا يدعون أن كسرى كان مغرماً بكتب أرسطو وأفلاطون .

(٢) نفس المرجع ، (٢) ، ٢٩ .

• Priscianos le Lydien ، پرشيانوس الليدى ، Eulamios le Phrygien
• Hermias هرمياس ، وديوجين Diogene ، الفينيقيين ، وإيزيدور Isidore .
وقد رحب بهم الملك أنوشروان . والحقيقة أن هؤلاء الفلاسفة قد خاب ظنهم كثيراً .
فقد وقفوا على العادات الإيرانية الوحشية وشاهدوا القسوة والظلم الذى يقع على
صغار القوم من سراتهم . وقد أسخطهم هذا كله فعادروا البلاط الإيراني . ومع
ذلك فقد دافع أنوشروان عن حقوقهم وكسب لهم في معاهدة السلام مع إمبراطور
بيزنطة حق العودة أحراراً إلى بلادهم^(١) .

وإن كانت المدنية الإغريقية Hellenisme قد أنعشت أيام كسرى الأول الحياة
العقلية في إيران فقد كان للثقافة الهندية في ذلك العصر تأثيرها الحصب على هذه
الحياة أيضاً . وقد جاء في كتاب « ماذيگان شطرنج » — قصة الشطرنج — وهو كتاب
پهلوى صغير ألف بعد عهد الساسانيين — إن لعبة الشطرنج أدخلت إلى إيران أيام
كسرى الأول من بلاد الهند^(٢) . ومن الكتب الهندية التى نقلت إلى پهلوية أيام
أنوشروان رواية بوذية اختفى أصلها ولكننا نعرفها في ترجمة عربية عن پهلوية
اسمها : « بلوهر وبوذاسف » ، وقد أخذت منها — عن طريق ترجمتها إلى السريانية —
القصة اليونانية « Barlaam et Yo'asaph » ، كما أخذت منها قصص كثيرة
أوربية في القرون الوسطى^(٣) . وأشهر هذه الكتب التى نقلت إلى پهلوية أيام
أنوشروان كتاب « كليلة ودمنة » ، وهو نص پهلوى لمجموعة من القصص تسمى
في السنسكريتية « پنج تنترا » Pancatantra ، نقله إلى پهلوية برزويه الطبيب
الذى تحدثنا عنه ، وكان قد أتى بالأصل الهندى أثناء رحلة له إلى بلاد الهند^(٤) .

(١) Agathias ، (٢) ، ٣٠ — ٣١ .

(٢) انظر هذا الكتاب ، ص ٤٦ . يرى هرتسفيلد أن هذه اللعبة كانت معروفة
في إيران من قبل (Arch mitt) ، (٣) ، ص ٢٨) .

(٣) نولدكه ، Burzoos Einleintung ، ص ٥ ؛ روزنبرج Notices de la
Litterature Parsie ، ص ٥٧ .

(٤) مقدمة برزويه قرب النهاية .

والقصص الخيالية التي دارت حول نقل هذا الكتاب^(١) إلى اللغة الهلوية تبين مدى انتشاره في إيران ، ولم يلبث أن نقل إلى السريانية ثم إلى العربية فقد نقله إليها ابن المقفع (وجهل تاريخ حياة برزويه مقدمة لترجمته) ثم نقله إلى الفارسية نظما الشاعر رودكي ، وقلده في هذا شعراء آخرون من الفرس .

وإذا ألمعنا بالأفكار الفلسفية والدينية أيام أنوشروان نعود هنا إلى ترجمة حياة برزويه المشهورة ، فنجد بها بيانا للحياة الإنسانية والأوضاع الاجتماعية والأخلاق الحميدة ، وهو بيان يكشف عن روح قلق ، يبحث عن الحقيقة فلا يجدها . وفي المقدمة كلمة عن الأديان ، أراد نولدكه Noeldeke أن ينسبها إلى المترجم العربي وأن يصرفها إلى حياة المسلمين في زمنه ، فإن ما جاء بهذه الكلمة يمثل اختلاف المذاهب الإسلامية في زمن ابن المقفع أكثر من تمثيل ما كان أيام برزويه . ولكن إذا اعتبرنا المؤثرات التي تجمعت وقت ذاك في إيران ، مضافا إليها اهتمام أنوشروان بالآراء الفلسفية التي كانت في أيامه ، وخاصة إذا قارنا هذا النص بنص بولس رسا الذي ذكرنا ، فإنه لا يبدو غريبا أن يكون برزويه نفسه كاتب هذه الكلمة وهي (٢) :

« وقد وجدت آراء الناس مختلفة ، وآراءهم متباينة ، وكل على كل عاد ، وله عدو مغتاب وفيه واقع . فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلا ، وعرفت أني إن صدقت أحدا منهم لا علم لي بحاله كنت في ذلك كالمصدق الخدوع . فلما تحرزت من تصديق ما لا يكون ولم آمن إن صدقته أن يوقعني في تهلكة عدت إلى البحث عن الأديان والتماس العدل منها فلم أجد عند أحد بمن كلمته جوابا فيما سألته

(١) فردوسي ، الشاهنامه ، نشر مول (٦) ، ص ٤٤٤ وما بعدها ؛ الثعالي ، ص ٦٢٩ وما بعدها .

(٢) أما عن آرائي في صحة نسبة هذا الجزء من المقدمة إلى برزويه فإني عرضتها في محاضرة ألقيتها في باريس سنة ١٩٣٢ . وقد لاحظ كراوس Kraus نفس الملاحظات مشيرامثلي إلى أوجه الشبه بين آراء برزويه وبولس Panlus Persa (ص ١٤ وما بعدها سنة ١٩٣٣ ، عدد (١٤) من : Rev degli Studi Orientali) .

عنه فيها . ولم أر فيها كلوني به شيئاً يحق لى فى عقلى أن أصدق به ولا أن أتبعه ، فقلت لما لم أجد ثقة آخذ منه فالرأى أن ألزم دين آبائى وأجدادى الذى وجدتهم عليه وهممت بذلك ، ثم التمسْتُ لنفسى مخرجاً فقلت إن كان من يفعل هذا معذوراً . . فلما ذهبت ألتبسُ لنفسى فى لزوم دين الآباء والأجداد ولم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة بل وجدتها تريد أن تتفرغ للبحث عن الأديان والمسئلة عنها والنظر فيها هجس فى قلبى ، وخطر على بالى قرب الأجل وسرعة انقطاع الدنيا واعتباط أهلها وتخوم الدهر حياتهم . فلما خفت من التردد رأيت أن لا أتعرض له ولا لما أنخوف منه المكروه واقتصرت على كل شىء تشهد به العقول ويتفق عليه أهل الأديان ويُرى أنه صواب وحق . . » يقول برزوبه بعد مثل هذه الأفكار إن أسلم طريق هو اتباع دين الآباء ، ولكنه لم يطق الثبات عليه ، فإنه يلاحظ أن هذا لو صح فإن الذى يحد أباه ساحراً ويجرى على مثاله يكون غير موم . وأخيراً يخطر له قرب انتهاء الأجل وسرعة انقطاع الدنيا فيعزم على أن يدع لدانها ويأخذ فى النسك^(١) .

والخاتمة واضحة الدلالة . فإن النسك ينافى قواعد دين زردشت ، ولكن النصارى والغنوصيون والمناوية والمزدكية طالما كرروا القول فى النسك حتى سرت عدواه إلى الجماعات المزدية^(٢) . ويضاف إلى هذه المؤثرات أثر الفكر الهندى الذى كان برزوبه أقوى بمثليه .

ويرجع الإقبال الذى صادفه كتاب كليله ودمنة ، وهو يمثل الروح الهندى أصدق تمثيل ، إلى الدقة التى تحراها المؤلف فى عرض الاتجاه الخلقى ، وإلى الصلة القريبية بين فكرة الكتاب وما تناولته كتب النصائح الإيرانية — اندرز — من أفكار^(٣) فى أيام أنوشروان . وهذه الكتب الشعبية مفيدة من حيث كشفها عن تطور الحكمة العملية عند الزردشتيين فى نهاية عهد المدنية الساسانية .

(١) نولدكه ، Burzoos. Einleitung ، ص ١٥ وما بعدها ، فارن ص ٣ .

(٢) فارن هذا الكتاب ، ص ١٤٣ .

(٣) انظر ص ٤٤ من هذا الكتاب .

ولا يكال ذلك نذكر مقتطفات من بعض هذه الكتب ككتاب « داذستان مينوك خرد » و « آرداگ ویراز » وغيرهما من الكتب الدينية التي ترجع أصولها إلى زمن أنوشروان^(١).

وهذا بعض ما تضمنته هذه الكتب^(٢) :

الفضيلة هي الحكمة ، لأن العلم والعمل أصل الصفات الحسنة في البشر^(٣). الكرم أول الفضائل^(٤). الكريم عادل وهو يعلم أن الإنذار بالعقوبة أو توقيها غير جائزين إلا بعد التثبت من حدوث الجرم من الجاني^(٥)، كما يعلم بوجود العدل مع العدو الذي يحاربه^(٦). من الخير المساهمة في أعمال الخير بما لا اكتسب من الطريق السوى بالعمل الشريف ، وإن حياة زينها هذا الخير تنتهي بالهجرة والسلام^(٧). الرفق بالحيوانات النافعة أصل قديم من أصول الديانة المزدية^(٨). رأى أرداگ ویراز ، في رحلته إلى جهنم ، رجلا يلقي صنوف العذاب في كل أجزاء بدنه عدا قدمه الأيمن ، لم يفعل هذا الرجل خيراً قط في دنياه ، ولكنه قرب بهذا القدم حزمة من العلف إلى ثور عامل^(٩). الجدة والمثابرة فضيلتان نص عليهما خاصة . بالمثابرة يتحلى الرجل

(١) ص ٤٢ .

(٢) تشير إلى المصادر بالطريقة الآتية : آذر = اندرز آذربد (نمر پشوتان سنجانا ، گنج شياگان ...) ، خسرو = اندرز خسرو (نفس المصدر) ، اوش = اندرز اوشنار دانگ (نمر زهر) ، بزرگ = پندنامک بزرگهر (پيش = پشوتان سنجانا ، گنج شياگان ؛ جام = Pahlvi Texts نمر جاماسب — آسانا ، ص ٨٥ وما بعدها) ؛ زر = پندنامک زردشت (نمر فريمان Frieman) ، مينو = مينوك خرد ، وير = أردگ ویراز نامک .

(٣) بزرگ ، پيش ، ٢٢ ؛ جام ، ٥٧ — ٦٨ .

(٤) مينو ، ٤٧ — ٤ ، بزرگ ، پيش ، ١١٥ ، جام ، ٢٢٣ — ٢٤ .

(٥) آذر ، ٦٩ .

(٦) مينو ، ٢ — ٥٢ .

(٧) بزرگ ، پيش ، ٢٩ ، ١٠٠ ، جام ، ٧١ — ٧٢ و ٢١٣ — ١٤ .

(٨) زر ، ٩ .

(٩) وير ، ٣٢ ، ولهذه الكلمة صيغة أخرى في نسك سبند ، انظر وست PT ،

(١) ، ص ٣٥٠ .

بالمجد^(١). ينبغي اليقظة المبكرة لبدء عمل اليوم^(٢). بالجد يكتسب الثراء الذي يستعمل لخير الناس ، بتشديد المنازل والنزل^(٣) ، ولكن إن كان الثراء محبباً إلى النفس فإن فقراً في أمانة خير من ثراء عن طريق غير سوى^(٤). جدير بالثناء من يقاسى في صبر الشر والحزن يرسلهما عليه أهرمن وغيره من الكائنات التي تؤذى الناس^(٥)، وخاصة من يبذل بشهواته السيئة الشعور الطيب ، وبالغضب الصبر ، وبالحسد الخوف من السمعة الضارة ، وبالشهوة القناعة ، وبروح العدوان العدل^(٦). يكسب الإنسان بالقناعة وحدها الفضائل التي هي زينة الدنيا . ينبغي التكلم برفق دائماً ولا يجوز التجهم^(٧) للمخاطب ، لأن الأدب والرفقة عنوان الخلق الكريم^(٨). الاتهام أزدل من السعير^(٩). لا يجوز التفكير في الانتقام أو إيذاء إنسان^(١٠)؛ فإن من ينصب شراكاً لأخيه يقع فيه^(١١). ينبغي للمرء أن يأكل باعتدال ليحفظ للجسم سلامته^(١٢) ، كما ينبغي الامتناع عن الكلام وقت الأكل أو الشراب^(١٣). قليل من الحر يفيد الجسم كثيراً ، يسهل الهضم ويزيد الحرارة وينبه الروح والذاكرة ويشرح

(١) بزرگ ، پیش ، ٣٣ ، جام ، ٧٩ — ٨ .

(٢) آذر ، ٩٨ .

(٣) قارن وير ، ٩٣ — ٥ .

(٤) مينو ، ١٥ — ٤ .

(٥) مينو ، ٣٩ — ٣١ .

(٦) بزرگ ، پیش ، ٧٢ ، جام ، ١٣٩ — ٤٠ .

(٧) آذر ، ٨٥ .

(٨) بزرگ ، پیش ، ٢٥ ، جام ، ٦٣ — ٦٤ .

(٩) مينو ، ٢ — ١١ .

(١٠) آذر ، ٤٥ .

(١١) آذر ، ١٠٨ .

(١٢) مينو ، ٢ — ٨٢ .

(١٣) دينکرد ، (٨) ٤٣ ، ٣٧ (نسك سكاظم) ، (٩) ، ٩ ، ٢ (نسك سوزگر) ،

وقارن س ٣٩٧ .

الصدر^(١). من يشرب الخمر وهو سبي الخلق يصبح معتدياً خبيثاً مشاكساً ويعامل زوجه بقسوة وكذلك أولاده وعبيده^(٢)، وإن أسرف في الشراب يضعف منه الجسم والروح^(٣).

وقد حوت حكمة آذربيد كثيراً من النصائح العملية مثل : لا يجوز الإفشاء بالسر إلى المرأة ، كما لا ينبغي الجدل مع الحق . وكذلك لا يجوز التعبير برؤية العين عما سمع فقط ، كما لا ينبغي الضحك بغير سبب . لا يجوز عرض النعمة على الحاسدين . ينبغي إعمال الفكر قبل الكلام فإن كلمة غير محكمة كنار تحرق كل شيء . لا يجوز أن تجعل صديقاً لك عدوك القديم ، ولكنك تجعل صديقاً لك من صاحب قديم ، فإن صاحب القديم كالخمر العتيقة تزداد قيمة على مر السنين .

لا يجوز أن تتعلق كثيراً بأفراح الدنيا وأتراحها ، بل ينبغي اعتبارها كمدار ضيافة الناس فيها غادون ورأحون^(٤) .

وهذه نقات تذكرنا برباعيات عمر الخيام الحزينة .

ونحن نعرف أسلوب كتب النصائح في الخطب التي كان الملوك يلقونها في أحداث العرش والتي ذكرت فقرات منها ، صحيحة إلى حد ما ، في التواريخ الرسمية ، كما نجدتها أخيراً في أحد الآثار الأدبية من أيام كسرى ، في كتاب تنسر .

وترتكز فلسفة النصائح الشعبية على الشعور الديني ، ولكن التدين لا يجب هذا البدء في حرية الفكر . وقد أخذ رجال الدين الزردشتيون يفقدون نفوذهم يوماً بعد يوم ، ولم يكن لهم النفوذ القديم ليواجهوا التيارات الجديدة . وخفت حدة التعصب

(١) مينو ، ١٦ و ٣٦ — ٤٨ .

(٢) مينو ، ١٦ و ٣٠ — ٣٥ .

(٣) مينو ، ١٦ و ٤٩ — ٦٣ ؛ وفارن آذر ، (٣) ، اوش ، ٣٣ ، دينكرد

(٩) ، ٧ و ١١ (لسك سوزغر) .

(٤) بزرگ ، بيش ١٦٩ . والنهذ ١٦٠ — ١٦٩ من طبعة پيشوتان سانجانا

لا ترجع إلى پندناگ بزرگمهر ، ولسكنها تمثل في الحقيقة إحدى النصائح السبع التي أشار إليها وست ، GIPH ، § ٧١ ؛ انظر فرين Freiman ، PZ ، ص ٦ .

وأصبح المستنيرون يؤثرون قواعد الأخلاق على عقائد الدين ، وكثرت الشكوك حتى اتسع الأفق وكثر المفكرون ، وأصبحت الخرافات الدينية الكثيرة المزدية تضايق رجال الدين أنفسهم . واخترعت الشروح العقلية ، وقد قال أحد الموابدة في مناظرة مع جيورجيس المسيحي : « نحن لا نعتبر النار إلهاً ولكننا نعبد الله بواسطتها كما تعبدونه بواسطة الصليب » ، فذكر جيورجيس ، وهو إيراني مرتد^(١) ، بعض فقرات من الأوستا حيث جاء ذكر النار على أنها إله ، فقال الموبد ، وقد ضاق بالأمس ، متسللاً من الموضوع في لباقة : « نحن نعبد النار لأنها من نفس طبيعة أوهرمزد » . فقال جيورجيس : « أفي النار كل ما في أوهرمزد » . قال الموبد : « نعم » . قال جيورجيس : « إن النار تلتهم النجاسة وروث الخيل وكل ما تلتس ، وإذا فإن أوهرمزد يلتهم كل هذا لأنه من نفس الطبيعة » . وهنا وقف الموبد المسكين وقد أرتج عليه^(٢) .

إن التفاؤل القديم ، المتين ، الحافز ، الذي هو أساس الدين الزردشتي قد تفتت تحت تأثير الأفكار الجديدة . وأخذ الميل نحو الزهد ، وهو مستحب في كثير من الديانات التي تغلغت في إيران ، يدب في الديانة الزردشتية مقوضاً أركانها . ونجد هذا النص في مواضع أوشنار (٤٦) : « إن الروح تبقى ويفنى الجسد » وهي فكره مخالفة كل المخالفة لتعاليم المزدية ويبدو أنها أخذت عن المانوية .

وفي ذلك الوقت كانت النظرية الزروانية ، التي شاعت أيام الساسانيين ، وبالا على الدين إذ بثت فكرة الجبر ، وهي السم الزعاف للديانة المزدية^(٣) . لم يكن زروان الإله القديم وأبو أوهرمزد وأهرمن ، الزمن اللامتناهي لحسب بل كان القدر أيضاً . وقد جاء في رسالة داذستان مينوگ خرد (روح الحكمة أو الحكمة السماوية)^(٤)

(١) كان اسمه الإيراني مهران گشنسپ ، انظر ص ٣٩٨ من هذا الكتاب .

(٢) هوفان ، ص ١٠٩ .

(٣) ناقش جاكسون نظرية الاختيار في المذهب الزردشتي في كتابه Zoroastrian

Studies نيويورك ١٩٢٨ ، ص ٢١٩ وما بعدها .

(٤) ٢٣ ، ٤ — ٧ .

التي يشار إليها كثيراً : « إن الإنسان رغم قوته وسعة ذكائه وعلمه لا يستطيع مغالبة القدر ، لأن القدر المحتوم حين يقرر الخير أو الشر ، يعجز الحكيم عن العمل ويقدر الشرير عليه ، وهذا يجعل الشجاع جباناً والجبان مقداماً والعامل كسولاً والكسول عاملاً » . ولكن مجهود الإنسان ، مع ذلك ، ليس عبثاً كله ، فقد جاء في الفصل الثاني والعشرين إن هذا المجهود سيوضع في الميزان في الوجود الروحي أي في العالم الآخر^(١) . ولكن في هذا التسليم بالقضاء والقدر وهو يؤدي إلى الكفر وهو ما تبينه الرسالة التي ألفت بعد الساسانيين والتي تسمى : شكند كوماينيك وزر (الشرح الذي يبطل الشك)^(٢) في قولها : « أما هذا الخطأ الذي يقع فيه من يقولون بأن ليس هناك آلهة ، وهم المسمون بالدهريين^(٣) ، والذين أراحوا أنفسهم من البحث في أمور الدين وتحمل مشقة العمل الطيب ، وأما جدالهم الطويل الذي لاحد له ، فاعلم أنهم ينظرون إلى هذه الدنيا حسب ما يتعلق بالأنظمة من كل نوع والتقلبات التي تختص بأجسادهم ، بواسطة العمل ، وذلك بمعارضة شيء بالآخر ، واختلاط شيء بآخر ، كالتطور الأولى للزمن اللامتناهي ؛ وهم يدعون أن لاجزاء على الخير ولا عقاب على الذنوب ولا جنة ولا نار ولا شيء يدفع الناس إلى خير أو إلى شر ؛ وأن الأشياء كلها مادية وأن ليس للروح وجود^(٤) » .

وأختم الكلام بأن سرعة انتشار الإسلام في إيران يرجع إلى أسباب عديدة من

(١) انظر تافاديا في ZII ، ١٩٣١ ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٢) ٦ ، ١ — ٨ .

(٣) أي « أتباع نظرية الزمان » .

(٤) يقول تافاديا (ZII ، ١٩٣١ ، ص ١٣٢) إن كلمة دهرى التي قصد بها أهل الاختيار هنا لا يقصد بها فرقة من أيام الساسانيين ، لأن هذه الكلمة مشتقة من الكلمة العربية دهر « زمان ، غلبة » ، ويشير الكتاب المسلمون إلى فرقة بهذا الاسم . ولا شك أن ملاحظة تافاديا صحيحة ، ولكنني أظن أن كلمة دهرى في هذه الفقرة تترجم ببساطة كلمة زروانيك الأصلية ، وأن السكاتب يجادل فلسفة مادية معاصرة قد استمدت نتائجها الأخيرة من الآراء الزروانية ولو أن الحقيقة أننا لا نعرف إذا كانت الزروانية قد سارت إلى هذا الحد منذ أيام الساسانيين .

بينها سبب نفساني نراه في ثنايا كتب الحكمة وبشكل أوضح في آراء برزويه وهو من أكبر الرجال ثقافة ، ومن غير شك واحد من أعظم مفكرى إيران في القرن السابق على تدهور الدولة الساسانية .

ونستطيع أن نتبين الخلاف بين الزردشتية كما تصورها الأوستا الحالية والآداب البهلوية الدينية التي سطرت بعد الساسانيين من ناحية ، والزردشتية الساسانية التي تدلنا عليها المصادر غير الإيرانية^(١) . فإن أساس العقيدة الزردشتية ، في أواخر عهد الساسانيين ، كان قد زلزل وانتهى ، وكان الانهيار مروعاً ، وفي الوقت الذي أدى فيه الفتح الإسلامي إلى أن فقدت الزردشتية عون السلطان وأدرك رجال هذا الدين أن لابد من مجهود عظيم لمنع هذا التحلل الكامل . وقد بذل هذا المجهود فعلاً ، فنزعت فكرة زروان مع كل الحرافات الدينية الصبائية التي اتصل بها ، وجعل من الزدية غير الزروانية عقيدة جديدة . وهكذا تغيرت الفكرة في خلق الدنيا . وقضى على فكرة عبادة الشمس لتقوية فكرة التوحيد في ديانة أوهرمزد ، وحدد مركز ميترا (مهر) تعديلاً يسار يشتمل مهر القديم ، وهذبت التقاليد الدينية أو غيرت^(٢) ، وترك للنسيان أو أخفى ، جزء الأوستا الذي تأثر بعقيدة زروان مع شروحاتها . ومن المفهوم ، على هذا الضوء ، أن نجد الأقسام الخاصة بالخلق قد اختصرت في بضعة أسطر في الدينكرد حتى لا تكاد تبين . وقد جرت هذه التعديلات في القرون الغامضة التي تلت سقوط الدولة الساسانية . ولم تشر الكتب البصرية إلى هذه التعديلات بل إنها صورت الدين الزردشتي المعدل كأنه الدين القديم بخلافه . وهكذا وجد رجال هذا الدين أنفسهم قادرين على الجدل عن دينهم بالحجة ضد الأديان الأخرى ومنها الإسلام من غير أن يكونوا أضعف منهم منذ البداية . وقد بدأوا جدالهم بهارة في الكتاب الدفاعي الذي ذكرناه ، شكند گمانیک وزر . ومن ذلك الوقت أصبح

(١) انظر قبل هذا ص ١٣٢ وما بعدها .

(٢) دليل ذلك الفصل الأول من البندهشن الإيراني ، انظر قبل هذا ص ١٤٢ .

الزروانيون فرقة من الزردشتيين لأكثر ، وعلى هذا النحو عرفهم الشهرستاني الذي وصف في القرن الثاني عشر المذاهب المختلفة في العالم .

* * *

إن عهد كسرى الأول من أمجد العهود الساسانية ، فقد بلغت إيران في أيامه مجداً فاق مابلغته أيام الملوك العظام ، كما أن الثقافة الأدبية والفلسفية جعلت لعهد جمالا خاصا . ولكن ماذا كان شأن الأحوال المادية والاجتماعية والأخلاقية للشعب الإيراني في ذلك الحين ؟ إن لدينا المصادر الرومانية البيزنطية المتحاملة على هذا العهد ، ولدينا من الناحية الأخرى المصادر العربية الإيرانية التي تجعل من عهد هذا الملك عهداً عادلا عدالة مثالية . والواقع أننا إن قارنا ما جاء في المصادر من النوعين مع تقديرنا لميولها وللأخبار المختلفة التي تذكرها وما نراه مسطوراً من تفصيلات دون تعمد ، وجدنا صورة واضحة بعض الوضوح عن إيران في زمن كسرى الأول ، الروح الحالد ، في دور النقه ، بعد الحلى التي اعترتها من اللزديكية . وكان التعديل المالى ، كما ينسب إلى كسرى ، يرمى إلى مصلحة الخزانة قبل مصلحة الشعب من غير شك . فقد عاش رجل الشارع كما عاش قرونا طويلة في الجهل والظلم ، وقد أحس الفلاسفة البيزنطيون الذين أووا إلى البلاط الإيراني بخيبة أملهم ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يرفعوا أنفسهم إلى مرتبة الفلسفة الحققة فيحكموا من غير تحيز على عادات أمة أجنبية عنهم ، وقد كانت آراؤهم معبرة عن المثل التي تصورها لدولة يحكمها فيلسوف ، وبطبيعة الحال لم يتوفر لهم ذوق الدراسات الخاصة بالأجناس وبعلم النفس الجنسى . لقد راعهم أن يجدوا الإيرانيين يبيعون الزوج من أمهاتهم أو أخواتهم أكثر مما راعتهم عادة عرض الجيف التي هي عادة مقدسة واجبة . ولكن لم يكن هذا وحده ما جعل حياتهم غير مستطابة في إيران ، فإن روح القبيلة والهوة التي تفصل بين الطبقات والحالة العسة التي كان عليها الشعب ، كل هذا نفص عيشهم ، « فإن القوى يظلم الضعيف ، وهم يرتكبون كثيراً من القسوة والوحشية فيما بينهم »^(١).

(١) أجانياس ، (٢) ، ٣٠ .

كانت طبقة النبلاء التي خرجت من أزمة مروعة متضائلة جداً ، وقد عادت إلى حياة منظمة بفضل ما اتخذ الملك من تدابير فائقة ، فكانت تعيش عيشة وادعة هادئة ، ولو أنها كانت تتحدى بين الحين والحين روح التجديد الذي يحكم به الملك . وكانت طبقة النبلاء الأقل شأنًا والتي تقضى وقتها في أراضيها وتهتم بالأعباء الإدارية في جهاتها أسعد الطبقات عيشاً .

وفي استطاعتنا أن نقول إن رزايا المعيشة العامة والحالة الاجتماعية كانت في الجملة أخف وطأة أيام كسرى الأول مما كانت عليه في العهود السابقة ، ولكنها برزت أكثر لأن التفكير طال فيها . وها هي صورة لهذا العهد يختم بها برزويه في تاريخ حياته تأملاته في بؤس الحياة الإنسانية وفوائد الزهد^(١) :

« لا سيما في هذا الزمان الهرم البالى الشبيه بالصباية والكدر ، فإنه وإن كان الله تعالى قد جعل الملك سعيد الأمر ، ميمون النقيبة ، حازم الرأي ، بعيد القدرة ، رفيع الهمة ، بليغ الفحص ، عدلاً برأ جواداً صادقاً شكوراً رحب الذراع ، متفقداً للحقوق ، مواظباً فهماً حليماً رءوفاً رحيماً ، عالماً بالناس ، محباً للخير وأهله ، شديداً على الظلمة ، موسعاً على رعيته ، فإننا نرى الزمان مدبراً بكل مكان ، حق كأن الفضل قد ودع . وأصبح مفقوداً ما كان عزيزاً فقدمه ، موجوداً ما هو ضار لمن ظفر به . وكأن الخير أصبح ذابلاً والشر نصيراً . وكأن الغنى أقبل ضاحكاً وأدبر الرشداً باكياً . وكأن العدل أصبح غابراً ، وأصبح الجور غالباً . وكأن العلم أصبح مستوراً ، وأصبح الجهل منشوراً . وكأن اللؤم أصبح آمراً ، وأصبح الكرم موطوءاً . وكأن الود أصبح مقطوعاً ، وأصبح الحقد موصولاً . وكأن الكرامة قد سلبت من الصالحين وتوخت بها الأشرار . وكأن الغدر أصبح مستيقظاً ، وأصبح الوفاء نائماً . وكأنما الكذب أصبح غصاً والصدق قاحلاً . وكأن الحق ولى عائراً ، وأصبح العدوان قد

(١) تولدكه ، Burzoos Einleitung ، ص ٢٤ وما بعدها . ومن الممكن بل ويطن أن ابن المقفع الذي نقل هذه الشكوى التي يبثها أكبر أطباء كسرى قد زاد في تشاؤم النص الأصلي فأدخل بعض تجارب عصره ، ولكن ليس هناك من سبب اشك في أن أساس هذه الصورة المغالطة قد كتبه برزويه .

جرى سبيله ، والإنصاف بئساً ، والباطل مستعلياً ، والهوى بالحكام موكلًا ، والمظلوم بالحسف مقرأً ، والظالم لنفسه فيه مستطيلاً ، والحرص فاغراً فاه يتلقف من كل جهة ما قرب منه وما بعد عنه ، والرضا مجهوداً مفقوداً ، والأشرار يسامون السهاء ، والأبرار يريدون بطن الأرض . وأصبحت الروءة مقدوفاً بها من أعلى شرف إلى أسفل مهواة ، والدناءة مكرمة ، والرفعة مجفوة ، والسلطان منتقلاً من أهل الفضل إلى أهل النقص ، والدنيا جذلة مسرورة تقول : قد غيبت الحسنات وأظهرت السيئات » .

الفصل التاسع

آخر عهود المجد

هرمزد الرابع . أخلاقه . استمرار الحرب مع بيزنطة . ثورة بهرام چوبين . عزل وقتل هرمزد . كسرى الثانى يعتلى العرش . بهرام چوبين ينصب نفسه ملكا . الحرب الأهلية . كسرى يسعى لتعزيد الإمبراطور . هزيمة بهرام چوبين وفراره ثم قتله . ثورة بسطام . حكم كسرى الثانى . حرب جديدة مع بيزنطة . أخلاق كسرى الثانى . القصور الملكية (دستگرد « قصر شيرين ») . نقوش طاق البستان . نفائس كسرى . زوجاته . ترف البلاط . المطور والطبخ . كؤوس مزينة . الموسيقى . حال النصارى . عزل كسرى وقتله وتولية قباد الثانى شيويه .

كان هرمزد الرابع الذى خلف كسرى أنوشروان على العرش سنة ٥٧٩ خير خلف له من بعض الوجوه . وقد كانت في وسعه أن يدعى لنفسه لقب « العادل » ولعله كان أكثر استحقاقا له من كسرى . وقد قال البلعمى في صراحة : « إن عدالته فاقت عدالة أنوشروان »^(١) . وقد اتفق جميع المؤرخين الشرقيين على أنه كان كثير العطف على الضعفاء والمظلومين شديداً على الأشراف والظالمين .

ولكن — في هذه المصادر كلها — يختلط الحب بالبغض بطريقة فذة تبين أن النسخ العربية الأولى للخدينامة قد ألقت من الروايات المختلفة التي يصور بعضها شعور عامة الناس وبعضها الآخر يمثل الاتجاه الذي ساد عند الأشراف ورجال الدين . وهكذا يقول الطبرى^(٢) ، رواية عن هشام بن محمد ، « إن هرمزد كان كثير الأدب ، ذا نية في الإحسان إلى الضغفاء والمساكين والجل على الأشراف فعادوه وأبغضوه وكان في نفسه مثل ذلك » . ثم يلي ذلك قصتان قد ذكرهما معظم مؤرخي العرب والفرس وكتاهاها تبين عدالته الصارمة التي لا استثناء فيها لأحد . ثم يعطينا

(١) ترجمة زوتنبرج ، (٢) ، ص ٢٤٦ .

(٢) ص ٩٨٨ ؛ نولدك ، ٢٦٤ .

الطبرى بعد هذا صورة من أخلاق هرمزد نقلا عن مصدر آخر^(١) : « وقيل إن هرمزد كان مظفراً منصوراً لا يمد يده إلى شيء إلا ناله ، وكان مع ذلك أديباً أريباً داهياً ردىء النية قد نزع أخواله الأتراك^(٢) ، وكان مقصياً للأشراف ، وإنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستائة رجل ، وإنه لم يكن له رأى إلا فى تألف السفلة واستصلاحهم ، وإنه حبس ناساً كثيرين من العظماء وأسقطهم وحط مراتبهم ودرجاتهم وجهز الجنود وقصر بالأساورة » . وجوهر القسطين واحد ، ولكن الروح فيهما متفاوت ، وليس فى القصة الأخيرة شيء عن عدالة الملك .

والكتاب البيزنطيون^(٣) ، الذين لا يرون فى هرمزد سوى عدو الإمبراطور ، لا يعرفونه إلا من ناحيته السيئة فيصفونه بأنه ظالم مدع سبي الحكم قاس على الرعية . وأما نصارى إيران ، فهم على العكس قد حفظوا لهذا الملك ذكرى حسنة ، فإنه هو الذى أجاب عدوان المهرابذة على النصارى بقوله : « إنه كما أنه لا قوام لسرير ملكنا بقائميه القديمتين دون قائميه المؤخرتين فكذلك لا قوام لملكنا ولا ثبات له مع استفسادنا من فى بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا ؛ فاقصروا عن البغى على النصارى وواظبوا على أعمال البر ، ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل فيحمدوكم عليه وتتوق أنفسهم إلى ملتكم^(٤) » . وقد كان عيشوييه ، الذى عين جاثليقاً برضا الملك ، مقرباً جداً عنده ، وكان يؤدى إليه خدمات طيبة إذ يوقفه على حركات البيزنطيين^(٥) .

والواقع أن هرمزد كان يتبع سياسة أبيه ، ولكن مع حيطة واعتدال أقل مما كان يفعل أبوه . وقد عرضه تسامحه فى أمور الدين لحقد رجال الدين الزردشقى ،

(١) ص ٩٩٠ ؛ تولدكه ، ص ٢٦٧ وما بعدها .

(٢) كانت أم هرمزد بنت خاقان الترك التى تزوجها كسرى ، انظر ص ٣٦٤ بحوطة ٢

(٣) ميناندر وتيوفيلكت .

(٤) الطبرى ، ص ٩٩١ ؛ تولدكه ، ص ٢٦٨ .

(٥) لا بورت ، ص ٢٠١ .

ولكن لا يظهر أن هؤلاء قد لعبوا دوراً ملحوظاً في الثورة التي انتهت بحرمانه من العرش ثم قتله . فإن الموابذة لم يسترجعوا ما كان لهم من قوة . ولكن عداوة الأشراف التي عرف كسرى كيف يكبح جماحها ، مع إرضاء كبيرائها ، كانت شؤماً على هرمزد . وتذكر المصادر الشرقية أسماء كثير من الوزراء وغيرهم من العظماء الذين قتلهم ، ومنهم الموبدان موبد زردشت . وقد ظن الناس ، وقد سمع بهذا تيوفيلاكس من قبل ، كما رواه الكتاب الشرقيون روايات أكثر تفصيلاً ، أنه قسا على العظماء لأنه نبي^١ بأنه سيفقد العرش والحياة في ثورة منهم عليه . وقد كان يعوزه عظمة أبيه ، وما يكون للشخصيات الفذة التي تفرض الاحترام والطاعة في جميع الظروف . وأخيراً فإن الاضطرابات التي سقطت فيها عرش هرمزد كانت رد الفعل للنظام الحربي الذي ابتدعه أنوشروان . فإن هذا النظام ، في الواقع ، كان قاضياً على الدولة بتوليده للفن المتوالي التي كانت الثورة على هرمزد مقدمة لها .

وحينما ولي هرمزد العرش كانت مفاوضات السلم تدور بين بيزنطة وإيران ، فعمل الملك الجديد على إخفاقتها ، ثم تجددت سنة ٥٨١ على غير طائل ، واستؤنفت الحرب ، ولكن القواد الإيرانيين لم يكونوا مظفرين . كان أكفأهم بهرام الملقب بجوبين (الرجل الحشبي) ؛ ولد في الري ، وهو ابن بهرام كشنسب من أسرة مهران ، كان قائداً مشهوراً محبوباً من جنده ، طموحاً مغروراً كساراً أممحاب الإقطاع في الأزمنة القديمة . وقد عهد إليه بالقيادة العليا في الحرب ضد بيزنطة بعد أن انتصر على الأنوم التي كانت تهدد الحدود الشمالية والشرقية وطي الترك^(١) ، ولكنه منى بالهزيمة فانتزع هرمزد القيادة منه بطريقة مهينة ، وحينئذ رفع بهرام ، وكان واثقاً من جنده ، علم الثورة ، وقد بث هذا الحادث التردد في البلاد كلها والتذمر . وقد نجح بسطام ، من أسرة اسبيهند ، وصر البيت المالكة (كان خالاً لولي العهد ، كسرى) ، في تخليص أخيه بندويه ، الذي سمجنه الملك لأنه كان معارضاً لسياسته ، ودخل الأخوان القصر الملكي فخلعوا الملك وألقياه في السجن . ثم إن الثوار سملوا

(١) انظر ماركارت ، 'Iranšahr' ، ص ٦٥ و ٨٣ — ٨٤ .

عينيه ونصبوا ابنه كسرى الثانى ملكا ، وهو الملقب پرويز (المظفر^(١)) ، وقد غادر آذربيجان حيث كان مع جيشه مسرعا إلى المدائن ليضع التاج على رأسه وكان ذلك عام ٥٩٠ . وقد قتل هرمزد بعد ذلك بقليل ، إما بأمر كسرى كما يدعى تيوفلاكت أو برضائه الضمنى .

ولسكن بهرام چوبين لم يكن مستعداً لمبايعة الملك الجديد ، فإنه نفسه كان يطمع فى العرش . وقد أدعت أسرة مهران نسبتها إلى الأشكانيين ؛ وقد اعتمد بهرام چوبين على دعاوى أسرته القديمة وتجراً على المطالبة بالعرش ، وهو مطلب لم يُسمع به فى أثناء حكم الساسانيين من قبل . وقد ولى كسرى فراراً أمام قوات بهرام المنفوقة . ودخل بهرام مظفرأ إلى العاصمة فوضع التاج على مفارقة رغم معارضة لقيف من العظماء ، ثم سك النقود باسمه ، بينما كان كسرى يعبر الحدود البيزنطية ويحتمى بالإمبراطور موريق (موريس) .

وقد كان عهد بهرام چوبين العابر (بهرام السادس) سلسلة من الاضطرابات والمعارك . فقد كان رجال الدين خصوماً له وكذلك كان عدد كبير من العظماء الذين لم يريدوا المبايعة لمغتصب من طبقته أنفسهم . ولسنا نعرف ماذا كان شعور عامة الإيرانيين . وأما اليهود فقد رأوا فيه حامياً يرعاهم فأمدوه بالمال . وقد خلاص جماعة من العظماء بندويه الذى كان سجيناً ، ودبرت فتنة ضد بهرام . ولكن المؤامرة فشلت ، وقتل زعمائها ، وهرب بندويه إلى آذربيجان حيث كان أخوه بسطام يقوم بدعوة ناجحة لكسرى .

وقد عمل الإمبراطور موريق على مناصرة كسرى وأمدّه بالعون الحربى على أن ينزل له كسرى عن مدينى دارا وميافارقين . وكان الروم قد استولوا عليهما فى الحرب . وقد أدى هذا التحول فى مجرى الحوادث إلى الأثر المطلوب : فإن كثيراً من العظماء الذين كانوا يؤيدون بهرام حتى ذلك الوقت قد انفضوا من حوله . وبعد معارك عنيفة هزمت قوات حربية من الروم والأرمن يقودهم موشل ومن كان قد انضم إلى كسرى من الإيرانيين ، هزمت بهرام قرب جنزك فى آذربيجان وألجأه

(١) پرويز بالفارسية .

إلى الفرار . وقد نجح في أن يلجأ آمناً إلى بلاد الترك ، حيث قتل بعد زمن قليل ، ولعل لكسرى يداً في مقتله^(١) وقد تركت حياة بهرام جوين المليث بالمخاطرات أثراً قويا في روح الفرس ، وأمدتهم بمادة لقصة شعبية يهلوية يفيدنا بتفصيلها المؤرخون من العرب والفرس كما جاء ذكرها في شاهنامه الفردوسي^(٢) ومؤلف هذه القصة ، الذي لا يعرف اسمه ، قد وفق في تأدية المأساة الهائلة المليئة بالمآسى لهذا الرجل الفذ الذي يبدو أنه لم يكن محارباً عظيماً خصب ، بل كان أيضاً شخصية قد وهب خير الصفات الإنسانية^(٣) . ولم يكن الموابدة سعداء بعودة كسرى إلى العرش ، فإنه قد تأثر أثناء إقامته في الإمبراطورية الرومانية ومال إلى الإيمان بجميع أنواع الأوهام والخرافات المسيحية ، وقد لبث على هذه الليول تصرفه إليه امرأة نصرانية اختصها بحبه هي شيرين . وفي الوقت نفسه لم يكن الخطر الذي يهدد عرش كسرى من ناحية العظماء بعيداً . وقد وقع سحق الملك على الرجلين اللذين ساعداه في استرداد التاج ، وهما بندويه وبسطام وكان قد كافأهما بمناصب عظيمة ، فنصب بسطام ، حسب ما يقول المؤرخون الشرقيون



٤٢ . من نقود كسرى الثاني
(مجموعة المؤلف)

والياً على خراسان وما جاورها . ولكن كسرى لم ينس أن هذين الأخوين قد ثارا على أبيه وكان يخشى أن يتكرر المثل الذي ضرباه يوماً ما . فقتل بندويه متمسكاً لذلك

(١) المصدر الرئيسي لهذه الحوادث هو كتاب تاريخ تيوفيلكت . أما كتاب التاريخ السرياني المسمى L' anonyme de Guidi فهو غاية في الاختصار (انظر هنا ، ص ٦٨) .
(٢) أول من لفت النظر لهذه القصة هو تولدكه (Tabari ، ص ٤٧٤ وما بعدها)
وقد حاولت تقويم نقطها الأساسية في بحث باللغة الدانمركية Studier fra Sprog-og Oldtidsforskning رقم ٧٥) .
(٣) فارن الحاتمة .

عللا ، حينئذ ثار بسطام ، الذى كان ينتظره مصير أخيه ، واستقل فى ولايته ثم نادى بنفسه ملكا عليها محتذيا حذو بهرام چوبين . وقد استطاع أن يباهض الملك الشرعى عشر سنوات تباعا يؤازره إبانها فرق من الديلمة وجماعة من المحاربين الذين كانوا جنداً لبهرام چوبين ؛ ودليل ذلك مابقى من النقود التى صدرت باسمه فى ذلك الوقت ؛ وقد بلغ من قوته أن أخضع إليه ملكين كوشانيين هما شاوگ وپريوگ^(١) . وقد فزع كسرى حين يسمع بأمر هذا العصيان فشجعه وواساه الأسقف صبر يسوع فلما غلب بسطام فى نهاية الأمر بعد معارك ودسائس ، ليس لدينا عنها تفاصيل مؤكدة^(٢) ، نصب كسرى هذا الأسقف جاثليقا بعد عيشوييه الذى وافته المنية^(٣)



٤٣٠ من نقود بسطام

(مجموعة المؤلف)

وبعد سنوات اتخذ كسرى من مقتل الإمبراطور موريق على يد فوكاس ذريعة لبدء حرب جديدة مع بيزنطة . وقد طرد هرقل فوكاس ، ولكن الحرب استمرت . وغزا قواد الفرس جهات فى آسيا الصغرى واستولوا على الرها وأنطاكية ودمشق ثم بيت المقدس حيث انتزعوا « الصليب » وبعثوا به إلى المدائن^(٤) ، ثم استولوا على

(١) انظر ماركارث ، Eranšahr ، ص ٦٥ و ٨٣ — ٨٤ .

(٢) تقول القصة إن كردية أخت بهرام هى التى قتله ، وكان قد اتخذها زوجا له وقد تزوجت بعد ذلك كسرى الثانى . أما عن ثورة بسطام فانظر تولدكه ، Tabari ، ص ٤٧٨ وما بعدها .

(٣) تولدكه ، Tabari ، ص ٤٧٨ وما بعدها ؛ لابورت ، ص ٢٠٩ وما بعدها .

(٤) نشر پول پيترز النص العربى لرواية نصرانية عن سقوط بيت المقدس فى يد الفرس سنة ٦١٤ ، وذلك فى الجزء التاسع ، القسم الأول من Mélanges de l'Université (بيروت ١٩٣٢) .

الإسكندرية وأجزاء أخرى من مصر، هذه البلاد التي لم تتبع إيران منذ أيام الأكيمينين . وفي ذلك الوقت ، حوالي سنة ٦١٥ ، بلغت قوة كسرى أوجها . وقد صد الأرميني سمبات بمجرتوني هجمات ملك الكوشانيين على الحدود الشرقية ، وهو من أصل هيطلي وكان تابعا لحاقان الترك ، وقتله^(١). وقد اعترف بسيادة كسرى جزء من شمال غربي الهند ، وهو ماتبينه النقود التي عثر عليها في ذلك الإقليم^(٢).

وكان أعظم قواد الجيش الإيراني شاهين بهمن زادگان ، باذگوسپان الغرب وكُرخان الذي يسمونه روميزان^(٣) والذي يلقب بلقب شهر براز (خنزير الدولة)^(٤). وقد قام شاهين بغزوات في آسيا الصغرى واستولى على كالدون المواجهة للقسطنطينية ، ثم مات ولعله قتل بأمر من كسرى^(٥). وأما شهر براز الذي فتح المدن الكبرى في سوريا وبيت المقدس فإنه ضرب حصاراً على القسطنطينية ولكنه لم يكن يملك الوسائل لنقل عسكره إلى الساحل الأوربي للبلسفور .

وقد أوقف هرقل ، آخر الأمس ، الزحف المظفر الذي قامت به جيوش الفرس فاستعاد آسيا الصغرى ، وتقدم طارداً جيوش كسرى في أرمينية وآذربيجان واستولى سنة ٦٢٣ و ٦٢٤ على مدينة جنزك Ganzak ، حيث ضرب بيت نار آذر كشنسب . فهرب منه كسرى حاملا النار المقدسة . وفي السنوات التالية استولى الخزر ، وهم قوم من أصل تركي كانوا قد استقروا في القوقاز في النصف الأخير من القرن السادس على دربند وتحالفوا مع الإمبراطور^(٦). ثم غزا هذا وادي دجلة واستولى سنة ٦٢٨ على قصر الملك في دستگرد واستعد لحصار المدائن . وقد غادر كسرى العاصمة

(١) ماركارث ، Eranšahr ، ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

(٣) Anonyme de Quidi ، ترجمة تولدكه ، ص ٢٤ ، ملحوظة ٤ .

(٤) يظهر أن روايات قصصية عن مآثر هذين القائدين كانت نواة للقصة العربية « عمر الزمان وأبنائه » التي أدخلت في « ألف ليلة وليلة » ؛ انظر جريجوار ، Héros épiques méconnus ، (٢) ، ١٩٣٣ — ٣٤ ، بروكسل ١٩٣٤ .

(٥) يوستي GIPI ، (٢) ، ص ٥٤٣ .

(٦) ماركارث ، Eranšahr ، ص ١٠٧ .

ليأمر على نفسه ولكنه لقي حتفه بعد ذلك بقليل ، في ثورة ساعدت إلى ذكرها بعد حين .

هذا هو إجمال ما جرى من حوادث أيام كسرى الثانى ، الملك الذى سعى نفسه « الرجل الخالد بين الآلهة ، والإله العظيم جدا بين الرجال ، صاحب الصيت الذائع الذى يصحو مع الشمس والذى يهب عينيه للنيل »^(١) . وأحبط الملك حيناً بجلال لم يبلغه ملك من قبله . ومن أجل هذا امتدحته رواية ذكرها الطبرى بقولها^(٢) : « كانت من أشد ملوكهم بطشاً وأنهزم رأياً وأبعدهم غوراً وبلغ فيما ذكر من البأس والنجدة والنصر والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر مساعدة الدهر إياه ما لم يتبهاً الملك أكثر منه ، ولذلك سعى ابرويز وتفسيره بالعربية المظفر » ومع ذلك فإنه يشك في جدارته بما اشتهر به من الشجاعة ، فقد أعطى قليلاً من الأدلة على شجاعته ، فإنه لم يؤيد هذه الشهرة في حروبه مع بهرام چوبين تأييداً قوياً ، ومنذ ارتقى أريكة الملك لم يعرض نفسه لخطر الحروب التى امتلأ بها حكمه . وأما نفاذ رأيه فكان على الأرجح نوعاً من المسكيد الماكرة مكنته من انتهاز الفرصة للتخلص ممن يظن فيهم خطراً عليه . ذلك أنه قد فهم جيداً أن اتساع سلطانه إن توقف على النظام الحربى الذى سبى كسرى الأول فإن هذا النظام يخفى وراءه المخاطر التى تهدد السُّلُك . ومن قبل كان أصحاب الإقطاع من العطاء يعزلون ملوكاً ليولوا بدلهم من يرضونهم من أمراء آل ساسان ؛ ولكن منذ أيام هرمزد الرابع ، بدأ القواد ، الذين كان لهم جيوش دائمة مسيارة ، بدءوا يطمحون هم أيضاً إلى بلوغ العرش . وقد بدأ بهرام چوبين المحاولة ، ثم كان دور بسطام .

والواقع أن الروايات الإيرانية التى حفظ الطبرى ما بينها من تفاوت بدقة ، تكمل صورة كسرى الثانى مضيفاً إليها بعض الخصائص الأخرى : وكان كسرى قد طغى « لكثرة ما جمع من الأموال وأنواع الجوهر والأمتعة والسكران وافتتبع من بلاد العدو وساعده من الأمور ورزق من مواتاته وبطر وشربه شرهاً فاسداً وحسد

(١) تبوفيلكت ، (٤) ، ٨ .

(٢) الطبرى ، ص ٩٩٥ ؛ تولدكه ، Tabari ، ص ٢٧٥ .

الناس على ما بأيديهم من الأموال فولى جباية البقايا علجاً من أهل قرية تدعى خندق من طسوج بهر سیر يقال له فرُّش زاد بن سمي ، فسام الناس سوء العذاب وظلمهم واعتدى عليهم وغصبهم أموالهم في غير حله بسبب بقايا الخراج ، واستفسد بذلك وصنيق عليهم المعاش وبغض إليهم كسرى ومملكه ^(١) . « وأن كسرى احتقر الناس واستخف بما لا يستخف به الملك الرشيد الحازم ، وبلغ من عتوه وجراته على الله أنه أمر رجلاً كان على حرس بابه الخاصة يقال له زادان فرُّش أن يقتل كل مقيّد في سجن من سجنه ، فأحصوا فبلغوا ستة وثلاثين ألفاً ^(٢) ، فلم يقدم زادان فرُّش على قتلهم وتقدم لتأخير ما أمر به كسرى فيهم لعل أعداءه له » ، وعلاوة على هذا فإن كسرى قد أجمع على قتل الفل الذين انصرفوا إليه من قبل هرقل ^(٣) .

وإن كان هرمزد الرابع قد قسا على العظماء وعطف على الشعب ، فإن كسرى قد ظلم الشعب ليملاً خزائنه كما أنه لم يرع العظماء أيضاً . كان حقوقاً شديداً الشك يفتن الفرس ليقول من يشك فيه من الذين أبخلوا في خدمته . وقد رأينا أنه تخلى عن بندويه وبسطام وأن هذا الأخير قد كبده كثيراً من المشقات . ثم إنه بعد ذلك أتى دور مردانشاه ، ياذ گوسپان نيمروز وأحد خدامه المخلصين . والقصة تروى أن كسرى قد اتهم مردانشاه وتخوف ناحيته بعد ما سمع من منجميه وكهانته عن عاقبة أمره إذ أخبروه أن منيته آتية من قبل نيمروز . وقد أجال الرأي في علة ليقوله بها فلم يجد له عثرة وتذم من قتله لما علم من طاعته وإياه ونصيحته له وتخبريه مرضاته ، فرأى أن يستبقه ويأمر بقطع عينه ، ثم بعد أن يحرمه من شغل أعظم مناصب الدولة ، يعوضه منها أموالاً عظيمة ؛ ولكن مردانشاه استحلّف الملك أن يجيب طلبه والتمس منه أن يأمر بضرب عنقه ليمحي بذلك العار الذي لزمه ، فأمر كسرى

(١) الطبري ، ص ١٠٤١ ؛ نولدكه ، ص ٣٥٢ .

(٢) من العبث أن نقرر أن هذا العدد ، كعدد الرجال المتنازحين الذين قتلهم هرمزد الرابع حسب رواية ، الطبري انظر هنا ص ٤٢٦ ، خيالي . وزادان فرُّش قد يكون هو نفسه فرخ زاد .

(٣) الطبري ، ص ١٠٤٣ ؛ نولدكه ، ص ٣٥٦ .

فضربت عنقه . والمحقق أن كسرى قتل مردانشاه وأصبح عدواً لدوداً لولده مهر — هرمزد أو نيو — هرمزد^(١) .

وهذا هو عظيم آخر لقي نفس المصير ، يزيد بن النصراني . وتاريخ هذا الرجل صورة من الخلق طريفة . كانت أسرته ، وهي من أصل سرياني ، تملك أراضي واسعة في كرخا بيت سلوق ، كركوك الحالية ، ويبدو أنها كانت تشغل منصباً كبيراً في الإدارة المالية^(٢) . وقد بلغ يزيد بن هذا منصب واستريوشانسالار فكان عليه تسلم العشور ، واصطحاب العسكر في الحروب لمراعاة مصالح الخزانة في الغنائم وتحصيل الخراج . ويقال إنه كان يصدر للخزانة ألف قطعة ذهبية كل يوم^(٣) . وكان يدافع بحماس لا يقل حرارة عن قضية النصراني ؛ وكذلك فإن الكتاب المسيحيين قد تناسوا ما حارب نفسه به من مزايا مادحين عطفه عليهم وشدة تدينه . وقد وهب هبة عظيمة لصومعة أنشأها شيرين أثيرة الملك النصرانية^(٤) ، ثم إنه « شيد في جميع البلاد الكنائس والأديرة على صورة بيت المقدس السماوي ؛ وقد كان محبوباً من كسرى كما أحب فرعون يوسف ، بل أكثر منه »^(٥) . وحينما غزا الفرس بيت المقدس أرسل يزيد بن إلى الدائن غنائم عظيمة ، وكان من أنفس الآثار عند النصراني جزء من الصليب المقدس ، وقد أودعه الملك مع عظيم الاحترام في بيت المال الجديد الذي أنشأ له بناء في العاصمة . وقد صلب يهود القدس الذين اغتبنوا الفرصة للانتقام من النصراني فأشعلوا النار في الكنائس ، كما صودرت أملاكهم بأمر من الملك وبمشورة يزيد بن الذي أقام بعض ما تهدم من الكنائس^(٦) .

(١) الطبري ، ص ١٠٥٨ وما بعدها ؛ تولدكه ، ص ٣٧٩ وما بعدها ؛ Anonyme de Guidi ، تولدكه ، ص ٢٩ .

(٢) تولدكه ، Tabari ، ص ٣٨٤ ، الملاحظة .

(٣) Anonyme de Guidi ، ترجمة تولدكه ، ص ٢٢ .

(٤) Assem ، (٣) ، (١) ، ٤٧١ ؛ تولدكه ، Tabari ، ص ٣٥٨ الملاحظة .

(٥) Anonyme de Guidi ، تولدكه ، ص ٢٢ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٢٤ وما بعدها .

ولكن العطف الذى تمتع به الواستريوشانسالار لم يدم . ولا نعلم أسباب الغضب عليه ، ولكن حينما كانت جيوش هرقل تغزو الأقاليم الغربية أمر كسرى بقتل يزدین وبتعذيب زوجه ، ولا شك أنها عذبت لتخبر أين خبأ زوجها كنوزة القى جمعها بالحق وبالباطل^(١) .

وقد كان النعمان الثالث ، ملك عرب الحيرة الذى اعتنق المسيحية ، فريسة لمزاج كسرى الحقود . وقد قيل إنه رفض مصاحبة كسرى حين كان هاربا أمام بهرام چوبین وأنه أبى أن يزوجه من بنته ، وفيما بين سنق ٥٩٥ و ٦٠٤ سجنه كسرى ثم قتله ، وانتزع حينئذ مملكة الحيرة من أسرة اللخمين ليعهد بها إلى إياس من قبيلة طي^(٢) وأقام بجانبه رقيقاً من الفرس ، يعرف فى التاريخ بلقب نخويرگان^(٣) . وكانت قساوة قلب كسرى يخففها أحياناً مرح مشئوم . يقول الثعالبي^(٤) : رفع إليه أن بعض العمال استدعى إلى الباب فتشاقل عن الإجابة فوقع « إن نقل عليه المصير إلينا ب كله فإننا نقنع منه ببعضه ونخفف عنه المؤونة فليحمل رأسه إلى الباب دون جسده »

وقد ذكر مؤرخو العرب روايات كثيرة عما كان بين كسرى وقائده شهربراز من عداة خفي . يروى الجاحظ^(٥) أن كسرى قد أرسل إلى شهربراز ، أثناء محاربه الملك الروم ، ثلاثة كتب ظهر منها نية القتل ، فامتنع عن الحضور إليه وانضم للملك الروم ، وحارب معه ، ورسم له الطريق إلى النهروان . فدعا كسرى رجلا من النصارى كان جد كسرى قد أنعم على جده واستنقذه من القتل أيام هزلك^(٥) . وكان من أصحابه الذين استجابوا له ، وأرسل كسرى هذا النصرانى إلى شهربراز بعضا

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٣ — ١٥ ، والملاحظة ٢ ص ١٥ ؛ والطبرى ، ص ١٠١٥ وما بعدها ؛ تولدكه ، ص ٣١١ وما بعدها ؛ رودشتين ، ص ١٠٧ وما بعدها .

(٣) ص ٦٨٩ .

(٤) التاج ، ص ١٨٠ ؛ وهناك إشارة إلى هذه القصة فى المسعودى ، ص ٢٠٧ ، (٢) ،

ص ٢٢٧ .

(٥) تصحيح لنص الجاحظ الذى يقول : مان .

مخوفة فيها رسالة كلف بها شهر براز بحرق دار ملك الروم وقتل المقاومة وسبي الذرية ونهب الأموال . ومضى النصراني^(١) فلما عبر النهران مع أجراس الكنائس^(٢) تدق قعر عليه أن يعين ملك الفرس على ملك الروم المسيحي فأتى بابه وأخبره بقصته ثم دفع إليه العصا ، فغضب الملك وحسب أن شهر براز قد خدعه فنأدى الناس بالرحيل وخرج لا يلوى على شيء ، وقد علم كسرى بهذا الانصراف وأدرك أنه نجا من خصم عنيد^(٣) .

وكان الجشع أبرز صفات كسرى الثاني النفسية . ففي الثمانين والثلاثين سنة التي حكمها جمع بكل ما استطاع من وسائل أموالا ضخمة صرف معظمها عن النعمة العامة ليجمعها في خزائنه . ففي السنة الثامنة عشرة من حكمه (٦٠٧ - ٨) كانت الخزائن التي نقلها الملك إلى بيت المال الجديد بالمداين ، تحوى حوالى ثمانية وستين وأربعمائة مليون مثقال من الدراهم^(٤) ، وهو ما يوازي خمسة وسبعين وثلاثمائة مليون فرنك من الذهب ، على فرض أن وزن المثقال يساوى الدرهم الساساني ، ويضاف إلى هذا مقادير هائلة من الجواهر والكسي التي كان معظمها مما فرض على الناس

(١) أسقف تابع لإيران فيما يقول المسعودي .

(٢) يستخدم نصارى الشرق نواقيس من الخشب بدلا من أجراس النحاس ، وذلك لدعوة الناس إلى الصلاة .

(٣) هناك قصص أخرى عن كسرى وشهر براز في الطبري ، ص ١٠٠٨ - ٩ ؛ نولدكه ، ص ٣٠١ - ٣ ؛ البيهقي ، ص ١٣٦ وما بعدها . وقد كان بين الملك وقائده الكبير نزاع نجعل تفاصيله ، وقد انتهى هذا النزاع بتمرد شهر براز ، وستحدث عنه فيما بعد . وقد نصب كسرى رجلا يعتنق به من فسد نيته وطعن في المملكة ، فكان الرجل يظهر التآله والدعاء إلى التخلي من الدنيا والرغبة في الآخرة وترك أبواب الملوكة . وكان يقص على الناس ويكبهم ويشوب في خلال ذلك كلامه بالتعريض بدم الملك وتركه شرائع ملته وسنن دينه ونواميس آباءه . فكان الطاعن على الملك والمملكة يكثر الخلو بهذا الرجل ، فإذا اكتشف أمره وجهه كسرى إلى بعض البلدان وكتب إلى عامله ليقتله . (الجاحظ ، التاج ص ٩٨ - ٩٩) . وفي كتب الأدب العربية قصص عن كسرى الثاني يشك كثيرا في صحة نسبتها إليه ، فمنها كتاب البيهقي ، ص ١٥٥ وما بعدها و ٤٩٠ ، وكتاب المحاسن والمساوي المنسوب للجاحظ ، نشره ثمان فلولن ، ص ٢١ .

(٤) منها ٤٨ مليونا (في ١٢٠٠٠ كبس في كل واحد ٤٠٠٠ مثقال) وهي النقود التي سكنت في عهدي فيروز وقياد .

من خراج استثنائي^(١) . وقد جاء في الرسالة التي كتبها كسرى بنفسه بعد عزله ،
والتي ستمحدث عنها بعد حين ، إن محتويات بيت المال كانت أكثر مما ذكرنا :
فبعد السنة الثالثة عشرة كان في بيت المال ثمانمائة مليون مثقال من الدراهم ، وفي
السنة الثلاثين ، على رغم الحروب الطويلة وتكاليفها ، كان به ستمائة وألف مثقال
أو ما يساوي قيمة ثلاثمائة وألف من الفرنكات الذهبية (وهذا عدا غنائم الحرب)
وهذه الزيادة الأخيرة كانت نتيجة اجتناء بقايا السنين وما انتهب من بيوت أموال
الملك من ذهب وفضة ومن خزائنه من جواهر أو نحاس ورد ذلك كله إلى
موضعه^(٢) .

وبالجملة نرى الصورة التي تكشف عنها روايات المصادر المختلفة عن كسرى پرويز
وأقواله وأفعاله لا تجعله محبوباً إلى نفوسنا . وإنه لمن الصعب أن نكشف عن سمات
في صورة هذا الملك الحقود ، المرأى ، الجشع ، الرعديد . ولكن كسرى مع جشعه
لم يكن بخيلاً ، وذلك حين يكون بذل المال لإبراز عظمة الدولة أو مجد الملك
أو ليفتن الناس بإظهار ترف لم يسمعوها به من قبل . وأكوام الذهب والفضة
والجواهر التي ملأت خزائنه لا تبين تماماً المظالم التي استغل بها بؤس رعيته ،
ولكن يجب أن نضيف إليها الأموال الطائلة التي كان ينفقها الملك على ملذاته
وبلاطه فإن هذه الأبهة وحدها هي التي تجعل لعهد كسرى پرويز قيمة خاصة ،
وقد كان لها أثر لا يذسى في نفوس معاصريه . والواقع أن معظم الروايات المفصلة
عن عظمة البلاط الساساني والتي يذكرها المؤرخون القدماء من العرب والفرس
والتي أخذت عن مصادر ساسانية ، تعنى عصر كسرى الثاني . فإذا أضفنا إلى هذه
الروايات المنظر الذي نقشه كسرى على صخور طاق البستان تكونت لدينا صورة
حية للغاية عن هذا العهد الذي هو آخر عصور الازدهار في المدنية الساسانية .

ولم يزر كسرى المدائن منذ حوالي سنة ٦٠٤ حتى زمن غزو هرقل سنة ٦٢٧ —
٢٨ ، وذلك لأن المنجمين والعافة نبأوه بأنها شؤم عليه . إنما كانت إقامته المحببة

(١) الطبري ، ص ١٠٤٢ ؛ تولدكه ، ص ٣٥٤ — ٥٦ .

(٢) الطبري ، ص ١٠٥٧ ؛ تولدكه ، ص ٣٧٧ .

إلى نفسه في قصر دستگرد^(١)، أو دستگرد - خسرو ، الدسكرة أو دسكرة الملك عند الكتاب العرب ، التي تقع على الطريق الحربى الواسع الذى يذهب من المدائن إلى همدان ، على مسافة نحو سبعة ومائة كيلومتر شمال شرق العاصمة ، بالقرب من المدينة القديمة إرتاميتا^(٢) وقد دحض هرتسفيلد أدلة من ذهب من الكتاب العرب^(٣) إلى القول بأن هرمزد الأول هو منشئ دستگرد . ومن المحتمل أن تكون المدينة والقصر كانا قائمين قبل كسرى الثانى ، ولكن على كل حال لم يفضل ملوك الساسانيين الإقامة في العراق إلا منذ عهد كسرى الأول ، وخاصة في الأقاليم الواقعة بين المدائن وحلوان^(٤) . وقد وصف هرتسفيلد خرائب دستگرد التي تسمى الآن « زندان » أى السجن^(٥) . وكان السور المحيط بالمدينة والمشيد من الآجر الأحمر قائماً كله أيام الجغرافى العربى ابن رسته (حوالى سنة ٩٠٣ م) وأما اليوم فلم يبق من هذا السور غير جزء طوله نحو خمسمائة متر مع إثني عشر برجاً في حالة حسنة وأربعة مهتمة . ويقول هرتسفيلد إن سور دستگرد قد يكون أمتن الأسوار المشيدة من الآجر التي بقيت في آسيا الغربية ، مع استثناء سور واحد هو سور نبوختنصر . وأما داخل القصر فكان خلواً من الخرائب منذ أيام ابن رسته وهذا مايفسره تخريب المدينة بأسرها ومعها القصر على يد هرقل الذى أراد أن ينتقم بهذه الطريقة من اكتساح الجيوش الفارسية للأراضي البيزنطية .

وبعد هذا نجد على الطريق الحربى بين خانقين وحلوان خرائب قصر آخر ، كان له شأن في التاريخ لعله كان أيام كسرى الثانى . وتحمل الجهة اسم « قصر شيرين » ويحتمل أن تكون الرواية التي تجعل هذا المكان مقر شيرين حبشية كسرى الثانى

(١) انظر جيجر ، WZKM ، ٤٢ ، ص ١٢٣ وما بعدها في معنى دستگرد ، دستگرد .

(٢) سار — هرتسفيلد ، Archäologische Reise ، (٢) ، ص ٧٦ وما بعدها .

(٣) حزة وابن قتيبة .

(٤) Archäo. Reise ، (٢) ، ص ٩٣ .

(٥) Iran. Felsreliefs ، ص ٢٣٧ ؛ Archäo. Reise ، ص ٨٩ وما بعدها .

صحيحة . وترى هناك قلعة مربعة تسمى قلعة خسروى (القلعة الخسروانية) ، وقد أحاط بها خندق ، وعليها أبراج مستديرة وجسر من العقود والساحة التى تشرف عليها القلعة تشمل متنزها عظيما يمر المياه فوق حيطانه كما يشمل قصراً صيفياً منيفاً يسمونه اليوم حاجى قلعه سى (قلعة الحاج) وعمارة عظيمة تسمى چهار قاپو (الأبواب الأربعة) ، يظهر أنها كانت تشبه فى تكوينها إلى حد ما قصر المدائن^(١) .

وجميع الحرائب المتخلفة عن العمارات الساسانية ، والباقية حتى زماننا ، أبنية ذات قباب . وكذلك وجدت ، وخاصة فى العراق ، بيوت ملكية وقصور من طراز أكثر خفة ، وهى عمارات ذات عمد من خشب ، تكاد تشبه القصر الصفوى ، جهل ستون ، فى إصفهان . ولكن لم يبق شيء من هذه العمارات لأنها شيدت من مواد سريعة التلف^(٢) . ومع ذلك فى الوسع أن نأخذ فكرة عنها إذا نظرنا إلى التفاصيل الهندسية لكهف طاق البستان . فبجوار الكهف الذى حفره سابور الثالث فى طاق البستان المشهور^(٣) ، كهف آخر أكبر حجماً نخته كسرى الثانى^(٤) (رسم ٤٤) . فالعقد نصف الدائرى الذى يكون مدخل هذا الكهف أنشئ محاكاة لباب قصر من قصور الملوك . وهذا العقد يعتمد على عمودين يمثل ماعليهما من النقوش التى أحكم صنعها ، شجرة ذات غصون دق صفها وقد لفت فى خطوط متموجة واكتست بأوراق الكنكر (شوكة اليهود) ، وتنتهى الشجرة بزهر ملون جميل ؛ وقد تكون ، كما افترض هرتسفيلد ، فسيلة من شجرة الحياة ، هذه الشجرة التى ذكرتها الخرافات البالغة فى القدم ، والتى جاءت فى صور مختلفة فى القصص الدينية عند المزدنيين ، كشجرة الكوكران والشجرة السماة «ون يوذيش» التى تشفى جميع الأمراض . وفوق العمود ، من الجانبين ، يرى متديلاً على حافة القبة البارزة جزء من الشريط الثنى الذى يلبسه ملوك الساسانيين . وفى أعلى ، فى زاوية العقد

(١) انظر دى مورجان ، Mission Scientifique en Perse ، (٤) ، ص ٣٤١ وما بعدها ؛ وسار — هرتسفيلد فى Felsreliefs ، ص ٢٣٧ وما بعدها ، واللوحة ٤٩ .
(٢) هرتسفيلد ، باب آسيا ، ص ١٠٨ .
(٣) انظر ص ٢٤٤ من هذا الكتاب .
(٤) باب آسيا ، ص ٩١ وما بعدها ، واللوحات ٣٣ — ٤٠ .

نصف الدائري ، صورتان يونانيتان في ملابسهما وهيئتهما لإلهة النصر نيكة (Nicé)
وقد مدت كل منهما يدها بتاج النصر ذي الأشرطة الثلاثة . وفي الوسط ، فوق العقد ،
هلال يغرب وقد زن أيضاً بالأشرطة الملصكية ، وقد اتجهت حافته إلى أعلى^(١).



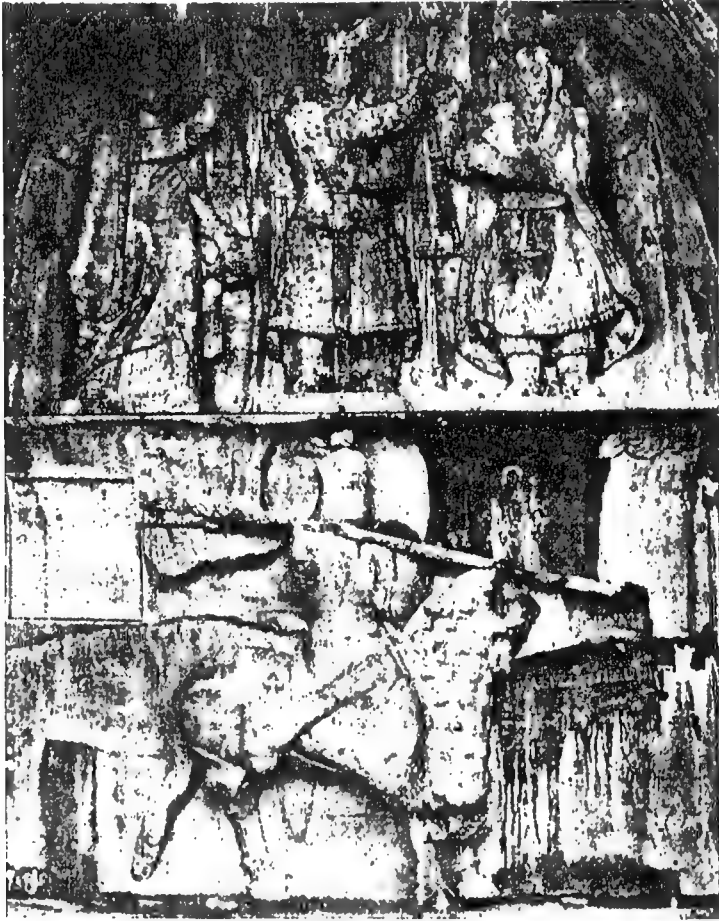
٤٤ . غار كسرى الثانى فى طاق البستان

(هرتسفيلد . باب آسيا)

وقد ازدان الحائط الذى ينتهى به الغار المربع بنقشين كبيرين يعلانه ، على
طبقتين (رسم ٤٥) وقد أكمل هذا التنسيق عمودان بارزان على جانبي النقش

(١) نفس المرجع ، ص ١٠٨ .

الأسفل كأنهما يحملان سقف الطابق الثانى . ولهذين العمودين ساقان منقوشان اتصالاً برأسيهما بواسطة رباط من أوراق الكرم تحت النقش ، وهما يظهران الباعث على وجود شجرة عمودى الوجهة^(١) . وقد أوضحت الدراسات التى قام بها هرتسفيلد



٤٥ . نقشان لكسرى الثانى فى طاق البستان

(هرتسفيلد . باب آسيا)

الصلات التاريخية التى تربط أعمدة طاق البستان ، وهى الأنواع الوحيدة التى بقيت

(١) نفس المرجع ، اللوحة ٢٢ ، ٥٤ ؟ وقارن مورجان ، (٤) ، ص ٣٣٣ وما بعدها .

من أعمدة الساسانيين ، بالأعمدة الخشبية التي نجدها اليوم ، في كردستان خاصة ، والتي حافظت على الرسم المعماري القروي القديم^(١).

وأما النقش الأعلى فيحثل منظر التتويج . فالملك الواقف في الوسط يمسك بيده اليمنى التاج المزين بالأشرطة يناوله إياه الإله أوهرمزد الواقف على جانبه الأيسر . وفي الجانب الآخر الإلهة أناهيتا تمد إليه تاجاً كذلك . والصور الثلاث ترى مواجهة . وقد لبس الملك فوق رأسه التاج الذي نعرفه من نقود كسرى الثاني : وهو تاج عال يتدلى منه رباطان من اللؤلؤ ، وعلى واجهته هلال ؛ وفي قمته عود عليه جناحا نسر وهو يحمل هلالاً من فوق كرة الشمس . وأما ملابس الملك ، وقد زينت بالأشرطة المثناة على الرسم العادي ، فتتكون من ثوب دى أكلام يتدلى إلى مائحت الركبتين ، وسروال واسع ومثنى ، وكلها مرصعة بالجواهر ، وأطراف الثوب ، والحالة ، وغمد السيف ، وكذلك السروال ، مزينة بصفوف كثيرة من اللؤلؤ . وعدا هذا فإن الملك يزين رقبته بعقود من اللؤلؤ ، ورسوم نسيج الثوب تمثل الآلى على هيئة قطرات الماء المتساقطة وقد شدت بخلقة . وقد ارتدى الإله أوهرمزد ثوباً طويلاً أيضاً ، ولكنه قد اتشح من فوقه بمعطف مفتوح زين بالآلى أطرافه . وقد لبس حذاء اختفت رقبته تحت السروال . ولحيته الطويلة المدببة وتواجه ذو الشريط يظهران كأنهما من النقوش القديمة . والمرأة التي وقفت على يمين الملك كشفت عن شخصيتها ، كما رأى هرتسفيلد ، وذلك بالإبريق ذى العروة الذى أمسكته بيدها اليسرى : فإن الإبريق رمز قديم للحياة المقدسة وهى منبع المياه التي تغصب الأرض ، والمرأة هى أناهيتا ، إلهة المياه . وقد ارتدت فوق الثوب اليونانى الطراز معطفاً عليه رسم النجوم . وتحت التاج ، الذى يشبه تاج أوهرمزد ، تهدل الشعر فى أربع ضفائر على الصدر والكتفين ، حسب الطريقة الشائعة عند النساء أيام الساسانيين^(٢).

والنقش كله فيه شيء من الجمود والصلابة ، يظن الناظر إليه أنها يرى صور

(١) نفس المرجع ، ص ١٠٤ .

(٢) باب آسيا ، ص ٩٢ واللوحه ٤٢ و ٤٤ .

تمثيل ، أو نقوشا أخذت عن نماذج مصورة^(١). وفي هذا ، كما رأى هرتسفيلد ، علامة مميزة لقن النقش المائل على جدران كهف كسرى الثانى : فإن النقش البارز فيه كأنه رسم صور على الصخر^(٢) .

ولسوء الحظ لم يتخلف من الرسم الساسانى غير آثار قليلة جداً . وفي دختر — نوشيروان من ضواحي خلم ، شرق بلخ ، وجد على جوانب طاق صغير حفر في الصخر بقايا رسم دارسة ، وهى تمثل أميراً ساسانياً بلى أمارات أقاليم الشرق ، وقد جلس على عرش أقيم بين الأعمدة . وهذا الرسم يذكرنا بالنقوش الساسانية البارزة ، كما أن تفاصيله تبين فى الوقت نفسه طراز الرسم البوذى فى آسيا الوسطى^(٣) . وأخيراً اكتشفت ، من بين حفائر المدائن الأخيرة ، رسوم جيرية على الحائط من أيام الساسانيين لرجال لم يبق منها غير الرؤوس « أما الألوان فتتكون عادة من الأصفر والأحمر المغمر ويضاف إلى هذين اللونين الأحمر المفعوه النضر ، والأزرق السماوى والأسود وهى الألوان التى تستعمل بمهارة فائقة لتزيين الحوائش »^(٤) .

وبالجزء الأسفل من الحائط الذى ينتهى به هذا الكهف صورة منقوشة بارزة بروزاً عالياً — ولكنها لسوء الحظ تالفة فقد حطمها تعصب المسلمين — ظهر فيها كسرى الثانى ممتطياً جواداً وقد لبس لباس الحرب . وقد وضع الملك فوق رأسه خوذة علاها التاج المجنح مع الكرة والهلل (وقد كبرت الأجنحة حتى لاتعرف) ، وعليه درع من حلق الحديد ، يصل حتى الخوذة ويغشى وجه الملك ويغطى ، فى مرونة ، جسده حتى الفخذين ، وقد ظهرت من تحته الملابس الحريرية التى رسم عليها الهيوكامب (سمكة على شكل فرس) . وقد مد يمينه ، التى اختفت على أثر تحطيم المسلمين الذين يخضون الصور ، الحرب التى استندت إلى كتفه ، وأمسك فى يسراه

(١) Am Tor ، ص ٩٣ .

(٢) قارن هرتسفيلد ، Khorasan (Der Islam) ، (١٠) ، ص ١٥٤ .

(٣) جودارد (A و Y) وهاكين ، Les anitquités boudhiques de Bamiyan ،

ص ٦٥ وما بعدها ، واللوحة ٤٢ و ٤٣ .

(٤) شميدت ، « Syria » ، ١٩٣٤ ، ص ١٨ — ١٩ .

حلقة مستديرة . وقد شدد حزاماً مزينا وجعبة مملوءة بالسهم وكلاهما يتم زى الفارس الحربى . وقد نقش الحصان وهو فى حالة هدوء ، فقد وقف على قوائمه الغليظة نوعاً وقد حمى رأسه وصدره بدرع من الزرد المزين بالأهداب . وعلى جانبي الردف نقش الخاتم ذى الأشرطة الذى يوجد على بعض النقوش الساسانية ويبدو أنه رمز ملكى^(١) ، وتدللت الكرتان الضخمتان أو كبتا الصوف اللتان على شكل السمكبرى . وقد لفتا فى قماش من الحرير ، وهما من العناصر التى لازمت الركائب الملكية الساسانية .

وقد عرف رسم هذا الفارس المنقوش نقشاً بارزاً على الصخر^(٢) فى أيام المسلمين على أنه رسم لكسرى الثانى وهو يركب حصانه المحبوب شبديز ، وهو قطعة فنية رائعة حقاً من حيث التصوير فى الشكل وتناسب التفاصيل وإجادتها . وقد جاء فى رواية ذكرها ابن الفقيه الهمداني أن هذا النقش من عمل فنان اسمه قطوس بن سنهار . ولكن إلحاق نسب صانع تمثال كسرى بسنهار ، المهندس الذى يرجح أنه من صنع الأساطير والذى يقال إنه بنى قصر الخورنق قرب الحيرة^(٣) ، هو خطأ تاريخى ظاهر . والمؤكد أن الاسم العربى قطوس يخفى اسماً يونانياً ، وليس مستحيلاً كما يعتقد هرتسفيلد أن الرواية التى تربط بين اسم قطوس وهذا العمل الفنى العظيم رواية تاريخية^(٤) .

وكثيراً ما ذكر المؤرخون والشعراء من العرب والفرس اسم شبديز^(٥) حصان كسرى الثانى المشهور . وتقول الرواية إن كسرى پرويز قد أحب هذا الفرس إلى حد أنه أقسم أن يقتل من يبلغه خبر موته . فلما مات الفرس فزع القائم على

(١) الخاتم ذو الأشرطة ؟

(٢) ابن حوقل (القرن العاشر الميلادى) ، نقل عن كتاب البلدان لعمر بن بحر الجاحظ ؟ انظر هرتسفيلد ، باب آسيا ، ص ٨٢ وما بعدها .

(٣) انظر الطبرى ، ص ٨٥٠ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٧٩ وما بعدها ؛ وفارن ص ٢٦٠ من هذا الكتاب .

(٤) باب آسيا ، ص ٨٢ وما بعدها ، لوحة ٤٢ و ٤٣ ؛ وفارن سار فى Iran Felsreliefs ، ص ١٩٩ وما بعدها .

(٥) معناه لون الليل .

الاصطبلات (آخور سالار) فلجأ إلى فهلبد (ربط) مغنى الملك ، فغناه لحناً لمع فيه بموته تليحاً فقال : إن شبديز ليس يرعى وليس يسعى وليس ينام فقال الملك : فقد مات . فقال فهلبد : من الملك سمعت ، فقال الملك إنك أنقذت نفسك ورجلا آخر . والقصة التي ذكرها كل من الهمداني^(١) والثعالبي^(٢) والتي نظمها الشاعر العربي خالد الفياض^(٣) ، قد وجدت في كثير من الروايات المختلفة في أوروبا الشمالية ، وأشهرها هذه التي تروى كيف أن الملكة تيردنبند قد نقلت إلى زوجها الملك جورم بالطريقة نفسها خبر موت ابنه كنود دنيست .

وأمام الكهف ، قرب العين الكبيرة ، تمثال كسرى . وقد رآه في هذا المكان في القرن العاشر الميلادي ، مسعر بن مهلهل^(٤) . ولكنه سقط بعد ذلك في البحيرة الصغيرة أمام الجبل ، وقد رفع نصفه الأعلى في القرن التاسع عشر ، بغير الرجلين ، وهو اليوم موضوع على السد . وبالرغم من تأكله بفعل الماء ، وما جرى عليه من إتلاف على يد الأكراد الذين يهدمون التماثيل ، فإنه لا يزال يبين هيئة الملك الذي كان واقفاً وقد أسند يده إلى السيف^(٥) . وبجانب النصف الأعلى من التمثال تاجا عمودين على جانب كل منهما نقش الملك كسرى الثاني الذي عرف من تاجه ، وعلى الجانبين الآخرين إلهة تمسك في يدها حلقة أو باقة زهر وفي يسراها زهرة اللوتس . وفي قرية ييسمتون تاجا عمودين آخران مزينان بنفس الطريقة ، على أسفل تمثال دارا ، وكان في إصفهان زوج آخر من هذه التيجان وقد صورته فلاندان^(٦) . وصور الآلهة مختلفة من حيث التفاصيل والصفات القدسية ، ولكن الملك هو دائماً كسرى الثاني . ويرى هرتسفيلد أن هذه الأزواج الثلاثة من تيجان الأعمدة كانت خاصة بوجهة ذات

(١) انظر هرتسفيلد ، باب آسيا ، ص ٨٣ .

(٢) ص ٧٠٣ ، ٤ .

(٣) المتوفى حوالى سنة ٧١٨/١٠٠ ؛ انظر برون ، JRAS ، ١٨٩٩ ، ص ٥٨ .

(٤) نص ياقوت ، وقد ذكره هرتسفيلد ، باب آسيا ، ص ٨٢ وما بعدها .

(٥) باب آسيا ، لوحة ٥٢ و ص ١٠٠ وما بعدها .

(٦) فلاندان وكوست ، (١) ، لوحة ٢٧ و ٢٧ مكرر .

ثلاثة عقود ، وقد وضعت تيجان الأعمدة بحيث تبين وجهاتها صورة الملك على اليسار وصورة الآلهة على اليمين . والعصورتان تكونان جزئين من لوحة كاملة^(١) .

والنقش الأعلى في حائط غار طاق البستان الأخير ، الذي وصفناه من قبل ، يمثل كسرى في ملابس الاستقبال ، كما يبدو في المناسبات الكبرى ، وقد كسته اللآلئ والجواهر من قمة رأسه إلى أخمص قدمه كما يقال . ولم يبق لكي تكمل الصورة غير الألوان . وقد وصفها حمزة الإصفهاني حسب ما رأى في كتاب صور ملوك آل ساسان^(٢) : « كسرى أبرويز بن هرمز شعاره مورد موشى ، وسراويله على لون السماء ، وتاجه أحمر ، ويده رمح . »^(٣)

هكذا رآه الأشراف وسفراء الدول الأجنبية في قصر دستگرد حيث كان يظهر أبعته كاملة . وتقول أكثر الروايات التي ذكرها الطبرى قصداً إنه كان في قصره ثلاثة آلاف امرأة يطأهن ، وألوف من جوار اتخذهن للخدمة والغناء وغير ذلك ، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته ، وكانت له ثمانية آلاف وخمسمائة دابة لمركبه وسبعمئة وستون فيلاً وإثناعشر ألف بغل لثقله^(٤) . ثم يضيف الطبرى إلى ذلك أنه كان أكثر الناس حرصاً على اقتناء الجواهر والكؤوس العالية وغير ذلك .

والواقع أن العجائب التي كانت لكسرى پرويز هي إحدى النعم المحبب إلى الكتاب العرب والفرس . وقد عدد البلعمى^(٥) والشمالي^(٦) اثنتى عشرة عجيبة لكسرى نجد من بينها قصر المدائن ، ودرفش گاويان^(٧) ، وزوجته شيرين ،

(١) باب آسيا ، ص ١١٠ وما بعدها واللوحة ٥٥ — ٥٩ ؛ وقارن مورجان

(٤) ، ص ٣٠٥ وما بعدها .

(٢) انظر هنا ص ٥٤ — ٥٥ .

(٣) نشر جوتولد ، ص ٦٠ ، الترجمة ، ص ٤٥ .

(٤) الطبرى ، ص ١٠٤١ ؛ تولدكه ، ص ٣٥٣ . والنهاية (برون ، ص ٢٥٠)

قد ذكرت الأرقام نفسها تقريباً : والروايتان ترجعان إلى مصدر واحد . قارن البلعمى ، نشر زوتنبرج ، (٢) ، ص ٣٠٥ .

(٥) زوتنبرج ، (٢) ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ .

(٦) ص ٦٩٨ وما بعدها .

(٧) انظر الفصل العاشر .

والطربين سرکش (سرجس) وفهلبند (ربط)^(١) وخوش أرزو الخادم^(٢)، والفرس شبدیز، وفیلا أبيض. وقد لاحظ هرتسفيلد^(٣) أن هذا النوع من التعداد من أصل هندي وأنه يذكرنا « بالنفائس السبع » في التاريخ البوذي والتي تشبه مشابهة مدهشة لنفائس كسرى الإثنتي عشرة. وقد ذكر الفردوسي على حدة وبإسهاب شعري كثيراً من النفائس التي عددها الثعالي ولكنه ذكر قائمة أخرى « بالكئوز السبعة^(٤) » التي نجد من بينها اثنتين من النفائس التي ذكرها الثعالي. ومن الجلي أن هذا التعداد غير مستمد من الحدائنامة، لأنه غير مائل إلا في نوع الروايات التي ذكرها الفردوسي والثعالي والتي استخدمها البلعمرى، ولكنه يرجع بلا شك إلى مصادر ساسانية ويبين أثر الهند الأدبي الذي أصبح واضحاً في القرن الأخير من العهد الساساني^(٥). وذكر في هذا النوع من الرواية الكئوز التي تشمل أشياء كثيرة هي مجموعة على حدة. وكذلك حالة الكئوز الشهير « في الرياح » « گنج باد آورد » وكئوز البقرة « گنج گاو ». وحين حاصر الفرس الإسكندرية حاول البيزنطيون أن ينفذوا نفائس الملكة فجمعوا خزائهم وذخائرهم في سفن كثيرة فلما لججت في البحر عصفت الرياح فسيرتها إلى صفوف الإيرانيين حتى ظفر بها شهر براز وقبض عليها كلها وبعثها إلى المدائن فتعجب منها كسرى وسر بها، وقد سميت گنج باد آورد^(٦) « في الرياح ». وقد عدوها ولم يمسوها^(٧). وقد ذكر الثعالي قصة « گنج گاو » فقال^(٨): « وكان بعض الأكرة

(١) سنتكلم عن هذه الشخصيات فيما بعد. قارن ص ٤٠٢ ملحوظة ٢.

(٢) Der Thron des khosro, Jahrbuch der preussischen kunstsammlungen

جزء ٤١، ص ٢ — ٣، الملحوظة ٧.

(٣) نشر مول، (٧)، ص ٣٢٨.

(٤) انظر هنا ص ٤١٣. وقد جاء ذكر النفائس الثمان عشرة التي كانت لكسرى الثاني في الثمان عشرة سنة الأولى من حكمه في الرسالة الهلوية المسماة قصة يوم خورداد من شهر فروردین (أى النوروز)، انظر Asiatic Papers، ملودی، (٤)، ص ١٩ وما بعدها.

(٥) Anonyme de Quidi، نولدة، ص ٢٥ وما بعدها؛ وقارن الطبرى، ص ١٠٥٧، نولدة، ص ٣٧٨؛ والثعالي، ص ٧٠١.

(٦) الشاهنامه، نشر مول، (٧)، ص ٣٢٨.

(٧) ص ٧٠٢.

يشير أرضاً بشوريه فدخلت حديدية الآلة المسماة غباز بالفارسية في عروة ققم مملوء ذهباً فذهب الأكار إلى باب الملك وأنهى القصة ، فأمر الملك بحفر تلك الأرض واستخراج وديعتها فحفرت عن مائة ققم مملوءة فضة وذهباً وجواهر من كنوز الإسكندر وعليها ختمه وحملت إلى حضرة الملك فحمد الله عليها ووهب الأكار منها وأمر بإيداعها خزانة تسمى كنز الثور .

وقد ذكر الفردوسى عدا هذا « كنز العروس » ويتكون مما تدفع الهند والصين وغيرها من الجزية ، و « كنز » ديهه خسروى » أو الديباج المسمى ، و « كنز آفر — اسباب » و « كنز سوخته » (المحرق) ، وكنز « الآلىء والماء الطيب » واسمه « خضرا » ، وكنز « شاد ورد » .

ومن نفائس كسرى التى تبلغ حد الخرافة يذكر على الأخص : الشطرنج المنحوت من الياقوت الأحمر وقصب الزمرد ، والنرد المتخذة من البسد والفيروز ، ومنها الذهب المشققشار الذى استخرج له من معدن بالتبت وهو مائتا مثقال من ذهب كالشمع اللين وكان يخرج من فروج الأصابع إذا قبض عليه وينطبع ويتخذ منه التماثيل ثم يعاد إلى حاله فيعود كما كان^(١)؛ ثم منشفة كان الملك يمسح فيها يديه ، فكانت إذا تسخت وألقت في النار لا تحترق ، فلا تعمل بها النار شيئاً غير إزالة ما عتراه من وسخ^(٢) . ولعله يشير إلى منشفة غير قابلة للاحتراق . وكذلك كان عنده تاج كبير « فيه ستون منا من الذهب الإبريز وكان مرصعاً بالآلىء التى تحكى بيض العصافير واليواقيت الرمانية التى يضيء منها الظلام ويستصبح بها فى الآلىء المرخية سدولها » ، وقصب الزمرد « التى تسيل لها عيون الأفاعى » . وكان يعلق من الإيوان سلسلة ذهب ذرعها سبعون ذراعاً يعلق بها التاج كما يماس رأس الملك ولا يؤذيه ولا يثقله^(٣) . وهذا هو لاشك تاج الإيوان بالمداين الذى وصفه الطبرى^(٤) .

(١) الثمالى ، ص ٧٠٠ .

(٢) البلعى ، نشر زوتنبرج ، (٢) ، ص ٣٠٥ .

(٣) الثمالى ، ص ٦٩٩ وما بعدها .

(٤) انظر هنا ص ٣٨١ .

ولكن أعظم النفائس هو تخت طاق الديس أى « التخت الذى يشبه القبة » ، وقد وصفه الثعالبي^(١) قائلا : « وهو سرير من العاج والساج وصفائح ودرابزيناته من الفضة والذهب وطوله مائة وثمانون ذراعا وعرضه مائة وثلاثون ذراعا وارتفاعه خمس عشرة ذراعا وفى حراقيه سرر من الشيز والأبنوس مضيئة بالذهب وعليه طاق من الذهب واللازورد فيه صور الفلك والكواكب والبروج والأقاليم السبعة وصور الملوك وهيئاتهم فى المجالس والحروب والمتصيدات وفيه ما يدل على معرفة ساعات النهار ، وله أربعة بسط على مقداره من الديباج النسيج للرصع بالآلى^٢ واليواقيت يختص كل واحد منها بما يشا كله ويوافقه فى فصول السنة » . وقد وصف الفردوسى هذا التخت الذى أمر بإعداده كسرى الثانى وصفا أكثر تفصيلا ، وهو تعمیر لتخت قديم يرجع تاريخه إلى الأزمنة الخرافية كما يقول الشاعر الذى يبين أيضاً ما كان لهذا التخت الفذ من دور فى النجوم^(٣) :

« تُرى عليه البروج الإثنا عشر ، والكواكب السبعة السيارة ، والقمر الوضاء وما يجتاز من بروج ؛ ويرى فيه المنجمون النجم الثابت والسيار ؛ ويرون فيه كم انقضى من الليل ، وكَم سارت السماء فوق الأرض . . . » وقد خصص هرتسفيلد لطاق الديس بحثا رائعا^(٤) . ولفت الأنظار إلى عبارة المؤرخ البيزنطى كيدرينوس التى استقها من نص فى كتاب تيوفان (النصف الثانى من القرن الثامن) وهى أكمل فى بعض النقط من الرواية التى بأيدينا . يحكى كيدرينوس أن الإمبراطور هرقل حين دخل قصر جنزك بعد حرب كسرى (سنة ٦٢٤) وجد « صنم كسرى البشع وصورته ، على عرش فى سقف القصر الذى يشبه الكرة ، كأنه فى السماء ، وكانت حوله الشمس والقمر والنجوم التى يعبدها الوثنيون على أنها آلهة . وقد أجلس من حوله رسله وفى أيديهم الصوالة . وهناك أعد عدو الله هذا

(١) ص ٦٩٨ وما بعدها . وقد ذكر اسم العرش بالكتابة العربية طاقديس .

(٢) نشر مول ، (٧) ، ص ٣٠٦ وما بعدها .

(٣) Jahrb. d. preuss. kunstsammlungen ، Der Thron des khosrû

(٤١) ؛ ومعلومات إضافية فى Arch. milit (٢) ، ص ١٢٨ وما بعدها .

(٢٩) — الساسانية

آلات لتزك الماء رذاذاً كأنه المطر ولكي تأتي بصوت كأنه الرعد . « وقد بين هرتسفيلد بدراسات مؤيدة بالوثائق هذا الفرض ، أن طاق الديس الذي ذكر في كتاب لا ينتظر القارئ أنه يتعرض لمثل هذا الموضوع ، أعنى في كتاب تاريخ عام السكسون ليس تخناً بالمعنى العادى المؤلف للسكاحة ولكنه ساعة كبيرة تشبه ساعة غزة التي فحصها ديلز^(١) والتي لا تبعد كثيراً عن طاق الديس في الزمان والمكان . وكان لطاق الديس منصة تشبه منصات العروش الشرقية . ومن فوقه مظلة تمثل التخت نفسه وعليها صور للملك والشمس والقمر . وقد عثر هرتسفيلد على صورة من هذا الجزء من التخت على تحفة فنية معاصرة : كأس كليمو وهو الآن في متحف الإرميتاج في ليننجراد^(٢) . وأما الباعث على تصوير عربة القمر أو الشمس فمعروف من نقوش قندهار ومن صور كهوف تركستان الصينية وكذلك من جوهرة ساسانية ومن زخارف الأقمشة التي تقلد الفن الساساني . وهو يظهر على السكأس الذي نتحدث عنه ، ولكن بشكل يبين المنصة والعرش في شكل عربة يجرها أربعة ثيران وقد مثل القمر هلالاً ، في الوضع العادى لتصوير النجوم ، ويرى من تحت العرش رام بالسهم ، وهذا لا شك تمثال آلى يستخدم للدق ، مثله كمثل هركيل الذي يضرب الصاج في ساعة غزة . ولكن كأس كليمو لا يبين جميع تفاصيل الساعة . وقد نستنتج من الروايات الشرقية والغربية التي لا يأخذ بعضها عن بعض أن ما على السكأس من نقش يمثل حفل تنويج ، مزيداً عليه بعض العصور التي تمثل عظماء الدولة الذين يحيطون الملك ، ومظلة متحركة على قبتها سبعة كواكب تسير في مجرى البرج ، كما ظهر القمر في أوضاعه المختلفة ، ثم الآلات التي تحدث ، في ساعات معينة ، المطر والرعد . وهذه الساعة العظيمة ، التي صنعت في القصر الملكي ، قرب معبد جنزك القديم الذي كانت تشتعل فيه النار المقدسة الملكية ، نار آذر — گشنسپ . قد خربها هرقل مع القصر والمعبد^(٣) .

(١) Über die von Prokop beschriebene kunstuhr von Gaza

. ١٩١٧ ، mitt. d. preuss Akad

(٢) انظر الرسم ٨ ، ص ١٦٦ .

(٣) وهناك أوصاف أخرى تكاد تكون صحيحة للنقائس التي كانت في خزائن كسرى —

وقد ظفر هرقل بغنائم عظيمة في أسلاب دستيگرد سنة ٦٢٨ . ويقول تيوفان إن الإمبراطور قد وجد فيها أكثر من ثلاثمائة علم روماني وقعت في يد العدو في المعارك ونفائس لا تعد من الفضة الخالصة ، والموائد الخاصة بالعبادات وبسط مطرزة ، وأقمشة من الحرير ، وثياب من الديباج ، وملابس داخلية لا عدد لها ، والسكر والزنجبيل والفلفل .. وكية عظيمة من خشب العود وغير ذلك من المواد العظمية . وفي الحرم الوسيح الملحق بالقصر « الجنة » ، كانت النعام والغزلان وحمر الوحش والطواويس والديكة البرية والسباع والنمور^(١) .

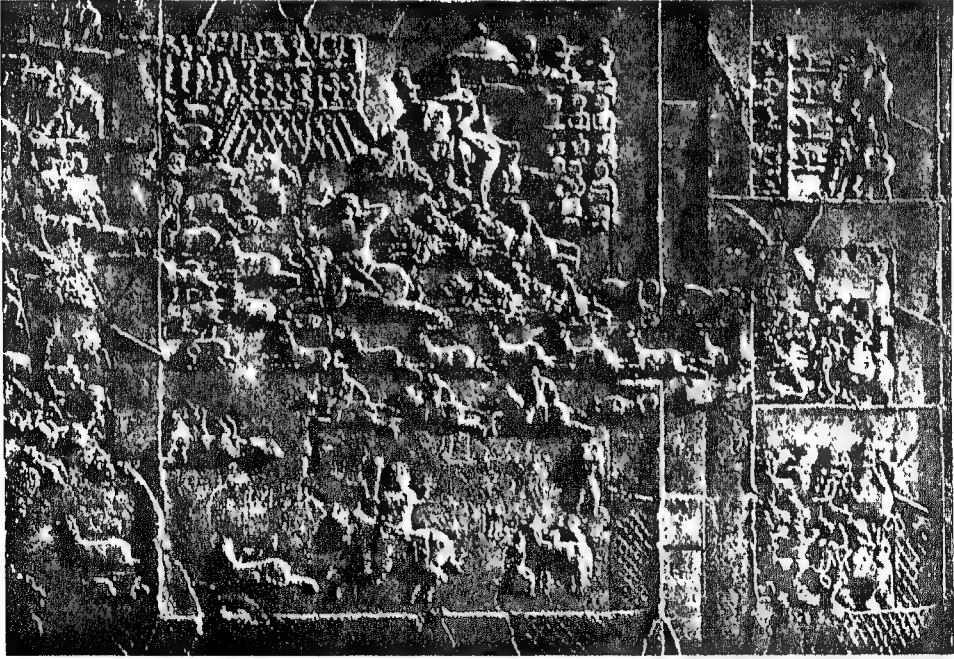
ولا شك أن هذا المتنزه كان المصطاد الملكي الذي خله كسرى الثاني بنقشه على جوانب غار طاق البستان الكبير . وكان حجم كل من النقشين ، وقد جعلاً بارزين بروزاً خفيفاً ، ٢٣٨٨ متراً طولاً و ٥٧ متراً عرضاً ، حسب مقياس هرتسفيك .

والنقش الأيمن يمثل صيد بقر الوحش (رسم ٤٦) . والجزء الأوسط من النقش محاط بشباك الصيد وهو مستطيل . وقد ضيق الصيادون على البقر ، الذي كان يتدافع قفزاً وهو حائر إلى مخرج أعد في الجانب الأيمن من هذا الحرم . وقد ظهر فيه الملك ممتطياً الجواد ثلاث مرات . فهو في أقصى النقش علواً يظهر راكباً في هدوء وقد تهيأ الجواد للقفز ، وقد وقفت امرأة عند رأسه ممسكة المظلة مرفوعة ، علامة على شوكة الملك . ومن خلفه سيدات وقفن بعضهن وقفة التجلة بينما كان البعض الآخر يعزفن الموسيقى ؛ ومنهن اثنتان تمسكان البوق الثني وواحدة يدها الدف . وقد جلست نساء فوق منصة خشبية انتصب أمامها سلم ، وكن يلعبن بالعود أو يصفقن بأيديهن . وفي أسفل النقش صورة أخرى للملك يركض حصانه ، وقد سدده الرمح ، في أثر الحيوانات الهاربة . وأخيراً نجد في أسفل النقش صورة ثلاثة الملوك يسير

== الثاني . انظر مثلاً كتاب المحاسن والمساوي المنسوب للجاحظ ، ص ٣٦٩ — ٣٧١ من طبعة فان فولتن وفارن اينسترنزف ، ص ٧٥ وما بعدها ؛ يوجدانوف في J. Cama Or. Inst. رقم ٧ ، ص ٤٥ وما بعدها .

(١) سار — هرتسفيك ، Archäologische Reise ، (٢) ، ص ٨٩ .

بحصانه خبيبا ، وفي يده الجعبة ، وهو عائد من الصيد . وفي يسار النقش صور جمال
تحمل البقر المقتول .



٤٦ . كسرى الثانى يصيد الوعول ، نقش فى طاق البستان
(سار ، فن فارس القديمة)

والنقش الذى حفر على الحائط الأيسر ، بغاية الدقة ، يمثل صيد الخنزير البرى
(رسم ٤٧) . وهنا تحيط الشباك بالنقش كله تقريبا ، ولم تترك غير ممر على اليمين
تراحم فيه الإنسان والحيوان . وساحة الصيد تتكون من مستطعات مغطاة بأعواد
القصب ومن بحيرات يسبح فيها كثير من السمك والبط . وعلى اليمين الفيلة وقد
اصطفت فى خمسة صفوف بعضها فوق بعض ، وقد امتطى كل واحد منها فيالان ،
أحدهما خلف الآخر ، يصطادون الخنازير التى كانت تتمدافع وتمرق بين أحراش
القصب . وفى أعلى النقش سفينة فيها نساء يغنين ويصفقن بأيديهن ، وعند مقدم
السفينة ومؤخرها نساء يمسكن المجاديف . وفى وسط النقش قاربان يجدف بهما النساء
أيضا ، وقد مثلا فى النقش مرتين للدلالة على لحظتين فى الصيد . وقد ظهر الملك فى

وسط النقش تماما ، وفي القارب الأول ، بحجم فوق حجمه الطبيعي ، وقد مد السهم ؛ وعلى يساره امرأة تمد إليه سهمًا آخر وعلى يمينه سيدة أخرى تعزف على العود ، وفي القارب الآخر ، وكان خلف الأول ، عازفات على العود . وقد وقع خنزيران كبيران بسهام الملك . ثم نرى القارين مرة أخرى في الناحية اليمنى من النقش . وهنا يظهر الملك وحول رأسه هالة وقد أمسك بيده السهم المسترخى إشارة إلى أن الصيد قد انتهى . وفي الأسفل كانت الفيلة تشتغل بجمع ما قتل من الحيوان ؛ كانت ترفعها بخراطيمها ثم تلقىها على ظهورها .



٤٧ . كسرى الثانى يصيد الخنازير البرية ، نقش فى طاق البستان
(سار . فن فارس القديمة)

ومنظرا الصيد ، وخاصة الثانى ، مملوءان بالصور إلى حد أن الفراغ فيهما قليل جدا . وكان نسيج الملابس المنقوشة دقيقا جدا : والحيوانات ، وخاصة الفيلة ، نقشت قريبة من الواقع إلى درجة عجيبة ، وهى من روائع الفن من حيث الحياة والحركة ، والحق أن صورتها خلابة ، وهى أيضا رسوم على الحجر .

يقول هرتسفيلد إن هذه المناظر تعطينا فكرة عن التصوير الساساني^(١) . والواقع أن التفاصيل كانت منقوشة في الأصل بألوان مختلفة . ويظهر من وصف ياقوت لهذه الآثار أنه ، أو أحمد بن الفقيه الذي ينقل عنه ، قد شاهد آثار هذه الألوان . وقد أثار هرتسفيلد أن الهالة التي لا تظهر حول رأس الملك وهو يلقى السهام على الخنازير وكذلك في المناظر الثلاثة وهو يصطاد بقر الوحش ، كانت منقوشة على الصخر^(٢) .

والجهود التي بذلها الفنانون الذين نقشوا كهف طاق البستان الكبير لكي يبرزوا رسم القماش لها أهمية كبرى لتعريفنا بنسيج الحرير في القرن الأخير من العهد الساساني . وقد كان لسار وهرتسفيلد الفضل الأول في كشف هذا الفرع من الفن الساساني .

وهناك تفاوت عظيم في رسوم ملابس الملك في الصور المختلفة وكذلك فيما تلبسه الآلهة في نقش التتويج ثم في ملابس عازقات العود والقيالة في مناظر الصيد . وكانت الملابس تزين أحيانا برسم السحاب على هيئة العصاب « سحاب الإقبال » وهو رمز من أصل صيني ؛ وأحيانا برسم الورود ذوات الورقات الأربع ، مصفوفة بأشكال مختلفة ، فحيناً على هيئة رقعة الشطرنج ، وحيناً على هيئة الجواهر والآلي ؛ بل إنهم كانوا يزينون ملابسهم أحيانا بآلي حقيقية مخاطة في الثوب . ثم كانوا يطرزون أقمشتهم برسوم الحيوانات ، من الوعل والديك والبط والملك الحزين ، وقد أعيد تنسيقها لتدور بالتعاقب إلى اليمين وإلى اليسار . ثم نجد كذلك رسومات على هيئة مسطحات متوازية الأضلاع مكونة من أشكال من ورق الزهر يتلوها أحيانا صور الورد أو النجوم على التعاقب ، ورسومات من تيجان اللؤلؤ تحيط بأهلة وتعاقب مع ورق زهر اللوتس والعصافير . ورسومات من دوائر تحيط بعصافير أو زهر اللوتس . والنساء اللاتي كن يمسكن المجاديف في قارب الملك ، في نقش صيد الخنزير ، يلبسن

(١) قارن ص ٤٤٢ — ٤٤٣ .

(٢) انظر سار في Sarre-Herzfeld, Iran. Felsreliefs ، ص ٢٠٦ — ١٢ وخاصة هرتسفيلد باب آسيا ، ص ٩٤ وما بعدها والوحات ٤٥ — ٥١ .

ثيابا عليها رسم دوائر فيها صور رؤوس الخنازير . وفي برلين ، في متحف Kunstgewerbe-Museum قطعة من النسيج الساساني عليها هذا الرسم نفسه ؛ وكانوا يستخدمونها في لف بقايا الأجساد المقدسة في إحدى الكنائس الألمانية . وكان الملك واقفا في القارب وقد اتشح بثوب رسمت عليه أفراس البحر — وفرس البحر حيوان خيالي مأخوذ عن تين الفن الصيني — وقد ظهر هذا الرسم على الثوب الذي يرتديه كسرى الثاني وهو على صهوة الجواد ، وهو على قطعة من النسيج في متحف South Kensington Museum . وقد بقيت لنا قطع أخرى من النسيج الساساني تمثل الملك في الصيد وقد علا الحصان المجنح أو حيوانات أخرى خرافية ، مع جميع أنواع الحيوان التي نظم توزيعها^(١) . ومن بين رسوم المنسوجات الساسانية كثير قد اشتق بدقة من تصاوير كهوف تركستان الصينية . وعندما نقلت هذه إلى الشرق أخذ الفنانون البيزنطيون في تقليدها على أقشة الحرير ، ثم أثرت تأثيرا ملحوظا في النسيج في أوروبا إبان القرون الوسطى .

وكان الأثرياء وذوو المسكنة يلبسون ملابس مختلفة النسيج حسب الفصول المختلفة . وقد جاء في الثعالب^(٢) إن كسرى الثاني سأل خادمه العالم^(٣) عن أنعم اللباس فقال « أما في الربيع فالشاهجاني والديقي ، وأما في الصيف فالنوزي والشطوي ، وأما في الخريف فالمنير الرازي والملمح المروزي ، وأما في الشتاء فالخز والخواصل ، وفي شدة البرد خز مبطن بخز بينهما قز » . ويقول هيون تسيانج Hiuen Tsiang^(٤) إن ملابس الإيرانيين مصنوعة من الجلود أو الصوف أو اللباد أو الحرير ذي الصور . ويقول السائح الصيني إنهم يصففون شعورهم ويسرون حراة

(١) مورجان ، (٤) ، ص ٣٢٣ وما بعدها ؛ هرتسفيلد باب آسيا ، ص ١٢١ وما بعدها واللوحات ٦١ — ٦٥ ؛ سار : فن فارس القديمة ، لوحة ، ٩٨ و ٩٩ .

(٢) ص ٧١٠ .

(٣) انظر هنا ص ٤٠٢ ، ملحوظة ٢ . وهذا القسم من حديث الخادم غير مسطور في النص الهلوي .

(٤) بيل Buddh. Records of the western world ، (٢) ، ص ٢٧٨ .

الروس . ولعل هذا الوصف الأخير ، إن استطعنا أن نثق به ، ينطبق على الحرائين .

ويعطينا صيد الخنازير صورة من نسج السجاد في ذلك العهد . وقد درس هرتسفيلد قطعة من السجاد متدلية من حاجز سفينة العازقات على العود . فبين صفين من اللآلئ يتخللهما مربعات يرى غصن لبلاب تنتهي انثناءاته ببرعم واحد ؛ وهو طراز يرجع إلى أصله في الفن الهليني — البقطري (البلخي) . ويرى هرتسفيلد أن رسم هذه القطعة من السجادة التي أبرزت على الصخر وقفها يبين أن أصلها سجادة منشوطة^(١) ، وهو نوع من فن نسيج السجاد أنتجت منه إيران الإسلامية قطعاً جامها لا يبارى .

ولكن أشهر مسجاجيد عصر كسرى الثاني التي وصفها المصادر القديمة الشرقية كانت من الحرير الموشى بالذهب . يقول الثعالبى^(٢) إن طاق الديس الذي تكلمنا عنه « له أربعة بسط على مقداره من الديباج النسيج المرصع بالآلئ والياقوت يختص كل واحد منها بما يشا كله ويوافقه في فصول السنة » . وكان من هذا النوع نفسه ، بل ربما كان أعظم منه ، البساط الذي كان يفرش به الإيوان في أحد القصور الملكية بالمدائن والمسمى بهار خسرو (ربيع خسرو) أو حسب رواية البلعمي « بساط الشتاء » . وكان هذا السجاد ، الذي يبلغ طوله ستين ذراعاً وعرضه كذلك ، يخيل لكسرى وهو يتناول غذاءه إقبال الربيع ؛ وكان فيه طرق كالصور وفصوص كالأنهار وخلال ذلك كالدير وفي حافانه كالأرض المزروعة والأرض المبجلة بالنبات في الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونوارة بالذهب والفضة وأشباه ذلك^(٣) .

(١) Am Tor ١٣٧ وما بعدها .

(٢) ص ٦٩٩ .

(٣) الطبرى ، ص ٢٤٥٢ ؛ البلعمي ، زوتنبرج ، (٣) ، ص ٤١٧ . وقارن

بلوشيه J RAS ، Note sur une tapisserie arabe du VIII siecle. ، Blochet

١٩٢٣ ، ص ٦١٣ — ٦١٧ .

ورى في مناظر الصيد نخبة صغيرة مختارة من بين ثلاثة آلاف امرأة كنّ في حريم كسرى الثانى ذلك الملك الذى يحب النساء . والواقع أن كسرى كان زير نساء . وكانوا يجمعون له النساء كالجند ، بلا تفريق بين البنات اللاتي لم يتزوجن والمتزوجات والأمهات . وكلها أراد أن يغير حريمه ، أرسل إلى موظفيه وعماله على الأقاليم بصفة النساء التي يريدها ، فيبحثون له عن النساء اللاتي تتوافر فيهن هذه الصفة في كل مكان^(١) . وقد كانت صفة النساء هذه التي ذكرت في هذه الكتب الفريدة المرسلة إلى العمال قريبة من الوصف الذي ذكره الخادم الصغير للملك ، والذي نجده في النص الهلوى الذي ذكرنا بعض عبارات منه : « خير النساء التي تفكر في عشق الرجل ، وكانت بين الطول والقصر ، عريضة الصدر ، استوى منها الرأس والعجز والرقبة ، الصغيرة القدمين ، من كانت بين السمن والهزال ، مقوسة الأخص ، سبط البنان ، لينة الجسم معتدلتة ، تفاحية الثديين ، بيضاء الأظافر كالثلج ، رمانية اللون ، ملوزة العينين ، دقيقة الحاجبين كصوف الضأن الصغير ، لؤلؤية الثغر . . . رقيقه ؟ سوداء الشعر مع ميل إلى الإحمرار ، طويلته . لا تتكلم بطريقة لا تواضع فيها . . . »^(٢) .

وكانت معشوقة كسرى شيرين « روضة الحسن وضرة البدر »^(٣) . وقد جعلها كثير من المصادر الشرقية والغربية^(٤) يونانية الأصل لأنها مسيحية ، ولكن الاسم الذي عرفت به اسم إيراني « الحلوة » ، ويقول سيبوس^(٥) إن أصلها من خوزستان . وكانت قد تزوجته في أوائل حكمه واحتفظت بأثرها فيه ، بالرغم من أنها

(١) الطبرى ، ص ١٠٢٥ ؛ نولدكه ، ص ٣٢٥ . فارت التهمة الرابعة التي اتهم بها كسرى الثانى ، الطبرى ، ص ١٠٤٧ ؛ نولدكه ، ص ٣٦٤ .
(٢) King Hosraw and his boy ، نشر أونوالا ، ٩٦ ، وفارن نص الثعالي ، ص ٧١٠ وما بعدها .

(٣) الثعالي ، ص ٧٠٢ .

(٤) تيوفيلاكس ، ٥ ، ١٣ ؛ البلعمي ، (٢) ، ص ٣٠٤ .

(٥) JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١٩٤ . ويقول آخرون إنها ولدت في ميسين

(لاربور ، ص ٢٢٢) .

كانت أقل مرتبة من الأميرة البيزنطية ماريا ، التي تزوجها لأسباب سياسية^(١) .
وتقول قصة بهرام چوبين إن كسرى قد تزوج من أخت بهرام ، كردية ، المسترجلة ،
بعد أن قتلت بسطام^(٢) . وإذا كانت تفاصيل هذه القصة خرافية فإن زواج كسرى
بكردية قد يكون من حوادث التاريخ . وقد حذرت شيرين الملك من كيد هذه
« الشيطانة »^(٣) .

وقد ألفت منذ زمن قديم ، القصص حول عشق كسرى وشيرين ، ويظهر أنه
وجد ، قبل سقوط الدولة الساسانية ، قصة شعبية أو أكثر عن هذا الموضوع ،
وقد دخلت عبارات منها في بعض روايات الخدينامة العربية والفارسية . وقد حفظ
كل من الثعالي^(٤) والفردوسي^(٥) رواية عن الحيل التي استخدمتها شيرين لتسترد
حب عشيقها الذي لم يكن وفيًا لها ثم عن زواجه بها والطريقة البارة التي استطاع
بها كسرى أن يسكت عظماء الدولة الذين كانوا ساخطين على زواجه من هذه الفتاة
الوضيعة الأصل . وقد ذكر البلعمي قصة فرهاد وشيرين^(٦) : « وكان فرهاد عاشقًا
لهذه المرأة ، وقد عاقبه أبرويز بأن أرسله لقطع الحجارة في بيستون ، وقد شغل
فرهاد نفسه بهذا العمل إلى حد أن كل قطعة يعطلمها من الجبل كانت من الضخامة
بهيث أن مائة رجل لا يستطيعون رفعها اليوم » . وقد أصبحت حوادث عشق
خسرو وشيرين ، وفرهاد وشيرين ، موضوعا محبوبا في الشعر الحماسي والفراي عند
الفرس^(٧) . ويقول الفردوسي^(٨) إن شيرين قد دس السم لماريا ، ولم يعلم أحد

(١) ويقول الطبري إن ماريا كانت ابنة الإمبراطور موريقي والمصادر البيزنطية لا تذكر
هذا الزواج . أنظر تولدكه ، Tabari ، ص ٢٨٣ ، المجلد ٢ .

(٢) تولدكه ، Tabari ، ص ٤٨٢ ؛ كتاب المحاسن المنسوب للجاحظ ، ص ٢٥٢ .
ترجمة ريشر ، (٢) ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٣) النهاية ، برون ، ص ٢٤٣ .

(٤) ص ٦٩١ وما بعدها .

(٥) طبعة مول ، (٧) ، ص ٢٩٤ وما بعدها .

(٦) زوتبرج ، (٢) ، ص ٣٠٤ وما بعدها .

(٧) هرب دودا ، Ferhād und Schirin ، براغ ١٩٣٣ .

(٨) مول ، (٧) ، ص ٣٠٤ وما بعدها .

بهذا ، حتى أن كسرى نفسه قد أعطى شيرين بعد فوات سنة على موت ماريّا غرفة نومها المذهبة .

وكان كسرى محبا بطبيعته لجميع اللذات . وقد ثبت ذوقه في الروائح الطيبة بما ذكره البلاذرى من أن كسرى پرويز قد تأذى بروائح الصنائف البيض التي كتب عليها الحراج وأمر أن لا يرفع إليه صاحب ديوان خراجه ما يرفع إلا في مصحف مصفّر بالزعفران وماء الورد . وكانت رائحة العود والعنبر والمسك والكافور والصندل تتأرجح في جو قصر كسرى كما كانت الحال في قصور خلفاء بغداد بعد ذلك .

وفي رواية الثعالبي^(١) عن خوش أرزو ، الفلام ، الذي كان خيرا أيضا بالمشعومات ، أن أطيبها الشاهسفرم المبخر بالنند^(٢) يرش عليه ماء الورد ، والبنفسج بالعنبر ، والنيلوفر بالمسك ، وزهر الباقلاء بالكافور ، وأن رائحة الزرجس كرائحة الشباب ، ورائحة الورد كرائحة الأحباب ، ورائحة الشاهسفرم كرائحة الأولاد ، ورائحة المنشور كرائحة الأصدقاء . فلما سأله الملك عن رائحة الجنة قال « إذا جمعت بين رائحة الشراب الحسرواني والتفاح الشامي والورد الفارسي والشاهسفرم السمرقندي والأترج الطبري والزرجس المسكي والبنفسج الأصفهاني والزعفران القمي والبوني والنيلوفر السيرواني والنند الثالث بالعود الهندى والمسك التبقى والعنبر الشحري^(٣) » .

وكانوا يعنون عناية خاصة بلذائذ الطعام في قصور الملك . ومن الأصناف التي كانت تطبخ للملك بلاش «طعام الملك» وهو الشواء الحار والبارد والحلالم والسكباچ والقريس والحواذب والمحشو والمصوص والحبيص بالسكر الطبرزد . ومنها الخراساني

(١) ص ٧٠٨ وما بعدها .

(٢) خليط من المسك والعود والعنبر .

(٣) في النص الهلوى ذكر البنفسج أولا باعتباره المشوم المسكي ثم تلتها المشعومات الأخرى ، الورد ، والزرجس ، والكافور ، والزنبق ، والبنفسج ، والشاهسفرم ، والريحان ، والنيلوفر ، والسمسق وهكذا . . وقد ذكر كل منها مع مقارنة شعرية (King Hosraw and his boy ، طبعة اونوالا ، § ٦٨ — ٩٤) .

وهو شواء السفود والشواء المقلّى بالسمن والخاميز . ومنها الرومى وهو ما يعمل باللبن والسكر وبالبيض والعسل والأرز بالسمن واللبن والسكر . ومنها « طعام الدهاقين » وهو التمسكسوذ من لحوم الغنم والنارسوذ والبيض المقلّى (١) .

وقد عدد خوش أرزو أطيّب الطعام وأوقفه وألده فقال « ما تأكله على صحة الجسم وأمن السرب وسرور القلب وشدة الجوع مع الأحباب والأصدقاء . . وأطيّب لحوم الماشية لحم حمل قد رضع شاتين ورعى شهرين يسمط ويشوى فى التنور، أو لحم جدى سمين يطبخ شورباجا ، أو صدر بقرة بكر سمينة بالسكباچ (٢) . . وأجود لحوم الطير التدرج السمين والقبيج الشتوى وفراخ الحمام المسجنة والدجاج الفقى المربنى بالبر والشهدانج ودهن الزيت . وأطيّب البوارد لحوم العجايل الرخصة الرطبة بالخل الثقيف والحردل الحريف . وأطيّب الخاميز لحوم الظباء الفتية الرخصة المشرحة المرققة بالحل والحردل والمرى والشبت والثوم والكرويا والسكر . وأطيّب الحلوى الملبقة بدقيق الأرز واللبن الحليب وشحم الظباء والقند ثم الجوزينج بدهن اللوز والجلاب ثم اللوزينج بالطبرزد وماء الورد ثم الفالوزج بالسكر والعسل . وأطيّب الشرب العنبى الذى جمع حسن اللون ونعم الصفاء وإطافة الرقة وطيب الرائحة وغذوبة الطعم وسرعة الأخذ وخيره البلخى والمروروذى والبوشنجى والبسقى والحورى والقنارزى والدرغى ولا أختار على السورى والقطربلى (٣) .

ولا شك أن الأوعية كانت متلائمة وجديرة بأطيّب الأطعمة التى كانت تقدم للملك .

وقد أحب كسرى الثانى الكؤوس النفيسة ، والواقع أن معظم الآنية الفضية الساسانية التى بقيت حتى اليوم فى متاحف أوربا ترجع إلى عصره . وقد وجد منها عدد كبير فى روسيا وقليل جدا فى إيران . ولعل هذا راجع إلى أن هذه البلاد قد

(١) الثعالبي ، ص ٥٨٥ .

(٢) قارن سنا كلبرج ، WZKM ، جزء ١٨ ، ص ٢٨٣ (سبيدپاك) .

(٣) الثعالبي ص ٧٠٥ — ٧٠٨ ، وقارن King Hosraw ، اونوالا ، § ١٩ — ٥٩

حيث تختلف قليلا عن نص الثعالبي . (وقد آثرت ذكر النص العربى بدلا من الترجمة عن اليهودية التى أوردها المؤلف) .

نهبت أكثر من مرة بغزاة طامعين في خيراتها . ويرى سار^(١) أن مثل هذه الكؤوس المزخرفة كانت تصنع في مصنع ملكي وكانت توزع هدايا على من يحضرون الصيد أو موائد الملك وكذلك على الملوك الأجانب . وفي القرن الرابع الميلادي شهد فلافيوس فوبسكس بأن الإمبراطور ديوكاستين قد أخذ هدية من البلاط الساساني من هذا النوع . وقد قلد المسلمون في القرون الأولى للإسلام الطراز الساساني في الكؤوس الفضية .



٤٨ . كسرى الثاني في الصيد . كأس من الفضة
(سار . فن فارس القديمة)

ومن أجل ما تخلف عن عهد كسرى الثاني من كؤوس ، كأس فضية في المكتبة الأهلية في باريس (رسم ٤٨) . ظهر فيه الملك وهو يصطاد ، كما هو في نقش كهف طاق البستان ، وعلى رأسه التاج المجنح وعليه ملابس عظيمة وعقود من

(١) فن فارس القديمة ، ص ٤٩ .

اللولؤ ، والأشرطة الملكية تتموج مع الريح ، وهو يتحفز على حصانه الراكض ، وقد مد السهم وأخذ يضرب الحيوانات الهاربة . وقد رمى بسهامه الخنازير وبقر الوحش وثورا^(١) .



٤٩ . كأس فضية
(سار . فن فارس القديمة)

وفي المكتبة الأهلية أيضا كأس آخر (رسم ٤٩) ، عجيب للغاية ، عليه شعار القمر ، وجماعة شتى من الناس في يد كل منهم عصفور وكأس ومبخرة وغير ذلك ؛ وفي الوسط صورة امرأة عارية يبدو أنها تداعب فهذا له رأس عنقاء . ولم يستطع أحد تفسير تفاصيل هذا الرسم ، وهو ديني بلا شك^(٢) .

(١) بابلون ، Guide au cabinet des médailles ، رسم ١٢٣ ؛ هرتسفيلد ، باب آسيا ، لوحة ٥٣ ؛ سار ، فن فارس القديمة ، لوحة ١٠٧ .
(٢) بابلون ، Guide au cabinet des médailles ، رقم ٢٨٨١ ، رسم ١١ ؛ سار ، فن فارس القديمة ، لوحة ١٨٧ .

والرسومات المكونة من حيوانات ونباتات معاً عادية جداً: كوعاين كل منهما على جانب شجرة ، ولبؤة وشجرة وهكذا^(١) . وكانت الصور عادة في إطار من ورق الشجر على هيئة قلب أو من اللبلاب الزاحف وهكذا . وهناك كأس عليه نقش أسماك وسموطانات^(٢) . ثم هناك أباريق من فضة غنية بالزخارف ، عليها صور أسود (رسم ٥٠) أو صورة امرأة تقدم سلة فاكهة^(٣) ، وأباريق نحاسية لها عُرى



٥٠ . أباريق من فضة

(سار . من فارس القديمة)

(١) سار ، فن فارس القديمة ، لوحة ١٢١ و ١٢٢ .

(٢) نفس المصدر ، لوحة ١٢٥ .

(٣) نفس المصدر ، لوحة ١٢٩ و ١٢٩

وعليها صور آدمية وعصافير وغير ذلك ، أو مزينة بأغصان شجر متشابكة^(١) .
وكما روى الذوق في اختيار أطيب الطعام والشراب والشعومات فكذلك رقى
فن السماع بالموسيقى الفنية التي يقوم بها البارعون من المغنين وأهل الموسيقى . وقد
أشرنا مراراً إلى ما كان لأهل هذه الطبقة من رفيع المكانة في البلاط الساساني .
وقد كان الموكل بالاستار (خرّم باش) ، يوم جلوس الملك للهو ، يقول غن
يا فلان كذا وكذا واضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من
طرائق الموسيقى^(٢) .

وقد ذكر المسعودي^(٣) آلات الموسيقى عند الفرس ؛ الناي والعود والصنج
والصنج وكان غناؤهم بالعيدان والصنوج ولهم النغم والإيقاعات والمقاطع والطروق
الملوكية ؛ وكان غناء أهل خراسان وما والاها بالزنج وعليها سبعة أوتار وإيقاعه
يشبه إيقاع الصنج ، وكان غناء أهل الري وطبرستان والديلم بالطناير ، وكانت
الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاحى . ويظهر من نقش صيد كسرى الثانى
في كهف طاق البستان أن العود (چنگ) كان الآلة المفضلة في الموسيقى الساسانية
وأما الآلات الأخرى التي ثبت استعمالها أيام كسرى الثانى من الآثار المعاصرة فهي
الطبل والمزمار (منظر صيد بقر الوحش) والناى ؛ فقد صورت عازفات بالناى على
بعض آنية الفضة في ذلك العهد^(٤) . (رسم ٥١) .

وقد ذكر خوش آرزو ، فى النص الهلوى ، عدداً كبيراً من آلات
الموسيقى ، من بينها^(٥) : العود الهندى (وين) ، والعود المتداول المسمى (دار) ،
والبربط (بربوذ) ، والچنگ ، والطنبور ، والسنتور (كنار) والناى ، والقرنى
(مار) ، والطبل الصغير (دُمبَلَاك) ، والزنج الذى أشرنا إليه .

(١) نفس المصدر لوحة ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٥ .

(٢) انظر ص ٣٨٦ .

(٣) مروج ، (٨) ، ص ٩٠ — ٩١ .

(٤) سار ، فن فارس القديمة ، اللوحة ١١٦ ، ١٣٣ .

(٥) King Hosraw ، اونوالا ، النبذ ١٣ و ٦٢ — ٦٣ .

وأشهر أهل الموسيقى والغناء في بلاط كسرى الثاني سرگش^١ أو بالأحرى سرگش وباربذ^(١). وما بلغنا من روايات عن هذين الرجلين لا يستمد من الحداينة إنما يرجع إلى بعض الكتب الشعبية التي وجدت في الزمن الأخير للدولة الساسانية. والتفصيلات التي ذكرها الفردوسي^(٢) والثعالبي^(٣) أقرب إلى الحيال.



٥١ . عازفة الناي ، كأس من فضة
(سار . فن فارس القديمة)

(١) باربذ أو فهلبد لدى الكتاب العرب والفرس ، وفهلبد صيغة معربة عن فهلبد الفارسية . ولكن ، باربذ في الكتابة الهلوية قد تقرأ بهل بذ ، ولأن المخطوطات الفارسية لا تفرق في الغالب بين الباء والياء تيسر قراءة فهلبد وهي الصيغة التي قربت ، باشتقاق خاطئ ، من كله يهلو (يرت = بطل) . ومن ناحية أخرى فإن أصل الكلمة إذا كان فهلبد فإنها لا يمكن أن تقرأ باربذ . فهذه الصيغة الأخيرة هي الصحيحة بلا شك (باربذ) .

(٢) طبعة مول Mohl ، (٧) ، ص ٣١٤ وما بعدها .

(٣) ص ٦٩٤ وما بعدها .

فيقال إن سرگش كانت له المكانة الأولى بين أهل الموسيقى عند الملك ، وكان يغار على جاهه فحاول جهده بكل الوسائل إقصاء باربد الشاب عن الملك ، وكان من مرو كما يقول الثعالبي . ولكن باربد استطاع بحيلة أن يُسمع الملك وأن يصبح مطربه الأول .

وإلى باربد^(١) ينسب كشف الطريقة الموسيقية عند الفرس . والحق أن هذه الطريقة قديمة ولكن ليس لدينا من سبب للشك في أن هذا الموسيقى العظيم ، باربد ، قد أثر تأثيراً بالغاً في فن الموسيقى الساسانية ، الذي هو المصدر الرئيسى الذى أخذت عنه الموسيقى العربية والفارسية أيام الإسلام ، وقد ترك آثاراً ربما بقيت حتى اليوم في الشرق الإسلامى الذى يبدو محافظاً جداً في هذا الفرع من الفنون .

ويقول الثعالبي إن باربد لعب في أول مرة سمعه الملك داستان : يزدان آفرید (خلق الله) وبرتو فرخار (عظمة فرخار^(٢)) وترنم بغناء كالغناء بعد الفقر فتحير أبريز ، ثم أطرب بالداستان المعروف بسبز اندر سبز (الأخضر فى الأخضر) فلم يتألك پرويز أن قام وقال ما هذا إلا ملك أرسله الله لإطرابى وإمتاعى . أما الفردوسى فيقول إن الألحان التى استحدثها فى هذه المناسبة هى داد آفرید^(٣) ، بيگار گورد (واقعة البطل) ، وسبز اندر سبز .

وقد جاء فى قاموس « برهان قاطع » الثلاثون لحناً التى ألّفها باربد لطرب كسرى الثانى . وهى مذكورة مع بعض الاختلافات فى كتاب نظامى « خسرو وشيرين » . ويقول الثعالبي إن باربد هو صاحب « الخسروانيات » التى يغنىها أهل الموسيقى فى زمنه فى مآدب الأمراء وغيرهم . والواقع أن اصطلاح « خسروانى » لا يدل على لحن واحد . ويتحدث عوفى^(٤) عن « نواى خسروانى » وهى من غير

(١) تناول رضا زاده شفق بالبحث باربد وذلك فى المجلة الإيرانية « إيرانشهر » المنشورة فى برلين ، السنة الثالثة ، ص ٦١ وما بعدها .

(٢) فرخار مدينة خرافية مشهورة بجمال سكانها وبوجود معبد لعبدة الأصنام .

(٣) لعل الاسم الصحيح هو « دادار آفرید » (الله خالق) ، واللاحن هو ما يسميه الثعالبي يزدان آفرید .

(٤) انظر برون ، JRAS ، ١٨٩٩ ، ص ٥٤ وما بعدها .

شك « الطرائق الملوكية السبعة » التي يتحدث عنها المسعودي^(١) .

وفي رواية أخرى^(٢) ، كان لباربد ستون وثلاثمائة لحنا للمائدة الملك ، بحيث يستطيع أن يكون له لحن كل يوم وأن أصواته كانت قانونا يتبعه أصحاب الموسيقى الذين قلدوه جميعاً وأخذوا عنه .

وينتج من هذا كله أن ما ينسب إلى باربد من طرائق الموسيقى يتكون من الحسروانيات السبعة أو الطرائق الملوكية^(٣) ، ومن ثلاثين لحناً^(٤) ، ومن ثلاثمائة وستين دستان . وهى فيما يظهر توافق أيام الأسبوع السبعة^(٥) وأيام الشهر الثلاثين ، وأيام السنة الساسانية الثلاثمائة والستين ، ولم تعد الأيام المسترفة . ونجد عند منوچهرى وغيره من كتاب الفرس عددا كبيرا من الأسماء الموسيقية ، ولكن من غير أن نقرأ كانت كل حالة ضمن الثلاثين لحناً أو الثلاثمائة وستين دستان .

وكان البردان — آفرید ذا طابع ديفى . فقد كانت هناك ألحان تذكر أسماءها بقصص التاريخ الخرافى القديم الذى كان موضع عناية منذ القرن الخامس ، ومن بين الأغاني الحساسة أغنيات : كين ايرج (انتقام ايرج)^(٦) ، كين سياوخش وغيرها^(٧) . وهناك أنغام أخرى تتحدث عن قوة وثناء كسرى الثانى ، باغ شيرين (حديقة شيرين) ، باغ شهریار (حديقة الملك) ، آورنگيگك (لحن العرش) ، تخت طاقدیس^(٨) ،

(١) مروج ، (٨) ، ص ٩٠ .

(٢) برون ، (١) ، C .

(٣) ينسب اختراع الحسروانيات إلى موسيقى آخر اسمه نكيسا من أيام كسرى الثانى ، وقد ذكره مثلاً الشعراء ، نظائى وخواجه سلمان ، وانظر البرهان القاطع .

(٤) كلمة لحن عربية ، والكلمة الهلوية التى ترجمها العرب بهذا الاصطلاح غير معروفة .

(٥) وهذا علامة على أن الأسبوع لم يكن مجهولاً فى التقويم الساسانى الزردشتى . قارن

ص ١٥٩ ملحوظة ١ ، ص ٣٨٥ ملحوظة ٦ .

(٦) ايرج بن أفریدون ، وقد قتله أخواه ؛ فنأر له أحد حفدته ، منوچهر .

(٧) سياوخش بن كيكاوس وقد قتل بأمر أفراسياب ملك توران وقد نأر له ، بعد

حروب طويلة ، ابنه كيخسرو .

(٨) هنا ، ص ٤٤٩ .

هفت گنج (الكنوز السبعة) ^(١) ، گنج باد آورد ^(٢) ، شبدیز ^(٣) . وهناك ألحان أخرى تتغنى بالأعياد الموسمية ، والطبيعة ، وخاصة بمجال الربيع ولدائد الحياة : منها نوروز بزرگ (أكبر أعياد السنة) ، سروستان (حديقة السرو) ، آرايشن خورشيد (جمال الشمس) ، ماه أبهر كوهان (القمر فوق الجبال) ، نوش لبينان (ذوات الشفاء الرقيقة) وغيرها . ومن الاصطلاحات الموسيقية نذكر « راست » (مستقيم أو حق) ، وهي كلمة تدل حق يومنا هذا على أحد القامات الإثني عشر أو الطرائق الأساسية لفن الموسيقى العربية الفارسية ^(٤) .

وقد أصبح في الإمكان معرفة بعض بقايا الشعر في الأدبيات الهلوية في السنوات الأخيرة ^(٥) . ولم أجد من هذه البقايا غير قطعة صغيرة واحدة من الغزل الخالص ، وهي ضمن النصوص المانوية التي نشرها بادي الأمر مولر ثم أعاد نشرها سيلمان ^(٥) ، ولكن ليس ما يدل على الأصل المانوي لهذا الشعر الذي ليس له طابع ديني . وهما هو هذا الشعر الجميل كما ترجمه بنفست ^(٦) :

الشمس ساطعة ، والبدر يضيء .

(١) هنا ، ص ٤٤٧ .

(٢) هنا ، ص ٤٤٤ وما بعدها .

(٣) انظر بحثي "Some Notes on Persian Melody-names of the Sassanian Period" ، في Dastour Hoshang Memorial Volume (جباي ١٩٠٩) . وقد تناول فريمر هذا الموضوع في JRAS ، ١٩٢٦ ، ص ٩٣ وما بعدها من غير أن يطلع على مقالتي التي تحوى تفصيلات أكثر . فإرن مقالتي في المجلتين الفارسييتين « كاوه » (السنة الثانية ، المجموعة الجديدة ، رقم ٥) و « إيران شهر » (السنة الثالثة ص ٦١ وما بعدها) .

(٤) انظر بنوع خاص بنفست ، JA ، ١٩٣٠ ، ص ١٩٣ وما بعدها ، ١٩٣٢ ، ص ٢٤٥ وما بعدها ؛ RHR ، ١٩٣٢ ، ص ٣٣٧ وما بعدها . وفارن مقالتي في مجلة « كاوه » (الأعداد ٤ — ٥ ، ص ٢٤ — ٢٦) ، وفي BSOS ، ١٩٣٤ ، ص ٤٨٣ وما بعدها ، و "Heltedigtning og Fortoellingslitteratur hos Iranerne i Oldtiden" (Festkrift udg. af Kobenhavns Universitet i Anledning af Hs. maj. kongens Fødselsdag ٢٦ سبتمبر ١٩٣٥) ص ٣٢ وما بعدها .

(٥) النص m — ٥٥٤ — V .

(٦) JA ، ١٩٣٠ ، ص ٢٢٢ .

ينيران وينوران خلف جذع هذه الشجرة ؛

والعصافير تحلق مستبشرة فرحة ،

وكذلك يحلق اليمام والطاووس الأرقش .

ومن هذا الشعر نستنتج نوع أصوات أرايشن خورشيد و ماه أمير كوهان .

ولكى نختم هذه الإمامة بحياة الترف التي كانت عليها الطبقة الراقية الساسانية

نذكر كلمات عن الألعاب . نعرف بالاسم ، عدا الشطرنج ، أنواعا كثيرة من الألعاب

المسلية : الهشت باد (الثمانية أرجل) ، النيو اردشير (أردشير الطيب) ، والنرد

وكانوا يلعبونها بخمس عشرة قطعة من الحجارة البيضاء وبمثلاها من حجارة سود ،

والزرب وكانت تلعب بطريقتين مختلفتين^(١).

* * *

وأما ما يرويهِ ابن البطريق من أن كسرى الثاني قد اعتنق المسيحية فقول

لا شك في خطئه^(٢) . ولكن صلات هذا الملك بإمبراطور الروم موريق الذي

ساعده على العودة إلى عرشه ، وزواجه من الأميرة البيزنطية ماريا وأثر عشيقته

المسيحية شيرين فيه ، كل هذا حملة على التساهل ، ولو في الظاهر ، مع رعاياه

النصارى . أما هو نفسه فقد أضاف إلى عقيدته من الخرافات المسيحية فوق ما كان

يعتقد ؛ فإن الخرافات ، فيما يظهر ، كانت الأساس الحق لدينه . ويشهد بذلك العدد

الفقر الذي يحيط به من الكهان والسحرة والمنجمين^(٣) .

وإذا كان للنصارى ، حينما اعتلى كسرى الثاني العرش ، حرية الدين ، ولكن

لم يكن لهم ، الحق في التبشير بدينهم وإدخال الزردشتيين فيه وهذا لا يحتاج إلى دليل ،

(١) ماذيكان شطرنج ، § ٩ ؛ أونولا ، King Hosrow and his boy ، § ١٥ — ١٦ ؛

بارتولومويه ، IF ، جزء ٣٨ ، ص ٤٠ وما بعدها ؛ هرتسفيلد ، Arch. mitt. (٣) ، ص ٢٨ . وينسب اختراع النيو اردشير إلى بزرجمهر ، كما تقول القصص ، وهو وزير

كسرى الأول فيها . ولكن يظهر ، كما لاحظ هرتسفيلد ، أن اسم اللعبة يشير إلى أنها لم تكن أيام كسرى الأول ، إنما كانت في عهد ملك اسمه اردشير ، قد يكون اردشير الأول .

(٢) تولدكه ، Tabari ، ص ٢٨٧ ، ملحوظة ٢ .

(٣) تقول الروايات إنه كان لديه ثلاثمائة وستون منهم ، على عدد أيام السنة (الطبرى ،

١٠٠٩ — ١٠١٠ ، نونته ، ٣٠٤) .

فإن من يخرج عن دينه من هؤلاء كان عقوبته الإعدام ، نظريا على الأقل^(١) ؛ ومع ذلك يظهر أنهم كانوا يتساهلون في ذلك غالباً^(٢). وقد كان كسرى سمعاً مع الكنائس ، وقد أنشأ كثيراً من أماكن العبادة باسم القديس سرجيوس الذي ساعده في حروبه ، كما أهدى صليبا من الذهب لكنيسة سرجيوس ليس في سوريا^(٣) .

وقد اختار الأساقفة في سنة ٥٩٦ ، تنفيذاً لرغبة الملك ، صبر يشوع جاثليقا ، كان راعيا ومن أشد أعداء الكفار ، وكان هؤلاء كثيرين . وكان المصلون Mesalliens رهبانا جوالين شحاذين ، كانوا نوعاً من قراء النصارى ، « يتخفون وراء زهد ظاهرى ، وكانت أخلاقهم فاسدة للغاية ، يتدخلون ، بحكم عملهم الخارجى ، في بيوت النار حيث يرتكبون كل ما يشتهون من منكر^(٤) » . وكان الحنانيون ، وكانوا عند الناس موحدن جبريين ، واليعاقبة Monophysites الذين استردوا نفوذهم ، يهيمون بكل قوائم الكنيسة النسطورية . وقام النزاع من جديد بين النساطرة واليعاقبة وانتصر هؤلاء . فقد كان لهم في جبريل كبير أطباء كسرى بطل مغوار ، وكان نسطوريا فاعتنق مذهب اليعاقبة . وجبريل هذا ، الذى فسدت علاقته بالجاثليق صبر يشوع ، لأن هذا كفره بسبب نهجه في الحياة ، كان متمتعاً بثقة الملك الكاملة ، وخاصة بعد أن انتهى سعيه ، بعون قدسى من القديس سرجيوس ، إلى أن توهب شيرين ، التى لم يكن لها ولد ، ولدا ، هو مردانشاه . وإذا اعتنقت شيرين مذهب اليعاقبة علا شأنه . وبعد موت صبر يشوع ، اقترحت شيرين على الملك أن ينصب بدله جريجوار ، الأستاذ بمدرسة سلوقية ، وقد انتخبه المجمع في سر ، وكان عالماً دينياً ضليعاً جشعاً بطناً ، ومات بعد ذلك بأربع سنوات (٦٠٨ أو ٦٠٩) . وقد ترك من ورأته ثروة طائلة صادرها كسرى لنفسه . وبعد هذا ظل منصب الجاثليق شاغراً عدة سنوات ، لأن كسرى ، وقد ترك قيادته لجبريل وشيرين ، عارض في انتخاب جاثليق

(١) ديشكرد ، (٩) ، ٥٦ — ٤ (لسك باغ) .

(٢) يروى في الديشكرد ، (٩) ، ٣١ — ٢١ : ٢٣ أن يشت ورشمانسر أو بالأحرى شروحه قد تناولات الصلات بين المؤمنين والمرتدين .

(٣) لاجور ، س ٢٠٩ .

(٤) لاجور ، س ٢١٤ .

نسطورى . وتجادل الفريقان ، وأثير الموضوع القديم ، هل للمسيح طبيعة موحدة أو له طبيعتان . وقد كسب النساطرة في صفهم رجلا من أكبر أسرى الفرس ، هو مهران گشنسپ ، الذى مُنح باسم جورج ، فأبلى في خدمة مذهبهم^(١) .

وحياة هذا الرجل ، كما تروى في أعمال الشهداء ، تعرفنا تفصيلات قيعة عن نهج حياة الطبقة العليا أيام كسرى الثانى . فقد كان من نسب ملكى . وكان أبوه « أستاندار » في نصبيين كما كان جده حاكما لأنطاكية الجديدة التى بناها كسرى الأول . وكانت أملاكه التى ورثها عن أسرته تشمل قرية يقوريا في كورة نيشنار في بلاد بابل ، وكان له ، على عادة العظماء ، قصر منيف في العاصمة . وقد أرسل هذا الطفل النبيل ، ذو الصفات العظيمة ، إلى بلاط الملك وهو حدث ، كي يكون غلاما ثم يرقى إلى وظائف الدولة أو البلاط الكبرى . وحين انتشر الطاعون في سلوقية ، هرب مهران گشنسپ ، ولم يكن قد ترك دين آبائه بعد رغم ما يساوره من شكوك ، إلى أحد أملاكه — يقول الكتائب المسيحية في خبث : « كما يفعل الكفار عادة » — بعد أن عهد برعاية قراء « وعبيده الآخرين^(٢) » إلى أحد المسيحيين . وحينما اعتنق المسيحية ، عكف في الصحراء يدرس دينه الجديد . وقد سأل أخته عما تعرف من أخبار الأسرة المالكة ، بعد أن كُشف سر دخوله في النصرانية فأجابته : « تعال فليس من خطر عليك ، فإن الملك حين علم أنك أصبحت نصرانيا لم يقل عنك من سوء غير « ذهب مهران گشنسپ إلى جهنم » ، ولكن سر ، تعال فإن الملك قد يأمر بأن تبقى لك أملاكك » . وبعد ذلك زار المرتد أخته وكانت متزوجة من أحد العظماء ، فاقرب منها في إعظام ثم انحى على بعد قليل منها . فقامت من على وسادتها لتحيي أخاها ومدت إليه يدها « كما تقضى تقاليد الوثنيين على زوجات العظماء » ، وقالت له ضاحكة : « إسمع حالا إني مسيحية ... »^(٣) .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٠٨ — ٢٢٥ .

(٢) قراءة أخرى « وأملاكه الأخرى » ، انظر جيجر ، WZKM (٤٢) ، ص ١٢٥ .

(٣) هوفان ، ص ٩٤ — ٩٩ .

ومن هذه الرواية نرى أن أخلاق وعادات العظماء كانت مطبوعة بطابع من الرقة ونوع من الأناقة تذكرنا بما كان في القرن الثامن عشر .
ولكن جبريل ، كبير الأطباء يعقوبى ، وجد في هذا النسطورى المتحمس خطرا ، فدبر له الاتهام بأنه كفر بالزردشتية ، فحكم على مهران كشنسپ بالموت فصلبوه .

وقد كان بين النساطرة أنفسهم كل أنواع المنازعات . وقد كفر بابهاى الكبير ، كبير النصارى في جبل إيزلا شمال نصيبين والنسطورى الفيور ، بابهاى الصغير ، وهو قسيس النصارى الذى لا يقل عنه تقى . يقول جويدى (Anonyme)^(١) : « فلنجدل القول لأن نهجهم كان أقوم وأوضح من الشمس ، وكثير من كتاباتهم يشهد بأنهم أصحاب الدين الحق » .

وحينا توفي جبريل ، أصبح يزيدى ، الذى — « واستربوشانسار » الذى ذكرناه أكثر من مرة ، بعد شيرين ، أكبر المسيحيين نفوذا عند الملك . وكان نسطوريا وقد بذل ما فى وسعه ليساعد حزبه ، ولكن جهوده لحمل كسرى على السماح للنساطرة باختيار جاثليق قد ذهبت سدى ، ولعل ذلك راجع إلى معارضته أثيرة الملك^(٢) .

ولم يكن رجال الدين الزردشقى فى حالة تسمح لهم بالاستفادة مما بين النصارى من شقاق . إنهم كانوا يمثلون دين الدولة ، حقيقة ، وقد فقدوا قلبا من نعمتهم ، ولكن سلطانهم كان ضعيفا إلى حد أن تحملوا إسناد أكبر الوظائف المالية إلى أسرة يزيدى . ومن قبل كان النصارى يستخدمون فى الوظائف الإدارية المختلفة ، ولكن فى مناصب غير مهمة ، فمثلا كانوا يشغلون منصب كاروگبذ أو رؤساء عمال المملكة^(٣) ولم يكن تعيين كسرى الثانى لفرخزاد الخلف على جباية الضرائب بأقل مخالفة للتقاليد القديمة . وقد بلغ تدهور رجال الدين المزدديين درجة كبيرة حتى أصاب

(١) ترجمة تولدكه ، ص ٢٣ .

(٢) لا بور ، ص ٢٢٨ — ٢٣٥ .

(٣) الطبرى ، ص ٩٦٠ ؛ تولدكه ، ص ٢٤٠ و ٢٥٥ ؛ لا بور ، ص ٦٧ . وانظر فى كلمة كاروگبذ ببلى فى BSOS ، ١٩٣٤ ، ص ٥١٢ وما بعدها .

الأخلاق والعقيدة وعبادات المجوس والموازنة . ومما يلفت النظر العبارة التي عدت ، في مينوگك خرد (الفصل ٥٩) عيوب رجال الدين الشائعة . وهذه العيوب هي : الارتداد ، والحرص ، والإهمال ، والاشتغال بالتجارة ، والتعلق الشديد بمخاطم الدنيا^(١) ، وضعف الإيمان في أمور الدين .

ومع هذا فإن رجال الدين الزردشتيين قد جددوا جهودهم لتجديد أركان الدين وتثبيتها . وفي الدينکرد^(٢) إشارة تفيد أن كسرى الثاني قد أعد تفسيراً جديداً للأوستا ، أعده أذكي رجال الدين . وقد بين ماركارت^(٣) عبارة في تفسير الفصل الأول من الونديداد تذكر بالوضع السياسي الذي ترتب على تعيين الحدود الفارسية البيزنطية بين كسرى وملك الروم موريق سنة ٥٩١ . أما أن كسرى نفسه قد أحب دراساته الدينية فمشكوك فيه ، ولكن قد تكون هناك أسباب سياسية حملته على إظهار إخلاصه للدين الزردشتي ، ذلك الإخلاص الذي شك فيه . يقول الطبري^(٤) إنه أمر فبنيت بيوت النيران وأقام فيها إثني عشر ألف هربد للزمزمة ، وهو عدد مصطنع ليس له قيمة تاريخية بطبيعة الحال .

وقد كان لغزوات الإمبراطور هرقل في أراضي إيران رد فعل في حال النصارى . ويقول جويدي^(٥) (Anonyme) « إن كسرى قد أقسم حين انتصر في هذه الحرب ليأتين على جميع الكنائس في الدولة ولا يترك ناقوساً منها » . ومهما يكن فقد اضطهد النصارى جميعاً ، نساطرة ويعاقبة . وفي هذه الآونة أمر الملك بقتل يزيدين وتعذيب زوجته ومصادرة أمواله . وقد عمل أحد أبناء يزيدين ، شمطا^(٦) ،

(١) ومن الملاحظ بوضوح أن التدقيق المفرط في تكلف قد يصير أقوى مما ينبغي حتى عند رجال الدين الإرسيين .
(٢) هوج ، Essay on Pahlavi ، ص ١٤٦ ، وقد ذكرت في GIPH ، (٢) ، ص ٣٤ .

(٣) Eranšahr ، ص ١٦٣ .

(٤) ص ١٠٤١ — ١٠٤٢ ؛ نولدكه ، ص ٣٥٣ .

(٥) ترجمة نولدكه ، ص ٢٨ .

(٦) فارن The Book of Governors, Thomas of Margā ، ترجمة وليس بدج

(لندن ١٨٩٣) ص ٨١ وما بعدها .

عملاً مؤثراً في الأساة التي قضت على عهد كسرى ثم على حياته .
وقد أضيف إلى نكبات الحروب نوازل الطبيعة . في أيام قباد انبثق في أسفل
كسركر — قد لا يكون بعيداً من ولاية ميسلين — بثق عظيم فأغفل أمره حتى غلب
ماؤه وغرق كثيراً من أرضين عامرة ، ولما ولي أنوشروان أمر بذلك الماء فزُحم
بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الأرضين إلى عمارة ، ثم لما كانت سنة ٦٢٧ — ٦٢٨
(٥٦) ، أيام كسرى الثاني ، زاد الفرات زيادة عظيمة ودجلة أيضاً لم ير مثلها ،
وانبثقت بثوق كبار فجهد أبرويز أن يسكرها حتى ضرب أربعين سكرافى يوم واحد ،
وأمر بالأموال فألقت على الأنطاع فلم يقدر الماء على حيلة ، ثم إن المسلمين وردوا
العراق وشغلت الفرس بالحرب فكانت البثوق تنفجر ولا يلتفت إليها ويهجز
الدهاقين عن سدها ، فعظم ماؤها واتسعت البطيحة وعظمت^(١) . وانخرق دجلة العوراء ،
أى فرع دجلة الذى يمر بالجهة التي بنيت فيها أخيراً مدينة البصرة ، والجهود والأموال
التي أنفقت عبثاً في ترميمه قد أثرت في نفوس الناس أثراً كبيراً . وفي الوقت نفسه
انصدع طاق كسرى پرويز في المدائن ، ورؤى بعد ذلك في هذه الحوادث نذير بسقوط
الدولة الساسانية على يد المسلمين^(٢) .

وبعد حكم دام سبعة وثلاثين سنة لقي كسرى الثاني المصير الذى أعده لأبيه من
قبل . فإنه بعد أن هرب من دستگرد ، رافضاً عروض الصلح التي قدمها هرقل ،
عاد إلى قصره في المدائن ، ثم لم يلبث أن تركه ليعبر دجلة ويقع مع عشيقته شيرين
في وية أردشير (سلوقية) . وحينئذ ثار القواد الفرس وكانوا ساخطين على إصرار
كسرى على مواصلة حرب لا أمل فيها . وقد عرف شهربراز أن كسرى ، الذى كان
يشك فيه ، قد أمر قائدًا بمن يرأسهم بقتله ؛ فأخذ حذره وتحلل من عهود الإخلاص
له^(٣) ومرض كسرى بالزحار فنقلوه إلى المدائن ليرتب ورائة العرش ، وكان معه

(١) ابن خرداذبه ، BGA ، (٤) ، ص ٢٤٠ ، الترجمة ، ص ١٨١ .

(٢) الطبرى ١٠٠٩ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٣٠٤ وما بعدها . فان قصة أخرى
عن نذر الشر بالنسبة للفرس عندما ولد النبي ، الطبرى ، ص ٩٨١ ؛ نولدكه ، ص ٢٥٣ .

(٣) انظر ص ٤٣٦ ، ملحوظة ٣ ؛ والطبرى ١٠٠٦ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٢٩٩
وما بعدها و ٣٠١ ، ملحوظة ٤ .

شيرين وولدها مردانشاه وشهريار وكانت نيته تثبيت مردانشاه على العرش . ولما علم قباد ، الملقب بشيروه ، وهو ابن كسرى من ماريا ولعله أكبر الأمراء ، بما حدث عزم على الدفاع عن حقوقه واستوثق من مساعده القائد العام الجديد ، كشنسب اسفاذ^(١) ، وهو ، حسب رواية تيوفان Theophane ، أخوه من الرضاعة . وقد فاوض هذا هرقل وأبدى استعدادا للصلح مع الفرس . وانضم لشيروه عظماء آخرون ، من بينهم شمطا بن يزدین ونيو — هرمزد^(٢) ابن ال — پاذاكوسپان مردانشاه الذي كان كسرى قد قتله^(٣) كما قتل يزدین . وأمر شيروه ففتحت « قلعة النسيان » وأفرج عن عدد كبير من مسجونى الدولة فانضموا إلى الأمير .

وهكذا نصب شيروه ملكا . ففي الليل ترك الحرس القصر حيث كان ينام كسرى وشيرين ، وفي الصباح الباكر سمع الناس يصيحون فرحين « قباد شاهنشاه ا » . وحينئذ هرب كسرى ، وقد أخذه الهلع ، فاختبأ في حديقة القصر حيث عثر عليه ، فأخذ وأودع منزلا اسمه كدزك هندوك (بيت الهندى) ، وكان مبنيا ليكون خزانة للسكنوز ويسكنه رجل اسمه مهرسپند . ويحكى أن إسكافيا كان يجلس في حانوت على الطريق فلما بصر بفرسان من الجند معهم فارس مقنع عرف أن المقنع كسرى فحذفه بقال ، فمطف إليه رجل ممن كان مع كسرى من الجند فاخترط سيفه فضرب عنق الإسكاف ثم لحق بأصحابه . والإسكافى هو ، كما نهنأ ، أقل العامة مكانة^(٤) . ويقول سيبوس الأرمي^(٥) إن كسرى قتل غداة هذه الحوادث . وأمر شيروه بأن تقطع أيدي إخوته وأرجلهم ، فإنه أراد الإبقاء عليهم أحياء ولكن اضطر بعد ذلك بقليل أن يسقيهم كأس المنون . يقول تيوفان Theophane إن شيروه قتل أخاه مردانشاه أولا ، ثم عقب بالآخرين ، وإن كسرى نفسه قد سجن في مستودع الخزان ليلى الموت جوعا ، فلما لم يمت بعد خمسة أيام ، رموه بالسهم فقتلوه .

(١) اسفاذ — كشنسب عند الطبرى .

(٢) Anonyme de Guldī ؟ اسمه عند الطبرى مهر — هرمزد .

(٣) هنا ص ٤٣٤ .

(٤) الطبرى ، ١٠٤٦ ؟ نولدكه ، ص ٣٦١ وما بعدها .

(٥) ترجمة نولدكه ، ص ٢٩ .

ويقول جويدي^(١) (Anonyme) إن كسرى قد قتل بيد شمطا و نيو — هرمزد بإذن من شيرويه ، وإن إخوة الملك قتلوا بيد العظماء الذين انضموا إلى شمطا . ولدى الكتاب العرب والفرس تفصيلات أكثر . وتنص روايتهم على أن شيرويه تردد في الإقدام على قتل أبيه ولكن العظماء خيروه بين أن يقتل كسرى فيكونوا حوله باخعين له بالطاعة وبين أن يخلعوه ويعطوا الطاعة لكسرى . وقد حاول الملك الجديد أن يجد الفرصة ؛ فوجه إلى أبيه نوعا من « عريضة الاتهام » تحوى النقط الآتية^(٢) : قتل الملك هرمزد ، قسوة كسرى على أبنائه ، إساءته إلى من أودع السجون ، سوء نظره في استخلاص النساء لنفسه مع ترك العطف عليهن بالمودة وحبسه إياهن قبله مكرهات ، ظلمه الرعية عامة في جباية الخراج وما انتهك منهم في غلظته وفظاظته عليهم ، وجمعه الأموال التي اجتباها الناس في عنف شديد ، تجميره من جمر في ثغور الروم وغيرهم من الجنود وتفرقه بينهم وبين أهلهم ، وغدره بموريق ملك الروم وكفره بإنعامه . وقد حمل عريضة الاتهام هذه إلى كسرى كشنسب اسپاد الذي حمل إلى شيرويه ردا مفصلا على ما جاء فيها . ورد كسرى ، ولو أن عليه مسحة الغرور ، لم يخل من مهارة ، وقد رد فيه التهم وعاب على ولده عدم البر به وجهله بالأشياء التي تحدث عنها . ويرى نولدكه Noeldeke^(٣) أن رواية هذا الإجراء (إن صح أن نسبمه كذلك) يصعب اعتبارها صحيحة على الصورة التي يذكرها الكتاب الشرقيون ؛ إنما هي عرض لأسباب الدفاع عن كسرى ، كتبه بعد موت كسرى وشيرويه ، الذي لم يعيش بعد أبيه طويلا ، بزمن قليل رجل كان واقفا على مجرى الحوادث . ولكنني قد أعتقد في صحة هذه الرواية . وعلى كل حال يبدو إلى بعيدا عن التصديق القول بأن كتابا معاصرين قد اخترعوها لو كانت هذه القضايا التي وجهت إلى الملوك الخلوعين بغير سوابق .

(١) باتكاينان ، JA ، ١٨٦٦ ، ص ٢١٠ .

(٢) الطبري ، ص ١٠٤٦ وما بعدها ، نولدكه ، ص ٣٦٣ وما بعدها مع بعض اختلافات في التفاصيل : الفردوسي ، الثعالب ، الدينوري ، النهاية وغيرها . وقد يحتمل أن تكون هذه الجزئيات مأخوذة عن التاج نامه الذي كتب تفصيلا عن كسرى الثاني وهو في السجن وصلاته بابنه شيرويه . انظر جريلي ، L'Opera di Ibn al-muqaffa (Riv. degli Studi Orientali) ،

(٨) ، ص ٢١٢ ، ٢١٥ — ٢١٦ ، مع الملاحظة الأولى من ص ٢١٦ .

(٣) Tabari ، ص ٣٦٣ ، ملاحظة ١ .

ويقول المؤرخون العرب إن كسرى قد قتل بيد مهر — هرمزد (نيو — هرمزد عند جويدى Anonyme) ، بإذن شيرويه الذى قتل أيضا بإيعاز من شمطا وغيره أخوته وكانوا سبعة عشر أخا .

ويقول بعض المؤرخين الشرقيين ، الذين ترقى روايتهم إلى مصدر پهلوى ، إن شيرويه قد أبدى ندمه على قتل أبيه ، وكذلك يقول جويدى (Anonyme) . وقد جرت هذه الحوادث سنة ٦٢٨ .

وهناك كلمة تلفت النظر ، جاءت في مصدرين مستقل كل منهما عن الآخر ، هما الطبرى^(١) وجويدى^(٢) Anonyme : وهى أن شيرويه أمر بحمل جثة أبيه إلى الناووس (دفنه في رواية جويدى) . وهذا معناه أن جثمان الملك السابق قد عرض في دشما خاصة بالأسرة المالكة أو أنه أودع ضريحا^(٣) . وقد اتهم بعد ذلك شمطا الطموح بأنه يأمل في تولية العرش فسجنه شيرويه بعد أن قطع بمناء^(٤) .

(١) ص ١٠٦٠ ؛ نولدكه ، ص ٣٨٢ .

(٢) ترجمة نولدكه ، ص ٣٠ .

(٣) قارن النص پهلوى اندرز خسرو كواذان ، جاماسپ اسانا ، PT ، (٢) ، ص ٥٥ ، ١ ، ٣ — ٥ ، حيث قال كسرى الأول وهو على سرير الموت : حينما تصعد روحى من الجسد ارفعوا هذا السرير واجعلوني إلى إصفهان ودعوني بها . والفعل پهلوى والفارسى نهادن الذى استخدمه الفردوسى في وصف جناز الحارثيين يمكن ترجمته بالإيداع أو الدفن ؛ قارن روزنبرج ، وبوجدانوف في J. Coma Or. Inst. ، رقم ٣ ، ص ٣٨ — ٣٩ . وفي الشاهنامه (طبعة مول Mohl ، (٦) ، ص ٥٤٠) تفصيل لأوامر كسرى الأول وهو يموت الخاصة بترتيب حجرة خاصة كضريح تكون مأواه الأخير . ومن الممكن أن يكون لمشكلة معاملة الجثث أيام الساسانيين أوجه جديدة .

(٤) Anonyme de Guidi ، نولدكه ، ص ٣٠ .

الفصل العاشر

سقوط الدولة

حكم قباد الثاني شيرويه ، وأردشير الثالث ، وشهربراز ، وكسرى الثالث ، وبوران ، وآزر ميدخت ، وهرمزد الخامس ، وكسرى الرابع ، وفيروز الثاني ، وفروخ زاد — خسرو . يزدگرد الثالث آخر ملوك الساسانيين . تفكك عرى الدولة . العامة . الفائد رستم . الفتح العربي . واقعة القادسية . درفش گاويان . الاستيلاء على المدائن . فتوح عربية أخرى . فرار يزدگرد الثالث وموته في مرو . أولاده . إيران تحت حكم العرب .

كان كسرى پرويز ، مع عيوبه ووراثته ، ملسكا قويا . فقد استطاع أثناء حكمه الطويل أن يكبح جماح العظماء . ولكن مظالمه وحروبه قد استنفدت قوى الدولة ، وكان في مآسى سنوات الحرب الأخيرة الضربة القاضية على الدولة . وقد جر موت كسرى إلى انطلاق الأهواء والمطامع ، وتصعد سلطان الأسرة المالكة في تعاقب عهود الحكم السريع .

وقد توفي قباد الثاني شيرويه بعد أن حكم حوالي الستة أشهر ، مسموما أو فريسة لطاعون مروع اجتاح الدولة وأهلك الكثير من سكانها^(١) .
وحينئذ ولوا على العرش ابن شيرويه ، أردشير الثالث . وكان طفلا فنصب عليه الخوانسار أو الرئيس الأعلى ماه آذر گشسپ رائدا . فكان الوصى الحقيقي له . وقد أبى فرخان شهر براز ، قائد كسرى پرويز المشهور ، أن يخضع لأوامر واحد من أكتفائه ، فاتفق مع هرقل ملك الروم ، وزحف بجيشه على المدائن حيث عاونه عظيمان من عظماء الدولة ، هما نيو — خسرو رئيس حرس الملك ونامدار گشسپ قائد نيمروز . ودخل شهر براز المدينة بجنده فقتل الملك الصغير الذي لم يكن قد حكم

(١) يقول تيوفان إن شيرين قد دس السم لشيرويه . ويقول ابن الباريق وابن قتيبة إنه مات بالطاعون . ويروي القردوسى والثعالبي قصة خرافية عن انتحار شيرين وسم شيرويه .

غير سنة ونصف سنة ، ثم جرى على مثال بهرام چوبين وبسطام فنصب نفسه ملكا بالرغم من أنه لم يكن من الأسرة المالكة . ثم أخرج شمطا من السجن وصلبه على باب كنيسة مجاورة لأملاك أسرة هذا المسيحي ، وذلك لأنه كان قد أهان بنت شهربراز^(١) . ولكن حزبا رؤساؤه معلم الأساورة ماهيار وعظيم آخر اسمه زادان — فرخ وپوس — فرخ وهو شاب من عظماء اصطخر ، قام معارضا لشهربراز وأعوانه . ودبرت مؤامرة ، وقتل الفاصب بيد پوس — فرخ وأخويه وكانوا جميعا في الحرس الملكي^(٢) .

وبويع كسرى الثالث ، ابن الأمير قباد أخى كسرى الثاني ، ملكا على القسم الشرقى من الدولة ، ولكن لم يلبث أن قتله حاكم خراسان^(٣) . وفي المدائن وضعوا التاج على رأس السيدة بوران بنت كسرى پرويز . فكافأت پوس — فرخ على ما أدى من خدمات للأسرة المالكة فجعلته وزيرا وتوفيت بعد أن عقدت صلحا نهائيا مع بيزنطة ، وقد حكمت حوالى سنة وأربعة أشهر^(٤) . وكان الفرس قد ردوا ، قبيل محادثات الصلح الأخيرة ، الصليب المقدس الذى كانوا قد أخذوه من بيت المقدس^(٥) . وقد كان الاحتفال بهذا الحادث سنة ٦٢٩ في بيت المقدس^(٦) .

ولعل من الواجب أن نذكر هنا حكم ملك اسمه فيروز (الثاني) وكان قصيرا جدا . ثم نصبت آزر ميدخت أخت بوران ملكة في المدائن . ولم يلبث حكمها غير بضعة شهور . ويقول الطبرى^(٧) ، إن قائدا اسمه فرخ — هرمزد^(٨) ، حاول

(١) Anonyme ds Guidi ، نولدكه ، ص ٣١ .

(٢) وهكذا الطبرى (ص ١٠٦٣ ؛ نولدكه ، ص ٣٨٩) ويظهر أن روايته أصح . وقد ذكر اسم قاتل شهربراز مختلفا في المصادر .

(٣) انظر نولدكه ، Tabari ، ص ٣٩٠ ، ملحوظة ١ .

(٤) Anonyme de Guidi (ترجمة نولدكه ، ص ٣٣) حيث يقول إنها شنقت .

(٥) انظر هنا ص ٤٣٠ .

(٦) نولدكه ، Tabari ، ص ٣٩٢ ، ملحوظة ١ .

(٧) ص ١٠٦٥ ؛ نولدكه ، ص ٣٩٤ .

(٨) يقول سيبيوس لأنه كان قائد آذربيجان (ماركارث ، Éranšahr ، ص ١١٢) « ويقول الطبرى لأنه كان قائد خراسان .

الاستيلاء على العرش وخطب الملكة ، فلم تجرؤ على رفضه صراحة ، وتحايلت حق قتلته . وحينئذ تقدم رستم^(١) ، ابن فرخ — هرمزد ، بجيشه واستولى على العاصمة وعزل ملكتها وسمل عينها . ولا نعرف كيف ماتت .

وحوالى هذا الوقت نفسه ، بين سنق ٦٣٠ — ٦٣٢ حكم هرمزد الخامس وكسرى الرابع ولا نعرف عنهما غير الاسم . ولعله لم يكن معترفا بهما إلا فى بعض أجزاء من الدولة . وأصبح فرخزاد — خسرو^(٢) ، أحد أحفاد كسرى پرويز ، ملكا على المدائن .

وفى مدة أربع سنوات تقريباً ولى عرش إيران عشرة ملوك على الأقل . وأخيراً عثر على أمير من نسل كسرى پرويز ، اسمه يزدگرد وهو ابن الأمير شهریار . وكان يعيش مختفياً فى اصطخر ، البلد الذى نشأ فيه الساسانيون . وقد بايعه عظماء اصطخر ملكا وتوجوه فى بيت نار هذا البلدسمى بيت نار أردشير^(٣) . وسار أعوانه إلى المدائن ، فاستولوا عليها بمساعدة رستم ، القائد الذى مر ذكره ، وقتلوا فرخزاد — خسرو . وهكذا اتحدت المملكة ، للمرة الأخيرة ، تحت حكم يزدگرد الثالث . وكان أقوى الرجال حينذاك رستم وأخاه فرخزاد^(٤) الذى كان يلى منصب دريگبد أو رئيس ديوان الملك^(٥) ، وزادويه رئيس الخوكل الذى كان حامياً لفرخزاد — خسرو من قبل^(٦) .

هذا هو حال إيران حين أغارت جيوش البدو السذج ، عبر الصحراء العربية ، يذكها التعصب الدين وروح الغزو ، وقد نظمها الخليفة عمر الحاكم الفد ، لى

(١) اسمه هو اسم بطل سيستان القديم الذى يذكر فى القصص . ونجد فى المصادر السريانية صيغة رستم التى نعرفها من الروايات العربية والفارسية (Anonyme de Guidi ، ترجمة تولدكه ، س ٣٣ ، الملاحظة ٤) .

(٢) أو خوريزاد — خسرو ؟ فرخو أو فرخ صفة من فر وى صيغة جارية من خور بمعنى المحمد أو العظمة .

(٣) الطبرى ، ١٠٦٧ ؟ تولدكه ، س ٣٩٧ ؟ فارن هنا س ٧٧ .

(٤) أو خوريزاد .

(٥) ماركاريت ، Eranšahr ، ص ١١٢ .

(٦) الطبرى ، س ١٠٦٦ ؟ تولدكه ، س ٣٩٦ وما بعدها .

تغزو إيران في روح لا يقاوم . أما أن هذه الجيوش من عرب الصحراء قد نجحت في جندلة دولة كبيرة ذات نظام حربى ، في بضع سنوات ، كالدولة الساسانية ، فهذا يفسره التفكك الذى ظهر في الدولة في السنوات المضطربة التى تلت موت كسرى پرويز . وكان ذلك النتيجة المحتومة للسياسة الحربية التى بدأها كسرى أنوشروان . فإن التطور مال شيئاً فشيئاً نحو التسلط الحربى ، فاعتبر كل قائد أو حاكم الولاية التى يليها كأنها إقطاع وراثى على النمط القديم ، وخاصة عند ما هوت الأسرة المالكة إلى تدهورها النهائى . وقد كثرت محاولات اغتصاب العرش من قواد لم يكونوا من الأسرة المالكة . وقد دبر القائد فرخ — هرمزد خطة لرقى العرش بأن يتزوج من الملكة آزر ميدخت . وإن كان هذا المطمع قد أدى به إلى الموت ، حقيقة ، فإن ابنه رستم قد ثار له . ويسمى الكتاب الأرمن هذين القائدين ، الأب والابن ، أميرى (إيشخن^(١)) آزر ييجان .



٥٢ . من نقود يزدگرد الثالث
(متحف كوينهاجن)

إن تسلط القواد والحكام هو آخر مرحلة في التطور السياسى أيام الساسانيين ؛ ولكن نظام الإقطاع الجديد هذا لم يكن لديه فسحة من الوقت ليتجدد قبل الغزو العربى . وفي الوقت نفسه كان مرازبة مرو ومرو الرود وسرخس وكوهستان شبه مستقلين^(٢) .

(١) انظر عن هذا اللقب بنقشت في *Revue des études arméniennes* ،

ج (٩) ، ص ٨ .

(٢) فان قولن ، *Recherches sur la domination Arabe* ، ص ١٩ .

(٣١ — الساسانية)

ومنذ زمن فيروز الأول كانت جميع الأقاليم شرق مرو الرود خارجة عن سلطان الدولة الإيرانية . ولم تدن هراة نفسها تابعة للساسانيين . وكان رؤساء الولايات القزوينية خاضعين ، أيام الفتح الإسلامي ، إلى أمير الديلمة موتا أو مورتا^(١) . أما الولايات شمال الحدود الإيرانية أو شرقها فكان يحكمها ملوك أو أمراء اشتهر كثير منهم بألقاب خاصة . وهامى ذى أشهر الإمارات مع ألقاب أمراءها^(٢) : نسا (وراز) ، أبيورد (بهمن) ، خوارزم (خسرو — خوارزم) ، بخارا (بخارا — خوزو) ، وردانه (وردان شاه) ، سمرقند (طرخان) ، اسروشنه (أفشين) ، سغد (إخشيد) ، فرغانه (إخشيد) ، مِختل (ختلاف — شاه أو شير — ختلان) ، ترمذ (ترمذ — شاه) ، جوزجان (جوزجان — خدای) ، روب (روب — خان) ، طالقان (شهرک) ، هراة (ورازان) ، غرچستان (وراز — بندگ) ، سيستان (رتیل) ، کابل (کابل — شاه)^(٣) .

وفي طخارستان ، شرق بلخ ، كان يحكم ييغو^(٤) ، وكان يتبعه أمير لقبه شاذ^(٥) . وكان ال — نيزك طرخان الذى يقيم فى بادغيس يعترف بالشاذ سيدا له^(٦) .

- (١) مينورسكى ، La domination des Dailamites ، ص ٤ .
- (٢) المصدر الرئيسى : ابن خرداذبه ، BOA ، (٦) ، ص ٣٩ — ٤٠ ، الترجمة ص ٢٩ . فان قولن ، (I) ، c .
- (٣) كثير من هذه الألقاب مركب مع الكلمة الپهلوية شاه . لإخشيد صيغة صفدية للكلمة الإيرانية التى تظهر فى الأوستا بصيغة خشيتا والى ينسب لىها معنى المضى . ويظهر أن اندرياس Andreas أراد أن يجعل هذه الكلمة مشتقة من الأصل خشاى وترجمها بالمتسلط أو الملك (خَوَرَخْشِيد ، « Sonneherr » ، اندرياس — هنج ، Mitteliranische Manichaica ، ص ١٥ ملاحظة ٦) . وألقاب أخرى مركبة مع كلمة خوداى الپهلوى أو خوزو الصفدية ، (السيد) . شهرک وشير مشتقان من الأصل خفى (فان الأوستا خشترا — « مملكة » ، « دولة » ، خشتريا — « ملك » ، « أمير ») . وراز (ومنها ورازان و وراز — بندگ) تعنى الخنزير البرى ؛ فان لقب شهروراز (شهربراز) . وبعض الألقاب من أصل تركى كالألقاب المركبة مع كلمة خان
- (٤) لقب قديم للملك كوشان .
- (٥) مشتق من خشايشا ، « ملك » ؛ أو أن شاذ صيغة للتخطاب من لإخشيد .

كان رسمه ، الذى أصبح الحاكم الفعلى فى إيران ، رجلاً ذا قوة خارقة ، حسن الإدارة فذ القيادة . وقد أدرك الخطر الذى يهدد بلاده من العرب فى أبعد مداه ، فلما ولى القيادة العامة للجيش ، بذل مجهوداً جباراً ليزود الحصم الجديد . وتجمعت قوات عديدة حول العاصمة . ولكن الخليفة عمر رده . وفى سنة ٦٣٦ (١٥ هـ) التقى الجيش الفارسى بجيش العرب الذى يقوده سعد بن أبى وقاص ، فى القادسية ، غير بعيد من الحيرة . واستمر القتال ثلاثة أيام واسهى بهزيمة الفرس . وقتل رسمه ، وكان يقود الجيش بنفسه وهو جالس فى عجيحه الذى يرفرف أمامه الـ — درفش گاوین ، علم الدولة . كما أن هذا العلم وهو شعار الجيش الفارسى وقع فى يد العرب . ويربط الفرس أصل هذا العلم بتاريخهم القصصى . ذلك أنه عند ما بليت الدنيا بألف سنة من حكم الطاغية الغاصب ، الضحاك ، بدأ حداد اسمه كاوك (١) الثورة عليه بأن رفع الجلد الذى يأتزر به على رمح ودعا الناس لعزله ، وانتهت الثورة بسقوط الجبار وباعتلاء أفریدون العرش ، وهو شاب من أمراء البيت المالك القديم . ومن ذلك الوقت أصبح العلم الذى أخذ من فوطه كاهه علماً للملوك ایران ، وصمى وفقاً لاسم الحداد درفش گاوین أى علم كاوك (٢) . وقد وصف هذا العلم كثير من الكتاب العرب والفرس ، وصفوه كما رآه الفاتحون فى موقعة القادسية . يقول الطبرى (٣) إنه راية كسرى وكانت من جلود النمر عرض ثمانية أذرع فى طول إثني عشر ذراعاً . ويقول البلعمى (٤) إن الفرس وقد ظفروا فى جميع المارك التى

(١) كاهه بالفارسية .

(٢) فى بحث لى باللغة الدانمركية تناولت تفاصيل هذه القصة التى لم تعرفها الأوستا والكتب الدينية التى ترجع إلى العصر الساسانى ، وأنها قد ألقت (مع ذكريات من قصص أخرى غاية فى القدم) لتفسير كلمة « درفش گاوین » ومعناه الحقيقى هو « العلم الملكى » (گاوین مأخوذة عن الكلمة الأوستية گاو بمعنى أمير أو ملك ، فارن ص ١٨٨ ملحوظة ١) . وأنا لا أستطيع أن أقبل الرأى الذى ذكره لى وجسى Levy, Justi ، الذى قال به حديثاً سار (Klio ، (٣) ص ٣٤٨ وما بعدها) ، وهو أن العلم المائل على النيفساء الممهور الخاص « بواقعة الإسكندر » وعلى بعض النقود القديمة فى فارس هو درفش گاوین .

(٣) ص ٢١٥٧ .

(٤) زوتنبرج ، (٣) ، ص ٣٩٥ .

رفرف عليها هذا العلم أضافوا إلى زينتته بعض الجواهر عقب كل انتصار . والواقع إنه كان موشى بقطع الذهب والفضة والجواهر والآلى^(١) . ويصفه المسعودى^(٢) كما وصفه الطبرى مضيفاً إلى هذا أنه على خشب طوال موصلة . وفى نص آخر يقول^(٣) إن هذه الراية العظمى من جلود النمر وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجواهر . ويقول الخوارزمى^(٤) إنه كان من جلد دب ويقال من جلد أسد وكان يقيم به ملوك الفرس فغشوه بالذهب ورصعوه بالجواهر الثمينة . ويقول الثعالبي^(٥) : « إنهم كانوا يتركون بها ويتنازعون الزيادة فيها والمغالاة بجواهرها ويتنافسون فى محاسنها حتى صارت على امتداد الأيام يقيمة الدهر وكريمة العمر وبكر الفلك ونكتة الحقب فكانوا يقدمونها بين أيديهم فى الحروب ولا يؤثرون بها إلا السالار المقدم والرئيس المعظم من قوادهم وأصحاب جيوشهم ثم إذا قضوا منها أوطارهم ردوها إلى خازنها المحتاط عليها » . ويقول مطهر بن طاهر المقدسى^(٦) إنه كان أولاً من جلد الماعز أو الأسد لجعله الفرس من الذهب والديباج . ويقارن هذا بما يقول الفردوسى^(٧) : إن درفش كاويان والتاج كانا من شعائر الملك^(٨) ؛ وكان ، يوضع حين الحرب بجانب تخت الملك^(٩) ؛ وكان هذا يعين خمسة موازنة ليحملوه أمام الجيش وهو يسير للقتال^(١٠) ، ويقول الشاعر إنه كان أثناء المعركة يعطى لأكفأ أبطال الملك^(١١) .

(١) المصدر نفسه ، (١) ، ص ١١٩ .

(٢) مروج ، (٤) ، ص ٢٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

(٤) مفاتيح العلوم ، نشر فان فولن ، ص ١١٥ .

(٥) ص ٣٨ وما بعدها .

(٦) نشر هيار ، ص ١٣٢ ، الترجمة ، ص ١٤٨ .

(٧) فولز ، (١) ، ص ٤٨ ، بيت ٢٣٦ وما بعده .

(٨) المصدر نفسه ، (٢) ، ص ٧٦٢ ، بيت ١٤١٥ ؛ وطبعة مول ، (٧) ، ص ٣٨٨ ،

بيت ٣٩٥ .

(٩) فولز ، (١) ، ص ٤٧٩ ، بيت ٧٥٠ .

(١٠) المصدر نفسه ، (٢) ، ص ٥٥٨ ، بيت ٦٥٥ .

(١١) المصدر نفسه ، (٢) ، ص ٧٦٢ ، بيت ١٤١٥ وما بعده ، (٢) ، ص ٢٥٣ ،

بيت ١٤٢٤ وما بعده .

ويقول ابن خلدون^(١) إن هذه الراية قد طرز عليها طلسم أعد على حساب النجوم .
يقول المسعودي^(٢) إن هذه الراية وقعت يوم القادسية في يد رجل اسمه ضرار
ابن الخطاب فعوض منها بثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألفي ألف ومائتي ألف (ألفي
ألفي دينار في كتاب التنبيه لنفس المؤلف^(٣)) . وكذلك يعرفنا الثعالبي^(٤) بأن
« هذه الراية وقعت بيد رجل من النخع فضعها سعد بن أبي وقاص إلى جملة
ما أفاء الله على المسلمين من ودائع يزدگرد ونفائس جواهره وحملها مع التيجان
والمناطق والأطواق المرصعة وغيرها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فأمر بحملها وفتحها وقسمها بين المسلمين » وقد استولى المسلمون بعد هذا النصر
المبين على الحيرة . ثم تقدموا نحو المدائن وفي سنة ٦٣٧ (١٦ هـ) دخلوا وبه —
أردشير (سلوكة) بعد أن حاصروها شهرين . وانسحب السكان الجياع إلى المدائن
بالمعنى الأخص ، على الشاطئ الأيسر لدجلة . وهرب يزدگرد مع حاشيته « ومعه
ألف طبابخ وألف مطرب وألف فهّاد وألف بازيار فضلاء من سوامم ، وعنده أنه في
خفته^(٥) وذهب إلى حلوان بادي ذي بدء ، فتبعه العرب ، فسار بعيدا في ميديا .
وترك كثير من أهل المدائن أموالهم لينجوا بحياتهم .

كان ذلك وقت الربيع وقد فاض النهر (دجلة) . وقد قطع الفرس المعابر وضموا
السفن عن الشاطئ الغربي . ولكن العرب نجحوا في نصب معبر فعب جيشهم على
الحيل بغير حادث . وقتل حرس الفرس وهرب بقية حرس الملك ، ودخل سعد بن
أبي وقاص مظفرا في العاصمة المهجورة وعسكر بجيشه أمام طاق كسرى ودخل القصر
الأبيض ومنازل كسرى فوجد فيها النفائس التي لم يستطع يزدگرد حملها معه في

(١) ثغر كاترمير ، Not. et Extr. ، ج ١٨ ، ص ١٣٥ ، الترجمة (سليمان) ، ج ٢١ ،

ص ١٨٥ .

(٢) صهوج ، (٤) ، ص ٢٢٤ .

(٣) BGA ، (٨) ، ص ٨٦ ، ترجمة كارادي فو ، ص ١٢٥ .

(٤) ص ٣٩ .

(٥) الثعالبي ، ص ٧٤٢ ؛ وقارن حمزة ، ص ٦٣ ، الترجمة ، ص ٤٧ .

هربه ، فكان بها قباب تركية مملوءة سلالا مختمة بالرصاص فيها آنية من الذهب والفضة . وكان في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفضول والألطف والأدهان ما لا يُدرى ما قيمته . وسرح سعد فرقة لتتبع آثار القوم إلى النهروان ، وانتهت هذه الفرقة إلى جسر النهروان وكان الفرس عليه ، فتناوشوا واستولى العرب على دواب عليها حلية كسرى ، ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي كان فيها الجواهر ؛ وكان على جنية عيبتان وغلافان في أحدهما خمسة أسياف وفي الآخر ستة أسياف وإذا في العيبتين أدرع فإذا في الأدرع درع كسرى ومغفره وساقاه وساعداه ودرع هرقل ودرع خاقان الترك ودرع داهر الهندي^(١) ودرع بهرام چوبين ودرع سياوش ودرع النعمان . وقد أرسلت سيوف كسرى والنعمان وتاج كسرى إلى الخليفة عمر ، فعلق التاج على الكعبة في مكة^(٢) وكان القطف^(٣) ضمن ما وقع في يد العرب من الغنائم ، فأرسل إلى عمر فقطعه فقسمه بين الصحابة ، فأصاب عليا قطعة منه فباعها بعشرين ألفا . وقسم سعد الفء بين الناس بعد ما ختمه فأصاب الفارس إثني عشر ألفاً وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل^(٤) .

وحاول الملك محاولة أخيرة ، فجمع جيشاً من جميع أجزاء المملكة ، وضع على رأسه قائداً مسناً اسمه پروزان فاشتبك مع العرب سنة ٦٤٢ (٢٢ هـ) في موقعة نهاوند . وكانت معركة حامية الوطيس ، انتهت بهزيمة الفرس ووقع پروزان في يد العرب فقتلوه . ولم يبق بعد ذلك جيش للملك . وترك الدفاع عن الأقاليم للرازمة أو إلى ولاية محليين ، وقد أبلى بعض هؤلاء ، مثل هرمزدان^(٥) في الأهواز وكان من

(١) لعل كسرى الثاني قد ظفر بهذه الغنيمة في إحدى غزواته المظفرة في الهند (انظر ماركارت ، Eranšahr ، ص ٣١) ، ويشك ماركارت في صحة اسم داهر .

(٢) يقول مؤلف النهاية « حيث يوجد اليوم » (برون ، ص ٢٥٧) ، انظر ص ٥٧ عن تاريخ تأليف الكتاب .

(٣) هنا ص ٤٥٦ .

(٤) الطبرى ، ص ٢٤٢٦ — ٢٤٥٢ ؛ البلعمى ، (٣) ، ص ١١٤ وما بعدها ؛ فارن شترك Streck ، Selucia und Ktesiphon ، ص ٣٨ — ٤١ .

(٥) هرمزان عند الكتاب العرب والفرس ، وصيغة هرمزدان موجودة في كتاب جويدى . البلعمى ((٣) ، ص ٤٤٧) يسميه « ملك الأهواز » .

القواد الذين شاهدوا القادسية ، بلاء حسناً في مقاومة العرب ، ولكن بغير جدوى .
وفتحت همدان والري ثم آذربيجان وأرمينية . وتراجع زدگرد إلى إصفهان حيث
أقام ومن حوله عدد كبير من الواسپوران ، إذ يظهر أن هذه المدينة كانت ، قبل
انتهاء الدولة الساسانية ، مركزاً لإقامة هذه الطبقة ، وكان ديوان القائم على ضرائب
الواسپوران (واسپوران آماركر) في إصفهان . ثم إن زدگرد بعث ثلاثمائة رجل
منهم سبعون من العطاء والواسپوران إلى اصطخر حيث طلب مأوى بعد أن دخل
العرب إصفهان . وبعد هذا أرسل الواسپوران إلى سوس حيث استسلموا للقائد
العربي « أبو موسى » واعتنقوا الإسلام^(١) . ودخل المسلمون اصطخر ، وفتحوا
إقليم فارس كله ، وهو الإقليم الذي نشأت به أسرة الساسانيين .

وهرب زدگرد ، ولم يبق له من الملك غير اللقب ، ثانياً ، وقد عرض عليه
قائد طبرستان أن يقيم في بلاده ، ولو قبل زدگرد لاستطاع أن يحافظ على سلطانه
في هذا الإقليم ، الذي تحميه الجبال والذي استطاع القواد الدود عنه ، أكثر من
قرن ضد المسلمين الفاتحين . ولكنه آثر أن يلجأ إلى سيستان ومنها لجأ إلى خراسان .
وعبثاً حاول استنهاض الولاة المحليين ، وقد شعروا في ذلك الوقت بتهم الاستقلال ،
لحل السلاح . وكان قد طلب في سنة ٦٣٨ (١٧ هـ) عون إمبراطور الصين . وقد
سار من نيسابور إلى طوس فلم يرد الحاكم ، السكتارنك ، أن يأويه ، فقدم إليه
هدايا نفيسة فأخبره بضيق الحصن عمن وما معه^(٢) . وهكذا ردوه برفق
في كل مكان فأنجبه إلى مرو آخر الأمر لعله يجد بها مأوى . وتقول الروايات^(٣)
إنه كان معه حين دخل مرو أربعة آلاف فارس لا يصلحون للقتال من الكتاب
والطباخين والفراشين وسيدات الحرم وغيرهم من النساء والشيخ والأطفال
من الأسرة الملكية ، ولكن لم يكن معه محارب واحد ، كما أنه لم يبق معه من

(١) البلاذري ، ص ٣٧٣ ؛ الطبري ، ص ٢٥٦١ ؛ انظر ماركارث ، Eranšahr ،

ص ٢٩ .

(٢) الثعالي ، ص ٧٤٣ .

(٣) البلعي ، (٣) ، ص ٥٠٤ .

الموارد ما يمكنه من أن يعول مثل هذه الأسرة العديدة ، وذلك ، لما وقع فيه نظام جباية الضرائب من الاضطراب التام .

ثم إن مرزبان مرو ، ماهويه ، الذى لم يكن يتحنى غير التخلص من ضيفه النكيد تحالف مع نيزك طرخان التابع ليينغو حاكم طخارستان^(١) (أو لأحد تابعيه) فأرسل النيزك جماعة لأسر يزدگرد . فسارع الملك ذو الحظ العاثر إلى الفرار وترك المدينة ، وحده ، فى ظلام الليل . وقد اتشح بثوب مطرز بالذهب . وبعد أن سار حيناً على غير هدى أحس بالتعب فدخل طاحونا وسأل الطحان أن يأويه سواد الليل . ولم يعرف الطحان ضيفه ، ولكن ماعليه من فاخر الثياب^(٢) قد أثار طمعه فقتله وهو يغط فى النوم ؟ وتقول رواية أخرى إن فرسان ماهويه الذين كانوا يتعقبونه قد أدركوه فى الطاحون فقتلوه^(٣) . ويروى الثعالبى^(٤) « إنهم طرحوه فى نهر مرو جفري به الماء حتى انتهى إلى فوهة الرزيق فتعلق بعود هناك ورآه أسقف النصارى فعرفه وأخذه فى طيلسان له بمسك وجهزه ، وصار قتله عبرة وتاريخاً وانقضى ملك العجم وذلك بعد عشرين سنة مضت من ملكه فى سنة إحدى وثلاثين من الهجرة » . والمعروف عن مآل أسرة يزدگرد قليل ، وقد ذكر السعوى^(٥) أن أبناء يزدگرد اثنان ، بهرام وفيروز ، وثلاث بنات : أدرك^(٦) ، وشهربانو^(٧) ، ومرداوند^(٨) . وقد توفى فيروز فى الصين سنة ٦٧٢ (٥٥٣ هـ) بعد أن حاول عبثاً استرجاع إيران

(١) انظر هنا ص ٤٨٢ .

(٢) يقول السعوى إن فى الكتاب الذى رآه فى اصطخر والذى مسور فيه ملوك آل ساسان : « وآخرهم يزدگرد بن شهربار بن كسرى ابرويز شماره أخضر موشى وسراويله موشى لون السباء وتاجه أخضر قائم بيده رمح معتمد على سيفه (التلييد والإشراف : BGA ، (٨) ، ص ١٠٦ وما بعدها ، ترجمة كارادى نو ، ص ١٥١ ؛ ولارن حمزة ، ص ٦٢ ، الترجمة ، ص ٤٦) .

(٣) وقد ذكر كل من البلاذرى ، ص ٣١٥ وما بعدها ، والطبرى ، ص ٢٨٧٩ وما بعدها روايات كثيرة مختلفة .

(٤) ص ٧٤٧ — ٧٤٨ .

(٥) صروج ، (٢) ، ص ٢٤١ .

(٦) الاسم فاض فى المخطوطات .

بعون من جند الصين مع الاعتراف بسيادة ملكها^(١). وأما الأميرة شهربانو فتقول رواية شيعية لعلها غير صحيحة إنها تزوجت الحسين بن علي . وهكذا حفظت أحقية الأئمة : فإن أبناء الحسين الذين هم أبناء محمد في الوقت نفسه ، وكانت بنته فاطمة زوجا لعل ، قد ورثوا الـ — خَوَرَنَ — ، أى المجد الإلهي الذي كان لملوك إيران . يقول المسعودي « إن الأكثر من أبناء الملوك وأعقاب الطبقات الأربع^(٢) بسواد العراق إلى الآن يتدارسون أنسابهم ويحفظون أحسابهم كحفظ العرب من قحطان وزار^(٣) » . وفي سنة ٧٢٨ / ٧٢٩ (١١٠ هـ) تحالف أمير اسمه كسرى من أبناء يزدگرد الثالث مع الترك لكي يسترد دولة آباءه ، ولكنه لم يوفق^(٤) .

وقد درج الفرس في تقويمهم على بدئه بتاريخ جلوس كل ملك . وإذا لم يل عرش إيران أحد بعد يزدگرد الثالث ، فإن الزردشتيين قد استمروا حتى اليوم في احتساب السنين تبعاً لسنة ارتقائه العرش ، وهو ما يسمى بالتقويم اليزدگردى .

(١) ماركارث ، Eranshr ، ص ٨٦ و ١٣٣ وما بعدها .

(٢) الطبقات الأربع الكبيرة للجمعية الإيرانية .

(٣) مروج ، (٢) ، ص ٢٤١ .

(٤) ماركارث ، Eranshr ، ص ٦٩ ؛ وقارن شوان ، Documents sur les Tou-

kiue (Turcs) Occidentaux (١٩٠٣) ، ص ٢٥٨ وما بعدها .

خاتمة

إن العالم الإيراني الذي عرفه ووصفه الكتاب الغربيون ، مثل آمين مارسلن ، من ناحيته الحسنة والسيئة ، يتمثل في أعيننا جماعة من الأشراف غاية في السمو : فإن الطبقات الرفيعة وحدها هي التي أكسبت إيران طابعها الخاص .

وكثيراً ما أتيسح لنا أن نذكر نبذاً من وصف آمين^(١) ، هذا الوصف المتعامل الذي هو على علاته ، قد يكون جديراً بالثقة . والواقع أن هذا الكاتب لم يصف غير طبقة الأشراف ، يقول : وكل الإيرانيين تقريباً ، في مظهرهم الخارجي ، ممشوقو القوام ، سمير البشرة أو لونهم أدكن ، نظراتهم حادة وحواجبهم مقوسة كنصف دائرة ومقرونة ، لحام جميلة ، وشعورهم طويلة شعناء . وهم شكاكون حذرون إلى أقصى حد ، وقد يجتازون أحياناً ، وهم في بلاد العدو ، البساتين وحدائق الكروم فلا يمسون منها ثمرة خوف السم أو السحر . وهم يحرسون على ألا يقعوا في عيب ؛ فقل أن ترى فارسياً يبول واقفاً أو يبتعد ليتغوط . وهم يتركون ثيابهم الخارجية مفتوحة من الأمام والجانبين بحيث أنها تخفق مع الهواء ، ولكنك لا ترى جزءاً من أجسامهم عارياً . وهم يلبسون الأساور والعقود الذهبية ، ويستعملون الأحجار الكريمة وخاصة اللؤلؤ ، وتراهم دائماً قد تمنطقوا بالسيوف حق في الولائم والأعياد . وهم يكثر من لغو الكلام ويتحدثون سقطاً ؛ وهم صلفون ، قساة ، عتاة ، متوعدون مقبلين كانوا أو مدبرين ، ماكرون ، متكبرون ، بغاة ، يمشون الهويى بخطى متبخرة ، لعلها توصف بالتخنث ، مع أنهم أمهر محاربين في العالم ؛ والحق إن مهارتهم ترجع للفن لا للشجاعة ، وهم دهاة في الحرب وخاصة إذا كانوا بعيدين من خصمهم ؛ ولكنهم في الجملة شجعان وقادرون على تحمل آلام الحرب كلها . وهم يدعون لأنفسهم حق الموت والحياة على عبيدهم وطعام الناس . ولم يكن يجرؤ خادم ممن يخدمونهم أو يقفون على موأندهم على أن يفتح فاه لينطق بكلمة أو ليصق . ثم يشير آمين Anmien إلى ميلهم للعشق فيذكر أنه قل بينهم من يقنع بسراريه

الكثيرات . ويقول من ناحية أخرى إنهم لا يعرفون اللواط^(١) ، ويمتدح زهدهم في لذائذ الموائد . ولم يكن عندهم ، عدا الملك ، أوقات محددة للأكل ، فكل منهم يأكل ما يجد إذا جاع ، وهم لا يكثر من الطعام بل يكتفون بما يسد رمقهم . وقد يكون في تعميم هذا القول إسراف ، ولكنه ، إذا قورن بما كان عليه الرومان من النهم أيام القياصرة ، فقد نجد من الأسباب ما يحملنا على وصف الفرس بالقناعة في الطعام والشراب . ومع ذلك فلا يجوز أن تقبل رواية آمين حين يقول إن الفرس يفرون من شهي المآذب والإفراط في الشراب خاصة فرارهم من الطاعون ، ذلك أنه من غير شك قد استمع إلى الرواة الفرس الذين أخذ عنهم وكانوا يهزءون به . يشهد بذلك عبارات كثيرة مما ذكرنا عن الكتاب الشرقيين والغربيين ، وانذكر منها رواية جاء فيها أن أحد المرازبة أراد أن يشجع النصراني على الارتداد بعرض اللذائذ « فزاد في ترف الولائم التي يقيمها كل يوم ، وأطال ساعات اللهو ، وذلك بأن يقضى الليالي الطوال في قرع الكؤوس والرقص الفاجر ، وقد حاول أن يجلب إلى بعضهم (النصراني) الموسيقى والغناء مما يطرب له الكفار (الفرس) »^(٢) . ولم يرق الإيرانيون في نظر السائح البوذي هيون تسيانج : « فإن طبعهم حاد ، وهم منفرون بطبعهم ، ولا يرعون في سلوكهم الأدب والإنصاف »^(٣) .

وبالجملة فإن أشراف الفرس يقضون حياتهم في نشاط ، قسمة عادلة بين ممارسة السلاح للحرب أو الصيد وبين اللذات المائعة . ولم يفرض عليهم الدين الزردشتي ، عدو الزهد أيا كانت ، أي قيد . ولكن حياة الجد في وضع النهار قد خففت إلى حد ما من أثر اللذات التي تضعفهم . وكان فيهم عيوب كثيرة ولكنهم يتحلون بصفة لا نجدها غالبا في الشعوب القديمة هي : التأدب وروح الفروسية . وهذه الصفة ملحوظة في إيران منذ بدء العصور التاريخية . ويعتبر كورش نموذجا للملك سامي الخصال ، وكمن مرة أفاد اليونان المطرودون والأسماء المقهورون من تأدب الفرس ا

(١) هنا يصحح ما جاء في س ١٠٨ (سسطر ٨ — ٩) من : L'Empire des

. Sassanides

(٢) إليه ، لا نجلوا ، (٢) ، س ٢٠٣ .

(٣) بيل : Budhist Records ، (٢) ، س ٢٧٨ .

وإذا نحن تفصينا تاريخ الساسانيين نجد الكثير من آثار هذه الصفة . وقد رأى بهرام الخامس رسول الرومان وقد أتى راجلاً ذليلاً ، فلما علم أنه قائد جيشهم أناتول Anatole ، عاد مسرعاً إلى أرضه (حدود إيران) ومعه الجيش الإيراني ، فنزل عن حصانه ورحب بأناتول ووافق على شروط السلم التي يحملها كما اقترحها الرومان^(١) . وقد تمس كسرى أنوشروان لفلاسفة الأفلاطونية الحديثة الذين غادروا بلاطه مستائين ، وقد ظفر لهم — في معاهدة السلام مع الإمبراطور — بحق العودة أحراراً إلى وطنهم الذي نفوا عنه^(٢) . ويصف بروكوب Procope سياوش^(٣) فيقول إنه كان أعموداً للشريف الإيراني ، كان متكبراً ، مغروراً ، جباراً ، ولكنه كان على جانب كبير من الإنصاف والعدل . وقد جاء في قصة بهرام چوبين^(٤) رواية تصور هذا الرجل الفذ كما ارتسم في مخيلة معاصريه : « فإنه بعد ارتقائه المؤقت للعرش دخل في قرية نائية على عجوز ومعه نفر من أصحابه فقدمت إليهم أرغفة من خبز الشعير في غربال خلق فسدوا بها جوعتهم وكانت أطيب عندهم من الخبز السمين والجدى الحنيد واللوزينج اللذيذ ، فقالوا لها إن قدرت على أن تتحفينا بشيء من النبيذ فأعني القرى جرة من قرعة أو قطيرة من ذكيرة أو صباية في قرابة . فذهبت ثم جاءت بجرة من الراح فلم يجدوا ما يشربون فيه فنظر بعضهم إلى قرعة معلقة فأخذها وقطعها ، وجعلوا يشربون فيها ويضحكون تعجباً من تنقل الأحوال وتصرف الأدوار . فلما طابت نفس بهرام قليلاً قال للمجوز : ياأم ما عندك من الخبر ؟ قالت بلغت أن شاهنشاه أبرويز رجع من الروم بجيش لجب وحارب بهم بهرام چوبين حتى حطمه وهزمه واستقر هو في دار ملكه في الدائن . قال فما تقولين ياأم في بهرام أعطتاً كان أم مصيباً في محاربه أبرويز ؟ قالت إنه والله عين المخطيء لأنه خرج على مولاه وابن مولاه وسل السيف في وجهه . فقال بهرام لاجرم إنه الآن يأكل خبز الشعير على الغربال الخلق

(١) بروكوب ، BP ، (١) ، ٢ .

(٢) هنا من ٤١٢ — ٤١٣ .

(٣) هنا من ٣٣٤ .

(٤) الثمالي ، ص ٦٧٢ ؛ وقارن الفردوسي ، شاهنامه ، نشر مول ، (٧) ، ص ١٧٢

وما بعدها .

ويشرب النبيذ الكدر في القرع المقطع . فعلبت العجوز أنه بهرام چوبين فارناغت وانزعجت . فقال لها لاعليك يا أم فقد صدقت وحقت . وأعطاهَا دنانير من كيس منطقته وارتحل . »

وكانت الدولة الساسانية ، مع نقائصها وعيوبها ، بناءً شامخاً أذن سقوطه بنهاية العصر القديم وبدء العصر الوسيط في إيران وآسيا الغربية . وكثيراً ما يبدى الكتاب العرب عظيم الإعجاب بدولة الساسانيين العظيمة التي هي أنموذج لفن السياسة في الشرق ، كما يعجب هؤلاء الكتاب بالشعب الذي قامت فيه هذه الدولة . يقول أبو الفدا^(١) : « كان ملوك الفرس من أعظم ملوك الأرض في قديم الزمان ودولتهم وترتيبهم لا يماثلهم في ذلك غيرهم . » ونجد في مختصر العجائب والغرائب^(٢) هذا المدح : تعترف شعوب الأمم المختلفة بتفوق الفرس ، ويعجبون بكمال حكومتهم ، وبطريقتهم الفائقة في الحرب ، وبقدرتهم على تنسيق الألوان وتجهيز الأطعمة والأدوية وطرزهم في اللبس وتنظيم ولاياتهم ، وعنايتهم بجعل كل شيء في موضعه ، وشعرهم وترسلهم ، وحسن منطقتهم ، ونظافتهم ، وعظيم استقامتهم ، وتعجيدهم ملوكهم . فلا نزاع في تفوق الفرس في هذه النواحي كلها . وفي كتب تاريخهم أمثلة كثيرة لمن يريد تقليدهم في حكم الدول . وقد احتفظ الفرس ، عدة قرون ، بتوجيه الحياة العقلية في الشعوب الإسلامية ، ولكن قواهم الخلقية والسياسية كانت قد ضعفت بسقوط الدولة الساسانية . ولم يكن السبب في ذلك ، كما يدعى بعض الناس ، أن الإسلام ، من حيث قواعد الأخلاق ، أقل من الدين الفارسي . ومن أسباب تدهور الشعب الإيراني ماجره الإسلام من إدخال « الديمقراطية »^(٣) : فإن طبقات الأشراف قد ضاعت رويداً رويداً في

(١) Hist. anteislam ، نشر فليش ، ص ١٥٠ .

(٢) ترجمة كارا دى ثو ، ص ١٢٨ — ١٢٩ وهو مخطوط عربي في المكتبة الأهلية

بباريس . وينسب إلى المسعودي أو إلى إبراهيم بن وصيف شاه الأستاذ . (المترجم)

(٣) ولا شك أن أهمية المدن الكبيرة المتزايدة قد ساعد أيام الساسانيين على تدهور

طبقة النبلاء ، كما لاحظ بارتولد ، (Zeitschrift für Assyriologie) ، جزء ٢٦ ، ص ٢٥٢ وما بعدها . ول سوء الحظ أننا لا نعرف غير قليل جداً عما يتعلق بالتغيرات التي طرأت على الاقتصاد الاجتماعى في القرون الأخيرة من العصر الذي نتحدث عنه . وهكذا تظل محاولتنا شرح أسباب السقوط الفادح للدولة الساسانية غير كاملة للغاية : فإننا نحس نقص بعض العناصر ذات الأهمية البالغة لهذا التطور .

طبقات الشعب الأخرى ، وُضِعت الصفات التي كانت تميزهم . وكانت سيادة إيران على آسيا الغربية تستند على التقاليد السياسية التي سار عليها الأشراف ورجال الدين جيلا بعد جيل . وهذه التقاليد السياسية وروح الفروسية التي كانت لقدماء إيران قد أمدت الخلافة العباسية بأساسها المتين . ويتمثل طابعهم النبيل في أسرة البرامكة . والدول الجديدة الأولى التي قامت في الأراضي الإيرانية ، أيام اضطهاد الخلافة ، أسست على بقايا التقاليد القديمة ، وكان العصر الزاهي ، أيام السامانيين وهم أول من أحيا الروح الفارسي ، صورة من عظمة الساسانيين ؛ فإن كان معظم الأشراف قد دالت دولتهم فإن جذع الدهاقين المتين قد بقي ، وكانت ذكريات الماضي المجيد ملء صدورهم .

الملحق الأول

تداول الأوستا

حاول الأب فرنسوا نو François Nau ، في مقالة بمجلة تاريخ الأديان (Revue de l'Histoire des Religions ، الجزء ٩٥ ، ١٩٢٧ ، ص ١٤٩) ، مستعينا بكتابات النصارى السريان الجدلية ، أن يبين أن النصوص المقدسة المزدية لم تكن متداولة حتى منتصف القرن السابع الميلادي تقريباً إلا عن طريق المشافهة ، وأنه لم يكن للزردشتيين كتب دينية قبل السنوات الأخيرة من عهد الساسانيين : وحيث خشي الموابدة من ضياع الروايات الدينية القديمة ، وكانوا كذلك يرغبون في أن يهيشوا لأتباع دينهم ما أتاح الدين الإسلامي « لأهل الكتاب » ، فسطروا الأوستا الساسانية . والواقع أن كلمة « أوستا » كانت مستعملة في القرن السادس بل وفي القرن الخامس ، ولكن نو Nau يدعى أنها لم تكن تدل في ذلك الوقت « على الكتاب » وإنما كانت تدل على « القانون » للتداول شفاهاً . ثم إنه في القرن الثامن ، تخيل العلماء الحروف الأوستية التي تعبر عن الأصوات واستخدمت في نسخ النص الذي يتلى والذي كتب بالحروف البهلوية حوالي سنة ٦٣٤^(١) .

وأهم ما تستند إليه نظرية الأب نو هو أن الكتب السريانية التي تتناول الصلوات بين النصارى والمزديين أيام الساسانيين لا تتحدث عن « كتابات » أو « كتب » زردشتية مطلقاً (حتى في المجادلات بين الطائفتين التي يستشهد فيها النصارى بالإنجيل) ، ولكن تذكر الزمزمة في الصلاة ونصوصاً من القانون وغيرها ، ثم إن هذه الكتب تشير كثيراً إلى عادة المزديين في حفظ الروايات الدينية عن ظهر قلب . ولكننا لا نستطيع أن نخرج من هذا الرأي بنتائج ذات قيمة . ولا شك أن قوله صحيح حين قال إن الموابدة يحفظون عن ظهر قلب نصوص الأوستا التي يستخدمونها في العبادات ، فإن أثر العمل بها يتوقف على الدقة التامة في التلاوة .

(١) ص ١٩٣ — ١٩٤ ، ملحوظة ٢ من البحث المذكور .

ولكن نصوص الأوستا كانت من طبيعة مختلفة كل الاختلاف عن الكتابات المقدسة النصرانية . ثم إنه من الجائز أن يكون الكتاب النصارى وهم أشد ما يكونون غلوا في جدلهم قد تفادوا ، عامدين ، ذكر الكتب الزدية حتى لا يوحوا للقراء من النصارى أن خصومهم فى الدين كانت لهم كتب منزلة .

والواقع أن نظرية الأب نو Nau مستحيلة . ولدحضها نحيل على أبحاث اندرياس عن كتابة الأوستا ، تلك الدراسات التى بدأها هذا العالم ثم تناولها تلاميذه من العلماء المختازين^(١) ، ومن بعدهم نودسكو^(٢) وميه^(٣) ، وأخيراً على بها يونكر^(٤) الذى انتقد آراء اندرياس ولكنه يؤكد مثله الرواية البارسية التى تحدد تاريخ كتابة نص الأوستا فى الفترة الأولى من العهد الساسانى . وواضح أن الأب نو كان يجهل كل هذه الأبحاث التى نشرت قبل سنة ١٩٢٧^(٥) .

وإن كنا لا نستطيع أن نثق بالروايات المتصلة بتاريخ تداول الكتابات المقدسة فى أقدم عصور الزردشتية ، فليس من سبب يحملنا على الاعتقاد بأن مؤرخى الدين المزدى كانوا يجهلون تاريخ دينهم أيام الساسانيين . ثم لو لم تكن هناك نصوص مسطورة قبل عهد يزدگرد الثالث آخر ملوك الساسانيين ، ولو كان الأمر متعلقاً بسطر كتاب مقدس بغاية السرعة حتى يعترف المسلمون بالفرس على أنهم « من أهل الكتاب » ، لكان على اللوابة أن يسطروا النصوص الخاصة بالعبادات وحدها ولما تحملوا مشقة كتابة هذه المجموعة الضخمة والمضطربة قليلاً من التاريخ الطبيعى

-
- (١) اندرياس ، ص ٩٥ وما بعدها من : Vrehand. d. XII. internat. Orientalisten- Kongresses : andرياس ووا كرنجل ("Einleitung"), Die viartl Ohāthā des Zurathustra und "Anmerkungen"), Die erste, zweite und fünfte Ohathā ("Vorbemerkung und "Anmerkungen"). جيجر فى ص ٩٥ وما بعدها : Festschrift F. C. Andreas ;
هومل ، المرجع نفسه ص ٩٧ وما بعدها و ZII ، جزء (١) ، (٢) ، (٣) ، (٥) ، (٦) .
(٢) ZII ، (٢) ص ٤٢ وما بعدها .
(٣) JA ، ١٩٢٠ ، ص ١٨٧ وما بعدها .
(٤) Caucasia ، (٣ ، ٢) ، ١٩٣٢ .
(٥) دحض نظرية نو پول بيترز فى مجلة الدراسات الأرميلية ، ١٩٢٩ (٩) ، ص ٢٢١ .

والجغرافيا والأوضاع القانونية وغيرها ، وهي التي كبرت حجم الأوستا الساسانية . وكيف نصدق أن رجال الدين الزردشتيين قد استطاعوا ، في بضع سنوات حين كان الفرس يناضلون من أجل الحياة ضد الجيوش العربية ، أن يكتبوا واحدا وعشرين نسكا قدّروست West مجموع كلماتها بخمسة وأربعين وثلاثمائة ألف وسبعمئة كلمة (٣٤٥٧٠٠) ، وذلك بكتابتها بالهلوية أولا . ثم كيف استطاعوا ، في مدى قرن ملؤه التدهور الروحي الذي نتج عن الإسلام الفاتح والعرب الطغاة ، وهم يعيشون يوما فيوما ويرون سلطانهم يتضاءل كل يوم والناس يخرجون من ملتهم ، وكانوا أنفسهم يطاردون ويطردون ، كيف استطاعوا أن يجدوا فراغا لاختراع طريقة جديدة للكتابة ، هي الكتابة الأوستية ، والتي هي نتيجة دراسة عميقة للأصوات في اللغة المقدسة ، ثم يسطروا الواحد وعشرين نسكا من جديد بهذه الحروف التي اخترعوها ؟ وكيف نفسر أنهم بعد هذا ، في إبان القرن التالي ، قد استطاعوا أن يكتبوا ترجمة هلوية مع شرح لجميع « النسوك » ، تحوى في تقدير وست West أكثر من مليوني كلمة ، وهي الترجمة التي كان جزء منها قد ضاع حين كتب واضعو الديسكرد كتابهم مختصرين فيه الأوستا الساسانية في القرن التاسع الميلادي ؟

وقد جاء في عبارة واحدة من النصوص السريانية التي ذكرها نو أن « الزمزمة » لم تكن مكتوبة . وذلك في تاريخ الشهيد عيشو سبّرّكن الذي كتبه حوالي سنة ٦٣٠ عيشويّة الأديابيني : فقد كان الزردشتي الذي دخل في النصرانية من أسرة مزديّة دينية « وقد تعود أن يأخذ من الأفواه « الزمزمة » المجوسية لأنها لم تكن مكتوبة بحروف (أو علامات) هذه التعاليم المؤذية التي ذكرها زردشت .. »^(١) . ولكن إن كان ناظم « أعمال الشهداء » يعتقد أن الصيغ التي تستخدم في الزمزمة لم تكن مسطورة ، فهذه بغير شك نتيجة غير منطقية مأخوذة من أن « المتنصر » كان يحفظ هذه الصيغ عن ظهر قلب . هذا ولا يجوز أن نتظر صحة تامة في مثل هذه التفاصيل من كتاب أعمال الشهداء النصاري الذين يظهر ضيق صدورهم ونظرهم ظهور تحاملهم على « الكافرين » .

(١) هكذا ترجمة نو ، (١) ، ج ، ص ١٨٠ .

الملحق الثاني

قائمة عظماء الدولة

درس شتين قائمة ألقاب عظماء الدولة الساسانية التي جاءت في اليعقوبي (نشر هوتسما ، (١) ص ٢٠٢) والقائمتين اللتين ذكرهما السعودي في كتابيه التنبيه والإشراف (BOA) ، (٨) ، ص ١٠٣) ومروج الذهب (٢ ، ١٥٦) ، وذلك في بحث له في : Byzantinisch neugriechische Jahrbucher ، ١٩٢٠ ، ص ٥٠ ، عنوانه : Ein Kapitel vom Persischen und vom Byzantinischen Staate . وقد حاول في بحثه أن يبين أن هذه القوائم الثلاث ترجع إلى ثلاثة عصور مختلفة . وهاهي القوائم الثلاث :

١ — اليعقوبي : البرزك فرمادار (كبير الوزراء) ، الموبدان موبد (كبير الموابدة) ، المهربدان هربد (كبير المهربدة) ، الديربد (كبير الكتاب) ، السباهيد (قائد الجيش) الذي يرأس الپادگوسپان . وكان حاكم الولاية يسمى « مرزبان » .

٢ — السعودي ، التنبيه : الموبدان موبد (والمهربد يباشر سلطته تحت الموبد) والبرزك فرمادار ، والسباهيد ، والديربد ، والهتخشيد الذي يسمونه أيضاً واستريوشيد (حافظ كل من يكديديه كالمهنة والفلاحين والتجار وغيرهم) . ومن بين العظماء الآخرين « المرازبة » ، وهم أصحاب الثغور وكانوا أربعة ، واحد لكل من الجهات الأصلية^(١) .

٣ — السعودي ، مروج : الوزراء ، (الموبدان) موبد (القائم بأمر الدين وهو قاضى القضاة وهر رئيس الموابدة) ، والأصهبذين الأربعة (أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم

(١) يقصد المرازبة من بين الشاهدارين .

صاحب ربح منها) ولكل واحد منهم مرزبان^(١) (وهو خليفته) .

ويرى شتين^(٢) أن أقدم هذه القوائم قائمة اليعقوبى ، أولا ، لأن ترتيب المراتب عند اليعقوبى يذكرنا بمراتب العطاء كما جاءت فى الكتاب المنسوب لتفسر ، وهم العطاء الذين كانوا يختارون الملك فى الفترة التى سبقت تنظيم الدولة أيام قبادة الأول . وثانيا ، إن قائمة اليعقوبى هى الوحيدة التى تذكر المرزبان هربد بين عطاء الدولة ، وقد قام بأعمال المرزبان موبد فيما بعد . ثم يلفت شتين Stein النظر إلى أن قائمة اليعقوبى ذكرت وحدها الياذكوسيان مرءوسا للسياهبد ، ويستنتج من هذا أنه فى الزمن الذى كتبت فيه هذه القائمة لم يكن هناك غير ياذكوسيان واحد تحت رئاسة السياهبد الذى كان رئيساً للجيش كله حتى زمن كسرى الثانى الذى جعلهم أربعة . ويأتى شتين ، تأييدا لهذا رأى ، بعبارة من كتاب الدينورى (جرجس ، ص ٥٧ ، نولده Tabrai ، ص ٩٦ ملحوظة ٣ ، وانظر هنا ص ٢٦١ — ٢٦٢) ذكر فيها أعظم الأشراف الذين اتفقوا ، بعد موت يزدگرد الأول . على إبعاد أبنائه عن العرش ، وهم بسطام (وستهم) ، سياهبد السواد (العراق ، بلاد بابل) وكان لقبه هزارفت ؛ يزد — گشنسپ ، ياذكوسيان الزوابى^(٣) ؛ بيرگ الذى كان له مثل مرتبة مهران^(٤) ، گودرز ناظر الجيش^(٥) ؛ گشنسپ — آذرويش صاحب الخراج ؛ پناه — خسرو مدبر صدقات الدولة . ويستنتج شتين من ذكر الطبرى (٨٦١ ، نولده ص ٩٦) لبسطام الإصبهبد بجانب المرزبان موبد وإطلاق لقب

(١) التفصيلات التى جاءت بعد هذا (عن مراتب المغنين وأهل الموسيقى) لا تنفذ فى البحث الذى نحن بصده .

(٢) ص ٥٤ وما بعدها .

(٣) الكلمة التى نقرأها « الزوابى » غير مؤكدة . انظر بلدان الخلافة الشرقية ، الترجمة العربية لبشير فارس وكوركيس عواد ، ص ١٠٨ . (المترجم)

(٤) إشارة خطأ ، فإن مهران اسم أسرة .

(٥) ولأن بيرگ هو الوحيد بين الأشراف الذى لم تذكر وظيفته فقد أراد شتين Stein أن يجعله گودرز مقترضا أن بيرگ هو اسم أسرته الخاصة وأن مهران اسم عائته الكبيرة على أنى اعتقد أن مهران ، اسم العائلة المشهورة قد ورد فى النص بدلا من اسم وظيفة لم يفهم ، وأن بيرگ وگودرز هما فى الواقع شخصيتان مختلفتان .

هزارفت عليه وهو اللقب الذى حمله بعد ذلك زرمهر — سوخرا القدير ، أف
بسظام هو الإصبهيد الوحيد على الجيش وأن لقب « سپاهبد السواد » الذى يذكره
الدينورى ينم عن « اختصاص مؤقت أكثر تحديداً » فقط . ومن ناحية أخرى
فإن لقب « پاذكوسپان الزوابى » الذى أطلق على يزد — گشنسپ يبين أن وظيفة
پاذكوسپان فى القرن الخامس كانت شيئاً آخر غير ماعناه قباد الأول : فإن هذا قد
عين « پاذكوسپان » على كل ربع من المملكة ، ولم تكن الزوابى إلا ولاية (أستان)
من السواد الذى يحوى اثنتى عشرة ولاية .

والقائمة التى ذكرها المسعودى فى كتابه التنبيه تعتبر فى رأى شتين^(١) الثانية من
حيث الترتيب الزمنى . ويذكر المؤلف عبارة من إلزمه جاء فيها أن الموبدان موبد
والدر — اندرزبد والإيران — سپاهبد كانوا أعظم الأشراف فى زمن يزدگرد
الثانى . وهو يفترض أن الدر — اندرزبد (المعنى الحرفى رائد أو مستشار الملك)
تسمية أخرى للبرزك فرمادار ؛ وهكذا تتفق القائمة التى يذكرها إلزمه مع قائمة
التنبيه اتفاقاً تاماً ، وأن هذه تمثل نظام المراتب أيام يزدگرد الثانى . وإذا فقاعدة
المرازبة الأربعة الذين كانوا يلقبون بلقب شاه (الذى لا يورث) ، كانت مطبقة فى
هذا العهد . وكان هناك مرازبة آخرون كانوا ولاية عسكريين على الولايات التى يتكون
منها كل ربع من أرباع المملكة .

ويقول شتين إن القائمة التى ذكرها المسعودى فى كتابه مروج الذهب هى
أحدث القوائم ، لأنها وحدها تشير إلى الإصبهيدى الأربعة ، ونحن نعرف^(٢)
أن نظام هؤلاء قد سته كسرى الأول . وهنا يذكر الموبدان موبد بعد الوزراء
المدنيين وهو ما يبين مكانة رجال الدين فى العهد الذى ضعفت فيها سياسة قباد الأول
وكسرى الأول . ويظن شتين أنه يجب ذكر « الأستبند »^(٣) بين الوزراء الذين
ذكروا بشكل عام ، وقد وجده فى المصادر البيزنطية : ماهبود كبير موظفى الدولة

(١) ص ٥٣ .

(٢) هنا ص ٣٥٥ .

(٣) هنا ص ١٢٥ .

أيام قباد الأول (بروكوب Procope ، BP ، (١) ، ١١ ، ٢٥) ، (ميناندر ،
Frag. hist. Gr. IV ، ص ٢٥٧) ، وكبير رجال البلاط ؛ وفروخان الذي كان
أستبد أيام هرمزد الرابع . وهذه الوظيفة لم تكن موجودة في الوقت الذي كتبت
فيه القاعدتان القديمتان .

ويقول شتين^(١) إن الملكين قباد الأول وكسرى الأول قد خفضوا من سلطة
البرزك — فرما دار وذلك بخلعهم مناصب جديدة نقلوا إلى شاغليها بعض اختصاصاته .
فقد جعل قباد أولا وظيفة أستبد (رئيس التشريفات) ، ثم ألغى تدخل البرزك —
فرما دار في شئون الولايات وذلك بإدخال نظام « الپاذكوسپانين » الأربعة الذين
يقول السكاتب عنهم إنهم كانوا تابعين للإيران — سپاهيد . ثم أدخل كسرى الأول
بعد ذلك نظام الإصبهين الأربعة الذين عهد إليهم بإدارة أرباع المملكة .

وقد ساعدت أبحاث شتين على توضيح مراحل التطور السياسي والإداري
في العهد الساساني . وعندي أن نظريته صحيحة في أساسها^(٢) . ولكن لا أستطيع
الموافقة على نظريته في التفاصيل الخاصة بمراكز المرازبة والإصبهين والپاذكوسپانين .
فإنه قد حاول ، بتأويل متكلف ، أن يقلل من شأن لقب « سپاهيد السواد »
و « پاذكوسپان الزوابي » في عبارة الدينوري . والحقيقة أنه إذا صحت قراءة
« الزوابي » فإن الصلة بين اللقبين تكون واضحة : فبسطام هو الحاكم العسكري
للإعراق (السواد) ، ويزد — گشنسپ وكيله الإداري على ولاية الزوابي مع لقب
پاذكوسپان^(٣) . ثم إن عبارة الدينوري تبين ، على عكس رأي شتين ، أنه
وجد في عهد يزدگرد الأول أو كان ممكنا أن يوجد ، في ذلك الوقت ، كثير من

(١) ص ٦٥ وما بعدها .

(٢) بالرغم من أن اليعقوبي لم يذكر الواستريوشيد أو الواستريوشا نسلار فإنه كان
بلا شك من طبقة كبار الموظفين .

(٣) لا يقرأها هرستفيلد الزوابي إنما يقرأها آزرهني أو آزرهاني « الآزريجان » ، Archaeol.

Mittell (٤) ، ص ٥٧ ، ملحوظة ٢) .

الإصهبدین والپاذگوسپانیین . علی أن هذه المناصب ، فی الحقيقة ، لم یکن لها أى علاقة بتقسیم الدولة إلى أربعة أقسام حسب الجهات الأصلية الأربع . والأفضل بیان الموضوع علی الوجه الآتی : إن التقسیم الإداری الرباعی للدولة یرجع إلى عهد الأشکانیین . وقد سمی ولاية هذه الأقسام الأربعة ، منذ القرن الخامس أو بعد ذلك ، بالمرازبة (المرازبة الأربعة الکبار الذین یطلق علیهم لقب شاه^(١)) . وقد عین مرازبة آخرون فی الإمارات ، وكذلك فی الولايات الداخلية . وفى عهد الأکمینیین کان الستارية یقودون جیوش ولاياتهم ، حین تكون الحرب داخلية ، لاتخاذ الإجراءات ضد الشائین وما أشبه ، ولکن فی الحرب ضد الأعداء الأجانب کان قواد الدولة یأسون جیوش الولايات بوجه عام . وكانت الدولة مقسمة علی هذا الأساس إلى أجزاء حرية ، کل قسم منها علی رأسه « کارنا »^(٢) فیما یتظهر ، فکان یأس الستری فی الشئون الحربية . والمفروض أن مرکز الإصهبد من المرزبان ، فی أواسط العهد الساسانی ، کان بالتقريب کمرکز السکارنا من الستری . ولیس من الممكن أن نقرر ماذا كانت العلاقة — فی تفصیل — بین اختصاصات المرازبة الکبار الأربعة والإصهبدین . ویجب أن نفهم من « سپاهبد » قوائم الیعقوبی والتفیه للمسعودی ایران — سپاهبد بغير شک . وكان ال « پاذگوسپانیون » ، فی هذه الفترة ، نوابا لحکام الولايات ، ملحقین بالمرازبة أو بالإصهبدین حسب الظروف . أما عن التغير الذی أحدثه کل من قباد وكسری الأول فإنی أحویل إلى ملاحظات صفحات ٣٣٨ و ٣٥٥ وما بعدها .

أما عن ملاحظة شتین آن قباد الأول وكسری الأول قد حدا من سلطان البزرگ — فرمادار ، فإن من الممكن القول بأن هذا الحد قد بدأ من قبل عهد کسری الأول . ولست أدری ، مع ذلك ، ألنا أن نلاحظ أن البزرگ — فرمادار لا یبدو بین العظماء الأربعة الذین قارنهم مزدک « بقواء الأربع »^(٣) : فإن هذا

(١) انظر ص ١٢٦ و ٨٨ .

(٢) الحاکم العام ، انظر کرینفون ، Hell ، (١) ، ٤ ، ٣ .

(٣) هنا ص ٣٢٧ .

« المصلح » قد اختار بين عطاء الدولة من يتم بهم أتم التوازن مع مجرداته . وعلى كل حال فإن الإجراءات النهائية التي قضت بتحديد اختصاصات البزرگ — فرمادار وتوزيعها على الموظفين الآخرين كانت من عمل كسرى الأول . ودلينا على ذلك عبارة ذات قيمة ، ولكنها لسوء الحظ غامضة ، في فارسنامه^(۱) . وها هو نص هذه العبارة التي أخذت بالتحقيق عن مصدر پهلوی :

« وباهمه بزرگی وحکمت بزرجمهر کی وزیر او بود انوشروان ترتیب وزارت او چنان کرد کی دبیر بزرجمهر و نایب نزدیک کسری آمد شد توانستی کرد وما این نایب را وکیل در خوانیم وبه پهلوی ایرانماذر گفتندی و نیابت وزیر دارد ، و هر سه گماشته کسری انوشروان بودندی در خدمت وزیر او بزرجمهر و وزیر بذات خود ازین سه کسی یکی را توانستی گماشت ، و غرض انوشروان آن بود تا دبیر هر نامه کی بجوانب بزرگ و اطراف نبشتی و خواندندی نکت آن در سر معلوم انوشروان میکرد و وکیل از آنچه رقی از نیک و بد براستی مشافهه میگفتی و راه وجوه مصالح بازمی نمودی و نایب مال و معاملات نگاهداشتی و این هر سه مردمان اصیل عاقل فاضل زبان دان سدید بودندی » .

نلاحظ أولاً أن لفظ وکیل در زیادة من الناشرین : فإن المخطوطات قد ذكرت في المرة الأولى وکلیدر ثم وکلید ، وفي المرة الثانية ذكرت وکلیدار ثم کلیدار . فالقرينة تدل على وجود اصطلاحين مختلفين . وكذلك ذكر لفظ ایرانماذر ؛ فإن مخطوطات فارسنامه قد ذكرت ایرانماذر و ایرانماذر .

وواضح أن في أول هذه العبارة تضارباً ، حيث يدور الكلام عن دبیر و بزرجمهر و نایب ، وكذلك في آخرها حيث الكلام عن العطاء الثلاثة المشار إليهم ، واحداً واحداً مع ذكر اختصاصاتهم بعد إصلاح كسرى الأول ؛ والنائب الكبرى الثلاثة هي : دبیر ، . . . دار (کلیدار ، وکلیدار^(۲)) و نایب .

(۱) س ۹۱ — ۹۲ .

(۲) اقترح تافاديا في خطاب منه قراءة رنکیر يذار ، وهو اقتراح مقنع . وقد لاحظ تافاديا أن الپازند يستعمل حرفاً صوتياً قصيراً للياء ، كما هو الحال في الفارسية . وكل من يعرف ما في =

والتصحيح الواجب لهذه المصوغ يبدو من تلقاء نفسه . ففي الثلاثي دبير ، بزرجهر ، نائب ذكرت كله بزرجهر مرة أخرى ؛ فبدلاً من أن تكون دبير بزرجهر كتبت دبير بزرك (دبيران مهيست أو إيران — دبير بد) . فينبغي إذا أن نصصح النص هكذا : دبير بزرك (نكيير يذار) ونائب . وأما هذا الأخير الذي كان نائب الوزير فقد قيل « إنا » — أي الكتاب المعاصرين لمؤلف فارسنامه أو لمؤلف الكتاب الأقدم الذي أخذ هذا عنه — نسميه وكيل — در (١) وإنه يسمى بالهلوية إيرانمازعر ، إيرانمازعر . ونستطيع أن نقارن هذا التفاوت بما جاء في العقوبى^(١) المراد مارعدو إيرانمازعر ، « نائب البزرگ فرمادار » عند ابن مسكويه^(٢) . وبناء على وصف وظائف النائب كما جاءت في نصنا (المحافظة على المال والمعاملات) ، أظن أنه يختفي وراء كل هذه المصوغ النامضة « إيران — آماركار » ، محاسب الدولة^(٣) .

وإذا أجرينا هذه التعديلات فإننا نترجم العبارة على الوجه الآتي :

« وبالرغم من عظمة بزرجهر وحكمته ، الذي كان وزيراً له ، فإن أنوشروان قد عدل اختصاصات وزيره بحيث يستطيع كبير الكتاب (نكيير يذار) والنائب مقابلة الملك متى شاء . وهذا النائب يسمى في أيامنا (وكيل در ؟) ويسمونه بالهلوية إيران — آماركار وهو يحل محل كبير الوزراء . وكان هؤلاء الثلاثة من موظفي كسرى أنوشروان ، وهم تحت إشراف وزيره (الأكبر) بزرجهر ؛ ولكن كبير الوزراء لم يكن له أن يعين أحد هؤلاء الثلاثة من تلقاء نفسه .

= الكتابة الهلوية من الغموض يدرك أننا نستطيع أن نقرأ (وكليدار) لو لم تذكر الكلمة الهلوية الياء .

(١) طبعة هوتسا ، (١) ، ص ٢٠٣ .

(٢) تجارب الأمم ، نشر لوسترايخ وآخرين (GMS) ، (٨) ، (١) ، ص ٥٣ . وأما مدين المجتبى مينيوى بالإشارة لهذا النص .

(٣) وقد قرأ مينيوى هذا اللقب بنفس الطريقة (في خطاب أرسله لي) ، وذلك من قبل أن يقرأ قراءتي له .

وقد رمى أنوشروان في إصلاحه إلى أن يفضى إليه كبير الكتاب سراً بدقائق ما يوجه من كتب للأشراف وحكام الأطراف^(١). وكان على النكير يدار أن يقدم تقارير وأفيه شفوية عن كل ما يجرى من خير أو شر وأن يبدأ ببيان ما يوصى به من وجوه المصلحة. وكان على النائب أن يعنى بدخول الدولة وشئون المال فيها (أى إيران — آماركار). وكان هؤلاء الثلاثة من الأشراف، عقلاء، فضلاء، متزنى القول سديدى الرأى.

ومع ذلك فهذا التقويم لنص فارسنامه لا يؤدى بنا، فيما أعتقد، إلى نص الأصل الهلوى الذى يرقى إليه. ولا أشك في أن الأصل الهلوى لم يذكر شيئاً عن بزرجهر ولكنه يشير إلى بزرك — فرمادار^(٢). فإن كسرى الأول قد حدد من اختصاص البزرگ — فرمادار وذلك بأن أشرك معه ثلاثة من العظماء يعينهم الملك بنفسه. وهذا هو تفسير كلمة «الوزراء» في مروج الذهب للسعودى. ولكن وظيفة البزرگ — فرمادار لم تلغ كما يقول بارتولد^(٣).

(١) انظر ص ١٢١ وما بعدها.

(٢) يؤيد هذا الفرض عبارات من فارسنامه، ص ٩٧، ١، ١٦ وما بعده. (انظر هنا، ص ٣٩٦ — ٣٩٧)، فإن الكاتب يقول وهو يصف ترتيب العظماء في حضرة الملك (قبل الإصلاح الذى نحن بصدده ٩)، إنه «حسب الآيين المتبع في بلاط كسرى أنوشروان كان هناك كرسي من ذهب أمام عرشه وكان يجلس عليه بزرجهر، ومن تحته كرسي الموبدان موبد ومن تحته عدد من الكراسي للمرازمة والأشراف». ولما كان المجال هنا ذكر الكراسي التي يشغلها أصحاب المناصب الكبرى فإن أسماء الأفراد أصحاب هذه المناصب لم يكن لها أهمية، وقد حل اسم الوزير بزرجهر، وهو ليس صحيحاً من ناحية التاريخ، مكان كلمة بزركفر مادار أو بزركفر ماى (بزرك — فرمادار). والنص الثانى وهو أكثر تأكيداً، في الصفحة ٤٨، ١، ٢٠ — ص ٤٩، ١ (في الكلام عن عهد الملك ويشتاسب، حاشى زودشت، الذى ينسب إليه نظم الساسانيين في العهد الأخير، يقول): ويسمون الوزير بزرك فرماى وكان له نائب يوثق به وكان يبعثه إلى الملك كلما استدعى الأمر حديثاً منه ويعرض عليه مهام الأمور، ويسمون هذا النائب ليرانمازغر (ليرانمازغر).

(٣) Zeitschrift für Assyriologie، جزء ٢٦، ص ٢٥٩ وما بعدها.

ملاحظات إضافية

ص ١١ . يرى باليارو Pagliaro (العدد ١٢ من Revista degli Studi Orientali ، ص ١٦٠ وما بعدها) أن وظيفة يندخش ، بدشخ لاصلة لها بالمرزبانيات الأربع الكبرى . ويرى في اشتقاق الكلمة (يتيخش) « عين الملك » التي يكثر ذكرها في الدولة الأكينية . ويرى شيدر Scheader أن الاسم الفارسي « لعين الملك » هو اسپَشْكا (قارن اسپَشْكَ ، من كبار رجال المذهب المانوي ، انظر ص ١٨٢ من هذا الكتاب) ، ("Iranica" ، Abhandlungen des Gesellschaft der Wissenschaften zu Gottingen ، ١٩٣٤) .

ص ٢٢ . قارن أوترا "Mithra, Zoroastre et la préhistoire aryenne du Christianisme" ، باريس ١٩٣٥ .

ص ٤٢ . داذستان مينوگ خرد . قد تقرأ الحروف التي يتكون منها عنوان هذا الكتاب بطرق مختلفة . وقد ذكر شيدر Scheader في العدد ١٥ ، ص ٥٨٦ ملحوظة ٥ من "Ungarische Jahrbücher" ملاحظات مولر وماركارت Muller, Marquart واقترح أن تقرأ على الوجه الآتي : دانگ ومينويگ خرد « (الحكيم وحكمة السماء) . والواقع أن الرسالة المذكورة تمثل حديثاً بين الحكيم الذي يسأل وحكمة السماء التي تجيب .

ص ٤٢ . نشر مسينا Messina حديثاً فصلاً من البندهشن الإيراني يتناول التاريخ القديم والمستقبل لإيران : "Mito, leggenda e storia nella tradizione iranica" (Orientalia, Commentarii Periodici Pontificii Instituti Biblici, IV, Rome 1935. ص ٢٥٧ س) .

ص ٤٣ ، ملحوظة ٢ : يضاف ، باليارو Pagliaro ، "L'anticresi nel diritto sāsānidico" ، (١٥) ، ص ٢٧٥ وما بعدها .
ص ٤٥ ، ملحوظة ٢ . أولاف هنسن Olaf Hansen ، "Zum mittel-

persischen Vicārišn i čatrang. Den Teilnehmern der Sektion 4 am XIX. Internationalen Orientalistenkongress in Rom überreicht vom. Verlag j. j. Augustin in Glückstadt", ص ١٣ وما بعدها .

ص ٦٠ . نشر عباس إقبال « تبصره العوام » في طهران ، ١٣١٣ / ١٩٣٤

— ٣٥ .

ص ٨٧ و ٩٠ . طال الجدل حول كلتي ويسپور و واسپور . أنظر هرتسفيلد Arch. Mitt ، Herzfeld ، (٧) ، ص ١٨ وما بعدها ، وخاصة مقالة لشيدر "Indian : Scheader Ein partischer Titel in Sogdischen" في "Bos and Iranian Studies presented to Sir George Orlinson" ، ص ٣ — ٢ ، ١٩٣٦ ، ٧٣٧ وما بعدها . وقد أوضح شيدر أن الكلمتين أشكانيتان وأنهما وجدا في العصرين البرقي والساساني ، وأن كلمة « ويسپور » (معناها الحرفي ابن القرية) لا تعني فقط ابن ويسپق ، ويسپذ ، ولكنها اكتسبت قيمة اجتماعية أعظم ، واستخدمت للدلالة على أمراء البيت المالک ، بينما كلمة واسپور تطلق على أعضاء أسر الأشراف . ولكن النص الهلوي « سور سخون » (حديث وجبة العشاء بالفارسية الوسطى) الذي نشره تافاديا J. Cama. Or. Inst في ٢٩ ، ١٩٣٥ ، ذكر في الفقرة العاشرة بوس واسپور وهي تدل من غير شك ، كما لاحظ تافاديا ، على معنى « ولي العهد » والتأويل الذي يقول به شيدر وهو أن واسپور هنا ليست لقباً ، ولكنها كنية لتفخيم الملك ، الذي ذكر في الفقرة السابقة من النص ، لايحل الإشكال : لماذا سمي ولي العهد بوس واسپور ولم يسم بوس ويسپور ؟ ولكن كلمة ويسپور في صيغتها الإيرانية الخالصة من شوائب « الهزوارش » الآرامي تظهر فقط في النصوص المانوية بتورفان ، وقد لاحظها شيدر في الصغدية في صور مختلفة حيث يختفي وراءها « ويس بوس » أصلاً . وقد بين شيدر أن هذه الصيغة الصغدية استعمال للفظ الأشكاني ويسپور . أما النصوص المانوية فمن ناحية أخرى تذكر الكلمة كما كانت في أول العهد الساساني حين كان الفرق الأشكاني بين الكلمتين ويسپور و واسپور مذكوراً . ولكن ليس لدينا ، فيما يظهر ، مثل لاستعمال كلمة

ويسپور في الآداب البهلوية التي ترجع إلى القرن الأخير من عهد الدولة الساسانية .
ولذا فإني أعتقد أنه قبل ذهاب هذه الدولة ، اختفى اصطلاح ويسپور باندماجه في
واسپور .

ص ١٠٠ . هزاربد . قارن « سور سخون » تافاديا Tavadia ، ص ٦٧
و ٨٧ — ٨٨ . ومن المستحيل أن يكون هزارفت (بالأرمينية هزار و وخت) هو
هزاربد .

ص ١٠٨ . موگان اندرزبد لقب آخر للموبدان موبد . انظر «سور سخون» ،
تافاديا ، ص ٦٦ .

ص ١١١ ، ملحوظة ٩ . أنظر هنج Henning ، "Arabisch Haräg" ،
Orientalia ، (٤) ، روما ، ١٩٣٥) ، ص ٢٩١ وما بعدها .
ص ١٢٦ . يندخش ، انظر الملحوظة الإضافية عن صفحة ١١ .

ص ١٥٠ . خرائب المعابد الساسانية ، انظر هر تسفيلد Herzfeld ، "Arcaeholo-
gical Histo y ot Iran ، ١٩٣٥ ، ص ٨٨ وما بعدها .

ص ١٦٠ — ١٦١ . بحث نيرج Nyberg المشكلة الصعبة في التقويم الساساني ،
متون التقويم المزدی : "Texte zum mazdayaznischen Kalender" ، ١٩٢٤ ،
ص ٨٠ (Uppsala Universitets årsskrift) .

ص ١٦٩ — ١٧١ ، ملحوظة ٤ . پلوتسکی Polotsky في كتابه عن الشريعة
المناوية : Abriss des manichäischen Systems ، شتوتجارت ، ١٩٣٤ ؛
أنظر هنج Henning في ZDMG ، ١٩٣٦ ، ص ١ — ١٨ .

ص ٢٠٨ ، ملحوظة ١ . كريستنسن Christensen "La princesse sur :
AO. la feiulle de myrte et la princesse sur le pois" ، (١٤) ، ص
٢٤١ — ٢٥٧ .

ص ٢١٥ . تدمر (Palmyre) ، انظر روستوفتزهف Rostovtzeff ، Caravan
Cities ، ترجمة تالبوت ريس (T,D) Talbot Rice ، ١٩٣٢ ،
ص ٩١ وما بعدها .

- ص ٢٧٩ وما بعدها . انظر پيترز : "Sainte ، Sousanik" : Peeetrs
 Analecta Bollandiana ، (٥٣) ، ١٩٣٥ ، ص ٢٨٨ وما بعدها فيما يتعلق
 بحوادث ارمينية بين سنق ٤٨٤ — ٤٨٥ وعن شخصية وهن Vahan .
 ص ٢٨٥ ، ملحوظة ٣ . نشر تافاديا النص الهلوى وترجمته وتعليقات عليه :
 J. Cama "Sur Sa khvan A Dinner Speech in Middle Persian" في
 Or. Inst ، (٢٩) . وقد يكون اللقب شهر — دادور — دادوران (ص ٤٤ ،
 ٦٥ وما بعدها ، ٨٥ وما بعدها) نتيجة إدماج الصيغتين شهر — دادور و دادور —
 دادوران .
 ص ٣١٩ — ٣٢٠ . انظر للملحوظة الإضافية عن صفحة ٤٣ ، ملحوظة ٢ .
 ص ٣٢٤ ، ملحوظة ٥ . ويه — دين . يرى تافاديا Tavadia ، وهو يوافق على
 نظريات هرتل Hertel (انظر ص ٢٢ ، ملحوظة ١ من هذا الكتاب) ، أن المعنى
 الحقيقي لهذا الاصطلاح قد يكون «دين النور» (Studia Indo-Iranica, Erhengäbe
 für Wilh. Geiger) ، ص ٢٤٥ وما بعدها و (سور سخون) ، ص ٥٠ . ومهما
 يكن من شيء فقد كان معنى هذا الاصطلاح في العهد الساساني هو « الدين القيم » .
 ص ٣٣٥ ، ملحوظة ٤ . قارن دراسة حديثة قام بها مزيك Mzik :
 (Sagenmotiv in historischen Berichten für die Abstammung von
 Mitt. der Anthropol. Gesellschaft في Helden und Herrschern),
 in Wien ، (٦٤) ، فيينا ، ١٩٣٤ ، ص ١٩٩ وما بعدها .
 ص ٣٥٤ . السياسيين . توجد الملحوظة نفسها عند بعض الكتاب العرب .
 ويقترح كرامر Kramer ، بعد مقابلة الصيغ المختلفة تصحيح اللفظ إلى (النشستاجين)
 النشاستكين التي تكون بالهلوية نشاسته گمان (المحاريين) المقيمين كخامية "Indian and
 Iranian Studies presented to Sir George Grierson" ، BSOS .
 ١٩٣٦ ، ص ٦١٣ وما بعدها .
 ص ٤٣٩ . چهارقاو . انظر هرتسفيلد Archacolog-History Of Iran
 ص ٨٨ ، كان چهارقاو معبد نار .

وقد أثبتت الحفائر التي عملت في السنوات الأخيرة في الأقاليم التي كانت تحكمها الدولة الساسانية وجود خرائب لكثير من المعابد التي ترجع لهذا العهد . وفي دامغان كشفت بعثتا حفائر متحف الجامعة University Museum ومتحف بنسلفانيا Pennsylvania Museum عن قصر ساساني . وفي العراق لاحظت بعثة أ. كسفورد Oxford Field Expedition ، بعد كشف هام ، أن جميع الأراضي بين دجلة والفرات كانت تروى حينذاك بطريقة تكفل لها الحصب ، وكانت هذه الأراضي عامرة بالمدن الساسانية . وقد نجحت هذه البعثة في الكشف عن كثير من القصور والبيوت الساسانية في مكان مدينة كيش القديمة (وصف تمهيدى في مقالات بالهاليلي تلجراف Daily Telgraph كتبه لانجودن Langdon) ، كما كشفت عن قصر عظيم في الصحراء على بعد حوالي عشرين ميلا انجليزيا من كيش (آرثر أوبم Arthur Upham في جريدة التيمز Times ، ٣ يونيو ١٩٣٣) .

وقد لفت أوبم Pope Upham الأنظار في مقال له عنوانه A sasanian Garden Palace في مجلة The Art Bulletin ، الجزء ١٥ ، العدد ١ ، شيكاغو ١٩٣٣ ، إلى رسم هام جداً لقصر صيفي مصور على لوح برونزي في متحف برلين ، ويرجع تاريخه إلى القرن السادس أو أوائل القرن السابع الميلادي . وهو قصر صيفي صغير ، خفيف البناء ، رشيقه ، له خمس قباب (يرى منها ثلاث) يحملها أعمدة فارعة تذكر بأعمدة القصور الصفوية في إصفهان . وقد زين الجزء الأسفل من الواجهة بصور جرار ونخيل استوى ترتيبها ومن فوقها عقود صغيرة بارزة على غرار عقود طاق كسرى ، وفي وسطه محراب ، شبكي الطراز ، وعليه المعبود ذو الأعمدة الذي نراه على النقود الساسانية .

ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ . انظر معيد نفيسي عن السنوات الأخيرة ليزدگرد ، وفاته وأبنائه ، وذلك في مقالته بالفارسية عن يزدگرد الثالث ، مجلة مهر ، ١٣١٢ (١٩٣٣) . وأما عن صلات يزدگرد الثالث وولده فيروز بالصين فانظر كورديه Histoire générale de la Chine et de ses relations avec les : Cordier pays étrangers ، الجزء الأول ، ص ٤٣٦ — ٤٣٨ .

ص ٥٠٥ . جاء في « سور سخون » ، نشر تافاديا Tavadia ، في النبد من .
٩ — ١٤ ب ، قائمة بعطاء الدولة تبدأ بالشاهنشاه نفسه : شاهنشاه (ملك الملوك) ،
يوس واسپور (ولى العهد) ، بزرك — فرمادار ، الإصبهين الأربعة (وقد سقط
إصبهيد الشمال ولعل هذا من خطأ الناسخ) ، دادور — دادوران (كبير القضاة) ،
مغان — اندرزبد (موبدان — موبد) . وهذه القائمة مهمة جداً . فهي تتيح
لنا تحديد التاريخ الذى كتب فيه هذا النص : فقد كتب بعد الإصلاح الذى قام به
كسرى أنوشروان والذى أقام الإصبهين الأربعة ، ولكن قبل الإصلاح الآخر
لكسرى ، الإصلاح الذى حد به من سلطان البزرگ فرمادار (النبتة ١١ :
« . . البزرگ فرمادارا ، العظيم في العظمة ، القوى في القوة ، والذى هو عظيم وطيب
مع الرعية ؟ ») . ومن الأوضاع ذات الدلالة وضع الموبدان موبد في آخر القائمة .

الكشاف

١ - الموضوعات

صفحة

١ تقديم

٤ مقدمة

٤ ١ - ملخص عن المدينة الإيرانية ، قبل المدينة الساسانية

٤ ١ - النظام الاجتماعي والسياسي للدولة الأشكانية

١٦ ٢ - سكان الشمال والشرق

١٩ ٣ - العقائد والأفكار الدينية

٣١ ٤ - اللغات الشعبية والآداب

٢٧ ٢ - مصادر التاريخ السياسي وتاريخ الحضارة أيام الساسانيين

٣٧ ١ - مصادر إيرانية معاصرة . الآداب الطهوية

٤٦ ٢ - الروايات الساسانية التي بقيت في آداب العرب والفرس

٦٠ ٣ - المصادر اليونانية واللاتينية

٦٤ ٤ - المصادر الأرمنية

٦٧ ٥ - المصادر السريانية

٧٠ ٦ - المصدر الصيني

٧٢ الفصل الأول : قيام الدولة الساسانية

فارس أيام السلوكيين والأشكانيين . البارزنجيين وأسرة ساسان . ثورة بابك
وأبنائه . فتوح أردشير وسقوط الدولة الأشكانية . نقش تنوبج أردشير .
مدينة اصطخر . قصر ويت فار في فيروز آباد . إمارة الحيرة وإمارة القساسنة .
شخصية أردشير . أردشير في التاريخ الخرافي .

٨٤ الفصل الثاني : تنظيم الدولة

خصائص الدولة الساسانية . طبقات الشعب الاجتماعية والسياسية . الإدارة المركزية .
كبير الوزراء . رجال الدين . المالية . الصناعة والتجارة والمواصلات . الجيش .
موظفو الدولة . إدارة الأقاليم .

(٣٣ - الساسانية)

• الفصل الثالث : الزردشتية دين الدولة

اتخاذ دين رسمي . النص الساساني للأوستا . الفروق بين الزردشتية الساسانية وماقبلها . الآراء الزروانية . بيوت النار . التقويم الإيراني . الأعياد . التنجيم الشعبي .

٩ الفصل الرابع : النبي ماني ومذهبه

تولية سابور الأول . نقش التتويج . ماني ومذهبه . الجماعة والدرجات المانوية . التبشير بهذا الدين بعد موت نبيه . الفن المانوي .

٦ الفصل الخامس : دولتنا المشرق والمغرب

النظام الحربي للدولة الساسانية . حروب أردشير الأول وسابور الأول مع روما . انتصار سابور على الإمبراطور والرين . نقوش نصر سابور . تدمير . حكم هرمزد الأول وبهرام الأول وبهرام الثاني . نقوشهم . حكم بهرام الثالث ونرسي . نقش نرسي . الحرب الجديدة مع روما . حكم هرمزد الثاني . سابور الثاني والحرب الكبرى . نبذ من رواية آمين . شخصية سابور الثاني . حكم أردشير الثاني وسابور الثالث وبهرام الرابع . نقوش أردشير الثاني وسابور الثاني والثالث .

٥ الفصل السادس : النصارى في إيران

ازدياد سلطان رجال الدين والأرستقراطية العليا . الكنيسة الزردشتية في أوجها . مكانة اليهود والنصارى في الإمبراطورية الإيرانية . اضطهاد النصارى في عهد سابور الثاني . عهد يزدگرد الأول وبهرام الخامس . البزرگ فرمادار مهر نرسي وأسرته . تجدد اضطهاد النصارى . يزدگرد الثاني . ششون أرمينية . شهداء السريان والفرس . منازعات اليعاقبة والناطرة . المسكن فيروز وبلاش . غزو الهياطلة . انتصار مذهب الناطرة . النظام القضائي في إيران . نظرة على أعمال الشهداء .

٢ الفصل السابع : ثورة مزدك

حالة الإيرانيين الاجتماعية أيام الساسانيين . طبقات المجتمع . الأسرة . القانون المدني . العصر الأول من عهد الملك قباد الأول . الآراء المزدكية الثورية . تحالف قباد مع المزدكية . عزل قباد وفراره . حكم جاهاسپ . عودة قباد . العصر الثاني من عهده . وراثة العرش . القضاء على المزدكيين . موت قباد .

٨ الفصل الثامن : كسرى أنوشروان « الروح الخالد »

تقوية سلطان الملك . تقويم النظام الاجتماعي . إصلاح نظام الضرائب . الإصلاح

الحربي . حرب بيزنطة . الهياطة والترك . غزو الصين . شخصية كسرى ثورة
أنوشك زاد . وصف العاصمة والقصور الملكية . النظم الإدارية . الملك العظيم .
مراسم البلاط . التشريعات . الألقاب الدبلوماسية . عصر النهضة الأدبية
والفلسفية . التعليم . العلوم . الطب . برزويه الطبيب الأدب . الدين والفلسفة .
تأثير الهند في الأدب . كلية ودمنة . الأدب الأخلاق . انحطاط دين زردشت .
الأحوال المادية والروحية في إيران إبان عصر كسرى .

الفصل التاسع : آخر عهود المجد ٤٢٥

هرمزد الرابع . أخلاقه . استمرار الحرب مع بيزنطة . ثورة بهرام چوین .
عزل وقتل هرمزد . كسرى الثاني يعتلي العرش . بهرام چوین ينصب نفسه
ملكاً . الحرب الأهلية . كسرى يسعى لتعويض الإمبراطور . هزيمة بهرام چوین
وفرازه ثم قتله . ثورة بسطام . حكم كسرى الثاني . حرب جديدة مع بيزنطة .
أخلاق كسرى الثاني . القصور الملكية (دست گرد « قصر شیرین ») .
نقوش طاق البستان . نفائس كسرى . زواجه . ترف البلاط . المعاور والمطبخ .
كژوس مزينة . الموسیقی . حال النصارى . عزل كسرى وقتله وتولية قباد
الثاني شيرويه .

الفصل العاشر : سقوط الدولة ٤٧٨

حكم قباد الثاني شيرويه وأردشير الثالث وشهربراز وكسرى الثالث وبوران
وآزرميدخت وهرمزد الخامس وكسرى الرابع وفيروز الثاني وفرخ زاد خسرو .
يزدگرد الثالث آخر ملوك الساسانيين . نفكك عرى الدولة . العامة . القائد رستم .
الفتح العربي . واقعة النادسية . درفش گاویان . الاستيلاء على المدائن . فتوح
عربية أخرى . فرار يزدگرد الثالث وموته في مهو . أولاده . إيران تحت
حكم العرب .

خاتمة : ٤٩٠

الملحق الأول : تداول الأوستا ٤٩٥

الملحق الثاني : قائمة عظماء الدولة ٤٩٨

۲ — الأسماء عامة

(۱)

| | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| آز : ۱۷۶ | آبا اوشا : ۲۴ |
| آزاد سند : ۱۰۶ | آب ریزگان (آب ریزان) : ۱۶۶ |
| آزاد مرد : ۳۹۰ ، ۴۱ | آبل : ۱۱ |
| آسریشتار : ۱۷۶ | آبهان : ۱۴۸ |
| آسمان : ۱۴۸ | آبولون : ۱۴۶ ، ۲۳ |
| آسورا (آهورا) : ۱۹ ، ۲۳ ، ۱ | آدم : ۷۷ ، ۱۷۴ ، ۲۸ |
| آشقاون : ۱۷۷ | آذر : ۱۴۸ ، ۴۹ ، ۵۰ ، ۵۲ ، ۵۹ |
| آشوقار : ۱۴۲ | ۶۱ |
| آفروغ : ۴۱ | آذربید : ۴۱۸ |
| آمین مارسیلین : ۲ ، ۶۱ ، ۸۸ ، ۶ | آذر بوزی : ۲۵۹ |
| ۲۶ ، ۹۶ ، ۹۷ ، ۲۲۷ ، ۱ | آذربید مهر سپندان : ۴۴ ، ۱۰۶ ، ۳۱ |
| ۳۰ ، ۳۷ ، ۳۸ ، ۹۱ ، ۱ | ۲۹۰ |
| ۴۹۰ ، ۳۶۸ | آذر برزین مهر : ۱۵۴ ، ۵۵ ، ۵۷ |
| آندریاس : ۴ ، ۳۱ — ۳۳ ، ۱ | آذر مهر : ۳۴۵ |
| ۴۹۶ ، ۱۳۳ | آذر نرسی : ۲۲۳ |
| آور انگیگ (لحن العرش) : ۴۶۷ | آذر جوی : ۱۵۵ |
| لاباس : ۲۷۷ | آذر چشن : ۱۶۱ ، ۶۳ ، ۶۴ |
| آبخز : ۳۵۴ | آذر خوره : ۱۵۵ ، ۶۷ |
| آبراسام : ۵۸ | آذر خوش : ۱۵۶ |
| آبروزس (وهو برز) : ۷۳ | آذر بنغ فریغ نرسی : ۴۱ ، ۱۵۳ ، ۵۵ |
| آبهر سام : ۱۰۱ | ۳۱۲ ، ۲۵۹ ، ۶۷ |
| آبهرک : ۴۱ | آذر فروغ : ۳۴۵ |
| آتیککوس : ۵۶ | آذر گشندپ : ۱۳۱ ، ۵۴ ، ۵۵ |
| الاذیر (ابن) : ۵۷ | ۳۱۲ ، ۵۶ |
| أجاتوکل : ۲۹ | آذر گنداذ : ۳۳۷ ، ۶۶ |
| أجانیاج : ۶۴ | آذر میدخت : ۴۷۸ ، ۷۹ ، ۸۱ |
| أجانیاس : ۲۴ ، ۶۳ ، ۱۲۰ ، ۴ | آرتان (ورثغان) : ۲۳ |
| ۳۵ ، ۶۷ ، ۳۱۰ ، ۳۱ ، ۴ | آرکادیوس : ۳۴۰ |
| ۴۱۲ ، ۶۲ | آرمایی : ۲۰ ، ۱۵۹ |
| أجزا پیوس : ۲۰۴ | آرایش خورشید : ۴۶۸ ، ۶۹ |
| أجستوس : ۲۱۵ | |
| أحیقر : ۴۴ | |

أذينة : ١٥ ، ٢١٣
 أرتا گزرسيس : ٧٢
 أرنبان : ٢٣٩ ، ١٥
 ارتخستر : ٧٤ ، ٧٢
 أرتش : ٢٦٨
 أرد : ١٤٨
 أردك ويراز : ٤١٦ ، ٣١٠ ، ١٠٩
 أردشير الأول : ٥١ ، ٤٠ ، ٣٨ ، ٢٥
 — ٨٥ ، ٧٤ ، ٧٢ ، ٥٣ ، ٥٢
 — ٨٧ ، ٥٠ ، ١٠١ ، ٩٤ ، ٩٠
 — ٥٨ ، ٣٠ ، ٥١ ، ٥٠ ، ١٦ ، ٧
 — ١٠ ، ٢٠٨ ، ٩٦ ، ٨٤ ، ٧١
 ١٨
 أردشير الثاني : ٩٧ ، ٨٩ ، ٦٣ ، ٥٢
 — ٥٨ ، ٥٥ ، ٤٢ ، ٢٤١
 أردشير الثالث : ٤٧٨
 أردوان : ٨٤ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤
 — ٣٨٨ ، ١٨٦
 أردوبهشت : ٦٠ ، ٥٩ ، ١٤٨
 أردوى سورا (أناهيتا ، أناهيد) : ٢١
 أرسان : ٢٢٣
 أرسطو : ٤١١ ، ١٣٩
 أرشك : ١٥٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ٧
 — ٢٣٩ ، ٢٢٧
 أرشك الثالث : ٣٩ ، ٢٢٧
 الأرمن : ٦٤ ، ١٢ ، ١١ ، ٩ ، ٣
 — ٣٩ ، ٣٥ ، ١٩ ، ١٠١ ، ٦٥
 — ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٠ ، ٥٤ ، ٢٢٧
 — ٨١ ، ٤٢٨ ، ٣٣٦ ، ٨١
 إزنيك : ٤١ ، ١٣٩ ، ٦٥
 إزيس : ١٧
 أساك : ١٥٤
 أسبيد : ٣٦٥ ، ٢٦٧
 أسبيد : ٣٦٥
 إسپندرامذ : ٦٧ ، ١٥٩
 إسپنیشته : ١٣٥

أستر نفيو : ٣٢
 إسحق : ٢٥٧
 إسرائيل : ١٨٠
 إسفنديار (ابن) : ٦٠ ، ٥١
 الإسكندر : ٧٣ ، ٣٥ ، ١٦ ، ٨ ، ٥
 ١٩٦
 الإسكندر اللكوبوليسى : ٨٠ ، ١٢٩
 أسوايك : ٦٧
 أشاوهميشتا : ١٥٩ : ٢٠
 أشكن : ٢٩٣
 الأشكانيون : ٨ ، ٦ ، ٥ ، ٤
 — ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٠ ، ٩
 — ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ١٧
 — ٧٢ ، ٤٠ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣١
 — ٨٢ ، ٨١ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٣
 — ٩٣ ، ٩٠ ، ٨٨ ، ٨٤ ، ٨٣
 — ٩٦ ، ٥٨ ، ٥٤ ، ٤ ، ١٠٣
 ٢٠٨
 أشكاني : ٦٤ ، ٥٣ ، ٤٦ ، ٢٤٥
 ٦٨
 أشوكا : ٢٩
 الإغريق : ١٣٩ ، ٢٦ ، ٢٣ ، ٥
 أفرعت : ٢٨٤ ، ٧٠
 أفرم الزهوى : ١٩٥
 أفريدون : ٤٨٣ ، ٨٠ ، ٦٦ ، ١٥٩
 أنشين : ٤٨٢
 أفيدوس كاسيوس : ٨٢
 أكاس : ٨٤ ، ٨٣ ، ٧٨ ، ٢٧٧
 الأكيينيون (مخامنشيون) : ٤ — ٨
 — ٤٦ ، ٣٥ ، ٢٢ ، ١٦
 — ١٠٠ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٧ ، ٧٢
 — ٦٦ ، ٣٨ ، ٢٧ ، ١٧ ، ٤
 — ٤٠١ ، ٩٣ ، ٥٤ ، ٣٠٩
 — ٦ ، ٥٠٢ ، ٣١
 أكنيان : ٣
 الألبان : ٢٣٤ ، ١٩٩ ، ٨٨ ، ٦٧

اهرمین (انگرامینو، آگرامینو) : ۲۰ ،
۲۳ ، ۷۹ ، ۱۳۶ ، ۴۰ — ۴۳ ،

۴۱۹

أرجستين : ۱۸۹
أورانيوس : ۴۱۲
أورليوس فيكتور : ۶۱
أورسيوس : ۶۲
أرود : ۱۱۵ ، ۳۵
اوست : ۱۸
أوستريب : ۳
أوشنر : ۴۴ ، ۴۱۹
أوكرانيدس : ۱۶
أونابوس : ۷ ، ۶۱
الأوينغور : ۱۹۰ ، ۹۱
إياس الطاق : ۴۳۵
إيتريوس : ۶۱
إيثيديموس : ۱۶
إيزات : ۱۵
إيزوب : ۶۱ ، ۶۲
أيزيدور : ۴۱۳
إيقودبوس : ۱۷۷
إيليموس : ۴۱۷
إيوجريوس : ۶۲

(ب)

بابهای : ۱۲۸ ، ۴۷۲
بابوائی : ۲۷۸
باربد (بربط، پهلبد) : ۴۴۵ ، ۴۷ ،
۶۵ — ۶۷
بارتولد : ۵۰۵
بارتولومويه : ۸ ، ۴۳ ، ۲۸۹ ، ۳۱۶ ،
۴۰۲
البارز : ۳۵۳

اللاحق : ۵۶

الياس النصيبيني (۱) : ۶۸

إليزه : ۱۹۰ ، ۳۳ ، ۳۹ ، ۴۱ ،

۴۵ ، ۲۷۶ ، ۹۹ ، ۵۰۰

إليزيه وردت : ۶۵

اصرداد : ۱۴۸

امشاسپنتا : ۲۰ ، ۱۴۸ ، ۷۵

أمورام : ۲۵

أميرتات : ۲۰

أناتول : ۲۶۷

أناهيتا (الأناهيد) : ۱۳ ، ۷۰ ، ۷۴ ،

۷۷ ، ۲۴۱ ، ۴۲

أنتونيوس : ۲۳۲

لاندرا : ۱۹ ، ۲۴

لندراز (لندزگر) : ۳۴۴ ، ۴۶

أنتيوش : ۲۳ ، ۱۲۹ ، ۴۶ ، ۴۷ ، ۴۹ ،

أنستاس : ۳۳۳ ، ۳۸ ، ۶۳

أنسترتزف : ۲۰۷ ، ۸

أنوش برد : ۲۹۳ ، ۳۳۵

أنوشروان (كسرى الأول) : ۱ ، ۲ ،

۱۲ ، ۴۴ ، ۵۰ — ۵۴ ،

۶۲ ، ۶۳ ، ۹۶ ، ۱۰۶ ، ۱۱۳ ،

۱۷ ، ۱۸ ، ۱۲۰ ، ۹۷ ، ۲۴۸ ،

۳۴۸ — ۴۲۴ ، ۸۱ ، ۹۲ ،

۵۰۰ ، ۱ ، ۲ ، ۳ ، ۵ ، ۱۱

أنوشك : ۳۶۷ ، ۸۵

أنوشك زاد : ۳۴۸ ، ۴۱۱

أنه گران : ۱۴۸ ، ۴۹

أهورا مزدا (أهر مزد) : ۳ ، ۲۳ ،

۳۸ ، ۷۳ ، ۷۸ ، ۷۹ ، ۸۰ ،

۱۳۴ ، ۳۶ ، ۳۹ — ۵۰ ،

۵۹ ، ۶۱ ، ۶۲ ، ۶۹ ، ۷۲ ،

۲۱۶ ، ۲۷ ، ۴۲ ، ۴۳ ، ۴۹ ،

۳۱۰ ، ۴۰۳ ، ۱۹ ، ۴۲

بغ : ۲۴۷ ، ۳۱۰ ، ۴۰۲
 بغ آذرب : ۳۴۰
 بگور : ۱۳
 البلاذري : ۶۰ ، ۳۵۴ ، ۶۴ ، ۷۷ ،
 ۴۵۹
 بلاش : ۲۴ ، ۲۵ ، ۷۵ ، ۷۶ ، ۲۴۵ ،
 ۸۱ — ۸۳ ، ۳۳۳ ، ۳۶ ، ۷۲ ،
 ۴۵۹
 ابن البلخي : ۵۷
 البلخي : ۴۶۰
 بلسارا : ۳۱۱
 البلعمي : ۴۸ ، ۵۶ ، ۵۸ ، ۱۶۸ ،
 ۳۸۱ ، ۴۲۵ ، ۴۶ ، ۴۷ ، ۵۶ ،
 ۸۳
 بليزير : ۶۲
 بندوس : ۳۲۴ — ۲۶
 بندويه : ۴۲۸ ، ۷۹ ، ۳۳
 بوذا : ۱۶ ، ۱۸ ، ۳۰ ، ۱۸۱ ، ۸۶ ،
 ۴۴۳
 اليوزية : ۲۹ ، ۳۳ ، ۳۴ ، ۱۹۱
 بوذيتوا : ۳۰
 البوربورين : ۲۹۹
 بوشياشتا : ۲۴
 بنقذست : ۴ ، ۲۲ ، ۳۴ ، ۱۴۰ ،
 ۴۶ ، ۴۶۸ ، ۸۱
 بهاء الله : ۱۷۲
 بهارچشن : ۱۶۴
 بهار خسرو : ۴۵۶
 بهرام (الله) : ۳۱۱
 بهرام بن مرادنشاه : ۴۷
 بهرام الأول : ۳۸ ، ۸۹ ، ۱۸۶ ، ۹۶ ،
 ۲۱۵ ، ۱۷
 بهرام الثاني : ۳۸ ، ۸۹ ، ۱۲۷ ، ۹۶ ،
 ۲۱۷ — ۲۱ ، ۲۴
 بهرام الثالث : ۳۸ ، ۸۹ ، ۱۹۶ ،
 ۲۱ ، ۲۱۸

بازان : ۳۴۵
 باسيليد : ۲۷
 باشمان : ۳۷۰
 باغ شهر يار (لحن) : ۴۶۷
 باغ شيرين (لحن) : ۴۶۷
 بافرگك : ۱۰۵
 باكشيدش اوريبيد : ۳۵
 باميشنان (باميش) : ۲۷۶
 بامداد : ۳۲۶
 البتول النورانية : ۱۷۸
 بجزرتوني : ۱۰
 البحتري : ۳۷۶
 البخاري : ۱۰۵
 البرابرة : ۳۳۸ ، ۳۴۱
 بختنصر : ۲۴
 البه : ۱۷۲
 برزويه : ۴۴ ، ۳۴۸ ، ۴۰۷ ،
 ۱۳ — ۱۵ ، ۲۳
 برزين مهر : ۱۵۴
 برسيموس : ۱۸۰
 برشيا نوس الليدي : ۴۱۳
 برصوما : ۷۸ ، ۸۳ ، ۸۴
 بروكس : ۶۸
 برون : ۱۲ ، ۲۹ ، ۵۶ ، ۱۳۲ ، ۳۲۷
 بزرجههر : ۴۴ ، ۵۸ ، ۵۰۳ — ۵
 البزرنجيون : ۷۲ ، ۷۴
 دستيكر : ۳۴۴
 بسطام : ۲۷ ، ۳۰ — ۳۲ ،
 ۳۳ ، ۵۸ ، ۷۹ ، ۹۹ ، ۵۰۰ ، ۱
 بسوسك : ۱۹۴
 البشير الثالث : ۱۷۸
 البطالسة : ۴۰۴
 بطاي : ۲۶۷
 بطرس پاتريكيوس : ۶۲
 ابن البطريق : ۳۳۶ ، ۴۶۹

پروکوپ : ۶۲ ، ۶۳ ، ۱۰۲ ، ۳۳ ،
۲۷۹ ، ۹۴ ، ۳۲۳ ، ۳۱ ،
۳۲ ، ۳۴ ، ۳۶ ، ۴۰ ، ۴۱ ،
۴۶ ، ۵۳ ، ۶۲ ، ۶۳ ، ۶۶ ،
۶۷ ، ۹۳ ، ۴۹۲ ، ۵۰۱

پروکلیس : ۳۴۱

پرویز (کسری الثاني) : ۲ ، ۴۸ ،
۵۰ ، ۶۳ ، ۶۹ ، ۱۰۷ ، ۱۱ ،
۱۳ ، ۵۶ ، ۳۸۹ ، ۴۲۵ — ۷۷ ،
۷۸ — ۸۱ ، ۸۳ ، ۸۵ ، ۹۹

پرینک : ۱۴۶

پریسکوس : ۶۲

پریوک : ۴۳۰

پلوتارک : ۷ ، ۱۴

پلوتسکی : ۵۰۸

پناه خ. مرو : ۲۶۱ ، ۴۹۹

پهک : ۱۰۶

پهلبد : انظر باربد

پهلو : ۹۰ ، ۹۱

پهلوی : ۳ ، ۶ ، ۸ ، ۲۴۸ ، ۳۲۴ ،

۵۳ ، ۷۷ ، ۴۱۱ ، ۱۳ ، ۱۴ ،

۹۵ ، ۵۰۳

پهلیزک : ۲۰۹

پوپ : ۵۱۰

پوساک (پوسیک) : ۲۳۸

پوس فرخ : ۴۷۹

پوسان وه آزاد مردان : ۴۳

پوسان وه برز آدم : ۴۳

پولار : ۸۸

پولس پرسا : ۱۲ ، ۱۴

پولس پیترز : ۶۸

پولن میترا : ۱۴۷

پوتیون : ۱۴۵

پیتون (پتیون) : ۲۷۵ ، ۹۸ ، ۳۷۲

پیران گشنسپ : ۹۲

پیر گشنسپ : ۲۹۸ ، ۴۲۷

بهرام الرابع : ۵۰ ، ۸۹ ، ۱۹۶ ،
۲۴۰ ، ۴۱ ، ۵۵

بهرام الخامس (گور) : ۸۹ ، ۱۰۱ ،

۶ ، ۱۱ ، ۱۲ ، ۱۴ ، ۲۸ ،

۵۲ ، ۵۶ ، ۲۴۱ ، ۴۵ ، ۵۰ ،

۵۶ ، ۶۰ ، ۶۱ ، ۶۳ ، ۶۵ — ۶۸ ،

۹۶ ، ۳۸۴ ، ۸۹ ، ۹۰ ، ۴۰۱ ،

۸۸ ، ۹۲

بهرام چوین : ۵۶ ، ۹۲ ، ۱۵۶ ،

۳۱۰ ، ۴۲۵ ، ۲۷ ، ۲۸ ، ۳۰ ،

۳۲ ، ۳۵ ، ۵۸ ، ۷۹ ، ۸۶ ،

۹۲ ، ۹۳

بهن : ۱۵۹

بوران : ۴۷۸ ، ۴۷۹

بویه : ۳۴۰

بیدخت : ۴۸ ، ۵۰ ، ۱۴۶

بیدوخ : ۴۷ ، ۵۹ ، ۶۰ ، ۱۴۶

بیل : ۲۳ ، ۳۱ ، ۱۴۷ ، ۴۸

بیا : ۱۸۷

بیوراسب : ۱۶۵

(پ)

پاپ : ۲۲۸ ، ۲۹ ، ۳۹ ، ۴۸ ، ۳۵۷

پاپایر الکلوی : ۲۵۳

پابگ (پابگان) : ۴۵ ، ۷۲ ، ۷۴ ،

۸۰ ، ۱۰۵

پاروپایزاد : ۱۲۶

پاسکال : ۶۳

پاقوریا : ۴۹۱

پالیاو : ۵۰۶

پتکانیان : ۶۷

آلبرت : ۷۹

پرتو فرخار : ۴۶۶

پرداتا : ۱۰۴

الپرسیون : ۲۴۲

پیرک مهران : ۲۶۱

پیروزان : ۴۸۶

پیشدادین : ۶۰ ، ۱۲۲

پیکارگرد : ۴۶۶

(ت)

تاسیت : ۷ ، ۱۵

تاقادیا : ۱۱ ، ۹ ، ۵۰۷

تالبوت ریس : ۵۰۸

تجران : ۱۱

التخار : ۳۴ ، ۱۸ ، ۱۷

تخمورب : ۱۵۴

تدسکو : ۴۴ ، ۴۹۶

تراجان : ۱۵

تریلوس پولیو : ۶۱

ترسیتس : ۴۱۲

الترك : ۱۶ ، ۵۳ ، ۱۱۷ ، ۲۶۶ ،

، ۳۰۳ ، ۴۸ ، ۵۸ ، ۶۴ ، ۴۰۰ ،

۲۶ ، ۳۱ ، ۸۹

تموتاتس المرجی : ۶۹

التمورین : ۳۳۳ ، ۳۷

التناسخ : ۱۸۱ ، ۸۲ ، ۸۷

تنسر : ۳ ، ۴۹ ، ۵۱ ، ۵۳ ، ۵۴ ،

، ۵۸ ، ۸۸ ، ۱۰۷ ، ۳۰ ، ۳۱ ،

، ۵۷ ، ۲۵۰ ، ۹۰ ، ۳۰۴ ، ۱۶ ،

، ۴۳ ، ۴۹ ، ۵۶ ، ۵۷ ، ۶۱ ،

۶۲ ، ۴۱۸ ، ۹۹

تنشاپور : ۱۳۳

تنوخ : ۲۶۱

تهم خسرو : ۳۹۴

تهم سابور : ۲۲۶ ، ۳۹۴

تهم هرمزد : ۳۹۴

تهم یزگرد : ۳۹۱

توماس : ۱۷ ، ۲۵ ، ۳۷

توماس أروستونی : ۶۶

توین هیانج : ۱۹۰

قیامت : ۸۳

قیر : ۱۴۸ ، ۵۹ ، ۶۰ ، ۶۳

قیرد نبد : ۴۴۵

قیربدات (تردات) : ۱۰ ، ۱۱ ، ۶۴ ،

۲۵ ، ۷۲۳

قیشتريا : ۲۴ ، ۱۵۹ ، ۲۴۰

قیجوتنه : ۳۴۴

قیودور : ۱۱۶ ، ۴۶

قیودور برکنائی : ۷۰ ، ۱۴۰ ، ۴۲ ،

۴۵ ، ۸۹ ، ۲۹۲

قیودور (أسقف کرخا) : ۶۲

قیودور المصبی : ۱۳۹

قیودور موپسوسنی : ۶۷

قیودوروت : ۲۵۸

قیودوس : ۲۵۶ ، ۶۷

قیوفان : ۶۳ ، ۳۳۹ ، ۴۴ ، ۴۹ ،

۵۱ ، ۷۵

قیوفیلاکت : ۹۳ ، ۹۵ ، ۱۴۷ ، ۳۸۲ ،

۴۲۷ ، ۲۸

قیوفیلاکت سیموکاتا : ۶۳

(ث)

الثعالبی : ۴۹ ، ۵۶ ، ۵۷ ، ۵۸ ، ۱۲۲ ،

، ۳۳۱ ، ۶۳ ، ۶۶ ، ۴۳۵ ، ۴۵ ،

، ۴۶ ، ۴۷ ، ۴۹ ، ۵۵ ، ۵۶ ،

، ۵۸ ، ۵۹ ، ۶۵ ، ۶۶ ، ۸۴ ،

۸۵ ، ۸۸

ثوآشه : ۱۴۴

(ج)

جائلیق : ۲۶ ، ۲۵۷ ، ۴۱۰ ، ۳۰ ،

۷۰

الملاحظ : ۵۰ ، ۵۹ ، ۱۶۲ ، ۳۵۳ ،

۶۴ ، ۸۵ ، ۸۶ ، ۸۷

(ج)

چینوت : ۱۳۷
چوقین : ۱۱۹
چهرداد : ۱۴۶

(ح)

حارث بن عمرو : ۳۴۴
الحسین بن علی : ۴۸۹
حمد الله مستوفی القزوينی : ۵۷
حایة بنت بهمن : ۱۵۰
حزة الإصفهانی : ۴۶ ، ۴۷ ، ۴۹ ، ۵۴ ،
۵۶ ، ۵۸ ، ۲۶۱ ، ۳۳۳ ، ۵۷ ،
۴۸۵
حنا : ۲۵۴
الحنايون : ۴۷۰
حوا : ۱۷۷
ابن حوقل : ۵۹ ، ۹۷

(خ)

خافان : ۱۵۶ ، ۴۸۶
خالد الفیاض : ۴۴۵
ختلان شاه : ۴۸۲
ابن خرداذبة : ۵۹ ، ۳۶۷
خسرو (أنو شروان) : ۱۵۶ ، ۲۴۱ ،
۳۱۲ ، ۴۳۸ ، ۷۸ ، ۸۲ ، ۹۹
خسرو الثاني : ۱۳
خسروانی : ۴۳۹ ، ۶۶
خسروشادهریزد : ۱۰۵
خسرو شنوم : ۳۹۴
خسرو بن ورزداث : ۲۴۱
خسرو یزدگرد : ۱۰۱
خشترا ویریا : ۲۰ الخشاب : ۱۲۱ ، ۲۳ ، ۲۵۰ .
خشیا رشای : ۱۹۹
خشایشه دمیونام : ۶

جاک : ۲۹۷

جاکسون : ۱۵۵ — ۸۲ ، ۵۸

جالیر یوس : ۲۲۳

جالینوس : ۲۱۳

جاماسپ : ۳۰۲ ، ۳۳ ، ۳۴ ، ۳۶ ،

۴۳

جان اوسپار : ۱۹۸

جان کریستوم : ۳۸۱

جبل : ۱۱

جبله بن سالم : ۵۶

جروجا سیوس : ۲۳۸

جرومبائس : ۳۳ ، ۳۲ ، ۳۳۰

جریجوار : ۴۷۰

جستفیان : ۶۳ ، ۱۱۳ ، ۲۰ ، ۳۵۹ ،

۸۰ ، ۶۳

جستین : ۳۴۰ ، ۴۱

جشن یزداد : ۳۰۴

جلیسکاس : ۶۳

جنیل : ۲۲۷

جوانی : ۳۸۴

ابن الجوزی : ۵۹

جوتهچهر : ۷۴ ، ۱۳۷

جوتشر : ۱۱

جوتشمد : ۱۶۱

جورج : ۴۷۱

جورچین : ۳۴۲

جورم : ۴۴۵

جوفیان : ۲۲۷

جوقین : ۲۲۹

جولیان : ۱۹۹ ، ۲۲۵ ، ۲۷

جویدی : ۷۳ ، ۷۶ ، ۷۷

جیرجس : ۴۹۹

الجیلیون : ۱۹۹ ، ۲۱۷

جیورجیس : ۴۱۹

- الخوارزمي : ۵۹ ، ۱۰۷ ، ۱۲۴ ، ۴۸۴ ،
 الخوارزميون : ۲۰۹
 خوار : ۱۳۵ ، ۴۸۹
 ابن خلدون : ۳۹۳ ، ۴۸۵
 خواذی بوددیر : ۴۳
 خور : ۱۳۳
 خور خشایته : ۱۳۳
 خور داد : ۱۴۸ ، ۵۹
 خورگان : ۳۲۳
 خوش آرزو : ۴۶۰ ، ۶۴
 خوشبزرگ : ۱۴۳
 خویث ودنه : ۳۰۹
 خویثك دس : ۱۰ ، ۱۱ ، ۳۰۹
- (د)
- داذ آفرید : ۴۶۶
 داذ بنده : ۱۲۳
 داذ فرخ : ۴۳
 داذ هرمز : ۳۴۵
 داذوه (دذو) : ۱۴۸ ، ۴۹ ، ۶۰
 داذیشوع : ۲۶۷ ، ۶۸
 دار (آلة موسيقية) : ۱۳۹
 دارا (داریوس) : ۴ ، ۵ ، ۶ ، ۸۴ ،
 ۱۱۵ ، ۵۷ ، ۹۶ ، ۹۹ ، ۴۲۸
 دار مستتر : ۳ ، ۵۱ ، ۵۲ ، ۵۳ ، ۲۵۰
 داریا و (انظرا دارا) : ۷۲
 الدانق : ۴۰
 داهر : ۴۸۶
 دبیق : ۴۵۵
 دذو : ۱۴۸
 درست دینان : ۳۲۴ ، ۲۶
 درستمت : ۲۹۳ ، ۹۴
 درفش گویان : ۲۰۲ ، ۴۴۶ ، ۷۸ ،
 ۸۳ ، ۸۴
 الدرهم الساسانی : ۴۰ ، ۴۱
- الدرهم الأشكافي : ۴۰
 الدرهم الفينيقي : ۴۰
 دكسيوس الأفيني : ۶۱
 دما سكيوس : ۴۱۲
 دماوند : ۹۳
 دوسر : ۲۶۱
 دمنها : ۶۹
 ابن ديسان : ۲۷ ، ۱۷۲ ، ۷۹ ، ۳۱۰
 الديصانية : ۱۸۷ ، ۲۵۴
 الدينار : ۴۰
 ديمتريوس : ۱۶
 دين : ۱۴۸
 دينك : ۲۷۵
 الدينوري : ۵۶ ، ۵۸ ، ۲۶۱ ، ۳۷۱ ،
 ۴۹۹ ، ۵۰۰ ، ۱۰۰
 ديوا : ۱۹ ، ۲۰
 ديوجين : ۴۱۳
 دبودوتس : ۱۶
 ديوكستين : ۶۱ ، ۱۱۶ ، ۳۲۴ ، ۴۶۱
 ديولافوا : ۷۸ ، ۲۱۹
 ديون : ۸۴
 ديون كاسيوس : ۶۰
- (ذ)
- ذو الأكتاف (انظر سابور الثاني) :
 ۲۲۴
- (ر)
- راذ — هرمزد : ۴۳
 رأس الجالوت : ۲۴ ، ۲۵۸ ، ۷۲
 رام : ۱۴۸
 رام أفزوديزدگرد : ۳۹۵
 راولنسون : ۳۷ ، ۲۱۹
 ربولا : ۳۰۰

زردشت : ۱۹ ، ۲۰ ، ۲۱ ، ۲۲ ،
 ۲۶ ، ۵۱ ، ۵۷ ، ۱۰۴ ، ۱۳۰ ،
 — ۱۶۸ ، ۷۲ ، ۸۰ ، ۲۰۶ ،
 ۳۳ ، ۴۵ ، ۵۱ ، ۵۵ ، ۵۸ ،
 ۵۹ ، ۶۴ ، ۶۷ ، ۷۰ ، ۷۶ ،
 ۸۱ ، ۹۱ ، ۹۹ ، ۳۰۷ ، ۹ ،
 ۱۰ ، ۱۱ ، ۱۷ ، ۲۳ ، ۲۴ ،
 ۲۵ ، ۳۴ ، ۴۱ ، ۴۲ ، ۴۵ ،
 ۴۸ ، ۹۶ ، ۹۸ ، ۴۰۲ ، ۵ ،
 ۶ ، ۱۰ ، ۱۵ ، ۱۸ ، ۲۰ ،
 ۶۹ ، ۷۲ ، ۷۳ ، ۹۱ ، ۹۵ ،
 ۹۷

زردشت بن آذرباد : ۴۴

زردشت بن خورگان : ۳۲۳

زرمهر : ۲۸۰ ، ۸۱ ، ۸۲ ، ۳۲۲ ،
 ۳۴ ، ۵۰۰

زرننگ : ۱۷ ، ۲۹ ، ۱۲۷

زروان : ۲۲ ، ۲۳ ، ۱۳۸ — ۴۷ ،
 ۵۰ ، ۳۱۲ ، ۶۶ ، ۴۱۹ ، ۲۰۰

۲۲

زروان انگارنگ : ۱۴۳ ، ۱۴۹

زروان داذ : ۴۳ ، ۱۰۷ ، ۶۴ ، ۶۶

زروان دادان : ۲۶۴

زروان دیرنگ خوزای : ۱۴۳

زروانی : ۱۴۴ ، ۴۶ ، ۴۷

زروانیه : ۶۲ ، ۱۳۸ ، ۳۹ ، ۴۴

زروکار : ۱۴۲

زم : ۳۴۰ ، ۶۵

زب : ۴۶۹

زنج : ۴۶۴

زوتبرج : ۵۷

زوسیوس : ۶۲

زوناراس : ۶۳

زیک : ۹۱

زینوب : ۶۵

زینون : ۲۷۸ ، ۸۳

رستم : ۳۱۲ ، ۴۷۸ ، ۸۰ ، ۸۱ ،
 ۸۳

ابن رسته : ۴۳۸

رسك أرسند : ۳

رشید یاسیمی : ۲۹۲

رفائیل : ۱۸۰

رودکی : ۴۱۴

روذشتین : ۲۲۴ ، ۳۹۶

روزن : ۴۶ ، ۴۸

رشن : ۱۴۸

الروس : ۴۵۶

روستوفرزف : ۵۰۸

روشن : ۴۱

روفینوس : ۶۱

رهام : ۲۷۶

الروم : ۲ ، ۶۲ ، ۱۱۳ ، ۱۵ ، ۹۹ ،

۲۷ ، ۲۱۷ — ۲۹ ، ۸۴ ، ۳۰۵ ،

۳۷ ، ۵۷ ، ۵۸ ، ۶۱ ، ۸۰ ،

۹۶ ، ۴۵ ، ۲۸ ، ۳۵ ، ۶۹ ، ۷۶ ،

الرومان : ۹ ، ۲۳ ، ۲۷ ، ۲۹ ، ۴۰ ،

۶۱ ، ۶۴ ، ۸۲ ، ۸۴ ، ۱۱۵ ،

۱۶ ، ۱۷ ، ۸۵ ، ۹۷ ، ۲۰۸ ،

۱۰ ، ۱۵ ، ۲۳ ، ۲۶ — ۳۰ ،

۳۳ ، ۳۵ ، ۳۷ ، ۳۸ ، ۴۱ ،

۵۴ ، ۶۷ ، ۳۴۱ ، ۴۴ ، ۵۴ ،

۴۰۳ ، ۹۱ ، ۹۲

رینو : ۲۲ ، ۱۱۶

(ز)

زادان فرخ : ۴۳۳ ، ۷۹

زادویه : ۴۷ ، ۴۸۰

زامداد : ۱۴۸

زایدان خسرو : ۳۹۴

الزباء : ۲۰۰ ، ۲۱۵

زبرقان : ۳۶۶

زجوك : ۱۶۲

ساميكة : ٣٩٩
 سافاسار : ١١
 سان توم : ٣٥
 سان توماس : ٢٥
 سان جريجوار : ٦٤
 سان سرج : ٣٧٢
 سانت ماوى : ٣٧٢
 سان ترسيس : ٣٧٢ ، ٦٥
 سان تركس : ٣٧٢
 سانسكريفية : ٤١٣ ، ٣١ ، ٣٠
 سبزاندرسبز : ٤٦٦
 سميتامينو : ٢٠
 سمپندباد : ٩٢ ، ٩٠
 سمپندرامند : ١٤٨
 سترابون : ٩
 ستيليت : ٦٧ ، ١٢٠ ، ٣٣١ — ٣٤ ، ٣٦
 السجزيون : ١٨ ، ١٧
 السائق (سادگ) : ١٦٥ ، ٦٦
 سرجون : ٢٧٩
 سرجيوس : ٦٣ ، ٤٧٠
 سمرساوغ : ١٥٤
 سرکش : ٦٥ ، ٦٦ ، ٤٤٧
 سمرت : ١٨
 سروس : ١٤٨
 السريان : ١١٩ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٢٤٥ ، ٧٥ ، ٨٥ ، ٩٨ ، ٣٠٨ ، ٥٤ ، ٧١ ، ٤٠٤ ، ١١ ، ١٤ ، ٣٤ ، ٩٧ ، ٩٥
 سعد الدين وراويني : ٥٩ ، ٣٠٣
 سعد بن أبي وقاص : ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦
 سعيد بن البطريق : ٥٦ ، ٥٨
 سعيد قيسي : ١٠
 سفير الأنطاكي : ٧٠
 سقراط سكولا ستيكوس : ٦٢
 سلر : ٣٤٠

زيوس : ٢٣ ، ٨٠ ، ١٤٦
 زيوس اوهرمزد : ١٤٧

(س)

سابها : ١٤٦ ، ٤٧ ، ٣٠٤
 سابور الأول : ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١١٥ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٤ — ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ٢٠٨ — ٢١٥ ، ١٧ ، ٣٥٤ ، ٨٢
 سابور الثاني : ٢ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٨٨ ، ١٠٥ ، ٦ ، ١٥ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٩٦ ، ٢٢٤ — ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ — ٤٣ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٣٥٤ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٤٣٩
 سابور الثالث : ٣٩ ، ٥٠ ، ٩٧ ، ١٩٦
 سابور مهران : ٣٢٢ ، ٢٣
 سابور بن يزدگرد الأول : ٢٦٠ ، ٦١
 ساجا نشاه : ٢١٨
 الساجية : ١٧ ، ٣٤ ، ٨٨ ، ١٢٦ ، ٩٩ ، ٢١٧ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ١٥٤ ، ١٨٢
 سار : ٧٧ ، ٧٨ ، ٢١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٥٤ ، ٦١
 سار يكلوية : ٣٤
 ساسان : ٣٠ — ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٠ — ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩
 ٥٦ ، ٥٥ ، ٥١
 الساسانيون : في أغلب صفحات الكتاب

شاد شاهپور : ۷۵
 شاوگ : ۴۳۰
 شاهپور : ۳۱۲ ، ۵۹ ، ۲۱۴
 شاهپور الرازی : ۲۸۰
 شاه : ۷۳ ، ۸۸ ، ۱۲۶ ، ۵۰۰ ، ۲
 شاهجانی : ۴۵۵
 شاهرام فیروز : ۳۵۴
 شاهین : ۴۳۱
 شبدیز : ۶۸ ، ۴۶ ، ۴۴۴
 شبتین : ۲ ، ۱۸ ، ۳۱ ، ۳۳۷ ، ۵۳ ،
 ۵۴ ، ۴۹۹ ، ۵۰۰ ، ۱
 الشطرنج : ۴۰۱ ، ۱۳ ، ۴۸ ، ۵۴ ،
 ۶۹
 الشطوی : ۴۵۵
 شمش : ۲۳ ، ۱۳۲ ، ۳۳ ، ۵۰
 شمل : ۴۷۵ — ۷۷ ، ۷۹
 الشهباء : ۲۶۱
 شهرام فیروز : ۳۵۴
 شهر بانو : ۴۸۸ ، ۸۹
 الشهرستانی : ۶۰ ، ۱۴۱ ، ۴۲ ، ۵۸ ،
 ۳۲۷ ، ۲۸ ، ۴۲۲
 شهروراز (شهر براز) : ۴۳۱ ، ۳۵ ،
 ۳۶ ، ۷۴ ، ۷۸ ، ۷۹
 شهریار : ۴۷۵ ، ۸۰
 شهرین : ۳۰۴
 شهرپور : ۱۴۸ ، ۵۹ ، ۶۰ ، ۶۳
 شوشین دخت : ۲۵۸
 شیر : ۲۷ ، ۲۹ ، ۳۵ ، ۴۱ ، ۴۲ ،
 ۴۷ ، ۷۱ ، ۷۹ ، ۵۰۶ ، ۷
 شیرویه : ۴۲۵ ، ۷۵ — ۷۸
 شیرین : ۴۲۹ ، ۳۴ ، ۳۸ ، ۴۶ ، ۵۸ ،
 ۵۹ ، ۶۹ ، ۷۰ ، ۷۲ ، ۷۴
 ۷۵

(ص)

الصائبة : ۲۹

سلمان پاک : ۳۶۶
 السلوکیون : ۵ ، ۷۲ ، ۱۵۱
 سلیمان بن داود : ۱۵۵
 سمیات باگرتونی : ۴۳۱
 سمیلیسیوس : ۴۱۲
 السمنانیة : ۳۲
 سنتروک : ۱۳
 سنجیبو : ۳۵۸
 سنجار : ۴۴۴
 سولیکوس سفیرس : ۶۲
 سوتر : ۲۸
 سوخرا : ۹۲ ، ۵۰۰
 سوروا : ۲۴
 سورین : ۷ ، ۹ ، ۱۰ ، ۱۴ ، ۱۷ ،
 ۹۰ ، ۹۱ ، ۹۲ ، ۹۵ ، ۱۱۹ ،
 ۲۲۹ ، ۷۵ ، ۳۴۱
 سورین پهل : ۱۰۱
 سوزمین : ۶۲
 سوشینس : ۴۱ ، ۱۷۷
 سوفرا : ۲۸۰
 سیاوش : ۴۳ ، ۱۱۹ ، ۲۰ ، ۳۱۲ ،
 ۳۴ ، ۳۵ ، ۴۱ ، ۴۲ ، ۸۶
 سیاوش بن کیکاوس : ۲۸۹
 سیبوس : ۶۶ ، ۴۵۷ ، ۷۵
 السیت : ۱۴ ، ۱۷ ، ۱۸ ، ۱۲۶ ،
 ۲۰۴
 سید مرتضی : ۶۰
 سیرسور : ۱۶۵
 سیس (سیسین) : ۱۸۹
 سیلمان : ۳۲ ، ۴۶۸
 سیمون برصبعی : ۱۳۲ ، ۲۵۴
 سینکلاوس : ۶۳

(ش)

شاپور : أنظر سابور

شاد : ۴۸۲

العرب : ١ ، ٨ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ،
٥٦ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١٠٧ ، ١٦ ،
٥١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٢٢٥ ، ٥٦ ،
٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٨٠ ،
٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
٦١ ، ٦٨ ، ٤٢٥ ، ٢٩ ، ٣٧ ،
٤٤ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٨٣ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٣ ،

٩٧ عزام : ١٢٣

على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) :
٤٨٩

عمر بن الخطاب (أمير المؤمنين) : ٤٨٠ ،
٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦

عمر الحيام : ٢٦٨

عمرو بن عدى : ١٩٠

عوفى : ٤٩ ، ٤٦٦

عيسى (عليه السلام) : ١٧٢ ، ٧٧ ،
٧٨ ، ٨١

عيشويحت : ٤٤ ، ٣٠٨ ، ٢٠

عيشوسبرن : ٤٩٧

عيشويه : ٤٢٦ ، ٣٠

عيشويه الأديابني : ٤٩٧

(غ)

غبار : ٤٤٨

الغساسنة : ٧٢ ، ٨٢ ، ٣٥٧

الغنوص (١) : ٢٨ ، ٢٩

الغنوصية (٢) : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٧٠ ،

١٤٣ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٨ ،

٢٥٤ ، ٩٩ ، ٤١٥

(١) ذكرت في الترجمة خطأ باسم

الغنوس .

(٢) ذكرت في الترجمة خطأ باسم

الغنوستيكية .

صبر يشوع : ٦٩ ، ٤٣٠ ، ٧٠

الصدوقيين : ٢٩٩

الصدقيون : ١٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٢ ،
٩٤

الصدقات : ١٩٣

صفاءلشاه : ٨٩

الصغدية : ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ١٧٥ ،
٨١ ، ٨٩ ، ٩٠

الصفوية (القصور) : ٤٣٩

الصلبيون : ٢٤٤

الصلبيون : ١١٧

(ض)

الصحاك : ١٦٥ ، ٢٠٢ ، ٤٨٣

ضرار بن الخطاب : ٤٨٥

(ط)

الطبرى : ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٨ ،

٦٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩١ ،

٩٢ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ٧ ، ١٥ ،

٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٥٦ ، ٦٠ ،

٦٥ ، ٦٩ ، ٣٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٣١ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٦ ،

٥٧ ، ٦٥ ، ٨٤ ، ٤٠١ ، ٢٥ ،

٣٢ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٧٣ ، ٧٧ ،

٧٩ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٩٩

(ظ)

ظاهر الدين المرعشى : ٦٠

(ع)

عباس لإقبال : ٥٠٧

العباسيون : ٣٧٧

عبدا : ٢٥٨

عبد يشوع : ٢٩٧

٧٩، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ٩١،
٩٣، ٩٦، ٩٧

فرعون : ٤٣٤
فرندزم : ٢٢٧
فرسوانو : ٤٩٥
فرهاد : ٤٥٨
فردريك الثانى : ٣٦١
فرور شيكان : ١٦٢
فروردين : ٦٠، ٥٩، ١٤٨
فريدون : ١٦٥
ابن الفقيه : ٥٩، ٤٤٤، ٥٤
فلانسان : ٢٠٣، ٢١٤
فلاقيوس فيلوستراتوس : ١٥، ١٦
فلاقيوس فويسكس : ١٦، ٤٦١
فلوجل : ٢٩
فهلند : انظر باربد (پهلبد)
فوتيسوس : ٦٢، ١٣٩
فوكاس : ٤٣٠
فيروز الأول : ٦٦، ٨٩، ١١٣، ١٤،
٨٤ — ٨٦، ٢١٧، ٣٥، ٤٥،
٥٠، ٦٨، ٧٥ — ٨٣، ٣٢١،
٣٣، ٣٥، ٣٨، ٨٢
فيروز الثانى : ٤٧٨
فيروز بن يزدگرد : ٤٨٨، ٥٠١
فيليب العربى : ٢٠٩

(ف)

فالنتين : ٢٧
فلاتينيون (١) : ٢٨، ٢٥٤

(ق)

قابوس : ٥٤

(١) وردت خطأ ولتبتين فى س ٢٥٤ .

(ف)

فاطمة : ٤٨٩
فاتك : ١٧١
فاوستوس : ١٢، ١٣، ٦٥، ٩٣،
١١٩، ٢٢٨، ٩٣، ٩٤
أبو الفداء : ٥٧، ٣٠٥، ٦١
فرخ : ٤١
ابن فرخ : ٤٧٩
فرخان روميزان : ٧٦، ٤٣١، ٥٠١
(المشهور بفرخان شهر براز)
فرخان زاد (فرخ زاد) : ٤٣٣، ٧٢،
٧٨
فرخان شهر براز : ٤٣١، ٧٨
فرخ زاد خسرو : ٤٨٠
فرخ زروان : ٤٣
فرخ شاد : ٣٩٩
فرخ شاهپور : ١٠٥
فرخ مراد : ٤٣
فرخ هرمزد : ٤٧٩، ٨١
الفردوسى : ٤٦، ٤٨، ٥٦ — ٥٨،
١٢٢، ٤٦، ٦٢، ٩١، ٢٠١،
٦٨، ٣٠٥، ٣١، ٣٦، ٥٧،
٦٦، ٤٤٧، ٥٨، ٦٥، ٦٦،
٨٤
الفرس : ١٠، ٢٢، ٤٤، ٤٦، ٤٨،
٥٤، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٦٧،
٨٢، ١١٣، ١٥، ١٧، ٥٠،
٥٦، ٦٢، ٦٥، ٩٧، ٢٢٥،
٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٤٥،
٥٤، ٥٦، ٦١، ٦٤، ٦٦،
٧٠، ٨١، ٨٤، ٩٤، ٣٢٣،
٢٦، ٣٣، ٤١، ٥٣، ٥٩،
٦٨، ٩١، ٤٠١، ١٠، ٢٥،
٢٩، ٣١، ٣٥، ٣٧، ٤٤،
٤٦، ٤٧، ٦٦، ٧٤، ٧٦،

كاوي ويشناسپ : ١٠٤
 كداره : ٢٧٣
 الكندارية (الكندارين) : ٧٣ — ٧٥ ،
 ٧٩ ، ٧٨
 كراسوس : ٣٥ ، ١٤ ، ٧
 كرامس : ٥٠٩
 كردية : ٣١٠ ، ٢٥٣
 كردير هرمزد : ٣٨
 كردير : ٣١٠ ، ٢٥٣
 كرمانشاه : ٢٤١ ، ٨٩
 كرونوس : ١٤٦
 كرونوس امپروس : ٤٧ ، ١٣٩
 كسرى الأول : انظر أنوشروان
 كسرى الثاني : انظر پرويز
 كسرى الثالث : ٧٩ ، ٤٧٨
 كسرى الرابع : ٤٣٩
 كسرى : ٤٨٣
 كسرى (من أبناء يزدگرد) : ٤٨٩
 كسرى (أمير من فرع بعيد) : ٢٦٦
 كسلر : ١٨٥
 الكلدانيون : ١٧٥
 كلبيان : ٦٤
 كليوا (كأس) : ٤٥٠
 كنوز دنيت : ٤٤٥
 الكنوز السبعة : ٤٤٧
 كنيسكا : ١٨
 كوجوله كادفريس : ١٨
 كودايس هودراس ثنوسى : ٣٢٤
 كوروش : ٤٩١ ، ٨٣ ، ٤٠ ، ٤
 كوست : ٢١٤
 كوشانشاه : ٢١٧ ، ١٨٦ ، ٧٧ ، ٤٠ ، ٤
 الكوشانيين : ٢١٧ ، ٧٧ ، ١٨ ،
 ٣١ ، ٤٣٠ ، ٧٣ ، ٢٨
 كوشان بقطريان : ١٩٩
 كوم : ٢٣ ، ٢٢
 كنجس : ٧٩ ، ٢٨٨

(٣٤ — السامانية)

البادشيون : ٣٣٣ — ٣٧
 فارن : ٧ ، ٩ ، ٩٠ ، ٢٨٠
 قباد الأول : ٥٦ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٤٤ ، ٢ ،
 ١٢٠ ، ٩٦ ، ٦٧ ، ٦٢ ، ٥٨
 ٢٥ ، ٢٢ ، ٣٠٢ ، ٨٢ ، ٢٧٠
 ٤١ ، ٣٩ — ٣٧ ، ٣٥ — ٣١
 ٩٦ ، ٥٠ ، ٤٦ — ٤٤ ، ٤٢
 ٢ ، ١ ، ٥٠٠ ، ٩٩ ، ٤٧٤
 قباد الثاني : ٧٨ ، ٤٧٥
 قباد بن زم : ٣٦٦
 قباد (الأمير) : ٤٧٩
 ابن قتيبة : ١٠٨ ، ٥٦ ، ٥٠ ، ٤٩ ،
 ٢٠٧
 قحمان : ٤٨٩
 قسطنطين : ٣٣٣ ، ٥٤ ، ٢٢٥ ، ٦١
 قطوس : ٤٤٤
 قبيز : ٥
 القوط : ١٨
 قيصر : ٢٥٤

(ك)

كابل شاه : ٤٨٢
 كاوسكن : ٩٣
 كاتياور : ١٢٧
 كادفريس : ١٨
 الكادوسيون : ١٩٩
 كاردار (كارداران) : ٢٦٦ ، ٢٦٤
 كاردار : ١٢٠
 كردير هرمز : ٣٨
 كاروس : ٢١٧
 كاساراتلى : ١٢ ، ٤٠٧
 كاؤس : ٥٤
 كاوك : ٤٨٣ ، ٢٠٢
 كاووس : ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٠ ، ٣٣٩ ،
 ٦٥ ، ٤٧

گوگشسپ : ۴۱
گوگمی : ۱۴۶
گوماننا : اظار جوماننا
گونراپ : ۱۴۶
گیومرمد ، گیومرتن ، گیهرمرمد : ۲۸ ،
۱۷۸ ، ۱۳۶

(ل)

لابور : ۲۵ ، ۲۴۵ ، ۸۵
لازار القرني : ۶۶ ، ۱۵۷ ، ۲۶۴ ،
۷۰ ، ۷۱ ، ۸۰ ، ۸۱
اللازین : ۳۵۸ ، ۶۳
لامی : ۶۸
اللات : ۱۸
لانجلوا : ۱۲ ، ۱۳ ، ۹۳ ، ۱۴۵
لکنانتیوس فرمیانوس : ۶۱ ، ۲۱۰
الاور : ۲۶۳
لیونس : ۱۳۳ ، ۲۷۴

(م)

محمد (النبي صلعم) : ۴۸۹
ماربها : ۶۹ ، ۱۳۹ ، ۴۵ ، ۳۱۰ ،
۴۱۰ ، ۱۱
مارسابها : ۲۹۹
مارکارت : ۵۴ ، ۶۶ ، ۱۵۸ ، ۳۳۹ ،
۴۷۳ ، ۵۰۶
مارکوس لیکنوس : ۱۴
ماروتا : ۲۵۶ ، ۵۸ ، ۸۴
ماریا : ۴۵۸ ، ۵۹ ، ۶۹ ، ۷۵
مالالاس : ۶۳ ، ۳۲۴ ، ۲۶ ، ۴۳ ، ۴۴
مانویل : ۱۲ ، ۳۹۳
مانویل الامیکونی : ۶۵ ، ۲۲۹
المانویة : ۲ ، ۶ ، ۲۹ ، ۳۲ — ۳۴ ،
۶۰ ، ۷۰ ، ۱۴۵ ، ۶۹ ، ۷۷ ،
۷۹ ، ۸۰ — ۸۲ ، ۸۴ — ۹۰ ،

کنده : ۳۴۴
الکوسج : ۱۶۴
کی آذر بوزید : ۴۱
الکیانیون : ۱۲۲ ، ۲۰۱
کیدربنوس : ۶۳ ، ۴۴۹
کیریادس : ۲۱۰ — ۱۲
کیلاکیس : ۲۳۹
کیکاروز : ۱۴۶
کیو : ۱۷۷ ، ۹۴
کین ایرج : ۴۶۷
کین سیاوخش : ۴۶۷
کیونیت : ۸۸ ، ۱۹۹ ، ۲۲۶ ، ۳۰ ،
۳۴ ، ۶۶ ، ۷۳

(گ)

گاہانبار : ۱۵۳ ، ۹۵
گرشاسپ : ۱۸۰
گشتاسپ : ۱۰۴
گشتاسپ بن لهراسپ : ۲۵۱
گشسپ : ۱۲۸
گشسپ آذار : ۱۱۱
گشسپ آذرویش : ۲۶۱ ، ۴۹۹
گشسپ اسپاذ : ۷۶ ، ۴۷۵
گشسپ داد : ۲۸۱ ، ۳۳۳ ، ۳۴ ،
۳۷
گشسپ فر : ۳۱۲
گشن یزداد (جشن یزداد) : ۳۰۴
گلون : ۳۳۲
گلوانازس : ۳۴۵
گمند شاپور : ۳۹۵
گنچ باد آورد (لمن) : ۴۶۸
گودرز : ۴۹۹
گوذهر : ۲۶۱
گوشی : ۱۴۸
گوکران : ۴۳۹

موشل : ۲۲۸ ، ۲۹ ، ۴۲۸
 مولار : ۱۸ ، ۳۲ ، ۳۴ ، ۳۵ ، ۵۰۶
 مونوفیزیت : ۲۷۷ ، ۷۸
 موئیس : ۱۷
 میترا : ۱۹ ، ۲۲ ، ۲۳ ، ۱۳۳ ، ۳۴
 ، ۴۵ ، ۴۶ ، ۴۷ ، ۴۹ ، ۵۰ ،
 ۵۹ ، ۷۴ ، ۷۵ ، ۲۴۲ ، ۴۳
 میترا سزم : ۱۳۹
 میترا دات : ۱۴ ، ۱۷ ، ۳۵
 المیدین : ۴ ، ۵ ، ۱۴ ، ۲۲ ، ۹۲ ،
 ۱۰۵ ، ۵۸ ، ۲۰۹
 میذو گاه : ۴۱
 میرخوند : ۱۹۲
 میشل السریانی : ۶۷ — ۶۹
 میکائیل : ۱۸۰
 میناندر (میلیندا) : ۱۶ ، ۶۳
 سیه : ۳۴ ، ۴۹۶

(ن)

ناتون های ثیا : ۲۴
 ناسو : ۲۴
 الباسینیزین : ۲۷
 نامدار گشنسپ : ۴۷۸
 نبهو : ۱۴۷ ، ۴۸
 نبوختنصر : ۴۳۸
 نخوهر مزد : ۳۹۵
 نخویرک زاذویه : ۳۴۸
 ابن الندیم : ۱۶۹ ، ۵۰
 نرسائی (نیروسنج او نیروسنجا) : ۱۴۵ ،
 ۳۰۱ ، ۱۱
 نرسف : ۱۷۴
 نرسی (نرسه) : ۱۲ ، ۳۷ ، ۳۸ ،
 ۱۱۶ ، ۹۰ ، ۹۶ ، ۲۱۸ ، ۲۱ ،
 ۲۲ ، ۲۳ ، ۲۵ ، ۴۱ ، ۵۹ ،
 ۶۰ ، ۶۵ ، ۶۶ ، ۷۰ ، ۳۱۰ ،
 ۱۱

المنذر بن النعمان : ٩٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 المنذر الثالث : ٣٤٤ ، ٤٦
 منوچهر : ١٦٢ ، ٤٦٧
 منوچيترا : ٧٢ ، ١٠٤
 ميايانه (السفينة الكبيرة) : ٣٠
 مهر : ١٢٣ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
 ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٢٥٧ ، ٦٥ ،
 ٩٦
 مهر آگاويز : ١٠٦
 مهران : ٩٠ — ٩٢ ، ٩٥ ، ٢٢٧ ،
 ٧٩ ، ٣٩٦ ، ٤٩٩
 مهربابور : ٢٩٦ ، ٩٧
 مهربسيند : ٤٨ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٤٧٥
 مهربشاه : ١٨٤
 مهران گشنسپ : ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٤٧١ ،
 ٧٢
 مهربجان : ١١٣ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
 ٣٩١ ، ٩٣ ، ٩٨
 مهربداد : ٧
 مهربشاهپور : ١٠٦
 مهربگشنسپ : ٣٩٨
 مهربهروي : ١٢٠
 مهربنرسي : ٩٢ ، ١٠١ ، ٧ ، ١١ ،
 ٢٠ ، ٢٦١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
 ٣٩٤
 مهربنرسي بن ورزگك : ٢٦٤
 مهربوراز : ١٠٦
 مهربرمزد : ٤٣٤ ، ٧٧
 مهربيزد : ١٧٤ ، ٧٥
 مهربيشت : ٢٦٠ ، ٣٩٤
 مهورتا (مورتا) : ٤٨٢
 مودى : ٤٣
 موسونيانس : ٢٢٦
 موسى الحوريني : ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ٦٦
 موسى بن عيسى الكسروى : ٤٧
 موسى كالان اکتوس : ٦٧

نیرون : ۱۰
نیروستجا ، نیروسنج : انظر نرسائی
نیزک طرخان : ۴۸۲ ، ۸۸
نیکه (۱) : ۲۱۲ ، ۱۳ ، ۵۷ ، ۴۴۰
نیکفوروس : ۶۳
نیوشکان : ۱۸۲
نیو اردشیر : ۴۶۹
نیو خسرو : ۴۷۸
نیو سابور : ۳۴۵
نیو هرمزد : ۷۸ ، ۷۷ ، ۴۳۴

(ه)

هاشو : ۲۵۸
هخامنشیه : انظر أ كينية
هذهه پتا : ۱۵۳
هرتسبیلد : ۷ ، ۸ ، ۱۱ ، ۱۶ — ۱۸ ،
۳۷ — ۴۰ ، ۷۱ ، ۷۶ ، ۷۷ ،
۷۸ ، ۱۱۱ ، ۲۶ ، ۵۵ ، ۲۱۸ ،
۲۰ ، ۴۲ ، ۴۴ ، ۶۵ ، ۳۷۵ ،
۷۶ ، ۹۵ ، ۴۳۸ ، ۴۳ ، ۴۴ ،
۴۵ ، ۴۹ — ۵۱ ، ۵۴ ، ۵۶ ،
۵۰۷ ، ۹
هرقل : ۶۹ ، ۴۳۰ ، ۳۱ ، ۳۳ ،
۳۵ ، ۳۷ ، ۳۸ ، ۴۹ ، ۵۱ ،
۷۳ ، ۷۴ ، ۷۵ ، ۷۶
هرکیل : ۴۵۰
هرمزد : ۲۳ ، ۷۳ ، ۲۲۷ ، ۴۹
وانظر اهورامزدا
هرمزد الأول : ۳۸ ، ۸۹ ، ۱۸۶ ،
۹۶ ، ۲۱۵ ، ۱۷ ، ۷۰ ، ۴۳۸
هرمزد الثاني : ۱۹۰ ، ۹۶ ، ۲۲۲ ،
۲۳

(۱) کتبت خطأ نیسه فی الصفحات

۲۱۲ ، ۲۱۳ ، ۲۵۷

نرسی (نرسی) : ۲۲۸
نرسی برزهر : ۳۱۰
نرسیس : ۶۵ ، ۲۸۳ ، ۳۷۲
نرین (نیرم انه) : ۱۸۰
نزار : ۴۸۹
النزاریین : ۲۵۴
النساطرة : ۶۹ ، ۲۴۵ ، ۷۷ ، ۷۸ ،
۸۳ ، ۸۴ ، ۴۰۷ ، ۷۰ — ۷۳
النصارى : ۱ ، ۲۵ ، ۶۹ ، ۱۳۳ ،
۸۹ ، ۲۴۵ — ۳۰۱ ، ۹ ، ۶۲ ،
۷۲ ، ۴۰۴ ، ۱۱ ، ۱۵ ، ۲۵ ،
۳۴ ، ۷۰ ، ۷۲ ، ۷۳ ، ۸۸ ،
۹۱ ، ۹۷
نظام الملك : ۵۴ ، ۵۹ ، ۳۵۹ ، ۶۱ ،
۹۰
نظامی عروضی : ۱۲۲
نظامی گنجوی : ۴۶۶
النعمان الاخمى : ۲۶۰
النعمان الثاني : ۳۳۷ ، ۴۸۶
النعمان الثالث : ۳۹۶ ، ۴۳۵
ابن النعمان : ۲۶۱
نمراتیل : ۱۷۷
ننا (نائی) : ۱۴۷ ، ۴۸
نویای خسروانی (الطرائق الملوكية السبعة) :
۴۶۶
نوروز (نوگ روز) : ۱۱۳ ، ۶۲ ،
۶۳ ، ۶۷ ، ۲۸۷ ، ۳۹۱ ، ۹۳ ،
۹۸
نوروز بزرگ (الحن) : ۴۶۸
نوش لبنان (الحن) : ۴۶۸
نولدکه : ۴۶ ، ۴۸ ، ۵۷ ، ۵۸ ، ۶۳ ،
۷۱ ، ۷۶ ، ۹۱ ، ۹۲ ، ۱۰۱ ،
۲۵ ، ۲۷ ، ۲۹ ، ۶۱ ، ۲۶۰ ،
۳۳۱ ، ۴۴ ، ۴۱۴ ، ۷۶ ، ۹۹
نیرج : ۳۹ ، ۱۳۸ ، ۴۰ — ۴۴ ،
۴۶ — ۴۹ ، ۵۰۸

هيون تستانج : ٢٤ ، ٣١ ، ٧٠ ،
١١٤ ، ٣١١ ، ٤٠٠ ، ٥٥
هيلوس : ٢٣ ، ١٤٧

(و)

واتفرادات : ٧٣
الواخية : ٣٤
واذ : ١٤٨
وارونا : ١٩
والرين : ٦١ ، ١٩٦ ، ٢١٠ — ١٣ ،
١٥
واى : ١٤٤
وايو : ١٤٤
الوايوية : ١٤٤
وايه يا ورار : ٤٣
وتش : ١٣
وراز : ٣٧٨ ، ٤٨٢
وراز پيروز : ٣٩٥
وراز شاپور : ٣٩٤
ورزادت : ٢٢٩
ورام — شاپو : ٢٦٨
الورت : ١٩٩ ، ٢٣٤ ، ٣٥
وررغنا : ٢٣ ، ١٤٧ ، ٣١١
وردانشاه : ٤٨٢
وردت (اليزه) : ٦٥
ورهران : ١٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٩
وزك : ٢٧٤
وزيستا : ١٣٥
وست : ٤٩٧
وسترجارد : ٣٨
ون يوزيش : ٤٣٩
ولتش (ولا جاس) : انظر بلاش
ولرشك : ١٠ ، ١١ ، ١٢
وهب اللات : ٢١٥
وه پناه : ٤٣

هرمزد الثالث : ٨٩ ، ٢٧٥ ، ٧٦
هرمزد الرابع : ٥٣ ، ٦٨ ، ٣٠٦ ،
٦١ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٤٢٥ —
٥٠١ ، ٧٦ ، ٣٣ ، ٢٨
هرمزد الخامس : ٤٧٨ ، ٤٨٠
هرمزد (اربان) : ٦٩
هرمزدان : ٤٨٦
هرمزدجان : ٧٥ ، ٧٦
هرمزد دخت : ٣١٢
هرمس : ٢٣ ، ١٤٧
هرميس : ٤١٣
هرودين : ١٥ ، ٦١ ، ٨٤
هشام بن عبد الملك : ٥٤
هشام بن قاسم : ٤٧
هشام بن محمد : ٤٢٥
هشت ياد : ٤٦٩
هفتان بخت : ٨٣
هس پناثدي : ١٦٠
الهندسيث : ٢٣ ، ٣٤ ، ١٤٧
هوتسا : ٤٩٨
هوروات : ٢٠ ، ١٠٩
هوشنگ : ١٦٥
هوفان : ٢٥ ، ٩٢ ، ١٤٦ ، ٤٧ ، ٥٤
هوما : ١٤٦ ، ٥٣
هوميروس : ٤١٢
الهوت : ٢٠٠ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ،
٧٩ ، ٣٣٤ ، ٣٨
هونوريوس : ١١٦
الهياطلة : ٥٣ ، ٢٤٥ ، ٥٠ ، ٧٩ —
٨٣ ، ٣٣٤ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ٥٧ ،
٥٨ ، ٩٦ ، ٤٣١
هيوكامپ : ٤٣٣
هيرودوت : ٥ ، ٢٢ ، ٢٠٤ ، ٣٩٣
هيل : ١٥١
هيلو دور : ٢٥٥

وهرام بن کسری انوشروان : ۳۶۶

وهرام : ۴۳

وهرام شاه : ۴۳

وهریز : ۳۵۳ ، ۵۸ ، ۹۴

وهمن : ۱۴۸

وهو پرز : ۷۳

وهو فریانه : ۱۳۵

وهو منسه : ۲۰ ، ۱۵۹

ویدشاهپور : ۱۰۵

ویرین : ۲۳۱

ویستم : انظر بسطام

ویسندونک : ۱۸۲

ویسا کادفیزس : ۱۸

وین : ۴۶۴

ویه دین شاهپور : ۲۷۴

ویه مهر سابور : ۲۶۸

(ی)

یاقوت : ۵۹ ، ۴۰۳ ، ۵۴

یبلغو : ۴۸۲ ، ۸۸

یزدان : ۲۴۷

یزدان آفرید : ۴۶۶ ، ۶۷

یزدبخت : ۳۱۲

یزدگرد الأول : ۹۷ ، ۹۸ ، ۱۰۱ ،

۳۳ ، ۶۱ ، ۲۴۵ ، ۵۱ ،

۵۵ — ۶۱ ، ۶۶ ، ۷۳ ، ۸۸ ،

۹۷ ، ۳۴۰ ، ۸۰ ، ۸۴ ، ۸۹ ،

۹۰ ، ۴۹۹ ، ۵۰۱

یزدگرد الثاني : ۲۴۵ ، ۵۰ ، ۵۲ ،

۶۸ ، ۶۹ ، ۷۰ ، ۷۴ ، ۷۵ ،

۸۸ ، ۹۴ ، ۹۹ ، ۳۶۵ ، ۹۵ ،

۵۰۰

یزدگرد الثالث : ۴۷۸ ، ۸۰ ، ۸۱ ،

۸۵ ، ۸۷ ، ۸۸ ، ۸۹ ، ۹۶ ،

۵۱۰

یزدگشنسپ : ۱۲۸ ، ۲۶۱ ، ۴۹۹ ،

۱ ، ۵۰۰

یزدین : ۱۱۱

یشوع الاستاتی : ۶۷

الیماقبة : ۲۴۵ ، ۴۱۰ ، ۷۰ ، ۷۲ ،

۷۳

یمعوب : ۱۸۰

الیمقوی : انظر تاريخ الیمقوی

ین تسی : ۱۸

یهبلاهای : ۶۹

یهب الله : ۲۵۷

الیمود : ۱۰ ، ۲۴ ، ۷۷ ، ۱۸۱ ،

۲۴۵ ، ۵۲ ، ۵۸ ، ۷۰ ، ۷۷ ،

۳۶۲ ، ۶۶ ، ۷۱ ، ۴۳۲

یوحنان : ۲۷۵

یوسف : ۴۱۱ ، ۳۴

یونکر : ۴۰ ، ۴۹۶

یوانویه : ۳۱۲

یوانیوم : ۴۳

یم : ۱۵۴ ، ۵۹ ، ۶۷

٣ - الأماكن

| | |
|------------------------------------|------------------------------------|
| ارزائين : ٢٧٥ | (١) |
| ارزن : ١١ | آبروان : ٢٦٤ ، ٩٢ |
| أرمينية : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، | آديابين (آديب) : ٨٩ ، ١٨٥ |
| ٢٦ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٧ ، | آروس : ١٨ |
| ٨٨ ، ١١٣ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٧ ، | آوزيجان : ٣٩ ، ٥٣ ، ٧٧ ، ١٠٥ ، |
| ٨٨ ، ٢٠٠ ، ٨ ، ٩ ، ١٧ ، ٢١ ، | ١١١ ، ٣٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، |
| ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٩ ، | ٤٢٨ ، ٣١ ، ٨١ ، ٨٧ |
| ٤١ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٦٨ ، | آسپاير : ٣٧٤ |
| ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٣ ، | آسيا : ٦١ ، ١٥٠ |
| ٣٥٤ ، ٥٩ ، ٤٣١ ، ٨٧ ، ٥٠٩ | آسيا الصغرى : ٥ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، |
| استان : ٥٠٠ | ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٣ ، ٤٣ ، |
| اسكندرية : ٢٧ ، ٤٤٧ | آسيا الفريية : ٧٠ ، ٢١٣ |
| اشروسنه : ٤٨٢ | آسيا الوسطى : ١٩ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٠ ، |
| اصطخر : ١٥٠ ، ٢١١ ، ٣٢٦ ، ٤٨٠ ، | ٣٤ ، ١٨٢ |
| ٨٧ | آشور : ٤ ، ١٢٦ |
| اصنهان : ٢٧٧ ، ٨٧ ، ٥١٠ | آلان - خزر : ١٢٨ |
| أفغانستان : ١٦ ، ١٩ ، ٧٧ | آمد (آميدا) : ١١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٩ ، |
| إفبز : ٢٧٧ | ٣٢ ، ٣٣ |
| الكينان (همدان) : ١٧١ | آن : ٢٣١ |
| الكفور : ٥١٠ | أبهر شهر : ٧٧ ، ١٢٧ ، ٢٨ ، ٨٦ ، |
| أم السعاطير : ٣٧٣ | ٢١٠ |
| أودون : ١٢٦ | أپاران : ٢١٠ |
| اندمشن : ٢٩٣ | اتينا : ٤١٧ |
| أطالكية : ١ ، ٢٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٢٣٧ ، | اربيل : ٢٥ ، ٦٨ ، ٢٠٩ ، ٥٧ |
| ٤٢ ، ٣٥٧ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٤٣٠ ، | إرتامينا : ٤٣٨ |
| ٧١ | إرتريا : ١١٥ |
| آنوشيرد : ٢٩٣ | أراخوزى : ١٧ ، ١٢٦ |
| اهواز : ٧٥ ، ١١٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، | أرتكراتا : ١١٦ |
| ٢٥٣ ، ٤٨٦ | ارجان : ٥٥ ، ١٥٧ |
| اورمية (الرشائية) : ١٥٦ | اردشير خوره : ٨١ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، |
| اوسلو : ٣٤ | ٥٩ |

بلاد ما بين النهرين : ٢٩ ، ٨٢ ، ٨٨ ،
بلغ : ١٦ ، ١٧ ، ٢٩ ، ٧٧ ، ١٢٦ ،

٤٨٢

الباطنيق : ١٨

بلوچستان : ٧٧

بندر عباس : ٢٦٥

بندر قيسر : ٢١٠

بنطش (بحر) : ١٨

بيت المقدس : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٧٩

بيت لاپت — (انظر جند سابور) : ٢٥٧

بيزنطة : ٦٣ ، ٢٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ،

٧٤ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٣٠٣ ، ٣١ ،

٣٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٨ ،

٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ،

٧٢ ، ٨١ ، ٤٠٧ ، ١١ ، ١٢ ،

١٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ،

٥٠٠ ، ٧٩ ، ٥٥

بيستون : ٤٤٥ ، ٥٨

(ب)

بارتيا (فارميا أو البرت) : ٨ ، ٦ ، ٥٥ ،

٩ ، ١١ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٥ ،

١٢٦

باريس : ٣١١ ، ٨٢ ، ٤٦١ ، ٥٠٦

بامير : ٣٣ ، ٣٤

بايكولي (نقش) : ١١ ، ٣٧ ، ٤٠ ،

٧١ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٢٢١

برات ميشان : ٢٥٧

پرسوپوليس : ٣٩ ، ٨٠

پسا (فساي) : ٣٢٣ ، ٢٥

پشاور : ١٦

پنسلقانيا : ٥١٠

الپنجاب : ١٦ — ١٨ ، ٧٧ ، ١٢٧

يوم بادتيا : ٢٤

ايريا (گرجستان ، جورجيا) : ٢٢٣ ،

٢٢٨

آيرانشهر : ٢٣٩

ايران — في غالب الصفحات

ايزلا : ٤٧٢

ايوان السكرخ : ٢٣٩

ايوان كسرى : ٣٧٤ ، ٧٦ ، ٤٥٦

(ب)

باب الأبواب : انظر دربند

بابل : ٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ،

٢٩ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ،

١١٢ ، ٤٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨٦ ،

٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٢٥٢ ، ٣٧٢ ،

٤٧١ ، ٩٩

باتنه : ١١٦

بادغيس : ٤٨٢

باكو : ٣٩

باميان : ٣٠

البحر الأسود : ٢٠٨

البحرين : ١٢٧ ، ٢٢٤

بجاري : ٤٨٢

بخت أردشير : ١٥٨

بحر الخزر : ٣٢

البرز : ١١٥

برلين : ٣٠ ، ٤١١ ، ٥٥ ، ٥١٠

بروكسل : ٣٠ ، ١٣٤

بزابدة : ٢٥٥

بستان كسرى : ٣٦٩ ، ٧

البسفور : ٤٣١

البصرة : ٨٣

بغداد : ٨٢ ، ٢٤١

بقطر — انظر بلغ : ١٩٩

بقطريان : ٧٧ ، ١٩٩

(ت)

تبریز : ۳۲۶
تخت سلیمان : ۱۵۰ ، ۵۶
تخت طاق الدیس : ۴۴۹ ، ۵۰ ، ۵۶ ،
۶۷
تدمر : ۱۹۶ ، ۲۱۱ ، ۱۵۰ ، ۳۷۶ ،
۵۰۸
ترکستان : ۳۴ ، ۱۱۵ ، ۱۹۴
ترکستان الصیفة : ۳۰ ، ۳۲ ، ۲۴۴ ،
۴۱۱ ، ۵۰ ، ۵۵
ترمذ : ۴۸۲
تستر : ۲۱۰
توران : ۷۷ ، ۱۲۷
تورفان : ۶ ، ۳۲ ، ۳۳ ، ۱۷۷ ،
۸۸ ، ۹۰ ، ۹۱ ، ۹۲ ، ۵۰۷

(ج)

جبال البرز : ۱۱۵
جندروزی : ۱۲۶
جرجان : ۸ ، ۳۲ ، ۱۲۶ ، ۲۷ ،
۷۳ ، ۲۰۹
جرزان (جورجیا) : ۸۸ ، ۹۲ ، ۲۲۳ ،
۷۹ ، ۸۱ ، ۳۴۲ ، ۵۴
الجزيرة : ۲۴ ، ۲۶ ، ۲۱۷
جند یسابور : ۱۱۵ ، ۸۷ ، ۲۱۰ ،
۵۳ ، ۵۷ ، ۴۰۷
جنزک : ۴۷۸ ، ۳۱ ، ۴۹
جورجیا : انظر جرزان
جوزجان : ۴۸۲
جیحون : ۱۷ ، ۷۷ ، ۳۵۸
جیلگرد (اندمشن) : ۲۹۲

(چ)

چهار قاپو : ۴۳۹ ، ۵۰۹
چهل ستون : ۴۳۹
چوبانان : ۷۴
چول : ۲۷۳ ، ۷۵ ، ۳۵۴

(ح)

حاجی آباد : ۳۸ ، ۸۷ ، ۲۲۷
حاجی قلعه سی : ۴۳۹
الحیثة : ۱۱۶ ، ۳۵۵ ، ۳۵۸
الحجاز : ۱۱۶ — ۴۰۰
الحضر : ۷۷ ، ۲۰۸
حلوان : ۱۱۵ ، ۲۵۳ ، ۴۰۰
الهیة : ۷۲ ، ۷۵ ، ۸۲ ، ۸۸ ، ۱۲۴ ،
۹۰

(خ)

خانقین : ۴۳۸
ختل : ۴۸۲
خراسان : ۶۹ ، ۷۷ ، ۸۹ ، ۱۱۵ ،
۱۲۷ ، ۱۸۶ ، ۲۰۹ ، ۲۱۷ ،
۶۶ ، ۳۳۸ ، ۵۵ ، ۶۰ ، ۴۲۹ ،
۸۷ ، ۷۹ ، ۶۴
خرسین : ۱۱۶
خزر : ۳۵۴ ، ۵۵ ، ۹۶ ، ۴۰۰ ،
۳۱
خلم : ۴۳۳
الخلیج الفارسی : ۷۵ ، ۱۱۵ ، ۵۵ ،
۲۲۴
خوار : ۱۴۸
خوارزم : ۱۸ ، ۵۳ ، ۷۷ ، ۱۲۷ ،
۵۴
خورداد : ۱۴۸
خوانییس : ۱۵۴

الرود : ۲۸۰
رودس : ۳۷۰
روسيا : ۱۸
روشن : ۱۵۵
روما : ۲۰۹ ، ۱۹۶ ، ۶۱ ، ۳۵ ،
۱۰ ، ۲۳ ، ۱۷ ، ۱۳ ، ۲۵ ،
۲۵ ، ۳۲۴ ، ۵۳ ، ۳۸ ، ۲۹
۴۲۲
رومکان : ۴۱۰
ريو — اردشير : ۸۳
ريوند : ۱۵۷
ريشهر : ۴۰۳ (ريو — اردشير)
الري : ۹۲ ، ۱۱۵ ، ۵۸ ، ۲۷۵ ،
۸۷ ، ۴۶۴

(ز)

الزاب : ۲۳۰ ، ۶۱
الزاب الأصغر : ۲۷۵
زندنان : ۴۳۸ (خرائب دستگرد)

(س)

مدينه ساپور : ۳۸ ، ۵۵ ، ۲۰۳ ، ۱۱
ساموزات : ۲۳۰
سبزاور : ۱۵۷
ستريون : ۲۲۶
سجستان (سيستان) : ۱۷ ، ۷۷ ،
۸۹ ، ۹۲ ، ۱۲۵ ، ۲۶ ، ۵۸ ،
۲۱۷ ، ۲۶ ، ۳۴ ، ۷۵ ، ۸۰ ،
۴۸۲ ، ۸۷
سرجيو پوليس : ۴۷۰
سرخس : ۱۲۷ ، ۴۸۱
سروستان : ۲۶۵ ، ۴۶۸
سريکا : ۱۲۶
السند (انظر الصند) : ۴۸۲ ، ۵۰۷

خورهمند : ۱۵۴
خوچو : ۱۹۲
خوزستان : ۷۱ ، ۲۶ ، ۱۱۵ ، ۸۳ ،
۲۵۷ ، ۹۳ ، ۵۸ ، ۴۵۷
الخورنق (قصر) : ۲۶۰ ، ۴۴۴
خيوه : ۷۷

(د)

دارابگرد : ۷۴ ، ۷۵ ، ۱۵۵
دامقان : ۵۱۰
داها : ۵
دجلة : ۶ ، ۲۵ ، ۷۵ ، ۸۲ ، ۱۱۵ ،
۱۶ ، ۷۱ ، ۲۰۸ ، ۲۴ ، ۷۴ ،
۷۵ ، ۸۵ ، ۵۱۰
دجلة العوراء : ۴۷۴
درانجان (سجستان) : ۱۲۶ ، ۹۹
در : ۳۶۷ ، ۵۰۰
دربند : ۳۹ ، ۳۵۴ ، ۵۸ ، ۴۰۰ ،
۳۱
دستگرد : ۴۳۱ ، ۳۸ ، ۴۶ ، ۵۱ ،
۷۴
دشت بارين : ۹۲
دمشق : ۴۳۰
ديا : ۲۴
دياربكر : ۲۲۷
الديلم : ۱۹۹ ، ۲۰۹ ، ۳۵۵ ، ۲۲۰ ،
۸۲ ، ۶۴

(ر)

رام — اردشير : ۱۸۳
رخیج : ۲۹
الرزيق : ۴۸۸
الرها : ۶۷ ، ۹۲ ، ۱۸۸ ، ۲۵۳ ،
۷۷ ، ۸۳ ، ۴۳۰
روب : ۴۸۲

صور : ٢٩٢

صوفيا : ٢٨

الصين : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٣ ،

١١٥ — ١٧ ، ٨٦ ، ٩١ ،

٣٠٣ ، ٦١ ، ٩٦ ، ٤٥٤ ، ٨٧ ،

٨٨ ، ٥١٠

(ط)

طارم (حوض) : ١١٥

طاق البستان : ٣٩ ، ١٣٤ ، ٢٤١ ،

٤٤ ، ٤٤ ، ٤٢٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ،

٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٤ ،

٦٤ ، ٦١

طاق الديس : انظر تحت طاق الديس

الطاق الصغير : ٣٩

طاق كسرى : ٣٦٩ ، ٧٣ ، ٤٨٥ ،

٥١٠

طالقان : ٢٧٣ ، ٤٨٢

طبرستان : ٥١ ، ٦٠ ، ١٢٧ ، ٣٤٨ ،

٤٦٤ ، ٨٧

طخارستان : ٥٣ ، ٢٧٩ ، ٤٨٢ ،

٨٨ (نخارستان)

طشقند : ٤٠

ضهران : ٥١ ، ٩٢ ، ١١٥ ، ٥٠٧

طوروس : ١١

طوس : ١٢٧ ، ٥٧ ، ٤٨٧

طوكيو : ٣٠

طيبة : ٢٧٩

طيسفون : ٨٢ ، ٣٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣

(ع)

العراق : ٧٧ ، ١١٢ ، ٥١ ، ٣٥٥ ،

٦٠ ، ٧٢ ، ٤٠١ ، ٧ ، ٣٨ ،

٧٤ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ٥١٠

سفند بيل : ٣٥٤

سلوقية : ٢٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٢٥٣ ،

٥٧ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٩٧ ، ٣١٨ ،

٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

سلوقية الجديدة : ٨٢

سلوقية القديمة : ٨٢

سمرقند : ٤٨٢

سنجار : ١١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٧ ، ٣٤ ،

٣٩ ، ٣٥٩

السند : ١٥٧

سهل البقاع : ١١٦

سورا : ٢٤ ، ٢٥

سوريا : ٢١٣ ، ٣٩٩ ، ٤٣١ ، ٧٠ ،

سوس : ١١٥ ، ٢٣٩ ، ٥٣ ، ٨٧ ،

سوق الأهواز : ٨٣

سيراف : ١٥٥

سيلان : ١١٧

(ش)

الشابران : ٣٥٤

شاپور : ٩٢ ، ٢١٩

شاذروان تتر : ٢١٠

شارانشان : ١١

الشام : ٢٥ ، ٢١٣ ، ٣٧٠

شهرستان يزدگرد : ٢٧٣

شوشتر : ١١٥

شيراز : ٩٢ ، ٢٤١ ، ٦٥ ، ٨٠ ،

شيروان : ١٥٨

شير : ١٣١ ، ٥٦

(ص)

صريفين : ٤٠٠

الصنفند : ١٦ ، ١١٧ ، ٢٦ ، ٢٧ ،

٩٠ ، ٤٨٢ ، ٥٠٧

قزوين : ١٥٨ ، ٩٩ ، ٢٠٩ ، ٤٨٢
 قصدار : ٧٧
 قصي طيسفون (القصر الأبيض) : ٧٤ ،
 ٣٧٣
 قصي سروستان : ٢٦٥
 قصي شيرين : ٣٧
 قطر : ٧٧
 القفقاز (القوقاز) : ١٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٨ ،
 ٦٧ ، ٧٩ ، ٣٣٣ ، ٣٨ ، ٥٤ ،
 ٤٣١ ، ٥٧
 قلعة النسيان : ٤٧٥
 قلعة فنك : ٢٥٥
 قندهار : ١٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
 ٢٧٩ ، ٤٥٠
 قومش (كوماجين) : ٢٣ ، ١٤٧ ،
 ٥٨ ، ٢٣٠ ، ٤٢

(ك)

كابل : ١٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٣ ، ٧٧ ،
 ١١٥ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ٣٥٦ ، ٥٧ ،
 ٤٨٢
 كار : ١٥٥
 كاريان : ١٥٥
 كاشان : ٣٢
 كالدون : ٤٣٩
 كالينيك : ١١٦
 كاواروند : ١٥٥
 كبدوكية : ١٤٧ ، ٤٨
 كتا (قطر ؟) : ٧٧ (كته (١) ؟)
 كچه : ١٢٧
 كندك هندوك = بيت الهندي : ٤٧٥

(١) انظر من ٣٧١ من بلدان
 الخلافة الشرقية ، لوسترانج ، ترجمة بشير
 فرنسيس وكوركيس عواد ، حيث جاء أن
 يزدهرت في القديم باسم كته .

عزيسون (نقش) : ١٤٧
 عمان : ٥٣ ، ٧٥ ، ٧٧
 العذيب : ٤٠٠
 عيلام : ٤

(غ)

غرجستان : ٤٨٢
 غزاة : ٤٥٠

(ف)

فارس : ٣ — ٤٤ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٨ ،
 ٤٤ ، ٥٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ،
 ٨٠ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ،
 ١٠٧ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٦ ،
 ٢٧ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ،
 ٢٦٤ ، ٣٣٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ،
 ٦٠ ، ٧٥ ، ٤٠٠ ، ١٤ ، ٨٧
 الفرات : ٥٣ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١١٦ ،
 ٧١ ، ٢١٣ ، ٤٧٤ ، ٥١٠
 فرغانة : ١٧ ، ٤٨٢
 فرنجيون : ١١٣
 فساي : ٣٢٣ ، ٣٢٥ (انظر يسا)
 فيروز آباد : ٧٢ ، ٨١

(ف)

فينا : ٣ ، ٥٠٩

(ق)

القادسية : ٢٠٢ ، ٤٧٨ ، ٨٣ ، ٨٧
 قانصو : ١٦ ، ٢٧٩
 قبادخره : ٣٣٨
 القسطنطينية : ٦٣ ، ٢٥٧ ، ٨٣ ، ٤٣١

اللان : ۱۸ ، ۳۵۴ ، ۵۶ ، ۴۰۰
لیبرج : ۲۹
لینجیراد : ۱۶۵ ، ۲۰۷ ، ۲۴۰ ،
۴۵۰

(م)

ماخوذا : ۲۴ ، ۳۶۷
ماذاریا (کوت المارة) : ۳۲۶
مالووا : ۱۲۷
متحف Kuntgwerbe : ۴۵۰
متحف South Kensington : ۴۵۵
متحف Volkerkunde : ۴۱۱
المدائن : ۱ ، ۶ ، ۶۳ ، ۷۰ ، ۷۶ ،
۸۲ ، ۱۱۵ ، ۸۸ ، ۹۰ ، ۲۰۰ ،
۱۷ ، ۲۷ ، ۵۳ ، ۵۷ ، ۵۸ ،
۶۱ ، ۷۰ ، ۸۱ ، ۳۵۴ ، ۶۷ ،
۶۹ ، ۷۱ ، ۷۲ ، ۷۶ ، ۴۳۰ ،
۳۱ ، ۳۷ ، ۳۸ ، ۴۶ ، ۴۸ ،
۵۶ ، ۷۴ ، ۷۸ ، ۷۹ ، ۸۵ ،
منویة (ماذاریا) : ۳۲۶
مذینتا (مذینة) : ۳۶۷
صرح : ۶۹ ، ۷۷
صرو : ۱۶ ، ۷۷ ، ۱۱۵ ، ۲۶ ، ۲۷ ،
۴۶۶ ، ۷۸ ، ۸۱ ، ۸۷ ، ۸۸ ،
مرو الرود : ۴۶۰ ، ۸۱ ، ۸۲
مسجد سلیمان : ۱۵۰
مسقط : ۳۵۴
مصر : ۴۰۴
المعارید : ۳۷۳
مقدونیة : ۲۲۶
مكة : ۴۸۶
مکران : ۷۷
مکرران : ۱۲۷
ماطیة (۱) : ۲۳۷ ، ۳۵۹
(۱) ذکرناها خطأ मिलتين .

الکرخ : ۱۸۹ ، ۲۱۳
کرخا : ۶۲ ، ۲۵۷ ، ۴۳۴
کرخا اللیدان (إيران خوره کردشاپور) :
۲۳۹
کرخا بیت سلوخ (کرکوک) : ۲۵ ،
۲۵۳ ، ۴۳۴
کرخا میشان : ۸۳
کرکرا : ۱۵۸
کرکوک : ۲۵ ، ۲۵۳ ، ۴۳۴
کرمان : ۵۴ ، ۵۷ ، ۸۹ ، ۱۲۶ ،
۲۷
کشکر : ۱۲۸ ، ۲۵۷ ، ۴۷۴
کعبة زردشت : ۱۵۱
کنجاور : ۱۱۵
کشکر : ۴۳۹
کوبنهاجن : ۲۹ ، ۷۶ ، ۱۵۱ ، ۲۱۵ ،
۱۷ ، ۲۱ ، ۲۳ ، ۲۴ ، ۴۱ ،
۶۸ ، ۸۶ ، ۳۲۲ ، ۸۴ ، ۴۸۱
کوت المارة : ۳۲۶
کورة سابور : ۲۶۴
کوردین : ۲۲۹
کوشان : ۸۹ ، ۱۲۷ ، ۹۹
کوماجین (قومش) : ۲۳ ، ۱۴۷ ،
۵۸ ، ۲۳۰ ، ۴۲
کونوس : ۷۴
کوهستان : ۴۸۱
کویسا (بیت نار) : ۱۵۸
کیش : ۵۱۰

(گ)

گیره : ۹۲

(ل)

لازبکه : ۳۴۱

نیوسابور : ۲۱۰

(ه)

هراة : ۱۷ ، ۱۲۶ ، ۲۷ ، ۲۸۰ ،

۸۳ ، ۸۲

هرمزد اردشیر : ۸۳ ، ۲۵۳

هکتم یولیس : ۶ ، ۱۵۸

همدان : ۷۷ ، ۱۱۹ ، ۵۶ ، ۷۱ ،

۲۴۱ ، ۴۳۸ ، ۴۵ ، ۸۷

الهند : ۱۶ — ۱۸ ، ۲۳ ، ۲۵ ،

۱۱۵ — ۱۷ ، ۳۰ ، ۷۱ ،

۷۲ ، ۸۵ ، ۸۶ ، ۸۸ ، ۳۰۳ ،

۶ ، ۶۱ ، ۴۱۳ ، ۳۱

هیت : ۳۹۹

هیرکانیا (جرجان) : ۱۲۶

(و)

وهشتاد باد اردشیر : ۸۳

ویه اردشیر : ۸۲ ، ۸۳ ، ۳۶۸

ویه آنتیوخ خسرو : ۳۷۰ ، ۷۳

(ی)

یغثوب : ۳۳

الین : ۵۳ ، ۳۴۸ ، ۵۵ ، ۵۸ ، ۴۳۳

الیونات : ۹ ، ۳۵ ، ۶۲ ، ۶۴ ،

۱۳۰ ، ۴۰۳ ، ۶

مهر نرسیان : ۲۶۴

میافارقین (میافرقط) : ۲۵۶ ، ۸۴

میان دشت : ۱۵۷

میدیا : ۲۲ ، ۲۴ ، ۷۷ ، ۱۲۶ ، ۲۴۱

میسکن : ۷۵ ، ۸۳ ، ۱۱۶ ، ۲۸ ،

۷۱ ، ۸۴ ، ۸۸ ، ۲۵۷ ، ۴۷۴

(ن)

نسا : ۴۸۲

نصیبین : ۱۱۵ ، ۱۶ ، ۲۸ ، ۲۱۳ ،

۲۷ ، ۳۰ ، ۳۸ ، ۵۷ ، ۷۸ ،

۸۳ ، ۴۱۱ ، ۷۱ ، ۷۲

نقش پاکولی : ۳۷ ، ۷۱ ، ۸۸

نقش تویج اردشیر : ۷۲

نقش رجب : ۳۸ ، ۷۷ ، ۷۸ ، ۱۶۹

نقش رستم : ۴ ، ۳۸ ، ۷۵ ، ۷۷ ،

۷۹ ، ۸۰ ، ۱۵۰ ، ۵۱ ، ۲۰۰ ،

۱۱ ، ۱۲ ، ۱۸ ، ۲۰ — ۲۲

نقش سابور : ۳۹ ، ۱۹۶

نقش مرسون : ۱۴۷

نمرود داغ : ۱۴۶

ننیشمار : ۴۷۱

نهایوند : ۹۲ ، ۴۸۶

نهر بلخ : ۵۳

النهروان : ۴۳۵ ، ۳۶ ، ۸۶

نیمروز : انظر الین

نیوسابور (نوینسابور) : ۹۲ ، ۱۲۷ ،

۵۵ ، ۵۷ ، ۴۸۷

نینسوی : ۲۰۸

٤ - المصطلحات

(١)

آبثرا پايي = المرابطة : ١٠٧
 آبادانه = بهو الاستقبال : ٣٨٠
 آتش نيايش = تشيد مجد الفار : ١٥٣
 آثروان = طبقة رجال الدين : ٨٥ ، ١٠٣
 آخو آمار دبير = كاتب الاسطبلات : ١٢٤
 آخور سالار = القائم على الاسطبلات : ٤٤٥
 اذر = النار : ١٣٥ ، ٤٨ - ٥٠ ، ٥٩ ، ٥٢
 آذران = نار القرية : ١٥٢
 آذرباذگان آماركار = ولى خراج آزرىيجان : ١١١
 آزادان = الأحرار أو النبلاء : ٨٧ ، ٩٨
 آس تتر = موبد يلقى الهوما فى بيت النار : ١٥٤
 آسوران = الأساورة ، الفرسان : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٢١ ، ٩٧ ، ٢٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٦ - ٨٨ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ٧٩
 آماركار = والى الخراج : ١١١
 آيين بد = الأمين على الرسوم : ٢٨٥
 اخترمار = المنجم : ٣٧٩
 اخترماران سردار = كبير المنجمين : ٣٧٩
 إخشيد = أمير : ٤٨٢
 آرتشتاران = طبقة رجال الحرب : ٨٥ ، ١١٩ ، ٢٠

آرتشتاران سالار = كبير المحاربة : ٢٦٦ ، ٣٣٧ ، ٤١ ، ٦٦
 أركبذ = رئاسة قلعة حصينة ثم دلت على وظيفة
 حرية عظيمة القدر : ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٠ ، ٩٦
 أسيسكان = الشمسين أبناء العلم : ١٨٢
 أستان = ولاية : ٥٠٠
 أستاندار = حاكم الولاية : ٤٧١
 أستبذ = رئيس التشرىفات : ٣٣٧ ، ١ ، ٥٠٠
 إشكن = أمير : ٢٩٣
 أمبارگبذ = القائم على الأهراء : ٩٥ ، ٢٠٥
 أندرزبد = المعلم : ١٢٤ ، ٨٦
 أنديمان كاران سردار (سالار) =
 رئيس التشرىفات : ٣٧٨
 أوباريد (أوبارد) = ساع للبريد معه
 حصان واحد : ١١٨
 أيشغن (انظر إشكن) = أمير : ٤٨١
 ليران آماركار = والى الخراج ونائب
 رئيس الوزراء : ١١١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥
 ليران إمارگبذ = القائم على أهراء ليران :
 ٩٤ ، ٩٥ ، ٢٧٤
 ليران دبير بد = كبير كتاب ليران :
 ٨٦ ، ١٢٣ ، ٢٥ ، ٣٧٧
 ليران سياهبد = القائد الأعلى لإيران :
 ٨٦ ، ١١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤

(ب)

برسموگوريه = الأفنان المقدسة : ٢٧٠

(ز)

- زائوتر = أحد رجال الدين : ١٠٩
 الزسمة : ٤٩٧
 زن ياد شائها = الزوجة السيدة : ٣٠٨
 زن چكارها = الزوجة الخادمة : ٣٠٨
 زرد تشروتوم = الطبيب النفسى : ٤٠٦

(س)

- سالار = قائد أو رئيس : ٤٠ ، ٣٢٧
 سياهبد = قائد الجيش : ٨٦ ، ٩٢ ، ١١٩ ، ٢٠١ ، ٩٦ ، ٢٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٣٢٧ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٤٢٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٥٠٠ ، ١١ ، ٢ ، ٤١
 سپاهسالار = قائد : ٣٥٩
 سپاهدا دور = قاضى عسكرى : ٢٨٦
 سترپ = حاكم إقليم : ٨ ، ١٣ ، ٨٨ ، ١١١ ، ٢٦ ، ٥٧ ، ٥٠٢
 ستير = نقد يساوى أربعة دراهم : ٤٠
 سذرية = التبنى : ٣١٧
 سردار = قائد أو رئيس : ٣٧١
 سردارى دوزك = رئاسة الأسرة : ٣٠٨
 سر — نخويرگان = رئيس النخويرگان : ٣٤٢
 سروس ورز دارىك = القاضى الروحانى : ٢٧٥ ، ٨٥ ، ٩٨
 سروش وريز = موظف دىنى فى بيت النار : ١٥٣ ، ٢٩٨
 سه بريد = ساع للبريد معه ثلاثة خيول : ١١٨
 سوگند خوردن = القسم (شرب الماء المختلط بالكبريت) : ٢٩٠

- در آندرزبد = أمين البلاط : ١٠١ ، ٢٤ ، ٣٩٥ ، ٥٠٠
 ديوان — سردار = كبير حرس الباب : ٣٧٩
 دزيگبد = رئيس ديوان الملك : ٤٨٠
 درستبد = الطبيب : ٣٨٠ ، ٤٠٦
 درفش = فرقة صغيرة من الجيش : ٢٠٠
 درفش گويان = علم گاوه : ٢٠٢ ، ٤٤٦ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٤
 ايران — درستبد = نقب أطباء ايران : ٤٠٦
 دستور = القاضى وخبير المسائل الدينية ، جمعها دستوران : ٤٣ ، ٨٦ ، ١٠٧ ، ٤٨٠
 دستور همداد = نائب القاضى : ٧٨٥ ، ٩٨ ، ٨٦
 دوبريد = ساع للبريد معه حصانان : ١١٨
 دهقان = رئيس القرية ، جمعها دهاقين : ٩٩ ، ١٢٩ ، ٦٤ ، ٢٨٦ ، ٣٤٠ ، ٦٠ ، ٧٤
 (ر)
 راذ = موظف فى بيت النار — ٢٩٨
 رايت ولشكرا = موظف دىنى فى بيت النار : ١٥٣
 رتو ، جمعها رتوات = موظف فى بيت النار : ١٥٣
 رستاق ، جمعها رساتيق = السواد : ١٢١ ، ٢٩
 روانه گان — دير (١) = قيم الصدقات : ١٢٤ ، ٢٦١

(١) وردت خطأ فى صفحة ١٢٤ ورواته .

كذك بانوك = ربة البيت : ٣٠٩
كذك خدای (كذك خدايان) = رب
البيت أو الأمير الحاكم — ٨ ، ٩٩ ،
٣٠٨

كرتير (كردير) — انظر ص ٣٩٥
كنارنگ = لف من ألقاب المرازبة :
١١٩ ، ٢٨ ، ٤٨٧
كننده = العامل (عند ماني) : ٣٢٨

(گ)

گرموك وری أو وری گرموك = الابتها
الحار : ٢٨٩
گشته دفتران = كتاب كتابة المستق :
٤٠٣
گنج (گنز) = مخبأ أو كنز : ٢٠٥
گنج آمار دیر = كتاب الخزانة : ١٢٤
گنج باد آورد = في الرياح : ٤٤٧
گنج گاو = كنز البقرة : ٤٤٧
گهيز = حارس المسكوكات : ١١١
گوميزش = فترة الاختلاط : ١٣٦
گند = الوحدات الكبيرة من الجيش :
٢٠٠
گند سالار = قائد السكند : ٢٠٠

(م)

مانبد = رئيس الأسرة : ٦ ، ٧
مهيد = لقب كبير الأغوات : ٣٨٠
المرازبة (الحكام — حكام الثغور) : ٢ ،
٨٨ ، ٨٩ ، ١٢٠ ، ٢٦ ، ٣٩٧ ،
٤٨١ ، ٨٦ ، ٥٠٢
مرد و مرد (صبيحة المعركة) : ٢٠٦
مهربان : ٥٥ ، ٨٨ ، ١١٩ ، ٢٨ ،
٢٥١ ، ٥٢ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٩٧ ،
٣٣٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٤٩٨ ، ٩٩

(ش)

شاهبان = القوام على الصقور : ٣٧٨
شاهر يشت = صاحب المظالم : ٢٥٢ ، ٨٦ ،
شاهنشاه : ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٧ ،
٩٧ ، ٢١٠ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٣٠٢ ،
٤٩٢ .
شهر آمار دیر = كتاب البلد للخراج :
١٢٤
شهر پو آمارگر = والي خراج السقرب : ١١١
شهر دادور = دادوران — دادور =
قاضى القضاة : ٢٨٥ ، ٩٨
شهر داران = الأمراء الذين يلقب من يحكم
منهم بلقب شاه : ٨٧ ، ١٢٦ ، ٢٢٤
شهرنگ (شهرنگ) = مدينة صغيرة :
١٢٧ ، ٢٩
شيليارك = لقب رئيس الوزراء عند
الأرمن : ١٠١

(ف)

فر : انظر خوارنه
فرا براتر = من رجال بيوت النار :
١٥٣
فر تركا = الحاكم ، أطلق على جماعة من
السلوكيين : ٧٣
فرشکرد = التصفية والتجديد : ١٣٧

(ك)

كاردن = الخبير (عند ماني) : ٣٢٧
كارنا = رئيس السقرب (الولاية) في
الشتون الحربية : ٥٠٢
كاروگبد = رئيس عمال المملكة : ٤٧٢
كذك آمار دیر = كتاب حساب دار الملك :
١٢٤

٣٠٥ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٢٥١ ، ٥٣
 ٩٨ ، ٧٣ ، ٢٦ ، ٤٠٢ ، ٧٩ ، ٥١
 هربدان هربد = كبير الهرا بدة : ١٠٧ ،
 ٤٩٨ ، ٤٤٩ ، ٣٠ ، ٢٥
 هرگبذ — انظر أرگبذ : ٩٤
 هزار بندگان ، هزار بنده = صاحب ألف
 رقيق ، وهو لقب رئيس الوزراء :
 ٣٩٤ ، ٢٦٤ ، ١ ، ١٠٠
 هزاريت ايران وغير ايران = لقب
 رئيس الوزراء كما يسميه الأرمين :
 ١٠١
 هزاريت دران أريانس = لقب رئيس
 الوزراء كما يسميه الأرمين : ١٠١
 هزاريت (هزاريد) = لقب كان يحملها
 بعض الحكام الكبار : ٢٦١ ،
 ٨ ، ٥٠٠ ، ٢٩٩ ، ٣٩٤ ، ٨٠

همشتگان = الأعراف : ١٣٧
 همك دين = الذي يعرف الدين كله :
 ٩٥ ، ٣١٢ ، ٢٩٩ ، ١١٠
 همهرز = ضباط الحرس الملكي : ٣٧٩
 هو تخشان = الصناع : ٨٥ ، ٨٦
 هو تخشيد = رئيس طبقة الصناع :
 ٨٦ ، ٨٥

(و)

واسپور (واسپوران) = أبناء أسر
 الأشراف : ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ،
 ٤٨٧ ، ٢٢٤
 واسپوران آمارگر = القائم على ضرائب
 هذه الجماعة : ٤٨٧

واستروشيد }
 واستروشانسالار } = رئيس طبقة الخرائين
 ، ٢٥ ، ١١ ، ١١٠ ، ٨٦ ، ٨٥
 ، ٢٥٢ ، ٦٦ ، ٣٧٧ ، ٤٣٤ ،
 ٧٢ ، ٣٥

مشبانك = حواء : ١٣٦
 مشيك = آدم : ١٣٦
 مغ ، سنان = المجوس : ٢١ ، ٨٦ ،
 ١٠٣ ، ٢٦٧ ، ٥٧ ، ٥ ، ٤ ، ٢٦٧ ،
 ٩٧ ، ٩٦ ، ٧٣ ، ٧١
 مغان اندرزيد = معلم المجوس : ٨٦ ،
 ١٠٨ ، ٢٥ ، ٢٧٥ ، ٩٨ ،
 ١١ ، ٥٠٨
 مير آخور (أمير الاصطبلات) : ٤٤٥
 م ي بذ = السابق : ٣٧٨
 موبند (الموبدة) = رجل الدين : ٤٩٥
 مهيت = الأكبر ، أى أكبر خدام
 الملك : ٣٩٤
 مهيشگان = القسيسين أبناء العقل : ١٨٢

(ن)

نخودار ، نخور ، نخرار ، نخوارك ،
 نخوير = صيغة أرمينية للقلب ليراني
 مناه الحاكم : ١٠ ، ٢٨١ ، ٣٣٤ ،

٦٣

نخروئون = حكومة (إقطاع) : ١١
 نشاستگان = المحاربة المقيمون كحامية :

٥٠٩

نكير يدار = كبير الكتاب وكان يفضى
 للملك بأسرار الدولة : ٥٠٤ ، ٥

نهايتو تنيون = إمارة : ١١
 نيوشگان = السامعون (عندمانى) :

١٨٢

(ه)

هانونان = رجل الدين الذى يدق الهوما فى
 بيت النار : ١٥٣

هربد (الهرا بدة) = سدة بيوت النار :
 ٥١ ، ٨٦ ، ١٠٦ ، ٧ ، ٥٢ ،

وشت = صغرى فرق الجيش : ٢٠٠
 ويزيدگان = الصديقون عندمانى : ١٨٢
 ويس = القرية : ٩٣
 ويسيد = رئيس القرية : ٦
 ويسپور (ويسپوران) = ابن القرية أو
 ابن القبيلة واستخدم لقباً لأمرأ آل
 ساسان : ٨ ، ٥٠٧
 وینه دين = دين النور : ٣٢٤ ، ٥٠٩

(ى)

يتا آهو وپرو = الصلاة المقدسة : ١٣١

واستريوفشويانت = طبقة الحراثين
 (الزراع) : ٨٥
 وراز بندگك = لقب حاكم غرجستان :
 ٤٨٢
 ورد بد = أستاذ العمل : ١٠٧
 ور سردار = المشرف على الابتهاال :
 ٢٩٠
 ورهريكان خدای = لقب رئيس فرقة من
 الفرسان قوامها عشرة آلاف فارس :
 ١٩٨
 وری سرد = الابتهاال البارد : ٢٩٠
 وری گرم (گرموك وريه) = الابتهاال
 الحار : ٢٨٩

۵ - الكتب الواردة بالنص

بيان الأديان : ٦٠ ، ١٩١

(پ)

پارسیک دین : ١١٠
پراجتایا (کتاب الأصل) : ١٨٨
پنج تنهرا : ٤٤ ، ٤١٣
پندنامک زردشت (آندرز زردشت بن
آذرباد) : ٤٤ ، ١٥٣ ، ٤٠٢
پهلویک : ١١٠
پیشنگان : ٥٤

(ت)

تاج نامه (کتاب التاج) : ٥٠ ، ٥٨ ،
٨٥ ، ٦٤ ، ٣٥٣ ، ٥٩
تاریخ أباطرة الرومان : ٦١
التاریخ الدینی : ٦٩
تاریخ أرمينية : ٦٥ ، ٦٦
تاریخ حلات هرکلیوس : ٦٦
التاریخ الرومانی : ٦١
التاریخ السریانی : ٦٩
تاریخ طبرستان : ٥١
تاریخ الفرس والعرب : ٥٧ ، ٧١
تاریخ گزیده : ٥٧
تبصرة العوام : ٦٠ ، ٥٠٧
التنبيه والإشراف : ٥٦ ، ٤٨٥ ، ٩٨
تسنرنامه (کتاب تنسر) : ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥٠ .

(ج)

کتابة الجستق : ٤٠٣
جوامع الحکایات : ٤٩

(١)

الانار الباقية : ١٥٩
الأخبار الطوال : ٥٦
أرتیشترستان : ٢٠٥ ، ٦ ، ٨
أرداگ ویرازنامک : ٤٧ ، ٣١٠
أرزنسک مانی : ١٩١ ، ٩٢ ، ٩٥
کتاب الأصلین : ١٨٧ ، ٨٨
آفرتسکاش : ١١٠
الإلیاذة : ٤١٢
الإنجیل : ٤٩٥
لإنجیل مانی : ١٨٨ ، ٩٥
أوستا : ٢ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤١ ، ٤٣ -
١٠٧ ، ٩٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤
٣٦ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٢٤٧ ، ٨٨
٣٠٧ ، ٨ ، ٩ ، ٨٤ ، ٤٠٢
٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٩ ، ٧٣ ، ٩٥
٩٦ ، ٩٧
آیین نامک : ٤٩ ، ٢٢٧ ، ٣٠٣ ، ٨٦
٩٦

(ب)

باغ (نسک) : ٣١٠
البده والتاریخ : ٥٦
برلام وپواسف (بلوهر وپوذاسف) :
٤١٣
بزپائیت : ١١٠
بندھشن : ٨ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٥٧
١٣٥ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٨
٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٤٠٣ ، ٥٠٦
بهرام چوین نامک : ٥٥ ، ٥٦

جهان نامک : ۳۸۶

(ج)

چهار مقاله : ۱۲۳

(ح)

حياة البطارقة المنسطرة : ۶۹

حياة الربان هرمزد : ۶۹

(خ)

خدای نامه (خداینامک) : ۴۶ ، ۴۷ ،

۴۸ ، ۵۱ ، ۵۴ ، ۵۷ ، ۵۸ ،

۷۶ ، ۳۱۲ ، ۱۳ ، ۲۴ ، ۲۵ ،

۳۸ ، ۴۰ ، ۴۴ ، ۶۵ ، ۴۴۷ ،

۵۸ ، ۶۵

خسرو گواذان وریدگی (خسرو بن قباد

والخادم) : ۴۵

(د)

داذستان مینوگ خرد : ۴۲ ، ۴۱۹ ،

۵۰۶

دستور الوزراء : ۱۰۳

دستوران : ۴۳

دینکرد : ۴۱ ، ۴۲ ، ۱۳۱ ، ۶۰ ،

۶۲ ، ۲۴۸ ، ۴۹ ، ۸۸ ، ۹۱ ،

۳۰۸ ، ۴۰۴ ، ۵ ، ۷۳ ، ۹۷

دزدسر نرد (نسک) : ۲۸۹ ، ۳۰۷

(ر)

الرد علی الفرق : ۶۵

(ز)

الزند : ۴۱ ، ۴۲ ، ۴۳ ، ۱۴۳ ،

۳۰۸ ، ۴۰۲

(س)

التاریخ السمریانی : ۶۹

سفر الأسرار : ۱۸۷

سکاظم نسک : ۲۰۷ ، ۸۶ ، ۳۰۶

سوذگر نسک : ۱۵۲

سورسخون : ۵۰۷ — ۱۱ ، ۹

سیاستنامه : ۵۴ ، ۵۶ ، ۵۹ ، ۳۴۶ ،

۶۱

سیر ملوک العجم : ۴۶

(ش)

شاپورغان : ۱۸۰ ، ۱۸۵ ، ۸۸

شاهنامه : ۸ ، ۴۶ ، ۴۸ ، ۵۷ ، ۲۰۱

شکند گومانیك وزر : ۴۲۰ ، ۲۱

(ت)

تاریخ طبرستان : ۵۱ ، ۶

(ع)

رسالة المغاريت : ۱۸۷

عیون الأخبار : ۴۹ ، ۵۰ ، ۵۶

(غ)

غمر أخبار ملوک الفرس : ۵۷

(ف)

فارسانمه : ۵۱ ، ۵۶ ، ۵۷ ، ۵۸ ،

۳۰۳ ، ۹۶ ، ۵۰۰ ، ۵

فتوح البلدان : ۶۰ ، ۳۵۴ ، ۶۴ ، ۷۷ ،

۴۵۹ (انظر البلاذری)

فراز مها آور خدایان (بیت نار) : ۲۶۴

فروردين يشت : ۱۶

مینوگی خرد : ۱۴۱ ، ۳۰۰ ، ۴۱۶ ،
۵۰۶ ، ۷۳

(ن)

نسکام (نسك) : ۲۸۹ ، ۹۱ ، ۹۲ ،
۳۱۵ ، ۲۰ ، ۴۰۴ ،
نهایة الأرب : ۵۳ ، ۵۶ ، ۵۷ ، ۵۸ ،
نیرنجستان (قانون المراسم الدينية) : ۱۰۹

(هـ)

هسپارم (نسك) : ۱۰۹ ، ۳۰۷ ،
۴۰۳

حياة الربان هرمزد : ۱۹
هیرنجستان (قانون رجال الدين) : ۱۰۹

(و)

ورشتمان سر (نسك) : ۳۱۰
وندیداد : ۲۳ ، ۲۴ ، ۱۳۴ ، ۲۹۰ ،
۷۳ ، ۴۰۵
ویس ورامین : ۲۸۹

(ی)

یسنا : ۱۳۵ ، ۱۳۸ ، ۸۵ ،
یشت : ۲۱ ، ۷۲ ، ۱۳۳ ، ۳۵ ،
۶۰ ، ۳۶
تاریخ یعقوبی : ۵۰ ، ۵۶ ، ۵۸ ، ۹۸ ،
۱۰۱ ، ۸۶ ، ۲۵۱ ، ۲۲۳ ،
۴۶ ، ۴۹۸ ، ۹۹ ، ۵۰۲ ، ۴۱

(ك)

کارنامک أردشیر پاپکان : ۴۵ ، ۸۳ ،
۱۲۰ ، ۲۴ ، ۵۸ ، ۳۹۰ ،
الکامل لابن الأثیر : ۵۷
کفلايا : ۱۷۱ ، ۷۸ ، ۸۴ ، ۸۵ ،
۸۸
کلیله ودمنه (کلیلک ودمنک) : ۴۴ ،
۳۴۸ ، ۴۰۷ ، ۱۳ ، ۱۵ ،
کوان (انظر رسالة المغاريت) .

(گـ)

گاتها (من الأوستا) : ۲۱ ، ۲۲ ،
۱۳۸ ، ۴۳ ، ۵۹ ،
گاهنامک ، گاهنامه (معجم الرجال) :
۵۰ ، ۵۴ ، ۵۸ ، ۲۵۲ ،

(م)

مادیکان چترنک : ۴۵ ، ۳۵۳ ، ۴۱۳ ،
مادیکان هزار دافستان : ۴۳ ، ۲۸۸ ،
۳۰۸ ، ۴۰۲ ،
المجلة الأسبوعية (A ز) : ۵۱ ، ۵۳ ،
۱۳۸
مجل التواريخ : ۵۶ ، ۵۷ ، ۵۸ ، ۹۹ ،
المحاسن والمساوی : ۵۹
محفوظات المكتبة الأهلية بیاریس : ۲۲۰
مختصر التاريخ الروماني : ۶۱
هرزبان نامه — ۵۹ ، ۳۰۳ ،
سروج الذهب : ۵۶
مزدک نامک : ۵۵ ، ۵۶
مقاتیبع الملو : ۵۹
الملل والنحل : ۶۰
مهر (مجلة) : ۵۱۰

٦- كشف الصور

صفحة

| | | |
|----|---|-----|
| ١ | — نقود عليها صورة أردشير الأول | ٧٥ |
| ٢ | — نقش بارز لتنصيب أردشير في نقش رستم | ٧٨ |
| ٣ | — قصر فيروز آباد | ٨١ |
| ٤ | — بيت نار | ١٥١ |
| ٥ | — بيت نار | ١٥١ |
| ٦ | — صور مختلفة لبيوت النار | ١٥٢ |
| ٧ | — بيت نار في شاپور | ١٥٨ |
| ٨ | — كأس كليوبا | ١٦٦ |
| ٩ | — رسم مانزي | ١٩٣ |
| ١٠ | — ميقاتير مانوية | ١٩٣ |
| ١١ | — نقش بارز ساساني في نقش رستم | ٢٠١ |
| ١٢ | — حصار قلعة مصور على كأس من فضة | ٢٠٤ |
| ١٣ | — قطعة من نقود سابور الأول | ٢٠٩ |
| ١٤ | — ظفر سابور الأول على والبرين | ٢١٢ |
| ١٥ | — نقش بارز لظفر سابور الأول في شاهپور | ٢١٤ |
| ١٦ | — قطعة من نقود بهرام الأول | ٢١٥ |
| ١٧ | — نقش بارز لتنصيب الملك بهرام الأول | ٢١٦ |
| ١٨ | — قطعة من نقود بهرام الثاني | ٢١٧ |
| ١٩ | — نقش بارز لظفر بهرام الثاني في شاهپور | ٢١٩ |
| ٢٠ | — معركة بين فارسين | ٢٢٠ |
| ٢١ | — قطعة من نقود نرسی | ٢٢١ |
| ٢٢ | — نقش بارز لتنصيب نرسی في نقش رستم | ٢٢٢ |
| ٢٣ | — قطعة من نقود هرمز الثاني | ٢٢٣ |
| ٢٤ | — قطعة من نقود سابور الثاني | ٢٢٤ |
| ٢٥ | — سابور الثاني يصيد الأسود | ٢٤٠ |
| ٢٦ | — قطعة من نقود بهرام الخامس | ٢٤١ |
| ٢٧ | — طاق البستان | ٢٤٢ |
| ٢٨ | — نقش بارز يمثل تنصيب سابور الثاني في طاق البستان | ٢٤٣ |
| ٢٩ | — نقش بارز لسابور الثاني والثالث | ٢٤٤ |
| ٣٠ | — قطعة من نقود يزدگرد الأول | ٢٥٥ |

A

- Abeghian, M., *Der Armenische Volkesglaube*. Leipzig 1932.
Abhandlungen fuer die Kunde des Morgenlands.
Akeian, P. N., *Elisaeus Vardapet und seine Geschichte des armenischen Kriegs*. Vienne 1932.
Alfaric, P., *Les écritures manichéennes*.
Andreas (publ.), *The book of the Mainyoi-Khard (texte pehlvi)*. Kiel 1882.
Anklesaria (éd.), *Le Bundahishn iranien*. Bombay 1908.
Assemani, *Bibliotheca Orientalis Clementino-Vaticana* 1-4. Rome 1719-28.
Atharé-Irān., *Annales du service archeologique de l'Irān* I-III. Paris 1936-38.

B

- Bartholomae, C., *Altiranisches Woerterbuch*. Strassb. 1901.
Die Frau im sasanid Recht. Heidelberg 1942.
Ueber ein sasanidisches Rechtsbuch. (Sitz. d. Heidelb. Ak. 1910.
Zum sasanid. Recht (ibid 1918, 23).
Baur, C., *Das manichaesche Religionssystem*. Goettingen 1928.
Beal, S. *Buddhist Records of Western World*, translated from the Chinese Hinen Ysiang. Londre 1906.
Bedjan., *Histoire de Mar Yabalab*. Paris 1895.
Le Chronicon syriacum Paris 1890.
Beneveniste, E. *Les classes sociales dans la traditions avestique*. J.A. 1932.
Beneveniste & L. Renon., *Vrtra et Vrdragna*. Paris 1934.
Berliner, A. *Beitrage zur Geographie und Ethnographie Babyloniens*.
Bezzenger., *Beitraege zur Kunde der Indogermanischen Sprache*.
Bidez, J & F. Cumont., *Les mages hellénisés*. Paris 1938.
Birkeland., *Zaratustra, Iran profet*. Oslo 1943.
Bousset, W., *Hauptprobleme der Gnosis*. Goettingen 1907.
Brand, W., *Die mandaeische Religion*. Leipzig 1889.
Braun, O., *Ausgewaehlte persischer Maertyrer*. Muenchen 1915.
Budge, Wallis., *The book of Governors*. London. 1893.
The History of Rabban Hormizd the Persian (Luzac. Sem. Ser. vol. 9-11)

Burkitt, *The Cambridge Ancient History*.

C

- Christensen, Arthur., *Die Iranier* (*Handbuch der Altertumwissenschaft* III).
L'Empire des Sassanides, Copenhague 1907.
Le règne du roi Kawādī I et le communisme mazdakite. 1925.
Etudes sur le zoroastrisme de la Perse antique 1928.
Les Kayanides 1931.
Quelques notices sur les plus anciennes périodes du zoroastrisme. *Act. Orient.* IV.
La légende du sage Buzurjmīr. *ibid* III.
Abarsām et Tansar. *ibid* X.
Les gestes des rois dans les traditions de l'Iran antique. Paris 1936.
Essai sur le démonologie iranienne. (*D. Vid. Selk. Hist.-fil. Medd.* XXVII).
- Clemens, C., *Fontes historiae religionis persicae*. Bonne 1920.
- Cumont, F., *Recherches sur le manichéisme*. Bruxelles 1908.

D

- Darb Dastur Peshotan Sanjana. (éd.), *The Kārname ī Artakshir ī Papakan*.
Bombay 1895, 6.
The Dinkard. Bombay 1874-1928.
- Darmsteter., *Lettre de Tansar*.
Le Zend-Avesta (*Annales de. Musée Guimet* t. 21, 22, 24).
- De Faye, E. *Gnostique et gnosticisme*. Paris 1925.
- De Goeje (éd). *Bibliotheca Geographorum Arabicorum*.
- De Lagarde, P., *Reliquiae juris ecclesiastici Syriace*, Vienne 1856.
- Dieulafoy., *L'art antique de la Perse*, Paris 1884.
- Drew, A., *Die Entstehung des Christentums aus dem Gnostizismus*. Jena 1924.
- Drouin., *Monnaies des Grands Kouchan*. (*Rev. numism.* 1896).
- Duda, Herb. W., *Ferhad u Schirin*. Prague 1933.

E

- Erdmann, K. *Die Iranische Feuerheiligum*. Leipzig 1941.

F

- Flandin. F & P, Coste., *Voyage en Perse*. Paris 1843.

- Foucher, A., *L'art greco-bouddhique du Ganhara*. Paris 1905-18.
 Fox, Sherwood., *Passage in Greek and Latin Literature relating to Zoroaster and Zoroastrianism* (J. Cama. Or. Inst. N 14).
 Frank., *Beitraege aus chinesischen Quellen zur Cenntnis der Tuerkvoelker und Skythen Zentralasiens*. (Abb. Pr. Ak. 1904).
 Freiman, A., *Pand-nāmak i Zarathust*. Vienne 1906.
 Friedlaender., *Die vorchristliche juedische Gnosticismus*. Goettingen 1898.
 Fourdonjee D.I. Paruch., *Sassanian Coins*. Bombay, 1924.

G

- Gabriel, F., *L'opera di Ibn al-Muqaffa* (Rivist. d. Stud. Orient. XIII 1932).
 Gardner, Percy., *The Coins of the Greek and Schythic Kings of Bactera in the Brit. Museum*. London 1885.
 Geiger, B., *Die Amesa Spentas* (Sitz. Wien. Ak. 1916).
 Geiger W. & E. Kuhn (Hrsg.), *Grundriss der Iranischen Philologie*. Strassb 1865-1901.
 Godard & Hackin., *Les antiquités bouddhiques de Bāmiyān*. Paris 1928.
 Graetz., *Geschichte der Juden*.
 Greenfield, J., *Die Verfassung des persischen staates*. Berlin 1904.
 Gruenwedel. *Alt-buddhistische Kultstaetten in Chinesesch-Turkistan*. Berlin 1912.
 Gutschmid, Avon., *Geschichte Irans und seiner Nachbarlaender*. Tuebingen 1888.

H

- Hackin, J., *L'oeuvre de la delegation archeol. franç. en Afghanistan (1922-32)* Tokio 1933.
 Hackin, J. et J. Carl., *Nouvelles recherches archeologiques à Bamiyan*. Paris 1933.
 Halber, L. *Untersuchungen ueber die Edessenische Chronik mit dem syrischen Texte und einer Uebersetzung*. Leipzig 1892.
 Hansen, O., *Zur soghdischen Inschrift auf dem dreisprachigen Denkmal von Karabalgasun* (Journ. d. la Soc. Finno. 1930).
 Haug., *Essay on Pahlavi*.
 Hermann, A., *Die alten Seidenstrassen zwischen China und Syrien*. Berlin 1910.
 Hertel, M. J., *Die arische Feuerlehre*. (Indo-Iran. Quel. u. Forsch. Facs. 6).
 Herzfeld., *Kushano-Sassanian Coins*. (Memoir. of the Arch. Survey of India no 38; 1930).
 Am Tor von Asien. Berlin 1920.

- Archaeolog. Mitteilungen aus Iran I-IX. Berlin 1928-1938.
Paikuli, Monuments and Inscriptions of the Early History of the Sasanian Empire. Berlin 1924.
Archeological history of Iran. London 1935.
Higgins., The Persian War of the Emperor Maurice.
Hirth, F., China and the Roman Orient. (Leipzig-Muenchen 1885).
Chinesische Studien.
Hoernle, R. Manuscript Remains of Buddhist Literature. Oxford 1916.
Indoscythische Beitraege, (Sitz. Pr. Ak. 1916).
Saka versions of the Bhadrakal-pikāsūtra. Oslo 1929.
Saka Studien. Oslo 1932.
Zwoelf Blaetter einer Handschrift des Suvranabhāsūtra in Khotan Sakisch (Sitz. Pr. Ak. 1935).
Eine neue Saka Dialekt. (ibid).
A medical Text in Khotanese. Oslo. 1941.
Hoffmann, G., Auszuge aus syrischen Akten persischer Maertyrer. Leipzig 1880.
Horn, P & G. Steindorff. Sassanidische Siegelsteine, Berlin 1891.

J

- Jackson, A.V. Williams., Zoroaster, the Prophet of Ancient Iran. New York 1919.
The Location of the Farnbāgh Fire. JRAS 1921.
Persia Past and Present.
From Constantinople to the Home of Omar Khayyam. ibid 1921.
The "second Evocation" in the Manichaean System of Cosmogony. Jras. 1921.
Jamasp-Asana. Pahlavi Texts. Bombay 1913.
Junker, H.F.J. Ein mittelpersisches Schulgesprach. (Sitz. Heidelb. Ak. 1912).
(éd) The Frahang i pahlavik. Heidelberg 1912.
Justi. Iranisches Namenbuch. Maryburg. 1895.
Geschichte des alten Persiens.

K

- Konow, Sten. Fragments of a Buddhist work in the ancient aryan Language (Mem. As. Soc. Beng. 1914).
Indoscythische Beitraege (Sitz. Pr. Ak. 1916).
Notes on Indo Scythian Chronology (Journ. of Ind. Hist. XII no 1).

& W. Van Wijk. The Eras of the Indian Karosthi Inscriptions (Ao. III).

Kremer., Kulturgeschichte des Orients.

L

Labourt., Le Christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide. Paris 1904.

Lenglois, (publ.), Collection des historiens anciens et modernes des l'Arménie. Paris 1867-9.

Le Coq, A. von., Chotscho. Berlin 1913.

Lsgge, F., Forerunners and Rivals of Christianity. Cambridge 1915.

Leisegang. Die gnosis. Leipzig 1924.

Lenz, W. Die Nordiranischen Elemente in der neupersischen Literatursprache bei Firdosi.

Le Strange, G. The Lands of the Eastern Caliphate.

Lévi, Sylvian Kuchean Fragments.

Leumann. Zur nordarischen Sprache und Literatur (Schrift. d. Wissen. Gesel. Strassb. 1912).

Maitreya-samiti (Nordarish). Strassb. 1919.

Buddhistische Literatur. (Abh. K. M. 1920).

Das Nordarische (Sakische) Lehrgedicht des Buddhismus (Abh. K. M. XX).

Lommel, H. Die Religion Zarathustras. Tuebingen 1930.

Die Yaest's des Avesta.

Lueders, H. Die sakischen Mūra. (Sitz. Pr. Ak. 1919).

M

Mac'er, M. Fr., Quatre conférences sur l'Arménie. Paris 1932.

Mann, O., Kurdisch-persische Forschungen.

Markwart (Marquart), J. A catalogue of the Provincial Capitals of Iranshahr. (Anal. Orient. Roma 1931).

Erānsahr nach der Geographie des Pr. Moses Xorenac'i. Berlin 1901.

Martin, M. Coins of Kidara. (Jras. B. 1937-38).

Meillet, A. Trois conférences sur les Gatha de l'Avesta Paris 1926.

Le Tokharien. 1913.

Mercati. Per la vita egli scrutti di Paolo il Persiano. Roma 1899.

Messina, O., L'aramaico antico antico. Roma 1934.

Meyer, Ed. Geschichte des Altertums.

Kultur Geschichte des Alten Orients.

Miugana. Sources syriaques.

Mueller, F. Handschriften Reste, Soghdische Texte, (Sitz. Pr. 1913, 14).
Tocharish. (ibid 1907).

N

Nariman, O.K. Iranian influences on Moslem Literature. Bombay 1918.
Neubauer. La geographie du Talmoud.
Zielsen, M. Ditlef. Der dreieinige Gott in religionshistorischen Beleuchtung.
Copenhagen 1922.
Noeldeke, Th., Die Ghassanischen Fuersten (Abh. d. Ak. d. Wiss. Berlin
1887).
Nyberg, H.S., Die Religionen des alten Iran (Deutsch von H. Schaeder).
Leipzig 1938.
Texte zum makdazanischen Kalender, 1934.

O

Olinder, G. The Kings of Kinda. Lund 1927.

P

Pageliaro, A. L'anticresi nel diritto Sasanidico (Riv. d. St. Orient XV)
Pallis, S.A., Mandaïeske Studien. Copenhagen 1919.
Patkanian., Essai d'une histoire de la dynastie Sassanide. Paris 1866.
Pedersen, Holger., La groupement des dialectes indo européens, 1925.
Tocharisch vom Gesichtspunkt der indo-europ. Sprachvergleichung. (D. Vid. Selsk. Hist-fil. I 1941).
Peldersen, Johs., The Sābians, dans A Volume of Oriental Studies presented
to Prof. E. G., Browne. Cambridge 1922.
Pelliot, P. Tokharien et Kouçqéen. J. A. 1934.
Peterson. Urchristentum und Madaeismus (Zeitschr. fuer die neutestament.
t. 27/1928).
Plutarque.
Pognon. Inscriptions mandaeïtes des coupes de Khouabir. Paris 1898.
Pope, A. U. A survey of Persian Art. I. II. London 1938, 9.

R

Rapson, E. J. The Cambridge History of India I. Cambridge 1922.
Reinaud., Relations politiques et commerciales de l'Empire romain avec
l'Asie orientale. Paris 1833.
Memoire sur le royaume de la Mésène et de la Kharacène.
(Memoire. de l'Institut de France XXIVb).

Reitzenstein. Die hellenistischen Mysterienreligionen.

Rosen, V. Mélanges asiatiques tirés du Bull. de l'acad. Imp. de Sc. des St
Petersb. XIII.

Rostovtzeff. Caravan Cities, Oxford 1932.

Rothstein, G. Die Dynastie der Lahmiden in Al Hira. Berlin 1899.

S

Sachau., Die Chronik von Arbela. (Abh. Pr. Ak. 1915).

(éd et Trad) Syrische Rechtsbuecher. Berlin 1914.

Salhani, P. Histoire abrégée de dynasties. Beyrouth 1890.

Sallet, von., Die Nachfolger Alexanders des grossen in Bactrien und
Indien. Berlin 1879.

Sarre, Fr., Die Kunst des alten Persien.

& E. Herzfeld. Iranische Felsreliefs. Berlin 1918.

Archaeologische Reise in Euphrat und Tigris
gebiet II. Berlin 1920.

Schaeder., Iranica (Abh. d. Ges. d. Wissen. Goettingen 1934).

Esra der Scheiber.

Der Orient und das griechische Erbe.

Iranische Beitrage. Halle 1930.

Schefer. Chrestomatie persane.

Schmidt, C. & H. Polotsky., Ein Mani Fund in Aegypten. (Sitz. Pr. Ak. 1933).

Schulez, W. Dokumente der Gnosis. Wien 1918.

Schwarz, P. Iran im Mittelalter. Leipzig 1896.

Seteeds. Hist. d'Hela Ius.

Spiel., Iranische A tertumkunde.

Stack, E. Six months in Persia. N. York 1882.

Stein, A. Zoroastrian Deities in Indo-Scythian coins. (Babylon. Rech.
Londres 1886-87).

Sand buried Ruins of Khotan. London 1904.

Ancient Khotan. Oxford 1907.

Ruins of the Desert Cathay. London 1912.

Sieg & Sieglin. Tocharisch (Sitz. Pr. Ak. 1908).

Tocharische Sprachreste. Berlin 1921.

Strabon.

T

Tavadiā (éd) Shāyāst ne Shayast. Hambourg 1980.

U

- Unvala, J. M.** Observation on the Religion of Parthians. Bombay 1925.
(publ. et trad.) The Pahlavi text "King Khusrus and his boy"
Paris 1921.

V

- Vasmer, R.**, Sassanian Coins in the Ermitage. (Numismatic. Chronicle 1928).

W

- Waldschmidt-Léontz.**, Die Stellung Jesu.
Wesendonk., Urmensch und Seele in der Iranischen Ueberlieferung.
Hannover 1924.
Das Wesen der Lehre Zarathustras. Leipzig 1927.
Das Weltbild der Iranier. Muenchen 1933.
West, G. (Transl.) Pahlavi Texte I-V, sacred books of the East tt 5, 18,
24, 37, 47.
Notes on Indo-Scythian coin legends. (Babyl. & Orient Rech.
London 1888).
Westergaard (publ) Le Bundāhishn indien. Havniae 1851.
Wikander, Stig., Der Arabische Maennerbund. Lund 1938.
Wright, W. The Chronicle of Joshu the Stylite. Cambridge 1882.
Wroth, Warwick., Catal. of the Coins of Parthia. London 1903.

قائمة المختصرات

LISTE DES ABRÉVIATIONS

- Abh. K. M. = Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes.
 Abh. Pr. Ak. = Abhandlungen Akademie der Wissenschaften.
 Am Tor, voir Herzfeld.
 AO = Acta Orientalia.
 Arch. Mitt, voir Herzfeld.
 Assem. = Assemani, Bibliotheca Orientalis Clementino-Vaticana, 1-4, Rome 1719-1728.
 Bartholomae, Air. Wb. = Altiranisches Wörterbuch, Strassb. 1904.
 » Die Frau = Die Frau im sasanidischen Recht, Heidelberg 1924.
 » Rechtsbuch = Über ein sasanidisches Rechtsbuch, Sitzungsberichte der Heidelberger Akademie, 1910.
 » Z. sas. Recht = Zum sasanidischen Recht I-V, Sitzungsberichte der Heidelberger Akademie, 1918, 1920, 1922, 1923.
 BB = Bezenbergers Beiträge zur Kunde der Indogermanischen Sprachen.
 Beal = S. Beal, Buddhist Records of the Western World, I-II, Londres 1906.
 BGA = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, éd. de Goeje.
 BP, voir Procope.
 BSL = Bulletin de la Société de Linguistique de Paris.
 BSOS = Bulletin of the School of Oriental Studies.
 Christensen, Empire = L'empire des Sassanides, Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskabs Skrifter, 7. Række, historisk og filosofisk Afdeling, I. 1. (Copenhague 1907).
 » , Kawādh = Le règne du roi Kawādh I et le communisme mazdakite, Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskabs historisk-filologiske Meddelelser, IX. 6 (1925).
 » , Et s. le zor. = Études sur le zoroastrisme de la Perse antique, ibid. XV. 2 (1928).
 » , Les Kayanides, ibid. XIX, 2 (1931).
 » , Quelques notices = Quelques notices sur les plus anciennes périodes du zoroastrisme, Acta Orientalia, IV, p. 81 sqq.

- Christensen, Buzurjmīr = La légende du sage Buzurjmīr, *ibid* VIII, p. 81 sqq.
- „ , Abarsām = Abarām et Tansar, *ibid*. X, p. 43 sqq.
- Darmesteter, ZA = Le Zend Avesta, *Annales du Musée Guimet*, t. 21, 22 et 24.
- Dieulafoy = Dieulafoy, *L'art antique de la Perse*, Paris 1884.
- Djāniz, Tādj = Khānu-t-tādj de Djāniz, édition du Caire 1914.
- D. Vid. Selsk. fil-hist. Medd. = Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskabs filologisk-historiske Meddelelser (*Communications philologiques et historiques de l'Académie royale des sciences et des lettres du Danemark*).
- Felsreliefs, voir Sarre-Herzfeld.
- Fihrist = Kitāb al-Fihrist, herausgegeben von O. Flügel, I—II. Leipzig 1871—72.
- Flandin (et Coste) = F. Flandin et P. Coste, *Voyage en Perse*, Planches I—II. Paris 1843.
- GIPh = *Grundriss der Iranischen Philologie*, herausgegeben von W. Geiger & E. Kuhn. Strassb. 1895—1901.
- Herzfeld, Am Tor = Am Tor von Asien, Berlin 1920.
- „ Arch. Mitt. = *Archäologische Mitteilungen aus Iran*, I—VI. Berlin 1929—33.
- „ Paikuli = Paikuli, *Monument and Inscriptions of the Early History of the Sasanian Empire* I—II, Berlin 1924 (tome II contenant les planches).
- Hüen Tsiang, voir Beal.
- Hofman = G. Hoffmann, *Auszüge aus syrischen Akten persischer Märtyrer*, Leipz. 1880 (*Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes*, VII, 3).
- IF = *Indogermanische Forschungen*.
- Inostrantzev, S. E. = (*Études sassanides*), St. Petersbourg 1909.
- JA = *Journal asiatique*.
- JAOS = *Journal of the American Oriental Society*.
- J. Cama Or. Inst. = *Journal of the K. R. Cama Oriental Institute*.
- JRAS = *Journal of the Royal Asiatic Society*.
- Justi, *Namenbuch* = *Iranisches Namenbuch*, Marburg 1895.
- Kānāmāgh = *The Kārnāmē ī Artakhshēr ī Pāpakān*, ed. by Darab Dastur Peshotan Sanjana, Bombay 1895—96. — *Geschichte des Artachshir I Pāpakān*, übersetzt von Th. Nöldeke, *Beiträge zur Kunde der Indogermanischen Sprachen*, IV.
- Labourt = J. Labourt, *Le christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide*. Paris 1904.
- Langlois = *Collection des historiens anciens et modernes de l'Arménie*, publiée par V. Langlois, I—II. Paris 1867—69.

- Markwart-Messina, Catalogue = J. Markwart (Marquart), A Catalogue of the Provincial Capitals of Eranshahr, ed. by G. Messina, *Analecta Orientalia*, 3, Roma 1931.
- Marquart, Erānsahr = J. Marquart, Erānsahr nach der Geographie des Ps. Moses Xorenac'i, Berlin 1901 (Abhandlungen der Kön. Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, phil-hist. Klasse, Neue Folge, III, no. 2).
- Mas'ūdi, Murūdī = Maçoudi, Les prairies d'or (Murūdju'd-dahab), texte et traduction par C. Barbier de Meynard et Pavet de Courteille, I—IX, Paris 1861—77.
- Mas'ūdi, Tanbīh = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, VIII (Kitābu't-tanbīh), Lugd. Bat. 1894. — Maçoudi, Le livre de l'avertissement et de la revision, trad. par Carra de Vaux. Paris 1896.
- MO = Le Monde Oriental.
- Modi Mem. Vol. = Dr. Modi Memorial Volume, Bombay 1930.
- Morgau = J. de Morgan, Mission scientifique en Perse, Recherches archéologiques, Paris 1900—1911.
- MSL = Mémoires de la Société de Linguistique de Paris.
- Murūdī, voir Mas'ūdi.
- Nariman, Ir. Infl. = G. K. Nariman, Iranian Influence on Moslem Literature, Bombay 1918.
- Nihāyat = Nihāyatu'l-irāb fī akhbār'l-furs wal-'arab (E. G. Browne, JRAS, 1900, p. 195 sqq).
- Noeldeke, Burzoes Einleitung = Burzoes Einleitung zu dem Buche Kalilawa Dimna, übersetzt und erläutert von Th. Noeldeke. Strassb. 1912 (Schriften der Wissenschaftlichen Gesellschaft in Strassburg, 12. Heft).
- Noeldeke, Tabarī = Th. Noeldeke, Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden. Aus der arabischen Chronik des Tabarī Leyden 1879. (Notes et excursus; la traduction elle-même et désignée: Tabarī, Noeldeke).
- Paikuli, voir Herzfeld.
- Procope, BP = De bello Persico.
- PT, voir West.
- RHR = Revue de l'histoire des religions.
- Rothstein = G. Rothstein, Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira, Berlin 1899.
- Sarre, Kunst = Fr. Sarre, Die Kunst des alten Persien, Berlin 1922.
- Sarre-Herzfeld, Felsreliefs = Fr. Sarre und E. Herzfeld, Iranische Felsreliefs, Berlin 1910.
- Arch. Reise = Fr. Sarre und E. Herzfeld, Archäologische Reise im Euphrat- und Tigrisgebiet, II, Berlin 1920.
- S.E., voir Inostrantsev.

Sitz., Pr., Ak. = Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der Wissenschaften.

Tabari = Tabari Annales, éd. de Geoeje, Séries I.

Tabari-Nœldeke = Th. Nœldeke, Geschichte der Perse und Araber zur Zeit der Sassaniden. Aus der arabischen Chronik des Tabari, Leyden 1879.

Tādĵ voir Djāhiz.

Tanbīh, voir Masūdī.

Vend. = Vendīdād.

West, P T = Pahlavi Texts translated by E. W. West, I—V, Sacred Books of the East, tt. 5, 18, 24, 37, 47.

WZKM = Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes.

Y = Yasna.

Yt = Yasht.

ZA, voir Darmesteter.

ZDMG = Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft.

ZII = Zeitschrift für Indologie und Iranistik.

ملحق

بالزيادات التي أدخلها المؤلف في طبعة ١٩٤٤

كما تكون في الترجمة العربية

المقدمة :

ص ١٩ — تضاف هذه الحاشية على كلمة « الدينية » في العنوان :

أحدث مصنف عن الآراء الدينية والعبادات عند قدماء الإيرانيين هو كتاب
نيبرج : Die Religionen des Alten Iran . وهو الكتاب الذي أشرت إليه
كثيراً في هذا الفصل . وانظر لومل في كتابه عن دين زردشت ، توبنجن ١٩٣٠ .
وانظر جيجر في بحثه عن الأمشا سبندان . وانظر ميه في محاضرات ثلاث عن
السكانات ، باريس ١٩٢٥ .

أما عن اليشتات فانظر ترجمة لومل ؛ ثم مقالتي هرتل حيث طبق على اليشتات
آراءه في نظرية النار التي استخلصها من جميع المصطلحات الدينية في دين زردشت ؛
ثم بنفست ورينو في Vrtra et Vrthraghna ، باريس ١٩٣٤ ؛ ثم بيركلند في
كتابه : زردشت نبي إيران ، اوسلو ١٩٤٣ .

ص ١٩ — يضاف بعد كلمة « الأصل » في السطر ٧ :

ثم إنه في الوقت الذي دخل فيه الإيرانيون في التاريخ ، أمكننا أن نميز بين
طائفتين مختلفتين ، اعتنقت إحداها مذهب ميترا الذي أصبح حينئذ أول الآلهة
عندهم ، واعتنقت الأخرى مذهب مزدا واتخذت منه ربها الأعلى . وكان عباد ميترا
(نيبرج ، Rel ، الفصل ٣) يوجهون لهذا الإله وإلى الآلهة المحيطة به « يشتات »
أو تراثيل حفظت الأوستا « الحديثة » بعض نماذج منها طبقها الديانة الزردشتية .
ومن جملة هذه الآلهة « رشنو » — الاستقامة — و « سروش » — الطاعة .

وهذه الأسماء ، كغيرها من أسماء الآلهة الأوستية لها طابع المجرّدات المجسّمة . ويرى نيرج أن هذه الآلهة تمثّل هياث اجتماعية ، فعنده « رشنو » هو رب الابتهاال ، و « سروش » هو رب الأمة الميترية المؤمنة والمستعدة للذود عن دينها ، و « آشي » هي ربة التماسل التي تهب المؤمنين بركة الزواج وكل أنواع السعادة . ثم هناك الإله « ورثرغن » وهو رب المهجوم المظفر وإله الحرب ، و « خورنه » ، النصر ، الذي يصحب الملك الشرعى ، وآلهة صغيرة كثيرة . وفي الأضاحى المقدمة للآلهة من الميترين كان المؤمنون سكارى بشراب الهوما (السوما عند الهنود) ، وكانوا يعبدون الإله « هوما » الذى يجمع المؤمنين فى التجلى الدينى .

أما أن « أرذوى سورا أناهيتا » إلهة الماء وربة الخصب كانت فى بادىء الأمر الإلهة الأولى عند طائفة ثالثة ، كما يذهب نيرج ، فهذا عندى أمر مشكوك فيه كذهبه فى محاولة القول بأن هذه الإلهة هي نفسها نهر سيحون .

ويبدو أن مذهب مزدا كان منتشراً ، كذهب ميترا ، فى جميع النواحى التى يسكنها الإيرانيون . وقد ظهر زردشت كنبي لهذا المذهب فى مكان ما من شرقى إيران . وعصر زردشت سابق على العصر الأكيمى . وقد وضع أساساً متيناً للمزديّة التى جددها والتى نسميها باسمه « الزردشتية » ، وذلك فى « الـگاتات » وهى نوع من المواعظ النبوية المنظومة التى تحمل طابع شخصية تقيّة قوية راغبة فى أن تفهم الحقيقة وأن تناضل من أجلها .

وقد حارب بعنف مذهب عبادة الديوات — وهو الاصطلاح الذى أطلق على آلهة الجماعات غير المزديّة — هذه العبادات التى مارسها المؤمنون بها فى طقوس خمرية يشرها شراب الهوما — يقوده إلى ذلك رؤى رآها وهو فى حالة التجلى . وقد دعا إلى مزدا ، مزدا أهورا ، أهورا مزدا ، كإله لم يخرج من قبيلة أو أمة ولكنه خرج من الإنسانية كلها .

ص ٢٠ — تحذف الفقرة الثانية ويوضع عوضاً عنها :

ولا تكون هذه الأمشاسپندات الستة أو السبعة فى الـگاتات مجموعة خاصة .

وهنا نرى إلهين من آلهة ميتراهما سروش وآشي . و نرى صلات معينة تربط بين آلهة الكائنات وقوى الطبيعة والعناصر ، من ذلك ظهور آرميتي كإله للأرض . ويرى نيبرج ، مع اعترافه بالجانب الطبيعي لهذه الآلهة ، في الأسماء المجردة لآلهة الكائنات ، كما هو الحال في آلهة الميترين مثل رشنو و سروش وغيرها ، تعبيراً عن الوظائف الروحية أو العقلية لبعض الفرق الدينية والاجتماعية . ولكن حين يتحدث عن تحديد هذه الوظائف يغمض تأويله لها في بعض الأحيان . ونيبرج حين يرفض القول بأنه كان للمؤمنين بالكائنات ملكة التفكير في العنويات يعارض تماماً رأى لومل في أن دين زردشت نوع من الفلسفة المستنيرة . ولا شك أن هناك نصيباً من الحقيقة في نظرية نيبرج . فإن زردشت لم يكن فيلسوفاً ولكن كان من العارفين . وقد ساهم في حياة وفي تقاليد جماعة ربط بينها دين مزدا ، وكان يدرك في تأملاته الصلة الوثيقة بين مصير الناس والقدرة الإلهية ، هذه الصلة التي يتعذر علينا تحديد أوجهها المختلفة ، وقد قررت في نفسه في تعبيرات روحانية عالية . ولكن علينا أن نراعى أن الإيرانيين في ذلك الوقت لم يكونوا قومياً بدائين ، لقد ورثوا في إقليم إيران مدينة قديمة يشهد بها ما كشف من آثار عصر ما قبل التاريخ ، وإنى أميل إلى الاعتقاد أنه كان للاصطلاحات الروحية عند الإيرانيين في ذلك الزمان ، في طابعها الجماعي والاجتماعي ، قيمة خلقية « مجردة » وفردية .

والواقع أن صور الآلهة الكائنية ليست إلا مسودة غامضة ، كما تبدو لنا اليوم ، ولكنها لم تكن كذلك عند الإيرانيين أيام الكائنات .

ولم يبق من القصص الديني ، الذي أبقى هذه الآلهة حية ، غير قصة الألم والشكوى المنبعثين من روح الثور (يسنا ٢٩) ، وهي قصة إيرانية قديمة ترجمت في قالب زردشتي .

ودثنا (دين) اصطلاح ديني أساسي . وعندى أن نيبرج قد اهتدى إلى حل لفظ هذا اللفظ المهم . فهذا اللفظ أطلق أولاً على الروح العلوى للمؤمن ، ثم أطلق بعد ذلك على مجموعة الأرواح العلوية ، وهي الجماعة التي تتحد في العقيدة ، أي جماعة

الزردشتية ، ومنها تطور المعنى العام للعقيدة التي عبر عنها بكلمة دين في النصوص الإيرانية في العهد الوسيط .

وقد وجد العالم الخبيث في مواجهة العالم الطيب . وكما أن كل ما يتعلق بعالم الخير يتلخص في مفهوم آشَ ويعبر عنه بالصفة اشوان ، فقد خصص العالم الخبيث بالاصطلاح المؤنث دروغ ، ومعناه تخريب النظم الطيبة بالباطل أو بعبارة أخرى بالكذب الذي يجسم أحياناً في شيطان أنثى ، والصفة التي يعبر بها عنه هي دُروغونست . ومن بين قوى الشر اشم (الغضب) و (القسوة) وهو أكثر قواء فعالية . وهذا الشيطان الذي يسوء إلى الناس والدواب ليس هو العدو الخاص بسروشَ ولكنه أصبح كذلك في النصوص الأوستية الأحدث .

ولكن التوازن الدقيق بين عالمي الخير والشر ، الذي يميز الأوستا الحديثة ، كان قد بدأ يظهر في السجلات . وكما أن دروغ هو خصم اشَ فإن الكَ منه « الفكر الخبيث » هو خصم وهُومنه ، و الكَ منه أو ازمينو (أهرمين في اللغتين البهلوية والفارسية الحديثة) — الروح الخبيث — خصم سبنت مينو (العقل القادر) . وبفعل هذين الروحين الأصليين ، التوأمين ، بدأ اختلاف النزعات في الدنيا .

ص ٢٢ — يضاف بعد السطر الأول :

كان هذا السعى للتقريب بين المذاهب قد تم في الوقت الذي اقتضرت فيه الزردشتية على الأقاليم الشرقية من إيران . ثم امتد هذا التيار الديني إلى ميديا حيث رجال الدين فيها ، المغان ، دعاة غيورون . ولا نستطيع تحديد تاريخ ذلك ، ولكن كان الميديون زردشتيين أيام دارا وخشيارشا ، بينما كان إقليم فارس والأسرة الأكينية يدينون بالمزديية غير الزردشتية^(١) ، ومنذ ذلك الحين وميديا هي مركز

(١) أحيل هنا على الأبحاث الجديدة التي عرضت إليها في بحثي الحديث عن : الفصل الأول من الوندidad والتاريخ البدائي للقبائل الإيرانية . ويقول نيرج إن محاولة للتقريب بين المذاهب قد ظهرت بعد آخر مراحل مذهب زردشت .

الزردشتية التي تستوحى ، بعد تطورها الأخير ، أفكار طبقة الفنان . وحين فقدت الزردشتية طلائعها ، اختلطت من حيث الصياغة بديانة جافة ومتكلفة ، هي في الوقت نفسه بعيدة عن التسامح . وقد وضعت مبادئ دقيقة لتنظيم حياة المؤمنين الذين كان عليهم أن يحافظوا على أنفسهم من شر شياطين وعفاريت مختلفة أطلق على كل منهم كلمة ديو (شيطان) ، وذكرت القيامة والحساب بالتفصيل . وبعد زردشت يولد ، من نطفة له غبأة ، ثلاثة من المخلصين الجدد على ثلاث فترات كل فترة مقدارها ألف سنة . ويدل ظهور آخرهم ، وهو آشتوت آرث ، سوشيانث أى المخلص الأخص ، الذى يظهر بعد ثلاثة آلاف سنة من موت زردشت ، على نهاية العالم . حينئذ ، وبعد معركة فاصلة بين عالمي الخير والشر ، وبعد تطهير الأرض بالمعدن المذاب ، يظهر عهد جديد من الخير الأبدى الذى لا يتغير وهو المعروف بكلمة فرشوكرتى أى تبديل صورة الكون .

ص ٣٧ — يضاف بعد السطر ٥ بعد كلمة شيرين ، وتحذف كلمة « هو » من السطر ٨ :

والكتابة الكائنة في نقش رستم المحفورة على الحائط الشرقى للعبد الذى يسمى كبة زردشت والذى يحمل أن يكون بيت نار قديم ، والنقش الأول مكتوب ...

ص ٣٨ — يضاف قبل السطر ٣ :

والنقش پہلوى السامانى في كبة زردشت الذى كشفته في سنة ١٩٣٦ بثمة المعهد للشرق في شيكاغو التى كان يديرها اريك شميدت قد سجله شيرنلنج في المجلة الأمريكية للغات السامية وآدابها (٥٣) ، ١٩٣٧ . وهناك نسخة أخرى من هذا النقش ضمن مقالة لهذا الأستاذ في ZDMG ، (٩١) ص ٦٥ وما بعدها . والكاتب ينسب النقش إلى نرسى . وقد بينت في بحثى في مؤتمر المستشرقين (٢٠) الذى عقد في بروكسل سنة ١٩٣٨ أن هذا النقش لسابور الأول . وقد أعد هذا البحث لينشر في مجلد لذكرى ولیمز جاكسون ، في بمباى ، ولما يظهر . (حتى

سنة ١٩٤٤) . ثم إن مستر هنتج في مقال له بمجلة BSOS (٩) ، ص ٨٢٣ — ٤٩ ، أتى بأدلة قاطعة بأن النقش لسابور الأول . وقد جاء في هذا النقش ، بعد تعداد لمدن الشام ، موجز لوصف الحرب بين هذا الملك والرومان وأسر الإمبراطور فاليرين . وقد عني هنتج عناية كبيرة بهذا القسم من النقش ، وهو تالف تلفاً شديداً لسوء الحظ . وفي القسم الأخير من النقش ، وهو سليم نسبياً ، وقد نشر جزء منه في مقال هنتج ، يعدد سابور بيوت النار التي أقامها تمجيداً لروحه ولأرواح آل بيته وجماعة من عظماء الدولة .

ص ٣٨ — يضاف إلى الكتابات الساسانية :

كتابة بالفتن (الهلوية الساسانية والهلوية الأشكانية) على بناء سابور الأول في مدينة شاهپور . گیر شمان : مجلة الفنون الآسيوية (١٠) ، ص ١٢٣ — ٢٩ . وقارن Olaf Hansen في ZDMG ، (٩٢) ، ١٩٣٨ ، ٤٤١ وما بعدها . كتابة هلوية ساسانية لسابور الأول على كعبة زردشت ، نقش رستم . شپرنلنج ، في المجلة الأمريكية للغات السامية وآدابها ، (٥٣) ، رقم ٢ ، ص ١٢٦ — ٤٤ ؛ ZDMG ، (٩١) ، ص ٦٥٢ — ٧٢ ؛ هنتج في BSOS ، (٩) ، ص ٨٢٣ — ٤٩ .

ص ٣٩ — يضاف قبل السطر ١٧ :

كتابة في كنيش دورا . پاليارو : The Pehlevi Dipinti . حفائر دورا ، الموسم السادس ، مطبعة جامعة Yale ، ١٩٣٦ .

بردى . Olaf Hansen (Abh. Pr. Ak.) ، ١٩٣٧ .

ص ٥٥ — يضاف إلى الفقرة الأولى سطر ٧ :

ويرى جوتشمد أن هذا الكتاب هو تاج نامه نفسه . وقد قبل هذا الرأي ، المحتمل كثيراً ، كل من اينسترنزف وشيدر . ويقول أولهما إن روايات الكتب العربية والفارسية عن ارتقاء الملوك الساسانيين للعرش منقولة عن هذا الكتاب .

ص ٥٥ — يضاف إلى السطر ١١ بعد كلمة أرجان :
بقلعة شيز (جص) . ويربط ابنسرتنرف هذه الملاحظة بكتاب التاج .

الفصل الأول :

ص ٧٦ — يضاف بعد كلمة الأشكانيين في السطر ٢ :
بعد أن أخضع بابل . وقد توج في حفل على سنة ٢٢٦ ولقب بلقب
شاهنشاه إيران .
وتحذف بقية الفقرة .

ص ٧٧ — يضاف في آخر الفقرة الأولى بعد كلمة الكوشانيين :
وقد هاجم أردشير مدينة دورا سنة ٢٣٨ .

الفصل الثاني :

ص ٨٧ — يضاف إلى الحاشية (١) ما جاء في الحاشية الإضافية ص ٥٠٧ .
ص ١١٨ — يضاف بعد الفقرة الأولى :
ويظهر في نقش كعبة زردشت ، (١) ، ٣٤ ، « وازار بد » أي رئيس السوق .
وحذف ما جاء بعد كلمة الجمال من هذه الفقرة .
ص ١٢٧ — تضاف فقرة جديدة :
وفي العقود الأولى من القرن الخامس عين پاذ كرسپان تحت رئاسة الإصبيد .
وكان يزد كشنسپ پاذ كرسپان أيام بهرام الخامس .

الفصل الثالث :

ص ١٣٢ — زاد حاشية فوق كلمة الثامن سطر ١٣ :

ويرى نيرج (Rel ، ص ٨ — ١٤ و ٤٢٦ — ٢٩) أن شريعة زردشت كانت تتناوب دائماً شغويا بين رجال الدين . ويرجع سطر هذه الشريعة إلى منافسة الأديان الأجنبية لها (اليهودية والمسيحية والمناوية بوجه خاص) ، تلك الأديان التي كانت لها كتب . وهذا النص الأوسق لم تكن له أبداً مناعة حقيقة ؛ ويختم نيرج رأيه هذا بقوله : إنه من أجل هذا نسيت النسوك الساسانية .

ص ١٣٨ — تضاف حاشية عند كلمة العظيمين سطر ١١ :
هناك تأويل آخر عند نيرج ، Rel ، ص ١٠٢ وما بعدها .

ص ١٣٩ — تضاف حاشية عند كلمة ساد سطر ١ :
ويرى نيرج (Rel ، ص ٣٨٨) أن الزروانية هي للذهب القديم الذي اعتنقه المجوس في ميديا قبل أن يصبحوا زردشتيين .

ص ١٤٢ — يضاف إلى الحاشية (٥) :

وقد أضاف نيرج بعض التعديلات بعد ذلك . فهو يذهب الآن (Rel ، ص ٣٨٣) إلى أن الألقاب : ارشوقار و فرشوقار ومرشوقار (وآخرها هو زروقار في التثنية الزرواني) تنطبق على ورثاغنا وتتعلق به أصلاً (يشتمل ١٤ ، ٢٨) ، وأنها نقلت بواسطة مجوس ميديا فصارت زروان الذي هو من بعض الوجوه ، في رأى نيرج ، معادل ميدي لورثاغنا في شرقى إيران .

ص ١٤٤ — يضاف إلى الحاشية (٢) :

وقد تناول Wikander هذه الإلهة في كتابه « Vayo » ، أوبسالا ، ١٩٤١ .

ص ١٥١ — يضاف إلى الحاشية (١) :

ويرى شيرنلنج (المجلة الأمريكية للغات السامية وآدابها ، ١٩٣٧ ، ص ١٤٠) أن كعبة زردشت ، حيث كشف نقش پهلوى اسابور الأول ، هي بيت النار الشهير في اصطخر (الأناهيد) . ولكن النقش نفسه لا يؤيد هذا الرأى . وهذا البيت

مصور على وجه بعض النقود المنسوبة إلى بعض الولاة السابقين على الساسانيين .
(رسم ٤ ، انظر إردمن Feuerheiligum ، ص ٢٠ ، ٣٢) .

ص ١٥١ — تحت رسم يكتب الآتي :

كعبة زردشت مصورة . . بدلا من كعبة بيت نار مرسوم . . .

ص ١٥١ — تضاف حاشية عند كلمة ضخم في السطر الأخير :
انظر الخاتم المصور في پا يكولى لهرتسفيلد ص ٧٧ .

ص ١٥٢ — تضاف العبارة الآتية بعد كلمة النقود في السطر ٤ :

ونقش شاهپور الذي يرجع إلى عصرى أردشير الأول وسابور الأول ، حسب
« نار » هذين للملكين يشرح لنا هذا : كل ملك ، في مناسبة تتويجه ، يشيد بيت
نار ليصبح شعاراً لهده .

وبجانب النار الملكية ، كانت هناك نار البيت ونيران بيوت النار في الأقاليم ،
وكانت تسمى آذران و ورهران (وهرام) . ويبدو أنه قرب نهاية العصر الساساني
كانت آذران نار القرى الصغيرة بينما كانت نار وهرام نار البلاد الأكبر منها .

ثم أضيفت حاشيتان فوق كل من الكلمتين الأخيرتين في الفقرتين السابقتين :
فمن الأولى جاء في الحاشية :

كريستنمن في مقال جيرشمان في مجلة الفنون الآسيوية ، (١٠) ، ص ١٢٧ .
وعن الثانية جاء في الحاشية :

وانظر تافاديا في أرشيف علم الأديان ، (٣٦) ، ص ٢٥٦ وما بعدها .

وذلك عن نقل نار البيت إلى نار آذران ، ونقل هذه إلى بيت نار وهرام .
وقارن بنقست في Vrtra et Vrthragna (باريس ١٩٣٤) ، ص ٣٩ ، ٧٢ .

ص ١٥٤ — يضاف إلى الحاشية (١) :

وقد قارن بيلي (BSOS) ، (٩) ، ص ٢٣٢) السكامة الفارسية برنام مع اللفظ
الإيراني القديم ايرنايو ، وذلك ليقى مقطع — رن — فى فرنيغ .

ص ١٥٤ — تضاف حاشية عن كلمة سراساوغ سطر ٨ :
والصيغة الصحيحة للكلمة مشكوك فيها .

ص ١٥٦ — يضاف إلى الحاشية (٣) :

قارن اردمن ، Feuerheiligtum ، ص ٤٩ .

ص ١٥٨ — يضاف بعد كلمة الأشكانيين فى السطر ٣ :

والحنائر التى عملت فى شاهپور فى السنوات ١٩٣٥ وما بعدها بإشراف
غيرشمان قد كشفت عن بيت نار يمتل أن يكون من عصر سابور الأول . وقد
بحثت خرائب بيوت نار أخرى ووصفت فى السنوات الأخيرة ، وهى بيوت نار
أردشير الأول فى فيروز آباد وخرائب المعابد التى كانت فى قصر شيرين (على طريق
خانقين وكرمانشاه) ، وفى جيره فى منطقة شاهپور بقرب قم (قلعه دختر) ،
ومعابد أخرى . وكان بيت النار مقبباً فى العادة ، يلحق به أجنحة وغالباً ما يكون
له حديقة . وقد اشتهرت خرائب معبد فوق ربوة قرب إصفهان .
وهذه الفقرة بدلا من الجملة التى تبدأ بكلمة ، ويرى ، وتنتهى بأردشير خوره
فى صفحة ١٥٩ .

وأضيفت الحواشى التالية فوق كلمات من هذه الفقرة :

فوق كلمة سابور الأول :

مجلة الفنون الآسيوية ، (١٠) ، ص ١٧٧ وما بعدها و (١٢) ، ص ١٢
وما بعدها .

وفوق كلمة حديقة :

ويرجع بيت النار الذى كشف فى كوه خواجه بسيستان إلى العصر الأشكاني .

انظر هرتسفيلد Arch. Hist ، ص ٧٦ وما بعدها ؛ اردمن ص ٣٥ وما بعدها .

ص ١٥٨ — يضاف إلى الحاشية (٢) ، قبل كلمة ذكرت :
وقد عدد الكارناماك في الجزء ٤ فقرة ٨ ، ١٩ نيران وهرام الق شيدها
أردشير الأول .

ص ١٥٨ — يضاف إلى الحاشية (٣) :
وقد أخفت خرائب الآثار الإسلامية بقايا بيت النار . انظر آثار إيران ، ج ٢ ،
ص ١٦٤ — ٦٥ ، وجزء ٣ ، ص ٦٠ — ١ . والجزء الثالث من هذه المجموعة
خاص ببيوت النار في إيران ؛ والجزء الأول Cult Buildings, Survey
(رويتر) .

ص ١٥٨ — تضاف حاشية فوق كلمة إصفهان في السطر ٤ :
نيرج ، متون التقويم المزدى . جامعه أوبسالا ، سنة ١٩٣٤ .

ص ١٦١ — نغير الفقرة الثانية بعد كلمة اوهرمزد سطر ٨ إلى :
ويرى نيرج أنه كان في العصر الساساني ثلاثة تقاويم :

١ — التقويم القمري (٣٥٥ أو ٣٥٣ يوماً ، وكل شهر ستة أسابيع وكل
أسبوع خمسة أيام) ، وهو تقويم قديم سار عليه المانوية من غير الإيرانيين .

٢ — تقويم مدني ورسمي يسمى روز و هيژگيه وهو التقويم الشمسي
(١٢ شهراً + الأيام الخمسة المسترقة) . وفي هذا التقويم أهمل ربيع يوم (ست
ساعات) علاوة على كل ٣٦٥ يوماً ، مما أدى إلى أن يتأخر رأس السنة يوماً كل
أربع سنوات .

٣ — التقويم الديني المسمى و هيژگيه ، ويستند إلى السنة الشمسية أيضاً
(٣٧ — الساسانية)

(١٢ شهراً + الأيام الخمسة المسترقة ، ويضاف إليه سنة ، من الناحية النظرية على الأقل ، كل ١٢ سنة) .

والأيام المسترقة التي كانت في التقويمين الثاني والثالث تضاف على آخر شهور السنة قد أضيفت إلى جميع شهور السنة في التقويم المدني ، لأن السنة المدنية كانت أقصر من السنة النجومية .

وأضيفت حاشية فوق كلمة نيرج من هذه الفقرة :

نيرج : متون التقويم للزدي ، ص ٨٣ وما بعدها . وقارن هجنز : الحروب الفارسية في عهد الملك موريس ، الفصل الأول عن مختصر لتاريخ التقويم الفارسي في العصر الساساني . و H. Lewy : التقويم الفارسي ، في AO ، (١٠) ، الفصلين ١ ، ٢ . وتقي زاده في ZDMG ، ١٩٣٧ ، ص ٦٧٣ — ٧٩ ، BSOS ، (٩) ، ص ١٢٥ وما بعدها ، AO ، (١٨) ، ص ٢٥٨ — ٣١١ ، كاه شماری در ایران قديم ، بالفارسية طهران ، ١٩٢٨ .

ص ١٦١ — يضاف بعد كلمة الأعياد سطر ١٦ :

ويشير البيروني إلى طريقة الكبس في التقويم الديني ، ولكنه من الناحية العملية لم يعرف التقويم المدني (نيرج ص ٨٦) .

ص ١٦٣ — أضيفت حاشية فوق كلمة لأهمها سطر ٩ :

قارن نيرج : متون التقويم للزدي ، ص ٤٨ وما بعدها .

ص ١٦٨ — يضاف بعد الكلمة الأولى من سطر ١ :

وقد جاء في الكارنامك أن للمساكين أردشير وأردوان كانا دائماً يستشيران في ساعات العسرة الحكاماء ومعبري الرؤى والمنجمين .
وأضيفت فوق كلمة المنجمين حاشية :

كان في دورا كثير من كتب الطالع . انظر روستوفتزنف : Carawan Cities ،
ص ٢٠٧ ؛ دورا وصناعاتها ص ٦٠ — ٦١ .

الفصل الرابع :

ص ١٦٩ — يضاف إلى آخر الفقرة الأولى :
وهناك نقش بارز آخر في نقش رجب يمثل سابور ممتطيا الحصان ومن خلفه
عظماء الدولة .

ص ١٧٧ — يضاف إلى آخر الفقرة الأولى :
وبعبارة أخرى فإن النفس النورانية تظهر في دور عيسى النوراني ، أو أن
النفس تنتقل إلى البشر بواسطة عيسى النوراني .

ص ١٧٨ — يعدل الجدول على النحو التالي بعد كلمة الأشخاص سطر ٢ :
وبعد الأبحاث الأخيرة (وخاصة أبحاث يلويسكي في Pauly-Wissova) رسم
شيدر^(١) القائمة التالية عن آلهة النور :

دولة النور :

العظيم الأول

أثير النور مع أيوناته الخمسة

أرض النور والعناصر النورانية الخمسة (= الروح الحى)

١ — الدورة الأولى للخلق :

أم الحياة (تبديل للروح الأعظم)

الإنسان الأول (مع العناصر النورانية الخمسة كبنه أو كالبسته)

٢ — الدورة الثانية للخلق :

(١) مورجنلاند ، ٢٨ ، ص ١٠٩

أصدقاء النور
البان الأعظم
روح الحياة مع الآلهة الخمسة المعينة
خفى الحياة (المخلوق من « نداء » روح الحياة و « جواب » الإنسان
الأول) .

٣ — الدورة الثالثة للخلق :

(١) مساعدو الشمس

البشير الثالث

عذارى النور الإثنتا عشرة

عمود المجد

(ب) مساعدو القمر

عيسى النوراني (مع عيسى الطفل^(١))

البتول النورانية

النفسي النورانية

ص ١٨٧ — يضاف بعد الرقم ٢٧٦ سطر ٣ :

قرب نهاية عهد بهرام الأول .

ص ١٨٨ — يضاف إلى الحاشية رقم (٣) :

ذكر هنج في بحثه عن الدعاء والاعتراف ص ٣٠ — ٣٢ أسماء كتّاب

الترانيل المانوية مع توضيحات عن ألحانها .

(١) عيسى الطفل هو نفسه عيسى النوراني وقد تركه هذا على الأرض (مورجنلند ،

ص ١٩٠ — يضاف على السطر السادس :
وقد نشر هنجنغ نصاً لصلاة الاعتراف للصديقين باللغة الصغدية .

ص ١٩٠ — يضاف على الحاشية (٢) :
شيدر ، مورجنلند ، ٢٨ ، ص ١٠٤ — ٦ .

الفصل الخامس :

ص ٢١٣ — يضاف بعد الفقرة الأولى :
وقد كشفت حفائر شاهپور عن خرائب قصر سابور الأول الواقع بجانب بيت النار ، وعن بناء آخر نذر بناءه هذا الملك (وبه نقش مدينة شاهپور) . والبناء وجميع معالم الزخرفة في القصر ترجع كلها إلى الفن الهليني ، وهذا يشير العجب لوقوع هذه المنشآت في قلب إقليم فارس ، مهد الدولة الساسانية ، وهو حسب الرأي السائد حتى اليوم ، من أقل الجهات تأثراً بالمؤثرات الغربية ، بل كان على العكس من أشدها تمسكاً بالتقاليد الوطنية في ميداني الدين والفنون .
جيرشمان ، مجلة الفنون الآسيوية ، ١٢ ، ص ١٢ — ١٨)

ص ٢١٥ — يضاف قبل الفقرة الثالثة سطر ١١ :
وجاء في نقش كعبة زردشت ذكر سيدة اسمها آذر أناهيد ولقبها بانبنشان باننش (ملكة الملكات) ، وكانت فيما يبدو ، زوجاً لسابور الأول . ويدكرنا اسم هذه الملكة بما كان بين الأسرة الساسانية وبين نار الأناهيد باصطخر من وثيق الصلات .

هنجنگ ، BSOS ، (٩) ، ٨٤٦ — ٨٤٧ .

ص ٢١٥ — يضاف على السطر ١٢ :
وهرمزد الذي كان يسمى قبل ارتقائه العرش هرمزد أردشير (كعبة زردشت

١ (٢٢ ،) هو منشئ مدينة هرمزد أردشير التي سميت سوق الأهواز فيما بعد ،
في خوزستان .

هننج ، BSOS ، (٩) ، ٨٤٦ — ٨٤٨ .

الفصل السادس :

ص ٢٥٦ — حاشية فوق كلمة الممتازة سطر ١٦ :

أما عن إصلاحات يزدگرد الأول للتقويم ، وهو ما تحدث عنه البيروني ، فانظر
نيرج ، Rel ، ص ٤١ — ٤٤ . وكان التقويم قد اضطرب لعدم إضافة الأيام
المستترقة ، فأمر يزدگرد في عيد عام أن يضاف شهران على سبيل الاستثناء إلى
سنة واحدة (٢٤٠١) .

ص ٢٧٠ — يضاف إلى الفقرة الثانية :

ولكن صحة رواية إليزه مشكوك فيها ، ذلك أن أكنيان يقول إن نص إليزه ،
كما هو اليوم ، تحريف لرواية أصلية موضوعها الحرب الأرمنية سنة ٥٧٢ ، وما
نسبه إليزه يزدگرد الثاني كان أصلا من أعمال كسرى الأول .
أكنيان ، ١ ، ص ٣٧٥ — ٣٧٦ .

الفصل السابع :

ص ٣٢٠ — يضاف إلى حاشية ٨ :

وذكر بارتولومويه في WZKM ، ٢٧ ، ص ٣٤٧ وما بعدها التفصيلات
الخاصة بمعاملة الرقيق وتحريم بيعهم إلى من لا يدينون بدين الدولة ، وهي القاعدة
المتبعة في حالة رقيق (مسيحي) هارب اتبع دين زردشت . وذلك نقلا عن كتاب
مازيكان هزار دادستان .

ص ٣٢٤ — يضاف إلى الحاشية (٥) :

ومن رأى تأقادي الذي يوافق على ماذهب إليه هرتل ، « انظر ص ١٩ هنا » ،
أن المعنى الحقيقي للاصطلاح « وبه — دين » هو ، في الأصل ، دين النور .
(دراسات هندية وإيرانية ، مقدم إلى وللم كيكر ، ص ٢٤٥ وما بعدها وسور
سخون ص ٥٠) ومهما يكن فإن معنى الاصطلاح ، في العصر الساساني ، الدين
الطيب .

ص ٣٥٤ — تضاف الحاشية الآتية فوق كلمة السياسييين سطر ١٠ :

وقد تناول هذا الطلب كتاب آخرون من العرب . ويقول كرامرز بعد مقابلة
الأشكال المختلفة للكلمة لتصحيحها : إن لفظ السياسييين غلط وصحته النشاطيين
أو النشاطيين ، والأصل الهلوي له نشاطيان بمعنى الحاربيين القيمين حكامة
(دراسات هندية وإيرانية ، مقدم اسير جورج جريسون ، BSOS ، ١٩٣٦ ،
ص ٦١٣ وما بعدها) .

ص ٣٥٤ — تضاف حاشية فوق سطر ١٢ :

قارن مينورسكي JA ، ص ١٩٣٠ ، ٥٧ .

ص ٣٥٦ — يضاف إلى الحاشية (٥) :

وكنت أظن قبل ذلك (طبعة ١٩٣٦ ، ص ٣٩٧) أن المقصود في هذه العبارة
هم الإصبهيدون الأربعة ، ولكنني أوافق على ماذهب إليه شتين (Le muséon ،
١٩٤٠ ، ص ١٣٠) من أن أصحاب الثغور هم المرازبة السكار الذين كانوا رغم
خضوعهم للإصبهيدون يحتفظون بلقب شاه . وقد استخدم صاحب « النهاية »
ص ٢٢٧ ، اصطلاح المرازبان وهو يتحدث عن حاكم إقليم ألان وخزر . ثم إن
هناك اشتباها في رواية كتاب تنسر ، فنص دار مستريذ كر مرازبة الأقاليم الثلاثة
الأولى ويفعل مرازبان الإقليم الرابع ، ونص مينوي يذكر مرازبان كابل ولكن من
الجلي أن كابل لا تمثل ولاية الجنوب .

الفصل التاسع :

ص ٤٢٨ — تضاف حاشية فوق كلمة الضاحى سطر ٤ :

أنظر هجنز : حرب الفرس مع الملك موريس ، الفصل الثانى عن حوادث سنوات ٥٨٨ — ٥٩٠ .

ص ٤٣١ — تضاف حاشية فوق كلمة الأكمينيين فى السطر ١ :

ويرجع تاريخ البردى البهلوى الذى وجد فى مصر إلى عهد الاحتلال الفارسى ، ٦١٩ — ٦٢٩ . وهذا البردى موجود الآن فى مكتبات برلين وينا وموسكو وستراسبورج وجوتنجن وأكسفورد .

ص ٤٣٩ — السطر ٥ :

يحذف هذا السطر ويكتب بدله : يظهر أنها كانت بيت نار .

ثم تضاف الفقرة التالية بعد السطر ٥ :

وقد كشفت بعثات الحفائر فى السنوات العشر الأخيرة فى البلاد التى كان يظلمها الحكم الساسانى كثيراً من العباثر التى ترجع إلى ذلك العهد . ففى دامغان كشفت البعثة المشتركة لكل من University museum ومتحف پنسلفانيا قصرآ ساسانياً وفى ناحية بابل قامت بعثة حفائر Oxford Field Expedition بحفائر هامة ، وأوضحت أن كل الأراضى مابين الفرات ودجلة ، تلك الأراضى التى كانت تروى حينذاك على نحو يودى إلى خصوبة كاملة ، كان مشيداً عليها بلاد ساسانية . ونجحت هذه البعثات فى كشف قصور وبيوت ساسانية فى نواحى كيش القديمة ، كما وجدت قصرآ أكبر فى الصحراء على مسافة عشرين ميلاً إنجليزياً من ضواحى كيش .

ونشر Upham Pope ، فى مقالة له فى مجلة الفن ، (١٥) ، رقم ١ ، شيكاجو ١٩٣٣ ، صورة هامة جداً لقصر صينى على لوحة من البرنز محفوظة فى متحف برلين ويرجع تاريخها إلى القرن السادس أو إلى أوائل القرن السابع . وهذا القصر

صيفي صغير ، بسيط التكوين ، دقيق الزينة ، له خمس قباب (منها ثلاث مرئية)
تحمّلها أعمدة ممشوقة تذكر بأعمدة القصور الصفوية في إصفهان ، والجزء الداخلي
من الواجهة مزين بصور أصص الورد وأشجار النخيل المتناسقة ومن فوقها طيقان
بارزة على نمط طيقان كسرى ، وفي وسطها محراب كامل ، سابق على العصر
الإسلامي ، مدبب الطراز ، وفيه بيت النار على هيئة عمود كما هو الحال في
النقود الساسانية .

ص ٤٦٢ — يضاف إلى الحاشية (١) :

Survey ، ٤ ، ٢١٤ . وذلك على خلاف اردمن الذي ينسب هذا الكأس ،
كنقوش طاق البستان ، إلى فيروز . ويبدى هرتسفيلد ، من جديد اقتناعه بأن
الكأس يمثل كسرى پرويز في الصيد .

الملحق ١ :

ص ٤٩٧ — حذفت بقية الفقرة بعد سطر ٢٠ وكتب بدلها :

ولكن هذه الفقرة يمكن أن تترجم كذلك كالتالي :

« لأن النعالم الضارة لزردهشت ليست مكتوبة بحروف مفهومة » ، ومن هذا
نستطيع أن نقول إنها ليست مكتوبة بحروف يستطيع كافة الناس قراءتها . وهكذا
تفقد أدلة الأب ناو على نظريته كل قيمتها .

ومن ناحية أخرى قد يكون لنيرج حق في القول بأن الأوستا المسطورة
لم يكن لها شأن يذكر في الحياة العملية ، وأنه لم يكن منها سوى نسختين أو ثلاث
كانت مودعة في المراكز الدينية والسياسية الهامة في المملكة ، كنسخ رسمية .

وأثناء مراجعة أصول الكتاب وقت الطبع عرفت أن Bailey أصدر كتاباً
عن مشاكل زردشتية في كتب القرن التاسع ، (اكسفورد ١٩٤٣) ، وتناول
المؤلف موضوع تداول الأوستا ، ومن رأيه أنها لم تتداول كتابة إلا حوالى القرن
السادس الميلادي ، وأن اكتشاف الألقباء الأوستية يعود إلى هذه الفترة .

الملحق ٢ :

ص ٤٩٨ — تغير الفقرة الأولى على النحو التالى :

درس شتين فى مقال له بعنوان : فصل فى أحوال دولتى إيران وبيزنطة ،
الصلات بين نظم الدولة الفارسية فى القرن السادس ونظم الدولة البيزنطية فى القرن
السابع . ففىما يتعلق بفارس فإن الكاتب ، مستندا إلى القوائم الثلاث الخاصة
بأكبر موظفى الدولة والذى ذكرتهما فى كتابى «الإمبراطورية الساسانية» سنة ١٩١٠
ص ٣٠ — ٣١ ، قد بين أن هذه القوائم ترجع إلى ثلاثة عصور مختلفة مما يتيسر
لنا أن نميز خطوات الإصلاح الإدارى التى تمت فى القرن السادس . وقد تناول
الملحق الثانى من طبعة ١٩٣٦ لهذا الكتاب نتائج بحث شتين التى كنت أراها
سليمة من حيث الأساس دون أن أقتنع بقبول جميع تفاصيل هذا الرأى عن وضع
المرازبة والإصبهذين والباذكوسپانيين بالنسبة لبعضهم البعض ، ولذلك حاولت أن
أجد مخرجاً آخر لهذه القضية المشككة .

ثم إن شتين فى نقده لكتابى هذا — (Le Museon ، جزء ٥٣ ، ١٩٤٠ ،
ص ١٢٣ — ٣٣) لم يصفى بسبب الظروف القائمة (الحرب) إلا قليل لإنجاز هذه
الطبعة — قد أعاد النظر فى هذا الباب ليدرسه فى دقة ، ولذلك فإنى بعد أن اطلمت
على الأدلة الجديدة التى آتى بها أنفق معه تماماً فيما ذهب إليه من رأى .

ص ٥٠٠ — يشطب ما جاء بعد كلمة فقط فى الفقرة الأولى سطر ٣ حتى آخر
هذه الفقرة .

ص ٥٠١ — سطر ٩ :

يشطب « يقول الكاتب عنهم أنهم » .

ص ٥٠١ — يضاف الآتى بعد السطر ١٠ ، ويحذف ما جاء فى السطر ١١ إلى
آخر السطر ٥ من صفحة ٥٠٣ :

ومدار أبحاث شستين هي الشبه الدقيق بين النظم الإيرانية ونظم الإمبراطورية البيزنطية . فالابتكارات الإدارية في إحدى الدولتين كانت تطبق في الأخرى . فإعادة تنظيم الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع مبنية على ما تم في دولة فارس في القرن السادس (رغم أنها كانت في الأولى أكثر فاعلية منها في الثانية) . والأسس الاقتصادية والاجتماعية للجيش الإيراني الجديد التي أدخلها كسرى أنوشروان مبنية بشير شك على ما أدخله هرقل على الجيش البيزنطي الجديد . فالإصبهيدون الأربعة في نظام كسرى هم نظائر للقادة الذين شغلوا أرفع مناصب الدولة في بيزنطة . والمراتب العظام الذين كانوا ينوبون عن الإصبهيدون هم نظائر لنواب القادة في تنظيم هرقل للدولة البيزنطية . ثم إن إضعاف شأن البزرگ فرمادار يشبه ما جرى لرئيس الحكم — قاضى القضاة — في بيزنطة .

ومن العجيب أن نرى أن البزرگ فرمادار لا يذكر بين الأربعة الكبار الذين قارنهم مزدك بقواه الأربع ، فإن هذا المصلح قد اختار من بين عظماء الدولة من ينم بهم أتم التوازن مع قواه المعنوية .

وعدا النصوص المأخوذة عن اليعقوبى والسعودى يوجد نصان أحدهما بهلوى والآخر فارسى ، فهما يبانان عن ترتيب مقامات أصحاب المناصب الرفيعة في الدولة الساسانية .

والنص البهلوى هو « حديث المائدة » الذى تمثل قفراته ٩ — ١٤ قائمة تبدأ بالشاهنشاه نفسه ثم پوس ويسپور (ولى العهد) ثم البزرگ فرمادار ثم الإصبهيدون الأربعة (وقد سقط إصبهيد الشمال ولعل هذا من الناسخ) ثم الداود داد واران (قاضى القضاة) والمغان اندرزبد (= موبدان موبد) . وجاء في الفقرة ١١ أن البزرگ فرمادار « عظيم في عظمته ، قوى في قوته ، وهو عظيم وطيب مع الرعية » .

إلى أى عصر نرجع هذه القائمة التى تضع البزرگ فرمادار فى المقام الأول بعد أفراد الأسرة المالكة ، وتضع الموبدان موبد فى آخر مقام ؟ .
إن الإشارة إلى الإصهيدىن الأربعة تبين أن القائمة لا يمكن أن تكون سابقة على عصر كسرى الأول . ويرى شتين أنها أحدث كذلك من قائمة مروج الذهب .
وأريد أولاً أن أحدد تاريخ هذه القائمة فى الفترة بين إدخال نظام الإصهيدىن الأربعة والتعديل الذى أدخله كسرى أنو شروان بتقليل اختصاصات البزرگ فرمادار ، وهو التعديل الذى سأتناوله فى الحديث عن النص الفارسى فيما بعد .

ولكن شتين يقول إن البزرگ فرمادار ظل دائماً كبير الوزراء . والواقع أنه يبدو أن الخط من شأن الموبدان موبد يحدد تاريخ النص بالعصر الأخير للدولة الساسانية حين أخذت الفوضى فى المزيد . ونص « سورسخون » عامة لا يخالف هذا التصور .

والنص الثانى ، الفارسى ، هو فقرة من فارسنامه (٩١ — ٩٢) ، وهى فقرة غامضة لسوء الحظ . وها هو نص هذه الفقرة التى أخذت بالتحقيق عن مصدر پہلوى ومعها شروحي :

ص ٥٠٥ — يضاف بعد كلمة بنفسه فى السطر ١١ :

وقد قال شتين بحق : « معلقاً على هذا النص فى نقده (Le muséon ، ١٩٤٠ ، ص ١٣١ — ٣٢) ، إنه لا يبين أن كسرى الأول قد حدث من اختصاصات كبير الوزراء لصالح الثلاثة الآخرين ، وإنما يبدو أنه احتفظ لنفسه بحق تعيين ثلاثة من كبار الموظفين الملحقين بالبزرگ فرمادار ، وأنه منحهم حق رفع التقارير والمقترحات مباشرة إليه فيما يتعلق بأعمال وزاراتهم .

وظيفة « النائب » ، عند شتين ، كانت أقرب شئ إلى وكيل الوزارة ، وهو لا يرى أن « الكاتب الأكبر » هو الإيران ديريدي (الذى يشبه إلى حد ما سادن

القصر المقدس ويشبه أيضاً ياور الحكام في الدولة الرومانية الأخيرة) ، ولكنه قد يكون نوعاً من رئيس الكتاب أو كبير المؤدبين . ثم يقول شتين إن تعيينه لم يكن في يد الأستاذ (رئيس التشريفات) ولكن كان في يد البزرگ فرمادار .

ومهما يكن فإن شتين يصر ، وهذا هو المهم ، على أن نص فارسنامه يبين أن إضعاف مركز البزرگ فرمادار ، بعد الانتقاص من اختصاصاته أيام قباد الأول ، قد استمر أيام كسرى أنوشروان ، ولكنه في هذه المرة تناول الإدارات التابعة له .



